

جَامِعَةُ الْخَلِيلِ
عَمَادَةُ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا
بِرُتْمَاجِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

الْيَهُودُ وَآثَرُهُمْ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي الْأَنْدَلُسِ

إِعْدَاد: نَافِزَةُ نَاصِرِ الشَّرْبَاتِي

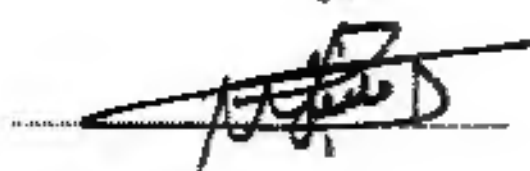
إِشْرَاف: الدُّكْتُورُ حَسَنُ فُلَيْفَل
أُسْتَاذُ الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُشَارِكِ

قُدِّمَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ اسْتِكْمَالًا لِمُنْتَطَلِّبَاتِ دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا بِكُلِّيَّةِ
الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا فِي جَامِعَةِ الْخَلِيلِ .

٢٠٠٧م

نُوقِشتْ هَذِهِ الرُّسَالَةُ يَوْمَ السَّبْتِ بِتَّارِيخِ ١٣/١/٢٠٠٧م المُوَافِقِ
٢٤/١٢/١٤٢٧هـ، وَأُجِيزَتْ.

التَّوَقُّعُ



أَعْضَاءُ لَجْنَةِ الْمُنَاقَشَةِ

١- د. حَسَنُ قَلِيلُ



٢- د. مَشْهُورُ الْحَبَّازِي



٣- د. حُسامُ التَّمِيمِي

الإهداء

إلى والدتي الحبيبة
التي تُنيرُ حياتي بِعُطْفِهَا وَحَنَانِهَا وَتَفْهَمُهَا
وإلى كُلِّ الَّذِينَ دَعَمُونِي وَسَانَدُونِي وَتَحَمَّلُونِي فِتْرَةَ الدِّرَاسَةِ
مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَصْدِقَاءِ
وَهُمْ كَثِيرُونَ ...
وَلَوْ لَا مُسَانَدَتُهُمُ الْمَادِّيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ مَا كَانَ لِهَذِهِ الرَّسَالَةِ
أَنْ تَرَى النُّورَ أَبَدًا .

الشُّكْرُ

إِلَى أَسْتَاذِي الدُّكْتُورِ حَسَنٍ فليفل

المَحْتَوَيَات

الإهداء	١٠
الشكر	١١
المحتويات	١٢
المقدمة	١٣
تمهيد	١٤
أولاً:- مسميات وتعريفات لها علاقة باليهود	١٥
ثانياً:- قلة ظهور اليهود في مصادر الأدب الأندلسي	١٥
الفصل الأول : اليهود تاريخهم وأثرهم في الحياة الأندلسية	١٩
المبحث الأول: تاريخ اليهود ومشاركتهم في السياسة في الأندلس .	١٠
أولاً:- مواقف بارزة لليهود في تاريخ الأندلس .	١٣
١- مساعدهم للفاتحين .	١٤
٢- دورهم مع المتمردين والثائرين .	١٧
٣- تمردهم .	٢١
٤- مساعدهم في تسليم بلاد المسلمين للنصارى	٢٣
ثانياً:- حريتهم والوظائف الرسمية التي تولوها في الأندلس	٢٦
١- في الكتائب .	٢٩
٢- في الوزارة والسفارة	٢٩
ثالثاً:- قسوتهم وظلمهم للمسلمين .	٣٤
رابعاً:- قسوة بعض الساسة وتطاول العامة عليهم .	٣٥
خامساً:- أشهر مذبحه لليهود في الأندلس	٣٦
المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية لليهود في الأندلس .	٣٩
أولاً:- تجمعهم في بلاد وأماكن خاصة بهم	٤٠
الجيش الأندلسي	٤٤
ثانياً:- مظهرهم العام	٤٥
١- الهيئة العامة والعيار "الشكله"	٤٦
٢- الزنار والخاتم والقلاند والخفاف	٥٠
٣- العمام والقلانس	٥٢
ثالثاً:- نظرة الأندلسيين إليهم	٥٧
نساء اليهود في الأندلس	٦٠
رابعاً:- معاملته الأندلسيين لليهود	٦١
١- مجاورتهم في السكن ومشاركتهم في احتفالاتهم	٦١
احتفال اليهود بأعيادهم في الأندلس	٦٣
٢- صداقتهم والتعاون معهم	٧٣
٣- مخطورات اجتماعية عليهم	٧٤
المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية لليهود في الأندلس .	٧٥
أولاً:- بعدهم عن الزراعة والصناعة	٧٥
ثانياً:- نشاطهم في التجارة	٧٦
١- التجارة الداخلية والخارجية	٧٧
٢- تجارة العبيد والجواري	٧٩
٣- تمويل جيوش النصارى وأقتداء الأسرى	٨١
٤- مشاركة المسلمين لهم في التجارة	٨٣
ثالثاً:- بعض المهن المرتبطة بهم	٨٣
١- تحصيل الضرائب والأعشار	٨٥
٢- الإقراض والربا	٨٧

المحتويات

٨٩	المبحث الرابع : الحياة الدينية لليهود في الأندلس
٨٩	أولاً :- الحرية الدينية للطائفة اليهودية
٩١	ثانياً :- دخول بعض يهود الأندلس في الإسلام
٩٣	ثالثاً :- قضاء اليهود فيما بينهم
٩٤	المبحث الخامس : الحياة الثقافية لليهود في الأندلس
٩٤	أولاً :- تعليمهم ومدارسهم
٩٤	١ - النمط الديني اليهودي:
٩٦	٢ - التعليم العربي:
٩٨	ثانياً :- أشهر علومهم وعلمانيهم
٩٩	١ - في النقل والترجمة
١٠٠	٢ - في اللغة والأدب
١٠٣	٣ - في الطب
١٠٥	٤ - في الفلسفة
١٠٧	٥ - في الجغرافيا والفلك والرحلات
١٠٨	٦ - في الغناء والموسيقى
١٠٩	الفصل الثاني : حضور اليهود في الشعر العربي في الأندلس
١١٠	المبحث الأول : اليهود في موضوعات الشعر العربي بالأندلس
١١٠	أولاً :- اليهود في شعر الغزل
١١٢	١ - لقاء الشاعر الأندلسي بفتيات اليهود
١١٤	٢ - أثر اليهود في الغزل التقليدي
١١٦	٣ - أثر اليهود في شعر الغزل بالعلماء
١١٨	٤ - الغزل عند شعراء من اليهود
١٢٠	ثانياً :- اليهود في شعر المدح
١٢٠	الاتجاه الأول : مدح اليهود
١٢٠	أثر ابن تغريelle في شعر مدح اليهود
١٢٤	مثال على شعر المدح لليهود
١٢٦	١ - نهج قصيدة المنقّل في ابن تغريelle :
١٢٧	٢ - الغلو في قصيدة المنقّل:
١٢٩	٣ - اعتناق المنقّل اليهودية :
١٣١	الاتجاه الثاني : أثر اليهود في مدح الشعراء لرجال الأندلس
١٣٣	أثر اليهود في المدائح النبوية
١٣٤	ثالثاً :- اليهود في شعر الهجاء
١٣٤	(١) دوائر هجاء اليهود في الأندلس
١٣٤	الدائرة الأولى : هجاء اليهود
١٣٦	الدائرة الثانية : هجاء اليهود في أغراض غير الهجاء
١٤٧	الدائرة الثالثة : هجاء اليهود للعرب
١٤٨	(٢) أوصاف ترددت في هجاء اليهود
١٥٢	رابعاً :- اليهود في شعر الخمر
١٥٤	الأول : أماكن الخمر التي فيها الشعراء المسلمون باليهود
١٥٨	الثاني : علاقات لليهود بالخمر ظهرت في الشعر
١٥٨	١ - يحضون على شربها ويخلطونها
١٥٩	٢ - يبيعون الجيد منها ويوفرونها لمن يريد
١٦٠	٣ - أشبه بعض شعرائهم بشربها
١٦١	٤ - لهم علاقة إنسانية عادية بها
١٦٢	خامساً :- اليهود في موضوعات أخرى
١٦٢	الأول : في شعر الإخوانيات
١٦٢	١ - مراسلات من اليهود أو إليهم
١٦٢	٢ - أثر اليهود في مراسلات بين المسلمين
١٦٦	الثاني : في الشعر المتحدث عن الفن والمدائح
١٧٢	الثالث : في الموشحات والأزجال
١٧٥	المبحث الثاني : أعلام اليهود وقصصهم في الشعر الأندلسي

المحتويات

١٧٥	أولاً:- أشهر أعلام اليهود في الشعر الأندلسي
١٧٥	١- السامري ٢- يوشع بن نون ٣- بلعام ٤- السمؤال
١٩٣	ثانياً:- مصادر قصص اليهود في الشعر الأندلسي
١٩٦	المبحث الثالث: شعراء اليهود في الأندلس
١٩٦	أولاً:- ابن سهل الإسرائيلي
١٩٦	١- مولده ونشأته:
١٩٨	٢- تعليمه وثقافته وأعماله:
١٩٩	٣- شك الناس في إسلامه:
٢٠٣	٤- وفاته:
٢٠٤	٥- أهم سمات شعره:
٢٠٨	٦- دراسة مثال على شعره "تخميسه في مدح النبي ﷺ":
٢١٤	ثانياً:- أبو الفضل بن حسداي
٢١٤	١- مولده ونشأته:
٢١٧	٢- تعليمه وثقافته وأعماله:
٢١٨	٣- إسلام ابن حسداي:
٢١٩	٤- وفاته:
٢١٩	٥- أهم سمات شعره:
٢٢١	٦- إخوانيته ومعارضاته:
٢٢٥	٧- دراسة مثال من شعره:
٢٢٦	ثالثاً:- آخرون:
٢٣٠	الفصل الثالث: حضور اليهود في النثر العربي في الأندلس
٢٣١	المبحث الأول: الفنون النثرية التي ظهر فيها اليهود في الأندلس
٢٣١	أولاً:- الرسائل
٢٣١	القسم الأول: رسائل من العرب إلى اليهود
٢٣١	أولاً:- الرسائل
٢٣١	١- رسالة من أيوب المرواني إلى ابن سمعون اليهودي
٢٣٣	٢- رسالة من ابن الدباغ إلى ابن حسداي
٢٣٥	٣- رسالة من المنفل إلى ابن تغريلا
٢٣٦	٤- جواب ابن هود لابن حسداي عند فراره عنه
٢٣٦	٥- رسالة أبي الربيع الفصاعي إلى يوسف الإسلامي معاتباً
٢٣٧	٦- رسالة ابن حزم إلى ابن تغريلا
٢٣٧	ثانياً:- سمات عامة لرسائل العرب إلى اليهود في الأندلس
٢٤١	القسم الثاني: رسائل من اليهود إلى العرب
٢٤١	١- رسائل ابن حسداي
٢٤١	٢- مثال على رسائل ابن حسداي
٢٤٢	٣- ميزات رسائل ابن حسداي
٢٤٢	أولاً: كثرة الاقتباس والتضمين
٢٤٩	ثانياً: ظهور ثقافته الواسعة
٢٥١	ثالثاً: سمات موضوعية وفنية أخرى
٢٦١	القسم الثالث: أثر اليهود في رسائل من العرب إلى العرب
٢٦٣	ثانياً:- موضوعات نثرية أخرى
٢٦٣	١- الأمثال
٢٦٦	٢- المقامات
٢٦٧	٣- المذكرات
٢٦٩	المبحث الثاني: المؤثرات على صورة اليهود في النثر الأندلسي
٢٧٨	المبحث الثالث: أعلام أظهروا اليهود في النثر الأندلسي
٢٧٨	أولاً:- أبناء تغريلا الوزراء اليهود بعزناطة
٢٨٢	١- الأب: إسماعيل [٣٨٣ - ٤٤٨ هـ]

المحتويات

٢٨٦	٢- الابن: يوسف [... - ٤٥٩ هـ]
٢٨٨	٣- الحفيد بإفريقية
٢٨٩	ثانيًا :- أبو محمد بن حزم
٢٩٠	١- علاقة ابن حزم باليهود :
٢٩٢	٢- دور ابن حزم في التحريض على مقتل ابن تغريلق
٢٩٢	٣- رسالة ابن حزم في الرد على ابن تغريلق
٢٩٤	٤- أهم سمات رسالة ابن حزم في الرد على ابن تغريلق
٢٩٩	ثالثًا :- الأديب اليهودي ابن حسداي

الخاتمة ٣٠٠

الملاحق ٣٠٢

٣٠٣	أولاً:- جداول حول "الإسرائيلي والعبري واليهودي ومشتقاتها" في بعض كتب التراث.
٣٠٧	ثانيًا :- أشهر معتقدات اليهود وأنبيائهم وعظمائهم .
٣١٦	ثالثًا :- ملاحق القصائد والمقطعات الشعرية.....
٣١٦	أ- شعر من العرب موجه إلى ابن حسداي
٣٢١	ب - من شعر ابن حسداي
٣٢٨	ج- قصيدة أبي إسحاق الإلبيري في اليهود
٣٣١	د- مدحة نبوية لابن سهل الإسرائيلي :
٣٣٣	رابعًا :- ملاحق القطع النثرية.....
٣٣٣	أ- رسائل إلى اليهود .
٣٣٨	ب- رسائل ابن حسداي التي كتبها عن نفسه
٣٤٦	ج- رسائل ابن حسداي التي كتبها عن غيره
٣٥٥	د- رسالة ابن حزم في الرد على ابن تغريلق اليهودي

الفهارس ٣٧٥

٣٧٦	أولاً:- فهرس الآيات
٣٧٩	ثانيًا :- فهرس الأعلام
٣٨٦	ثالثًا :- فهرس الشعوب والقبائل والجماعات والمهن
٣٩٠	رابعًا :- فهرس البقاع والبلدان والأماكن
٣٩٥	خامسًا :- فهرس القوافي
٤٠٢	سادسًا :- فهرس المؤشحات والأزجال
٤٠٣	سابعًا :- فهرس الكتب

المصادر والمراجع ٤١٠

ABSTRACT ٤١٨

المقدمة

أثار انتباهي وجود شعر وتثر كتب بالعربية لبعض اليهود في مصادر الأدب الأندلسي، وأثار انتباهي أكثر وجود شعر مدح في وزراء من اليهود في ممالك الأندلس. ففكرت في البحث عن أثر اليهود في الأدب، فلا بد أن يكون في الأدب ما يدل على وجودهم، فقد عني الأندلسيون بالأدب كثيراً، واليهود فئة من فئات المجتمع الأندلسي، ولا يمكن فصلها عما كان يدور في عالم الأدب، لذا توقعت أن لهم عناية بالأدب كغيرهم، وتوقعت أن هذه الفئة تركت أثراً في الأدب. كان للشعر مكانة عظيمة عند الأندلسيين على اختلاف طبقاتهم وثقافتهم؛ يقول الحموي مثلاً في "معجم البلدان" إنه: "قل أن يرى من أهل شلب من لا يقول شعراً ولا يتعاني الأدب، ولو مررت بالحرث خلف فدانه وسألته عن الشعر لقرض من ساعته ما اقترحت عليه وأي معنى طلبت منه". فإن كان الحرث قادراً على ارتجال الشعر في الأندلس فلا أتوقع أن تجهله وتكون بعيدة عنه وغير مؤثرة فيه فئة اليهود التي امتازت بثقافة واسعة واضطلاع في شتى العلوم بتلك البيئة بما فيها علوم اللغة العربية وآدابها.

وما نفل إلينا عن المجتمع الأندلسي، وما تضمنته صفحات البحث التالية يدل على أن اليهود تطلعت عيونهم إلى بلاط الملوك والأمراء والوزراء، ووصلوه، وكان منهم عدة وزراء، ومن المعلوم أن مجالس الملوك والأمراء في الأندلس كانت تلعب دوراً مهماً في الحياة الأدبية؛ فالشعراء كانوا ينالون من ملوكهم وجاهة وتقديرًا وحظاً في الوظائف، والمجيدون منهم ينالون قرباً ومكانة عند ذوي السلطة وأصحاب القرار، فالغالب عند الأندلسيين أن يعظم الشخص بالأندلس إن كان نحوياً أو شاعراً، فإن كان القرب من مجالس الملوك والأمراء مقياساً من المقاييس التي يقاس بها باع هذا الكاتب أو الشاعر، وإن كانت عطايا هؤلاء القائمين على أمر الأدب في الأندلس دليلاً آخر على مكانة هذا الكاتب أو ذاك الشاعر، فلا بد أن يكون لليهود علاقة بالأدب والأدباء والشعر والشعراء. كما أن المخالطة اليومية لليهود مع عامة الناس بمن فيهم الشعراء، لا بد أنها تركت لهم أثراً لا يمكن تجاهله في الشعر والتثر.

من هذه المؤشرات قررت البحث عن أثر اليهود في الأدب، وحين بدأت البحث لاحظت أن اليهود في الأندلس لم يحظوا بأي دراسة مستقلة سوى كتاب لمحمد بحر عبد المجيد بعنوان "اليهود في الأندلس"، فيه مقطوعات أدبية لبعض اليهود في الأندلس، وفيه حديث مختصر عن أعلام اليهود فيها، إلا أن الكتاب لم يكن دراسة علمية، وركز الكاتب فيه كثيراً على المعلومات التاريخية ولم يكن اهتمامه بالناحية الأدبية، كما أن جل اعتماده كان على المراجع الحديثة والأجنبية، ولم يعتمد الكاتب في دراسته كثيراً على مصادر الأدب الأندلسي، فجاء الكتاب مملوءاً بحديث عن أعلام اليهود في الأندلس، دون تحليل أو مناقشة للأمور. واختفى يهود الأندلس وأدبهم من عناوين الكتب التي بحثت فيها، لكن أتى ذكرهم مستقلاً في أقل من عشر صفحات عند هنري بيرس في دراسته "الشعر الأندلسي في عصر الطوائف".

وجعلت الرسالة في ثلاثة فصول، سبقتها تمهيد عرّضت فيه بعض المسميات والتعريفات التي لها علاقة باليهود، ثم أشرت إلى قلة اهتمام الباحثين والدارسين بجماعة اليهود في الأندلس. وخصّصت الفصل الأول لليهود وأثرهم في الحياة في الأندلس، وتحدثت فيه عن تاريخهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية، وذكرت فيه أهم مظاهر حياتهم في الأندلس وأبرز عاداتهم ومعتقداتهم وأعمالهم وأشهر أعلامهم وبعضاً من المواقف التاريخية التي ظهرُوا فيها أو أثروا بها. أما الفصل الثاني فخصّصته لأثر اليهود في الشعر العربي في الأندلس، بحثت فيه عن اليهود في الموضوعات التي ظهر فيها أثر لليهود في الشعر العربي بالأندلس. وتحدثت فيه عن أشهر أعلام

اليهود الذين أُنشروا في الشعر، وأُضفت إليه حديثاً عن مصادر قصص اليهود المذكورة في الشعر الأندلسي. وانتهى الفصل بترجمة لأشهر شعراء اليهود في الأندلس.

والفصل الثالث جعلته لأثر اليهود في النثر العربي في الأندلس، تحدثت فيه عن الفنون النثرية التي ظهر فيها اليهود في الأندلس، وهي الرسائل والأمثال والمقامات والمذكرات. ثم تحدثت عن المؤثرات على صورة اليهود في النثر الأندلسي وأهم الأوصاف التي وُصفوا بها في النثر، ثم ترجمت لأعلام أظهروا اليهود في النثر الأندلسي.

وعززت البحث بقطع شعرية ونثرية للتدليل على القضايا المتناولة، توقفت أحياناً عند رأي الباحثين والدارسين وناقشته مؤيدة أو معارضة، وأحياناً كنت أتوقف عند مدلولات هذه القطع ومعانيها وأحياناً أخرى كان يستوقفني أسلوبها أو جمالها أو غرابتها. وحاولت الترجمة المختصرة للأعلام عند ورودها أول مرة في البحث، وكذلك عرفت بالمدين والمواقع عند ظهورها أول مرة.

وأثبتت البحث بملاحق: الأول منها جداول تلخص تكرار ألفاظ الإسرائيليين والعبريين واليهوديين ومشتقاتها في بعض كتب التراث. والثاني عن أشهر معتقدات اليهود وأنبيائهم وعظماهم لأهميتها في مناقشة بعض نصوص البحث. والثالث به قصائد ومقطعات شعرية رأيت أنها تفيد البحث، والرابع لقطع نثرية. وألحقت الجداول بفهارس عدة.

واعتمدت المنهج التكاملي في البحث؛ فراعيت التسلسل الزمني أحياناً وفق المنهج التاريخي حيناً في سرد الحوادث التاريخية كقضية مقتل الوزير ابن نغيلة مثلاً، وفي سرد أو تتبع بعض المواقف من تاريخ اليهود في الأندلس قبل الفتح الإسلامي وبعده، وحيناً آخر اتبعت المنهج الإحصائي كما حصل في بحثي عن استخدام الأندلسيين لمصطلحات الإسرائيليين والعبريين واليهوديين ومشتقاتها في بعض كتب التراث ووضعها بجداول إحصائية في الملاحق، كما ذكر البحث أحياناً إحصائيات للرسائل والقطع الشعرية في بعض قضايا البحث، وأحياناً اتبعت المنهج الوصفي أو التحليلي في الحديث عن الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية مثلاً، وفي وصف بعض الظواهر الأدبية في ثنايا البحث، وفي أخرى اتبعت المنهج النفسي كما حصل في تحليل بعض النصوص الشعرية أو النثرية أحياناً، وأحياناً لجأت إلى المنهج الجمالي أمام بعض النصوص سواء من اليهود أو من العرب ظهر فيها أثر لليهود.

وعلى الرغم من قلة ظهور اليهود في المصادر إلا أن المصادر والمراجع التي أفادتني في البحث كثيرة، مع الاختلاف في المعلومات الواردة فيها من حيث الكم والأهمية. فالمصادر الإسلامية بخيلة في المعلومات عن اليهود؛ حيث أنصب اهتمام المؤلفين في ملاحقة أخبار الملوك والأمراء وحروبهم وانتصاراتهم، بينما أهملت الحديث عن الجاليات غير الإسلامية، وحين ذكرتها لم يكن الهدف دراسة هذه الجاليات وما امتازت به عن بقية فئات المجتمع الإسلامي، بل جاء الحديث عنها في السرد العام للأحداث التي رافقت עליّة القوم.

وكانت معظم المصادر القديمة موسوعية، إلا أن الكتب التي يغلب عليها الطابع الأدبي كانت شحيحة في المعلومات عن اليهود، وبصعوبة أفاد البحث منها، وحين تأتي بعض المعلومات الأدبية عنهم لم يكونوا المقصودين؛ بل كان غيرهم الهدف. وكان كتاب "الذخيرة" لابن بسام (ت: ٥٤٢هـ) من أغزر المصادر التي أمدتني بنصوص أدبية لليهود أو عنهم، وكادت تختفي معظم هذه النصوص على قلتيها من الكتب التالية للذخيرة باستثناء "نفح الطيب" للمقري (ت: ١٠٤١هـ) الذي خصص قسماً للشعراء اليهود وترجم لهم، كما تضمن شيئاً من أخبار اليهود في الأندلس، وأشار إلى بعض الأعمال التي قاموا بها، وعلاقهم بالمسلمين، إلا أن المعلومات جاءت مختصرة وفيها تجاهل واضح للنصوص الأدبية لهم أو التي قيلت بحقهم.

وكانت كتب الطبقات والتراجم والتاريخ مثل الكتب الأدبية في تجاهلها لليهود، فجاء ذكرهم بقلّة فيها في التاريخ أو الترجمة لغيرهم؛ فأفاد البحث كتب ابن سعيّد (ت: ٦٨٥هـ) في الترجمة لبعض اليهود ولغيرهم من الأندلسيين ومنها كتاب "المغرب". وكذلك استفاد البحث في ترجمة الأعلام المذكورة فيه من "الحلة السيرة" لابن الأبار (ت: ٦٥٨هـ)، و"وفيات الأعيان وأنباء الزمان" لابن

خَلَّكَان (ت ٦٨١ هـ) و "سِير أعلام النبلاء" لِلدَّهَبِيِّ (ت ٧٦٤ هـ). وَمِثْلَهَا كِتَاب "عُيُونُ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطِبَّاءِ" لِابْنِ أَبِي أَصْبِيْعَةَ (ت ٦٦٨ هـ) الَّذِي تُرْجِمَ لِكَثِيرٍ مِنْ أَطِبَّاءِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ .

وَأَمَدَّتِ الْكُتُبُ التَّارِيخِيَّةُ الْبَحْثَ بِمَعْلُومَاتٍ عَنِ الْيَهُودِ، مِنْهَا كِتَاب "أَخْبَارُ مَجْمُوعَةٍ فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ" لِمَا حَوَى مِنْ أَخْبَارٍ عَنِ الْيَهُودِ فِي فَتْحِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَمِنْهَا مُذَكَّرَاتُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُلْقَيْنَ (ت بعد ٤٨٣ هـ) الْمُسَمَّى "التَّبْيَانُ" وَأَهْمِيَّةُ الْكِتَابِ لِلْبَحْثِ أَنَّهُ تَحَدَّثَ بِتَفْصِيلٍ عَنِ عِلَاقَةِ بَادِيَسَ بْنِ يَزِيدَ الْيَهُودِيِّينَ وَقَصَلَ الْحَدِيثَ عَمَّا دَارَ فِي قُصْرِ بَادِيَسَ مِنَ الْمُوَامَرَاتِ الَّتِي كَانَ الْوَزِيرُ الْيَهُودِيُّ طَرَفًا مُهْمًا فِيهَا، وَأَهْمِيَّةُ الْكِتَابِ أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ قُرْبٍ شَدِيدٍ وَاجْتِلَاطٍ مُبَاشِرٍ بِهِمْ؛ فَالْأَمِيرُ كَانَ يَعْيشُ فِي الْقُصْرِ الَّذِي كَانَ مَسْرَحًا لِلْوَزِيرَيْنِ الْيَهُودِيِّينَ.

وَمِنْهَا كِتَاب "تَارِيخُ الْمَنِّ بِالْأَمَانَةِ" لِابْنِ صَاحِبِ الصَّلَاةِ (ت ٥٩٤ هـ) فِيهِ أَخْبَارٌ عَنِ الْيَهُودِ مِنْهَا تَأْمَرُهُمْ مَعَ ابْنِ هَمَّشَكٍ وَتُسَلِّمُهُ مَدِينَةُ غَرْنَاطَةَ سَنَةِ ٥٥٧ هـ، وَمِنْهَا "الْمُعْجَبُ فِي تَلْخِيصِ أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ" لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَاكُشِيِّ (ت ٦٤٧ هـ) الَّذِي تَحَدَّثَ فِيهِ عَنِ أَخْبَارِ الْيَهُودِ فِي عَهْدِ الْمُوحِدِينَ بِخَاصَّةٍ لِمَا قَرَضَ الْمَنْصُورُ عَلَيْهِمْ لِبَاسًا مُتَّيِّزًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ.

أَمَّا كِتَاب "الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ" لِابْنِ عِدَارِي الْمَرَاكُشِيِّ (ت بعد ٧١٢ هـ) فَكَانَ مِنَ الْمَصَادِرِ الرَّئِيسَةِ الْمُهِّمَةِ لِلْبَحْثِ حَيْثُ حَوَى مَعْلُومَاتٍ هَامَّةً عَنِ الْيَهُودِ، مِنْهَا مَا قِيلَ فِي نَسَبِ بَرْغَوَاطَةَ وَعِلَاقَتِهِ بِالْيَهُودِ، وَمِنْهَا مَا جَاءَ عَنِ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ وَمَا أَدَّى إِلَى مَقْتَلِهِ، وَذَكَرَ بَعْضَ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ، كَثُورَةِ الْعَامَّةِ عَلَى الْيَهُودِ سَنَةِ ٥٢٩ هـ، وَدَوْرَهُمْ حِينَ سَقَطَتْ بَلَنْسِيَّةُ سَنَةِ ٤٨٧ هـ بِأَيْدِي الْمَسِيحِيِّينَ. وَاحْتَوَى كِتَاب "الْإِحَاطَةُ فِي أَخْبَارِ غَرْنَاطَةَ" لِابْنِ الْخَطِيبِ (ت ٧٧٦ هـ) بَعْضَ التَّفَاصِيلِ عَنِ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ ابْنِ النَّغْرِيْلَةَ وَمَقْتَلِهِ، بِاخْتِلَافٍ قَلِيلٍ عَمَّا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ عِدَارِي. أَمَّا فِي "أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ" فَقَدْ أَضَافَ ابْنُ الْخَطِيبِ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْإِحَاطَةِ عَنْ مَقْتَلِ الْيَهُودِيِّ قَصِيدَةً أَبِي إِسْحَاقَ الْأَلْبِيرِيِّ الَّتِي حَرَّضَ فِيهَا عَلَى قَتْلِ الْيَهُودِيِّ وَاتَّبَاعِهِ. وَتَشَابَهَ كِتَابَا "الْعَبْرُ" لِابْنِ خَلْدُونٍ (ت ٨٠٥ هـ) وَ"الْإِسْتَفْصَا" لِأَحْمَدَ النَّاصِرِيِّ (ت ١٣١٥ هـ) فِيمَا جَاءَ فِيهِمَا عَنِ الْيَهُودِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ حَتَّى فِتْرَةِ مُتَأَخَّرَةٍ.

وَاسْتَفَادَ الْبَحْثُ كَذَلِكَ مِنْ كُتُبِ الْجُغَرَاْفِيَا وَالرَّحَلَاتِ، وَمِنْهَا "الْمَسَالِكُ وَالْمَمَالِكُ" لِابْنِ خُرْدَانَبَه (ت ٣٠٠ هـ) وَ"نُزْهَةُ الْمُشْتَقِاقِ فِي اخْتِرَاقِ الْأَفَاقِ" لِلشَّرِيفِ الْإِدْرِيسِيِّ (ت ٥٦٤ هـ) وَ"مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ" لِلْحَمَوِيِّ (ت ٦٢٦ هـ) وَ"الرُّوْضُ الْمَعْطَارُ فِي خَبَرِ الْأَقْطَارِ" لِلْحَمِيرِيِّ (ت ٨٦٦ هـ) فِي التَّعْرِيفِ بِالْمَدُنِ وَمَرَكَزِ تَجَمُّعِ الْيَهُودِ، وَأَحْيَانًا كَانَتْ هَذِهِ الْكُتُبُ لَا تَقْصُرُ عَلَى الْمَادَّةِ الْجُغَرَاْفِيَّةِ بَلْ تَتَوَسَّعُ فِي ذِكْرِ الْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ الْمُهِّمَةِ، وَتَصِفُ بَعْضَ الْأُمُورِ الْحَيَاتِيَّةِ لِلسُّكَّانِ .

وَشَارَكَ عُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ وَالْفُقَهَاءُ الْمُسْلِمُونَ فِي إِغْنَاءِ الْبَحْثِ بِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ عَنِ الْيَهُودِ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى، فَظَهَرَتْ كُتُبُهُمُ الْجَدَلُ وَالصَّرَاحُ الْفِكْرِيُّ وَالِدِينِيُّ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْكُتُبُ مِنْ أَهَمِّ الْمَصَادِرِ الَّتِي أَغْنَتْ الْبَحْثَ فِي مَعْرِفَةِ الْأَوْضَاعِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِسَادِيَّةِ لِمَا فِيهَا مِنْ مَعْلُومَاتٍ لَا تُوجَدُ فِي الْكُتُبِ الْأَدَبِيَّةِ أَوْ التَّارِيخِيَّةِ. وَأَهْمُهَا لِلْبَحْثِ كَانَ "الْمَغْيَارُ الْمَغْرِبُ" لِلْوَشْرِيسِيِّ (ت ٩١٤ هـ) الَّذِي يَمْتَنِزُ بِوَفَرَةِ الْمَعْلُومَاتِ عَنِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لِلْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ لِكَثْرَةِ مَا احتوى عَلَيْهِ مِنْ نَوَازِلَ تَخْتَصُّ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ، وَهَذِهِ تَخْتَلَفُ بِالطَّبْعِ عَنِ الْاِفْتِرَاضَاتِ النَّظَرِيَّةِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ، فَقَدْ سَجَّلَ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمَحَلِّيَّةِ الَّتِي عَاشَتْهَا تِلْكَ الْبِلَادُ، وَحَوَى كَثِيرًا مِنَ الْإِشَارَاتِ إِلَى أَحْوَالِ الْمُجْتَمَعِ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ؛ مِنْ عَادَاتٍ فِي الْأَفْرَاحِ وَالْأَتْرَاحِ، وَفِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، وَفِي الْمَلْبُوسَاتِ وَالْمَطْعُومَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْمَسَاكِينِ وَفِي ذِكْرِ بَعْضِ الْعَادَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمُمَارَسَةِ الطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ. وَفِي "أَمْثَالِ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ" لِلزَّجَالِيِّ (ت ٦٩٤ هـ) كَذَلِكَ شَيْءٌ عَنِ حَيَاةِ الْعَامَّةِ وَنَظَرَتِهَا إِلَى الْيَهُودِ.

وَكَانَتْ كُتُبُ الْفَقِيهِ ابْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ (ت ٤٥٦ هـ) مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي أَغْنَتْ الْبَحْثَ كَثِيرًا، وَعَلَى رَأْسِهَا "رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ نَغْرِيْلَةَ الْيَهُودِيِّ" وَهِيَ رِسَالَةٌ عَظِيمَةُ الْأَهْمِيَّةِ لِلْبَحْثِ تَوْضُحُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْيَهُودُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالتَّعَالِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ الْيَهُودِيِّ وَزِيرِ بَادِيَسَ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ لِلْهَجْرَةِ، فَوَصَلَ الْحَالُ إِلَى أَنْ قَامَ الْيَهُودِيُّ بِالتَّطَاوُلِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَكُتَابِهِمُ الْمُقَدَّسِ، وَتَوْضُحُ الرِّسَالَةِ مَدَى الصَّرَاحِ الدَّائِرِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَلَأَهْمِيَّتِهَا أَثْبَتَهَا

كاملة في الملاحق. ومن كتب ابن حزم التي أفادت البحث موسوعة "الفصل في الملل والأهواء والنحل" في دراسة الأديان والملل والفرق الدينية، فاستفاد البحث مما جاء فيه عن كتب اليهود المقدسة، وذكر فيه شيئاً من مناقضاته لأحد الأعلام المشهورين في البحث وهو ابن خريشة. وأفاد البحث كذلك كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاف" الذي ذكر فيه ابن حزم علاقة ودية له بإسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي، وقال إنه كان يجلس في دكانه في المرية. وأمدت بعض الدواوين الشعرية لشعراء الأندلس البحث بنصوص شعرية ظهر فيها أثر اليهود، وأكدت بعض قضايا البحث، فاستفاد البحث من "ديوان الإلبيري" (ت: ٤٥٩هـ) فأخذ منه قصيدة الإلبيري التي كانت منطلق ثورة عارمة على يهود غرناطة. وأظهر ديوان "روضة المحاسن" للجزار السرقسطي (ت: ٤٧٤هـ) بعضاً من شعر الإخوانيات مع اليهود. ومن المراجع الحديثة "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" لعبد الوهاب المسيري، وموسوعة "الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس" التي حررتها سلمى الجيوسي حيث أضافت إلى البحث آراء بعض المستشرقين في جوانب مختلفة في البحث. واستفاد البحث كذلك مما جاء به هنري بيرس في كتابه "الشعر الأندلسي في عصر الطوائف" من آراء تمت مناقشتها في البحث. وتمت الاستفادة كذلك من مراجع اليهود في بعض جوانب البحث؛ فاعتمد البحث على مقولات وتحليلات لإسرائيل شاخاك في كتابه: "الديانة اليهودية وتاريخ اليهود؛ وطأة ٣٠٠ عام" و"الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود".

وأخيراً أتمنى أن أكون قد قدمتُ جديداً في الموضوع، وأن يكون في بحثي ما يفيد وما يقدم إضاءات لغيري من الباحثين حتى يفيدوا منه ويكملوا ما لم أستطع استيفاءه.

نافذة الشرباتي
الخليل - ٢٠٠٦م

تمهيد

أولاً: - مُسَمِّيَاتٌ وَتَعْرِيفَاتٌ لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْيَهُودِ .

هُنَاكَ مُصْطَلَحَاتٌ كَثِيرَةٌ وَرَدَتْ فِي كُتُبِ الثَّرَاثِ لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْيَهُودِ، أَهْمُّهَا مَا يَلِي :-

- ١ - مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (ذِمِّي، مُعَاهِد، مُسْتَعَرَب): يَرُدُّ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي الْكُتُبِ، وَذَلِكَ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى أَهْلِ الْكُتُبِ السَّامَوِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى^(١). وَيُقْصَدُ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ مَنْ هُمْ تَحْتَ الْعَهْدِ وَالْحِمَايَةِ^(٢)؛ أَيْ تَحْتَ حِمَايَةِ السُّلْطَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ^(٣). وَالْمُسْتَعَرَبُونَ^(٤) هُمْ نَصَارَى الْإِسْبَانِ الَّذِينَ كَانُوا يُعَاشِرُونَ الْمُسْلِمِينَ وَيَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ مَعَ اخْتِفَاطِهِمْ بِدِينِهِمْ^(٥).
- ٢ - مُسْلِمَانِي (أَسْلَمِي، إِسْلَامِي، مُسَالِم، مُوَلَّد): أُطْلِقَتْ هَذِهِ التَّسْمِيَاتُ عَلَى مَنْ اعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ. أَوْ مَنْ نَبَذَ دِينَهُ بِالْفِعْلِ مِنَ الْإِسْبَانِ^(٦)، فَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ أَوْ مِنَ النَّصَارَى، وَالْمُوَلَّدُونَ هُمْ أُطْقَالُهُمُ الَّذِينَ انْحَدَرُوا مِنْ أَصْلَابِهِمْ^(٧). أَيْ أَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ^(٨). وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مِنَ الْيَهُودِ مُسْتَقَرًّا بِالْبِلَادِ قَبْلَ الْفَتْحِ وَأَسْلَمَ عِنْدَ الْفَتْحِ أَوْ بَعْدَهُ، أَوْ دَخَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ الْفَتْحِ وَأَسْلَمَ^(٩).
- ٣ - إِسْرَائِيلِي: نِسْبَةٌ إِلَى إِسْرَائِيلَ وَهُوَ النَّبِيُّ يَعْقُوبُ^(١٠) بَنُ إِسْحَاقَ بَنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَتَقُولُ التَّوْرَةُ إِنَّ اللَّهَ مَنَحَهُ هَذَا الْاسْمَ^(١١)، وَكَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْنًا هُمْ الْأَسْبَاطُ، وَمِنْهُمْ

١ - انظر: ميكل دي إيبالزا المستعربون: أقلية مسيحية مهمة ترجمت: يعقوب دواني، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/ ٢٣٥ .

٢ - الذمة: العهد والأمان والضمان، وسُمِّيَ أَهْلُ الذِّمَّةِ لِدُخُولِهِمْ فِي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَانِهِمْ. ابن منظور لسان العرب [ذمم] ١٢/ ٢٢١ .

٣ - انظر: ميكل دي إيبالزا المستعربون: أقلية مسيحية مهمة ترجمت: يعقوب دواني، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/ ٢٣٥ .

٤ - العرب المستعربة: قوم من العجم دخلوا في العرب، ولبسوا بصرحاء فيهم. ابن منظور لسان العرب [عرب] ١/ ٥٨٨ .

٥ - انظر: السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ١٣٠؛ مونتغمري وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية ص ٤٧ .

٦ - انظر: مونتغمري وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية ص ٤٦ .

٧ - انظر: هنري بيري الشجر الأندلسي في عصر الطوائف ص ٢٣١ .

٨ - انظر: مونتغمري وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية ص ٤٧ .

٩ - انظر: عصمت نندش الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين ص ٢٤٩ .

١٠ - ابن حزم جمهرة أنساب العرب ٥٠٢-٥٠٣ .

١١ - انظر: التوراة سفر التكوين ٩/٢٥-١٠: وظهر الله ليعقوب... وقال له الله: اسمك يعقوب. لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل. فدعا اسمه إسرائيل. ومعنى إسرائيل: رأس الله القادر. انظر: المفريزي المواعظ والاعتبار ٤/ ٩٤٨ .

== تمهيد ==

جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ^(١) فَأَمَّةُ الْيَهُودِ أَعَمُّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الرُّومِ وَالْفُرسِ وَغَيْرِهِمْ صَارُوا يَهُودًا وَلَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ يَهُودِيٍّ إِسْرَائِيلِيٍّ^(٢).

٤- **عِبْرَانِي (عِبْرِي):** كَثُرَتْ اخْتِلَافَاتُ الْبَاحِثِينَ حَوْلَ أَصْلِ كَلِمَةِ الْعِبْرَانِيِّينَ^(٣)، وَلَخَّصَ الْحَمَوِيُّ بَعْضًا مِنْهَا مُعْتَمِدًا عَلَى "تَارِيخِ الطَّبْرِي" فَقَالُوا: إِنَّ الْعِبْرَ شَاطِئُ النَّهْرِ، وَيُطْلَقُ عَلَى غَرْبِي الْفُرَاتِ، وَإِلَيْهِ يُنسَبُ الْعِبْرِيُّونَ مِنَ الْيَهُودِ. وَقَالُوا: إِنَّمَا نَطَقَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ حِينَ عَبَرَ النَّهْرَ قَارًا مِنَ النَّمْرُودِ، وَقَالَ النَّمْرُودُ لِلَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ خَلْفَهُ إِذَا وَجَدْتُمْ قَتَى يَتَكَلَّمُ بِالسَّرْيَانِيَّةِ فَرُدُّوهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَوهُ اسْتَنْطَقُوهُ، فَحَوَّلَ اللَّهُ لِسَانَهُ عِبْرَانِيًّا حِينَ عَبَرَ النَّهْرَ فَسُمِّيَتِ الْعِبْرَانِيَّةُ لِذَلِكَ. وَقَالَ غَيْرُهُمْ سُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ عِبْرَانِيًّا لِأَنَّهُ عَبَرَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ. وَقِيلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ عَبَرُوا الْبَحْرَ هَرْبًا مِنْ فِرْعَوْنَ فَسَمُوا الْعِبْرَانِيِّينَ لِعُبُورِهِمُ الْبَحْرَ، وَقِيلَ إِنَّ بُخْتَنَصْرَ لَمَّا سَبَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَبَرَ بِهِمُ الْفُرَاتَ قِيلَ لَهُمُ الْعِبْرَانِيُّونَ^(٤). وَقِيلَ لَأَنَّهُمْ يُنسَبُونَ إِلَى عَابِرِ بْنِ شَالِحٍ وَهُوَ أَحَدُ أَجْدَادِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٥).

وَيَنْقَلُ عِرْقَانِ فَتَّاحِ رَأْيَا لِلْوَلِيَّامِ ف. أَلْبْرَايْتِ أَسْنَادِ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ بِجَامِعَةِ هَارْفَارْدِ الْأَمْرِيكِيَّةِ يَزْعُمُ فِيهِ أَنَّ كَلِمَةَ عِبْرِيَّ Hebrew تُعْنِي سَائِقَ الْحِمَارِ Donkey Driver إِمَارَةً إِلَى الْغُبَارِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقَبَائِلَ الرَّاحِلَةَ كَانَتْ تُثِيرُ الْغُبَارَ أَثْنَاءَ تَنَقُّلِهَا عَلَى الطَّرِيقِ

١ - انظر: ابن خزم جُمهرة أنساب العرب ص ٥٠٣ - ٥٠٤؛ أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٨٦/١ - ٨٧.

وأبناء يعقوب هم : يوسُفُ وَيُثَامِينُ وَنُفْثَالِي وَرُوبِيلُ وَيَهُودَا وَشِمْعُونُ وَلاوي وَدَانُ وَرَبُوبِي وَيَسَّجَرُ وَجَادُ وَأَشْرُ.

٢ - انظر: أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٨٧/١. يفضِّلُ الْبَاحِثُونَ الْمُعَاصِرُونَ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَدَمَ الْخَلْطِ بَيْنَهُمَا. فَيَرَى زِيَادُ عَلَيَّانُ أَنَّ يُحْصَرُ مُصْطَلَحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى الْمَرْحَلَةِ الْمُتَمَدِّةِ مِنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَحْفَادِهِ حَتَّى رَجِيلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مِصْرَ، وَلَفْظُ الْمَوْسَوِيِّينَ إِنْسَبَ إِلَى النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَبَدَأَ وَجُودَهُمْ فِي مِصْرَ إِلَى فِلَسْطِينَ وَنُشُوءِ مَمْلَكَتِهِمْ، وَلَفْظُ الْيَهُودِ عَلَى الْيَهُودِ الْمُتَبَقِّينَ بَعْدَ السَّبْيِ الْبَابِلِيِّ حَتَّى الْآنَ. وَبِمَا أَنَّ كُتُبَ الثَّرَاثِ لَمْ تَلْتَزِمَ بِهَذَا التَّهَجُّجِ وَتَعَامَلَتْ مَعَهَا كَأَنَّهَا مُتَرَادِفَاتٌ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ فَلَنْ يَكُونَ التَّزَامُ هَذَا الْأَمْرَ سَهْلًا. إِلَّا أَنَّ تَسْمِيَتِي لِمَنْ عَاشَرَ مِنْهُمْ فِي الْأَنْتَلَسِ بِالْيَهُودِ تُنَاسِبُ هَذَا الرَّأْيَ.

انظر: زياد عليان الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر ص ٣٠؛ أحمد سوسة العرب واليهود في التاريخ ص ٧٧ [الحاشية].

٣ - يقول زياد عليان: إِنَّ كَلِمَةَ عِبْرَانِي بِمَعْنَى يَهُودِيٍّ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي اللُّغَةِ إِطْلَاقًا، وَالْعِبْرَانِيُّونَ هُمُ الْأَرَامِيُّونَ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْيَهُودِ الْمُعَاصِرِينَ، وَلَمْ يُثَبِّتِ التَّارِيخُ أَنَّ الْأَرَامِيِّينَ كَانُوا يَهُودًا. وَ الْعِبْرِيَّ أَوْ الْعِبْرَانِيَّ كَانَ يُطْلَقُ قَبْلَ الْأَلْفِ الثَّانِيَةِ قَبْلَ الْمِيلَادِ عَلَى بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ شَمَالَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَصَارَتْ كَلِمَةُ الْعِبْرِيَّ وَ الْيَهُودِيَّ وَ الْخَبِيرُ وَ الْعَبِيرُ فِي الْمَصَادِرِ الْمِصْرَانِيَّةِ وَالْفَرَعُونِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ وَجَدَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ أَوْ الْيَهُودُ بَعْدُ، وَكَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى الْبَدْوِ الْمُتَنَقِّلِينَ فِي الصَّحْرَاءِ، وَيَقَابِلُهَا عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ الْقُدَمَاءِ وَالْبَابِلِيِّينَ Khebra وَ Habiru أَيْ الْحَرَامِيَّةُ، وَتُعْنِي أَصْحَابَ الْأَرْضِ اللَّصُوصِ أَوْ الْمُرْتَزِقَةِ عِنْدَ الْكَنْعَانِيِّينَ، وَيَرَى غَيْرُهُ أَنَّ الْعِبْرَانِيِّينَ لَمْ يَكُنْ خَاصًّا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ بِعُبُورِ نَهْرِ مُعَيَّنٍ كَالْفُرَاتِ أَوْ الْأُرْدُنِّ، بَلْ كَانَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ فِئَةٍ مِنَ النَّاسِ تَعَبَّرَ أَيْ نَهَرَ. وَيُؤَكِّدُ هَذَا ابْنُ مَيْمُونِ الْفَرُطِيُّ الْيَهُودِيَّ (٥٣٠ - ٦٠٢ هـ) بِقَوْلِهِ إِنَّهُ بِمَعْنَى الْعُبُورِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ انْتِقَالَ جِسْمٍ فِي مَكَانٍ.

انظر: زياد عليان الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر ص ٢٨ - ٣٠؛ موسى بن ميمون دلالة الحائرين ٥٠/١.

٤ - انظر: تاريخ الطَّبْرِي ٣١٠/١؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٧٤/٤؛ ابن منظور لسان العرب [عبر] ٥٢٩/٤.

٥ - وَهُوَ: عَابِرُ بْنُ شَالِحٍ (شَالِح) بْنُ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ انظر: التَّوْرَةُ، سَفَرُ التَّكْوِينِ ٢١/١٠ - ١١/١٧؛

تاريخ الطَّبْرِي ٢٣٣/١، ٣١٠ - ٣١١؛ أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ١٣/١؛ العسقلاني فتح الباري ٥٣٧/٦.

التَّوْرَانِيَّةُ^(١). وَلَمْ أَجِدْ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَا أَعْرِفُ عَلَى مَاذَا اعْتَمَدَ فِي قَوْلِهِ، وَأَرَاهُ رَأْيًا غَرِيبًا.

وَأَسْتَبْعِدُ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْعِبْرَانِيِّينَ مَأْخُودٌ مِنْ عُبُورِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ نَهْرَ الْأُرْدُنِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَسْمِيَتُهُمْ جَاءَتْ فِي التَّوْرَةِ^(٢) لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشُّعُوبِ الْأُخْرَى؛ فَالتَّوْرَةُ الْمُنْزَلَةُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا التَّسْمِيَةُ وَهِيَ سَابِقَةٌ عَلَى عُبُورِهِمُ الْأُرْدُنَّ. وَأَرَى الْقَوْلَ بِأَنَّ الْعِبْرَانِيِّينَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ "عَبْر" بِمَعْنَى الطَّرْفِ الْآخِرِ قَدْ يَكُونُ قَوْلًا صَائِبًا لِكثَرَةِ مَنْ قَالَ بِهِ وَلِكثَرَةِ عُبُورِهِمْ وَلِعَدَمِ تَعَارُضِهِ مَعَ التَّأْرِيخِ. أَمَّا رِبْطُ الْمُصْطَلَحِ بِاسْمِ "عَابَر" الْجَدِّ الْأَعْلَى وَالتَّأْرِيخِي لَهُ، فَأَرَاهُ رَأْيًا ضَعِيفًا لَمْ تَرْكُزْ عَلَيْهِ الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ، وَلَوْ كَانَ هُوَ السَّبَبُ لَرَأَيْنَا فِي تِلْكَ الْكُتُبِ تَوْضِيحًا أَكْثَرَ أَوْ تَرْكِيزًا عَلَيْهِ.

٥- رَبِّي أَوْ رَبَّائِي: يُنسَبُ الرَّبُّ وَالرَّبَّائِي^(٣) إِلَى "رَب" وَتَعْنِي (٢٦) فِي الْعِبْرِيَّةِ الْحَاخَامُ أَوِ الْمُعَلِّمُ أَوِ السَّيِّدُ. وَالرَّبِّيُّونَ أَوْ الرَّبَّائِيُّونَ هُمْ جُمْهُورُ الْيَهُودِ الْمَعْرُوفُونَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَتَعْنِي كَلِمَةُ رَبَّانٍ (٢٦) بِالْعِبْرِيَّةِ الْإِمَامَ أَوِ الْفَقِيهَ وَهُوَ الْحَبْرُ عِنْدَهُمْ^(٤). وَقَدْ عُرِّبَتِ الْكَلِمَةُ إِلَى رَبَّائِي وَسُمُّوا رَبَّانِيِّينَ إِشَارَةً إِلَى اتِّبَاعِهِمْ تَفَاسِيرَ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَفُقَهَائِهِمْ فِي التَّلْمُودِ وَالْمَشْنَأِ^(٥) الَّتِي يَنْقُلُونَهَا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَقْبِلُونَهَا بِذَلِكَ حَتَّى صَارَ هَذَا الْاسْمُ سِمَةً عَامَّةً لَهُمْ^(٦).

٦- يَهُودِي: وَالْيَهُودُ أُمَّةٌ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكُتِبَتْ لَهُمُ التَّوْرَةُ أَوَّلُ كِتَابِ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. وَاخْتَلَفَ الْبَاحِثُونَ حَوْلَ أَصْلِ كَلِمَةِ الْعِبْرَانِيِّينَ اخْتَلَفُوا كَذَلِكَ فِي تَحْدِيدِ أَصْلِ تَسْمِيَتِهِمْ بِالْيَهُودِ. فَقَالُوا: جَاءَتْ بَعْدَ عِبَادَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلْعَجَلِ وَقَوْلِهِمْ (إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ)^(٧) أَيُّ ثُبْنًا، (وَالَّذِينَ هَادُوا)^(٨) أَيُّ صَارُوا

١ - انظر: عرفان عبد الحميد فتاح اليهودية؛ عرض تاريخي ص ٢١ .

٢ - التَّوْرَةُ، سفر التكوين ٣٢/٤٣ : فَقَدُّوا لَهُ وَحْدَهُ، وَلَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَلِلْمِصْرِيِّينَ الْأَكْلِينَ عِنْدَهُ وَحْدَهُمْ، لِأَنَّ الْمِصْرِيِّينَ لَا يَفْدِرُونَ أَنْ يَأْكُلُوا طَعَامًا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ لِأَنَّهُ رَجَسٌ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ. وَفِي سفر التثنية ١٥/١٢ إِذَا بَيْعَ لَكَ أَخُوكَ الْعِبْرَانِيَّ أَوْ أَخُوكَ الْعِبْرَانِيَّةُ وَحَدَمَكَ سِتُّ سِنِينَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ تُطْلَفُهُ حُرًّا مِنْ عِنْدِكَ .

٣ - الرَّبِّيُّ وَالرَّبَّائِيُّ: الْحَبْرُ، وَرَبُّ الْعِلْمِ، وَقِيلَ: الرَّبَّائِيُّ الَّذِي يَعْبُدُ الرَّبَّ بَزِيدَتِ الْأَلْفِ وَالْثَوْنِ لِلْمَبَالِغَةِ فِي النِّسْبِ. وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ أَنَّ أَبَا عُبَيْدٍ يَحْسِبُ الْكَلِمَةَ لَيْسَتْ بِعَرَبِيَّةٍ، إِنَّمَا هِيَ عِبْرَانِيَّةٌ أَوْ سُريانية؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ الرَّبَّانِيَّةَ.

ابن مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [رَب] ٤٠٣/١ - ٤٠٤ .

٤ - رב: حَاخَامٌ، مُعَلِّمٌ، سَيِّدٌ. רבא/רבא: كَلِمَةُ آرامية تعني عظيم أو هام. רבין سَيِّدٌ أَوْ حَاكِمٌ أَوْ رَبٌّ. רבני: حَاخَامٌ، مُعَلِّمٌ، إِمَامٌ. רבנאות: حَاخَامِيَّةٌ، سَيَادَةٌ. ي. قَوْجَمَان قَامُوسُهُ ص ٨٥٤ - ٨٥٦ .

٥ - التَّلْمُودُ: اسْمٌ عَامٌّ لِلْمَشْنَأِ وَالْجَمَارِ. وَالْمَشْنَأُ هِيَ الشَّرِيعَةُ الشَّفَوِيَّةُ، وَاخْتَلَفَ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ فِي أَصْلِهَا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ عَزَاَهَا إِلَى عِزْرَا وَمِنْهُمْ إِلَى سُلَيْمَانَ، وَمِنْهُمْ إِلَى مُوسَى، وَتَحْتَوِي عَلَى أَحْكَامٍ دِينِيَّةٍ وَقَضَائِيَّةٍ تُفَسِّرُ أَحْكَامَ شَرِيعَةِ التَّوْرَةِ. وَيُطْلَقُ التَّلْمُودُ بِنَوْعٍ خَاصٍّ عَلَى الْجَمَارِ وَهِيَ شُرُوحٌ وَخَوَاشِي تُبَسِّطُ قَوَاعِدَ الْمَشْنَأِ وَمَرَاسِمَ تَطْبِيقِهَا. انظر: الْمُفْرِيزِي الْمَوَاعِظُ وَالْأَعْتَابُ ٩٥١/٤ - ٩٥٢؛

الْمُؤَسَّسَةُ الْفَلَسْطِينِيَّةُ ٥٧٢/١ - ٥٧٣؛ وَلِيبُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ١١/١٤ - ١٦ .

٦ - انظر: حَسَنُ ظَاظَا الْفِكْرُ الدِّينِي الْيَهُودِي ص ٢٠١؛ فَائِزَةُ حَاجَزِي أَهْلُ النُّمَّةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ص ١١٨ .

٧ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةٌ ١٥٦ .

٨ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةٌ ٦٢ .

يَهُودًا، فَسُمُوا بِالْيَهُودِ أَيِ التَّائِبِينَ^(١)، وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ أَصْلَ تَسْمِيَةِ الْيَهُودِ، تَرْجِعُ إِلَى يَهُودَا وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِ يَعْقُوبَ، فَقَلَّبَتِ الْعَرَبُ الدَّالَ دَالًا^(٢) كَعَادَتِهِمْ فِي التَّلَاعُبِ بِالْأَسْمَاءِ^(٣). وَقِيلَ إِنَّهُمْ سُمُوا بِالْيَهُودِ لِإِطْلَاقِهِمْ اسْمَ يَاهُوَه Yhwa عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسُمُوا بِالْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ أَتْبَاعُ الرَّبِّ يَاهُوَه، إِلَهَ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَبَتِيهِ، ثُمَّ عُرِفَ بِهَذَا الْاسْمِ أَحَدُ الْأَسْبَاطِ الْإِثْنِي عَشَرَ الَّتِي تَكُونُ مِنْهَا شَعْبُ إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ أَحْفَادُ يَهُودَا أَحَدِ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ مِنْ زَوْجِهِ لَيْئَةَ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ سُمُوا يَهُودًا نِسْبَةً إِلَى مُلْكِهِمُ الَّذِي أَرَدَهُ عَلَى يَدِ دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهَمَا يَنْتَمِيَانِ إِلَى قَبِيلَةِ يَهُودَا. وَيَرَى غَيْرُهُمْ بِأَنَّهُمْ سُمُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كُلَّمَا جَاءَهُمْ نَبِيٌّ هَادُوا إِلَى مُلْكِهِمْ وَدَلُّوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ، فَيَكُونُ لَفْظُ الْيَهُودِ خَاصًّا بِالْمُنْحَرِفِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ^(٤). وَارَى كُلَّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مَعْقُولَةٌ، وَإِنْ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَى قَوْلِ الْقُرْطُبِيِّ بِنِسْبَتِهِمْ إِلَى يَهُودَا لِكَثْرَةِ مَنْ قَالُوا بِهِدَا حَتَّى مِنَ الْيَهُودِ^(٥).

وَلَاَنَّ كَلِمَاتِ "الدِّمِّيِّ وَالْيَهُودِيِّ وَالْعِبْرِيِّ وَالْإِسْرَائِيلِيِّ" تُشَكِّلُ دَائِرَةً مُهِمَّةً لِبَدْءِ الْبَحْثِ عَنْ أَثَرِ الْيَهُودِ، بَحْثٌ عَنْ مَسَاحَةِ هَذِهِ الْمُسَمَّيَاتِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي تَتَخَدُّ عَنِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَاعْتَمَدْتُ ثَمَانِيَةَ مِنْ كُتُبِ الثَّرَاثِ الْأَدَبِيَّةِ مِنْهَا أَوْ التَّارِيخِيَّةِ وَمَرَجَعًا تَارِيخِيًّا مُفَصَّلًا لِتَارِيخِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ. وَجَعَلْتُ الْكُتُبَ التَّسْعَةَ مَجَالًا لِإِحْصَائِيَّةٍ عَنِ الْمَرَّاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَمُسْتَقَاتُهَا بِهَا، وَالْكَتُبُ التَّسْعَةُ هِيَ "الدَّخِيرَةُ" وَ"التَّكْمِلَةُ لِكِتَابِ الصَّلَةِ" وَ"الحَلَّةُ السَّيْرَاءِ" وَ"المُعْجَبُ" وَ"المَغْرِبُ" وَ"مُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونٍ" وَ"الرَّوْضُ الْمِعْطَارُ" وَ"نَفْحُ الطَّيِّبِ" وَ"الاسْتِقْصَا" وَاخْتَرْتُ الْخَمْسَةَ الْأُولَى وَ"نَفْحُ الطَّيِّبِ" لِشَهْرَتِهَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَعْلَامِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَتَمَيَّزَتْ الثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَّةُ بِوَفَرَةِ الْمَعْلُومَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْثَّقَافِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالْجُغْرَافِيَّةِ عَنِ الْأَنْدَلُسِ.

وَلَاخِظْتُ قَلَّةَ مَجِيءِ "الدِّمِّيِّ" وَمُسْتَقَاتِهِ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ، فَلَمْ تَرُدْ فِي "المَغْرِبِ" وَ"المُعْجَبِ"، بَيْنَمَا وَرَدَتْ فِي "نَفْحِ الطَّيِّبِ" سِتَّ مَرَّاتٍ، وَكَانَ اسْتِخْدَامُهَا قَلِيلًا فِي الْبَقِيَّةِ، بِاسْتِثْنَاءِ "الاسْتِقْصَا" وَهُوَ أَحَدُهَا الَّذِي جَاءَ فِيهِ سِتَّةُ عَشَرَ مَوْقِعًا لِاسْتِقْصَافِ الْكَلِمَةِ. وَأَحْيَانًا قَصِدَ الْيَهُودُ "بَاهِلِ الدِّمَّةِ"؛ لِذَا قَالَ مُوَنْتَغَمَرِي وَآتَ إِنَّ بَعْضَ الدَّارِسِينَ يَزْعُمُ أَنَّ "دِمِّيِّينَ" لَمْ تُطْلَقْ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَّا عَلَى الْيَهُودِ^(٦) دُونَ أَنْ يُسَمَّى هَؤُلَاءِ الزَّاعِمِينَ.

١ - انظر: القُرْطُبِيُّ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٤٣٢/١؛ الشَّهْرَسْتَانِيُّ الْمِلَلُ وَالنَّحَلُ ٢١٠/١؛ الْقُلَشْدِيدِي صُبْحُ الْأَغْشَى ٢٥٦/١٣-٢٥٧.

٢ - انظر: القُرْطُبِيُّ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٤٣٢/١.

٣ - انظر: الْمَقْرِيزِيُّ الْمَوَاعِظُ وَالْأَعْيَارُ ٩٤٩/٤.

٤ - انظر: ابن حزم جُمُهورية أَنْسَابِ الْعَرَبِ ٥٠٤؛ زِيَادُ عَلَيَّانِ الْخُطَابُ الْيَهُودِيَّ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ ص ٢٦؛ عِرْفَانُ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِتْحُ الْيَهُودِيَّةِ؛ عَرْضُ تَارِيخِي ص ٢٢؛ رَجَا عُرَابِي سِفَرُ التَّارِيخِ الْيَهُودِيَّ ص ٧٨.

٥ - إِسْرَائِيلُ شَاخَاكُ مَثَلًا يَرَى أَنَّ الْمَعْنَى الشَّائِعَ لِمُصْطَلَحِ يَهُودِيٍّ دِينِيٍّ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ؛ فَالتَّعَالِيمُ الدِّينِيَّةُ تَحْكُمُتُ بِتَفَاصِيلِ السُّلُوكِ وَفِي جَوَانِبِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ لِلْيَهُودِ، فَمَا كَانَ بِمَقْدُورِ الْيَهُودِيَّ فِي فِتْرَةِ الْبَحْثِ مَثَلًا- أَنْ يَشْرَبَ حَتَّى كَأْسَ مَاءٍ فِي بَيْتٍ غَيْرِ يَهُودِيٍّ، كَمَا كَانَتْ التَّعَالِيمُ السُّلُوكِيَّةُ نَجَاهَ غَيْرِ الْيَهُودِ مُطَبَّقَةً بِحَدَائِيرِهَا مِنَ الْيَمَنِ حَتَّى نِيُيُورْكَ.

انظر: إِسْرَائِيلُ شَاخَاكُ الدِّيَانَةُ الْيَهُودِيَّةُ وَمَوْقِفُهَا مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ ص ١٥.

٦ - انظر: مُوَنْتَغَمَرِي وَآتَ فِي تَارِيخِ إِسْبَانِيَا الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٣٤.

== تمهيد ==

وَجَاءَتْ كَلِمَةُ "الإِسْرَائِيلِيَّ" بِقَلَّةٍ؛ فَلَمْ يَنْعَثْ مَثَلًا ابْنُ بَسَّامٍ أَيًّا مِنْ أَعْلَامِهِ بِهَا إِلَّا مَرَّةً^(١). وَجَاءَتْ فِي "النَّفْحِ" تِسْعَ مَرَّاتٍ فَقَطْ عَلَى ضَخَامَةِ مُجَلَّدَاتِهِ وَكَثْرَةِ الْأَعْلَامِ الْمُثَبَّتَةِ فِيهِ^(٢). وَفِي "المُغْرِبِ" جَاءَتْ مَرَّةً^(٣). أَمَّا "العِبْرِيُّ" أَوْ "العِبْرَانِيَّ" فَتَدَرَّ مَجْبُوءًا^(٤).

وَلَخَّصْتُ الْبَحْثَ هَذَا فِي جَدَاوِلٍ مُرَفِّقَةٍ فِي الْمَلْحَقِ، أَمَّا النَّتِيجَةُ الْعَامَّةُ لِاسْتِخْدَامِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَمُسْتَقَاتِهَا فِي الْكُتُبِ التَّسْعَةِ فَقَدْ اخْتَصَرْتُهَا فِي الْجَدْوَلِ التَّالِيِ:

النَّسْبَةُ المِئْوِيَّةُ لِتَكَرُّرِهَا	تَكَرُّرُهَا فِي الْكَتُبِ التَّسْعَةِ	الْكَلِمَةُ
16%	73	إِسْرَائِيلِيَّ وَمُسْتَقَاتِهَا
1%	6	عِبْرِيَّ وَمُسْتَقَاتِهَا
83%	384	يَهُودِيَّ وَمُسْتَقَاتِهَا
100%	463	المَجْمُوعُ

جدول يُبَيِّنُ النَّسْبَةَ المِئْوِيَّةَ لِتَكَرُّرِ الإِسْرَائِيلِيَّ وَالْعِبْرِيَّ وَالْيَهُودِيَّ وَمُسْتَقَاتِهَا فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّرَاثِ

تَوْصَلَ الْبَحْثُ إِلَى أَنَّ الْمُسَمَّى الَّذِي شَاعَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ هُوَ "اليَهُودِيَّ" أَكْثَرَ مِنْ "العِبْرِيَّ" أَوْ "الإِسْرَائِيلِيَّ".

ثَانِيًا :- قَلَّةُ ظُهُورِ الْيَهُودِ فِي مَصَادِرِ الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ .

أَوَّلُ مَا يُلَاحِظُ الدَّارِسُ لِأَثَرِ الْيَهُودِ عَلَى أَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ قَلَّةُ وَجُودِهِمْ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ، وَمِنْ هُنَا كَانَتْ قَلَّةُ النُّصُوصِ الشَّعْرِيَّةِ وَالنَّثْرِيَّةِ الَّتِي يَظْهَرُ فِيهَا أَثَرُ الْيَهُودِ مِنْ أَكْبَرِ الْعَقَبَاتِ فِي طَرِيقِ الْبَحْثِ، وَقَدْ يَكُونُ لِقَائِهَا عِدَّةُ أَسْبَابٍ؛ مِنْهَا مَا يُمْكِنُ رُدُّهُ إِلَى ظُرُوفٍ عَامَّةٍ مَرَّ بِهَا الْأَدَبُ الْعَرَبِيُّ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌ بِالْيَهُودِ فَقَدْ شَكَلَ ضَيَاعُ كَثِيرٍ مِنْ أَمَّهَاتِ الْمَصَادِرِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ عَقَبَةً أَمَامَ مُعْظَمِ الْبَاحِثِينَ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، أَمَّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْيَهُودِ فَكَانَ الْحَدِيثُ عَنْهُمْ فِي تِلْكَ الْمَصَادِرِ أَعَزَّ وَأَشَقَّ، وَقَدْ تَكُونُ الْمَصَادِرُ أَعْقَلَتْ الْحَدِيثَ عَنْهُمْ وَتَجَاهَلَتْهُمْ عَمْدًا؛ فِي الْوَقْتِ الَّذِي رَكَّزَتْ عِنَايَتَهَا عَلَى كُلِّ مَا كَانَ عَرَبِيًّا أَوْ لَهُ عِلَاقَةٌ وَثِيقَةٌ بِالْعَرَبِ أَوَّلًا، وَهَذَا مَا لَا يُمْكِنُ الْجَزْمُ بِهِ أَوْ التَّنَبُّهُ مِنْ صِحَّتِهِ؛ فَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ الْجَزْمُ بِمَا يَحْوِيهِ ضَمِيرُ أَصْحَابِ الْمَصَادِرِ التَّرَاثِيَّةِ حِينَ سَطَرُوا تَارِيخَهُمْ، أَوْ حِينَ اخْتَارُوا مَا يَرِيدُونَ تَدْوِينَهُ مِنْ أَلْوَانِ الْأَدَبِ دَاخِلَ كُتُبِهِمْ.

١ - انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ٤٤٠م/١٣٦، فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْمُعَلِّيِّ دَيَّ "الإِسْرَائِيلِيَّ" .

٢ - انْظُرْ: الْمُقَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣/٧٠، ٥/٦٩، ٧١، ١٠/٢٨٨. كَانَتْ الْمَرَّاتُ التِّسْعُ صِفَةً لِعَلَمَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ سَبَّحَ مَرَّاتٍ صِفَةً لِلشَّاعِرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيَّ (ت: ٦٤٩هـ). وَمَرَّتَيْنِ تَالِيَةً لِاسْمِ الشَّاعِرِ نَسِيمِ الإِسْرَائِيلِيِّ .

٣ - انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٢/٤٤١، فِي نَهَايَةِ نَسَبِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسَنَائِي .

٤ - جَاءَتْ الْعِبْرِيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي رَجُلٍ لَابِنِ قُرْمَانَ (ت: ٥٠٨هـ) . انْظُرْ: ابْنُ قُرْمَانَ دِيوَانُهُ ص ٩٢ /رقم ١٢ .

لكنني أقول - وإن كان من الصعب الجزم بذلك - إن نظرة استخفاف وتجاهل لليهود تطغى على معظم المصادر. ولمحت هذا التجاهل في العبارات التي كانت تذكر تالية لأسمائهم، مثلاً حين ينقل ابن خميس المالقي (ت: ٦٣٩هـ) نظماً^(١) يوجهه أبو الحسين بن الفخار (ت: ٥٨٦هـ)^(٢) للوزير اليهودي يوسف بن حسداي (ت: ٥٣٣هـ)^(٣) كان يتبع اسم الأعلام بعبارة ترحم كقوله: "رحمة الله عليه"، بينما بعد ابن حسداي اليهودي كان يقول: "لعمرك الله"^(٤).

والأمر نفسه ظهر حين ذكر ابن بسام (ت: ٥٤٢هـ) ابن حسداي فقال: "وكان له في الأدب باع، وبما حمل من أعباء تلك الدولة [دولة ابن هود] استقلال واضطلاع، وقد رأيت له شعراً لم أروه فأجتلبه، ولا استجدته فأبحث عنه وأطلبه"^(٥)، فيؤكد أن له شاعرية، لكن هناك أسباب أراها في تعمّد ترك شعره. وفي كلام ابن بسام عن أبي الفضل بن حسداي (ت: بعد: ٤٥٨هـ)^(٦) توضيح، فقال فيه: "إن جارية ذهبت بلبه، وغلبته على قلبه، فجرت جنونه، وخلع إليها دينه، وعلم بذلك صاحبها فزفها إليه، ووضع زمامها بين يديه، فتجافى عن موضعه من وصلها.. أنفة من أن يظن الناس أن إسلامه كان من أجلها، فحسن ذكره، وخفي على كثير من الناس أمره"^(٧).

وإن حسن ذكر اليهودي بين الناس في عصره فكيف عرف سوء سريره ابن بسام المتأخر عنه؟! مع أن هذا لم يكن حائلاً أمام إيراد كثير مما له، فاختر ابن بسام كثيراً من مراسلاته وإخوانياته وأشعاره في دخيرته، ولم يهملها كما فعل أشعار أبيه. وباعتقادي إن السلطة والقوة التي تمتع بها ابنه في دولة ابن هود ساعدت في نشر شاعريته وتدوينها أكثر، فبالإضافة إلى أن الابن بلغ شأواً بعيداً في الوزارة والحكم ومنازمة الملوك والوزراء فقد أسلم، بينما ظل والدّه يدين باليهودية، فروى الناس شعر الإسلاميين منهم، ونشروه، وأهملوا شعر الوالد لكفره.

١ - انظر: ابن خميس المالقي أديب مالفقة ص ٣٧٩ - ٣٨١ .

٢ - هو: شاعر بن محمد بن الحسن بن محمد بن كامل الحضرمي، يكنى أبا الحسين، ويعرف بابن الفخار، كان حسن العشرة ممتع الحديث، وثقفي بإشبيلية بعد أن حمل مكبلاً من مالفقة عند كائنة الجزيري، فأصابه همّ كان سبب موته سنة ٥٨٦هـ .

انظر: ابن خميس المالقي أديب مالفقة ص ٣٧٩ - ٣٨١؛ ابن عبد الملك المراكشي الذيل والتكملة السفر

الرابع ص ١٢٦؛ ابن الرزير صفة الصلة ٤/٢٢٤؛ محمد الإفراني المسلك السهل في شرح توضيح ابن سهل ص ٩٣ - ٩٥ .

٣ - هو: أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي الإسرائيلي، سترد ترجمة له في متن البحث: ص ٢١٦ .

٤ - انظر: ابن خميس المالقي أديب مالفقة ص ٢٨١ .

٥ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٤٥٨/١ .

٦ - هو: أبو الفضل ابن حسداي، سترد ترجمة له في متن البحث: ص ٢١٥ - ٢٢٦ .

٧ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٤٥٨/١ .

ولاحظت مثل هذه الحال حين ذكر ابن بسام قصيدة مدح ليوسف ابن نغريلة (ت. ٤٥٩هـ) ^(١) نَظَمَهَا
ابن خيرة القرطبي المعروف بالمنقل (٢)، فكان تعليق ابن بسام بعد أن أورد أبياتاً عديدة من القصيدة:
"أن القصيدة اندرج له من الغلو فيه، ما لا أنبئ به ولا أرويه، وأبعد الله المنقل، فيما نظم فيه
وفصل، وقبَّح ما أمل" ^(٣). فيعترف ابن بسام أنه يحفظ ويعرف شعرًا لهذا الشاعر، لكنه تخرج
عن إثباته لما به من غلو، إلا أنه حين كان الغلو في حق ممدوحٍ الشعراء من العرب والمسلمين لم يكن هذا
مانعاً لإثبات أشعارهم عنده وعند غيره. ثم ختم تعليقه بدعاء على المنقل وعلى ما نظم وفصل. وبهذا
أرى أن المنقل نظم وفصل وأمل في مدح اليهودي ابن نغريلة، ووصلت أشعاره إلى ابن بسام، لكنه لم
يثبته عامداً لأن فيه مدحاً لليهود وليس لأن فيه غلواً، وأنوقع مثل هذه النظرة كانت عند غيره من
جامعي شعر يهود الأندلس، وإن لم يصرحوا بذلك.

وبدا هذا الأمر في بعض مصادر التراث الأندلسي، فكان الحديث عن شعر أو نثر لليهود يُشار
إشارة دون تفصيل، كما حصل حينما أشار ابن خلدون (ت. ٨٠٤هـ) مثلاً في مقدمته إلى بعض الملاحم التي
نسبت إلى أهل المغرب العربي، والأندلس جزء من المغرب عند ابن خلدون وغيره، فقال: إنها من الشعر
الزجلي منسوبة إلى بعض اليهود، ذكر فيها أحكام القرائات ^(٤) لعصره وذكر فيها ميثقه قتيلاً بفاس ^(٥)
، وأتبع الخبر بقوله: "وكان كذلك فيما زعموه" ^(٦). ثم أتى ابن خلدون بخمسة أبيات فقط من هذه
الملحمة؛ ثلاثة ابتدئت بها، واثنان كانا الخاتمة، وذكر أن أبيات الملحمة تبلغ خمسمائة بيت ولم يصل إلينا
أي تفصيل آخر عنها لا في المقدمة، ولا في غيرها عند ابن خلدون، ولا عند غيره. فإن أهملت ملحمة
اليهود بهذه الأهمية وهذا العدد الضخم من الأبيات، فكيف الحال بالقصائد العادية أو المقطعات الشعرية
أو حتى النثرية؟!

- ١ - هو الوزير: يوسف بن إسماعيل ابن نغريلة اليهودي، سترد ترجمته له في متن البحث: ص ٢٨٦ - ٢٨٨.
- ٢ - هو الشاعر: أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة القرطبي المعروف بالمنقل، من أعلام شعراء البصرة في مدة ملوك الطوائف.
- انظر: الحميدي جنة المفتيس ٢/٦٢٠؛ ابن بسام الخيرة ق ١، ٢/٧٥٤ - ٧٦٥؛ الأصفهاني خريدة القصر ق ٤، ج ١/١١؛
الضبي بغية المنتميس ٢/٦٩٤؛ ابن سعييد المغرب ٢/٩٩؛ رايات المبرزين ص ١٥٥ - ١٥٦؛ المقرئ فتح الطيب ٤/٣٤٦.
- ٣ - انظر القصيدة والتعليق عليها في: ابن بسام الخيرة ق ١، ٢/٧٦٣ - ٧٦٤.
- ٤ - أحكام القرائات: يقصد بها كلام المنجمين والعارفين وتنبؤاتهم في الملك والدول وفي المواليد والمسائل وغيرها من الأمور العامة اعتماداً
على شكل الفلك عند حدوثها. ومن أشهر الكتب التي وضعت في القرائات الكائنة في الملة الإسلامية كتاب للكندي بن إسحاق مجمع الرشيد
والمأمون سماء الشيعة الجفر، وأكثر كلماتهم في شأنه العازر وأمثال. انظر: ابن خلدون المقدمة ص ٣٢٣ - ٣٤١.
- ٥ - فاس: مدينة كبيرة مشهورة في المغرب على البحر، كانت أشهر مدن المغرب وأجلها قبل مراكش.
- انظر: الإدريسي تزهة المشتاق ١/٢٤٦؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٤/٢٣٠ - ٢٣١؛ الحميري الروض المغطار ص ٤٣٤ - ٤٣٥.
- ٦ - ابن خلدون المقدمة ص ٣٣٩.

وَلَاخِظَ كَثِيرٌ مِنَ الدَّارِسِينَ هَذَا التَّجَاهُ؛ فَأَبْرَاهِيمُ بوشيش يَرَى أَنَّهُ لَمْ يَحْظَ أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ إِلَّا بِمَعْلُومَاتٍ هَزِيلَةٍ، وَأَخْبَارٍ شَحِيحَةٍ وَمُبَعَّرَةٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْمَكَانَةِ الَّتِي اِحْتَلَوْهَا فِي تَارِيخِ الْمُجْتَمَعِ، وَدَوْرِهِمُ الْبَارِزُ فِيهِ؛ فَالْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبُ عَزَفُوا عَنِ التَّارِيخِ لَهُمْ، وَلَمْ يُشِيرُوا إِلَيْهِمْ فِي ثَنَائِهِمْ كُتُبُهُمْ سِوَى بِنَصْفِ الْكَلِمَاتِ، بَلْ لَمْ يَجِدُوا عَضَاضَةً فِي التَّكْتُمِ عَلَى أَوْضَاعِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِسَادِيَّةِ وَالْدِينِيَّةِ بِاسْتِنَاءٍ مَا وَرَدَ فِي أَخْبَارِ الْحَمَلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، أَوْ مَا يَمُتُّ بِصِلَةٍ لِلْأَمْرَاءِ، وَأَخْيَانًا خَاتَمَهُمْ لِسَانُهُمْ، فَاسْتَنْزَلُوا عَلَيْهِمُ الشَّتْمَ وَاللَعْنَاتِ ^(١). وَالطَّاهِرُ مَكِّي يَقُولُ إِنَّ: "الْقَلِيلَ مِنْ شِعْرِ الْمُفْتَلِ الَّذِي أُوْرَدَهُ ابْنُ بَسَّامٍ فِي الذَّخِيرَةِ فِي غَيْرِ مَدْحِ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ" ^(٢) وَابْنُهُ يَوْمِي إِلَى شَاعِرِيَّةٍ جَيِّدَةٍ مُقَدَّرَةٍ، مُتَقَنَّةٍ، ذَاتِ جَوَانِبٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَكِنَّ الْمُؤَرِّخِينَ عَقَبًا لَهُ وَاسْتِصْغَارًا لِسَانِهِ أَهْمَلُوا الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ إِلَّا عَرَضًا، وَاکْتَفَوْا مِنْ شِعْرِهِ بِالْقَلِيلِ" ^(٣). وَلَاخِظَ مَسْعُودُ كَوَاتِي أَنَّهُ اسْتَمَرَ السُّكُوتُ عَنِ الْيَهُودِ عِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ؛ فَالْمَالِكِيُّ (ت: ٤٥٣هـ) تَحَدَّثَ عَنِ الْبَرْبَرِ وَالنَّصَارَى وَالرُّومِ دُونَ تَلْمِيحٍ لِلْيَهُودِ فِي الْقِسْمِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْفُتُوحَاتِ، وَيَسْلُكُ ابْنُ عِدَارِي (ت: ٦٦٧هـ) الْمَسْلَكَ نَفْسَهُ وَلَا يَذْكُرُ الْيَهُودَ مَعَ أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى الْأَفَارِقَةِ وَالرُّومِ وَالْبَرْبَرِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ مِنَ الرُّومِ ^(٤)، وَلَمْ يَتَحَدَّثْ ابْنُ خَلْدُونِ (ت: ٨٠٥هـ) كَذَلِكَ عَنِ الْيَهُودِ حِينَ مَا كَتَبَ عَنْ فُتُوحِ الْمَغْرِبِ، بَيْنَمَا أَشَارَ إِلَى الرُّومِ وَالْأَفَارِقَةِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْبَرْبَرِ الَّذِينَ خَصَّهُمْ بِجُزْءٍ لَا يُسْتَهَانُ بِهِ مِنْ تَارِيخِهِ، وَيَرَى كَوَاتِي أَنَّ الْمُؤَرِّخَ الْوَحِيدَ الَّذِي أَشَارَ إِلَى الْيَهُودِ أَتَى بِمَرْحَلَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ هُوَ الْفَيْرَوَانِيُّ (ت: ١١١١هـ) ^(٥) فِي بَدَايَةِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ ^(٦).

وَمِثْلُهُمْ يَرَى رِيْمُونْدُ شَايَنْدَلِينُ أَنَّ تَصَوُّرَنَا لِلْحَيَاةِ الْيَهُودِيَّةِ حَتَّى فِي الْقَرْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يُمَثِّلَانِ قِمَّةَ مَجْدِهَا لَيْسَ مُكْتَمِلًا، لِأَنَّ مَصَادِرَنَا عَلَى الْأَغْلَبِ أَدْبِيَّةٌ وَمُنْبَقَّةٌ عَنْ أَرْفَعِ مُسْتَوِيَّاتِ الْمُجْتَمَعِ الْيَهُودِيِّ. فَلَا نَمْلِكُ مَا يُشْبِهُ السَّجَلَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْكَثِيرَةَ وَسَجَلَاتِ مَحَاكِمِ التَّقْنِيشِ وَالصَّلَوَاتِ الْحَاخَامِيَّةِ أَوْ آيَةٍ وَثَائِقَ تَسْمَحُ بِاسْتِعَادَةِ صُورَةٍ أَكْمَلِ وَأَكْثَرَ حَيَوِيَّةً لِلْحَيَاةِ الْيَهُودِيَّةِ فِي إِسْبَانِيَا، وَيَكْمِلُ أَنَّهُ مِنَ الْمُضْطَلَّلِ أَنْ نَحْلُولَ اسْتِقْرَاءً صُورَةَ لِلْمُجْتَمَعِ بِكَامِلِهِ تَحْتَ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ مِمَّا نَعْرِفُهُ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الْأَفْرَادِ الْيَهُودِ مَهْمَا كَانَتْ أَهْمِيَّتُهُمْ وَمَكَانَتُهُمْ ^(٧).

١ - انظر: إبراهيم بوشيش مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، خلال عصر المرابطين ص ٦٥ .

٢ - يَفْصِدُ الْوَزِيرُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نَفْرِئَةَ، سِتْرَ تَرْجَمَةٍ لَهُ فِي مَثْنِ الْبَحْثِ : ص ٢٨٣ - ٢٨٥ .

٣ - الطَّاهِرُ مَكِّي دِرَاسَاتُ أَنْدَلُسِيَّةٍ؛ فِي الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالْفَلَسَفَةِ ص ٦٥ .

٤ - انظر: ابن عِدَارِي الْمَرَاكُشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٢٤/١، ٣٦-٣٧ .

٥ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الرَّعِينِيَّ ابْنُ أَبِي بِنَّارٍ الْمَعْرُوفُ بِالْفَيْرَوَانِيِّ صَاحِبُ كِتَابِ "الْمُنَسِّسِ فِي أَخْبَارِ إفْرِيقِيَّةٍ وَتُونُسَ" فَرِغَ مِنْهُ سَنَةَ ١٠٩٢هـ . انظر: الباباني إضاح المكنون ص ٢٢١ من موقع الوراق .

<http://www.alwaraq.net/index2.htm?i=3258&page=221>

٦ - انظر: مسعود كواتي اليهود في المغرب الإسلامي؛ مِنَ الْفَتْحِ إِلَى سُقُوطِ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ ص ٧٩ .

٧ - انظر: رِيْمُونْدُ شَايَنْدَلِينُ الْيَهُودُ فِي إِسْبَانِيَا الْمُسْلِمَةِ تَرْجَمَةٌ: مَرْيَمُ عَبْدِ الْبَاقِي، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجِيُوسِي ٣٠٣/١ .

الفصل الأول : اليهود: تاريخهم وأثرهم في الحياة الأندلسية

المبحث الأول: تاريخ اليهود ومشاركتهم في السياسة الأندلسية .

تفتقر مصادر التراث الأندلسي إلى معلومات دقيقة عن وجود اليهود في الأندلس قبل الفتح الإسلامي، إلا أن أول إشارة إلى العبرانيين [اليهود] فيما كتب عن تاريخهم تقول إنهم كانوا شعباً متجولاً في عصر الآباء عند اليهود أي منذ عام ٢٠٠٠ ق.م، وقد اشتهت حياتهم بالتنقل البدوي من بلد إلى آخر وبالبقاء على حواف المدن أو على طرق التجارة وفي هذه المرحلة، استوطن بعضهم أرض كنعان ومصر دون أن يضربوا جذوراً في أي منهما. وخرج العبرانيون من مصر أو هاجروا منها عام ١٦٤٥ ق.م ليبدأوا فترة أخرى من التجوال في سيناء انتهت بتغلغلهم في بلاد كنعان عام ١١٨٩ ق.م الذي أعقبته فترة من الاستقرار النسبي، وانتهت هذه المرحلة بالتهجير الآشوري ثم البابلي. وينتهي التهجير ليبدأوا في الانتشار في بقاع الأرض بوصفهم جماعات يهودية، ففضلت أعداد كبيرة من اليهود الاستقرار في بابل مكونة بذلك نواة أول جماعة يهودية تستقر خارج فلسطين بعد التهجير البابلي عام ٥٦٨ ق.م^(١).

وحين فرضت الإمبراطورية اليونانية هيمنتها على أجزاء كبيرة من البحر الأبيض والشرق الأدنى القديم ٣٣٢ ق.م بدأ انتشار اليهود في مصر والإسكندرية وبرقة وقبرص وآسيا الصغرى وأوروباً الغربية، وزاد انتشارهم حين هدم الهيكل عام ٧٠م، ثم شهد القرن الرابع الميلادي شيئاً من الاستقرار النسبي للجماعات اليهودية في الغرب النصراني، وحدثت هجرة لليهود من البلاد المتقدمة إلى البلاد المتخلفة؛ حيث كانت أوروباً من أكثر المناطق تخلفاً في العالم آنذاك، فانتقلت الكثافة السكانية اليهودية بين ٥٠٠ ق.م و ١٠٠٠ م من الشرق الأوسط^(٢) واستقرت جماعة منهم في شبه جزيرة أيبيريا أيام الإمبراطورية الرومانية^(٣). ويذكر ول ديورانت أنه وجدت جاليات يهودية في إسبانيا قبل يوليوس قيصر (ت ٤١ قبل الميلاد) ثم نمت تلك الجاليات^(٤).

ولا تتوافر إحصائية دقيقة عن أعداد اليهود قديماً في إسبانيا أو غيرهما من البلدان. فقدر بعض الباحثين عدد يهود العالم مع نهاية القرن الأول قبل هدم الهيكل ٨ ملايين: ما بين ٢.٣٥-٢.٥ مليون في فلسطين، و ٣.٢ في سورية وآسيا الصغرى وبابل أكثر من مليون في كل منها، وتوزع الباقي في أماكن مختلفة. وتمة تقدير تخميني آخر يرى أن عددهم لم يزد على ٥ ملايين: ٣ ملايين في سورية وفلسطين ومصر وآسيا الصغرى، ومليون في أماكن متفرقة من الإمبراطورية

١ - انظر: عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١٠٤/٢ .

٢ - انظر: نفسه ١٠٤-١٠٥ .

٣ - انظر: نفسه ١٢٢/٢ .

٤ - انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ٩/١٤ .

الرُّومَانِيَّةُ، وَمَلِيُونٌ فِي بَابِلَ^(١). وَيَرَى الْمَسِيرِيُّ أَنَّ هَذِهِ الْأَعْدَادَ مُبَالِغٌ فِيهَا؛ فَمُعْظَمُ الْمَرَاجِعِ بِرَأْيِهِ قَدَّرَتْ عَدَدَ الْيَهُودِ بَيْنَ مَلِيُونٍ وَمَلِيُونَيْنِ فِي الْعَالَمِ تَرَكَّزَ أَغْلَبُهُمْ (٨٥ - ٩٠%) فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مَعَ نِهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ، بَيْنَمَا عَدَدُ يَهُودِ أَوْرُوبَا لَمْ يَكُنْ يَزِيدُ عَلَى ١٠٠ - ٣٥٠ أَلْفًا مِنْ سُكَّانِ أَوْرُوبَا الْبَالِغِ ٥٣ مَلِيُونًا مُعْظَمُهُمْ كَانَ فِي إِسْبَانِيَا^(٢).

وَيَأْتِي ذِكْرُ لَقْدُومِ الْيَهُودِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَبِيدًا عَلَى يَدِ إِسْبَانَ بْنِ طَيْطُش^(٣) الَّذِي سُمِّيَتْ الْأَنْدَلُسُ إِسْبَانِيَا بِاسْمِهِ، حِينَ غَزَا إِبِلِيَاءَ وَهِيَ الْقُدُسُ فَغَنِمَهَا وَهَدَمَهَا، وَقُتِلَ مِنَ الْيَهُودِ مِئَةُ أَلْفٍ وَسَبَى مِائَةُ أَلْفٍ، وَقُرَّتْ فِي الْأَرْضِ مِئَةُ أَلْفٍ^(٤)، وَإِنْ جُمِعَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ مَعَ إحصائية المسيري السابقة التي تقول إنَّ عَدَدَهُمْ لَمْ يَكُنْ يَزِيدُ عَلَى ١٠٠ - ٣٥٠ أَلْفًا فِي أَوْرُوبَا كَانَ مُعْظَمُهُمْ مُرَكَّزًا فِي إِسْبَانِيَا، يَتَرَجَّحُ لَدَى الْبَحْثِ أَنَّ أَوَّلَ قُدُومٍ كَبِيرٍ لِلْيَهُودِ كَانَ بِعَصْرِ إِسْبَانَ، ثَلَاثَةُ هِجَرَاتٍ صَغِيرَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ مِنَ الشَّرْقِ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوْجَدُ فِي الْمَصَادِرِ مَا يُؤَكِّدُ إِنَّ كَانِ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَ إِسْبَانَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ أَوَّلَ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْيَهُودِ أَمْ أَنَّهُ كَانَتْ قَبْلَهُمْ أَعْدَادٌ مِنْهُمْ، فَقَدْ يَكُونُ قُدُومُ رَقِيقٍ مِنْهُمْ مَعَ إِسْبَانَ بَدَايَةَ لِتَشْكِيلِ جَالِيَّةٍ مِنْهُمْ سَتَأْخُذُ دَوْرًا مُهِمًّا وَمُمَيِّزًا حِينَ تَتَغَيَّرُ الْأَحْوَالُ وَتَتَبَدَّلُ السِّيَاسَاتُ فِيمَا بَعْدَ، وَقَدْ يَكُونُ عَدَدُ مِنْهُمْ سَبَقَ بِهِجَرَاتٍ غَيْرِ مُنَظَّمَةٍ.

وَفِي اخْتِلَافِ الْبَاحِثِينَ حَوْلَ أَصْلِ تَسْمِيَةِ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ إشاراتٌ قد تفيدُ في مَعْرِفَةِ مَا قِيلَ حَوْلَ أَوَّلِيَّاتِ الْوُجُودِ الْيَهُودِيَّةِ فِيهَا، فَالْيَهُودِيُّ الْمَغْرِبِيُّ ل. د. أَبُو L. D. Abbou زَعَمَ وَجُودَ عِلَاقَةٍ بَيْنَ أَسْمَاءِ الْمُدُنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ لِيُثْبِتَ وَجُودًا قَدِيمًا لِلْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ الْفِينِيقِيِّينَ كَانُوا يُطْلَقُونَ عَلَى الْمُدُنِ الَّتِي يُوسَّسُونَهَا أَسْمَاءَ عِبْرِيَّةً، وَذَكَرَ أَمثلةً؛ فَمَالَقَةُ^(٥) تَعْنِي: مَلِكَةً بِالْعِبْرِيَّةِ، وَقَرْطَاجَنَّةُ^(٦) اسْمُهَا Carta-Hadacha وَمَعْنَاهُ الْمَدِينَةُ الْحَدِيثَةُ، وَطَلَيْطَلَّةُ^(٧)"

١ - انظر: عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢١٣/٢ .

٢ - انظر: نفسه ٢١٤/٢ .

٣ - هو : إِسْبَانُ بْنُ طَيْطُشٍ مَلِكُ الرُّومِ الَّذِي بَنَى إِسْبِيلِيَّةَ .

٤ - أرى أَنَّ قِصَّةَ غَزْوِ إِسْبَانَ الْقُدُسَ أَحَاطَتْهَا الْأَسَاطِيرُ، بِخَاصَّةٍ مَا قِيلَ فِي نَقْلِ رُخَامِهَا وَالْمَانِدَةِ مِنْهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ .

انظر: البكري جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ص ١٠٩-١١٠؛ ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٢/٢؛ الحميري الروض المغطر ص ٤٤، ٥٩، ٣٩٣؛ المقرئ تفتح الطيب ١٣٥/١ - ١٣٦ .

٥ - مَالَقَةُ: بفتح اللام والقاف مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ أَعْمَالِ رِيَّةَ سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمريّة .

انظر: الإدريسي نزهة المشتاق ٥٦٥/٢؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٤٣/٥؛ الحميري الروض المغطر ص ٥١٧-٥١٨ .

٦ - قَرْطَاجَنَّةُ: بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ وَطَاءٌ مَهْمَلَةٌ وَجِيمٌ وَنُونٌ مُشَدَّدَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ، قَرِيبَةٌ مِنْ أَلَشِّ مِنْ أَعْمَالِ تَنْمِير. خربت لأن ماء البحر استولى على أكثرها، عملت على مثال قَرْطَاجَنَّةِ الَّتِي بِإِفْرِيقِيَّةِ، قِيلَ إِنَّ اسْمَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَرْطَا وَأُضِيفَ إِلَيْهَا جَنَّةٌ لِطَبِيبِهَا وَنَزْهَتِهَا وَحُسْنِهَا.

انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٦٠/٢ - ٦٢، ٣٢٣/٤؛ الحميري الروض المغطر ص ٤٦٠-٤٦٣ .

٧ - طَلَيْطَلَّةُ: نَطَقُوهَا بِضَمِّ الطَّاءِ عَيْنٍ وَفَتْحِ اللَّامِ عَيْنٍ، وَكَذَلِكَ بِضَمِّ الْأَوَّلَى وَفَتْحِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ تَقَعُ شَمَالَ قَرْطَبَةَ. عَلَى شَاطِئِ نَهْرِ تَاجَةٍ سُمِّيَ طَلَيْطَلَّةُ مَدِينَةُ الْأَمْلَاحِ؛ مَلَكَهَا الثَّانِي وَسَبْعُونَ لِسَانًا فِيمَا قِيلَ، وَدَخَلَهَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَذُو الْقَرْنَيْنِ وَالْخَضِرُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِيمَا زَعَمَ أَهْلُهَا، وَذَكَرَ قَوْمٌ أَنَّهَا مَدِينَةُ دَقْيَانُوسَ صَاحِبِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَكَانَتْ قَاعِدَةَ الْمَلِكِ حِينَ دَخَلَهَا طَارِقُ ابْنِ زِيَادٍ فَأَلْفَاها حَالِيَةً قَدْ فُرِّ أَهْلُهَا عَنْهَا. فَضَمَّ إِلَيْهَا الْيَهُودَ، وَحَلَّى بِهَا رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَذَلِكَ سَنَةَ ٩٣هـ. أَخَذَهَا الْإِفْرُجُ سَنَةَ ٤٧٧هـ، وَكَانَ الَّذِي سَلَمَهَا إِلَيْهِمْ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ الْمَلَقَبُ بِالْقَادِرِ بِاللَّهِ .

انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٣٩/٤ - ٤٠؛ الحميري الروض المغطر ص ٣٤، ٣٩٣ - ٣٩٥ .

مَعْنَاهُ ابْنَةُ. أَمَّا إِشْبِيلِيَّةُ^(١) فَيَقْتَرِبُ اسْمُهَا مِنْ Chiboleth العِبْرِيَّةِ الَّتِي تَعْنِي سُنْبُلَةً. ثُمَّ تَحَوَّلَ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ إِلَى Chibola, Sibola, Sebila لِصُبْحِ Sevilla^(٢). وَيَرَى حَمِيدِي أَنَّ هَذَا اسْتِنْتَاجَ لَطِيفٍ إِلَّا أَنَّ صَاحِبَهُ انْطَلَقَ مِنْ فَرْضِيَّاتٍ خَاطِئَةٍ، فَأَخَذَ اسْمَ إِشْبِيلِيَّةِ بَعْدَ أَنْ عَرَّبَ عَنْ Hispalis وَظَنَّهُ الْأَقْدَمَ، وَحَاوَلَ أَنْ يَجِدَ بَيِّنَةً وَبَيِّنَ كَلِمَةَ Chiboleth العِبْرِيَّةِ صِلَةً وَمِثْلُ هَذَا الْخَلْطِ يَنْسَحِبُ عَلَى بَقِيَّةِ الْأَمْثَلَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَتَأْتِي كَذَلِكَ فَرْضِيَّةُ سَلُوش Sloush الَّتِي يَقُولُ فِيهَا إِنَّ يَهُودَ خَيْبَرَ هَاجَرُوا مِنَ الْيَمَنِ سَنَةَ ٦ هـ إِلَى الْعِرَاقِ وَسُورِيَّةِ ثُمَّ إِفْرِيْقِيَّةِ، وَاتَّجَهَتْ مَجْمُوعَاتٌ مِنْهُمْ نَحْوَ الْمَغْرِبِ، وَمِنْهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْفَرْضِيَّةَ تَبْقَى فِي حَاجَةٍ لِذَلَالٍ تَدْعُمُهَا^(٣).

وَلِكُلِّ مَا سَبَقَ أَرَى أَنَّ تَحْدِيدَ طَبِيعَةِ وَجُودِ الْيَهُودِ فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ وَالْأَنْدَلُسِ أَمْرٌ يَصْغُبُ الْبَتَّ فِيهِ بِدَقَّةٍ، وَحِينَ بَدَأَتْ عَمَلِيَّةُ الْفَتْوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِإِفْرِيْقِيَّةِ سَنَةَ ٢١ هـ وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ مَجْمُوعَاتٍ قَلِيلَةً مِنَ الْيَهُودِ مُنْتَشِرِينَ فِي الْمَغْرِبِ. وَالْقَوْلُ بِوُجُودِ جَالِيَّاتٍ يَهُودِيَّةٍ ضَخْمَةٍ عِنْدَ فَتْحِ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ أَوْ الْأَنْدَلُسِ لَا يُوْجَدُ مَا يُؤَكِّدُهُ فِي الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ الْعَرَبِيَّةِ^(٤).

إِلَّا أَنَّ الرِّوَايَاتِ التَّارِيخِيَّةَ تُجْمَعُ عَلَى أَنَّ اسْتِيطْلَانَ الْيَهُودِ لِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ كَانَ قَبْلَ الْعَرَبِ، وَقَدَّرَ بَعْضُ الدَّارِسِينَ عَدَدَهُمْ فِي الْأَنْدَلُسِ عَشِيَّةَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ ١٠٠ ألفَ يَهُودِيٍّ^(٥)، فَلَمْ يَكُنِ الْعَدَدُ كَثِيرًا وَاسْتَوْطَنُوا الْمُدُنَ الرَّئِيسَةَ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ مِثْلَ قُرْطُبَةَ^(٦) وَإِشْبِيلِيَّةِ وَطَلَيْطَلَةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْمُدُنِ، وَلَكِنْ تَأْتِيهِمْ عَلَى الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ فِي الْجَزِيرَةِ لَمْ يَكُنْ مُهِمًّا. وَفِي حُكْمِ الْقُوطِ لِشِبْهِ الْجَزِيرَةِ لَمْ يَكُنِ الْيَهُودُ يَعْثُرُونَ الْكَثِيرَ لَهُمْ. وَبَسَبَبِ مُخَالَفَةِ الْيَهُودِ لِلتَّنْظِيرِ عَانُوا

١ - إِشْبِيلِيَّةُ: بِكسْرِ الهمزة ثم تسكين الشين، مَدِينَةُ أَنْدَلُسِيَّةٍ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ قُرْطُبَةَ ثَمَانُونَ مِيلًا. أَطْلَقُوا عَلَيْهَا اسْمَ حَمَصٍ، لَمْ يَكُنْ بِالْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ مِنْهَا كَمَا يَقُولُ الْحَمَوِيُّ. وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ عَظِيمٍ يُقَالُ لَهُ الْوَادِي الْكَبِيرُ. وَفِي سَنَةِ ٦٤٦ هـ تَغْلِبَ الْعَدُوُّ عَلَيْهَا. انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ النَّخِيرَةُ

ق ٢، م ١١/١ - ١٢؛ يَأْقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/١٩٥، ٢/٣٠٤؛ الْحَمِيرِيُّ الرُّؤُوسُ الْمَغْطَارُ ص ٥٨ - ٦٠.

٢ - حَمِيدِي الْحَرَكَةُ الْأَنْبِيَّةُ فِي إِشْبِيلِيَّةٍ لَزَمَنِ بَنِي عَبَّادٍ ٤١٤ هـ ٤٨٤ هـ ص ٦ - ٧ نقلًا عن:

EncycloPaedia Universalis, vol: 1, P: 1025 Musulmans andalous et judeo- espagnoles par is D. Abbou 1953 P:111

٣ - فَرْضِيَّةُ سَلُوش Sloush ذَهَبَ فِيهَا إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْيَهُودَ، يَهُودَ خَيْبَرَ هَاجَرُوا مِنَ الْيَمَنِ حَوْلِي سَنَةِ ٦٢٨ م نَحْوَ الْعِرَاقِ وَسُورِيَّةِ ثُمَّ إِفْرِيْقِيَّةِ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى الْأَنْدَلُسِ. انْظُرْ: مَسْعُودُ كَوَاتِي الْيَهُودُ فِي الْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ؛ مِنَ الْفَتْحِ إِلَى سُقُوطِ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ ص ٨١.

٤ - انْظُرْ: مَسْعُودُ كَوَاتِي الْيَهُودُ فِي الْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ؛ مِنَ الْفَتْحِ إِلَى سُقُوطِ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ ص ٨١.

٥ - انْظُرْ: هِشَامُ فُوزِي عَبْدُ الْعَزِيزِ يَهُودُ الْأَنْدَلُسِ فِي ظِلِّ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ مَجَلَّةُ دِرَاسَاتِ أَنْدَلُسِيَّةٍ، ع ١٥، ثَوْنِس: ١٩٩٦ م، ص ٩٧.

٦ - قُرْطُبَةَ: بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ وَضَمِّ الطَّاءِ، كَلِمَةٌ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً، وَبِجُوزِ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْقُرْطُبَةِ وَهِيَ الْعَدُوُّ الشَّدِيدُ، وَهِيَ مَدِينَةُ عَظِيمَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ وَسَطُ بِلَادِهَا، كَانَتْ مَرْكَزًا لِمُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَابْنِ أَبِي عَامِرٍ، وَطُولُهَا مِنْ غَرْبِهَا إِلَى شَرْقِهَا ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ، وَعَرْضُهَا مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ إِلَى بَابِ الْيَهُودِ مِيلٌ وَاحِدٌ، وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ مَطْلٍ عَلَيْهَا يُسَمَّى جَبَلُ الْعُرُوسِ، وَبِهَا الْجَامِعُ الْمَشْهُورُ. وَحِينَ ظَهَرَتِ الطَّوَانِفُ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَوِيَتْ شَوْكَةُ بَنِي عَبَّادٍ وَغَيْرِهِمْ خَرِبَتْ وَرَثَاهَا الشُّعْرَاءُ وَكَثُرُوا فِيهَا. اسْتَوْلَى عَلَيْهَا النَّصَارَى سَنَةَ ٦٣٣ هـ.

انْظُرْ: يَأْقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤/٣٢٤ - ٣٢٥؛ الْحَمِيرِيُّ الرُّؤُوسُ الْمَغْطَارُ ص ٤٥٦ - ٤٥٩.

مِنَ الصَّرَاحِ الدِّينِيِّ مَعَهُمْ، فَأُصْدِرَ مُلُوكُ الْقُوطِ كَثِيرًا مِنَ التَّشْرِيعَاتِ ضِدَّهُمْ بِخَاصَّةٍ أَيَّامَ الْمَلِكِ أَرِيكَ الثَّانِي (٥٠١-٥٣١ م) وَالْمَلِكِ رِيكَاردُ (٥٨٦-٦٠١ م)، وَاتَّزَعَ اجْتِمَاعُ الْمَجْلِسِ الثَّالِثِ فِي طَلِيْطَلَةَ سَنَةِ ٥٨٩ م سَنَ مُلُوكِ الْقُوطِ قَوَانِيْنَ قَاسِيَةً ضِدَّ الْيَهُودِ؛ فَأَعْلَنَ مَجْمَعُ طَلِيْطَلَةَ عَنِ اكْتِشَافِ مُؤَامَرَةٍ حَاكَمَهَا الْيَهُودُ الْأَلَمَانُ مَعَ بَنِي جُلْدَتِهِمْ فِي شَمَالِ إفْرِيقِيَّةٍ، غَايَتُهَا إِدْخَالُ الْعَرَبِ إِلَى إِسْبَانِيَا، وَاسْتُغْلِتْ هَذِهِ التَّهْمَةُ مُبَرَّرًا لِقَرْضِ عُقُوبَاتٍ عَلَى الْيَهُودِ بُغْيَةً تَنْصِيرِهِمْ وَالْقَضَاءِ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ. وَبَالِغَ الْمَلِكِ سِيْزِيُوتِ Sisebut (٦١٢-٦٣٠ م) فِي سِيَاسَةِ الْاضْطِهَادِ، فَأَمَرَهم بِاعْتِنَاقِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَأَخَذَ بِمُلَاحَقَةِ الْيَهُودِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ إِسْبَانِيَا. وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ إِقَامَةَ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ وَأَعْطَاهُمْ مُهْلَةً سَنَةً لِلتَّفَكِيرِ فِي الْإِخْتِيَارِ بَيْنَ اعْتِنَاقِ النَّصْرَانِيَّةِ أَوْ الرَّحِيلِ عَنِ إِسْبَانِيَا، فَمِنْهُمْ مَنْ تَظَاهَرَ بِاعْتِنَاقِهَا لِلْحِفَافِ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ وَأَمْلاكِهِمْ، وَهَاجَرَ عَدَدٌ آخَرُ فَالتَّحَقَّ جُزْءٌ مِنْهُمْ بِسَوَاحِلِ الْمَغْرِبِ^(١). وَمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي إِسْبَانِيَا تَطَّلَعَ إِلَى الْخَلَاصِ مِنْ هَذَا الظُّلْمِ، فَاتَّجَهَتْ أَنْظَارُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ، وَوَقَّفُوا عَلَى مَا حَظِيَ بِهِ أَبْنَاءُ مَذْهَبِهِمْ يَهُودَ الْمَغْرِبِ مِنْ حُرِّيَّةٍ دِينِيَّةٍ، وَامْتِنَازَاتٍ عِدَّةٍ فِي ظِلِّ حِمَايَةِ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ، الْأَمْرُ الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى الْعَمَلِ وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهِمْ فِي قِيَامِ ثَوْرَةٍ لِإِسْقَاطِ الْحُكْمِ الْقُوطِيِّ فِي إِسْبَانِيَا^(٢).

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الصَّرَاحُ بَيْنَ الطَّبَقَةِ الْحَاكِمَةِ مِنَ الْقُوطِ وَبَيْنَ الْيَهُودِ، بَلْ نَالَ مِنْ أَفْرَادِ الطَّبَقَةِ الْحَاكِمَةِ أَنْفُسِهِمْ، فَاسْتَطَاعَ لَدْرِيقُ (٩٠-٩٢ هـ) الْإِسْتِيلَاءَ عَلَى الْعَرْشِ، وَاعْتَصَبَ الْحُكْمَ مِنْ أَيْدِي أَبْنَاءِ الْمَلِكِ غَيْطَشَةَ (٨٥-٩٠ هـ)، لَكِنْ أَبْنَاءُ الْمَلِكِ السَّابِقِ وَاتِّبَاعُهُ لَمْ يَرْضُوا بِالْوَضْعِ الْقَائِمِ، فَأَخَذُوا يَتَحَيَّنُونَ الْفُرْصَةَ لِاسْتِعَاذَةِ مُلْكِهِمُ الْمُغْتَصَبِ، حَتَّى وَجَدُوا ضَالَّتَهُمْ فِي قُدُومِ الْمُسْلِمِينَ^(٣).

أَوَّلًا :- مواقف بارزة لليهود في تاريخ الأندلس .

سَجَلَتِ الْكُتُبُ شَيْئًا قَلِيلًا مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَاخْتَصَرَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَسِيرِيُّ بِمَوْسُوعَتِهِ تَارِيخَهُمْ بَعْدَ أَنْ وَصَلَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخِلُ (ت ١٧٢ هـ)^(٤)، فَاسْتَسَرَ فِيهَا حُكْمَ الْأُسْرَةِ

١ - انظر عن سياسة اضطهاد اليهود: مسعود كواتي اليهود في المغرب الإسلامي؛ من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين ص ٤٥؛ ول ديورانت قصة الحضارة ١٢/١٩٢-١٩٦، ٩/١٤، ٥٠٠، Reinhart Dozy "Spanish Islam" p227- 228 .

٢ - انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٢/٤، ٩، Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 230- 231 .

٣ - انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب؛ المقرئ تفتح الطيب ١/٢٤٠-٢٤٩؛ Reinhart Dozy "Spanish Islam" p228 .

٤ - هو: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بالذليل لأنه أول داخل من ملوك بني مروان إلى الأندلس، ولد بدمشق وأفلت من سيوف العباسيين حين انتهت خلافة المروانيين، وفر إلى المغرب العربي ونزل عند أخواله من البربر فترة من الزمن، فأتاه قوم من إشبيلية وبايعوه على الخلافة، ووصل الأندلس ١٣٨ هـ وتمكن بأشباعه من الوصول إلى حكم الأندلس بعد حروب طاحنة مع من عارضوه، وكان أبو جعفر المنصور يسميه صفراً قريناً، وكان يدعو للمنصور. ثم قطع دعوته، وجدد ما طمس لبني مروان بالمشرك من آل العباس، وثوفي سنة ١٧٢ هـ فنوئاً الإمارة بعده ابنه هشام. انظر: محمد القضاة الإنباء بآباء الأنبياء ص ٢٥٠؛ الضبي بغية الملتبس ١/٣٢؛

المقرئ تفتح الطيب ١/٣١٧-٣٢٣؛ ٤/٢٢-٤٧ .

الأموية، وخلفه ابنه هشام الأول (ت ١٨٠هـ) ^(١) الذي بدأت في عصره عملية الاندماج الحضاري والاجتماعي لليهود؛ فبدأوا يدرسون في مدارس الدولة. غير أنه نشب تمرد بين اليهود في عصر الحكم الأول (ت ٢٠٦هـ) ^(٢) عام ٢٠٢هـ، ثم تمرد آخر في طليطلة عام ٢١٢هـ بالاشتراك مع النصارى المستعربين، وقضي على هذين التمردين. ومع تفكك الخلافة الأموية انقسمت الأندلس إلى دويلات وإمارات تحكمها الطوائف عام ٣٩٨هـ. فاستخدم الأمراء كثيرًا من اليهود مثل صمويل [سماعيل] ابن تغريلة وزير غرناطة. وكان اليهود يعملون مستشارين ماليين وسياسيين، وفي البعثات الخارجية لحكومات الأندلس، ويهود بلاط، ومُلتزمي ضرائب. وقام المرابطون بعد استيلائهم على سدة الحكم عام ٤٧٨هـ بتطهير جهاز الدولة من اليهود، فتدهورت أحوالهم لبعض الوقت، ومع صعود الموحدين عام ٥٤٠هـ منع إظهار اليهودية في الأندلس ^(٣)

ويُحلل إسرائيل شاحاك هذا الصعود والهبوط لليهود في الأندلس بقوله إن المجتمعات اليهودية ازدهرت في البلدان الإسلامية في ظل الأنظمة التي كانت منفصلة عن الأكثرية الساحقة من الشعوب التي تحكمها، أي الأنظمة التي كانت سلطتها تستند إلى القوة وجيش من المرتزقة. وأفضل الأمثلة على ذلك - برأي شاحاك - إسبانيا المسلمة؛ فالعصر الذهبي اليهودي الحقيقي يبدأ فيها مع سقوط الخلافة الأموية، وإنشاء ممالك الطوائف المتعددة التي كانت قائمة على القوة؛ فالقائد اليهودي رئيس وزراء مملكة غرناطة، صمويل هنيغدا [سماعيل بن تغريلة] (ت ٤٤٧هـ) قام صعوده أساسًا على حقيقة أن المملكة التي كان يخدمها، كانت طغيانًا لقوة عسكرية من البربر، صغيرة نوعًا ما، كما نشأ وضع مماثل في ممالك الطوائف. وتدهور وضع اليهود نوعًا ما مع إنشاء نظام المرابطين (٤٧٨-٤٨٢هـ)، وأصبح مزعزعًا تمامًا في ظل نظام الموحدين الشعبي القوي (بعد عام ٥٤١هـ) فهاجر اليهود، إلى الممالك النصرانية، حيث كانت قوة الملوك في هذه الممالك ركيكة جدًا ^(٤)

وردت خلال الحكم الإسلامي للأندلس إشارات إلى تاريخ اليهود في بعض المواقف، منها:

١ - مساعدهم للفاتحين .

توجد بعض الإشارات في الكتب تقول إن يهود الأندلس اتصلوا بيهود المغرب واستنجدوا بالعرب ليأتوا وينقذوهم من القوط ^(٥)، فقد كانت أحوال الجماعة اليهودية في إسبانيا الكاثوليكية حينما دخلها طارق متردية، بل يقال إن معظمهم تحولوا إلى يهود متخفين ^(٦)، وتشير المصادر إلى أن الفاتحين حين دخلوا قرطبة ألفوا بها يهودًا، فجمع مغيب يهودها، وضمهم إليها ^(٧). ومثل ذلك بالبيرة ^(٨) فحاصروا مدينتها

١ - هو: هشام بن عبد الرحمن بن معاوية المرواني بويغ بالملك بالأندلس عند موت والده سنة ١٧٢هـ وعمره ثلاثون سنة، ولد بالأندلس وكان ورعًا يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعدل في الرعية لما احتضر عهد بالأمر إلى ولده الحكم المعروف بالريضي.

انظر: محمد القضاة: الإنباء بآباء الأنبياء ص ٢٥٠؛ الضبي بغية الملتبس ٣٣/١؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٨.

٢ - هو: أبو العاصي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، يُلقب بالمرتضي، ويعرف بالريضي لما فعل بأهل الريض. بويغ بالملك عند موت أبيه سنة ١٨٠هـ، وكان من جبابرة الملوك وفساقهم ومتمرديهم وكان فارسًا شجاعًا ذا دهاء وحزم وعُتُو وظلمَ مَمْلُوكَ ٢٧ سنة. وكان في أول أمره على سيرة حميدة ثم تغير وتجاهر بالمعاصي. كثرت العلماء بالأندلس في دولته حتى قيل إنه كان بقرطبة أربعة آلاف عالم، عر عليهم انتهاك الحكم للحُرُمات وانتمروا ليخلعوه ثم جيشوا لقتاله فجزت فتنة عظيمة راح فيها أكثر من ٤٠ ألفا. انظر: ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ص ٧٠-٧١؛ الضبي بغية الملتبس ٣٤/١؛ عبد الواحد المراكشي المفجوب ص ١٩-٢٢؛ ابن الأبار الخلة السيرة ٤٤/١ - ٥٠؛ ابن سعيد المغرب ٣٩/١ - ٤٥؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٨ - ٢٦٠؛ المقرئ فتح الطيب ٣٨٢/٣.

٣ - انظر: عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢٥٠/٤.

٤ - انظر: إسرائيل شاحاك الديانة اليهودية وتاريخ اليهود؛ وطاة ٣٠٠٠ عام ص ١٠٦.

٥ - انظر: W. Montcomery Watt "A History of Islamic Spain" p 11- 12.

ومن الباحثين من يرى أن هذا الرأي لا يمت إلى التاريخ بصلة.

انظر: خليل سمعان يهود البلاد الإسلامية للدكتور برنرد لويس مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٢، م ٦٢، دمشق: ١٩٨٧م، ص ١٤٨.

٦ - انظر: عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢٤٩/٢.

٧ - انظر: مجهول أخبار مجموعة في فتح الأندلس ص ٢٣.

عَرْنَاطَة^(٢) وَافْتَتَحُوا هَا وَضَمُّوا الْيَهُودَ إِلَى قَصَبَتِهَا^(٣)، وَصَارَ ذَلِكَ لَهُمْ سُنَّةً مُتَّبَعَةً فِي كُلِّ بَلَدٍ يَفْتَحُونَهُ أَنْ يَضُمُّوا يَهُودَهُ إِلَى الْقَصَبَةِ مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِحِفْظِهَا، وَإِذَا لَمْ يَجِدُوا يَهُودًا وَقَرُّوا عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ الْمُخْلَفِينَ^(٤)، وَلَمْ يَفْعَلُوا هَذَا بِمَالِقَةَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا بِهَا يَهُودًا^(٥) حَتَّى فِي فَتْحِ طَلَيْطَلَةَ دَارِ مَمْلَكَةِ الْقُوطِ تَنْقُلُ الْمَصَادِرُ رَوَايَةَ ابْنِ حَيَّانَ لَفَتْحِهَا؛ وَمُلَخَّصُهَا أَنَّ طَارِقًا انْتَهَى إِلَيْهَا فَأَلْفَاها خَالِيَةً قَدْ فَرَّ عَنْهَا أَهْلُهَا وَلَجَّأُوا إِلَى مَدِينَةِ خَلْفِ الْجَبَلِ، وَتَبِعَهُمْ طَارِقٌ، بَعْدَ أَنْ ضَمَّ الْيَهُودَ إِلَى طَلَيْطَلَةَ وَخَلَّفَ بِهَا رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَضَى خَلْفَ مَنْ فَرَّ^(٦)، وَفَعَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ الْأَمْرَ نَفْسَهُ مَعَ إِشْبِيلِيَّةَ، فَقَدْ امْتَنَعَتْ أَشْهَرًا ثُمَّ فَتَحَهَا مُوسَى، فَهَرَبَ الْعُلُوجُ عَنْهَا فَضَمَّ مُوسَى يَهُودَهَا إِلَى الْقَصَبَةِ وَخَلَّفَ بِهَا رِجَالًا وَمَضَى إِلَى مَارْدَةَ^(٧)، وَلَعِبَ الْيَهُودُ الدَّوْرَ نَفْسَهُ حِينَ اسْتَوْلَى النَّصَارَى عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، فَكَانُوا يُوطَّنُونَ الْيَهُودَ فِي الْمُدُنِ الْمَأْخُودَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ^(٨).

١ - إلبيرة : مَدِينَةٌ كَانَتْ مَشْهُورَةً بِالْأَنْدَلُسِ خَرِبَتْ وَهَاجَرَ أَهْلُهَا إِلَى عَرْنَاطَةِ .

انظر : الإندلسي تَرْجَمَةُ الْمُشْتَقِ ٥٣٧، ٥٦٩/٢ ؛ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥٢٦/١ ؛ الْجَمِيرِيُّ الرُّوضُ الْمِفْطَارُ ص ٢٨-٢٩ .

٢ - عَرْنَاطَةُ : بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَسَكُونِ ثَانِيهِ، وَقَالُوا أَعْرَنَاطَةُ بِالْأَلْفِ فِي أَوَّلِهِ أَسْقَطَهَا الْعَامَّةُ فَأَصْبَحَتْ عَرْنَاطَةُ وَمَعْنَاهَا رُمَانَةٌ بِلِسَانِهِمْ، وَسُمِّيَ بِهِ الْبَلَدُ لِحُسْنِهِ، وَهِيَ مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَادِي آشٍ أَرْبَعُونَ مِيلًا، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ إلبيرة سِتَّةَ أَمْيَالٍ، يَشْقَاهَا نَهْرٌ يُعْرَفُ بِنَهْرِ حَدَّارَةِ، كَانَتْ تُلْقِي مِنْهُ بَرَادَةً الذَّهَبَ الْخَالِصَ وَفِيهَا نَهْرٌ آخَرٌ يُقَالُ لَهُ سِجْلٌ، وَكَانَتْ الْمَدِينَةُ الْمَقْصُودَةُ إلبيرةَ فَخَلَّتْ، وَانْتَقَلَ أَهْلُهَا إِلَى عَرْنَاطَةِ. حَصَّنَ أَسْوَارَهَا وَبَنَى قَصَبَتَهَا حَبُوسَ الصَّنَهَاجِيِّ ثُمَّ خَلَفَهُ ابْنُهُ بَادِيسُ بْنُ حَبُوسَ، فَكَمَلَتْ فِي أَيَّامِهِ وَعَمَرَتْ.

انظر : يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١٩٥/٤ ؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الإِحَاظَةُ ٩١/١ - ٩٩ ؛ الْجَمِيرِيُّ الرُّوضُ الْمِفْطَارُ ص ٤٥ - ٤٦

3 - See : Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 232 .

٤ - انظر : مَجْهُولُ أَخْبَارٍ مَجْمُوعَةٍ فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ ص ٢٢ ؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الإِحَاظَةُ ١٠١/١ ؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٥٣/١ - ٢٥٤ .

٥ - انظر : مَجْهُولُ أَخْبَارٍ مَجْمُوعَةٍ فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ ص ٢٢ .

٦ - انظر : الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٥٥/١ . وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ عِدَّارٍ أَنَّ طَارِقًا لَمْ يَجِدْ فِيهَا إِلَّا الْيَهُودَ فِي قَوْمٍ قَلَّةٍ، بَيْنَمَا فَرَّ عِلْجُهَا وَأَصْحَابُهَا.

انظر : ابْنُ عِدَّارٍ الْمَرَائِشِي النِّبَاحُ الْمَغْرِبُ ١٢/٢

٧ - انظر : الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٥٩/١ .

٨ - انظر : عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمُسَيَّرِيُّ مَوْسُوعَةُ الْيَهُودِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالصَّهْنُونِيَّةِ ٢٤٩/٤ .

وبهذا تُجمع الروايات السابقة على أن اليهود لقوا معاملة خاصة من الفاتحين وأنهم كانوا عوناً لهم حين دخلوا الأندلس. وفي تعليل هذا الأمر يرى المقرئ أن مغيثاً حين جمع يهود قرطبة وضمهم إلى مدينتها فعل ذلك استنامة إليهم دون النصارى للعداوة بينهم^(١)، بينما يعلل ابن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ)^(٢) هذا بقوله إن الجيش الفاتح استخدم اليهود حاميات للمدن التي يحتلها كي يحتفظ بكتلتهم أثناء توجهه لفتح الأماكن الأخرى^(٣)، وأرى أن التعليلين معقولان ولا يتعارضان، فلم يكن باستطاعة الفاتحين ترك اليهود حماة لهم في المدن التي احتلوها لو لم تكن مصلحة قوية بينهم أهمها اشتراكهما في عداوة النصارى. لذا عامل الفاتحون اليهود بتسامح ورفق.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يزعم ول ديورانت أن الفاتحين أرادوا أن يعمروا البلاد فدعوا إلى الهجرة إليها، فقدم إليها فيمن قدم خمسون ألف يهودي من أسية وإفريقية انتشروا في جميع ميادين الزراعة والصناعة والمال والمناصب العالية ولبسوا ثياب العرب، وتكلموا بلغتهم، وأتبعوا عاداتهم ولبسوا العمامة والأثواب الحريرية الفضفاضة^(٤).

ولم تكن مزارع اشتراك اليهود في معاونة الفاتحين مقتصرة على المصادر العربية؛ يذكر ول ديورانت أنهم ساعدوا المسلمين في كل خطوة من خطوات الفتح، وظلوا في أمن وولاء معهم^(٥)، ويبالغ مونتغمري وات بقوله: إنه لو لم يقدم اليهود للمسلمين كل عون لما استطاعوا هزيمة الجيش القوطي^(٦)، بينما يعارض ريموند شايندلين هذه المقولة ويقول إن الحكايات المتواترة عن تسليم اليهود مدنيهم للفاثحين المسلمين لا تصمد أمام التمهيص الدقيق؛ لأن تاريخ اليهود وثقافتهم في إسبانيا منذ الفتح حتى القرن الرابع الهجري يحيطهما غموض شامل تقريباً^(٧). ومثله يرى

١ - انظر: المقرئ فتح الطيب ٢٥٩/١.

٢ - هو ذو الورتين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني المعروف بلسان الدين ابن الخطيب، ولد في غرناطة سنة ٧١٣هـ، مدح السلطان أبا الحجاج بن الأحمر، وارتفعت منزلته وتولى رئاسة الديوان وسفر للسلطان إلى المغرب، ثم لابنه محمد الغني بالله بعده الذي قربه كذلك ولقبه بذي الورتين: السيف والقلم، ثم أحاطت به الدسائس، فخشي على نفسه، فتوجه سنة ٧٧٢هـ إلى السلطان عبد العزيز المريني بفاس فأكرمه وأحسن استقباله، إلا أن خصومه بغرناطة وعلى رأسهم تلميذه الشاعر ابن زمرق والقاضي أبو الحسن النباهي دسوا عليه عند الغني بالله وأتهموه بشتم عديده، سجن ودس إليه في السجن من قتله خنقاً سنة ٧٧٦هـ. انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٤٣٦/٣ - ٤٣٩؛ ابن الأحرر تلخيص فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ص ٢٤٢-٢٩٢؛ المقرئ فتح الطيب ٧٦/١، ١٠-٥/٧، ٦٩-٧٥، ١٠٤-١١٤، ١٠٧-١١٦؛ أزهار الرياض ١٨٦/١-٢٣١؛ أحمد الناصري الاستقصا ١٩١/٣ - ٢٠٠، ٨/٥ - ٣١.

٣ - انظر: ابن الخطيب الإخاطة ١٠٧/١.

٤ - انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ١٥/١٤.

٥ - انظر: نفسه ٢٠٦/١٣، ٥٠/١٤.

٦ - انظر: مونتغمري وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية ص ٢٧.

W. Montcomery Watt "A History of Islamic Spain" p 11- 12.

٧ - انظر: ريموند شايندلين اليهود في إسبانيا المسلمة ترجمة: مريم عبد الباقي، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ٣٠١/١ - ٣٠٢.

المسيري أنه يجب أن لا نبالغ في تقدير اتنا، فقد كان اليهود أقلية صغيرة جدًا لا يُعتدُّ بها، كما أنهم لم يكونوا يعرفون شيئًا عن فنون الحرب بالإضافة إلى أن مستواهم الثقافي والحضاري كان مُتدنّيًا إلى أقصى درجة^(١). وفي رأيي أن مُعاونة اليهود لفتح الأندلس لهما ما يؤكّدها في حياتهم اللاحقة ولا ينبغيها. فقد استمرت هذه العلاقة الطيبة مع اليهود في ظل الحكم الإسلامي إلى فترة طويلة بتفاوت قليل من فترة لفترة ومن حاكم لآخر، ويرجع ابن الخطيب السبب في حسن العلاقة هذه إلى موازرتهم للعرب أثناء عمليات الفتح^(٢)، ووجود الجماعات اليهودية في معظم المدن الأندلسية أراه دليلاً آخر على هذا التسامح، فظلت أعدادهم وفيرة في هذه المدن^(٣)، ليس هذا فحسب بل كانوا يسكنون في أفضل الأحياء وأرقاها^(٤).

٢- دورهم مع المُتمردين والشائرين .

كان لليهود في الأندلس دور واضح في مُعاونة الطامعين الوصول إلى الحكم عن طريق التمرد أو الغدر، وفي حبك المؤامرات أو في كشف المؤامرات، وفي الفتن بين الأندلسيين، ففي الفتنة بين العرب والمولدين وثورة المتعصبين للعرب، على سبيل المثال، ذكرت عشيقته يهودية لزعيم الشائرين سعيد بن سليمان بن جودي (ت: ٢٨٤هـ)^(٥) قتل في دارها غدرًا وغيلة عام ٢٨٤هـ بعد أن ظل رئيسًا للعصبة العربية في البيرة زهاء سبع سنوات^(٦)، وقد يكون بذكر يهودية المرأة إشارة إلى دور اليهود في حماية الشائرين ودعمهم، فكان من تاريخهم ما يلي:

١ - انظر: عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢٤٩/٤ .

٢ - انظر: ابن الخطيب اللوحة البدرية ص ٢٦ .

٣ - لم تأت المصائر بإحصائيات دقيقة عن أعدادهم، إلا أنه يُكشف أن أعدادهم كانت كبيرة حين يأتي ذكر أحداث تتعلق بهم، فمثلاً في حادثة مقتل ابن نغيلة يُقال إنه قتل معه آلاف من اليهود، قدرهم ابن بسام أكثر من أربعة آلاف، وقال ابن عذاري أكثر من ثلاثة آلاف.

انظر: ابن بسام النخبة ق ١، م ٢/٧٦٩؛ ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٢٧٥/٣

٤ - على سبيل المثال وجد الحّي اليهودي في قرطبة بجوار قصر الحاكم والمسجد الجامع، كما أطلق على الباب الشمالي اسم باب اليهود، وبجوار هذا الباب كان طريق يتجه نحو مقبرة خاصة لليهود . انظر: الجيمري الرؤف المغطار ص ٤٥٦ .

٥ - هو أمير العرب: سعيد بن سليمان بن جودي السعدي، قال ابن سعيد أنه كان فارساً جواداً شاعراً، كان ينشد الأشعار متغنيا بحبه الميئوس منه لجيحان جارية الأمير عبد الله، حاول جمع العرب بعد مقتل سوار بن حمدون القيسي سنة ٢٧٦هـ، ظل رئيساً للعصبة العربية في البيرة زهاء ٧ سنوات، إلى أن قتل غيلة ٢٨٤هـ في دار عشيقته له يهودية.

انظر: ابن الأبار الخلعة السيزاء ١٥٤/١ - ١٦٠؛ ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ١٢٤/٢؛ ابن سعيد المغرب ١٠٥/٢ - ١٠٦.

٦ - انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ١٢٤/٢ .

(١) نَسْهَلُهُمْ دُخُولَ الْمَدِينِ لِمَنْ يُخَطِّطُ مَعَهُمْ سِرًّا .

عَاوَنَ الْيَهُودُ أَطْرَافًا سِيَاسِيَّةً فِي الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى بَعْضِ الْمَدِينِ وَمَكَّنُوهُمْ مِنْهَا عَلَى حِينٍ عَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا؛ فَحِينَ فَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَمَشْكَ (ت: ٥٧٢هـ) ^(١) بِاِسْتِزَاعِ غَرْنَاطَةِ بْنِ مَرْدَنِيشَ سَنَةَ ٥٥٧هـ لِقُرْبِهَا مِنْ مَدِينَتِهِ جَيَّانَ ^(٢) ذَكَرَ ابْنُ صَاحِبِ الصَّلَاةِ (ت: ٥٩٤هـ) وَابْنُ عِدَارِي الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي ثَقُلِ الْحَادِثَةِ أَنَّهُ دَاخِلَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْيَهُودِ [الْإِسْلَامِيِّينَ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ] ^(٣)، فَقَدْ اتَّفَقُوا مَعَهُ عَلَى لَيْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَصِلُهُمْ فِيهَا إِلَى بَابِ الرَّبْضِ بِغَرْنَاطَةِ وَيَكْسِرُونَ قِفْلَ الْبَابِ وَيَدْخُلُونَهُ، فَوَصَلَ الْغَايِرُ ابْنُ هَمَشْكَ عَلَى مَا تَوَاعَدَ مَعَهُمْ، وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الْكُفْرَةُ الْيَهُودُ فَكَسَرُوا الْقِفْلَ وَالْبَابَ، وَبِهَذَا تَمَلَّكَ ابْنُ هَمَشْكَ الْمَدِينَةَ ^(٤). وَفِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ لِابْنِ صَاحِبِ الصَّلَاةِ الَّذِي كَانَ قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْحَادِثَةِ يُلَاحِظُ أَنَّهُ اتَّهَمَ الْيَهُودَ الْإِسْلَامِيِّينَ بِالْمُوَاْمَرَةِ، وَهَذَا يَجْعَلُنِي أَمِيلٌ إِلَى التَّحْلِيلِ الَّذِي يَقُولُ إِنَّ الْمُؤَحِّدِينَ تَغَيَّرَتْ سِيَاسَتُهُمْ مَعَ الْيَهُودِ حَتَّى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ - عِنْدَمَا انْكَشَفَ غَدْرُهُمْ وَخِيَانَتُهُمْ. وَيُلَاحِظُ كَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قُوَّةً يُحَاوِلُ التَّأَمُّرَ مَعَهَا أَكْثَرُ مِنْ طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ النِّزَاعِ؛ فَلَمْ يَكُنْ ابْنُ هَمَشْكَ وَحْدَهُ مَنْ سَعَى لِلتَّأَمُّرِ مَعَ يَهُودِ غَرْنَاطَةِ بَلْ نَجَدُ فِي رَوَايَةِ ابْنِ عِدَارِي أَنَّ ابْنَ هُودَ مَشَى سِرًّا مِنْ ابْنِ هَمَشْكَ إِلَى الْيَهُودِ كَذَلِكَ وَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَى دُخُولِ الْمَدِينَةِ ^(٥). وَفِي عَامِ ٥٧٨هـ تَمَكَّنَ الْمُؤَحِّدُونَ مِنْ دُخُولِ حِصْنٍ فِي رُنْدَةَ ^(٦)، بِغَدْرِ يَهُودِيٍّ كَذَلِكَ دَلَّاهُمْ عَلَى عَوْرَاتِهَا ^(٧).

١ - هُوَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَمَشْكَ، وَتُسَمِّيهِ بَعْضُ الْمَصَادِرِ عَبْدَ اللَّهِ كَالْمُعْجَبِ. جَدُّهُ هَمَشْكَ نَصْرَانِي أَسْلَمَ عَلَى يَدِ بَنِي هُودَ بِسَرَفُسْطَةَ. كَانَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الَّذِينَ يَطْمَعُونَ فِي إِقْصَاءِ الْمُؤَحِّدِينَ عَنِ الْجَزِيرَةِ، كَانَ مِنْ قَوَادِ ابْنِ مَرْدَنِيشَ حَتَّى رَوَّجَهُ بَنَتْهُ ثُمَّ اخْتَلَفَا فِيمَا بَعْدَ، فَنَزَعَ عَنْهُ إِلَى الْمُؤَحِّدِينَ وَاسْتَعَاثَ بِهِمُ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِ.

انْظُرْ: ابْنُ صَاحِبِ الصَّلَاةِ تَارِيخُ الْمَنِّ بِالْأَمَانَةِ ص ١٢٦ - ١٢٧؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٢١١؛ ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةُ السِّيَرَاءُ ٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠، ٢٦٧؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرَّاكُشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ - قِسْمُ الْمُؤَحِّدِينَ - ص ٦٧ - ٧٨، ١٠٨ - ١١٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبُ ٥٢/ ٢؛ الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢٠/ ٢٤١ - ١٤١.

٢ - جَيَّانُ: بِالْفَتْحِ ثُمَّ التَّشْدِيدِ مَدِينَةٌ لَهَا كُورَةٌ وَاسِعَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ تَتَّصِلُ بِكُورَةِ الْبَيْرَةِ مَائِلَةً إِلَى نَاحِيَةِ الْجَوْفِ فِي شَرْقِي قُرْطُبَةٍ، تَجْمَعُ قُرَى كَثِيرَةً وَبُلْدَانًا، وَكُورَتُهَا مُتَّصِلَةٌ بِكُورَةِ تَنْمِيرَ وَكُورَةِ طَلَيْطَلَةَ. انْظُرْ: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢/ ١٩٥.

٣ - هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ فَقَطْ. انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَّاكُشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ - قِسْمُ الْمُؤَحِّدِينَ - ص ٧٤.

٤ - انْظُرْ: ابْنُ صَاحِبِ الصَّلَاةِ تَارِيخُ الْمَنِّ بِالْأَمَانَةِ ص ١٨٦ - ١٨٧؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرَّاكُشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ - قِسْمُ الْمُؤَحِّدِينَ - ص ٧٤.

٥ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَّاكُشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ - قِسْمُ الْمُؤَحِّدِينَ - ص ٧٤.

٦ - رُنْدَةُ: بضم أوله وسكون ثانيه، مَدِينَةٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ قَدِيمَةٌ بِهَا آثَارُ كَثِيرَةٌ، وَأَهْمُهَا حِصْنٌ، وَهِيَ بَيْنَ إِشْبِيلِيَّةَ وَمَالَقَةَ.

انْظُرْ: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣/ ٧٣ - ٧٤؛ الْحَمِيرِيُّ الرُّوضُ الْمَغْطَارُ ص ٢٦٩.

٧ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَّاكُشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ - قِسْمُ الْمُؤَحِّدِينَ - ص ١٤٦.

(ب) دَوْرُ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ ابْنِ نَعْرِيلَةَ فِي الْمُوَامَرَاتِ .

جاءَ في "التَّبَيَانِ" لِلأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ (ت: ٤٨٣هـ) ^(١) تفصيلٌ لدَوْرِ الْيَهُودِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُوَامَرَاتِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ؛ بِمُحَاوَلَاتِهِمْ مُسَاعَدَةَ الطَّامِعِينَ فِي الْحُكْمِ، أَوْ بِقُرْبِهِمْ مِنْ سَاسَةِ الْبِلَادِ، أَوْ بِتَقْدِيمِ الْعَوْنِ لِلْمُتَأَمِرِينَ، وَأَحْيَانًا فِي كَشْفِ مُوَامَرَاتِهِمْ لِلْحُكَّامِ؛ فَحِينَ وَلَّى بَادِيسُ (ت: ٤٦٧هـ) ^(٢) وَكَثُرَ الْخِلَافُ حَوْلَ وَلَايَتِهِ اتَّفَقَ رَأْيُ الْمُعَارِضِينَ عَلَى قَتْلِهِ وَتَوَلَّيَ ابْنُ عَمِّهِ يَذِيرُ بْنُ حُبَّاسَةَ ^(٣) عِوَضًا عَنْهُ، وَفُتِلَتِ الْمُوَامَرَةُ، وَهَرَبَ يَذِيرُ زَعِيمُ الْمُوَامَرَةِ، إِلَّا أَنَّ رِجَالًا مِنْ صِنْهَاجَةِ ظَلُّوا يُخَاطِبُونَهُ، وَوَقَعَتْ بِيَدِ بَادِيسَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ إِلَى يَذِيرَ، تَضَمَّنَتْ أَرِيدَ مِنْ مِائَتِي رَجُلٍ مِنَ الْأَكْغَبِرِ فَعَضِبَ بَادِيسُ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِمْ، وَشَاوَرَ وَزِيرَهُ الْيَهُودِيَّ ابْنَ نَعْرِيلَةَ فِي الْأَمْرِ فَتَصَحَّهَ أَنْ لَا يُؤْتَبَ أَحَدًا، فَأَخَذَ بِمَشُورَتِهِ وَسَكَتَ عَنْهُمْ ^(٤). فَكَانَ الْيَهُودِيُّ يَسْتَمِعُ إِلَى بَادِيسَ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ، فَيَأْخُذُ بَادِيسُ بِرَأْيِهِ ^(٥). وَيَرْوِي الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ كَثِيرًا مِنَ الْمُوَامَرَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا الْأَنْدَلُسِيُّونَ بِسَبَبِ تَوَلَّى ابْنُ نَعْرِيلَةَ الْوِزَارَةَ، وَبِجَانِبِهَا سِلْسِلَةٌ مِنَ الْمُوَامَرَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا مَعَ أَعْوَانِهِ، مِنْهَا مَثَلًا أَنَّهُ دَسَّ السَّمَّ لِابْنِ بَادِيسَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ بُلْقِينَ لَمَّا عَرَفَ نِيَّاتَهُ نَحْوَهُ وَرَغْبَتَهُ فِي الْقَضَاءِ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ كَانَ لِبَادِيسَ وَلَدٌ اسْمُهُ بُلْقِينَ، وَكَانَ عَاقِلًا نَبِيلًا فَرَّشَحَهُ لِلْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَلَقَّبَهُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ مُبْغِضًا لِهَذَا الْيَهُودِيِّ رَاغِبًا فِي التَّخْلُصِ مِنْهُ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِيهِ عِنْدَ أَبِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الْيَهُودِيِّ كُلَّ مَبْلَغٍ وَدَبَّرَ الْحِيلَةَ عَلَيْهِ مَعَ زُعَمَاءَ مِنَ الْيَهُودِ اسْتَشَارَهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى بُلْقِينَ وَدَعَاهُ إِلَى دَارِهِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ مِنْ رِجَالِهِ، فَلَبَّى الدَّعْوَةَ، فَقَدَّمَ لَهُ وَلِرِجَالِهِ طَعَامًا وَشَرَابًا وَجَعَلَ السَّمَّ فِي كَأْسِهِ، فَرَامَ الْقِيَّءَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ فَحَمَلَ إِلَى قَصْرِهِ فَقَضَى

١ - هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُلْقِينَ بْنُ حُبَّوسَ؛ حَفِيدُ الْمُظَفَّرِ بَادِيسَ مَلِكِ غَرْنَاطَةَ، وَإِلَيْهِ آلَتْ غَرْنَاطَةُ بَعْدَ وَفَاةِ جَدِّهِ، وَمِنْ يَدِهِ أَخَذَهَا يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ حِينَ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا مَلُوكُ الطَّوَائِفِ. انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ "٢/١٠٨؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٣/٣٧٩ - ٣٨١.

٢ - هُوَ: بَادِيسُ بْنُ حُبَّوسَ الزَّرِيرِي الصَّنْهَاجِيُّ: (ابْنُ خَاقَانَ كَتَبَهُ حُبَّوسُ بَيَاءَ بَعْدَ الْحَاءِ فِي الْأَسْمِ الثَّانِي) وَيَلْقَبُ بِالْحَاجِبِ الْمُظَفَّرِ بِاللَّهِ النَّاصِرِ. وَلِيَّ غَرْنَاطَةَ مِنْ عَامِ ٤٢٩هـ إِلَى ٤٦٧هـ وَقَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ ٤٦٥هـ. اسْتَوَزَرَ بَادِيسُ وَزِيرَ وَالِدِهِ الْيَهُودِيَّ إِسْمَاعِيلَ ابْنَ نَعْرِيلَةَ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ اتَّخَذَ ابْنَهُ يُوسُفَ وَزِيرًا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ ثَارَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ وَقَتَلَتْهُ سَنَةَ ٤٥٩هـ. انْظُرْ: ابْنُ خَاقَانَ قَلَالِيدُ الْعَفْيَانِ ق ١، ج ١/٨٠ - ٨١؛ ابْنُ بَسَّامِ

النُّخَيْرَةِ ق ١، م ٢/٦٥٦ - ٦٦٩؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكُشِيِّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ٣/٢٦٢ - ٢٦٧؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ١/٤٣٥ - ٤٤٣؛ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣٠ - ٢٣٣؛ اللَّمَحَةُ الْبَدْرِيَّةُ ص ٣١؛ ابْنُ خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٤/٢٠٦ - ٢٠٨.

٣ - هُوَ: يَذِيرُ بْنُ حُبَّاسَةَ بْنِ مَاسَمَنَ، ابْنُ عَمِّ بَادِيسَ وَمِنْ أَشَدِّ الْمُعَارِضِينَ لَهُ. انْظُرْ: الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ التَّبَيَانِ ص ٣٢ - ٣٣.

٤ - انْظُرْ: الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ التَّبَيَانِ ص ٣٢ - ٣٣.

٥ - وَرَدَ مِثْلُ هَذَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ هُرُوبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ مِنَ الشَّامِ، فَقِيلَ إِنَّهُ حَرَجَ مُتَحَفِّيًا فِي طَرِيقِهِ وَهَمُّهُ الْأَنْدَلُسُ. فَوَصَلَ سَنَةَ ١٣٦هـ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ عِنْدَ صَاحِبِهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيبٍ وَكَانَ عِنْدَهُ يَهُودِيٌّ قَدْ خَدَمَ مَسْلَمَةً بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَسَمِعَهُ يُحَدِّثُهُ بِخَبَرِ الْقُرَشِيِّ الَّذِي يَكُونُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَيَتَغَلَّبُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ذُو ضَفِيرَتَيْنِ، فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَوَجَدَهُ بِضَفِيرَتَيْنِ، فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: وَيْحَكَ! هَذَا هُوَ الْمَذْكُورُ، وَأَنَا قَاتِلُهُ. فَتَصَحَّهَ الْيَهُودِيُّ أَنْ لَا يَفْعَلَ فَسَمِعَ نَصِيحَتَهُ، وَبَرَى السَّيِّدَ سَالِمًا أَنَّ الْقِصَّةَ مُلَفَّفَةٌ ذُونَ أَنْ يَذْكَرَ التَّفْصِيلَ فِيهَا. انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي

الْمَرَاكُشِيِّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ٢/٦٠؛ السَّيِّدُ سَالِمُ تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ وَآثَارِهِمْ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ١٧٧.

نَحَبَهُ فِي غَدِ يَوْمِهِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَبُوهُ سَبَبَ مَوْتِهِ فَقَرَّرَ اللَّعِينُ عِنْدَهُ أَنَّ أَصْحَابَهُ وَبَعْضَ جَوَارِيهِ سَمُّوهُ، وَتَفَرَّقَ أَمْرُهُ، فَقَتَلَ بَادِيسُ مِنْ جَوَارِي وَلَدَهُ وَمِنْ فِتْيَانِهِ وَبَنِي عَمِّهِ جَمَاعَةً كَبِيرَةً وَخَافَهُ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ فَقَرُّوا عَنْهُ، وَأَقْبَلَ بَادِيسُ عَلَى شُرْبِهِ لِيَتَسَلَّى بِهِ عَنْ مُصَابِهِ. وَصَارَتْ لِلْيَهُودِ صَوْلَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِدَوْلَتِهِ^(١)، فَكَانَ لِلْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ دَوْرٌ وَاضِحٌ فِي الْمَوَاطِرَاتِ، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْحَادِثَةَ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ يَهُودَ الْأَنْدَلُسِ كَانُوا يَتَكَاتَفُونَ وَيَتَأَمَّرُونَ مَعَهُ، فَكَانُوا يَقْتَرِحُونَ عَلَيْهِ وَيُخَطِّطُونَ لَهُ .

وَبَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ تَقَرَّبَ الْيَهُودِيُّ السَّالِمِيُّ مَآكِسَنَ، لَكِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ يَوْمًا: "أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ أَخِي؟" فَعَمِلَتْ هَذِهِ فِي نَفْسِ الْيَهُودِيِّ. وَكَانَتْ أُمُّ مَآكِسَنَ تَتْرُكُ مُعَامَلَتَهُ، وَتَمِيلُ إِلَى خَالِ لَهُ يَهُودِيٍّ يُعْرِفُ بِأَبِي الرَّبِيعِ بْنِ الْمَاطُونِيِّ؛ كَانَتْ تُخَاطِبُهُ كَثِيرًا وَتَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا بِاسْمِ السَّلَفِ. فَعَارَ الْوَزِيرُ لِذَلِكَ، وَعَمِلَ عَلَى طَلَبِ مَآكِسَنَ وَطَلَبِ أُمِّهِ وَخَاشِيَتِهِ، وَافْتَرَى عَلَيْهِمْ عِنْدَ بَادِيسَ، وَشَهِدَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ، مِمَّنْ نَقَمُوا عَلَى مَآكِسَنَ^(٢)، حَتَّى جَعَلَتْ الْأَنْفَقَةَ بَادِيسَ مِنْ مَكْرُوهِ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ بِأَمْرٍ بِقَتْلِ أُمِّهِ وَدَايَاتِهِ^(٣) وَبَعْضَ مَنْ انْتَمَى إِلَيْهِمْ .

وَلَمْ يَكْتَفِ الْيَهُودِيُّ بِمُخَاوَلَاتِهِ هَذِهِ تَجَاهَ أَبْنَاءِ بَادِيسَ، فَقَدْ ذَكَرَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ مَنْ يَقِفُ فِي طَرِيقِهِ حَتَّى لَوْ كَانَ مِنْ بَنِي مِلَّتِهِ وَمِنْ أَقَارِبِهِ الْيَهُودِ؛ فَقَتَلَ خَالَهُ عَذْرَا فِي مَنْزِلِهِ عَلَى الشَّرَابِ لِخِلَافِهِ مَعَهُ؛ وَأَعْطَى بَادِيسَ عَلَى ذَلِكَ مَالًا جَسِيمًا، لئَلَّا يَتَرَبَّ عَلَيْهِ^(٤) قَتْلُهُ. فَقَبِلَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ مِنْهُ، وَوَدَّ لَوْ قَتَلَ كُلَّ يَوْمٍ يَهُودِيًّا، فَيُعْزِمَ عَلَيْهِ مَالًا. وَسَعَى إِلَى إِفْنَاعِ بَادِيسَ بِتَفِي وَلَدِهِ مَآكِسَنَ، فَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ مَا جَعَلَهُ يَخَافُ عَلَى ابْنِهِ مَآكِسَنَ مِنَ الْمَوَاطِرَاتِ، وَأَمَرَ بِتَفِيهِ عَنِ الْبَلَدِ، وَوَجَّهَ مَعَهُ مِنْ عَبِيدِهِ مَنْ يُخْرِجُهُ عَنْ نَظَرِهِ كُلِّهِ. فَمَا كَانَ مِنَ الْيَهُودِيِّ إِلَّا أَنْ وَصَّى الْعَبْدَ أَنْ يَصِلَ مَعَهُ إِلَى مَوْضِعٍ سَمَّاهُ، فَيَضْرِبَ فِيهِ عُنُقَهُ وَيَخْفِي أَمْرَهُ^(٥). لَكِنَّ الْعَبْدَ لَمْ يَفْعَلْ لِاعْتِبَارَاتٍ خَاصَّةٍ عِنْدَهُ.

(ج) دَوْرُ أَطْبَائِهِمْ فِي الْمَوَاطِرَاتِ .

تَقَرَّبَ أَطْبَاءُ الْيَهُودِ مِنَ السَّلَاطِينِ وَالْقَادَةِ كَثِيرًا لِشُهْرَتِهِمْ فِي الطَّبِّ، لِذَا كَانُوا طَرَفًا يُوجَّهُ إِلَيْهِ الْاِتِّهَامُ فِي حَالَاتٍ كَثِيرَةٍ تُؤَفِّي فِيهَا بَعْضُ السَّاسَةِ وَعَلِيَّةُ الْقَوْمِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ^(٦) .

١ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّان ص ٤٠؛ ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٢٦٥/٣؛ ابن الخطيب الإحاطة ٤٣٤/١، أعمال الأعلام ص ٢٣٠ - ٢٣٣ .

٢ - قيل إنَّ مَآكِسَنَ كَانَ سَيِّئَ الطَّرِيقَةِ، قَلِيلَ الْبِرِّ، خَشِنَ الْكَلَامِ، يَعِدُّ النَّاسَ بِالْشَّرِّ، حَتَّى كَرِهَهُ أَهْلُ دَوْلَةِ أَبِيهِ وَأَبْغَضُوهُ. وَكَثُرَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ عِنْدَ أَبِيهِ . انظر: الأمير عبد الله التَّيَّان ص ٤٨ .

٣ - دَايَاتِهِ: جَمْعُ الدَايَةِ، وَهِيَ الطَّوْرَةُ الْمُرْضِعَةُ. ابن منظور لسان العرب [ظار] ٥١٦/٤ .

٤ - يُتَرَبَّ عَلَيْهِ: يُؤْتَبَهُ وَيُعِزُّهُ بِدَلِيلِهِ وَيَذْكُرُهُ بِهِ . ابن منظور لسان العرب [ثرب] ٢٣٥/١ .

٥ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّان ص ٤٨ - ٤٩ .

٦ - انظر: مُحَمَّدُ بْنُ الْخُوْجَةِ يَهُودُ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ ص ٢٩ .

وَكَانَ فِي عَزْرَاطَةَ سَنَةَ ٥٢٢ هـ مُوسَى بْنُ مَفْرُوحٍ^(١) أَحَدُ كُتَّابِ أَبِي عُمَرَ يَنَالُهُ^(٢) أَلْقَى إِلَيْهِ الْأَمِيرُ ابْنَ يَنَالِهِ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ، قُدُسَ إِلَيْهِ يَهُودِيٌّ يَنْتَحِلُ الطَّبَّ سَقَاهُ السُّمَّ^(٣). وَمِنْ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ أَحَدَ كُتَّابِ ابْنَ يَنَالِهِ كَانَ يَهُودِيًّا ذَا سُلْطَةٍ وَنُفُوذٍ عِنْدَهُ مِمَّا جَعَلَ إِبْرَاهِيمَ بَوْتَشِيشَ يَتَّهَمُهُ بِتَذْيِيرِ جَرِيْمَةِ الْإِغْتِيَالِ السَّابِقَةِ^(٤)، وَاتَّهَمَ الْمَدْعُوَّ خَالِدَ الَّذِي كَانَ عَامِلًا عِنْدَ أَبِي الْحَجَّاجِ (ت: ٧٩٣ هـ)^(٥) بِالْأَنْدَلُسِ بِأَنَّهُ أَعَدَّ السُّمَّ لِقَتْلِ الْحَجَّاجِ عَنْ طَرِيقِ طَبِيبٍ يَهُودِيٍّ اسْمُهُ يَحْيَى بْنُ الصَّائِغِ، فَاكْتَشَفَتِ الْمُؤَامَرَةُ، فَقَتَلَ خَالِدٌ، وَحُبِسَ الطَّبِيبُ الْمَذْكُورُ قَذَبَ فِي مَحْبَسِهِ^(٦).

٣- تَمَرُّدُهُمْ .

لَمْ يَكْتَفِ الْيَهُودُ بِمُسَانَدَتِهِمْ لِلثَّائِرِينَ وَالْمُتَمَرِّدِينَ فَحَسَبَ، بَلْ قَامُوا بِأَكْثَرِ مِنْ مُحَاوَلَةٍ لِلتَّمَرُّدِ؛ فَيُذَكِّرُ الْمَسِيرِيُّ تَمَرُّدًا بَيْنَ الْيَهُودِ عَامَ ٢٠٢ هـ فِي عَصْرِ الْحَكْمِ الْأَوَّلِ (١٧٩ - ٢٠٦ هـ)، وَآخَرَ فِي طَلِيطَلَةَ عَامَ ٢١٢ هـ، وَقَدْ قُضِيَ عَلَى هَذِهِ التَّمَرُّدَاتِ^(٧).

وَيُخَصِّصُ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ حَفِيدُ بَادِيَسَ فُصْلًا مِنْ مُذَكِّرَاتِهِ لِلْحَدِيثِ عَنْ ثَوْرَةٍ لِلْيَهُودِ فِي الْيَسَانَةِ^(٨)، فَيَذَكِّرُ أَنَّهُ لَمَّا أَمَرَ بِنُيَانِ السُّورِ الْمُتَّصِلِ بِالْحَمْرَاءِ وَجَدَ الْبَنِّ^(٩) أَوْوَنَ قُمْقُومًا^(٩) مَمْلُوءًا ذَهَبًا فِي الْأَسَاسِ، وَكَانَتْ دَارُ أَبِي الرَّبِيعِ الْيَهُودِيِّ الْخَازِنِ لِلْأَمْوَالِ فِي دَوْلَةِ جَدِّهِ بَادِيَسَ مَبْنِيَّةً عَلَى الْأَسَاسِ؛ فَعَلِمَ أَنَّ هَذَا مِنْ مَالِهِ الْمَدْفُونِ، فَأَرْسَلَ وَرَاءَ ابْنِهِ لِيُخْبِرَهُمْ عَنْ بَقِيَّةِ مَالِ وَالِدِهِ الْمَدْفُونِ. وَكَانَ صَهْرُهُ الْيَهُودِيُّ ابْنُ مَيْمُونٍ عَامِلًا لِلْأَمِيرِ عَلَى يَهُودِ الْيَسَانَةِ، وَكَانَ خَبِيثًا، وَوَجَسَتْ نَفْسُهُ مِنَ الْقِصَّةِ، وَخَشِيَ أَنْ يُعَذَّبَ عَلَى مَالِ أَبِيهِ، فَوَافَقَ عَلَى تَحْصِيلِ ذَهَبٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْيَسَانَةِ بِاسْمِ التَّقْوِيَةِ، وَلَمْ تَجِرْ عَادَتُهُمْ عَلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ الضَّرَائِبِ؛ فَفَرَّتْ لِدَلِيلِكَ أَنْفُسُهُمْ، وَوَجَدَ ابْنُ مَيْمُونٍ السَّبِيلَ إِلَى إِغْرَائِهِمْ وَحَمْلِهِمْ عَلَى التَّمَرُّدِ، فَأَجَابُوهُ، وَرَفَعُوا السَّلَاحَ؛ وَنَادَى فِيهِمْ أَنْ: "جِدُّوْا، مَعَشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي

١ - هُوَ: مُوسَى بْنُ مَفْرُوحٍ، نَشَأَ بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ وَتَأَدَّبَ بِإِسْبِيلِيَّةٍ، وَصَفَهُ ابْنُ عِذَارِي بِأَنَّ لَهُ خَطًّا بَارِعًا، وَأَنْبَا صَالِحًا، وَنُفُوذًا فِي الْحِسَابِ، وَكَانَتْ لَهُ نَفْسٌ ذَكِيَّةٌ وَهَمَّةٌ عَالِيَةٌ .
انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٧٦/٤ - ٧٧ .

٢ - هُوَ: أَبُو عَمَرَ مَيْمُونُ بْنُ يَاسِينَ يَنَالُهُ اللَّفْطُونِيُّ الْوَالِي عَلَى عَزْرَاطَةَ وَشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قَبْلِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ، كَانَ ظَالِمًا سَجَنَ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ مِنْ أَهْلِ جِيَانِ ظُلْمًا وَاعْتِدَاءً، عَزَلَهُ الْأَمِيرُ بَعْدَ سَنَةٍ وَسِتَّةٍ أَشْهُرٍ، فَفَرَّجَ اللَّهُ بَعْرَ لِهْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ الْعَمَّةِ، وَكَانَ يُسَاعِدُهُ كَاتِبٌ يَهُودِيٌّ كَانَ كَذَلِكَ شَوْمًا عَلَى النَّاسِ .
انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٧٥/٤ - ٧٧؛ ابن عبد الملك المراكشي الذليل

والتكملة السفر الخامس ق ١، ص ٣٧٥، ٤١٥ .

٣ - انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ص ٧٦/٤ - ٧٧ .

٤ - انظر: إِبْرَاهِيمَ بَوْتَشِيشَ مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الْاجْتِمَاعِيِّ لِلْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ، خِلَالَ عَصْرِ الْمُرَابِطِينَ ص ١٠٨ - ١٠٩ .

٥ - هُوَ: أَبُو الْحَجَّاجِ يُوسُفُ بْنُ الْغَنِيِّ بِاللهِ ابْنُ الْأَخْمَرِ: أَحَدُ مُلُوكِ بَنِي الْأَخْمَرِ بِالْأَنْدَلُسِ . انظر: ابن خلدون تاريخه ٢٢٣/٤ - ٢٢٤ .

٦ - انظر: ابن خلدون تاريخه ٢٢٨/٤ ؛ أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتِقْفَا ٨١/٤ . انشرت هذه الاتهامات فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ أَيْضًا؛ فَحِينَ حَافِلَ أَحَدُ الْمُلُوكِ فَتَحَ مَدِينَةَ آيْتِ عَتَابَ لَمْ تَقْبَلِ الْمَدِينَةُ أَنْ تَخْضَعَ لَهُ. وَاسْتَمَرَّتِ الْحَرْبُ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ إِلَى أَنْ مَاتَ زَعِيمُ الْمُعَارِضِينَ مَسْمُومًا عَلَى يَدِ يَهُودِيٍّ وَكَانَ ذَلِكَ بِإِيْعَازٍ مِنَ الْمَلِكِ، فَصَارَتِ الْمَدِينَةُ فِي طَاعَتِهِ .
انظر: الْوَزْنَانُ وَصَفُ إِفْرِيقِيَا ص ١٩١ .

٧ - انظر: عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَسِيرِيُّ مَوْسُوعَةُ الْيَهُودِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالصَّهْبُونِيَّةِ ٢٤٩/٤ .

٨ - الْيَسَانَةُ أَوْ اللُّسَانَةُ: مَدِينَةُ أَنْدَلُسِيَّةٌ، كَانَتْ تَسْمَى مَدِينَةَ الْيَهُودِ .
انظر: الْإِنْدَرِيسِيُّ تَرْهُةُ الْمُشْتَقِ ٥٧١/٢

٩ - قُمْقُومًا: جَرَّةٌ .
ابن منظور لسان العرب [قمم] ٤٩٥/١٢ .

فِي حِمَايَةِ أَمْوَالِكُمْ!" وَافْتَضَحَ بِذَلِكَ ابْنُ مَيْمُونٍ. وَكَانَتْ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ جَنَائِيَّةٌ فِي قَتْلِ عَامِلٍ لِلْأَمِيرِ يُسَمَّى ابْنَ أَبِي لَوْلَا، فَأَمْتَنَتْ أَلَيْسَانَةَ بِالْجُمْلَةِ، إِلَى أَنْ تَمَّ التَّفَاوُضُ مَعَهُمْ خَوْفَ أَنْ يَسْتَعِينُوا بِعَسْكَرِ ابْنِ عَبَّادٍ لِأَنَّ ابْنَ مَيْمُونٍ كَانَ يَفْتَخِرُ بِهِ، وَيُطْمَعُ بِهِ أَهْلُ أَلَيْسَانَةَ، فَكَانَتْ هَذِهِ، وَحِينَ هَذَاتِ الْأُمُورِ كَانَ التَّخَلُّصُ مِنْ ابْنِ مَيْمُونٍ يَسِيرًا عَلَى الْأَمِيرِ (١).

وَلَعِبَتِ التَّجْمَعَاتُ الْيَهُودِيَّةُ أَحْيَانًا دَوْرًا وَاضِحًا فِي سِيَاسَةِ الْمُدُنِ الَّتِي تَجَمَّعُوا فِيهَا؛ فَتَارَ يَهُودُ أَلَيْسَانَةَ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا أَثَرَتْ، وَكَانُوا كَذَلِكَ أَوَّلَ مَنْ أَطَاعُوا يَوْسُفَ بْنَ تَاشْفِينٍ عِنْدَمَا أُرْسِلَ لَهُمْ كُتُبًا يَدْعُوهُمْ فِيهَا لِعَدَمِ الْمُقَاوَمَةِ أَتْنَاءَ حِصَارِهِ مَمْلَكَةِ غَرْنَاطَةَ عَامَ ٤٨٣ هـ (٢). وَكَانَ بِاسْتِطَاعَةِ يَهُودِ إِشْبِيلِيَّةٍ، أَحْيَانًا، أَنْ يَثِيرُوا شَعْبًا بِالْمَدِينَةِ خُشْيَ وَبَالَهُ مَرَّةً، فَعَجَّلَ السُّلْطَانُ بِفَرْطَبَةِ إِنْفَادِ وَلَدِهِ الْحَاجِبِ سِرَاجِ الدَّوْلَةِ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْ نُخْبَةِ عُلَمَائِهِ وَوُجُوهِ رِجَالِهِ وَمَعَهُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ زَيْدُونَ (ت: ٤٦٣ هـ) (٣) لِتَهْدِئَةِ الْعَامَّةِ (٤)، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مُخْتَصُّونَ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِ الْيَهُودِ وَأَهْلِ الدِّمَّةِ؛ فَابْنُ زَيْدُونَ كَانَ مُقَدِّمًا فِي دَوْلَةِ ابْنِ جَهْوَرٍ لِلنَّظَرِ عَلَى أَهْلِ الدِّمَّةِ (٥).

وَصَارَتْ هَذِهِ التَّجْمَعَاتُ الْيَهُودِيَّةُ فِيمَا بَعْدُ أَمَاكِنَ عَزْلَةٍ لِلْمُعَارَضَةِ؛ فَحِينَ نَقَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْقَاضِي ابْنِ رُشْدٍ (ت: ٥٩٥ هـ) أَمَرَ بِأَنْ يُقِيمَ فِي أَلَيْسَانَةَ، وَأَنْ لَا يَخْرُجَ عَنْهَا، وَيَذْكُرُ بِجَانِبِ الْخَبَرِ أَنَّ هَذِهِ الْبُلْدَةَ كَانَتْ لِلْيَهُودِ (٦). وَكَانَتْ لِلْيَهُودِ فِي مَمَالِكِ النَّصَارَى مُحَاوَلَاتٌ لِلتَّمَرُّدِ كَذَلِكَ؛ فَيَذْكُرُ وَلِ دِيوَارْتِ (١٨٨٥ - ١٩٨١ م) مَثَلًا أَنَّ عَدَدَ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَمَعَهُمُ الْفُونْسُ السَّابِعُ (٧) مَلِكُ لِيُونِ وَقَشْتَالَةَ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا لَمَّا قَامَتْ بَطْلَيْطِلَةَ سَنَةَ ٥٠١ هـ حَرَكَةً مُنَاهِضَةً

١ - انظر: الأمير عبد الله الثنيان ص ١٣٠ - ١٣٢ .

٢ - انظر: نفسه ص ١٤٨ .

٣ - هو الشَّاعِرُ الْأَدِيبُ: أَبُو الْوَلِيدِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدُونَ الْمَخْزُومِي الْأَنْدَلُسِيُّ الْفَرْطُيُّ (٣٩٤ - ٤٦٣ هـ). وَكَانَ لَهُ مَعَ أَبِي الْوَلِيدِ ابْنِ جَهْوَرٍ تَأَلَّفٌ إِلَى أَنْ اعْتُقِلَ وَرُجَّ بِالسَّجْنِ، فَاسْتَعَطَفَهُ بِكُلِّ مُمْكِنٍ فَلَمْ يُطْلَقْهُ، فَفَرَّ مِنْ سِجْنِهِ، وَانْتَقَلَ مِنْ فَرْطَبَةِ إِلَى الْمُعْتَصِدِ ابْنِ عَبَّادٍ صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةٍ سَنَةَ ٤٤١ هـ فَجَعَلَهُ مِنْ خَوَاصِّهِ إِلَى أَنْ مَاتَ ٤٦١ هـ، ثُمَّ حَظِيَ بِالْمَكَانَةِ نَفْسَهَا مَعَ ابْنِهِ الْمُعْتَصِدِ. وَكَانَ وَالشَّاعِرُ ابْنُ عَمَّارٍ كَفَرَسِي رِهَانِي، فَكَانَا شَاعِرِي ذَلِكَ الزَّمَانِ. وَلَهُ فِي وَلَادَةِ بِنْتِ الْمُسْتَكْفِي الشَّاعِرَةِ الرِّسَالَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شِعْرٍ مَطْبُوعٌ مَعَ رَسَائِلِهِ .

تَرْجَمَتُهُ فِي: ابْنِ خَاقَانَ قَلَائِدِ الْعُقَبَانِ ق ٢، ج ١/٢٤٨-٢٠٩؛ ابْنِ بَسَّامِ النُّخْبَةِ ق ١، م ١/٣٣٦-٤٢٨؛ الضَّبِّيُّ بُغْيَةَ الْمُتَلَمِّسِ ١/٢٣٣؛ ابْنُ دِحْيَةَ الْمُطَرِّبِ ص ١٦٤-١٦٨؛ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَاكِشِيُّ الْمُغُوبُ ص ١٠٥-١١٠؛ ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةُ السِّيَرَاءُ ٢/١٥٩؛ الصَّفَدِيُّ الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٧/٥٦-٦٢؛ ابْنُ خَلَّكَانَ وَفَايَاتِ الْأَغْيَانِ ١/١٣٩-١٤١؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/٦٣-٦٩؛ رَايَاتِ الْمُبْتَزِّينِ ١٢١-١٢٢؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبْلَاءِ ١٨/١٦٠، ٢٩٦؛ الْمُقَرِّي تَفْجُحُ الطَّيِّبِ ٤/٢٤٣-٢٥٤، ٥/١٠٨، ٣٤٤-٣٤٦، ٦/٤٠-٤٦؛ ابْنُ عِمَادِ الْكَاتِبِيُّ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ٢/١٧٠-١٧٢، ٣١٢-٣١٣، ٣٥٦ .

٤ - ابْنُ بَسَّامِ النُّخْبَةِ ق ١، م ١/٤١٨ .

٥ - نفسه ق ١، م ١/٣٣٧ .

٦ - انظر: ابْنُ أَبِي أَصْنِيعَةَ عُيُونُ الْأَنْبَاءِ ص ٥٣٢ . كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِنَفْسِهِ إِلَى بِلَدِ الْيَهُودِ أَنْ يُعَاقِبُوهُ بِأَنْ يَعِيشَ وَسَطَ قَوْمٍ يَدِينُونَ بِغَيْرِ دِينِهِ، وَأَرَى فِي هَذَا إِيلَامًا شَدِيدًا لَهُ وَاحْتِقَارًا لِأَفْكَارِهِ الَّتِي كَانَ يَرْغَبُ فِي نَشْرِهَا لِقَوْمِهِ الْمُسْلِمِينَ .

٧ - هُوَ: الْفُونْسُ وَيُنْطَقُ الْفُونْسُو وَأَدْفُونْسُ وَأَدْفُونْسُ وَهُوَ ابْنُ فَرْنَلَنْد، مَلِكُ قَشْتَالَةَ وَلِيُونِ؛ غَالِبًا مَا كَانَ يُوصَفُ بِالطَّاعِيَةِ لِكثْرَةِ تَصَادُمِهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي حُرُوبِهِمْ، وَمِنْ أَشْهُرِ الْمَعَارِكِ الَّتِي يَرَدُ فِيهَا ذِكْرُهُ مَوْقِعَةُ الرِّلَاقَةِ سَنَةَ ٤٧٩ هـ، اَلنَّصَرُ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا وَهَرَبَ الْفُونْسُ، وَكَانَتْ مَلُوكُ الطُّوَانِفِ بِصَالِحُونَهُ وَيُودُونَ إِلَيْهِ ضَرْبِيَّةً . انظر: ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةُ السِّيَرَاءُ ٢/٢٤٩؛ ابْنُ خَلَّكَانَ وَفَايَاتِ الْأَغْيَانِ ٥/٢٧-٢٩، ٧/١١٦-١٢٨؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/١٣، ٢٣٠؛ ابْنُ الْخَطِيبِ اللَّمَحَةُ الْبَذْرِيَّةُ ص ٥٦؛ الْمُقَرِّي تَفْجُحُ الطَّيِّبِ ٦/١٢٠-١٤٧ .

للسامية^(١). وذكر ديوارنت أن يهودا بن عزرا المتولي شؤون قصر الفونس وجّه عام ٥٤٣ هـ قوّة حكوميّة ملكيّة ضدّ اليهود الرائيين^(٢) في طليطلة، ولا تُعرف تفاصيل ما حدث، لكن طائفة اليهود الكبيرة ذلك الحين لم يُعد يُسمَع عنها خبر^(٣).

٤ - مُسَاعَدَتُهُمْ فِي تَسْلِيمِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ لِلنَّصَارَى .

وكان لليهود وجود واضح في ممالك النصارى المحيطة بالأندلس، ولا يوجد في المصادر العربيّة ما يؤكد أنهم علّونوا النصارى في حربهم مع المسلمين^(٤) إلا أن الأحداث التي رافقت معركة الزلاقة تؤكد أن العديد منهم بقي هناك لِحِرَاسَةِ الحُصُونِ والقلاع للنصارى، بالإضافة إلى تأكيد الفونس السادس في رسالته إلى ابن تاشفين بأن تاشفيني يوم السبت موعداً لمعركة الزلاقة لأنه يوم عيد بالنسبة لليهود، فلو لم يُشارك فيها هؤلاء لاقتصر استثناءه على يومي الجمعة والأحد. وينقل إبراهيم بوتشيش عن سلوش أن أربعين ألف مقاتل من اليهود شاركوا في معركة الزلاقة، لذا يتوقع أن يكون اليهود المغنيون بيوم السبت هم اليهود المرافقون لجيش الفونس، وحاول بوتشيش إعطاء البراهين للتأكيد على دورهم هذا^(٥).

وقد يكون في استخدام ملوك النصارى لعدد منهم في السفارة^(٦) دليل آخر على مكانتهم عندهم، وحين قدم على المعتمد بن عباد^(٧) (٤٨٨ هـ) السفير اليهودي ابن شاليب عام ٤٧٨ هـ

١ - انظر: ول ديوارنت قصة الحضارة ٥٤/١٤ .

٢ - الرائيين: جماعة متفلسفة من فقهاء اليهود ظهرت قديماً وكانت تُسمى الرائيون .

انظر : <http://www.palestinianforum.net/forum/showthread.php?t=27143&page=2>

٣ - انظر: ول ديوارنت قصة الحضارة ٥٥/١٤ .

٤ - ذهب بعض الباحثين إلى أن اليهود دلّوا النصارى على عورات المسلمين وانقلبوا عليهم وعلل ذلك بأنهم دائماً يمشون في ركاب من غلب لتأمين مصالحهم وخدمة أهدافهم. انظر: رجب عبد الحليم العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ص ٤٨٥ .

٥ - انظر: إبراهيم بوتشيش مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، خلال عصر المرابطين ص ١٠٩ .

٦ - انظر في البحث : ص ٣٠ - ٣٣ .

٧ - هو الملك: المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد ابن عباد، من أشهر ملوك الطوائف، وقيل أنه كان ملكاً جليلاً وعالماً وشاعراً، وأشعاره في الذروة العليا، وأشعار الناس فيه كثيرة. ملك بعد وفاة أبيه عام ٤٦٤ هـ، حكم في إشبيلية وغرب الأندلس، وفرق أبناءه على قواعد الملك، وكان ملوك الطوائف يسألونه، ويغنون في مرضاته، إلى أن ظهر يوسف بن تاشفين فخلع جميع ملوك الطوائف، وصار المعتمد كبيرهم أسيراً لديه في أعماق قرب مراكش سنة ٤٨٤ هـ إلى أن مات سنة ٤٨٨ هـ في السجن بأعماق فبكاؤ جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدايح وجزل لهم المنائح. وللمعتمد أخبار كثيرة في كتب الأدب، ومنها مع زوجته أم أولاده اعتماد الرميكية . انظر: خاقان قلاند العفيان ق ١، ج ١/٥١ - ١٠٩؛ ابن ربيعة المطرب ص ٧، ١٤ - ١٩؛ عبد الواحد المراكشي المعجب ص ١٠١ - ١٥٩؛ ابن سعيّد رايات المبرزين ٤٦ - ٤٩؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ١٥/١٩٤؛ الصفدي الوافي بالوفيات ٣/١٥١ - ١٥٦؛ الكشي قوات الوفيات ١/١١٦ - ١١٧؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٤٤؛ الحميري الروض المعطار ص ٢٨٨؛ مجهول الخلل الموشية ص ٤٢؛ المقرئ تفجّح الطيب ١/٤١٩ - ٤٢١،

٢٣/٦؛ ابن خلدون تاريخه ٤/٢٠٣؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢/٣٨٦ - ٣٩١؛ أحمد الناصري الاستقصا ٢/٣٨ .

لأخذ الجزية^(١) ظهر في لهجته ما يدل على مكانته العالية عند من أرسله، كما أنه كان واثقاً من مكانته حين قال للمُعتمد: "لا تفعل، وأنا أفدي منك بزيتي مالا". وجاء رد من أرسله حين سمع بالحادثة يؤكد هذه المكانة. ورسول ابن عباد إلى النصاري ابن مشعل كان يهودياً كذلك^(٢).

وتظهر الكتب تعاوناً ووجوداً واضحاً لليهود في ممالك النصاري؛ فالقونس السابع أحسن معاملته اليهود، وكان يستخدم طبيباً وحازناً لبית المال يهوداً، كما أنه أهدى إلى يهود إشبيلية ثلاثة من مساجد المسلمين ليجعلوها معابد لهم. ودعا الملك جيمس الأول اليهود أن يستوطنوا ميورقة وقطلونية وبلنسية^(٣)، وكثيراً ما كان يمنح المستوطنين اليهود بيوتاً وأراضي من غير ثمن، فكانت لهم في برشلونة السيطرة على التجارة في القرن الثاني عشر، وكان لهم نصف أراضيها الزراعية. أما بدرو الثالث Pedro فقد كان وزير المالية عنده يهودياً ومعه كثير من الموظفين اليهود^(٤)، ويؤكد ريموند شايندلين تعاون اليهود مع النصاري وهم ينتزعون السلطة من المسلمين معتمداً على أمور عدة، منها أنهم تركوا اليهود الموجودين في البلاطات المسلمة في مراكزهم، كما أنهم استقبلوا الفارين من اليهود إلى الشمال بالترحاب والحقوهم بالبلاط، ويرجع ريموند شايندلين سبب هذا التعاون إلى أنهم كانوا موضع ثقة النصاري أكثر من المسلمين، وكانوا على معرفة واسعة بالمناطق التي ينوي النصاري غزوها، بالإضافة إلى عدايتهم للموحدين. وكانت معرفتهم باللغة العربية أمراً لا يستغنى عنه للتعامل مع الجماهير الناطقة بالعربية ممن غدوا آنذاك تحت سيطرة النصاري، وللتفاوض مع المسلمين^(٥).

كما أن التبدل السياسي المقرون بانعدام الأمن والطمأنينة دفع جماعات من اليهود للرجيل إلى الشمال، وتؤكد هذا دراسات اليهود أنفسهم فإسرائيل شاخاك يقول: "إن وضع اليهود تدهور نوعاً ما مع قيام نظام المرابطين، وأصبح محفوفاً بالمخاطر بظل نظام الموحدين الشعبي القوي

١ - انظر مجهول الخلل المؤشيه ص ٤٢؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٤٤؛ ابن خلدون تاريخه ٢٠٣/٤؛ الجيمري الرؤف المغطار ص ٢٨٨؛ المقرئ تفح الطيب ٤٢٠/١، ٢٣/٦؛ أحمد الناصري الاستقصا ٣٨/٢.

٢ - انظر: أحمد مختار العبادي تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد: م ١٣، ١٩٦٦، ص ٨٩.

٣ - بلنسية: بالسين المكسورة، مدينة مشهورة بالأندلس شرقي تدمير وفزطبة، وبالقرب من طرطوشة، ذات أشجار وأنهار. وأهلها كانوا يسمون عرب الأندلس، يعتبرونهم أفضل أهل الأندلس وفي سنة ٦٣٦ هـ ملك الروم بلنسية صلحاً، وأكثر أبنائها بكاءها والتأسف عليها نظماً ونثراً. انظر: ابن خلكان وفيات الأعيان ٤٥٠/٣؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٤٩٠/١.

؛ الجيمري الرؤف المغطار ص ٩٧ - ١٠١؛ المقرئ تفح الطيب ١٧٥/١ - ١٧٨.

٤ - انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ٥٥/١٤.

٥ - انظر: ريموند شايندلين اليهود في إسبانيا المسلمة ترجمة: مريم عبد الباقي، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/ ٣١١.

بَعْدَ ٥٤١ هـ عِنْدَمَا نَزَحَ الْيَهُودُ نَتِيجَةَ الْاضْطِهَادِ إِلَى الْمَمَالِكِ الْإِسْبَانِيَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ، حَيْثُ كَانَتْ قُوَّةُ الْمُلُوكِ مَا نَزَالُ ضَعِيفَةً^(١). وَظَلَّ الْيَهُودُ مَتَّهَمِينَ بِالتَّجَسُّسِ لِصَالِحِ النَّصَارَى حَتَّى بَعْدَ هِجْرَتِهِمْ إِلَى الْمَغْرِبِ؛ فَأَتَتْهُمْ يَعْقُوبُ أَدِيفُ مِنْ يَهُودِ إِسْبَانِيَا بِالتَّجَسُّسِ لِصَالِحِ الْبُرْتِغَالِيِّينَ فَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَ مَدِينَةٍ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا مُقَابِلَ تَأْمِينِ قَوْمِهِ الْيَهُودِ وَحِمَايَةِ أَمْلَاحِهِمْ^(٢).

وَأَشَارَ الشُّعْرُ إِلَى تَعَاوُنِهِمْ؛ فَابْنُ الْأَبَّارِ الْقُضَاعِي (ت: ٦٥٨ هـ)^(٣) يَتَحَدَّثُ عَنْ سُقُوطِ الْأَنْدَلُسِ بِيَدِ الْأَعْدَاءِ فِي سِينِيَّتِهِ الْمَوْجَّهَةِ إِلَى أَبِي زَكَرِيَّا الْخَفْصِيِّ (ت: ٦٤٧ هـ)^(٤)، قَالَ فِيهَا^(٥): [بسيط]

يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَا بَيْعًا وَلِلنَّدَاءِ غَدَا أَتْنَاءَهَا جَرَسًا

أَرَى فِي الْبَيْتِ إِشَارَةً إِلَى دَوْرِ الْيَهُودِ فِي سُقُوطِ الْبِلَادِ بِيَدِ النَّصَارَى؛ فَالْمَسَاجِدُ أَصْبَحَتْ بَيْعًا؛ وَالْبَيْعُ هِيَ أَمَاكُنُ الْعِبَادَةِ لِلْيَهُودِ، ثُمَّ يَتَحَسَّرُ الشَّاعِرُ عَلَى حَالِ الْمَدِينَةِ بِأَبْيَاتٍ مِنْهَا^(٦): [بسيط]

مَحَا مَحَاسِنَهَا طَاغَ أَتِيحُ لَهَا مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينًا وَلَا نَعَسَا

ثُمَّ يُكْمِلُ وَصْفَهُ لِهَذَا الطَّاغِي الَّذِي مَحَا مَحَاسِنَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ، فِي قَوْلِهِ^(٧): [بسيط]

وَأَكْثَرَ الزَّرْعَ بِالتَّثْلِيثِ مُنْقَرِدًا وَلَوْ رَأَى رَايَةَ التَّوْحِيدِ مَا نَبَسَا
صَلَّ حَبْلَهَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا أَبْقَى الْمِرَاسُ لَهَا حَبْلًا وَلَا مَرَسَا
تَمَحُّو الَّذِي كَتَبَ التَّجْسِيمُ مِنْ ظَلَمٍ وَالصُّبْحُ مَاجِيَةً أَنْوَارُهُ الْغَلَسَا

١ - إِسْرَائِيلُ شَاخَاكُ الدِّيَانَةُ الْيَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ الْيَهُودِ؛ وَطَاءة ٣٠٠٠ عامٍ ص ٩٨ . وَاتَّوَقَّعَ أَنَّهُ عَنَى بِالْقُوَّةِ الضَّعِيفَةِ مُلُوكَ النَّصَارَى. فَقَدْ ذَكَرَ سَابِقًا أَنَّ نِظَامَ الْمُؤَحِّدِينَ الشَّعْبِيِّ كَانَ قَوِيًّا. وَفِي كَلَامِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ طَائِفَةَ الْيَهُودِ كَانَتْ تَحْتَاجُ إِلَى نِظَامٍ سِيَاسِيٍّ ضَعِيفٍ تَقْوَى وَتَزْدَهْرُ بِظِلِّهِ، بَيْنَمَا تَضَعُفُ فِي ظِلِّ الْأَنْظُمَةِ الْقَوِيَّةِ.

٢ - انْظُرْ: عَطَا رَبِّهِ الْيَهُودُ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ص ٦١ . ثَقْلًا عَنْ: مَارْمُولُ كَرِيخَال (ت: ٩٢٢ هـ) أَفْرِيقِيَا ٩٢/٢ تَرْجَمَةً: مُحَمَّدٌ حَجِي وَآخَرُونَ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ، الْمَغْرِبِ، ١٩٦٤ م.

٣ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَبَّارِ الْقُضَاعِي، وُلِدَ سَنَةَ ٥٩٥ هـ. بَدَأَ حَيَاتَهُ كَاتِبًا لَدَى حُكَّامِ بَلَنَسِيَّةٍ، ثُمَّ لَابَنَ أَبِي حَفْصٍ صَاحِبَ إِفْرِيقِيَّةٍ. وَحِينَ اسْتَعَاثَ زِيَّانُ بْنُ مَرْذَنْشَرٍ بِصَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةٍ أَبِي زَكَرِيَّا أَوْفَدَ عَلَيْهِ كَاتِبَهُ ابْنَ الْأَبَّارِ هَذَا يَسْتَنْجِدُهُ وَيَسْتَصْرِخُهُ لِنَصْرَةِ الْأَنْدَلُسِ، وَأَنْشَدَهُ سِينِيَّتَهُ الَّتِي قِيلَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الشُّعْرِ إِلَّا قَصِيدَتُهُ السِّينِيَّةُ لَكَانَ فِيهِ كِفَايَةٌ. وَلَمَّا ثَوَّقِيَّ ابْنَ أَبِي حَفْصٍ خَدَمَ الْمُسْتَنْصِرَ وَقَرِيبَهُ مِنْهُ، غَيَّرَ أَنَّهُ اتَّهَمَهُ بِأَنَّهُ يَهْجُوهُ، فَقَتَلَهُ وَأَحْرَقَ كَتَبَهُ، ثُمَّ أَحْرَقَ جِثَّتَهُ سَنَةَ ٦٥٨ هـ. كَانَ فَاضِلًا فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالتَّأْرِيخِ وَمَلِجَ الْأَدَابِ، وَلَهُ النُّكْمَلَةُ وَمُعْجَمُ الصَّدَفِيِّ وَثُخْفَةُ الْقَادِمِ وَإِعْطَابُ الْكُتَّابِ وَالْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ فِي أَشْعَارِ الْأَمْرَاءِ . انْظُرْ: ابْنُ خُلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَغْيَانِ ١/١٤١ - ١٤٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/٣٠٩ - ٣١٢؛ الْكُتُبِيُّ قَوَاتُ الْوَفَيَّاتِ ٢/٣٧٤ - ٣٧٦؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣/٣٣٤ - ٣٣٩، ٥/٢٦٢ - ٢٦٤، ٦/٩١، ٢١٥ - ٢١٨، ٢٥٦ - ٢٦٢؛ أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ٣/٢٠٤ - ٢٠٧ .

٤ - هُوَ سُلْطَانُ إِفْرِيقِيَّةٍ: أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ. مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٦٢٠ هـ، تَغَلَّبَ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلَّى مَكَانَهُ، وَكَانَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يَخْطُبُونَ بِاسْمِهِ. ثَوَّقِيَّ عام ٦٤٧ هـ فَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ت: ٦٧٥ هـ) قَاتِلُ ابْنِ الْأَبَّارِ .

انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/١١٨، ٢٢١؛ الْكُتُبِيُّ قَوَاتُ الْوَفَيَّاتِ ٢/٦١٤ - ٦١٥؛ ابْنُ الْخَطِيبِ لِلْمُخْتَصَرِ الْبَدْرِيَّةُ ص ٤٦؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦/٢٣٥، ٣/٨٥؛ أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتَقْصَا ٢/٢٢٨ .

٥ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦/٢١٦، وَانْظُرْ الْقَصِيدَةَ فِي: الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦/٢١٥ - ٢١٨؛ ٣/٢٠٧ - ٢١٠؛ أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ٣/٢٠٥ .

٦ - انْظُرْ الْقَصِيدَةَ فِي: الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦/٢١٦ - ٢١٧ .

٧ - نَفْسُهُ ٦/٢١٦ .

فَالطَّاعِي الَّذِي قَلَبَ أَحْوََالَ تِلْكَ الْبِلَادِ يَزْعُمُ "التَّثْلِيثَ" أَيَّ مِنَ النَّصَارَى، لَكِنَّ الْمَمْدُوحَ حِينَ يَهْبُ لِجَدَّةِ هَذِهِ الْبِلَادِ سَيَمَحُو "التَّجْسِيمَ" الَّذِي عَمَّ الْبِلَادَ الْمَكُونَةَ وَحِينَ أَجْمَعَ هَذِهِ الْمُلَاحَظَاتِ مَعَ مَعْنَى الْبَيْتِ السَّابِقِ الَّذِي يُوجِي بِأَنَّ الْمَسَاجِدَ تَحَوَّلَتْ إِلَى بَيْعٍ لِلْيَهُودِ يَتَرَجَّحُ لَدَيَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْمَعْرَكَةَ لَمْ تَكُنْ مَعَ زَاعِمِي "التَّثْلِيثِ" النَّصَارَى فَحَسَبُ، بَلْ هُنَاكَ عَدُوٌّ آخَرُ فِي الْأَبْيَاتِ وَهُمْ أَتْبَاعُ عَقِيدَةِ "التَّجْسِيمِ" الَّذِينَ عَلَا شَأْنُهُمْ بِسُقُوطِ الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، وَهُمْ الْيَهُودُ فِيمَا أَرَى .

وَكَمَا كَانُوا أَعْوَانًا وَعِيُونًا لِجُيُوشِ النَّصَارَى مِنَ الْمُتَوَقَّعِ أَنْ يَعْمَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى مُسَانَدَةِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَرْبِ الدَّائِرَةِ؛ لَكِنَّ الْمَصَادِرَ لَمْ تَأْتِ بِكَثِيرٍ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَلَا أَسْتَبْعِدُ مُشَارَكَةَ الْيَهُودِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَرْبِ أَدْلَاءً أَوْ لَاقِتَاءِ الْأَسْرَى لِيَبْعَهُمْ رَقِيقًا بَعْدَ ذَلِكَ وَلَيْسَ جِهَادًا بِالطَّبْعِ، وَلَنْ أُبَحِّثَ فِي إِخْلَاصِهِمْ أَوْ عَدَمِهِ مَا دَامَتِ الْمَصْلَحَةُ الْأَقْتَصَادِيَّةُ وَالْمَنْفَعَةُ هِيَ الدَّافِعُ الْقَوِيُّ الَّذِي يَتَوَقَّعُهُ أَيُّ بَاحِثٍ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَشَارَكَةِ لَكِنِّي لَمْ أَعَثُرْ إِلَّا عَلَى إِشَارَةٍ وَاحِدَةٍ مَقَادَهَا أَنَّهُ فِي الْجَوَازِ الرَّابِعِ لِلسُّلْطَانِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِمُقَاتَلَةِ شَانْجَةَ سَنَةَ ٦٨٤ هـ أُرْسِلَ أَحَدُ قَادَةِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ غَازِيًا، ثُمَّ عَقِدَ لَهُ إِلَى إِسْبِيلِيَّةَ لِيَكُونَ رَيْبَةً^(١) لِلْمُعَسْكَرِ، وَبَعَثَ مَعَهُ لَذَلِكَ عِيُونًا مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُعَاهِدِينَ يَعْرِفُونَ لَهُ أَخْبَارَ الطَّاعِيَةِ شَانْجَةَ^(٢)

ثَانِيًا :- حُرِّيَّتُهُمْ وَالْوِظَائِفُ الرَّسْمِيَّةُ الَّتِي تَوَلَّوْهَا فِي الْأَنْدَلُسِ.

لَمْ تَذْكُرِ الْمَصَادِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ مَعْلُومَاتٍ وَافِيَةً حَوْلَ الْوِظَائِفِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي شَغَلَهَا الدِّمِّيُّونَ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَلَا يُوجَدُ بِهَا سِوَى بَعْضِ الْإِشَارَاتِ الْمُتَنَاقِضَةِ هُنَا وَهُنَاكَ عَنْ حَالَاتٍ فَرْدِيَّةٍ تَوَلَّى فِيهَا دِمِّيٌّ عَمَلًا رَسْمِيًّا لِخَلِيفَةٍ مُسْلِمٍ مَعَ بَقَائِهِ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْأَمْرُ يَعُودُ إِلَى كَرَاهِيَّةِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَأَفْرَادِهِ أَنْ يَتَوَلَّى كِتَابِيٌّ^(٣) أَوْ مُشْرِكٌ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُمْ فَلَقَدْ حَذَرَ الشَّرْعُ مِنْ تَعْيِينِ الدِّمِيِّ فِي الْوِلَايَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَامَّةِ كَالْخِلَافَةِ وَوِزَارَةِ التَّقْوِيزِ وَقِيَادَةِ الْمُقَاتَلَةِ، الَّتِي يَشْتَرَطُ فِيمَنْ يَتَوَلَّاها الْإِسْلَامُ^(٤)، لَكِنَّهُمْ أَجَازُوا اسْتِعْمَالَ الدِّمِيِّينَ فِي الْأَعْمَالِ دُونَ الْوِلَايَاتِ الْعَامَّةِ، بِدَلِيلِ اسْتِعْمَالِ النَّبِيِّ ﷺ أَسْرَى بَذَرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِتَعْلِيمِ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْكِتَابَةِ؛ فَيُرْجَعُ أُنْدَرِيهِ مِيكَيلُ نَجَاحَ الْأَمْرَاءِ الْأَمْوِيِّينَ فِي حُكْمِهِمْ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، إِلَى اهْتِمَامِهِمْ بِأَنْ يَكُونُوا سَادَةً مُطْلَقِينَ دُونَ إِثَارَةِ فِكْرَةِ الْأَقْلِيَّاتِ أَوْ الْأَجْنَاسِ أَوْ الطَّوَائِفِ^(٥). وَلَمْ يَكُنْ هَذَا خَاصًّا بِفَتْرَةِ حُكْمِ الْأَمْرَاءِ فَحَسَبُ، بَلْ اسْتَمَرَّتْ سِيَاسَةُ الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الطَّوَائِفِ حَتَّى فِتْرَةِ مُتَأَخَّرَةٍ، وَالْأَدْلِيلُ عَلَيْهَا صُعُودُ بَعْضِ الْيَهُودِ وَوُصُولُهُمْ إِلَى مَكَانَةٍ عَالِيَةٍ. فَحَظِيَ الْيَهُودُ بِالْأَنْدَلُسِ بِحَالَةٍ مِنَ الْحُرِّيَّةِ وَالْإِزْدِهَارِ وَالتَّسَامُحِ وَأَصْبَحَتْ قِبْلَةُ الْيَهُودِ فَتَقَدَّمُوا إِلَيْهَا بِهَيْئَةٍ لَقِيتْ أَنْظَارَ أَهْلِ تِلْكَ الْعُصُورِ إِلَى حَدِّ أَنْ أَطْلُقُوا عَلَيْهَا اسْمَ "أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةِ"^(٦) تَمَثَّلَتْ بِفَتَرَاتٍ ارْتَقَى فِيهَا بَعْضُهُمْ إِلَى سِدَّةِ الْحُكْمِ فَشَارَكُوا فِي الْوِزَارَةِ، وَحَمَلَتْ بَعْضُ الشَّخْصِيَّاتِ الْيَهُودِيَّةِ لَقَبَ وَزِيرٍ، مِنْهُمْ حَسْدَايَ ابْنُ شَبْرُوطَ^(٧) وَأَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ وَأَبْنَاءُ نَغْرِبَلَةَ الْأَبِ وَالْإِبْنِ، وَثَمَّةُ شَخْصِيَّاتٌ يَهُودِيَّةٌ كَبِيرَةٌ أَحْرَزَتْ لَقَبَ صَاحِبِ الشَّرْطَةِ، مِنْهُمْ مُوسَى بْنُ عِزْرَا (ت: ٥٣٢ هـ)^(٨).

- ١ - الرِّبِيَّةُ: الْعَيْنُ وَالطَّلْبَةُ الَّذِي يَنْظُرُ لِلْقَوْمِ لئَلَا يَذْهَبَهُمْ عَدُوٌّ.
- ٢ - انْظُرْ: ابْنُ خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٢٧٥/٧. أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتِيفَاصُ ٦١/٣.
- ٣ - انْظُرْ: الْمَوَارِدِي الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ ص ١٦، وَيَعْتَمِدُونَ فِي مَنْعِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يُولَهُمْ فَيَكُنْ مِنْهُمْ فَيُلْهِمِ اللَّهُ لَهُمْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ سُورَةُ الْمَائِدَةِ، آيَةُ ٥١.
- ٤ - انْظُرْ: أُنْدَرِيهِ مِيكَيلُ الْإِسْلَامُ وَحَضَارَتُهُ ص ٢٢٨.
- ٥ - انْظُرْ: إِبْرَاهِيمُ الْعَكَّاشُ التَّرْبِيَّةُ وَالتَّعْلِيمُ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ١٨٦؛ نَقْلًا عَنْ مُحَمَّدٍ غَلَابِ الْفَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْمَغْرِبِ ص ١٩.
- ٦ - هُوَ: حَسْدَايَ بْنُ شَبْرُوطَ، سَتَرِدُ تَرْجَمَةُ لَهُ فِي مَثْنِ الْبَحْثِ: ص 215.
- ٧ - هُوَ الشَّاعِرُ الْيَهُودِيُّ: مُوسَى بْنُ عِزْرَا مِنْ أَهْلِ عَرْنَاطَةَ، قِيلَ إِنَّهُ كَانَ شَفِيقًا فِي حَيَاتِهِ، مُسْتَعْرِفًا فِي هَوَاهُ، لَهُ دِيْوَانٌ كَبِيرٌ نَعْنَى فِيهِ بِالْخَمْرِ وَالْهَوَى وَالْمَسْرَةَ عَلَى طَرِيقَةِ شِعْرَاءِ الْعَرَبِ، وَلَهُ كِتَابَانِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَوْلَ الشَّعْرِ الْعَبْرِيِّ الْمُحَاوَرَةِ وَالْمَذَاكِرَةِ وَالحَدِيقَةِ فِي مَعْنَى الْمَجَازِ وَالْحَقِيقَةِ. ضَاعَ الْأَصْلُ الْعَرَبِيُّ لِأَحَدِهِمَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَرْجُمَتُهُ الْعَبْرِيَّةُ.

وَالْأَسْبَابُ الَّتِي دَفَعَتْ إِلَى تَوَلِيَةِ الْيَهُودِ مِثْلَ هَذِهِ الْمَرَكَزِ الْبَارِزَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ غَيْرُ وَاضِحَةٍ وَمُتَدَاخِلَةٌ؛ لَكِنْ اجْتَمَعَتْ فِي الْيَهُودِ أَوَّلًا وَفِي السَّاسَةِ وَالْحُكَّامِ ثَانِيًا مُقَوِّمَاتٌ وَأَسْبَابٌ سَاعَدَتْ كَثِيرًا فِي عُلُوِّ شَأْنِ الْيَهُودِ وَوُصُولِهِمْ إِلَى قِمَّةِ الْوِزَارَةِ، فَاِمْتَنَزَ بَعْضُ الْيَهُودِ بِشَخْصِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ نَاجِحَةٍ تَمَيَّزَتْ بِذِكَاةٍ وَتَطَلُّعٍ كَبِيرٍ لِأَعْلَى الْمَنَاصِبِ فِي الدَّوْلَةِ، كَمَا أَنَّ انْخِمَاسَ الْحُكَّامِ بِالْتَرَفِ وَاللَّهُوِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَانْشِغَالَهُمْ بِالنِّسَاءِ^(١) كَانَ سَبَبًا آخَرَ، يُضَافُ إِلَى هَذَا خَوْفُ بَعْضِ الْحُكَّامِ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ سَبَبًا آخَرَ لِتَقَرُّبِهِمْ، وَلِأَنَّ الْيَهُودَ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ لَمْ يَكُونُوا مُؤَهَّلِينَ لِلْمُطَالَبَةِ بِالْحُكْمِ، فَلَمْ يَخَفِ الْحُكَّامُ مِنْ صُغُودِهِمْ كَخَوْفِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الطَّامِعِينَ فِي الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّ الْوُظَائِفَ الَّتِي كَانُوا يُسْتَعْمَلُونَ عَلَيْهَا جَعَلَتْهُمْ وَسَطَاءَ فِي تَحْصِيلِ أَمْوَالِ الدَّوْلَةِ وَسَدِّ الْعُجْزِ فِي الْخَزِينَةِ، وَيَقُولُ رِيْمُونْدُ شَايْنْدَلِين: "إِنَّ الْيَهُودَ فِي الْبِلَادِ الْمُجَاوِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَوْلٌ أَوْ جُيُوشٌ مِمَّا قَدْ يُشْكَلُ تَهْدِيدًا فَعَلِيًّا لِلدَّوْلِ الْمُسْلِمَةِ، يُضَافُ إِلَى هَذَا أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يِعْتَمِدُونَ عَلَى الْحُكُومَةِ عَادَةً لِحِمَايَتِهِمْ مِنَ الْمُتَطَرِّفِينَ دِينِيًّا وَالْعَامَّةِ، لِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَلَاطِ ارْتِبَاطٌ طَبِيعِيٌّ"^(٢).

وَلَخَّصَ ابْنُ حَزْمَ بَعْضَ هَذِهِ الْمُقَوِّمَاتِ بِدُعَائِهِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ إِحْدَى رِسَائِلِهِ بِقَوْلِهِ: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ تَشَاغُلَ أَهْلِ الْمَمَالِكِ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا بِدُنْيَاهُمْ عَنْ إِقَامَةِ دِينِهِمْ، وَبِعِمَارَةِ قُصُورٍ يَتْرُكُونَهَا

انظر: رحي كمال دُروس في اللغة العبرية ص ٤٩؛ ريموند شايندلين اليهود في إسبانيا المسلمة ترجمة: مريم عبد الباقي، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/٣٠٨، ٣٠٥؛ ول ديورانت قصة الحضارة ١٤/٩٩؛ أنخل جُنَالْت بالنشأ تاريخ الفكر الأندلسي ص ٤٩٨-٤٩٩؛ أحمد شحان من الأدب العربي - العبري؛ أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرة وكتابه: المحاضرة والمذاكرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ع ١٠٤، ١٩٨٤ م، ٦٥-٧٥.

١ - انظر: الأمير عبد الله التتبان ص ٨٥؛ ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٣/٢٦٥.

٢ - ريموند شايندلين اليهود في إسبانيا المسلمة ترجمة: مريم عبد الباقي، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/٣٠٥.

عَمَّا قَرِيبَ عَن عَمَارَةَ شَرِيعَتِهِمُ الْلاَزِمَةَ لَهُمْ فِي مَعَادِهِمْ وَدَارِ قَرَارِهِمْ،... حَتَّى اسْتَشْرَفَ لِذَلِكَ أَهْلَ الْقَلَّةِ وَالْذِمَّةِ، وَأَنْطَلَقَتْ أَلْسِنَةُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشَّرْكِ...، كَالْيَهُودِ الَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ شَيْئًا مِنَ الْحِيلِ وَلَا اتَّاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَإِنَّمَا شَأْنُهُمُ الْغِشُّ وَالتَّخَابُثُ وَالسَّرَقَةُ" (١). فَضَعُفُ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ بِجَانِبِ ذِكَاةٍ وَمَكْرِ الْيَهُودِ كَانَ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ ارْتِفَاعِ شَأْنِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ .

وَقَدْ أَكَّدَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الْأَسْبَابَ بِقَوْلِهِ عَنِ ابْنِ نَغْرِيَّةَ: "وَكَانَ الْيَهُودِيُّ مِنَ الْكَيْسِ وَالْمُدَارَاةِ لِلنَّاسِ مَا طَابَقَ الزَّمَانَ الَّذِي كَانُوا فِيهِ وَالْقَوْمَ الَّذِي يَرُومُونَهُمْ. فَاسْتَعْمَلَهُ بَادِيسُ لِذَلِكَ اسْتِيحَاشًا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمَّا كَانَ يَرَى مِنْ طَلَبِ بَنِي عَمِّهِ لَهُ، وَلَآنَ هَذَا يَهُودِيٌّ ذِمِّيٌّ، لَا تَشْرَهُ نَفْسُهُ إِلَى وَلَايَةٍ، وَلَا هُوَ أَنْدَلُسِيٌّ، فَيَتَّقِي مِنْهُ إِدْخَالَ دَاخِلَةٍ مَعَ غَيْرِ جَنْسِهِ مِنَ السَّلَاطِينِ، وَلَا خِتْيَاجِهِ إِلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي يُطْبِي (٢) بِهِ بَنِي عَمِّهِ، وَيُحَاوِلُ بِهَا أَمْرَ الْمَلِكِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ مِثْلِهِ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يُدْرِكُ مَعَهَا الْأَمَالَ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى مُسْلِمٍ فِي حَقٍّ وَلَا بَاطِلٍ، لِأَنَّ الرِّعَايَا أَكْثَرُهُمْ بِتِلْكَ الْبُلْدَةِ، وَالْعُمَّالُ إِنَّمَا كَانُوا يَهُودًا؛ فَكَانَ يَجْبِي مِنْهُمْ الْأَمْوَالَ وَيُعْطِيهِ؛... يَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا يَمْلَأُ بِهِ بَيْتَ الْمَالِ؛ وَإِقَامَةُ أَوْدِ الْمَمْلَكَةِ أَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ" (٣). يُضَافُ إِلَى هَذَا رَغْبَةُ السَّلَاطِينِ فِي تَأْدِيبِ الْعَامَّةِ كَمَا حَدَّثَ مَعَ عَبْدِ الْحَقِّ الْمُرِينِيِّ (ت: ٨٦٩هـ) (٤) الَّذِي أَسْنَدَ مَنْصِبَ الْوِزَارَةِ إِلَى الْيَهُودِيِّينَ هَارُونَ وَشَاوِيلَ تَأْدِيبًا لِنَشْعِهِ وَتَشَفُّيًا مِنْهُمْ بَعْدَ مَا نَمَّا إِلَيْهِ أَنَّ الْعَامَّةَ وَكَثِيرًا مِنَ الْخَاصَّةِ قَدْ نَقَمُوا عَلَيْهِ إِيقَاعَهُ بِالْوِطَاسِيِّينَ قَوْلَى عَلَيْهِمُ الْيَهُودِيِّينَ الْمَذْكُورِينَ (٥). وَبَعْدَ مَذْبَحَةِ عَرْنَاطَةَ لِلْيَهُودِيِّ وَأَتْبَاعِهِ، أُرْسِلَ بَادِيسُ فِي طَلَبِ عَامِلٍ قَدِيمٍ عِنْدَهُ هُوَ أَبُو الرَّبِيعِ النَّصْرَانِيُّ مِنْ دَانِيَّةَ؛ إِذْ كَانَ بِهَا مِنْ وَقْتِ قَتْلِ الْيَهُودِيِّ، قَوْلَاهُ (٦)؛ وَبَدَّلَ بَادِيسُ الْوَزِيرَ الْيَهُودِيَّ الْمَذْبُوحَ بِوَزِيرٍ نَصْرَانِيٍّ انْتِقَامًا.

وَلَمْ يَأْتِ الْقَوْلُ بِإِزْدِهَارِ الْجَمَاعَاتِ الْيَهُودِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ فَحَسَبَ، بَلْ تَرَدَّدَ هَذَا الْقَوْلُ فِي كُتُبِ غَيْرِ الْعَرَبِ حَتَّى عِنْدَ الْيَهُودِ أَنْفُسِهِمْ. فَأَشَادَ بِذَلِكَ جُوسْتَاَفُ لُوبُونُ بِقَوْلِهِ إِنَّ إِسْبَانِيَا الْعَرَبِيَّةَ كَانَتْ الْبُلْدَ الْأُورُوبِيَّ الْوَحِيدَ الَّذِي تَمَتَّعَ الْيَهُودُ فِيهِ بِحِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَرِعَايَتِهَا (٧).

١ - ابن حَزْمٍ رَسَائِلُهُ ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النَّغْرِيَّةِ الْيَهُودِيِّ ٤١/٣ - ٤٢ .

٢ - يُطْبِي عَنْ الْأَمْرِ: يَصْرِفُهُ . ابن مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [طَبِي] ٣/١٥ .

٣ - الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ التَّنِيَّانُ ص ٣١ - ٣٢ .

٤ - هُوَ السُّلْطَانُ: أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَانُ الْمُرِينِيُّ (٨٢٣ - ٨٦٩هـ) أَخْرَجَ مُلُوكَ بَنِي عَبْدِ الْحَقِّ مِنْ بَنِي مُزَيْنَ، وَهُوَ أَطْوَلُهُمْ مُدَّةً وَأَعْظَمُهُمْ مَخَنَةً وَشِدَّةً . انْظُرْ: أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتِغْفَا ٩٥/٢ - ١٠٠ .

٥ - انْظُرْ: أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتِغْفَا ٩٨/٤، وَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ الْحَقِّ حَالَةً شَاذَةً فِي تَوَلِّيَةِ الْيَهُودِ وَتَقْرِيبِهِمْ؛ فَقَدْ أَسْنَدَ قَبْلَهُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ وَمِثْلُهُ حَفِيدُهُ سُلَيْمَانُ الْحِجَابَةُ إِلَى الْيَهُودِيِّينَ خَلِيفَةً بَنَ حَيُّونَ وَخَلِيفَةً إِبْرَاهِيمَ أَبْنَاءَ رِقَاصَةَ .

انْظُرْ: إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَحْمَرِ رَوْضَةُ النَّسْرِينَ ص ٢١، ٢٣ .

٦ - انْظُرْ: الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ التَّنِيَّانُ ص ٦٦ .

٧ - انْظُرْ: جُوسْتَاَفُ لُوبُونُ حَضَارَةُ الْعَرَبِ ص ٢٩٦ .

ويعترف إسرائيل شاحاك أنه لم تحظ الطائفة اليهودية في أي بلد آخر غير إسبانيا وبولندا بسُلطات هائلة على اليهود، بما في ذلك سلطة الحكم^(١). لكن الازدهار لم يدم، ويورخ ول ديورانت بداية تدهور يهود إسبانيا من سقوط الوزير اليهودي يوسف بن نجدا [تغريلا] الذي جمع السلطة كلها في يده^(٢)، ثم جاء الموحدون فخير الأمير يوسف يهود إسبانيا أن يعتنقوا الإسلام، أو يرحلوا. كما خير الملك سيزيوت القوطي اليهود قبل خمسمائة وخمسة وثلاثين عاماً من ذلك الوقت بين التناصر أو الخروج من البلاد، فظاهر كثير من اليهود باعترافهم بالإسلام وهاجر كثير منهم مع النصاري إلى شمال إسبانيا^(٣). وخلال وجود اليهود في المجتمع الأندلسي ظهر لهم دور بارز في الحياة السياسية في نواح منها الكتابة والوزارة والسفارة، وفق التفصيل التالي:

١- في الكتابة.

قسم المقرئ ممتنني الكتابة في الأندلس إلى ضربين: أغلاهما كاتب الرسائل، وأشرف أسمائه الكاتب. والثاني كاتب الزمان أو كاتب الجبهة، واشترطوا أن لا يتولاه نصراني أو يهودي البتة؛ إذ هذا الشغل نبيه يحتاج إلى صاحبه عظماء الناس ووجوههم^(٤). لكن لم يتقيد الأندلسيون بهذا الشرط، فوّلوا الكتابة يهودياً ونصرانياً أحياناً، لكن العامة لم تكن تقبل هذا بسهولة؛ ففيمما يروى عن الأمير محمد (ت: ٢٧٣هـ)^(٥) أنه أقام القومس ابن أنتنيان النصراني^(٦) على الكتابة عنده، حين أقدت سابقه عبد الله بن أمية^(٧) علة عن الركوب أعواماً، فلما توفي عبد الله، قال الأمير محمد: لو أن القومس كان مسلماً ما استبدلناه، فلما بلغه الخبر أشهد على إسلامه، فوّل الكتابة. فعاب عليه وزيره هاشم^(٨) ذلك بقوله: "إن من عجائب الزمان أن يكون صاحب قلم بني أمية الأعلى وكاتبهم القومس النصراني، فالمشتكى من هذا إلى الله تبارك وتعالى. فما كان منه إلا أن غيرهُ مع أنه كان يأوي

١ - انظر: إسرائيل شاحاك الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ص ١٠٢-١٠٣.

٢ - انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ٥٣/١٤.

٣ - انظر: نفسه ٥٤/١٤.

٤ - انظر: المقرئ تفتح الطيب ٢٠٨/١، وانظر حكم استكتاب أهل الكتاب: مجهول منهاج الصواب في استكتاب أهل الكتاب ص ٢٥-٣٩.

٥ - هو الأمير: محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، خامس أمراء بني أمية في الأندلس. انظر: ابن حيان المفتبس ص ١٠٢-١٣٤.

٦ - هو: القومس ابن أنتنيان النصراني، كاتب الرسائل للأمير محمد، وهو أول من سن لكتاب السلطان وأهل الخدمة تعطين الخدمة في يوم الأحد من الأسبوع والتخلف عن الحضور إلى قصر الأمير، وكان نصرانياً دعا إلى ذلك لئسكه فيه، فتبعه جميع الكتاب طالبيين الاستراحة من تعبهم وللنظر في أمورهم فأصبحت سنة. انظر: ابن حيان المفتبس ص ١٣٨، ١٤٢.

والقومس: الملك الشريف أو السيد وهو لقب لرجل الدين عند النصاري. ابن منظور لسان العرب [قسم] ١٨٣/٦.

٧ - هو: عبد الله بن أمية بن يزيد بن حوثره مولى معاوية بن يزيد بن عبد الملك. انظر: ابن حيان المفتبس ص ٣١.

٨ - هو الوزير: هاشم بن عبد العزيز، يكنى أبا خالد أخو القاضي أسلم بن عبد العزيز، معروف بفضل وأدبه وذكائه الشديد وفطنته، عمل عند الأمير محمد السابق ذكره، وكان يراجع ويدقق حسابات العمال.

انظر: ابن حيان المفتبس ص ١٣٥-١٥١؛ الضبي بغية الملتبس ٦٥٢/٢؛ ابن الأبار الخلعة السيرة ١٣٧/١-١٤٢.

إلى عقل تقيف مع بلاغته وقيامه بالخدمة" (١). وبفهم من الرواية أنهم لم يؤلوا على هذه الوظيفة إلا مسلماً
لذا كان قول الأمير: "لو أن القوم من كان مسلماً ما استبدلناه"، فأسلم حتى يتولاها، ومع أنه أعلن إسلامه إلا
أنهم ظلوا يشككون من توليته. ولم يشترطوا إسلامه فيما بعد فولي إسماعيل بن تغريلق وابنه يوسف مثلاً مع
احتفاظهم بدينهم (٢).

٢- في الوزارة والسفارة .

لم يكتف اليهود بدورهم النشط بصفتهم مستشارين وسفراء في الأندلس (٣) بل وصلوا إلى رئاسة
الوزارة، منهم الطبيب اليهودي حسداي بن شبروط الذي سطر نجمه في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-
٣٥٠هـ) (٤)، فذكر ابن عذاري أن الناصر أرسله مع محمد بن حسين سنة ٣٤٥هـ إلى أردون بن رديمير ملك
جليقية (٥)، يعرض عليه الصلح (٦). إلا أن ابن عذاري وغيره لم يذكروا سفارات أخرى له، مع أن فترة عمله
(٣٣٣-٣٥٩هـ) شهدت سفارات عديدة لعدد من دول أوروبا (٧).

وأراه غريباً أن لا يذكر ابن شبروط بين هذه السفارات وقد امتلك كثيراً من مقومات السفارة، فهو
الوزير الأثير عند الناصر، كما أنه يعرف عدة لغات. وذكر السيد سالم أن الناصر أرسله في مهمة دبلوماسية
علاجية إلى الملكة طوطة Toda Aznares (٢٧١-٣٥٩هـ) (٨) الوصية على عرش نقارة Navarra لمعالجة
حفيدها شانجة السمين fat Sancho The (٣١٢-٣٥٩هـ) من سمنته المفرطة

١ - انظر: ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ص ٩٥ ؛ انظر: ابن حيان المفتبس ص ١٤٢ .

٢ - سيرد حديث طويل عنهم . انظر في البحث : ص ٢٧٨ - ٢٨٩ .

٣ - انظر: ج. س. كولان الأندلس ص ٩٦ - ٩٧ .

٤ - هو الخليفة أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المزواني (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) لقب نفسه أمير المؤمنين الناصر لدين الله. وكان كبير
القنر كثير المحاسن أنشأ مدينته الزهراء عام ٣٢٥هـ، وكانت دولته خمسين سنة. انظر: الضبي بغية المنتمس ٣٩/١ ؛ ابن الأبار الخلة
السيارة ١٩٧/١ - ٢٠٠ ؛ ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ١٥٦/٢ - ٢٢٣ ؛ ابن سعيدي المغرب ١٧٩/١ - ١٨٦ ؛ الذهبي سير أعلام
النبل ٢٦٥/٨ - ٢٦٩ ؛ المقرئ تفح الطيب ٣٤٨/١ - ٣٦٥ ؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٤٨/١ ، ٣/٢ - ٥ .

٥ - جليقية: بكسرتين واللام مشددة وياء ساكنة وقاف مكسورة وياء مشددة وهاء، مدينة قرب ساحل البحر المحيط من ناحية الشمال الغربي
للأندلس. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ١٥٧/٢ ؛ الحميري الروض الميفطار ص ١٦٩ .

٦ - انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٢٢١/٢ .

٧ - من هذه السفارات: جاءت رسل قسطنطين بن ليون صاحب قسطنطينية سنة ٣٣٦هـ، واحتفل الناصر لإدوهم وبعث معهم رسلاً، ورجع الرسول
بعد سنتين ومعه رسل قسطنطين، وجاءت رسل من هوثو ملك الصقالية سنة ٣٤٢هـ، ورسول آخر من ملك الألمان، ورسول آخر من أوقه ملك
الإفرنجية، وآخر من كدلة ملك الإفرنجية بقاصية المشرق، وبعث مع رسل الصقالية ربيعا الأسقف إلى ملكهم هوثو ورجع بعد سنتين، وجاء رسول
أردون سنة ٣٤٤هـ يطلب السلم فعقد له ثم بعث سنة ٣٤٥هـ يطلب إدخال فيرنلند قومس مشيلة في عهده فأذن له . انظر: ابن عذاري المراكشي
البيان المغرب ٢١٥/٢ ، ٢١٨ ؛ المقرئ تفح الطيب ٣٥٠/١

٨ - هما: طوطة ملكة البشكنس بنبلوثة (شرق ليون)، وحفيدها شانجة ملك ليون، لما هلك عرسية بن شانجة ملك البشكنس قام بالأمر بعده أمه
طوطة وكفلت ولده ثم انتقضت على الناصر سنة ٣٢٥هـ، فعزا الناصر بلادها ورد مملكتها لحكمه، ثم انتقض على شانجة أهل جليقية، فلجأت طوطة
إلى الناصر وجاءته للصلح سنة ٣٤٧هـ فعقد لابنها عرسية على بنبلوثة، وأعاد حفيدها شانجة إلى ملكه ونصره على عدوه.
انظر: المقرئ تفح الطيب ٣٤٨/١ - ٣٥١ .

فَنَجَحَ فِي مَهْمَّتِهِ، وَكَانَ لِذَلِكَ أَطْيَبُ الْأَثَرِ فِي نَفْسِ الْمَلِكَةِ طُوطَةَ وَحَفِيدِهَا، كَمَا يَرَى السَّيِّدُ سَالِمٌ، فَوَفَّادًا إِلَى قَرْطُبَةَ سَنَةِ ٣٤٧هـ^(١) يَلْتَمِسَانِ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يُسَاعِدَ شَانِجَةَ عَلَى اسْتِرْجَاعِ عَرْشِهِ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا النَّاصِرُ اسْتِقْبَالًا خَافِلًا، وَعَقَدَ الصُّلْحَ لِشَانِجَةَ وَجَدَّتِهِ وَسَاعَدَهُ حَتَّى اسْتَرَدَّ عَرْشَ لِيُون سَنَةِ ٣٤٩هـ^(٢). وَكَانَتْ سِفَارَةُ حَسْدَايَ كَثِيرَةً الْأَهْدَافِ حَتَّى إِنَّهُ عَمِلَ عَلَى رِعَايَةِ مَصَالِحِ الْمُجْتَمَعِ الْيَهُودِيِّ عَامَّةً. وَهَذَا وَاضِحٌ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى هِيلِينَا زَوْجَةِ الْإِمْبَرَاطُورِ قُسْطَنْطِينِ، يَطْلُبُ مِنْهَا حِمَايَةَ يَهُودِ بِيْزَنْطَةَ مِنَ الْاضْطِهَادِ^(٣). وَلِنَجَاحِهِ فِي السَّفَارَةِ تَرَقَّى وَقَرَّبَهُ النَّاصِرُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى رِئَاسَةِ الْوِزَارَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ حَسْدَايَ الْيَهُودِيِّ الْوَحِيدَ الَّذِي عَمِلَ فِي السَّفَارَةِ؛ فَقَدْ أُرْسِلَ الْيَهُودِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَغْقُوبَ إِلَى أَوْرُوبَا بِمَهْمَةٍ دِبْلُومَاسِيَّةٍ إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ أُوْتُو الْأَوَّلِ^(٤)، وَكَذَلِكَ بَلَغَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ مَكَانَةً عَالِيَةً لَدَى مُلُوكِ بَنِي هُودَ الثَّلَاثَةِ: الْمُقَدَّرِ (٤٣٨هـ - ٤٧٣هـ) وَالْمُؤْتَمِنِ (٤٧٣هـ - ٤٧٧هـ) وَالْمُسْتَعِينِ (٤٧٧هـ - ٥٠٣هـ)^(٥) فِي سَرْقُسْطَةَ^(٦)، وَعَمِلَ يُوسُفُ بْنُ الْفَخَّارِ الْيَهُودِيُّ سَنَةَ ٥٨٧هـ رَسُولًا عَنْ مَلِكِ قَشْتَالَةَ فِي تَثْبِيْتِ الْمُهَادَنَةِ مَعَ الْمَنْصُورِ (ت: ٥٩٥هـ)^(٧) بَعْدَ ظَفَرِهِ بِإِسْبِيلِيَّةِ^(٨)، وَفِي رِسَالَةٍ لِلْوَزِيرِ أَبِي الْمُغِيرَةِ بْنِ حَزْمٍ (ت: ٤٣٨هـ)^(٩) تَحَدَّثَ عَنِ يَهُودِيٍّ أَوْصَلَ كِتَابًا لَهُ^(١٠). وَكَذَلِكَ سَادَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَخَّارِ الْيَهُودِيُّ^(١١) فِي طَلَيْطَلَةَ وَصَارَ

١ - قُدُومُهُمَا لِلنَّاصِرِ كَانَ عَامَ ٣٤٤هـ عِنْدَ الْمَقَرِّيِّ، لَكِنِ السَّيِّدُ عَبْدُ الْعَزِيزِ سَالِمٌ يَذْكُرُ أَنَّهُ عَامَ ٣٤٧هـ مَعَ أَنْ مَرَجَعَهُ الْمَقَرِّيُّ، وَبَحِثْتُ فِي الْمَقَرِّيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَرَاجِعِ الْعَرَبِيَّةِ عَنْ مَعَالِجَةِ ابْنِ حَسْدَايَ لِشَانِجَةَ السَّمِينِ فَلَمْ أَعَثُرْ عَلَيْهَا .

٢ - انْظُرْ: الْمَقَرِّيُّ تَفْجِ الطَّيْبِ ٣٤٩/١، ٣٥١؛ ابْنُ خَلْدُونٍ تَارِيخُهُ ١٨٠/٤ - ١٨٢؛ السَّيِّدُ عَبْدُ الْعَزِيزِ سَالِمٌ قَرْطُبَةُ خَاضِرَةُ الْخَلِيفَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٧٠ ؛ Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 437, 442

٣ - انْظُرْ: رِيْمُونْدُ شَايَنْدَلِينِ الْيَهُودِ فِي إِسْبَانِيَا الْمُسْلِمَةِ تَرْجُمَةٌ: مَرْيَمُ عَبْدُ الْبَاقِي. بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجِيُوسِي ١/ ٣٠٤ .

٤ - انْظُرْ: روبرت هيلنبراند زِينَةُ الدُّنْيَا: قَرْطُبَةُ الْقَرْوَسُطِيَّةُ تَرْجُمَةٌ: عَبْدُ الْوَاحِدِ لَوْلُؤَةُ، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجِيُوسِي ١/ ١٩٧ - ١٩٨ ؛ زِيغَرِيدُ هُونَكَةُ شَمْسُ الْعَرَبِ تَسْطُغُ عَلَى الْغَرْبِ ص ٢٩، ٢١ .

٥ - هُمُ مُلُوكُ سَرْقُسْطَةَ: أَبُو جَعْفَرِ الْمُقَدَّرِ أَحْمَدُ بْنُ سَلِيمَانَ، عَمِيدُ بَنِي هُودٍ وَرِئِيسُهُمْ ذُو الْغُرَوَاتِ الْمَشْهُورَةِ، اسْتَرْجَعَ بَرْبَ شَتْرَ مِنْ النَّصَارَى عَامَ ٤٥٦هـ، مَلِكٌ دَانِيَّةٌ وَأَخْرَجَ مِنْهَا إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ عَلَيَّابَ بْنَ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ عَامَ ٤٦٨هـ. تُوُفِّيَ ٤٧٥هـ بَعْدَ أَنْ قَسَمَ أَمْلَاكَهُ بَيْنَ ابْنَيْهِ يُوسُفَ وَالْمَنْدَرِ، فَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُؤْتَمِنُ، وَيُقَالُ لَهُ الْمُسْتَعِينُ الْأَصْغَرُ فَكَانَ خَيْرَ خَلَفٍ عَنْ أَبِيهِ حَامِيًا لِمُلْكِهِ مُجَاهِدًا لِعَدُوِّهِ مَلَاذًا لِلْأَدْبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَبِهِ اسْتَجَارَ ابْنُ عَمَّارٍ مِنْ ابْنِ عَبَّادٍ. انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخِيرَةُ ٣، م ٤٥٨/١ - ٤٥٩؛ ابْنُ الْأَثَرِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ١٤٩/٢، ٢٤٧ - ٢٤٨؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/ ٤٠٥، ٤٠١/٢، ٤١٩، ٤٣٥ - ٤٣٦؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيِّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ٣/ ٢٢٥ - ٢٣٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/ ٤٠٥، ٤٠١/٢، ٤١٩، ٤٣٥ - ٤٣٦؛ الْمَقَرِّيُّ تَفْجِ الطَّيْبِ ٤/ ٣٥٩.

٦ - سَرْقُسْطَةَ: بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَثَانِيهِ ثُمَّ قَافٍ مَضْمُومَةٍ، بَلَدَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ قَرِيبَةٌ مِنْ ثَطْلَيْةَ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى نَهْرٍ كَبِيرٍ. أَخَذَهَا الْإِسْبَانُ مِنَ الْعَرَبِ سَنَةَ ٥٢١هـ. يَأْقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢١٢/٣ - ٢١٣؛ الْإِنْدَرِيسِيُّ تَرْهُةُ الْمُشْتَقَاتِ ٥٥٤/٢ .

٧ - هُوَ السُّلْطَانُ: يَغْقُوبُ الْمَنْصُورُ أَبُو يُوسُفَ ابْنِ السُّلْطَانِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُوحِدِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٥٤هـ، وَلِيَ خِلَافَةَ الْمُوحِدِينَ سَنَةَ ٥٨٠هـ وَحَكَمَ بِلَادَ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَتُوُفِّيَ ٥٩٥هـ، كَانَ قَصِيحًا، مَوْنِيًّا، وَعَلَيْهِ جَلَالَةُ الْمُلُوكِ وَصَفُهُ الْمَرَاكِشِيُّ أَنَّهُ كَانَ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِ مُؤَثِّرًا لِلْعَدْلِ، وَكَانَ يَتَوَلَّى الْإِمَامَةَ بِنَفْسِهِ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَيَجْمَعُ الرِّكَاعَةَ، وَيُفَرِّقُهَا بِنَفْسِهِ. أَرْجَعَ بَعْضًا مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَيْدِي الْإِفْرَنْجِ، وَفِي سَنَةِ ٥٩٠هـ انْتَصَرَ فِي مَوْقِعَةِ الْأَرْكِ، فَأَرْسَلَ الْفُؤُسَ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمُهَانَةَ عَشْرَ سِنِينَ. انْظُرْ: الدَّهْلِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢ ٣١٧/١؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكِشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٣٣٣ - ٣٣٤؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيِّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ - قِسْمُ الْمُوحِدِينَ - ص ١٧٠ - ٢٣٥؛ ابْنُ خَلْكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَغْيَانِ ٣/٧؛ ابْنُ الْخَطَّابِ اللَّحْمَةُ الْبَذْرِيَّةُ ص ٣٥؛ ابْنُ عَمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢/ ٣٢١ .

٨ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيِّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ - قِسْمُ الْمُوحِدِينَ - ص ٢١٣ .

٩ - هُوَ : الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو مُغِيرَةَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ حَزْمٍ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ بَسَّامٍ إِنَّهُ امْتَرَحَ بِمُلُوكِ الْعَصْرِ امْتِرَاجَ الْمَاءِ بِالْخَمْرِ، وَلَوْ طَالَ مَدَاهُ لَمْ يَذْكُرْ مَعَهُ سِوَاهُ وَلَا عَرَفَ بِتَفْضِيلِهِ أَجِبَّةً وَعِدَاهُ. التَّحْقِيقُ فِي بِلَادِ النَّحْرِ وَكُتِبَ عَنْ عِدَّةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَأَلْفَ عِدَّةٍ ثَوَالِفَ، وَشَجَرَ الْأُمَرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ الْفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ وَجَزَى بَيْنَهُمَا مَا يَسَحَرُ الْأَلْبَابَ وَيُبْهَرُ الشُّعْرَاءَ وَالْكَتَّابَ . انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخِيرَةُ ١، م ١٣٢/١ - ١٩٠؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/ ٣٥٧؛ الْمَقَرِّيُّ تَفْجِ الطَّيْبِ ٢/ ١٥٠ - ١٥٣ .

١٠ - انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخِيرَةُ ١، م ١٦١/١ .

رَسُولًا عِنْدَ مَلِكِهَا الْفُونْسُ الْعَاشِرِ إِلَى مُلُوكِ الْعَرَبِ^(٢)، وَسَفَرَ الْيَهُودِيُّ ابْنُ شَالِبِ بْنِ الْفُونْسِ وَالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادِ^(٣)، كَمَا كَانَ رَسُولُ ابْنِ عَبَّادٍ إِلَيْهِ يَهُودِيًّا كَذَلِكَ يُعْرِفُ بِابْنِ مِشْعَلِ^(٤). وَحِينَ أُخِذَتْ بِلَنْسِيَّةِ سَنَةِ ٤٨٧ هـ مِنْ أَيْدِي الْمَرَابِطِيِّينَ قَتَرَةً فَأَوْضَعَ ابْنُ رُذَمِيرَ مَلِكَ الْأَرَاغُونِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ حَاصَرَهُمْ بِالْقَصْرِ، كَانَ سَفِيرُهُ إِلَيْهِمْ وَزِيرًا يَهُودِيًّا جَعَلَ فِدْيَتَهُمْ مِائَتِي أَلْفٍ مِنْ ثِقَالٍ بَدَلًا مِنْ سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ^(٥). وَلَمْ يَكْتَفِ الْيَهُودُ بِالنَّشَاطِ الرَّسْمِيِّ بَيْنَ الْأَنْدَلُسِ وَمَا يُجَاوِرُهَا مِنْ مَمَالِكِ النَّصَارَى، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي سِفَارَاتِ ابْنِ حَسْدَايَ الْمَذْكُورَةِ سَابِقًا، وَأَشَارَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَظْهَرٌ إِلَى أَنَّ الرَّحَّالَةَ إِبْرَاهِيمَ الْإِسْرَائِيلِيَّ الطَّرُطُوشِيَّ (ت: ٣٥٦ هـ)^(٦) شَارَكَ فِي تَطَوُّرِ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ حُكُومَةِ قُرْطُبَةَ وَبَيْنَ أَوْرُوبَا بِصِفَةِ غَيْرِ رَسْمِيَّةٍ أَوْ شِبْهِ رَسْمِيَّةٍ، وَكَانَتْ سِفَارَاتُهُ مُقَابَلَاتِ شَخْصِيَّةٍ خَاصَّةٍ وَمَحْدُودَةٍ، التَّقَى بِهَا الطَّرُطُوشِيُّ بِالْبَابَا يُوَحْنَا الثَّانِي عَشَرَ فِي رُومَا سَنَةِ (٣٥٠ هـ) وَكَذَلِكَ تَقَابَلَ مَعَ الْإِمْبَرَاطُورِ هُوتُو الْأَوَّلِ عَامَ (٣٥٤ هـ) فِي مَدِينَةِ مَذْنَبَرَجِ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَامَ (٣٥٦ هـ)^(٧).

-
- ١ - سَتَرْدُ تَرْجَمَةٌ لَهُ فِي مَثْنِ الْبَحْثِ: ص ٢٢٧ .
 - ٢ - انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢٣/٢ ؛ الْمَقْرِي تَفْجِ الطَّيِّبِ ٧٤/٥ .
 - ٣ - انْظُرْ: مَجْهُولُ الْخُلَلِ الْمُوَشَّيَةِ ص ٤٢ .
 - ٤ - انْظُرْ: أَحْمَدُ مَخْتَارُ الْعَبَادِي تَارِيخُ الْأَنْدَلُسِ لِابْنِ الْكَزْذَبُوسِ وَوَصْفُهُ لِابْنِ الشَّيْبَانِ صَحِيفَةُ مَعْدِ الدَّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَنَرِيد: مَج ١٣ ، ١٩٦٦ م، ص ٨٩ .
 - ٥ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرْكَشِيِّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ٤١/٤ .
 - ٦ - هُوَ الرَّحَّالَةُ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ الْإِسْرَائِيلِيَّ الطَّرُطُوشِيَّ أَوْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّرُطُوشِيَّ قَدْ يَكُونُ مُسْلِمًا مِنْ أَصْلٍ يَهُودِيٍّ أَوْ أَنَّهُ عَبْدٌ وَتَاجِرٌ، قَامَ بِرَحْلَةٍ إِلَى أَوْرُوبَا عَامَ ٣٤٨ هـ .
 - انْظُرْ: زَيْغَرِيدُ هُونَكَةُ شَمْسُ الْعَرَبِ تَسْطَعُ عَلَى الْعَرَبِ ص ٢٩، ٢١؛ أُولِيْفِيَا رِيْمِي كُونِسْتَبِلِ التَّجَارَةُ وَالتَّجَارُ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ١٤٧؛ مَجْهُولُ الرَّحَّالَةِ الْأَنْدَلُسِيِّ الطَّرُطُوشِيَّ ، مَجَلَّةُ كَلِّيَّةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ بَغْدَادَ ، ع ٢٠٦ ، ١٩٧٦ م ، ص ١٧١ - ١٨٤ .
 - ٧ - انْظُرْ: عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَظْهَرٌ أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ خِلَالَ الْخُلُفَاءِ الْأُمَوِيِّ ص ٤٧ .

وَلَمْ تَكُنْ سِفَارَةُ الْيَهُودِ سَهْلَةً، بَلْ كَثِيرًا مَا تَعَرَّضَ السَّفِيرُ لِلْإِهَانَةِ أَوْ الْقَتْلِ أَوْ حَمْلِ رِسَالَاتٍ تَحْوِي أَلْفَظًا مُهَيِّنَةً، وَقَتْلُ الْمُعْتَمِدِ لَابْنِ شَالِيبٍ مِثَالٌ عَلَى هَذَا^(١). وَمِثْلُهَا حِينَ وَصَلَ الْيَهُودِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ زُرُّورٍ (ت: ٧٦١هـ)^(٢) إِلَى عَرْنَاطَةَ وَبَيَّدهُ كِتَابٌ مِنَ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ (ت بعد: ٧٦٣هـ)^(٣) سَلَّمَ لَابْنَ الْخَطِيبِ. وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ فَرَّ إِلَى حَفِيدِ الْفُونُسِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ لَابْنَ الْخَطِيبِ: "مَوْلَايَ السُّلْطَانُ دُونَ بَطْرَه"^(٤) يَسَلِّمُ عَلَيْكَ، وَيَقُولُ لَكَ: انْظُرْ مُخَاطَبَةً هَذَا الشَّخْصِ! وَكَانَ بِالْأَمْسِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ بَابِهِ، حَتَّى تَرَى خَسَارَةَ الْكِرَامَةِ فِيهِ!" فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْخَطِيبِ: "أَبْلِغْهُ عَنِّي أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا جَرَّكَ إِلَيْهِ إِلَّا خُلُوءُ بَابِكَ مِنَ الشُّيُوخِ الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكَ بِالْكِلابِ وَالْأَسُودِ، وَبِمَنْ تُغَسِّلُ الْأَيْدِي مِنْهُمْ إِذَا قَبَّلُوها؛ فَتَعْلَمُ مِنَ الْكَلْبِ الَّذِي تُغَسِّلُ الْيَدَ مِنْهُ وَمَنْ لَا. وَإِنَّ جَدَّ هَذَا الْوَلَدِ هُوَ الَّذِي قَبَّلَ جَدَّكَ يَدَهُ، وَاسْتَدْعَى الْمَاءَ لِيُغَسِّلَ يَدَهُ مِنْهُ بِمَحْضَرِ النَّصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ"^(٥)؛ وَنِسْبَةُ الْجَدِّ إِلَى الْجَدِّ كُنُسَبَةُ الْحَفِيدِ إِلَى الْحَفِيدِ! وَكَوْنُهُ لَجَأً إِلَى بِلَادِكَ لَيْسَ بِعَارٍ عَلَيْهِ، وَإِنَّكَ مُعَرَّضٌ إِلَى اللِّجَا إِلَيْهِ؛ فَيُكَافِيكَ بِأَضْعَافٍ مَا عَامَلْتَهُ بِهِ"^(٦). فَخُوطِبَ السَّفِيرُ الْيَهُودِيُّ بِازْدِرَاءٍ وَلَمَزٍ بِهِ وَبِمَنْ أُرْسِلَهُ.

١ - مَلْخَصُ الْقِصَّةِ أَنَّهُ حِينَ أُخْرِجُوا إِلَى الْيَهُودِيِّ الْمَالُ وَالسُّبَانُكَ زَادَ فِي كَلَامِهِ وَنَقَصَ وَأَسَاءَ الْأَدَبُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُ هَذَا الْعِيَارَ وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا مُسْجَرًا، وَبَعْدَ هَذَا الْعَامِ لَا أَخْذُ مِنْهُ إِلَّا أَجْقَانَ الْبِلَادِ. رُدُّوهُ إِلَيْهِ. فَرَدَّ الْمَالُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ، وَأَعْلِمَ بِالْقِصَّةِ، فَقَالَ: انْثَوْنِي بِالْيَهُودِيِّ وَأَصْحَابِهِ فَجَاؤُوا بِهِمْ. فَقَالَ: اسْجُنُوا النَّصَارَى وَاصْلُبُوا الْيَهُودِيَّ الْمَلْعُون. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: لَا تَفْعَلْ. وَأَنَا أَفْتَدِي مِنْكَ بِرَبَّنِي مَا لَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتَنِي الْغَدُوءَ وَالْأَنْدَلُسَ مَا قَبَّلْتُهَا مِنْكَ. فَصَلَّبَ، وَحِينَ بَلَغَ النَّصْرَانِيُّ الْخَبَرَ أَقْسَمَ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الْجُنُودِ بَعْدَ شَعْرِ رَأْسِهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى بَحْرِ الرُّقَاقِ. انْظُرْ: مَجْهُولُ الْخُلَّلِ الْمُوشِيَّةِ ص ٤٢؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٤٤؛ ابْنُ خَلْدُونٍ تَارِيخُهُ ٤/٢٠٣؛ الْجَمِيرِيُّ الرُّؤُوسُ الْمِغْطَارُ ص ٢٨٨؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ١/٢٠، ٢٣/٦؛ أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْاسْتِغْفَا ٢/٣٨.

٢ - هُوَ الطَّيِّبُ الْيَهُودِيُّ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ زُرُّورٍ أَوْ زُرَّارٌ عِنْدَ الْمُقَرِّي، ذَكَرَهُ ابْنُ خَلْدُونٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي تَارِيخِهِ، قَالَ إِنَّهُ كَانَ مَاهِرًا فِي الطَّبِّ وَالْفَلَكِ وَأَنَّهُ تَتَبَأَ بِقَائِدِ الْمَغُولِ تِيْمُورَلَنْكٍ قَبْلَ ظَهْوَرِهِ بِنَحْوِ عَشْرِينَ سَنَةً، وَحِينَ سَفَرَ ابْنُ خَلْدُونٍ سَنَةَ ٧٦٥هـ إِلَى مَلِكِ قَسْتَالَةَ بِطَرَةِ لِاتِّمَامِ صَلَاحٍ مَعَ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ لِقِيَةِ الطَّاعِيَةِ بِإِسْبِيلِيَّةٍ، وَأَتَتْهُ عَلَى ابْنِ خَلْدُونٍ عِنْدَهُ طَبِيبُهُ ابْنُ زُرُّورٍ هَذَا وَكَانَ قَدْ التَّقَاءَ سَابِقًا بِمَجْلِسِ السُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ حِينَ اسْتَدْعَاهُ يَسْتَطْبِعُهُ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بَدَارُ ابْنِ الْأَحْمَرِ بِالْأَنْدَلُسِ، قَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ إِنَّهُ لَمْ يَرِ فِي الْأَنْدَلُسِ زَرَّارَةً أَنْقَلَ وَطَاءَةً، وَلَا أُخْبِتَ عَهْدًا، وَلَا أَكْثَرَ حَجْرًا مِنْ وَلَايَتِهِ، وَفَاتَهُ ٧٦١هـ.

انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ ثَفَافَةُ الْجَرَابِ فِي غَلَاةِ الْاِغْتِرَابِ ص ١٩ [الْحَاشِيَّةُ]؛ الْإِحَاطَةُ ص ٩٤ [الْحَاشِيَّةُ]؛ ابْنُ خَلْدُونٍ تَارِيخُهُ ٧/٤٠٢ - ٤٠٣، ٥٥٠ - ٥٥١، ٧٣٣؛ الْمُقَرِّي أَرْهَارُ الرِّيَاضِ ١/٦٢.

٣ - هُوَ سُلْطَانُ الْمَغْرِبِ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، يَلْقَبُ بِالْمَخْلُوعِ، وَلِيَ بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهِ أَبِي الْحَجَّاجِ وَبَعْدَ خَمْسِ سَنَاتٍ ثَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ وَخَلَعَهُ فَهَرَبَ إِلَى صَاحِبِ قَسْتَالَةَ الَّذِي نَصَرَهُ وَأَعَادَهُ لِمُلْكِهِ عَامَ ٧٦٣هـ. انْظُرْ: الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧/٩٢ - ١٠٠.

٤ - هُوَ: دُونُ بَطْرَه أَوْ دُونِبَرَّةَ بِالْإِسْبَانِيَّةِ Don Pedro صَاحِبُ قَسْتَالَةَ. انْظُرْ: الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ١/٢٨ وَمَا بَعْدَهَا. [الْحَاشِيَّةُ]

٥ - يُشِيرُ ابْنُ الْخَطِيبِ إِلَى قِصَّةٍ مُلْخَصُهَا: أَنَّ جَائِجَةَ [شَائِجَةَ] ابْنَ الْفُونُسِ لَازَتْ عِنْدَ السُّلْطَانِ أَبِي يُوسُفَ، مُسْتَنْصِرًا بِهِ عَلَى وَالِدِهِ، وَزَهَرَ عِنْدَهُ تَاجَهُ نَخِيرَةً لِلنَّصَارَى الْمُسْتَقَرَّةِ بِدِيَارِهِ، وَلَقِيَهُ بِمَكَانٍ فِي رُبْدَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَبَعْدَ أَنْ فَرَعَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ طَلَبَ الْمَاءَ، فَغَسَلَ يَدَهُ مِنْ قُبْلَةِ الْفُونُسِ أَوْ مُصَافَحَتِهِ. انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٣٣٣.

٦ - انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٣٣٣؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧/١١٥ - ١١٦.

ثالثاً :- قَسَوْتُهُمْ وَظَلَمُهُمُ لِلْمُسْلِمِينَ .

يَرَى إِسْرَائِيلُ شَاحَاكَ أَنَّ الْيَهُودَ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى كَانُوا يُشْكَلُونَ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الطَّبَقَاتِ صَاحِبَةِ الْأَمْتِيَّاتِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الْأَضْطِهَادِ الَّذِي خَضَعُوا لَهُ؛ فَالْوِظِيفَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ الْأَهَمُّ عِنْدَ غَالِبِيَّةِ سَاحَاكَ مِنَ الْيَهُودِ هُنَاكَ كَانَتْ هَمَزَةُ الْوَصْلِ أَوْ الْوَسَاطَةُ لِقَمْعِ الْفَلَاحِيِّينَ بِاسْمِ النَّبَلَاءِ وَالنَّجَاحِ^(١). وَتَنْطَبِقُ هَذِهِ الْحَالُ تَمَامًا عَلَى يَهُودِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ؛ فَقَدْ كَانُوا وَسِيلَةً لِقَمْعِ الْعَامَّةِ بِاسْمِ الْحُكَّامِ وَظَهَرَتْ كَرَاهِيَّتُهُمْ لِلطَّبَقَةِ الْفَقِيرَةِ وَتَسْلُطُهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ أَشْكَالٍ، أَدَّتْ فِي النَّهَايَةِ إِلَى مَذَابِحَ بِحَقِّهِمْ انْتِقَامًا مِنْهُمْ وَتَعْبِيرًا عَنْ سُخْطِ الْعَامَّةِ مِنْ أَفْعَالِهِمْ^(٢).

وَأَحْيَانًا تُذَكِّرُ الْمَصَادِرُ تَعَاطُفَ بَعْضِ السَّاسَةِ مَعَهُمْ؛ فَحِينَ قَامَتْ فِتْنَةُ إِسْبِيلِيَّةَ سَنَةِ ٤٦٢ هـ بِسَبَبِ عُدْوَانِ رَجُلٍ عَلَى يَهُودِيٍّ زَعَمَ أَنَّهُ سَبَّ الشَّرِيعَةَ، فَبَطَّشَ بِهِ الْمُسْلِمُ وَسَطَ السُّوقِ وَحَرَّكَ عَلَيْهِ الْعَامَّةَ، وَاعْتَقَلَهُ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ، فَتَارَتِ الْعَامَّةُ، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ بِقُرْطَبَةَ وَلَدَهُ إِلَى إِسْبِيلِيَّةَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ بِهِ نُخْبَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْوُجُوهِ لِمُشَارَفَةِ الْقِصَّةِ، وَالْإِخْتِيَاظِ مِنَ الْعَامَّةِ^(٣).

وَظَهَرَتْ قَسَوْتُهُمْ أَحْيَانًا حِينَ كَانُوا بِحِمَايَةِ مُلُوكِ النَّصَارَى، فَوَصَفَ ابْنُ عِدَارِيٍّ وَاحِدًا مِنْهُمْ كَانَ وَزِيرًا وَسَفِيرًا بَيْنَ ابْنِ رُذَمِيرٍ مَلِكِ أَرَاغُونِ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُحَاصِرِينَ فِي بَلَنْسِيَّةَ عَامَ ٤٨٧ هـ فَقَالَ: "بَلَغَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغَ الْعَايَةِ فِي الْعَذَابِ وَسَلَطَ الْيَهُودَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَبَلَغُوا النَّهَايَةَ فِي النِّكَالِ وَالنَّكَايَةِ، وَمِنْهُمْ الْأَمْنَاءُ الْمُوَكَّلُونَ، وَالْمُتَصَرِّفُونَ، وَأَصْحَابُ الرُّسُومِ، وَخُدَّامُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَجَلَسَ الْيَهُودِيُّ لِلْقَبْضِ بِصَاحِبِ الْمَدِينَةِ مِنَ الضَّرْبِ بِالْعَصَا وَالسَّوْطِ، وَفَيَّضَ لِكُلِّ مِنْهُمْ شَيْطَانًا يَخْرُجُ مَعَهُ، فَإِنْ جَاءَ بِشَيْءٍ إِلَّا أَخَذَ بِالسَّوْطِ وَالْعَذَابِ، وَتَمَادَتْ هَذِهِ الْمِحْنَةُ مُدَّةً"^(٤).

١ - انْظُرْ: إِسْرَائِيلُ شَاحَاكَ الدِّيَانَةُ الْيَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ الْيَهُودِ؛ وَطَاءَ ٣٠٠٠ عَامٍ ص ٩٨. وَيَرَى شَاحَاكَ أَنَّ التَّارِيخَ الْيَهُودِيَّ وَلَا سِيَّمَا التَّارِيخَ الْمُدَوَّنَ بِاللُّغَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ تَارِيخٌ مُضَلَّلٌ حَوْلَ هَذِهِ النُّقْطَةِ نَظَرًا لِمَيْلِهِ إِلَى التَّرْكِيزِ عَلَى الْفَقْرِ الْيَهُودِيِّ وَالتَّمْيِيزِ الْمُنَافِضِ لِلْيَهُودِ .

٢ - مِنْ قِصَصِهِمْ أَنَّ السُّلْطَانَ عَبْدَ الْحَقِّ الْمُرِينِيَّ غَاضَ شَعْبَهُ بِتَوَلِّيَةِ الصَّرَافِ الْيَهُودِيِّ هَارُونَ الْمَدِينَةَ، وَبَيَّنَّ مَا كَانَ حُسَيْنُ الْيَهُودِيَّ قَائِدُ الشَّرْطَةِ عِنْدَهُ يَقْبِضُ مِنْ أَهْلِ فَاسَ الْمَغَارِمَ فَشَدَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى قَبِضَ عَلَى امْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ، وَأَوْجَعَهَا ضَرْبًا، وَلَمَّا أَلْهَبَتْهَا السَّيَاطُ جَعَلَتْ تَنْوَسِلُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَحَمِي الْيَهُودِيُّ وَكَادَ يَمَيِّزُ غَيْظًا مِنْ سَمَاعِ ذِكْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَمَرَهُ بِالْإِبْلَاحِ فِي عِقَابِهَا وَسَمِعَ النَّاسُ ذَلِكَ فَأَعْظَمُوا تَحَكُّمَ الْيَهُودِ فِي الْمُسْلِمِينَ وَالْعَبَثَ بِهِمْ، فَتَنَادَوْا بِالْفَتْكِ بِالْيَهُودِ وَخَلَعَ طَاعَةَ السُّلْطَانِ الَّذِي اسْتَوْرَزَهُمْ، وَسَارُوا إِلَى حَارَةِ الْيَهُودِ فَقَتَلُوهُمْ وَاسْتَلْبَوْهُمْ وَاقْتَسَمُوا أَمْوَالَهُمْ . انْظُرْ: أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ

الاسْتَنْفَصَا ٩٩/٤ ؛ عَطَا رَبِّيهِ الْيَهُودِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ص ٥٤-٥٥ .

٣ - انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ١ ص ٤١٨/١ .

٤ - ابْنُ عِدَارِيٍّ الْمُرَاكَشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٣٦/٤ - ٣٧ .

رَابَعًا :- قِسْوَةُ بَعْضِ السَّاسَةِ وَتَطَاوُلِ الْعَامَةِ عَلَيْهِمْ .

خَيْرُ مِثَالٍ عَلَى قِسْوَةِ بَعْضِ السَّاسَةِ مَعَهُمْ مَا حَدَّثَ لَابْنُ شَالَيْبٍ حِينَ قَتَلَهُ الْمُعْتَمِدُ^(١)، وَلَمْ تُوضَحْ مُعْظَمُ الْمَصَادِرِ طَرِيقَةَ الْقَتْلِ، إِلَّا أَنَّهُ جَاءَ فِي "الرُّؤُوسِ الْمِغْطَارِ" أَنَّ الْيَهُودِيَّ تَكَلَّمَ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ عَبَّادٍ بِكَلَامٍ وَأَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ وَشَافَهُ بِمَا لَمْ يَحْتَمِلْهُ، فَغَضِبَ ابْنُ عَبَّادٍ وَضَرَبَهُ بِمِخْبَرَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَنْزَلَهَا عَلَى رَأْسِهِ، فَأَلْقَى دِمَاغَهُ فِي حَلْقِهِ، وَأَمَرَ بِهِ فَصَلِبَ مَنكُوسًا بِقُرْطُبَةٍ^(٢).

وَكَانَتْ الضَّرَائِبُ الثَّقِيلَةُ مِثَالًا آخَرَ عَلَى الْقِسْوَةِ الَّتِي تَعَرَّضُوا لَهَا مِنَ السَّاسَةِ؛ فَلَا مِيرُ يُوسُفُ ابْنُ تَائَشَفَيْنِ كَانَ يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَةَ لِلْبَطْشِ بِعَدَدٍ مِنَ الْيَهُودِ بِالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى ثُرَوَاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي بَدْءِ تَأْسِيسِ دَوْلَتِهِ، وَعِنْدَمَا وَطَدَ أَرْكَانَ حُكْمِهِ وَاحْتِاجَ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْأَمْوَالِ لِتَنْظِيمِ دَوْلَةٍ وَاسِعَةٍ الْأَرْجَاءِ رَأَى بِبَصَرِهِ نَحْوَ الْيَهُودِ، فَقَرَضَ عَلَيْهِمْ غَرَامَةً ثَقِيلَةً اجْتَمَعَ لَهُ مِنْهَا جُمْلَةٌ مَالٍ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى مَا كَانَ بِسَبِيلِهِ فَتَجَمَّعَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْغَرَامَةِ مَبْلَغٌ بَاهِظٌ يَعْكِسُ ثَرَاءَ الْيَهُودِ^(٣).

وَمَعَ أَنَّ الْيَهُودَ نَجَحُوا فِي الْوُصُولِ إِلَى قِمَّةِ الْوِزَارَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَتَمَتَّعُوا بِنُفُوذٍ كَبِيرٍ وَتَسَلَّطَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَنَّ هَذَا النَّجَاحَ لَمْ يَمْنَعْ خُدُوثَ تَطَاوُلٍ مِنَ الْعَامَةِ عَلَيْهِمْ، فَأَحْيَانًا تَحْصُلُ حَادِثَةٌ بِحَقِّ يَهُودِيٍّ ثُمَّ تَنْقَلِبُ إِلَى ثَوْرَةٍ عَلَى كُلِّ الْيَهُودِ فِي مَنَاطِقِ الْيَهُودِيَّةِ. ذَكَرَ ابْنُ عِدَارِيٍّ مِثْلًا، أَنَّ ثَوْرَةً حَصَلَتْ عَامَ ٥٢٩ هـ عَلَى حَيِّ الْيَهُودِ بِقُرْطُبَةٍ، بِسَبَبِ الْعُثُورِ عَلَى جُنَّةِ شَخْصٍ مَقْتُولٍ بَيْنَهُمْ، فَافْتَحَمَ الْعَامَّةُ حَيِّ الْيَهُودِ، وَفَتَحَتْ مَنَازِلَهُمْ وَانْتَهَبَتْ أَمْوَالَهُمْ، وَقُتِلَ عَدَدٌ مِنْهُمْ^(٤)؛ وَحَدَّثَ هَذَا رُغْمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَأَكَّدُوا إِنْ كَانَ الرَّجُلُ قَدْ قَتَلَهُ الْيَهُودُ أَمْ لَا^(٥). إِلَّا أَنَّ هُجُومَ الْعَامَةِ وَثَوْرَتَهُمْ وَشَغَبَهُمْ لَمْ يَكُنْ مُوجَّهًا لِلْيَهُودِ كَقِفَّةٍ أَوْ أَصْحَابِ مِلَّةٍ، بَلْ كَانَتْ الْأَحْدَاثُ تَخْلُقُ بَيْنَ حَبِيبٍ وَآخَرَ نَوْعًا مِنَ الشَّغَبِ عِنْدَ الْعَامَةِ تَخْتَلِفُ حَدَّتُهُ، وَأَحْيَانًا يَكُونُ الْيَهُودُ هَدَفًا فِيهِ وَأَحْيَانًا غَيْرُهُمْ. إِلَّا أَنَّ أَكْبَرَ تَطَاوُلٍ حَصَلَ عَلَى جَمَاعَةِ الْيَهُودِ كَانَ بِعَرْنَاطَةٍ، حَيْثُ حَدَّثَتْ مَذْبَحَةً بِحَقِّهِمْ وَضَعَتْ تَفْصِيلًا لَهَا فِي مَلَا حَقِّ الْبَحْثِ.

١ - انظر: مجهول الخلل المؤشبة ص ٤٤٢؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٤٤؛ المقرئ نفح الطيب ٤٢٠/١، ٢٣/٦؛ ابن خلدون تاريخه ٢٠٣/٤؛ أحمد الناصري الاستيفصا ٣٨/٢.

٢ - انظر: الجيمري الرؤوس المغطار ص ٢٨٨.

٣ - انظر: ابن عداري المراكشي البيان المغرب ٢٣/٤؛ مجهول الخلل المؤشبة ص ٢٥.

٤ - انظر: ابن عداري المراكشي البيان المغرب ٩٣/٤؛ ١٩٢؛ ابن القطان نظم الجمان ص ٢١٧.

٥ - لا يمكن القول إنَّ هَذَا التَّطَاوُلَ حَدَثَ لِأَنَّ الْيَهُودَ طَرَفَ فِي الْمَوْضُوعِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عِدَارِيٍّ حَدِيثَ اغْتِيَالِ ابْنِ الْحَاجِّ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةٍ، فِي الصَّفْحَةِ نَفْسِهَا الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا الْحَادِثَةَ، وَقَالَ إِنَّهُ تَبِعَهُ رَدُّ قَوِيٍّ سَوَاءٌ فِي قُرْطُبَةٍ وَفِي غَيْرِهَا مِنْ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ، وَلَخَصَّ ابْنُ عِدَارِيٍّ شِدَّةَ الرَّدِّ بِقَوْلِهِ: وَالنَّطَخَتْ قُرْطُبَةُ بِمَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ دِيْوَانٌ، وَلَا بَدَرَ فِي زَمَانٍ، أَيْ حَدَّثَتْ قَوْضَى عَارِمَةً، وَتَلَا هَذَا مُبَاشَرَةً حَدِيثٍ عَنِ اعْتِدَائِهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ (ت: ٥٤٣ هـ) قَاضِي إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةِ ٥٢٩ هـ؛ إِذْ هَاجَمَهُ الْأَشْرَارُ بِسَبَبِ شِدَّتِهِ فِي مُعَاقَبَةِ الْجُنَاةِ وَمُحَارَبَةِ الْفَسَادِ. انظر: ابن عداري المراكشي البيان المغرب ٩٣/٤ - ٩٤.

خامساً: - أشهر مذبحه لليهود في الأندلس.

كان لليهود دور بارز في غرناطة، أثّر هذا الدور على طبيعة علاقة اليهود والمسلمين فيها انتهت بمذبحه كبيرة لهم^(١)، بدأت قصتهم فيها حين ولي باديس بن حبوس (ت: ٤٦٧هـ) عرش بعد موت أبيه، بنسليم له من شقيقه الأصغر بلقين دون منازعة، وبمساعدة وزير أبيه إسماعيل بن نغريلة، فأبقى باديس على اليهودي وزيراً في دولته وبعد موته اتخذ ابنه يوسف مكانه، وقربه إليه، يقول المراكشي: "إن باديس وضع ابن نغريلة [نغريلة] اليهودي على وزارته وكتابته وسائر^(٢) أعماله ورفعته فوق كل منزلة، فاتخذ هذا اليهودي عمالاً ومتصرفين في الأشغال، واكتسبوا الجاه والمال في أيامه واستطالوا على المسلمين، فأخذ نفسه بالاجتهاد في الأحوال واستخراج الأموال واستعمل اليهود إخوانه على الأعمال فزادت منزلته عند أمير باديس"^(٣)، وهذا التحيز لأبناء طائفته ومعاونتهم له زاد من نفمة العامة عليه، وزاد من مؤامراته ضد مبغضيه^(٤).

يروي الأمير عبد الله حفيد باديس أن النساء في قصر باديس كن عتبة أمام طموحات هذا الوزير، فقد رأى طغيانهن، وكل فرقة منهن تريد ولاية من تربيته من أبناء السلطان، ورأى إمعان المعارضة في المطالبة بالحكم، فشاور في ذلك مشيخته من ذوي الرأي من أبناء ملته من اليهود، فأقترح بعضهم عليه أن يتجوز بنفسه، ويقدم جل ماله إلى أي البلاد يحب، فيستوطنها غنياً أميناً لكنه خاف أن يفعل أن يرسل باديس فيه إلى صاحب تلك الجهة، قائلاً إنه ذهب بأمواله، فيطالب بإرجاعه إليه أو القتل، واقترح أحدهم عليه أن يصابر الأمور إلى أن يموت الشيخ باديس، لا سيما أنه قد أسن، فيلقي يده في حفيده المعز، فتبقى حاله معه حسب ما كانت مع جده، فأجاب أنه فكر بهذا لولا أن المعز صغير السن، وله أمهات وطبقات جمّة من النساء والحاشية لا يرجى معهن الفلاح لاختلاف أهوائهن، كما أن الصبي يحقد عليه لما قاله الناس من سقي أبيه السم ثم اتفق رأيهم على مخاطبة ابن صمادح، فهو الأولى لجبرته وقربه من كل أمر يحتاج إليه فيه^(٥). وبدأ يعمل على هذا. وصدف أن خرج باديس إلى بعض متنزّهاته مع حاشيته واليهودي ورائه، فبصر أحدهم بحكيم يهودي كان مقرباً للوزير، فأمر بإهانتهم وإرجالهم عن دابته، وتوقع في ذلك، وأبلغ في شتم اليهودي، فاستعظم

ابن نغريلة هذه الإهانة،

١ - انظر المذبح: الأمير عبد الله التّبيان ص ٥٤؛ ابن بسام النّخبة ق ١، ٢/٧٦٦ - ٧٦٩؛ ابن جداري المراكشي التّبيان المغرب ٣/٢٦٥ - ٢٦٦، ٢٧٥/٣ - ٢٧٦؛ الإحاطة ١/٤٣٤ - ٤٤٠؛ ابن خلدون تاريخه ٤/٢٠٦.

٢ - يرى مصحح معجم الأدباء لياقوت الحموي أن استعمال لفظة سائر بمعنى جميع لا معنى له، لأنها من السور بمعنى البقية، فالأصوب هنا أن يقال جميع أعماله انظر: لياقوت الحموي معجم الأدباء ٢/٢٢٢ [الحاشية].

٣ - انظر: ابن جداري المراكشي التّبيان المغرب ٣/٢٦٤ - ٢٦٥.

٤ - انظر في البحث: الحديث عن مؤامرات ابن نغريلة ص ١٩ - ٢٠.

٥ - انظر: الأمير عبد الله التّبيان ص ٥٠ - ٥١.

فَجَدَّ فِي طَلَبِ مَعُونَةِ ابْنِ صُمَادِحَ، وَبَدَأَ يُحْطِطُ لِذَلِكَ (١).

بَدَأَ الْيَهُودِيُّ خُطَّتَهُ بِعَزْلِ وَإِعَادِ رِجَالٍ مِنْ كِبَارِ صَنْهَاجَةِ الَّذِينَ يُخْشَى مِنْهُمْ، فَأَشَارَ عَلَى بَادِيسَ بِإِرْسَالِهِمْ إِلَى الْمَعَاظِلِ الْمُهِمَّةِ، وَصَكَّكَ لَهُمْ بِهَا، فَقَبِلَ الْقَوْمُ لِسَرِّهِمْ إِلَى وَلَايَةِ الْبِلَادِ. وَزَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لَا يَحْمِي الْقَوَاعِدَ إِلَّا كِبَارُ الرِّجَالِ، أَمَّا الْمَعْرُولُونَ فَقَدْ صَحَّ عِنْدَهُ تَضْيِيعُهُمْ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَى ابْنِ صُمَادِحَ يَسْتَعْجِلُهُ وَيُخْبِرُهُ بِخُرُوجِ الْقَوْمِ الْعَوْغَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلَّا مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لِيُخَصِّدَهُمْ سَيْفُهُ، وَأَنَّهُ قَدْ سَهَّلَ لَهُ الْأَمْرَ لِفَتْحِ أَبْوَابِهَا مَتَى جَسَرَ وَطَرَقَهَا، وَبَادِيسَ فِي هَذَا كُلِّهِ، لَا خَبَرَ عِنْدَهُ سِوَى الْإِقْبَالِ عَلَى الشَّرْبِ. فَصَحَّ عِنْدَ الْقَوْمِ بِاخْتِجَابِهِ عَنْهُمْ، أَنَّهُ قَدْ مَاتَ لَا مَحَالَةَ (٢).

إِلَى أَنْ جَاءَ يَوْمُ اجْتِمَاعِ الْيَهُودِيِّ مَعَ عَبِيدِ لِبَادِيسَ عَلَى الشَّرَابِ، وَكَانُوا عَاقِدُوهُ وَاتَّفَقُوا مَعَهُ، فَأَعْلَمَهُمْ بِأَمْرِ ابْنِ صُمَادِحَ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُكْمِنُ بُغْضَهُ، وَسَأَلَهُ أَنْ كَانَ الْمُظْفَرُ حَيًّا أَمْ مَيِّتٌ فَوَبَّخَهُ رَجُلٌ مِنْ حَاشِيَةِ الْيَهُودِيِّ، فَأَيْفَ الْعَبْدُ وَخَرَجَ فَارًّا عَلَى وَجْهِهِ [وَهُوَ سَكْرَانٌ]، يَصِيحُ بِالنَّاسِ أَنَّ الْيَهُودِيَّ غَدَرَ وَخَانَ، وَأَنَّ ابْنَ صُمَادِحَ دَاخِلٌ فِي الْبَلَدَةِ، فَهَبَّ النَّاسُ عَازِمِينَ قَتْلَ الْيَهُودِيِّ. فَتَحَيَّلَ عَلَى الْمُظْفَرِ حَتَّى أَخْرَجَهُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: "هَذَا سُلْطَانُكُمْ حَيًّا! يَرُومُ تَسْكِينَهُمْ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ. فَهَرَبَ بِنَفْسِهِ إِلَى دَاخِلِ الْقَصْرِ، وَاخْتَفَى فِي بَيْتِ فُحْمٍ وَسَوَّدَ وَجْهُهُ وَتَنَكَّرَ، فَعَرَفُوهُ وَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، وَقَتِلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنَ الْيَهُودِ جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ وَنُهَبَتْ دُورُهُمْ، وَأُفْلِتَ مِنَ الْمَذْبَحَةِ زَوْجَةُ يُوسُفَ وَابْنُهُ هَرَبَا إِلَى مَدِينَةِ لُوشَةَ، ثُمَّ إِفْرِيْقِيَّةَ، وَكَانَ عَلَى الَّذِينَ بَقُوا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ أَنْ يَبِيعُوا أَمْلاكَهُمْ، وَأَنْ يَرْحَلُوا عَنْ غَرْنَاطَةَ، وَلَمْ تَقُمْ لِلْيَهُودِ بَعْدَهَا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَائِمَةٌ (٣).

وَاخْتَلَفَ الرُّوَاةُ، فَيَذْكُرُ ابْنُ خُلْدُونُ أَنَّ بَادِيسَ هُوَ الَّذِي قَتَلَ ابْنَ نَغْرِيْلَةَ وَقَتَلَ مَعَهُ خُلُقًا مِنَ الْيَهُودِ (٤)، وَمِثْلُهُ عِنْدَ الرَّاعِي بِتَفَاصِيلَ لَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ غَيْرِهِ، يَقُولُ فِيهَا: "وَلِهَذَا الْمَلْعُونِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ حِكَايَةُ غَرِيبَةٍ فِي قَتْلِهِ وَإِرَاحَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلْعُونِ لَمَّا وَلِيَ كِتَابَةَ السَّرِّ لِلسُّلْطَانِ بَادِيسَ بْنِ حَبُوسَ، وَعَظَّمَ عِنْدَهُ وَانْتَهَى أَمْرُهُ لِاجْتِمَاعِ الْأَدَوَاتِ فِيهِ، حَتَّى تَوَلَّى الْوِزَارَتَيْنِ: وَزَارَةَ الْقَلَمِ وَوِزَارَةَ السَّيْفِ،، وَبَلَغَ الْمَلْعُونُ مِنَ الْجَاهِ وَالتَّعْظِيمِ مَبْلَغًا عَظِيمًا، فَمَرَّ يَوْمًا عَلَى كُتَّابٍ فَسَمِعَ صَبِيًّا يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) (٥)، فَمَحَا لَفْظَةَ "غَيْرَ" فَقَرَأَهَا الصَّبِيُّ عَلَى إِسْقَاطِ "غَيْرَ". فَجَاءَ الْمُؤَدَّبُ فَسَمِعَهُ، وَنَظَرَ إِلَى اللَّوْحِ فَوَجَدَ لَفْظَةَ "غَيْرَ" مَمْحُوءَةً مِنْهُ، فَقَالَ لِلصَّبِيِّ: "مَنْ فَعَلَ هَذَا؟"، فَقَالَ لَهُ: "رَجُلٌ رَاكِبٌ مَعَهُ رُكْبَانٌ وَمُشَاةٌ، صِقَّتُهُ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَ عَنِ الْخَبَرِ، فَأُخْبِرَ أَنَّ الَّذِي

١ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّان ص ٥١ .

٢ - انظر: نفسه ص ٥١ - ٥٣ .

٣ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّان ص ٥٤؛ ابن بَسَّام النُّخَيْرَةُ ق ١، م ٢/٧٦٩؛ ابن خُلْدُون تَارِيخُهُ ٢٠٦/٤ .

٤ - انظر: ابن خُلْدُون تَارِيخُهُ ٢٠٦/٤ .

٥ - سورة آل عمران، آية ٨٥ .

فَعَلَ ذَلِكَ الْفِعْلُ هُوَ الْمَلْعُونُ ابْنُ نَغْرِيلَةَ، فَاشْتَكَاهُ لِشَيْخٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْفُقَرَاءِ، يُقَالُ لَهُ الْإِلْبِيرِيُّ (ت ٤٥٩ هـ) نَفَعَ اللَّهُ بِهِ، فَنَظَّمَ قَصِيدَةً يَلُومُ فِيهَا السُّلْطَانَ عَلَى تَوَلِيَّتِهِ هَذَا الْمَلْعُونِ كِتَابَةَ السَّرِّ، وَيَأْمُرُهُ بِدَبْحِهِ: [ذكر أبياتاً من القصيدة].... وَلَمْ يَجِدُوا مَنْ يُوصِلُهَا إِلَى السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ لِهَيْبَةِ الْمَلْعُونِ الْمَذْكُورِ، فَجَعَلُوهَا فِي جُعبَةٍ (١) قَصَبٍ وَشَمَعُوهَا بِالشَّمْعِ، وَجَعَلُوهَا فِي مَجْرَى الْمَاءِ الَّذِي يَصِلُ إِلَى بَيْنِ يَدَيِ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ عِنْدَ قُعُودِهِ لِلرَّاحَةِ، فَرَمَى بِهَا عُنبُوبٌ (٢) الْمَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْجُعبَةِ عَائِمَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ أَخَذَهَا، وَقَرَأَ الْقَصِيدَةَ ثُمَّ سَأَلَ عَنْ خَبَرِهَا فَأَعْلَمَ بِالْقَضِيَّةِ، فَأَمَرَ بِدَبْحِهِ، فَطُلِبَ، فَوُجِدَ فِي الْحَمَامِ مَشْدُوحُ الرَّأْسِ قَتِيلاً (٣) ثُمَّ يَذْكُرُ الرَّاعِي مُبَاشَرَةً أَنَّ مَنْ قَتَلَهُ قَتَى "كَانَ يَغْسِلُهُ فِي الْحَمَامِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ الْمَلْعُونُ يُصَغِّرُ اسْمَهُ كُلَّمَا نَادَاهُ" (٤).

وَاخْتُلِفَ حَوْلَ تَارِيخِ الْمَذْبَحَةِ وَعَدِدِ الْيَهُودِ وَقَتَّهَا؛ فَابْنُ الْخَطِيبِ فِي "أَعْلَامِ الْأَعْلَامِ" يَقُولُ إِنَّهَا سَنَةٌ ٤٦٩ هـ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ سَنَةٌ ٤٦٥ هـ (٥). وَالْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ سَنَةٌ ٤٥٩ هـ (٦)، وَمِثْلُهُ ابْنُ عِدَارِي (٧) وَفِي "الإِخَاطَةُ" (٨)، وَعِنْدَ ابْنِ خَلْدُونٍ (٩). وَبِمَا أَنَّ الْأَمِيرَ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ فِي مَسْرَحِ أَحْدَاثِ الْمَذْبَحَةِ فَأَرَى أَنَّ تَارِيخَ الْأَمِيرِ لِلْمَذْبَحَةِ أَدَقُّ التَّوَارِيخِ. وَقَدَّرَ ابْنُ بَسَّامٍ أَنَّ الْمَقْتُولِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ (١٠)، وَقَالَ ابْنُ عِدَارِي كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ (١١)، وَادَّعَى عَبْدُ الْعَزِيزِ شَهْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفَ رَجُلٍ وَتِسْعِمِائَةٍ وَإِحْدَى وَخَمْسِينَ امْرَأَةً دُونَ أَنْ يَذْكُرَ الْمَرْجِعَ الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ هَذَا (١٢). وَقِيلَ كَثِيرٌ عَنْ أَسْبَابِ الثَّوْرَةِ وَنَتَائِجِهَا، فَقِيلَ إِنَّ هَذَا الْوَزِيرَ الْيَهُودِيَّ إِسْمَاعِيلَ طَلَبَ أَنْ يُقِيمَ لِلْيَهُودِ دَوْلَةً فَدَسَّ إِلَى ابْنِ صُمَادِيخٍ فِي السَّرِّ لِيُدْخِلَهُ غَرْنَاطَةَ وَيَكُونَ الْيَهُودِيَّ فِي الْمَرِيَّةِ فَنَمَى هَذَا التَّدْبِيرُ إِلَى صَنْهَاجَةٍ (١٣)، وَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ إِنَّ ابْنَ صُمَادِيخٍ رَكِبَ بَعَسْكَرِهِ فَعَلَا، وَمَلَكَهُ

-
- ١ - الْجُعبَةُ: كِنَانَةُ النَّشَابِ
 - ٢ - الْعُنْبُوبُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْعُنْبَبِ: كَثْرَةُ الْمَاءِ.
 - ٣ - الرَّاعِي الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، بَحْثٌ فِي: حَوَالِيَاتِ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، ع ٢٩، ثُونِس ١٩٨٠ م، ص ٤٢ - ٤٤.
 - ٤ - نَفْسُهُ ص ٤٤.
 - ٥ - انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣٣.
 - ٦ - انْظُرْ: الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ التَّنِيَّانُ ص ٤٠؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الإِخَاطَةُ ٤٣٩/١.
 - ٧ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَكَشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٢٦٥/٣ - ٢٦٦.
 - ٨ - انْظُرْ: الإِخَاطَةُ ٤٣٩/١.
 - ٩ - انْظُرْ: ابْنُ خَلْدُونٍ تَارِيخُهُ ٢٠٦/٤.
 - ١٠ - انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخِيرَةُ ق ١، م ٧٦٩/٢.
 - ١١ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَكَشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٢٧٥/٣.
 - ١٢ - عَبْدُ الْعَزِيزِ شَهْبَرُ التَّعَالِشُ بَيْنَ الْأَذْيَانِ فِي الْأَنْدَلُسِ مِنْ خِلَالِ نُصُوصٍ شَعْرِيَّةٍ أَنْدَلُسِيَّةٍ مَجَلَّةُ دِرَاسَاتِ أَنْدَلُسِيَّةٍ، ثُونِس ع ١٤، ١٩٩٥ م، ص ٣٥.
 - ١٣ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَكَشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٢٦٦/٣.

اليهودي أكثر حصون غرناطة، فأضافها إلى بلده، وبأديس لا يشعُر بخروجها عن يده^(١). وقيل إن ابن صمادح أرسل بعد المذبحة يسأل بأديس العفو والإغضاء على ما كان منه، وأنه لم يكن ليتعرض لشيء من ذلك لولا اليهودي^(٢)، فاستأسدت صنهاجة بما صنعوا وطغوا^(٣).

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية لليهود في الأندلس .

تكوّن المجتمع الأندلسي، بعد استقرار حكم المسلمين فيه، من أجناس مختلفة تكون سلماً طبقاً هرمي الشكل، في قمته العرب الفاتحون، وقاعدته سكان إسبانيا الأصليون المسلمة الذين اعتنقوا الإسلام، والعجم وهم الذين بقوا على دينهم من النصارى، وسُموا فيما بعد بالمستعربين والمولودون من العناصر السابقة. وبين القمة والقاعدة وجد البربر الذين مثلوا نسبة كبيرة في الجيش الأندلسي. ومعهم الصقالبة، وأصلهم من الرقيق الذين جلبوا من أوروبا وبيعوا في الأندلس، وبجانبهم جماعة يهودية لا يستهان بها وجدوا في الحكم الإسلامي منجاة من الاضطهاد الذي عانوا منه كثيراً من القوط. وذابت اختلافات الأجناس والأديان بين طبقات المجتمع، فالأرسنقراطية المكوّنة من العرب أو الملاك، كما يسميهم أندريه ميكيل، تأتي على قمة الهرم الاجتماعي، ثم كبار الموالين أو كبار تجار اليهود، وعلى أقصى الطرف عامة الشعب النصارى والمستعربون والبربر^(٤). فاليهود رغم اختلاف دينهم اقتربوا من قمة الهرم.

ويرى هنري بيرس أن دراسة العناصر العرقية التي تكون منها الشعب الأندلسي تجعلنا نشعر أننا بإزاء فسيفساء شديدة التناسق في تكوينها، وبالكاد نلمح فيها بعض الإيقاعات المتنافرة، فقد أخذت هذه العناصر تمتزج تدريجياً، وتصبح كل يوم أقوى التحاماً^(٥). وجعلت هذه الفسيفساء العرقية الفضاء المسلمين يحكمون على مشتركين تجمع بينهم رابطة القرابة فقط، أي أنهم من أسرة واحدة، إلا أن دياناتهم تختلف^(٦). والمتأمل لهذه الفسيفساء يرى أن اليهود، على سبيل المثال، لم يمتازوا عن سواهم من الأندلسيين بأكثر من الأزياء التي حملت طابع الدين، لذا يستبعد البحث القول بأي تقسيم طبقي أو عنصري لسكان الأندلس خلال حكم المسلمين فيها.

١ - انظر: ابن بسام النخيرة ق ١، م ٧٨٦/٢ - ٧٦٩.

٢ - انظر: الأمير عبد الله التبيان ص ٥٧.

٣ - انظر: نفسه ص ٥٤.

٤ - انظر: أندريه ميكيل الإسلام وحضارته ص ٢٢٤ .

٥ - انظر: هنري بيرس الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ٢٥٥ .

٦ - عصمت دنش الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ص ٢٥٣ .

أما فيما يتعلق باليهود في هذا المجتمع فيلاحظ أن المصادر العربية لا أدت بالصمت تجاه هذا الموضوع، فلم تسعف بالمعلومات الكافية عن التنظيم الإداري لمجتمعات اليهود في الأندلس، كما أن هناك ندرة في المعلومات عن حالهم داخل المجتمعات. ولم يصدر المرابطون تشريعات خاصة باليهود، مما يدل على نوع من الحرية تمتعوا بها، وهذا لا يعني إلغاءهم الأحكام الخاصة بأهل الذمة، أما في نهاية عصر المرابطين فقد بدت الطائفة اليهودية منظمة تنظيمًا دقيقًا، وقد يرجع السبب في ندرة المعلومات عنهم إلى طبيعة المجتمع اليهودي المنعزل القائم على الانعزال داخل تجمعات سكنية لهم، ففي كل مدينة أندلسية سكنها اليهود حي خاص بهم عرف "باليهودية" أو "حي اليهود"، وأطلق المسلمون عليهم اسم "الجماعة Aljama"، وفي المناطق التي لا تخضع لحكم المسلمين كان يطلق عليهم لفظ "Kahal" العبرية ويرأس كل جماعة نفر يدعى الواحد منهم "البرور"، ويسمى "مقدمًا" أو "نعمان No'man"، ومنهم "الأمير Nasi"، ويليه "المستشارون الواعظون". و"المقدم أو النعمان" هو زعيم الجماعة اليهودية، ويعين من قبل البلاط في قرطبة، ويبدو أن مهامه تشبه كثيرًا مهام قومس النصارى من رعاية شؤون أبناء اليهود واستخراج خراجهم، إضافة إلى تمثيلهم أمام السلطة، وكانوا المسؤولين أمام الحكام في كل ما يتعلق بالضرائب والالتزامات الأخرى. وكان يظل في ولايته مدة سنة، واختلف عدد المقدمين من مدينة لأخرى، وأطلق "الأمير" على المتنفذين من اليهود في البلاط، ولا يوجد وصف وظيفي دقيق للمهام المناطة به، وقد يكون لقبًا فخريًا لممثلهم في البلاط، وممن تلقب بهذا اللقب حسداي بن شبروط زعم الخليفة الناصر، و"المستشارون الواعظون" هم بطانة المقدم وحاشيته من المقربين والناصحين، وعليهم تقديم النصيحة والإرشاد لزعيم الجماعة اليهودية في أداء مهمته^(١).

أولاً :- تجمّعهم في بلاد وأماكن خاصة بهم .

توجد إشارات في حديث الجغرافيين عن مدن الأندلس إلى وجود واضح لليهود فيها وتجمع لهم في بعض المراكز في فترة الحكم الإسلامي. فقد تجمع اليهود في مناطق معزولة في بلاد الأندلس وسكنوا في المدن الكبرى؛ فمناطق غرناطة أو كورة البيرة كانت تعج بهم حتى شاع تعبير "غرناطة اليهود"^(٢) لأن نازلتها كانوا يهودًا. وبجانب قرطبة تركز عدد منهم في مدينة روضة Rueda التي سميت بروطة اليهود^(٣).

١ - انظر: عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢٨٦/٢-٢٨٧ .

٢ - انظر: الحميري الروض المغطار ص ٤٥ .

٣ - روضة : بضم أوله وسكون ثانيه وطاء مهملة، حصن من أعمال سرقسطة بالأندلس، ويطلق على غير موضع واحد بالأندلس.

انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٩٦/٣؛ الحميري الروض المغطار ص ٣٤ .

كَمَا كَانَ يُقَالُ عَنْ كُلِّ مِنْ طَرَكُونَةَ^(١) وَلَارْدَةَ^(٢) وَالْيَسَانَةَ^(٣) وَبَيَانَةَ^(٤) بِأَنَّهَا مُدُنُ الْيَهُودِ، وَكَذَلِكَ اسْتَوْطَنُوا مُدُنَ إِشْبِيلِيَّةَ وَبَرْثَلُونَةَ. وَفِي قَرْطَبَةَ كَانَ لِلْيَهُودِ بَابٌ فِي سُورِهَا عُرِفَ بِبَابِ الْيَهُودِ^(٥)، وَمِثْلُهُ بَابُ الْيَهُودِ بِنَفِيسِ^(٦)، وَحِينَ وَصَفَ الْإِدْرِيسِيُّ بَرَعَشَ^(٧) قَالَ: "إِنَّهَا مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ يَفْصِلُهَا نَهْرٌ وَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا سُورٌ وَالْأَغْلَبُ عَلَى الْجُزْءِ الْوَاحِدِ مِنْهَا الْيَهُودُ"^(٨)، ثُمَّ أَعْطَى إِيْضًا أَكْثَرَ عَنْ بَعْضِ تَجْمُعَاتِ الْيَهُودِ بِقَوْلِهِ: "مَدِينَةُ الْيَسَانَةِ مَدِينَةُ الْيَهُودِ وَلَهَا رِبَاضٌ يَسْكُنُهُ الْمُسْلِمُونَ وَبَعْضُ الْيَهُودِ، وَبِهِ الْمَسْجِدُ الْجَامِعُ، وَلَيْسَ عَلَى الرَّيْضِ سُورٌ، وَالْمَدِينَةُ مَدِينَةٌ مُتَحَصَّنَةٌ بِسُورٍ حَصِينٍ، وَالْيَهُودُ يَسْكُنُونَ بِجَوْفِ الْمَدِينَةِ وَلَا يَدْخُلُهُمْ فِيهَا مُسْلِمٌ الْبَتَّةَ، وَأَهْلُهَا أَغْنِيَاءُ مَيَاسِيرُ أَكْثَرُ غَنَى مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بِيَلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِلْيَهُودِ بِهَا حَدَرٌ وَتَحَصَّنُ مِمَّنْ قَصَدَهُمْ"^(٩)، فَاسْتَقَرَّ الْيَهُودُ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ بَيْنَمَا أَقَامَ الْمُسْلِمُونَ فِي رِبَاضِهَا، وَلَمْ يَدْخُلُوا إِلَيْهَا. وَذُكِرَتْ مَنَاطِقُ الْيَهُودِ فِي الشَّعْرِ، فَقَالَ ابْنُ شَهِيدٍ (ت: ٤٢٦هـ)^(١٠) فِي الْمَذْحِ^(١١): [مُتَقَرَّبًا]

لَقَدْ أَطْلَعُوا عِنْدَ بَابِ الْيَهُودِ
تَرَاهُ الْيَهُودَ عَلَى بَابِهَا
دِرْ بَذْرًا أَبَى الْحُسْنُ أَنْ يُكْسَفَا
أَمِيرًا فَتَحَسَبُهُ يَوْسُفَا

^١ طَرَكُونَةَ: بفتح أوله وثانيه وتشديده وضم الكاف، مدينة أندلسية على البحر الأبيض من طرطوشة إلى طركونة خمسون ميلاً، ومنها إلى برثلونة في الشرق ستون ميلاً. كانت تسمى مدينة اليهود.

انظر: الإدريسي تزهة المشتاق ٥٥٥/٢؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٣٢/٤؛ الحميري الروض المغطار ص ٣٩٢.

^٢ - لارْدَة : بالراء مكسورة، مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة . انظر: الإدريسي تزهة المشتاق ٥٥٤/٢ -

٥٥٥؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٧/٥؛ الحميري الروض المغطار ص ٥٠٧ .

^٣ - انظر: الإدريسي تزهة المشتاق ٥٧١/٢ .

^٤ - بَيَانَة: مدينة كبيرة بالأندلس، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً، وهي على ريو من الأرض، كثيرة المياه السائحة، ولها حصن منيع.

انظر: الإدريسي تزهة المشتاق ٧٤٠-٧٤١؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٥١٨/١؛ الحميري الروض المغطار ص ١١٩ .

^٥ - انظر: الحميري الروض المغطار ص ٤٥٦ .

^٦ - نَفِيس: مدينة في المغرب عند أجمات تعرف بالبلد النفيس . انظر: الحميري الروض المغطار ص ٥٧٧ .

^٧ - بَرَعَش: مدينة أندلسية كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور، وكان الأغلب على الجزء الواحد منها اليهود.

انظر: الإدريسي تزهة المشتاق ٥٥٤/٢، ٧٣٢-٧٣٥؛ الحميري الروض المغطار ص ٨٦ .

^٨ - الإدريسي تزهة المشتاق ٧٣٢/٢ .

^٩ - نَفْسُهُ ٥٧١/٢ .

^{١٠} - هُوَ الْأَدِيبُ: أَبُو عَامِرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنُ شَهِيدٍ الْقُرْطُبِيُّ، قِيلَ إِنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، وَلَهُ رِسَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي فُنُونِ الْفِكَاهَةِ. بَالِغُ ابْنِ بَسَّامٍ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ ابْنَ دَحِيَّةٍ أَنَّهُ لَمْ يُشْهَدْ عَلَى قَبْرِ أَحَدٍ مَا شُهِدَ عَلَى قَبْرِهِ مِنَ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ. لَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا التَّوَابِعُ وَالزَّوَابِعُ . وَلَادَتْهُ سَنَةَ ٣٨٢هـ وَمُوتَ سَنَةَ ٤٢٦هـ بِقَرْطَبَةَ.

١/٢٠٧؛ ابْنُ خَاقَانَ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ ص ١٨٩-٢٠١؛ ابْنُ بَسَّامٍ الدُّخَيْرَةُ ق ١، م ١٩١/١-٣٣٥؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَزِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ٢/٦٣٥-٦٤٢؛ الضَّبِّيُّ بُغْيَةُ الْمُتَنَمِّسِ ١/٢٣٨-٢٤٠؛ ياقوت الحموي معجم الأدباء ٣/٢٢٠-٢٢٣؛ ابْنُ رِجَّةٍ الْمُطَرَّبُ ص ١٥٨-١٦٣؛ ابْنُ الْأَبَّارِ إغْتَابُ الْكُتُبِ ص ٢٠٣-٢٠٥؛ ابْنُ خَلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١/١١٦-١١٨؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/٧٨-٨٥؛ زَايَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ١٢٤-١٢٥؛ الصَّفَدِيُّ الْوَافِي بِالْوَفَيَاتِ ٧/٩٦-٩٩ .

^{١١} - ابْنُ خَاقَانَ قِلَانِدُ الْعُقَيَّانِ ق ٢، ج ٢/٤٣٩؛ الْمُقَرِّي تَفْخُحُ الطَّيِّبِ ١/١٥٥ .

وهناك رواية أخرى بتغيير "بذراً" ليكون "شمساً"، وبُصِّح البيت كالتالي^(١): [لمتقرب]
لَقَدْ أَطْلَعُوا عِنْدَ بَابِ الْيَهُودِ
دِ شَمْسًا أَبِي الْحُسَيْنِ أَنْ

وفي المرتين لم تُذكر مناسبة الأبيات، ولم يُعقب عليها في المصادر بما يوضحها، لكن المتوقع أن تكون قيلت في أحد الأمرين حين مرَّ من الباب المسمَّى "باب اليهود" بقرطبة. وحين يرد في الشعر "باب اليهود" يترجح القول لَدَيَّ بَانَ الْيَهُودَ لَمْ يَكُونُوا أَقْلِيَّةً فِي الْأَنْدَلُسِ أَوْ عَلَى الْأَقْلِ فِي مَنْطِقَةٍ قَرِيبَةٍ الَّتِي كَانَ بِهَا هَذَا الْبَابُ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِمْ، فَلَا يُعْقَلُ أَنْ يُنسَبَ الْبَابُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ قَلَّةٌ لَا أَهَمِّيَّةَ لَهَا. وَلَمْ يَتْرَكِ الْبَابُ مُضَافًا إِلَيْهِمْ فَقَطْ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، بَلْ يُوَكِّدُ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَلَى خُصُوصِيَّةِ وُجُودِ الْيَهُودِ بِكَثْرَةٍ حَوْلَ هَذَا الْبَابِ حَيْثُ أَخْبَرَنَا الشَّاعِرُ أَنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ الَّتِي سَتَرَى هَذَا الْأَمِيرَ قَرِيبَ الْبَابِ هُمُ الْيَهُودُ الَّذِينَ سَيَتَأَثَّرُونَ لِرُؤْيَا هَذَا الْأَمِيرِ الْجَمِيلِ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى مَدَى تَأَثُّرِهِمْ سَيَتَخَيَّلُونَهُ النَّبِيَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَحَدُ أَنْبِيَائِهِمْ.

لكن الملاحظة التي تلت الأبيات في "النَّفْح" بها أثرٌ من آثار التصادم بين المسلمين واليهود في العصور المتأخرة. فقد علق المقرئ بقوله: "وَأَسْتَقْبَحُوا قَوْلَهُمْ بَابَ الْيَهُودِ فَقَالُوا بَابَ الْهَدَى"^(٢)، ويلمس من هذا القول أن الأندلسيين لم يكونوا يستسيغون سماع كلمة "اليهود" حتى لو كانت اسم الباب الذي منه يلجئون إلى حبيهم في قرطبة، وأرى في هذا الكلام مغالاة من المقرئ وبعداً عن الصحة، فأهل الأندلس لم يستفحوا هذا زمن ابن شهيد، والدليل محيى اسم اليهود في البيتين على اختلاف الرواية، وفي موقعين في "النَّفْح" وليس مرة واحدة، وباعتقادي أن الذين استفحوا أن يقولوا بَابَ الْيَهُودِ فَقَالُوا بَابَ الْهَدَى هُمُ الْمُتَأَخَّرُونَ كَالْمَقْرِيَّ أَوْ مَنْ نَقَلَ عَنْهُمْ؛ فَهَذَا قُرَّةَ زَمْنِيَّةٍ طَوِيلَةٍ بَيْنَ الْمَقْرِيَّ (ت: ١٠٤١هـ) وابن شهيد (ت: ٤٢٦هـ).

ومن الطبيعي أن تتغير أسماء الأماكن بعد فترة طويلة، فيأتي للاحق من الاعتبارات ما لا يخطر على بال السابق، لكن لا أتوقع أن يكون الناس زمن الأبيات أو حتى قبلها استفحوا ذكر اليهود، فَمَا كَانَ يَجْرُؤُ شَاعِرٌ مِثْلُ ابْنِ شَهِيدٍ عَلَى ذِكْرِ "بَابِ الْيَهُودِ" لَوْ لَمْ يَكُنِ النَّاسُ حَوْلَهُ يُسَمُّونَهُ بِهَذَا الْاسْمِ خُصُوصًا إِنْ قِيلَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي الْمَدْحِ، وَفِي الْمَدْحِ عَادَةً اعْتِبَارَاتٌ عَدِيدَةٌ تَجْعَلُ الشَّاعِرَ يَتَفَقَّدُ كَلِمَاتِهِ وَيَزِنُهَا بِدِقَّةٍ حَتَّى لَا تُسَيِّءَ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَى مَمْدُوحِهِ الَّذِي تَكُونُ مَرْضَاتُهُ هِيَ الشَّاعِلُ الَّذِي يَشْغَلُ بِأَلِ الشَّاعِرِ حِينَ يَنْظُمُ مَدْحَتَهُ، فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ إِنْ كَانَ النَّاسُ يُسَمُّونَهُ "بَابَ الْهَدَى" بَيْنَمَا الشَّاعِرُ وَفِي مَوْقِفِ الْمَدْحِ يُسَمِّيهِ "بَابَ الْيَهُودِ"؟ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ مُسْتَقْبَحَةً فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَأْتِيَ الشَّاعِرُ فِي غَرَضِ الْمَدْحِ بِمَا هُوَ مُسْتَقْبَحٌ وَمَرْفُوضٌ؟.

١ - المقرئ نفح الطيب ١٦٧/٢ .

٢ - نفسه ١٥٥/١ .

وَوَرَدَ فِي الشَّعْرِ كَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْ "بَابِ الْيَهُودِ" بِقُرْطَبَةَ، وَذَلِكَ فِي قَصِيدَةِ أَبِي بَكْرِ
 بْنِ الْقَبْطُرَةِ (ت بعد ٥٢٠هـ) ^(١) وَهُوَ يَتَذَكَّرُ لَمَّةً مِنْ إِخْوَانِهِ بِقُرْطَبَةَ، مِنْهَا ^(٢): [لكل]
 وَادَّكُرْ لَهُمْ زَمَنًا يَهْبُ نَسِيمُهُ أَصْلًا كَفَثَ الرَّاقِيَاتِ عَلِيلاً
 بِالْحَيْرِ، مَا عَبَسَتْ هُنَاكَ عَمَامَةٌ إِلَّا تَضَاكَكَ إِذْخِرًا وَجَلِيلاً

وَعَقَّبَ الْمُقَرِّيُّ عَلَى "الْحَيْرِ" ^(٣) الْمَذْكُورَ بِقَوْلِهِ: "إِنَّهُ حَيْرُ الرَّجَالِي" ^(٤)، الْوَاقِعُ قُرْبَ بَابِ الْيَهُودِ بِقُرْطَبَةَ،
 وَقَالَ: "إِنَّهُ مِنْ أَبْدَعِ الْمَوَاضِعِ وَأَجْمَلِهَا وَأَتَمِّهَا حُسْنًا وَأَكْمَلِهَا"، وَوَصَفَهُ وَصْفًا دَقِيقًا يُبْرِزُ جَمَالَهُ وَدِقَّةَ
 صُنْعِهِ، وَأَضَافَ: "كَانَتْ لَابِنِ شَهِيدٍ مَعَ صَاحِبِ الرُّوضِ الْمَدْفُونِ فِيهِ مَجَالِسُ خَمْرِ وَلَهُوَ وَاسْتِمْتَاعٌ" ^(٥) وَبَعْدَ
 هَذَا الْوَصْفِ لِلْحَيْرِ اتَّسَاعُ: كَيْفَ يَكُونُ "بَابُ الْيَهُودِ" وَمَا بِدَاخِلِهِ إِذَا كَانَ الْحَيْرُ خَارِجَهُ بِهَذَا الْجَمَالِ؟! وَمَا
 شَكْلُ الْأَمَاكِنِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا الْيَهُودُ فِي قُرْطَبَةَ قُرْبَ الْبَابِ وَالْحَيْرِ؟! وَأَرَى فِي الْكَلَامِ عَنْ جَمَالِ الْحَيْرِ
 مُؤَشِّرًا عَلَى جَمَالِ كَانَ يُحِيطُ بِأَحْيَاءِ الْيَهُودِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ أَمَاكِنُ السُّكَنِ لِلْيَهُودِ فِي مُسْتَوَى بَعِيدٍ جَدًّا عَنْ
 جَمَالِ هَذَا الْحَيْرِ الْمُجَاوِرِ لَهَا، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مِثْلِ مُسْتَوَاهُ فَهِيَ عَلَى الْأَقْلَ فِي مَكَانٍ يُشْرِفُ عَلَيْهِ وَمُجَاوِرٍ
 لَهُ. وَهَذَا الْجَمَالُ فِي مَدْنِ الْيَهُودِ أَوْ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُجَاوِرَةِ لِسُكْنَاهُمْ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَعِيشُونَ عِيشَةً
 هَادِئَةً نَاعِمَةً وَلَمْ تَكُنْ أَمَاكِنُ سُكْنَاهُمْ أَقْلًا مِنْ أَمَاكِنِ سُكْنَى الْمُسْلِمِينَ حَضَارَةً أَوْ عُمَرَانًا أَوْ رَقَاهِيَّةً، وَأَضَافَ
 وَصَفُ الْحَيْرِ مَا زَادَ مُلَاحَظَتِي وَضُوحًا، فَالْحَيْرُ لَمْ يَكُنْ حَوْضًا عَادِيًّا تَجْتَمِعُ فِيهِ الْمِيَاهُ، بَلْ كَانَ رَوْضًا جَمِيلًا
 سَمِّيَ حَيْرًا بِاسْمِ الْحَيْرِ الْبَدِيعِ الْمَوْجُودِ فِيهِ، وَفِيهِ كَانَتْ تُقَامُ مَجَالِسُ الْخَمْرِ شَهْدًا أَبُو عَامِرٍ بْنُ شَهِيدٍ وَالرَّجَالِيُّ.
 وَأَعْتَقَدُ أَنَّ لَوْ قُوعَ الْحَيْرِ قُرْبَ سَكَنِ الْيَهُودِ أَثَّرًا سَاعَدَ فِي تَسْهِيلِ وَصُولِ الْخَمْرِ إِلَى الْحَيْرِ عَنْ طَرِيقِ
 الْيَهُودِ الَّذِينَ اسْتُتْهِرُوا بِبَيْعِ الْخَمْرِ. وَفِي مَوْقِعٍ آخَرَ مِنْ "النَّفْحِ" مَا يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذَا الْحَيْرَ كَانَ يَوْمُهُ الْأَدَبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ
 وَالْوُزَرَاءُ يَتَبَادَلُونَ الْأَخْبَارَ حِينًا، وَيُنْتَشِدُونَ الشَّعْرَ حِينًا. وَيَعَاقِرُونَ

١ - هُوَ الْوَزِيرُ: أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْقَبْطُرَةِ أَوْ الْقَبْطُورَةِ [مَعْنَاهَا ذُو الرَّأْسِ الْمُسْتَدِيرِ، فَهِيَ كَلِمَتَانِ caput وَتَعْنِي رَأْسَ
 وَ torno تعني مستدير]، وَهُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَخَوَاتِ وَزَرَاءِ شُعْرَاءَ، وَتَمَنَّعَ بِلَقَبِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ مِثْلَ أَخَوَيْهِ أَبِي مُحَمَّدٍ طَلْحَةَ وَأَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدٍ، وَالثَّلَاثَةُ
 كَانُوا وَزَرَاءَ فِي عَهْدِ بَنِي الْأَفْطَسِ بِيَطْلُوسَ، وَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ هَذَا الْكِتَابَةَ لِعُمَرَ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ الْأَفْطَسِ ثُمَّ لِلْمُرَاطِبِيِّ عِنْدَ ابْنِ تَاشَفِينَ، وَتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةٍ
 ٥٢٠هـ. انظر: ابن خاقان قلائد العقيان ق ١، ج ١/١٣٧-١٣٨، ق ٢، ج ٢/٤٢٩ -

٤٤٤؛ ابن بسام الذخيرة ق ٢، م ٧٥٣/٢ - ٧٧٤، ق ٢، م ٧٥٣/٢ [الْحَاشِيَّة]؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ٤١٢/٢؛ ابن دحية
 المطرِب ص ١٨٦-١٨٧؛ ابن الأبار التكملة ٤١/٢، ٦٣؛ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ١٠٣/٢، ١٧٤؛ ابن سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٣٦٧/١ - ٣٦٨؛ زَلَّاتِ
 الْمُبَرِّزِينَ ٩٦-٩٧؛ ابن الْخَطِيبِ الْإِخَاطَةُ ٥٢٠/١ - ٥٢٣؛ الْمُقَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ١٦٦/٢ - ١٧١.

٢ - ابن خاقان قلائد العقيان ق ٢، ج ٤٣٩/٢؛ تَفْحُ الطَّيِّبِ ١٥٥/١، ١٦٧/٢.

٣ - الْحَيْرُ: هُوَ الْحَائِزُ حَوْضٌ يُسَيَّبُ إِلَيْهِ مَسِيلُ الْمَاءِ مِنَ الْأَمْطَارِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَسْمِيهِ الْحَيْرَ كَمَا يَقُولُونَ لِعَائِشَةِ عِيشَةٍ،
 التَّخْفِيفُ وَطَرَحُ الْأَلْفِ، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: حَيْرٌ، وَهُوَ خَطَأً. ابن مَنْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [حَار] ٢٢٣/٤.

٤ - حَيْرُ الرَّجَالِي: يُنْسَبُ إِلَى بَنِي الرَّجَالِي، وَكَانَ رَأْسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّجَالِي الْوَزِيرُ مِنْ كِبَارِ كُتَّابِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّجَالِي، ثُمَّ وَلَاهُ الْخَزَائِنَ
 سَنَةَ ٣١٦هـ. فَالْوَزَارَةُ سَنَةَ ٣٤٤هـ. أَمَّا أَخُوهُ مُحَمَّدٌ فَقَدْ تَوَلَّى خَزَائِنَ الْمَالِ سَنَةَ ٣٠٧هـ. ثُمَّ الْوَزَارَةَ سَنَةَ ٣١٤هـ.

انظر: ابن حيان الْمُقْتَبَسُ ص ٣٢-٣٣؛ يَأْفُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣٢٨/٢.

٥ - انظر: ابن خاقان قلائد العقيان ق ٢، ج ٤٣٩/٢ - ٤٤٠؛ الْمُقَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ١٦٧/٢ - ١٦٨.

الْخَمْرُ حِينَ^(١)، وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ فِي الطَّرِيقِ الْمَجَاوِرِ لِحَيِّ الْيَهُودِ. وَسَوَى هَذَا لَمْ أَجِدْ إِشَارَاتٍ إِلَى أَمَاكِنَ لَهَا عَلاَقَةٌ بِالْيَهُودِ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا.

الْجَيْثُو الْأَنْدَلُسِيُّ

يُفْهَمُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا مَعزُولِينَ فِي أَحْيَاءَ وَمَنَاطِقَ خَاصَّةٍ بِهِمْ، وَيُوكِّدُ عَزْلَتَهُمْ تَسْمِيَةُ بَعْضِ الْمَنَاطِقِ بِأَسْمَائِهِمْ كَرَبَضِ الْيَهُودِ أَوْ مَقْبَرَةِ الْيَهُودِ، وَهَذَا يَقُودُ إِلَى الْقَوْلِ إِنَّهُمْ عَاشُوا فِي مَا يُسَمَّى "الْجَيْثُو"^(٢)؛ فَقَدْ كَانَتِ الْجَمَاعَةُ الْيَهُودِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ مُنْعَلَقَةً عَلَى ذَاتِهَا، كَعَادَةِ الْيَهُودِ فِي مُعْظَمِ الدُّوَلِ الَّتِي انْتَشَرُوا فِيهَا فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى. وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ ظَاهِرَةَ الْجَيْثُو هَذِهِ ذَاتُ جُذُورٍ عَقْدِيَّةٍ تَلْمُودِيَّةٍ قَائِمَةٍ عَلَى مَبْدَأِ الْعَزْلَةِ وَالْاعْتَزَالِ عَنِ بَقِيَّةِ الشُّعُوبِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمْ جِنْسٌ مُمَيَّزٌ، وَشَعْبُ اللَّهِ الْمُخْتَارُ، أَمَّا غَيْرُهُمْ فَهُمْ خَدَمٌ مُسَخَّرٌ لَهُمْ وَلِخِدْمَتِهِمْ^(٣). وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ خَاصَّةً بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ بَلْ ظَهَرَتْ بِوُضُوحٍ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي لَا يَتَفَصَّلُ الْحَالُ بِهِ عَنْ حَالِهِمْ فِي الْأَنْدَلُسِ كِيَهُودِ تَوَاتَ مَثَلًا^(٤)، وَيَهُودِ مَدِينَةِ أَغْمَاتِ إِيْلَانِ^(٥).

وَكَانَ حَيِّ الْيَهُودِ "الْجَيْثُو" فِي الْغَالِبِ يَتَكَوَّنُ مِنْ مِائَةِ فَنَاءٍ صَغِيرٍ غَيْرِ مُنْتَظِمٍ، تَتَرَابَطُ مَعَ بَعْضِهَا عَلَى امْتِدَادِ ضُرُوبٍ ضَيِّقَةٍ، تُوَاجِهُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ جَوَانِبٍ مِنْهَا بَيُوتٌ ذَاتُ طَلِقَيْنِ وَفَنَاءٌ مَكْشُوفٌ، مَطْلِيَّةٌ بِاللَّوْنِ الْأَبْيَضِ وَلَهَا شُرَفَاتٌ مُزَيَّنَةٌ بِالزُّهُورِ، وَبَقِيَ هَذَا النَّمَطُ وَاضِحًا عَلَى الْبِنَاءِ الْمُتَبَقِّي فِي قُرْطُبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مِمَّا حَدَا بِرُوبرت هيلنبراند أَنْ يَعْتَبِرَ بَقَاءَ هَذَا الصَّدَى الْخَافِتِ لِحَيِّ الْيَهُودِ إِلَى الْآنَ مِنَ الْمَفَارِقَاتِ الْغَرِيبَةِ؛ فَكُلُّ مَا بَقِيَ مِنْ رَوَائِعِ الْبِنَاءِ الْقَدِيمِ فِي قُرْطُبَةِ مَسَاكِنُ لَا تُعُودُ إِلَى أَيِّ مِنَ الْجَمَاعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَتَا سَادَةَ الْمَدِينَةِ طَوَالَ خَمْسَةِ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ، بَلْ إِلَى جَمَاعَةٍ مُسْتَضْعَفَةٍ فِي

١ - انظر: الْمُفْرِي تَفْحُ الطَّيِّب ١٣/٦ .

٢ - الْجَيْثُو: عبارة عَنْ حَيٍّ أَوْ عَدَدٍ مِنَ الشُّوَارِعِ الْمُخَصَّصَةِ لِإِقَامَةِ الْيَهُودِ، أَصْلُ الْكَلِمَةِ مُحَاطٌ بِكَثِيرٍ مِنَ الشُّكُوكِ، وَتَعَدَّدَتْ الْأَقْوَالُ فِيهِ، لَكِنْ أَكْثَرُهَا إِفْهَامًا فِيمَا أَرَى الْقَوْلُ بِأَنَّ الْجَيْثُو اسْتُخْدِمَتْ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى لَوْصِفِ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْبُلْدَانِ بِالْقَرَبِ مِنْ مَسْبَكٍ لِصَهْرِ الْمَعَادِينِ يُسَمَّى جَيْثُو أَوْجُو، وَكَانَ مُحَاطًا بِأَسْوَارٍ وَبَوَابٍ تُطَوَّى خِلَالَ اللَّيْلِ فِي عَامِ ١٥١٦م وَخُصِّصَ لِإِقَامَةِ الطَّائِفَةِ الْيَهُودِيَّةِ، فَكَانَ بِهِ مِائَةُ شَخْصٍ مِنَ الْيَهُودِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُسْتَنْتَبِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَيَتَعَرَّضُونَ لِلْإِسْتِغْرَازَاتِ. فَقَدْ سُمِحَ لَهُمْ الْبَقَاءُ فِي الْمَدِينَةِ بِشَرْطِ أَنْ يَتَجَمَّعُوا فِي حَيٍّ خَاصٍّ الْجَيْثُو الْقَدِيمِ فِي جَزِيرَةٍ مُنْعَزَلَةٍ بَيْنَ قَنَوَاتِ الْمَدِينَةِ. وَبَعْدَ مُرُورِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً أُضِيقَتْ إِلَيْهِ مَنَاطِقَةٌ جَدِيدَةٌ الْجَيْثُو الْجَدِيدُ، وَتَجَمَّعَ فِيهِ بِصِفَةِ خَاصَّةِ الْيَهُودِ الْقَادِمُونَ مِنَ الشَّرْقِ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أُطْلِقَ عَلَى هَذَيْنِ الْحَيَّيْنِ الْمُغْلَقَيْنِ اسْمًا مُوَحَّدًا هُوَ الْجَيْثُو. وَيَذْكَرُ رِشَادُ الشَّامِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْعَزْلَةَ ظَلَّتْ اخْتِيَارِيَّةً مِنْ قِبَلِ الْيَهُودِ إِلَى أَنْ أَصْدَرَ الْبَابَا بُولُسُ الرَّابِعُ (١٥٥٠ - ١٥٥٩م) نَشْرَةَ بَابَوِيَّةٍ عَامَ ١٥٥٥م تُوصِي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِعَزْلِ الْيَهُودِ إِجْبَارِيًّا .

انظر: عبد الوهَّاب الْمَسِيرِيُّ مَوْسُوعَةُ الْيَهُودِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالصَّهْيُونِيَّةِ ٢٨٨/٤ - ٢٩٤؛ رِشَادُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيِّ الشَّخْصِيَّةُ الْيَهُودِيَّةُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ وَالرُّوحُ الْعُنَوَانِيَّةُ ص ١٦-١٧ .

٣ - جَاءَ فِي التَّوْرَةِ سَفَرُ اللَّاوِيِّينَ ٢٤/٤٠: أَنَا الرَّبُّ الَّذِي مَيَّزْتُكُمْ عَنِ الشُّعُوبِ، وَفِي سَفَرِ التَّثْنِيَّةِ ٢/١٤: لَأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، وَقَدْ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

٤ - انظر: الْوَيْتْرِيْسِي الْمَعْيَارُ الْمَغْرِبُ ٢١٧/٢ - ٢٢٨ .

٥ - انظر: الْإِنْرِيْسِي تَرْهُهُ الْمُشْتَقَاقُ ٢٣٥/١ .

كِلَا الْعَهْدَيْنِ وَهُمْ الْيَهُودُ^(١).

وَكَانَ كُنْيَسُهُمْ مَرْكَزَ الْحَيِّ الْيَهُودِيِّ الْجُغْرَافِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ وَالاِقْتِصَادِيِّ، وَلِهَذَا اِزْدَحَمَتْ الْمَسَاكِينُ حَوْلَهُ اِزْدِحَامًا كَبِيرًا، وَكَانَتْ الْأَحْيَاءُ الْيَهُودِيَّةُ فِي إِسْبَانِيَا تَحْتَوِي عَلَى مَسَاكِينٍ جَمِيلَةٍ وَعِمَارَاتٍ، كَمَا تَحْتَوِي عَلَى أَكْوَاحٍ قَدْرَةٍ، أَمَّا فِي غَيْرِهَا مِنْ بِلَادٍ أَوْرُوبًا فَكَانَتْ الْمَسَاكِينُ أَحْيَاءَ قَدْرَةٍ وَمُمْتَلَنَةً بِالسُّكَّانِ^(٢).

وَأَدَّى الْجَيْشُ إِلَى عِزْلَةِ الْيَهُودِ عَنْ لُغَةِ الشُّعُوبِ الَّتِي كَانُوا يَعِيشُونَ فِيهَا فِي بَعْضِ بُلْدَانِ أَوْرُوبًا فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى بِمَنْعِ تَعَلُّمِهَا أَوْ التَّخَاطُبِ بِهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَانَ لِلْجَيْشِ لُغَتُهُ الْخَاصَّةُ، وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ الْيِيدِش Yiddish، وَهِيَ خَلِيطٌ مِنَ الْعِبْرِيَّةِ وَالْأَلْمَانِيَّةِ وَالْبُولَنْدِيَّةِ وَالرُّوسِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَظَهَرَ هَذَا وَاضِحًا عِنْدَ الْإِسْكَنْزَارِ (الْيَهُودِ الْأَوْرُوبِيِّينَ). أَمَّا يَهُودُ الْأَنْدَلُسِ وَالْيَهُودُ الشَّرْقِيِّونَ فَكَانَتْ لُغَتُهُمْ تُعْرَفُ بِاللِيدُو Ladino وَهِيَ خَلِيطٌ مِنَ الْعِبْرِيَّةِ وَالْإِسْبَانِيَّةِ^(٣). إِلَّا أَنَّ يَهُودَ الْأَنْدَلُسِ أَظْهَرُوا اهْتِمَامًا خَاصًّا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَقَدْ تَحَدَّثُوا وَكَتَبُوا بِهَا.

وَلَمْ يَنْتَهَمْ يَهُودُ الْأَنْدَلُسِ بِتُهْمَةِ "قَتْلِ الْأَغْيَارِ"^(٤)، وَإِنْ ظَهَرَتْ فِي بَعْضِ دُولِ أَوْرُوبًا مُرْتَبِطَةٌ بِمَا يُقَالُ عَنْ فَطِيرِ صَهْيُونٍ وَقَتْلِ الرِّجَالِ أَوْ خَطْفِ وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ^(٥)، فَلَمْ تَظْهَرْ هَذِهِ وَلَا تِلْكَ فِي مَصَادِرِ الثَّرَاثِ الْأَنْدَلُسِيِّ وَلَا فِي أَدْبِهِمْ.

ثَانِيًا :- مَظْهَرُهُمُ الْعَام .

وَضَعَ سَلَاطِينُ الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ وَمَغْرِبِهِ شُرُوطًا عَامَّةً لِمَلَابِسِ الْيَهُودِ وَهَيْئَتِهِمْ، اعْتَمَدَتْ عَلَى مَا اشْتَرَطَهُ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْهِمْ^(٦)؛ فَعَلَى حَاكِمِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُلْزِمَهُمُ التَّمْيِيزُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي اللَّبَاسِ، وَأَنْ يُلْزِمَهُمُ الْعِيَارَ^(٧)، وَظَهَرَ مِنْ هَيْئَتِهِمُ الْعَامَّةِ مَا يَلِي:

١ - انْظُرْ: روبرت هيلنبراند زِينَةُ الدُّنْيَا: قُرْطُبَةُ الْقُرُوسُنِيَّةُ تَرْجَمَةُ: عَبْدُ الْوَاحِدِ لَوْلُؤَةُ، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَخْرِير: سَلْمَى الْجَبُوسِي ١/ ٢٠٢ .

٢ - وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ١٤/ ٥٧ .

٣ - انْظُرْ: إِسْمَاعِيلُ رَاجِي الْفَارُوقِي الْمِلَالُ الْمُعَاصِرَةُ فِي الدِّينِ الْيَهُودِيِّ ص ٢٥ .

٤ - اعْتَمَدَتْ ظَاهِرُهُ قَتْلُ الْأَغْيَارِ عَلَى مَا جَاءَ مِنَ الدَّعْوَةِ لَهَا صَرَاحَةً فِي التَّلْمُودِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَقْتُلْ عَبْدَةَ الْأَوْثَانِ وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ كَمَا لَا، وَجَاءَ فِيهَا أَيْضًا: مَنْ يَرْفَعُ وَثَنًا مِنْ حُفْرَةٍ وَقَعَ فِيهَا، فَإِنَّهُ يَبْقَى عَلَى رَجُلٍ مِنْ عِبَادِ الْأَوْثَانِ لَذَلِكَ إِذَا سَقَطَ وَثَنِي فِي حُفْرَةٍ فَاسْدُدْهَا عَلَيْهِ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ، وَبِضَيْفِ الْحَاخَامِ رَاشِي إِلَى ذَلِكَ: عَلَيْكَ أَنْ تَمْنَعَ عَنْهُ كُلَّ وَسِيلَةٍ يُمَكِّنُهُ اسْتِعْمَالُهَا فِي خُرُوجِهِ مِنَ الْحُفْرَةِ .

انْظُرْ: <http://kalwid.Opl.com/chapters/pt2ch1.htm> ;

<http://www.al-eman.com/Islamlib/viewchp.asp?BID=274&CID=3>

٥ - اتَّهَمَ الْيَهُودُ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ فِي أَوْرُوبًا بِأَنَّهُمْ يَخْتَفُونَ أَطْفَالَ النَّصَارَى لِيَقْدِّمُوهُمْ قُرْبَانًا إِلَى يَهُوَه، أَوْ لِيَتَّخِذُوا دِمَاءَهُمْ دَوَاءً أَوْ لِيَسْتَعْمِلُوهُ فِي صُنْعِ خُبْزِ الْفَطِيرِ لِعِيدِ الْفِصْحِ عِنْدَهُمْ. انْظُرْ: صَابِرُ طُعَيْمَةِ التَّارِيخِ الْيَهُودِيِّ الْعَامِ ص ٥١-٥٢؛ مُحَمَّدٌ بَحْرُ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْيَهُودُ فِي

الْأَنْدَلُسِ ص ١٢-١٣؛ رَمْسِيْسُ عَوْضِ شُبْكْسِيرِ وَالْيَهُودُ ص ١٤-١٥؛ وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ١٤/ ٨١ .

٦ - انْظُرْ: أَبُو يُوسُفَ الْخَرَّاجِ ص ١٢٧؛ أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِي سِرَاجُ الْمُلُوكِ ٢/ ٥٤٣-٥٤٥؛ الْوَنُشْرِيْسِي الْمَغْيَارِ الْمَغْرِبِ ٢/ ٢٥٤ .

٧ - انْظُرْ: الْوَنُشْرِيْسِي الْمَغْيَارِ الْمَغْرِبِ ٢/ ٢٥٦ .

١ - الهَيئَةُ العامَّةُ وَالْعِيَارُ "الشُّكْلَةُ".

لَخَّصَ الطُّرْطُوشِيُّ وَالْوَنْشَرِيْسِي هَيْئَةَ الْيَهُودِ الْعَامَّةَ ^(١) فَاتَّسَرُّوا إِلَى أَنَّهُ يُلْزَمُهُمْ أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي اللَّبَاسِ، فَإِنْ لَبَسُوا مِثْلَهُمْ مَيَّزُوا مَلَابِسَهُمْ عَنِ مَلَابِسِ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَرَقِ. وَاشْتَرَطُوا عَلَى الْيَهُودِيِّ أَنْ يَضَعَ رُقْعَةً مَخِيطَةً عَلَى قَمِيصِهِ أَوْ بُرْنُسِهِ أَوْ جُبَّتِهِ مِنْ نَحْوِ الشُّبْرِ مِنْ طَوْقِهِ إِلَى آخِرِ الْكَتِفَيْنِ، وَرُقْعَةً أُخْرَى مِنْ قَدِّهَا عَلَى الصَّدْرِ مَصْبُوعَتَيْنِ بِالزَّعْفَرَانِ، وَإِنْ لَبَسُوا قَلَانِسَ فَتَكُونُ لَطَافًا مُقَارِبَةً، وَيَكُونُ فِي وَسْطِهَا أَوْ فِي أَعْلَاهَا رِقَاعٌ مِنْ لَبُودٍ حُمْرٍ أَوْ خَرَقٍ حُمْرٍ تُخَالِفُ أَلْوَانَ الْقَلَانِسِ لِيُعْرَفُوا بِهَا ^(٢)، وَقَالُوا: إِنَّ فِي رُكُوبِهِمُ السُّرُوجَ وَلِبَاسِهِمُ الْغَالِي مِنَ الثِّيَابِ تَبَاهِيًا عَلَى الْإِسْلَامِ، فَمُنِعُوا مِنْهُ، وَأَبِيحَ لَهُمْ مَا صَغُرَ مِنْهَا وَلَطُفَ قَدْرُهَا مِمَّا لَا تَبَاهِي فِيهِ ^(٣).

وَتَمَيَّزَ الْيَهُودُ بِمَلَابِسِ ذَاتِ أَلْوَانٍ خَاصَّةٍ كَانَتْ تُفَرِّضُ عَلَيْهِمْ؛ وَبِاخْتِلَافِ السِّيَاسَاتِ الَّتِي عَاشَ الْيَهُودُ فِي ظِلِّهَا اخْتَلَفَتْ أَلْوَانُ مَلَابِسِهِمْ مَا بَيْنَ الْأَزْرَقِ وَالْأَصْفَرِ وَالْكَحْلِيِّ وَالْأَحْمَرِ، وَلَمْ يَكُنْ تَخْصِيصُ أَهْلِ الدِّمَّةِ بِلَوْنٍ مُعَيَّنٍ فِي مَلَابِسِهِمْ خَاصًّا بِالْمَغَارِبَةِ وَأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، فَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ السِّيَاسَةُ تَجَاهَ الْيَهُودِ مُتَوَازِيَةً لَشَبِيهَةِ لَهَا فِي الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ مَعَ تَشَابُهِ فِي الْأَلْوَانِ أحيانًا ^(٤).

وَلَمْ أَجِدْ تَفْصِيلًا كَثِيرًا أَوْ تَوْضِيحًا لِهَذِهِ الْمَلَابِسِ وَأَلْوَانِهَا فِي أَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، لَكِنْ ظَهَرَتْ فِي الشُّعْرِ إِشَارَاتٌ قَلِيلَةٌ إِلَى هَذَا "الْعِيَارِ" فِي مَلَابِسِ الْيَهُودِ أَوْ "الشُّكْلَةِ" الْخَاصَّةِ بِهِمْ؛ وَقَدْ أَطْلَقَ الْمَغَارِبَةُ وَالْأَنْدَلُسِيُّونَ "الشُّكْلَةَ" عَلَى الْمَلَابِسِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَى الْيَهُودِ، وَأَرَى أَنَّ "الشُّكْلَةَ" أَطْلَقَتْ فِي الْبَدءِ عَلَى مَلَابِسِ الْيَهُودِ الصُّفْرَاءِ، لِمُشَابَهَتِهَا لِاشْتِقَاقَاتِ "شُكْل" ^(٥)؛ ثُمَّ أَطْلَقَتْ عَلَى كُلِّ مَلَابِسِهِمْ وَإِنْ اخْتَلَفَ لَوْنُهَا، وَيَرَى دُوزِي أَنَّ "الشُّكْلَةَ" هِيَ الْبَدَلَةُ وَلَا يُخَصَّصُهَا لِلْيَهُودِ ^(٦).

١ - انظر: أبو بكر الطرطوشي سراج الملوک ٥٤٧/٢ .

٢ - الوَنْشَرِيْسِي الْعِيَارُ الْمَغْرِب ٢٥٧/٢ .

٣ - نَفْسُهُ ٢٥٥/٢ .

٤ - عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ: يَذْكُرُ ابْنُ كَثِيرٍ (ت: ٧٧٤هـ) شَيْئًا عَنْ هَذِهِ الْأَلْوَانِ فِي تَارِيخِهِ لِأَخْبَارِ الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ سَنَةَ ٧٠٠هـ بِقَوْلِهِ: قَرِئَتْ شُرُوطُ الدِّمَّةِ عَلَى أَهْلِ الدِّمَّةِ وَالزَّمُوا بِهَا، وَالزَّمَ النَّصَارَى بِالْعَمَائِمِ الزَّرْقِ وَالْيَهُودَ بِالصُّفْرِ وَالسَّامِرَةَ بِالْحُمْرِ فَحَصَلَ بِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ . انظر: ابن كثير البداية والنهاية ١٦/١٤ .

٥ - أَرَى أَنَّ أَصْلَ الشُّكْلَةِ فِي اللَّغَةِ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: الصُّبْعُ فِيهَا غُرَّةٌ وَشُكْلَةٌ أَيْ فِيهِ لَوْنَانِ سَوَادٌ وَصُفْرَةٌ سَمِجَةٌ. كَمَا قِيلَ: الشُّكْلَةُ فِي الْعَيْنِ الصُّفْرَةُ الَّتِي تُخَالِطُ بَيَاضَ الْعَيْنِ الَّذِي حَوْلَ الْحَدَقَةِ عَلَى صِفَةِ عَيْنِ الصُّفْرِ، وَالْأَشْكَالُ: شَجَرٌ مِثْلُ شَجَرِ الْعُنَابِ فِي شَوْكِهِ وَصَفِّ أَغْصَانِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَصْغَرُ وَرَقًا وَأَكْثَرُ أَفْنَانًا، مَتَابِتُهُ شَوَاهِقُ الْجِبَالِ وَتُتَّخَذُ مِنْهُ الْقَسِيُّ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ شَجَرَتُهُ عَنِيْقَةً مُتَقَادِمَةً كَانَ عَوْدُهَا أَصْفَرَ شَدِيدَ الصُّفْرِ، وَإِذَا تَقَادَمَتْ شَجَرَتُهُ وَاسْتَنْمَتَ جَاءَ عَوْدُهَا نَصْفَيْنِ: نَصْفًا مِنْهُمَا شَدِيدَ الصُّفْرِ.

ابن منظور لسان العرب ٣٥٧/١١ - ٣٦٠ .

٦ - انظر: رينهارت دوزي تكملة المعاجم العربية ترجمة: مُحَمَّدُ النُّعَيْمِي [شكل] ٣٤٢/٦ .

وَلَمْ تَكُنْ "الشُّكْلَةُ" مَفْرُوضَةً عَلَى الْيَهُودِ فَحَسَبُ، بَلْ أُلْزِمَ بِهَا حَتَّى مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ، وَهَذَا وَاضِحٌ يَقُولُ يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ: "لَوْ صَحَّ عِنْدِي إِسْلَامُهُمْ لَتَرَكْتُهُمْ يَخْتَلِطُونَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي أَنْكِحَتِهِمْ وَسَائِرِ أُمُورِهِمْ، وَلَوْ صَحَّ عِنْدِي كُفْرُهُمْ لَقَتَلْتُ رِجَالَهُمْ وَسَبَيْتُ دَرَارِيَهُمْ. وَجَعَلْتُ أَمْوَالَهُمْ قَيْئًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنِّي مُتَرَدِّدٌ فِي أَمْرِهِمْ. وَلَمْ تَتَعَقَّدْ عِنْدَنَا ذِمَّةٌ لِيَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ مُنْذُ قَامَ أَمْرُ الْمَصَامِدَةِ وَلَا فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَغْرِبِ بَيْعَةً وَلَا كَيْسَةً، إِنَّمَا الْيَهُودُ عِنْدَنَا يَظْهَرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُصَلُّونَ فِي الْمَسَاجِدِ وَيَقْرَأُونَ أَوْلَادَهُمْ الْقُرْآنَ جَارِينَ عَلَى مِلَّتِنَا وَسُنَّتِنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَتَحْوِيهِ بَيُوتُهُمْ" (١). وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ إِنَّ الْكَلَامَ يَخْتَصُّ بِيَهُودِ الْمَغْرِبِ فَحَسَبُ، لَكِنِّي مَعَ مُحَمَّدٍ السَّعِيدِ فِي تَأْكِيدِهِ أَنَّهُ يَنْسَحِبُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا؛ فَالسياسةَ وَاحِدَةً، وَالْحُكْمُ يَسْرِي عَلَى الْبِلَادِ الَّتِي يَحْكُمُهَا الْمُوَحِّدُونَ كَافَّةً، وَلَيْسَتْ الْأَنْدَلُسُ سِوَى وَلَايَةٍ مِنْ وَلَايَاتِهِمْ (٢).

وَدَعَا أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ (ت: ٤٥٩ هـ) (٣) أَهْلَ صِنْهَاجَةَ وَبَادِيَسَ إِلَى الثَّوْرَةِ عَلَى الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ يَتَعَالَوْنَ

عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِاتِّخَاذِهِمُ الْمَلَابِسَ الْعَالِيَةَ الثَّمَنَ، وَبِنَاءِ الْبُيُوتِ الْفَخْمَةِ، بِقَوْلِهِ (٤): [لمتقارب]
فَهَلَا اقْتَدَى فِيهِمْ بِالْأُولَى
وَأَنْزَلَهُمْ حَيْثُ يَسْتَأْهَلُونَ
وَطَافُوا الدِّينَابِ أَفْوَاهِهِمْ (٥)
مِنْ الْقَادَةِ الْخَيْرَةِ الْمُتَّقِينَ
وَرَدَّهُمْ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ
عَلَيْهِمْ صَعَارٌ وَذُلٌّ وَهُونٌ (٦)

١ - عَدَدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكِشِيُّ الْمَعْجَبُ ص ٣٠٥ .

٢ - انْظُرْ: مُحَمَّدٌ مَجِيدُ السَّعِيدِ الشُّعْرُ فِي عَهْدِ الْمُرَابِطِينَ وَالْمُوَحِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ ص ٥٣ .

٣ - هُوَ: أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَسْعُودِ الْإِلْبِيرِيِّ، مِنْ حِصْنِ الْعَقَابِ، اشتهر بفُرْطُبَةِ بَعْلَمِهِ وَصَلَاحِهِ وَزُهْدِهِ، أَكْثَرَ فِي شِعْرِهِ مِنْ ذَمِّ الدُّنْيَا، أَنْكَرَ عَلَى بَادِيَسَ تَوَزِيرَ يَهُودِيٍّ وَتَقْرِيبِهِ فِي الْحُكْمِ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ نَفَاهُ إِلَى الْبَيْرَةِ، فَقَالَ قَصِيدَةً فِيهِ كَانَتْ سَبَبًا فِي ثَوْرَةِ النَّاسِ عَلَى الْيَهُودِ وَذَبْحِهِمْ وَالْقَضَاءِ عَلَى وَزِيرِهِمْ. لَمْ تَذَكَرِ الْمَصَادِيرُ تَارِيخَ مَوْلِدِهِ، وَاخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِ تَارِيخِ وَفَاتِهِ الْقَرِيبِ مِنْ نَهَايَةِ عَامِ ٤٥٩ هـ .

وَلَهُ تَرْجَمَةٌ فِي قَلِيلٍ مِنَ الْمَصَادِيرِ رُغْمَ أَنَّهُ أَحْدَثَ ثَوْرَةً بِاللُّغَةِ الْأَثَرِ، تَرَجَّمَ لَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي نَهَايَةِ تَرْتِيبِ الْمَدَارِكِ، وَخَصَّهُ الضُّبِّيُّ بِأَقْلٍ مِنْ سَطْرَيْنِ فِي كِتَابِهِ بَغِيَةِ الْمُلْتَمَسِ وَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ فَقِيهًا زَاهِدًا عَابِدًا، وَقَالَ ابْنُ الْأَبَّارِ فِي تَكْمِلَةِ الصَّلَةِ إِنَّهُ كَانَ شَاعِرًا مُجَوِّدًا، وَاشْتَهَرَ بِشِعْرِهِ الرَّهْدِيِّ، أَمَّا الْمُقَرِّيُّ التِّلْمِسَانِيُّ فَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ فِي سِتَّةِ مَوَاطِنَ، أوردَ لَهُ فِيهَا أَبْيَاتًا مَقُولَةً عَنْ دِيَوَانِهِ، وَبَعْضُ مِنْهَا لَمْ يَرِدْ فِي مَخْطُوطَةِ الدِّيَوَانِ الْوَحِيدَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي مَكْتَبَةِ الْأَسْكُورِيادِ، وَقَدْ نَشَرَهَا إِمِيلُو غَرْسِيهَ غُومِثُ فِي مَدْرِيدِ عَامِ ١٩٩٤م، وَجَاءَ الْمُقَرِّيُّ بِخَبَرٍ وَحِيدٍ قَصِيرٍ حَوْلَ قَصِيدَتِهِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْيَهُودِ، ثُمَّ أوردَ أَبْيَاتًا خَمْسَةً مِنْهَا. وَلَا نَعْرِفُ لِلْإِلْبِيرِيِّ مِنَ الْكُتُبِ الْمَوْلُفَةِ غَيْرَ دِيَوَانِهِ الشُّعْرِيِّ. انْظُرْ: الْقَاضِي عِيَاضُ تَرْتِيبِ

الْمَدَارِكِ ٣٦٦/٢، الضُّبِّيُّ بَغِيَةِ الْمُتْلَمَسِ ٢٧٤/١، ابْنُ الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ ١١٨/١-١١٩، ٢٠/٣، ابْنُ سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ١٣٢/٢-١٣٣، ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣١-٢٣٣، الإِحَاطَةُ ٤٤٠/١، الْمُقَرِّيُّ تَفْحِ الطَّيِّبِ ٤٠/٥، ٩٣/٦، إِمِيلُو غَرْسِيهَ غُومِثُ مَعَ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمُتَنَبِّئِي، سِيَرٌ وَبَرَسَاتُ ص ٨٣-١١٦ .

٤ - انْظُرْ الْقَصِيدَةَ: أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ دِيَوَانُهُ ص ٨٩-٩٢، وَأوردَ أَبْيَاتًا مِنْهَا كُلٌّ مِنْ: ابْنِ سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ١٣٣/٢، ابْنِ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣١-٢٣٣، الْمُقَرِّيُّ تَفْحِ الطَّيِّبِ ٩٣/٦ .

٥ - فِي تَحْقِيقِ مُحَمَّدِ رِضْوَانِ الدَّايَةِ بِأَخْرَاجِهِمْ وَالْخَرْجِ: الضَّرْبَةُ عَلَى الرَّؤُوسِ وَعَلَى الدِّخْلِ، بِأَفْوَاهِهِمْ: يَقْصُدُ هُنَا بِالْغَيْبَةِ مَأْخُودَةً مِنْ (الْفُوهَةُ أَوْ الْفُوهَةُ) وَهِيَ تَقْطِيعُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْغَيْبَةِ. ابْنُ مَنَظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [فُوه] ٥٣٠/١٣ .

٦ - يَشِيرُ الشَّاعِرُ هُنَا إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿ حَتَّى يَعْطُوا الْحِزَّةَ عَزِيدَ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، آيَةُ ٢٩ .

وَقَمُوا^(١) الْمَرَابِلَ عَنْ خِرْقَةٍ^(٢) مَلَوْنَةً لِذُنَارِ الدَّقِينِ^(٣)
وَهُمْ يَلْبَسُونَ رَفِيعَ الْكُسَى

وَرَحْمَ^(٤) قِرْدُهُمْ دَارَهُ وَأَجْرَى إِلَيْهَا نَمِيرَ^(٥) الْعُيُونِ

فَكَانَ أَوَّلُ مَا طَالَبَ بِهِ الْإِلْبِيرِيُّ أَنْ يَقْتَدِيَ بِأَدِيسُ بِسَلَفِهِ مِنَ الْقَادَةِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ حَدَّدُوا مَظْهَرَ هُمْ الْعَامَ وَنَوْعِيَّةَ الْمَلَابِسِ الَّتِي كَانَ الْيَهُودُ يَلْبَسُونَهَا، وَأَضَافَ أَنَّهُمْ تَبَاهَوْا فِي قُصُورِهِمْ؛ فَقَصُرُ وَزِيرِهِمُ الْمَنْعُوتِ بِالْقِرْدِ كَالْجَنَّةِ، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْيَهُودَ فِي الْأَنْدَلُسِ عَاشُوا بِهَيْئَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ مُحْتَزَمَةٍ، يَنْسَبُّهُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، بَلْ كَانُوا أَحْيَانًا فِي حَالٍ أَفْضَلَ كَثِيرًا مِنْ حَالِ الْمُسْلِمِينَ.

وَاخْتَلَفَتِ السِّيَاسَاتُ الَّتِي عَاشَ فِي ظِلِّهَا الْيَهُودُ، وَرَافَقَ السِّيَاسَاتِ اخْتِلَافٌ فِي أَلْوَانِ مَلَابِسِهِمْ. وَاتَّوَقَّعُ أَنَّ أَشْعَارًا قِيلَتْ فِي هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ، لَكِنَّهَا ضَاعَتْ. وَمَا يَجْعَلُنِي أَقُولُ هَذَا مَا قَالَهُ ابْنُ عِدَارِي فِي حَدِيثِهِ عَنْ قُضَائِلِ يَغْقُوبَ الْمَنْصُورِ عِنْدَمَا أَمَرَ بِشُكْلَتِهِمُ الزَّرْقَاءِ^(٦). - عَنْ أَرْجُوزَةٍ طَوِيلَةٍ لَابْنِ نَعْرِيلَةَ ضَاعَتْ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْهَا إِلَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ وَتَبَدَّى بِقَوْلِهِ^(٦): [رجز]

لَبَسَ دَا الْأَزْرَقُ لَيْسَ فِيهِ خَسَا رَا فَافْهَمُوا يَا قَوْمُ هَذِهِ الْإِشَارَا

نَعَتَ ابْنَ عِدَارِي قَائِلَهَا بِالْيَهُودِيِّ اللَّعِينِ وَهَذَا يُوحِي أَنَّ سَبَبَ تَجَاهُلِ بَقِيَّةِ أَبْيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ هُوَ يَهُودِيَّةُ قَائِلِهَا، وَنَظْمُ أَرْجُوزَةٍ فِي وَضْعِ الْيَهُودِ تَبَدَّى بِالْحَدِيثِ عَنْ "الشُّكْلَةِ" الزَّرْقَاءِ الَّتِي فَرَضَتْ عَلَيْهِمْ مُوَشَّرٌ عَلَى قَوْلٍ عِنْدَ هَذَا الشَّاعِرِ أَوْ غَيْرِهِ فِيهَا وَفِيمَا سَبَقَهَا مِنْ مَلَابِسٍ صَفْرَاءَ أَوْ غَيْرِهَا.

وَأَشَارَ ابْنُ خَلْدُونٍ إِلَى الْأَرْجُوزَةِ فِي مُقَدِّمَتِهِ بِقَوْلِهِ إِنَّهَا مَلْعَبَةٌ^(٧) مِنَ الشَّعْرِ الزَّجَلِيِّ، مَنْسُوبَةٌ لِبَعْضِ الْيَهُودِ، وَأُورِدَ أَبْيَاتًا خَمْسَةً مِنْهَا، ثَلَاثَةٌ مِنْهَا مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ الْمَزْعُومَةِ وَهِيَ^(٨): [رجز]

فِي صَبْغِ دَا الْأَزْرَقِ لِشَرَفٍ^(٩) هَـ رَا^(١٠) فَافْهَمُوا يَا قَوْمُ هَذِي الْإِشَارَا

١ - وَقَمُوا: قَدْ تَكُونُ مِنْ قَمَا الرَّجُلُ ذَلَّ وَصَغُرَ وَصَارَ قَمِيئًا. وَرَجُلٌ قَمِيٌّ: ذَلِيلٌ، وَقِيلَ: وَمَا قَامَتْهُمْ الْأَرْضُ: وَافَقَتْهُمْ، وَالْأَعْرَفُ تَرَكَ الْهَمْزَ. مَا يُقَامِيَنِي الشَّيْءُ أَيُّ مَا يُوَافِقُنِي أَوْ يُشَبِّهُنِي، وَتَقَمَّاتُ الْمَكَانِ تَقَمُّوْا أَيُّ وَافَقْتَنِي، فَأَقَمْتُ فِيهِ. وَقَدْ تَكُونُ مِنْ قَمَ بَيْتُهُ إِذَا كُنَسَهُ. وَمِنْهُ الْقَمَّةُ، بِالضَّمِّ، الْمَرْبَلَةُ.

ابن منظور لسان العرب [قما، قمي، قم] ١٣٤/١، ٢٠١/١٥، ٤٩٤/١٢.

٢ - الْخِرْقَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الثَّوبِ. ابن منظور لسان العرب [خرق] ٧٣/١٠.

٣ - الدَّائِرُ: الْهَالِكُ أَوْ الْوَسِخُ، وَالدَّفِينُ: الَّذِي يَظْهَرُ بَعْدَ الْخَفَاءِ وَيَفْشُو مِنْهُ شَرٌّ وَعَرٌّ، وَرَجُلٌ دَفِينُ الْمَرْوَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَرْوَةٌ.

ابن منظور لسان العرب [دثر، شعر] ٢٧٦/٤، ٤١٣، [دفن] ١٥٦/١٣.

٤ - رَحَمَ الدَّارَ: جَعَلَهَا مِنَ الرِّخَامِ، وَالرُّخَامُ: حَجَرٌ أَبْيَضٌ سَهْلٌ رَخْوٌ. ابن منظور لسان العرب [رحم] ٢٣٤/١٢.

٥ - النَّمِيرُ: الْمَاءُ الزَّاكِي، النَّامِي، عَذْبًا كَانَ أَوْ غَيْرَ عَذْبٍ. ابن منظور لسان العرب [نمر] ٢٣٦/٥.

٦ - ابن عِدَارِي الْمَرَاكِشِيُّ الْبَيَّانُ الْمَغْرِبِي - قِسْمُ الْمُوحِدِينَ - ص ٢٢٩؛ ابن خَلْدُونُ الْمُقَدِّمَةُ ص ٣٣٩ مَعَ اخْتِلَافِ عِنْدَ ابْنِ خَلْدُونٍ فِي صَبْغِ دَا الْأَزْرَقِ لِشَرَفِهِ خِيَارًا.

٧ - مَلْعَبَةٌ: لَمْ أَفْ لَهَا عَلَى مَعْنَى، وَقَدْ تَعْنِي الشَّعْرَ الْهَزْلِيَّ السَّاحِرَ وَلَيْسَ الَّذِي يُقَالُ فِي الْأَعْرَاضِ الْجَادَّةِ كَالْمَذْحِ وَالْفَخْرِ وَغَيْرِهَا.

٨ - انْظُرْ: ابْنُ خَلْدُونُ الْمُقَدِّمَةُ ص ٣٣٩؛ وَالبَيْتُ الْأَوَّلُ عِنْدَ ابْنِ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيِّ الْبَيَّانُ الْمَغْرِبِي - قِسْمُ الْمُوحِدِينَ - ص ٢٢٩ بِاخْتِلَافٍ. وَلَمْ يَنْسِبْهَا ابْنُ خَلْدُونٍ إِلَى ابْنِ نَعْرِيلَةَ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ.

٩ - الشَّرْفُ وَالشَّرَافِي: لَوْثٌ مِنَ الشَّيَابِ أَبْيَضٍ. ابن منظور لسان العرب [شرف] ١٧٤/٩.

١٠ - خِيَارٌ: مَفَاخِرَةٌ أَوْ تَشْرِيفٌ. ابن منظور لسان العرب [خير] ٢٦٧/٤.

تَجْمُ زُحَلٍ أَخْبَرَ^(١) بِذِي الْعَلَمَا
 شَاشِيَّةٌ^(٢) زُرْقًا بَدَلِ الْعِمَامَا
 ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ تُخْتَمُ بِهِمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي تَبْلُغُ نَحْوَ الْخَمْسِمِائَةِ، وَفِي الْبَيْتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ قَائِلَهَا يَهُودِيٌّ
 يَنْتَظِرُ صَلْبَهُ فِي يَوْمِ عِيدِ بَمْدِينَةِ قَاسَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ^(٣) : [لرجز]
 قَدْ تَمَّ ذَا التَّجْنِيسُ لِإِنْسَانٍ يَهُودِيٍّ
 يُصَلَّبُ بِبَلَدَةِ قَاسَ فِي يَوْمِ عِيدِ
 حَتَّى يَجِيَهُ النَّاسُ مِنَ الْبَوَادِي
 وَقَتْلُهُ هَـ يَا قَوْمُ عَلَى الْفِرَادِ^(٤)

وَرُغْمَ الْاِخْتِلَافِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْهَا عَمَّا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ عَدَارِي إِلَّا أَنَّ الْاِثْنَيْنِ يُشِيرَانِ إِلَى أَنَّ لَوْنَ الْمَلَابِسِ الَّتِي فَرَضَهَا الْمُوَحِّدُونَ عَلَيْهِمْ كَانَتْ زُرْقًا أَوْ كُحْلِيَّةً، كَمَا أَنَّ فِي الْأَبْيَاتِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَلَابِسُ الْمَصْبُوعَةُ بِاللَّوْنِ الْأَزْرَقِ وَالْكُحْلِيِّ مِنَ الْعَمَائِمِ وَالشَّوَاشِي كَانَتْ سَابِقًا بَيَاضًا لِلْوَنِ، قَبْلَ أَنْ يُمَيِّزَهُمْ يَغْقُوبُ الْمَنْصُورُ بِاللَّوْنِ الْكُحْلِيِّ، وَلَمْ أَجِدْ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالْأَدَبِ أَوْ التَّارِيخِ مَا يُشِيرُ بِوُضُوحٍ إِلَى هَذَا، لَكِنِّي أَرَى إِشَارَةً إِلَى هَذَا فِي الْأَبْيَاتِ نَفْسِهَا، وَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ يَذْكُرُ الشَّاعِرُ اللَّوْنَ الْأَزْرَقَ وَبِجَانِبِهِ كَلِمَةُ "الشَّرَفِ" الْمَصْبُوعَةُ بِالْأَزْرَقِ، وَالشَّرَفُ لَوْنٌ مِنَ الثِّيَابِ بَيَاضًا لِلْوَنِ، وَأَرَى كَلِمَةَ "الْغَرَارِ" فِيهَا جَمْعًا لِكَلِمَةِ "الْغَرَّةُ"، وَالْأَعْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي اللَّعَةِ هُوَ الْأَبْيَضُ، وَبِهَذَا قَدْ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّوْنَ السَّابِقَ لِمَلَابِسِهِمْ هُوَ الْأَبْيَضُ الْأَعْرُ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ الْمَلَابِسَ الْبَيَاضَ كَالْعَرَبِ تَمَامًا دُونَ تَمَيُّزٍ عَنْهُمْ، إِلَى أَنَّ جَاءَ قَرَارُ الْمَنْصُورِ فَمَيَّزَهُمْ.

وَاقْتَرَنَ فِي الْمَصَادِرِ ذِكْرُ هَيْئَتِهِمْ مَعَ مَا يَرَكَّبُونَ، فَقِيلَ إِنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى رُكُوبِ الْخَيْلِ لِأَنَّهَا مِنْ مَرْكُوبِ رَسُولِ اللَّهِ T وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَعَلَيْهَا جَاهِدُوا وَقَاتَلُوا عَدُوَّهُمْ، وَالْخَيْلُ مِنْ بَهَاءِ الْإِسْلَامِ وَمَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ، وَمَنْ فِي دَارِهِ عَتِيقُ الْخَيْلِ لَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُمْكِّنَ أَهْلُ الدِّمَّةِ مِمَّا هَذَا سَبِيلُهُ، وَيُنَاحَ لَهُمْ رُكُوبُ الْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ عَلَى الْأُكْفِ بِشُرُوطِ مُعَيَّنَةٍ^(٥)، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّقِدُوا بِهَذِهِ الشَّرُوطِ بِالتَّمَيُّزِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ الْوَنَشْرِيْسِي: "وَمَا يَفْعَلُهُ الْيَهُودُ الْيَوْمَ فِي الْأَسْفَارِ مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ وَالسَّرُوجِ الثَّمِينَةِ وَلِبْسِ فَاخِرِ اللَّبَاسِ وَالتَّحَلِّيِ بِحُلِيِّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي لِبْسِ الْخُفِّ وَالْمِهْمَازِ وَالتَّعْمِيمِ بِالْعَمَائِمِ فَمَحْظُورٌ شَنِيعٌ، وَمُنْكَرٌ فَظِيعٌ. وَرُبَّمَا يَحْلُلُونَ ذَلِكَ بِزَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ زِيَهُمُ الَّذِي يُعْرِفُونَ بِهِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَذَّابُونَ، لِمَا شَاهَدْنَا مِنْ حُصُولِ الْأَمْنِ الْقَوِيِّ لَهُمْ عِنْدَ الْعَرَبِ وَالْحَطَّوَةِ الْكَبِيرَةِ لِمَا يَرْجُونَ مِنْ حُصُولِ

١ - يُقْصَدُ بِهِذَا قِرَانَاتِ الْمُنْجَمِينَ حَوْلَ نَجْمِ زُحَلٍ.

٢ - الشَّاشِيَّةُ : الْقُلُوسَةُ.

٣ - انْظُرْ: ابْنُ خَلْدُونِ الْمُقَدِّمَةُ ص ٣٣٩.

٤ - الْفِرَادُ: جَمْعُ الْفَرْدِ وَهُوَ الْمُنْحَرُ.

٥ - انْظُرْ: الْوَنَشْرِيْسِي الْمَغْيَارِ الْمَغْرِبِ ٢٥٦/٢.

انْظُرْ: ابْنُ خَلْدُونِ الْمُقَدِّمَةُ ص ٣٣٥.

انْظُرْ: الرَّجَالِي أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ٢٠٥/٢ [الْحَاشِيَّةُ].

ابْنُ مَنظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [فَرْد] ٣٣١/٣.

النَّفْعَ لَهُمْ....إِلَّا أَنَّهُمْ لَمَّا وَجَدُوا السَّعَةَ عِنْدَ مَنْ لَا يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ مِنْ جُفَاةِ الْعَرَبِ وَطُعَاتِهِمْ تَزَيُّوا بِأَفْخَرِ زِيِّ الْمُسْلِمِينَ إِذْ كَانُوا لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ.... بَلْ هُمْ الْيَوْمَ عَلَى أَعْظَمِ مِنْ ذَلِكَ^(١).

٢ - الزُّنَّارُ وَالْخَاتَمُ وَالْقَلَائِدُ وَالْخِفَافُ .

"الزُّنَّارُ" يَشْدُوهُ الدَّمِيُّ عَلَى وَسْطِهِ^(٢) حَتَّى لَا يَتَشَبَّهَ أَهْلُ الدِّمَّةِ بِالْمُسْلِمِينَ فِي لِبَاسِهِمْ "بِأَنْ يَجْعَلُوا فِي أَوْسَاطِهِمُ الزُّنَّارَاتِ، مِثْلَ الْخَيْطِ الْعَلِيزِ يَعْقِدُهُ فِي وَسْطِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ"^(٣). وَهُوَ مَبْسُوطٌ فِي عَرْضِ الإِصْبَعِ مِنْ حَرِيرٍ أَوْ قُطْنٍ^(٤). وَتَشْدُوهُ الْمَرْأَةُ تَحْتَ الْإِزَارِ، وَالْأُولَى فَوْقَ الْإِزَارِ^(٥). وَكَانَ غِيَارُ أَهْلِ الدِّمَّةِ فِي بَغْدَادَ وَالشَّامِ وَمِصْرَ "الزُّنَّارَ" فَقَطْ^(٦).

وَيَجُوزُ لَهُمْ لِبَاسُ الْخَاتَمِ مَا صَغُرَ وَرَقٌّ وَلَطُفَ قَضِيْبُهُ، وَيَكُونُ فِضَّةً أَوْ زُجَاجًا مِمَّا لَا مُبَاهَاةَ فِيهِ، وَلَا يُمَكَّنُونَ مِنَ النَّقْشِ عَلَى خَوَاتِمِهِمْ بِالْعَرَبِيَّةِ^(٧)، وَفِي رِقَابِهِمْ يُعَلَّقُ خَاتَمٌ شَبَهُ الدِّيَّارِ مِنْ رِصَاصٍ أَوْ نُحَاسٍ أَوْ جَرَسٍ يُعَلَّقُ عَلَى صُدُورِهِمْ يَدْخُلُونَ بِهَا الْحَمَّامَ^(٨). وَيَكُونُ فِي عُنُقِ الْمَرْأَةِ خَاتَمٌ يَدْخُلُ مَعَهَا الْحَمَّامَ^(٩). أَمَّا الْخِفَافُ فَيَكُونُ أَحَدُ خُفَيْي نِسَائِهِمْ أَسْوَدَ وَالْآخَرُ أَبْيَضَ أَوْ أَحْمَرَ^(١٠).

وَلَمْ يَظْهَرْ وَاضِحًا فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنْ مَلَابِسِ الْيَهُودِ إِلَّا "الزُّنَّارُ". وَحَمَلَ "الزُّنَّارُ" فِي شَعْرِ الْمَشَارِقَةِ دِلَالَاتٍ ثَلَاثًا: الْأُولَى لِلْقَوْلِ بِدِقَّةٍ خَصَرَ الْمَحْبُوبِ ضِمْنَ سِلْسِلَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْجَمَالِ سِوَاهُ أَكَّانَ الْمَحْبُوبُ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ أَمْ لَا، وَعَلَيْهَا ابْنُ الْمُعْتَزِّ (ت ٢٩٦هـ)^(١١) يَقُولُهُ^(١٢): [لطويل]

١ - انظر: الوثائقي المغيار المغرب ٢٤٨/٢ .

٢ - انظر: ابن منظور لسان العرب [زنر] ٣٣٠/٤ .

٣ - أبو يوسف الخراج ص ١٢٧ .

٤ - انظر: الوثائقي المغيار المغرب ٢٥٧/٢ .

٥ - انظر: نفسه ٥٤٧/٢ .

٦ - كانوا يركبون السروج على فارة الدواب ويلبسون الفاخر من الثياب الرقيقة وعمائم الثوب إلى أن ألف كتاب أحكام أهل الدمة حوالي سنة ٤٨٠هـ لأبي بكر الحلواني لما رأى من تعظيم أهل الدمة . انظر: الوثائقي المغيار المغرب ٢٥٣/٢ .

٧ - انظر: الوثائقي المغيار المغرب ٢٥٥/٢ .

٨ - انظر: أبو بكر الطرطوشي سراج الملوك ٥٤٧/٢ ؛ الوثائقي المغيار المغرب ٢٥٦/٢ - ٢٥٧ .

٩ - انظر: نفسه والصفحة نفسها ؛ نفسه ٢٥٥ / ٢ .

١٠ - انظر: نفسه والصفحة نفسها ؛ نفسه ٢٥٦/٢ .

١١ - هو: أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ٢٤٧هـ . قيل إنه كان أدبياً بليغاً شاعراً مقتدياً حسن الإبداع للمعاني. اتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد والكتّاب فحلّوا مقتدر سنة ٢٩٦هـ وبأيعوه وأقام يوماً وليلة ثم حاربهم أصحاب المقتدر وشنّوهم وأعادوا المقتدر إلى الحكم، واختبأ ابن المعتز فترة إلى أن ظفروا به وقتلوه. له تصانيف عديدة منها: الزهر والرياض و البديع . انظر: ابن خلكان وفيات الأعيان ٧٦/٣ - ٧٩، ٢٥٥ - ٢٧٠؛ الكتبي فوات الوفيات ١/٥٩٣ - ٥٩٨ .

١٢ - ابن المعتز ديوانه ص ٢٤٢ .

وَعَاقِدِ زُنَّارٍ عَلَى غُصْنِ الْآسِ^(١) دَقِيقِ الْمَعَانِي مُخْطِفِ الْخَصْرِ مَيَّاسِ^(٢)

وَجَمَعَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي "الزُّنَّارِ" بَيْنَ الْعَزْلِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى نَصْرَانِيَّةِ الْقَتَاةِ، فَقَالَ^(٣): [لرجز]
ابْنُ نَصَارَى يَدِينُ دِينَهُمْ حَدَّثَتْ عَنْهُ بِذَا زُنَّارٍ

وَالدَّلَالَةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي يَحْمِلُهَا "الزُّنَّارُ" هِيَ الْقَوْلُ بِيَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ الْمُقْصُودُ؛ فَحِينَ خَرِبَتْ بَغْدَادُ بِدُخُولِ
هُوْلَاكُو^(٤) عَامَ ٦٥٦ هـ رَتَّاهَا الشَّعْرَاءُ، وَمِنْهُمْ تَقِيُّ الدِّينِ التَّنُوخِيُّ (ت: ٦٧٢ هـ)^(٥) الَّذِي عَنَى "بِالزُّنَّارِ" غَيْرَ
الْمُسْلِمِينَ فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ لَهُ، مَطَّلَعُهَا^(٦): [لبسيط]

عَلَا الصَّلَيبُ عَلَى أَعْلَى مَنَابِرِهَا وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَخُويهِ زُنَّارُ

وَالدَّلَالَةُ الثَّلَاثَةُ لِكَلِمَةِ "الزُّنَّارِ" فِي الشَّعْرِ هِيَ الْارْتِدَادُ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ؛ فَحِينَ طَلَبَ
الشَّيْلِيُّ (ت: ٣٣٤ هـ)^(٧) رَجُلًا مِنَ الْعَارِفِينَ يُسَمَّى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت: ٢٨٦ هـ)^(٨) تَنَصَّرَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى
الْكُفَّارِ، قَالَ الشَّيْلِيُّ: "فَانْصَدَعَتْ قُلُوبُنَا، وَانْهَمَلَتْ بِالْبُكَاءِ عُيُونُنَا، وَسِرْنَا إِلَيْهِ، وَإِذَا بِهِ قَائِمٌ قُدَّامَ الْخَازِيرِ، فَلَمَّا
رَأَا نَكَّسَ رَأْسَهُ، وَإِذَا عَلَيْهِ قَلَنْسُوءٌ"^(٩) النَّصَارَى، وَفِي وَسْطِهِ زُنَّارٌ"^(١٠). فَكَانَ الزُّنَّارُ "وَقَلَنْسُوءُ النَّصَارَى
عَلَيْهِ إِشَارَةٌ إِلَى ارْتِدَادِهِ. وَمِثْلُهُ حِينَ تَرْجَمُ "الْمُغْرِبُ"

١ - الآس: شجرة ورفها عطر. وهو بأرض العرب كثير وينبت في السهل والجبل وخضرته دائمة أبداً ويسمو حتى يكون شجراً عظاماً. وقيل هو ضرب من الرياحين.

٢ - مخطف الخصر: من الإخطاف وهو ضد الانتفاخ، أو صغر الجوف. ابن منظور لسان العرب [خطف] ٧٨/٩.

مَيَّاس: صيغة مبالغة من ماس يمسس ميساً إذا تبختر في مشيه وتنتهى. ابن منظور لسان العرب [موس] ٢٢٤/٦.

٣ - ابن المعتز ديوانه ص ٢٠٤.

٤ - هو الطاغية: هو لاكو ابن تولى بن جنكزخان، قائد التتر، الذي تجبر وطغى في بلاد العرب ودمر بغداد سنة ٦٥٦ هـ حين نزلها في مائتي ألف، وقتل المستنصر بالله وقضى على خلافة العباسيين وكانت دولتهم ٥٢٤ سنة. انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء ١٨٠/٢٣ - ١٨٣؛ الكُنِّيَّ قَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ ٢٩٨/١، ٥٨٠-٥٨١؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٧٠/٣ - ٢٧٣.

٥ - هو: تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكِر بن عبد الله التَّنُوخِيُّ، الفقيه الدمشقي الكاتب ولد سنة ٥٨٩ هـ، قال صاحب الشنرات إن له شعراً جيداً وبلاغة وفيه خير وعدالة، توفي عام ٦٧٢ هـ. انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء ١٣٠/٢ - ١٣٠؛ ابن نعري بزدي النجوم الزاهرة ٥١/٧ - ٥٢؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٧٢/٣.

٦ - ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٧٢/٣، ٣٣٨.

٧ - هو المتصوف: أبو بكر دلف بن جحر المعروف بالشَّيْلِيُّ [نسبة إلى شيلة قرية من سمرقند] الخراساني الأصل البغدادي المولد والمنشأ. درس الفقه وبرع في مذهب مالك، ثم تصوف وصحب الجُنَيْدَ. وله أحوال في الزهد والتصوف، توفي عام ٣٣٤ هـ ببغداد عن سبع وثمانين سنة.

انظر: السلمي طبقات الصوفية ص ٣٣٧ - ٣٤٨؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٣٢٢/٣؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ٢٧٣/٢ - ٢٧٦؛ الذهبي العبر في خبر من عبر ٥٠/١؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٣٣٨/١.

٨ - هو الإمام الحافظ: مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْدَلُسِيُّ، مُحَدِّثُ قُرْطُبَةَ وَهُوَ فِي عَشْرِ التَّسْعِينَ رَحَلَ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمَشْرِقِ، تُوُفِّيَ عَامَ ٢٨٦ هـ. ذكر ابن الأبار أن أبا عبد الله الكركنتي يحدث عنه بحكاية غريبة ولم يذكرها قد تكون هذه، روى عنه كثيرون من أهل قُرْطُبَةَ ورد ذكرهم في التكملة. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٣٠١/٢؛ ابن الأبار التكملة ١٨٣/٢، ٢١٤، ٣٠١، ٣٠٣/١٣٥، ١٥٦/٤؛ ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٦٤/١؛ الذهبي العبر في خبر من عبر ٤١٢/١.

٩ - القلنسوة: من ملابس الرؤوس. ابن منظور لسان العرب [قلس] ١٨١/٦.

وَأَتَوْقَعُ أَنَّ الْمُقْصُودَ بِهَا هَذَا النُّرْسُ، وَهُوَ قَلَنْسُوءٌ طَوِيلَةٌ كَانَتْ النِّسَاكُ يَلْبَسُونَهَا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ.

ابن منظور لسان العرب [برنس] ٢٦/٦.

١٠ - الأَبَشِيهِيَّ الْمُسْتَطَرَف ٢٢٨/١ - ٢٢٩.

لأبي القاسم بن الخياط^(١) قال: إنه أقام خمسين سنة على العفاف والخير، لا تعرف له زلة فلما أخذ النصارى طليطلة خلق وسط رأسه، وشد الزنار^(٢) فيفهم أن هذا العالم تنصّر.

وحمل الشعر الأندلسي الدلالات ذاتها التي حملها "الزنار" عند المشاركة، وكان من أوضح الإشارات إلى ملابس أهل الذمة فيه، وكان في أغلبه يشير إلى النصارى. وذلك لكثرة الحديث عن النصرايات في الشعر الأندلسي^(٣)، إلا أنه كان صفة جمال وأنوثة لمحبوب يهودي عند الشاعر أبي زكريا النجيب^(٤) (ت: ٧٥٣ هـ) بغزله الذي منه^(٥): [لطويل]

أتى يحمِلُ التوراةَ طبيباً مزنّراً
وقابلَ أخبارَ اليهودِ بوجهه
فصيرَ دمعِي عينا شربُ
لطيفِ الشّبي أَشنبَ الشّعرِ العسا^(٦)
فبارك مولانا عليه وقّدا
وعُمري تيهها والجوانح مقدّسا

فلم يكن لبس "الزنار" في الشعر الأندلسي يشكّل عائقا أمام الشاعر يمنعُه من الإعجاب أو التغرُّل بمن يلبس هذا "الزنار" من اليهود. بل على العكس من هذا كان "الزنار" صفة بارزة مقبولة وردت بين صفات جمال وأنوثة توالّت في الأبيات، فالحديث عن معشوق يهودي أقبل عليهم مفتخراً ومعتزاً بيهوديته يحمِلُ "التوراة" ويلبس "الزنار". ولم يكتفِ الشاعر بهذه الإشارات إلى يهوديته، بل جعله قائداً بين "أخبار اليهود" في مشهد يفيض بالقدسيّة بحيث فاضت الدموع وتآثرت الجوانح بمشهده، فكانت مقدساً وأرى أن الشاعر عني "بيت المقدس" في كلامه، فحين اشتعلت جوانحه بهذا الحب العظيم صارت مثل "بيت المقدس" لما تحوي فيها من مشاعر عظيمة مباركة مقدسة.

٣ - العمائم والقلائس.

جاء في "الإحاطة" أن العمائم كانت قليلة في زي الأندلسيين إلا عند شيوخهم وقضاةهم وعلمائهم

١ - هو: أبو القاسم بن الخياط، كان فقيهاً شاعراً، وله رسالة كتبها عن الفؤس إلى المعتمد بن عباد. انظر: ابن سعيّد المغرب ٢/٢٢.

٢ - ابن سعيّد المغرب ٢/٢٢.

٣ - انظر على سبيل المثال: ابن الحداد الأندلسي ديوانه ص ٢٥٦؛ وأبو زكريا النجيب في المقرئ تفتح الطيب ٤٠/٨.

٤ - هو: أبو زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل النجيب الكيف، شاعر واسع الاطلاع، من أشياخ لسان الدين ابن الخطيب له ديوان السليميات والعرفيات وقيل العرفيات أو العرييات، توفيت زوجه فحزن عليها إلى أن مات ٧٥٣ هـ. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٤/٣٦٩، ٧/٢٢٩؛ ابن الخطيب الإحاطة ٤/٣٨٩-٤٠٠؛ الكتيبة الكامنة ص ٧٣-٨٠؛ المقرئ تفتح الطيب ٣٢/٨-٤١.

٥ - المقرئ تفتح الطيب ٣٣/٨.

٦ - الشنب: صفة للحم صفاؤ الأسنان ونقاؤها؛ أو طيب نكهتها. أو البرد والغدوبة في الفم. واللّسن: لون الشفة إذا كانت تضرب

إلى السواد قليلاً، وذلك يستملح. ابن منظور لسان العرب [لعر، شنب] ٢/٢٠٧، ١/٥٠٧.

٧ - الشرب: المصدر. ابن منظور لسان العرب [شرب] ١/٤٨٧-٤٨٨.

السيط: الشعر المسترسل الذي لا جعودة فيه. ابن منظور لسان العرب [سيط] ٧/٣٠٨-٣٠٩.

وَالْجُنْدِ الْعَرَبِيِّ مِنْهُمْ^(١)، يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ غَيْرَ الْعَرَبِ وَمِنْهُمْ الْيَهُودَ لَمْ يَكُونُوا يَتَّعَمُّونَ، وَأَكَّدَ الْمُقَرِّيُّ هَذَا بِقَوْلِهِ: "وَلَا سَبِيلَ إِلَى يَهُودِيٍّ أَنْ يَتَّعَمَّ الْبَتَّةَ"^(٢) وَقَدْ يُظَنُّ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ كَانُوا يَتَّعَمُّونَ بَيْنَمَا مَنَعَ الْيَهُودَ مِنَ التَّعَمُّ. لَكِنْ ذَكَرَ الْمُقَرِّيُّ أَنَّ الْعَالِبَ عَلَى زِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّينَ تَرَكَ الْعَمَائِمَ، لَا سِيَّمًا فِي شَرْقِيِّ الْأَنْدَلُسِ^(٣) فَلَمْ يَكُنِ الْيَهُودُ وَحِيدِينَ فِي تَرْكِهِمُ الْعَمَائِمَ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ كَانُوا لَا يَتَّعَمُّونَ. حَتَّى إِنْ الْوَنُشَرِيسِيُّ أَجَارَ لُبْسَ الْعَمَامَةِ لِلْيَهُودِ بِقَوْلِهِ لِمَنْ سَأَلَهُ حَوْلَ لُبْسِ الْعَمَامَةِ لِلْيَهُودِ إِنَّهُ "يَجُوزُ لَهُ لِبَاسُ الْعَمَامَةِ عَلَى شَرْوِطٍ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ لَطِيفَةً قَرِيبَةً الثَّمَنِ، وَلَا تَكُونَ رَفِيعَةً غَالِيَةً مِنْ رَقِيقِ الْكَثَّانِ وَلَا مِنَ الشَّرُوبِ"^(٤)، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ التَّبَاهِيَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ...، وَمِثْلُ ذَلِكَ؛ الثُّوبُ الظَّاهِرُ مِنْ ثِيَابِهِ، وَأَنْ لَا يُعْظَمُوا أَكْوَارَ عَمَائِمِهِمْ^(٥) وَأَنْ لَا يُرْسَلُوا لَهَا دَوَائِبُ^(٦) بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ وَأَنْ لَا يَجْعَلُوا لَهَا أَحْنَاكَ^(٧) وَهُوَ الْعُثْنُونُ^(٨) تَحْتَ الدَّقْنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ زِيِّ الْعَرَبِ وَزِيِّ رَسُولِ اللَّهِ T وَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَفِي ذَلِكَ وَقَارُ الْإِسْلَامِ فَوَجَبَ مَنْعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِهَذِهِ الْمَعَانِي... وَالْعَمَائِمُ تِيْجَانُ الْعَرَبِ وَبَهَاءُ الْإِسْلَامِ، فَمُنِعُوا مِنَ التَّبَاهِيِّ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَا صَغُرَ مِنْهَا وَلَطُفَ قَدْرُهَا مِمَّا لَا تَبَاهِيَّ فِيهِ، لِقَوْلِهِ T: "اعْتَمُوا تَزْدَادُوا حِلْمًا"^(٩).....^(١٠).

هَذَا بِالنَّسْبَةِ لَشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، أَمَّا غَرْبُهَا فَيَقُولُ الْمُقَرِّيُّ: إِنَّكَ تَكَادُ لَا تَرَى فِيهِمْ قَاضِيًا وَلَا فَقِيهًا مُشَارًا إِلَيْهِ إِلَّا وَهُوَ بِعَمَامَةٍ، وَيُذَلِّلُ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ إِنَّهُ رَأَى عَزِيزًا ابْنَ خَطَّابٍ (ت: ٦٣٦هـ)^(١١) أَكْبَرَ عَالِمٍ بِمُرْسِيَّةَ^(١٢) وَهُوَ حَاسِرُ الرَّأْسِ، وَشَبِيهُهُ قَدْ غَلَبَ عَلَى سَوَادِ شَعْرِهِ. وَأَمَّا الْأَجْنَادُ وَسَائِرُ النَّاسِ، فَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ تَرَاهُ بِعِمَّةٍ فِي شَرْقِ مِنْهَا أَوْ غَرْبِ^(١٣)، كَمَا أَنَّهُ رَأَى ابْنَ هُوْدَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَهُوَ دُونَ عَمَامَةٍ، وَكَذَلِكَ ابْنُ الْأَحْمَرِ الَّذِي كَانَتْ مُعْظَمُ الْأَنْدَلُسِ فِي يَدِهِ^(١٤).

١ - انظر: ابن الخطيب الإحاطة ١٣٦/١.

٢ - المقرئ تفخ الطيب ٢١٣/١.

٣ - انظر: نفسه ٢١٢/١.

٤ - الشُّرُوب: نوعٌ مِنَ الْقَمَاشِ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَالْكَثَّانِ.

٥ - أَكْوَارُ الْعَمَامَةِ: جَمْعُ الْكَوْرِ وَهُوَ لَوْنُ الْعَمَامَةِ وَإِدَارَتُهَا عَلَى الرَّأْسِ، وَكُلُّ دَارَةٍ مِنَ الْعَمَامَةِ كَوْرٌ.

٦ - ابن منظور لسان العرب [كور] ١٥٥/٥.

٧ - الدَّوَائِبُ: جَمْعٌ لِلدَّوَابَةِ وَهِيَ الشَّعْرُ الْمَضْفُورُ مِنْ شَعْرِ الرَّأْسِ. ابن منظور لسان العرب [ذوب] ٣٧٩/١.

٨ - أَحْنَاكَ: مِنَ التَّحْنُكِ، وَهُوَ أَنْ تَدِيرَ الْعَمَامَةَ مِنْ تَحْتِ الْحَنْكِ. ابن منظور لسان العرب [حنك] ٤١٧/١٠.

٩ - الْعُثْنُونُ مِنَ اللَّحْيَةِ: مَا نَبَتَ عَلَى الدَّقْنِ وَتَحْتَهُ سِفْلًا، وَقِيلَ: لِلْحِيَةِ كُلِّهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: وَقَرُّوا الْعَثَانِينَ؛ هِيَ جَمْعُ عُثْنُونٍ، وَهُوَ لِلْحِيَةِ يَقْصَدُ هُنَا أَنْ لَا يَدِيرَ عَمَامَتَهُ عَلَى هَذَا الْمَكَانِ. ابن منظور لسان العرب [عثن] ٢٧٦/١٣.

١٠ - النَّبْسَاوَرِيُّ الْمُسْتَذَرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ ٢١٤/٤؛ الْعَسْفَلَانِيُّ فَتْحُ الْبَارِي ٢٧٣/١٠.

١١ - الْوَنُشَرِيسِيُّ الْمَغْرِبِيُّ ٢٥٥/٢.

١٢ - هُوَ: أَبُو بَكْرٍ عَزِيزُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ خَطَّابِ الْقَيْسِيِّ، عَالِمٌ مَشْهُورٌ بِالزُّهْدِ وَالْإِنْقِبَاضِ عَنِ الدُّنْيَا، وَلِيَّ مُرْسِيَّةَ بِلَدِهِ مِنْ قَبْلِ ابْنِ هُوْدِ الْمُتَوَكِّلِ، لَكِنَّهُ صَارَ مَلِكًا جَبَارًا سَفَاكًَا لِلدَّمَاءِ، حَتَّى كَرِهَتْهُ الْقُلُوبُ، قُتِلَ صَبْرًا بِمُرْسِيَّةَ سَنَةَ ٦٣٦هـ.

انظر: ابن الأثير الخلة السرياء ٣٠٨/٢-٣١١؛ ابن سحر جريد المغرب ٢٥٢/٢-٢٥٣؛ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ

الْمَرَاكِشِيِّ الذَّلِيلُ وَالتَّكْمِلَةُ السَّفَرُ الْخَامِسُ ق ١، ص ١٤٤-١٤٦؛ ابْنُ سَعِيدٍ اخْتِصَارُ الْفُذَحِ الْمُغَلَّى ص ١٤٦.

١٣ - مُرْسِيَّةٌ: بَضْمٌ أَوَّلُهُ وَالسُّكُونُ وَكُسْرُ السِّينِ، مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ أَعْمَالِ تَدْمِيرٍ، اخْتَطَطَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، وَسَمَّاهَا تَدْمِيرَ تَشْبِيْهِهَا لَهَا بِتَدْمِيرِ الشَّامِ، فَاسْتَمَرَ النَّاسُ عَلَى اسْمِ مَوْضِعِهَا الْأَوَّلِ، وَيُقَالُ أَنَّهَا تُسَبُّ إِلَى تَدْمِيرِ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ لَدْرِيقُ فِي مَمْلَكَتِهِ حِينَ = قَدِمَ لِمُوَاجَهَةِ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ أَيَّامَ الْفَتْحِ. قَالَ عَنُّهَا ابْنُ سَعِيدٍ أَنَّهَا أُخْتُ إِشْبِيلِيَّةَ؛ فَهَذِهِ بُسْتَانُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ وَهَذِهِ بُسْتَانُ غَرْبِهَا، قَدْ قَسَمَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا النَّهْرُ الْأَعْظَمُ، وَكَانَتْ تَمْتَازُ مُرْسِيَّةَ بِمَا يُصْنَعُ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْحَلَلِ وَالِدِيَّاجِ، وَقَدْ اسْتَوْلَى الْفَرَنْجُ عَلَيْهَا سَنَةَ ٦٥٢هـ.

انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ١٠٧/٥؛ ابْنُ خَلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣٣١/٣، ٤٢٨/٤، ٣٢١/٥؛ ابْنُ سَعِيدٍ جريد المغرب ٢٤٥/٢.

١٤ - الْقَوْلُ هُنَا لِابْنِ سَعِيدٍ، وَالْمُقَرَّرُ يَنْقُلُهُ عَنْهُ بَعْدَ سَقُوطِ الْأَنْدَلُسِ.

١٥ - انظر: المقرئ تفخ الطيب ٢١٣/١.

وَإِنْ لَبَسَ الْيَهُودُ قَلَانِسَ مَيِّزُوهَا عَنْ قَلَانِسِ الْمُسْلِمِينَ بِالْخَرَقِ^(١). وَيَكُونُ طَرَفُ الْعِمَامَةِ مِقْدَارَ ذِرَاعٍ وَهُوَ الطَّرَفُ الرَّاجِحُ عَلَى ظَاهِرِ كَوْنِ الْعِمَامَةِ بِاللَّوْنِ الْأَصْفَرِ^(٢). وَالْغَفَائِرُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ كَانَتْ صَفَرَاءَ لِقَوْلِ الْمَقْرِيِّ: "وَلَا تَجِدُ فِي خَوَاصِّ الْأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرِ عَوَامِهِمْ مَنْ يَعْيشُ دُونَ طَيْلَسَانَ"^(٣)، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَضَعُهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْهُمْ إِلَّا الْأَشْيَاخُ الْمُعْظَمُونَ. وَغَفَائِرُ^(٤) الصُّوفِ كَثِيرًا مَا يَلْبَسُونَهَا حُمْرًا وَخُضْرًا؛ وَالصُّفْرُ مَخْصُوصَةٌ بِالْيَهُودِ"^(٥). وَجَاءَ تَخْصِيصُ لَوْنٍ لِمَلَابِسِهِمْ فِي آخِرِ وَلَايَةِ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ (٥٧٩ - ٥٩٥ هـ) فَأَمَرَ أَنْ يُمَيِّزَ الْيَهُودَ بِلِبَاسٍ يَخْتَصُّونَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَجَعَلَ لَهُمْ صِفَةً كَحِدَادِ ثَكْلَى الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ ثِيَابُ زُرْقَاءَ^(٦)، وَأَكْمَامٌ مُفْرِطَةُ السَّعَةِ تَصِلُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ أَقْدَامِهِمْ، وَأَرْدَانُ^(٧) قُمْصِيهِمْ طَوَّلُ ذِرَاعٍ فِي عَرْضِ ذِرَاعِ زُرْقٍ وَبَرَانِسُ زُرْقٍ وَقَلَانِسُ زُرْقٍ، وَبَدَلًا مِنَ الْعَمَائِمِ كَلَوْنَاتُ^(٨) عَلَى أَشْنَعِ صُورَةٍ كَانَتْهَا الْبَرَادِيغُ^(٩) تَبْلُغُ إِلَى تَحْتِ أَدَانِهِمْ^(١٠)، فَشَاعَ هَذَا الزِّيُّ. وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ بَقِيَّةَ أَيَّامِهِ وَصَدَرًا مِنْ أَيَّامِ ابْنِهِ النَّاصِرِ إِلَى أَنْ غَيَّرَهُ النَّاصِرُ بَعْدَ أَنْ تَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ

١ - أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيُّ سِرَاجُ الْمُتَوَكِّلِ ٥٤٧/٢ .

٢ - الْوُثَّاقِيُّ الْمَغْرِبِيُّ ٢٥٧/٢ .

٣ - الطَّيْلَسَانُ: فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ، وَهُوَ كِسَاءٌ مَدُورٌ أَخْضَرٌ لَحْمَتُهُ أَوْ سَدَاهُ مِنْ صُوفٍ يَلْبَسُهُ الْخَوَاصُّ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايخِ .

ابن مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [طلس] ١٢٥/٦؛ بَطْرُسُ الْبُسْتَانِيِّ مُحِيطُ الْمُحِيطِ ١٢٨٨/٢ .

٤ - غَفَائِرُ: مَفْرَدُهَا الْغِفَارَةُ وَالْمَغْفَرَةُ وَالْغِفَارَةُ، وَهِيَ وَشَاحٌ يَلْبَسُهُ الْأَخْبَارُ فِي الْهَيَاكِلِ، وَهِيَ مِثْلُ الْقَلَنْسُوءَةِ غَيْرُ أَنَّهَا أَوْسَعُ يُلْفِيهَا الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ فَتَبْلُغُ الدَّرْعَ، ثُمَّ يَلْبَسُ الْبَيْضَةَ فَوْقَهَا، وَزَيْمًا جُعِلَ الْمَغْفَرُ مِنْ دِيْبَاجٍ وَخَرٌّ أَسْفَلَ الْبَيْضَةِ .

ابن مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [غفر] ٢٧/٥؛ بَطْرُسُ الْبُسْتَانِيِّ مُحِيطُ الْمُحِيطِ ١٥٤١/٢ .

٥ - الْمَقْرِيُّ تَفْحُصُ الطَّبِيبِ ٢١٣/١ .

٦ - ثِيَابُهُمْ زُرْقَاءُ عِنْدَ ابْنِ عِدَارِيٍّ وَابْنِ خَلْدُونٍ، كُحْلِيَّةٌ عِنْدَ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَاكُشِيِّ .

٧ - أَرْدَانُ: جَمْعُ الرُّنْدِ، وَهُوَ أَصْلُ الْكَمِّ. وَيَقَالُ: قَمِيصٌ وَاسِعُ الرُّنْدِ. ابن مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [ردن] ١٧٧/١٣ .

٨ - كَلَوْنَاتُ: جَمْعُ لِلْكَلَوْتَةِ وَهِيَ الْقَلَنْسُوءَةُ أَوْ الطَّاقِيَّةُ. رِيْنَهَارْتُ دَوْزِي تَكْمِلَةُ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ تَرْجَمَةُ: مُحَمَّدُ النُّعْمِيُّ [كلت] ١٢٥/٩ .

٩ - الْبَرَادِيغُ أَوْ الْبَرَادِيغُ جَمْعُ الْبَرْدَعَةِ أَوْ الْبَرْدَعَةِ: الْحَبْلُ الَّذِي يُلْقَى تَحْتَ الرَّجْلِ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الْحِمَارَ وَالْحِجْلُسَ: هُوَ كُلُّ شَيْءٍ وَلِيَّ ظَهَرِ الْبَعِيرِ وَالْدَابَّةِ تَحْتَ الرَّجْلِ وَالسَّرْحِ، وَقِيلَ: هُوَ كِسَاءٌ رَقِيقٌ يَكُونُ تَحْتَ الْبَرْدَعَةِ .

ابن مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [جلس، بردع، بردع] ٥٤/٦، ٨/٨ - ٩ .

١٠ - انْظُرْ: عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٤٣٠؛ ابن عِدَارِيٍّ الْمَرَاكُشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِيُّ قِسْمُ الْمُؤَحِّدِينَ ص ٢٢٩؛ ابن خَلْدُونٍ الْمُقَدِّمَةُ ص ٣٣٩ .

وَسَبِيلُهُ^(١)، وَاسْتَشْفَعُوا بِكُلِّ مَنْ يَظُنُّونَ أَنَّ شَفَاعَتَهُ تَنْفَعُهُمْ، فَأَمَرَ هُمْ بِلبس ثياب صُفْرٍ وَعَمَائِمٍ صُفْرٍ^(٢).
وَيَرَى فُوزِي عَيْسَى أَنَّ تَامَرَ الْيَهُودِ مَعَ ابْنِ هَمَشَكِ وَتَسْلِيمُهُمْ غَرْنَاتَةً لَهُ عَامَ ٥٥٧ هـ سَبَبُ شِدَّةِ
الْمَنْصُورِ مَعَهُمْ^(٣). وَيَبْدُو أَنَّ شِدَّةَ الْمُوحِدِينَ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ عَلَى النُّحْرِ السَّابِقِ أَعْجَبَتْ شَعْبَهُمْ أَيْمًا
إِعْجَابًا، بَلْ رُبَّمَا أَتْلَجَتْ صَدْرَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَارِجَ الْمَغْرِبِ، لَا سِيَّمَا أَنَّ هَذَا كَانَ فِي قُبْرَةِ الْحُرُوبِ
الصَّلَيبِيَّةِ الَّتِي اشْرَأَبَتْ فِيهَا الْأَعْنَاقُ إِلَى قَائِدٍ مُسْلِمٍ، يَتَّسِمُ بِالصَّرَامَةِ وَالْحَزْمِ تَجَاهَ الصَّلَيبِيِّينَ الْمُعْتَدِينَ؛ فَيُشِيدُ
ابْنُ جُبَيْرٍ بِتَمَسُّكِ الْمُوحِدِينَ بِالْإِسْلَامِ، قَائِلًا: "وَلِيَتَحَقَّقِ الْمُتَحَقِّقُ، وَيَعْتَقِدُ صَاحِبُ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ لَا إِسْلَامَ إِلَّا بِبِلَادِ
الْمَغْرِبِ. لِأَنَّهُمْ [أَيَّ الْمَغَارِبَةِ] عَلَى جَادَةٍ وَاضِحَةٍ كَمَا أَنَّهُ لَا عَدْلَ، وَلَا حَقَّ، وَلَا دِينَ عَلَى وَجْهِهَا إِلَّا عِنْدَ
الْمُوحِدِينَ"^(٤).

يَقُولُ عَصَمَتُ دَنْدَش: إِنَّمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَعَرَّفَ إِلَى بَعْضِ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ وَالْأَلْوَانِ الَّتِي كَانَتْ شَائِعَةً
بَيْنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ "دِيَوَانِ ابْنِ قُزْمَانَ"^(٥) (ت: ٥٠٨ هـ)، وَاسْمَى دَنْدَشُ كَثِيرًا مِنْهَا وَذَكَرَ تَفَاصِيلَ مَظَاهِرِهِمْ
مِمَّا جَاءَ فِي الدِّيَوَانِ^(٦)، وَحَاوَلْتُ الْبَحْثَ عَنْ مَلَابِسِ الْيَهُودِ مِنْ أَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، فَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ سَهْلًا وَلَمْ
تُظْهَرْ مَلَابِسُهُمْ وَاضِحَةً كَمَلَابِسِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ.
وَقَدْ يَكُونُ وَرَاءَ غِيَابِ مَلَابِسِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَالْيَهُودِ عَنْ شِعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ سَبَبٌ وَهُوَ قَلَّةُ ظُهُورِهِمْ بِهَا، وَقَلَّةُ
التَّزَامِهِمْ بِلبسِ الْمَلَابِسِ الْخَاصَّةِ الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ، فَعَلَى الْعَكْسِ بَدَأَ مِنْهُمْ تَأَثُّرٌ وَاضِحٌ بِمَلَابِسِ
الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا جَعَلَهُمْ أَحْيَانًا لَا يَمْتَازُونَ عَنْ بَقِيَّةِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ حَيْثُ كَانُوا يَلْبَسُونَ لِبَاسَهُمْ، وَيَعِيشُونَ مِثْلَهُمْ
غَيْرَ مُتَّقِيْدِينَ بِمَا كَانَ يُشْتَرَطُ عَلَيْهِمْ. وَيَعُدُّ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ مَظْهَرَ اللَّبَاسِ مِنْ أَهَمِّ الْمَظَاهِرِ

١ - حَاوَلَ الْيَهُودُ فِي مَشْرِقِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَمَغْرِبِهِ أَنْ يُغَيِّرُوا قَرَارَاتِ السَّلَاطِينِ بِأَمْوَالِهِمْ؛ فَيَذَكَرُ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ أَنَّهُ فِي سَنَةِ ٧٠٩ هـ
أَوْعَزَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْخَلِيلِيِّ إِلَى السُّلْطَانِ لَاعْتِبَارَاتٍ مَالِيَّةٍ أَنْ يُسَمَّحَ لِلنَّصَارَى وَالْيَهُودِ بِإِزْدَاءِ الْعَمَائِمِ الْبَيْضِ مُقَابِلَ سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، إِلَّا أَنَّ الْقَاضِي
ابْنَ تَيْمِيَّةٍ قَامَ بِتَحْرِيزِ السُّلْطَانِ عَلَى تَأْكِيدِ وَجُوبِ إِزْدَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِلْوَلِّ الْأَرْزَقِ.

انْظُرْ: ابْنُ كَثِيرٍ الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ١٤/ ٥٤.

٢ - عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكِبِيُّ الْمُفْجَبُ ص ٣٠٤.

٣ - انْظُرْ: فُوزِي عَيْسَى الشُّعْرُ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي عَصْرِ الْمُوحِدِينَ ص ٥١.

٤ - ابْنُ جُبَيْرٍ رِخْلَتُهُ ١/ ٦٩.

٥ - هُوَ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَيْسَى بْنِ قُزْمَانَ، وَقُزْمَانُ بضم القاف جمع قُزْمٍ، وَالْقُزْمُ الدَّنِيُّ الصَّغِيرُ الْجُنَّةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛
يُقَالُ لَهُ الْأَصْغَرُ تَمِيِزًا لَهُ عَنْ عَمِّهِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ الْأَكْبَرِ. وَهُوَ إِمَامُ الرُّجَالِينَ بِالْأَنْدَلُسِ. مَعَ أَنَّهُ قُرْطُبِيُّ إِلَّا أَنَّهُ تَرَدَّدَ كَثِيرًا عَلَى إِسْبِيلِيَّةٍ، وَكَانَ أَهْلُ
الْأَنْدَلُسِ يَقُولُونَ ابْنَ قُزْمَانَ فِي الرُّجَالِينَ بِمَنْزِلَةِ الْمُتَنَبِّيِّ مِنَ الشُّعْرَاءِ. قَرَّبَهُ الْمُتَوَكِّلُ مِنْهُ فِرْقَاهُ إِلَى مَجَالِسِهِ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ فَارْتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُ، تُوُفِّيَ سَنَةَ
٥٠٨ هـ.

انْظُرْ: ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعُقَيْانِ ق ٢، ج ٢/ ٥٥٥-٥٥٧؛ ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ٢، ج ٢/ ٧٧٤-٧٨٦؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ
ق ٤، ج ٢/ ٤٨٧؛ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤/ ٣٤٢؛ ابْنُ الْأَثَرِ الْمُفْتَضَّلُ مِنْ تَخْفَةِ الْقَادِمِ ص ٥٦-٥٨؛ ابْنُ سَعْدٍ يَدِ الْمَغْرِبِ ١/ ١٠٠-
١٠١، ١٦٧؛ رَايَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ص ١٢٦-١٢٧؛ الْمُقَرَّبِيُّ تَفْخِ الطَّيِّبِ ٤/ ٣٤٤-٣٤٥، ٥/ ١٧٢-١٧٣، ٦/ ٧٠، ٧١.

٦ - انْظُرْ: ابْنُ قُزْمَانَ دِيَوَانُهُ ص ٤٦، ٤٢، ٨٨، ١١٨، ١٣٢، ١٧٤، ١٨٠-١٨٢، ٤٣٦، ٥٦٠، ٥٦٦، ٦٦٢، ٧٥٨؛ عَصَمَتُ دَنْدَشِ الْأَنْدَلُسِ
فِي نِهَايَةِ الْمُرَابِطِينَ وَمُسْتَهْلُ الْمُوحِدِينَ ص ٣١٩.

ابن الأخوة من أن أهل الذمة ركبوا ركوب المسلمين، ولبسوا أحسن ملبوسهم^(١)، ويكمل مظهر أنه لم تذكر المصادر الإسلامية أو النصرانية أنه قد فرضت على النصارى في الأندلس أنواع مخصصة من الملابس تميزهم عن غيرهم من سكان البلاد في فترة الحكم الأموي مثلاً، واستنتج مظهر ذلك من قضية وردت على فقيه الأندلس ابن لُبَابَة (ت بعد ٣١٤هـ)^(٢) تلخص في أن رجلاً نصرانياً صلى بجماعة من المسلمين الصلوات الخمس، وكذلك صلاة قيام الليل في رمضان ومعه قرآن يقرأ فيه دون أن يعلم المسلمون من أمره شيئاً^(٣)، وأويّد مظهر فيما يرى فلو كان هناك ما يميز أهل الذمة في اللباس لما حدث ذلك الأمر، فكيف به يصلي بهم دون أن يعرفوا إن كان مسلماً أم غير ذلك، ولم تكن صلاة واحدة مفردة بل خمس صلوات مع قيام الليل. ولا يتأتى هذا لو كان هذا الذمي لباساً شيئاً خاصاً مخالفاً للباسهم. لكن هذه الحال كانت في بدء حكم المسلمين للأندلس، إلا أنه لم يدم، ولأسباب عديدة تغيرت سياسة الحكم تجاه أهل الذمة ومنهم اليهود، ففي آخر أيام السلطان المنصور أمر أن يميز اليهود على النحو المذكور سابقاً.

ودكر ابن الخطيب أن السلطان إسماعيل بن نصر (ت ٧٢٥هـ)^(٤) كذلك "اشتد على أهل البدع... واشتد في إقامة الحدود وإراقة المسكرات، وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم وشارة تميزهم ليوفوا حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الطرق والخطاب"^(٥).

ولا أقول إن هذه الحال بالتشبه بالمسلمين في ملابسهم كانت في البدايات وفي فترة الحكم الأموي فحسب، بل استمر الحال بين تقيّد بالشروط والتميز بملابس مخصوصة إلى حرية في لبس ما يريدون وصلت إلى تركهم يتشبهون بالمسلمين في زيهم وركوبهم وهيتهم حتى عصور متأخرة من وجودهم في بلاد الأندلس والمغرب العربي، فـ في نازلة عند الوئشريس (ت ٩١٤هـ) إجابة على سؤال حول رجل يهودي يدعى الحكيم ابن قبّال "كان يعمّم ويتختم ويركب السروج على فاره الدواب، ويقعد في حانوته من غير غيار ولا زنار، ويمشي كذلك في الأسواق بغير غيار يعرف به، كذلك في الأسواق

١ - انظر: ابن الأخوة معالم القرية في أحكام الحسبة ص ٤٢-٤٣ .

٢ - هو: ابن لُبَابَة الجَدّ، مُحَمَّد بنُ عُمَرَ، يكنى أبا عبد الله القرطبي مفتي الأندلس، كان رأساً في الفقه محدثاً أدبياً إخبارياً شاعراً مؤرخاً. ولد سنة ٢٢٥هـ، توفّي بالأندلس سنة ٣١٤هـ عن ثمان وثمانين سنة.

انظر: ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ٢/٣٤-٣٥؛ الحميدي جذوة المفتيس ١/١٢٧-١٢٨؛ الضبي بغية المتلمس ١/١٤٧؛ ابن الأبار التكملة ٢/٢١٥، ٣/١٤٦؛ الخلعة السرياء ١/٢٧٤؛ ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٢/١٩٢؛ ابن سعيّد المغرب ١/١٥٤-١٥٥؛ ابن فرحون الديباج المذهب ١/٢٤٢-٢٤٣؛ المقرئ تفتح الطيب ١/٢٥٧ .

٣ - انظر: الوئشريس الميعار المغرب ١/١٥٦ .

٤ - هو السلطان: أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر (٦٧٧-٧٢٥هـ) كانت مبايعته سنة ٧١٣هـ، وكان جميل الخلق، عادلاً في رعيته، مجتهداً في مدافعة الأعداء، وصفه ابن الخطيب أنه غرة في قومه ودرّة في بيته وحسنة من حسنات دهره.

انظر: ابن الخطيب الإخاطة ١/١٤٢، ٣٣٧-٣٣٩؛ اللمعة البدرية ص ٧٨-٩٠ .

٥ - ابن الخطيب اللمعة البدرية ص ٨٤ .

بِغَيْرِ غَيَارٍ يُعْرَفُ بِهِ، بَلْ بِأَفْضَلِ زِيَّ كِبَارِ الْمُسْلِمِينَ وَأَحْسَنِهِ" (١)، وفي هذا إشارة إلى أَنَّ الْيَهُودَ رُغِمَ كُلُّ الشَّرُوطِ الَّتِي اشْتَرَطَتْ عَلَيْهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ وَرُكُوبِهِمْ وَسَكْنِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِهِذِهِ الشَّرُوطِ وَكَانُوا يَتَشَبَّهُونَ بِالْمُسْلِمِينَ حَتَّى عُسُورَ مُتَأَخَّرَةٍ.

وَحَاوَلَ الْيَهُودُ أَنْ يُغَيِّرُوا فِي الشَّرُوطِ الْمَوْضُوعَةِ لَهُيئَتِهِمْ، فَيَرْوِي الْوَنُشْرِيْسِي عَنْ أَشْيَاخِهِ أَنَّ ثَلَاثَةَ أَخَوَةٍ مِنَ الْيَهُودِ، كَانَتْ تَلْزِمُهُمْ مَعَ أَوْلَادِهِمُ الْكِبَارِ جَزِيَّةٌ فِي كُلِّ عَامٍ أَرْبَعُونَ دِينَارًا، فَرَغِبُوا أَنْ يَبْذُلُوا فِي كُلِّ عَامٍ خَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ جَزِيَّةً زَائِدَةً عَلَى الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِمْ كُلِّ عَامٍ، وَيَكُونُ غَيَارُهُمُ الزُّنَارَ فَقَطَّ عَلَى أَوْسَطِهِمْ، وَلِيَزْكَبُوا الشَّرُوجَ لِزِيَارَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا أَوْ مَنْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِزِيَارَتِهِ مِنْ كِبَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ لَا يَكْلَفُوا غَيَارَ الْجَرَسِ فِي رِقَابِهِمْ وَلَا الرِّقَاعَ الْمَصْبُوعَةَ عَلَى ثِيَابِهِمْ. وَأَشْهَرُوا هَذَا السُّؤَالَ، إِلَّا أَنَّهُمْ مَنَعُوا مِنْهُ، وَقِيلَ: بَيِّنْتَ الْمَالِ وَفَرَدُ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ سُخْتِكُمْ (٢).

ثَالِثًا: - نَظَرَةُ الْأَنْدَلُسِيِّينَ إِلَيْهِمْ .

يُمْكِنُ تَجْمِيعُ بَعْضِ خُطُوطِ الصُّورَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْأَنْدَلُسِيُّونَ لِلْيَهُودِ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ أَدْبِيَّاتِهِمْ، وَأَوَّلُ مَا يُلَاحَظُ فِي هَذَا قَضِيَّةُ التَّعْمِيمِ؛ فَكَثِيرًا مَا تُؤْخَذُ صُورَتُهُمُ التَّامَرِيَّةُ مِنَ الْقُرْآنِ وَيُعَمَّمُ "النَّمُودَجُ التَّامَرِيُّ" عَلَى يَهُودِ الْأَنْدَلُسِ وَكُلِّ الْيَهُودِ، ظَهَرَتْ عِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ بِقَوْلِهِ: "... كَالْيَهُودِ الَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ شَيْئًا مِنَ الْحِيلِ، وَلَا أَتَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ. وَإِنَّمَا شَأْنُهُمُ الْغَشُّ وَالتَّخَابُثُ وَالسَّرِيقَةُ، عَلَى التَّطَاوُلِ وَالْخُضُوعِ، مَعَ شِدَّةِ الْعَدَاوَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ" (٣)، وَعِنْدَ ابْنِ عِدَارِي فِي قَوْلِهِ عَنْ كَاتِبِ ابْنِ يَنَالِهِ بِأَنَّهُ "يَهُودِيٌّ الْأَعْرَاقُ وَالْأَخْلَاقُ يَبْغِضُ النَّاسَ وَيَبْغِضُونَهُ" (٤).

وَيُوجِي "النَّمُودَجُ التَّامَرِيُّ" لِلْيَهُودِ أَنَّ خُصُوصِيَّةً تَكْمُنُ فِي شَرِّهِمُ الْأَزَلِيِّ وَأَنَّ الْيَهُودَ أَشْرَارٌ مُتَامِرُونَ بِطَبِيعَتِهِمْ، إِلَّا أَنَّ عَبْدَ الْوَهَّابِ الْمَسِيرِيَّ حِينَ رَفَضَ "النَّمُودَجَ التَّامَرِيَّ" اتَّخَذَ مِنْ نَجَاحِ جَمَاعَةِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي الْإِنْتِمَاءِ الْكَامِلِ لِلْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالتَّفَاعُلِ مَعَهَا وَالْإِسْهَامِ فِيهَا دَعْمًا لِرَفْضِهِ (٥)، وَمِثْلُهُ إِسْرَائِيلُ شَاخَاكُ يَرَى كَذَلِكَ أَنَّ مَا يُدْعَى "السَّمَاتُ الْيَهُودِيَّةُ" سِمَاتٌ حَدِيثَةٌ وَمَجْهُولَةٌ تَمَامًا خِلَالَ مُعْظَمِ التَّارِيخِ الْيَهُودِيِّ، وَلَمْ تَبْرُزْ لِلْعَيَانِ إِلَّا بَعْدَ فُقْدَانِ الطَّائِفَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْإِسْتِبْدَادِيَّةِ لِسُلْطَتِهَا (٦).

١ - الْوَنُشْرِيْسِي الْمِغْيَارِ الْمَغْرِبِ ٢٥٤/٢ .

٢ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٢٥٦/٢ .

٣ - ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ التُّغْرِيْلَةِ الْيَهُودِيِّ ٤٢/٣ .

٤ - ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكَشِيِّ الْبَيَّانُ الْمَغْرِبِ ٧٧/٤ .

٥ - انْظُرْ: عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَسِيرِيُّ مَوْسُوعَةُ الْيَهُودِ وَالْيَهُودِيَّةُ وَالصَّهْبُونِيَّةُ ١٥٠/١، ١٥٥ .

٦ - انْظُرْ: إِسْرَائِيلُ شَاخَاكُ الدِّيَانَةُ الْيَهُودِيَّةُ وَمَوْقِفُهَا مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ ص ٢٣ .

وظَهَرَتْ طَبِيعَتُهُمُ الشَّرِيرَةَ السَّيِّئَةَ عِنْدَ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْقَيْسِيِّ بِقَوْلِهِ ^(١): [لطويل]
وَإِنَّ أَنْاسًا بِالْإِمَامِ تَهَاوَنُوا لِأَفْضَلُ مِنْهُمْ فِي الْيَهُودِ وَفِي الرُّومِ
فَدَعُ دَارَهُمْ مِثْلَ الْإِمَامَةِ عِنْدَهُمْ فَمَا إِنْ تَرَى بِالسُّوءِ بَعْدُ بِمَأْمُومٍ

فَلَا يُوجَدُ أَسْوَأُ مِنْهُمْ، وَلَا هَلِ الدِّمَّةُ طَبَائِعُ شَيْطَانِيَّةٍ عِنْدَ ابْنِ الْأَخُوَّةِ بِقَوْلِهِ: "وَأَظْهَرَتْ مِنْهُمْ الْأَيَّامُ طَبَائِعَ شَيْطَانِيَّةٍ مَكْنَتُهَا وَعَصَدَتْهَا يَدُ سُلْطَانِيَّةٍ" ^(٢)، وَعَدَّدَ بَعْضًا مِنْهَا، فَقَالَ: "فَرَكِبُوا مَرْكُوبَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَبَسُوا أَحْسَنَ لِبَاسِهِمْ وَاسْتَخَذُواهُمْ، فَرَأَيْتُ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ رَاكِبًا يَسُوقُ بِمَرْكَبِهِ وَالْمُسْلِمَ يَجْرِي فِي رِكَابِهِ، وَرُبَّمَا تَضَرَّعُوا وَتَذَلَّلُوا لَهُ لِيَرْفَعَ عَنْهُمْ مَا أَحَدَتْهُ عَلَيْهِمْ" ^(٣). وَيَصِفُ حَالَ نِسَائِهِمْ بِقَوْلِهِ: "وَأَمَّا نِسَاؤُهُمْ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ دُورِهِنَّ وَمَشِينَ فِي الطَّرِيقَاتِ لَا يَكْذَنُ يُعْرِفُنَّ، وَكَذَلِكَ فِي الْحَمَّامَاتِ، وَرُبَّمَا جَلَسَتِ النَّصْرَانِيَّةُ فِي أَعْلَى مَكَانٍ مِنَ الْحَمَّامِ وَالْمُسْلِمَاتُ يَجْلِسْنَ دُونَهَا. وَيَخْرُجْنَ الْأَسْوَاقَ وَيَجْلِسْنَ عِنْدَ الثَّجَارِ فَيُكْرِمُونَهُنَّ بِمَا يُشَاهِدُونَ مِنْ حُسْنِ زِينَتِهِنَّ، فَلَا يَذَرُونَ أَنَّ أَهْلَ دِمَّةٍ" ^(٤).

وَمَعَ أَنَّ الْفُقَهَاءَ حَرَّمُوا إِدَايَةَ أَهْلِ الدِّمَّةِ، حَتَّى إِنَّهُمْ حَرَّمُوا إِدَايَةَ حَيَوَانِهِمْ وَبَهَائِمِهِمْ لِأَنَّهُمْ تَحْتَ دِمَّةٍ الْمُسْلِمِينَ وَجَزَيْتُهُمْ تُوْخَذُ مِنْهُمْ طَوْعًا وَكَرْهًا ^(٥)؛ إِلَّا أَنَّ الْمَرْوِيَّاتِ تُشِيرُ إِلَى خَالَاتٍ تَمَّ فِيهَا إِذَابَتُهُمْ، بَلْ قَتَلُهُمْ مِنْهَا مَا يُرْوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ حِينَ أَعْطَتْ النَّاسُ التَّبِعَةَ لِعَبِيدِهِ "فَلَمَّا اسْتَوْتَقَ لَهُ الْأَمْرُ، أَخْرَجَ الْمُؤَيَّدَ هِشَامًا مِنْ قَصْرِهِ، وَأَسْكَنَهُ بِبَعْضِ دُورِ الْمُلْكِ، وَأَحْضَرَ لِلنَّاسِ رَجُلًا مَيِّتًا شَبِيهًا بِهِ، قِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَعَايَنَهُ الْوُزَرَاءُ، وَشَهِدُوا بِأَنَّهُ هِشَامُ الْمُؤَيَّدِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِيهِ" ^(٦). وَقَدْ يَكُونُ فِي قَوْلِهِمْ "يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا" إِشَارَةٌ إِلَى سَهُولَةِ قَتْلِ هَذَا أَوْ ذَاكَ وَوَضْعِ جُثَّتِهِ بِدَلِّ الْخَلِيفَةِ. وَهَذِهِ السَّهُولَةُ فِي قَتْلِ أَهْلِ الدِّمَّةِ ظَهَرَتْ مَعَ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ حِينَ أَمَرَ بِقَتْلِ رَسُولِ الْفُونَسِ الْيَهُودِيِّ ^(٧). إِلَّا أَنَّ مَنْ يُتَابِعُ أَخْبَارَ وُلَاةِ الْأَنْدَلُسِ يَرَى الْقَتْلَ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ سَهْلًا بَلْ دَيْدَنًا لِبَعْضِهِمْ حَتَّى مَعَ عَلِيَّةِ الْقَوْمِ وَأَشْهَرِ الْكُتَّابِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ خَاصًّا بِأَهْلِ الدِّمَّةِ. وَلَئِنْ لِلْيَهُودِ صُورَةٌ سَيِّئَةٌ عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهَا مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، فَكَانَ يُعَايِرُ الرَّجُلُ أَحْيَانًا إِنْ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ مِنْ أَصُولٍ يَهُودِيَّةٍ؛ ذَكَرَ الْمُقَرِّي مِنْ كَرَامَاتِ أَحَدِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ ^(٨):

١ - عبد الكريم القيسى الأندلسي ديوانه ص ٣٣٨ .

٢ - ابن الأخوة معالم القرية في أحكام الحسبة ص ٤٣ .

٣ - نفسه والصفحة نفسها .

٤ - نفسه والصفحة نفسها .

٥ - انظر: الوئشريسي المغيار المغرب ٢/ ٢٢٩ .

٦ - انظر: ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ١١٢ .

٧ - انظر: نفسه ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

٨ - هو: الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الأندلسي . انظر: المقرئ نفح الطيب ٢/ ٣٩٩ - ٤٠٢ .

"أَنَّ زَوْجَتَهُ كَانَتْ تَشْتِمُهُ وَتُؤْذِيهِ وَهُوَ يَنْتَسِمُ، فَرَاهَنَ رَجُلٌ جَمَاعَةً عَلَى أَنْ يُخْرِجَهُ فَقَالُوا: لَا تَقْدِرُ، فَأَتَى وَهُوَ يَعْظُ، وَصَاحَ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَبُوكَ كَانَ يَهُودِيًّا وَأَسْلَمَ، فَنَزَلَ مِنَ الْكُرْسِيِّ، فَأَعْتَقَ الرَّجُلَ أَنَّهُ غَضِبَ وَأَنَّهُ تَمَّ لَهُ مَا رَامَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ فَخَلَعَ مُرْطِيَهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهُمَا وَقَالَ لَهُ بَشَّرَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ لَأَنَّكَ شَهِدْتَ لِأَبِي أَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا" (١). فَكَانَتْ نَظَرَةُ الْعَامَّةِ إِلَى الْيَهُودِ سَيِّئَةً، وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ تَعَامُلِهِمُ الْيَوْمِيَّ مَعَهُمْ فَإِنَّهُمْ صَبُّوا عَلَيْهِمْ أَحْيَانًا جَافَ غَضَبِهِمْ وَسُخْطِهِمْ، وَتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ أَمْثَالُهُمُ الَّتِي اسْتَعْمَلُوا فِيهَا الْأَلْفَافُ الْقُرْآنِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَاللَّعْنَةِ وَالشَّقَاءِ وَغَضَبِ اللَّهِ (٢). وَأَحْيَانًا كَانَ يَتَحَوَّلُ هَذَا السُّخْطُ إِلَى تَصْفِيَةٍ جَسَدِيَّةٍ كَمَا وَقَعَ فِي قُرْطَبَةَ سَنَةِ ٥٢٩ هـ حِينَ اغْتِيلَ شَخْصٌ وَجَدَتْ جُنَّتُهُ فِي حَيِّ الْيَهُودِ، فَاقْتَحَمَ الْعَامَّةُ حَيَّ الْيَهُودِ، وَقُتِلَتْ مَنَازِلُهُمْ وَانْتَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَقُتِلَ عَدَدٌ مِنْهُمْ (٣).

وُنُسِبَتْ إِلَى الْيَهُودِ أَحْيَانًا الْأَعْمَالُ الْمَكْرُوهُةُ كَالسَّحْرِ (٤)؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: "وَرَدَ عَلَيْنَا يَهُودِيٌّ فَاشْتَغَلَ بِأَعْمَالِ أَمْثَالِهِ الْيَهُودِ، ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ أَنَّهُ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَمُهِينٌ لِلْمُسْلِمِينَ" (٥)، وَفِي الْقَوْلِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مَشْهُورِينَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ

وَحِينَ يَنْوُونَ اللَّمَزَ فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ يَنْسِبُونَهُ لِلْيَهُودِ فِي أَحَدِ آبَائِهِ؛ وَمِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ حِينَ يَذْكُرُ الْمَرَّاكِشِيُّ نُبْدًا مِنْ أَخْبَارِ عُبَيْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ الْمُلَقَّبِ بِالْمَهْدِيِّ (ت: ٣٢٢ هـ) (٦)، وَمَا قِيلَ فِي نَسَبِهِ، يَقُولُ: إِنَّ الرُّوَايَاتِ تَخْتَلِفُ فِي نَسَبِهِ؛ فَيُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ ادَّعَى بَأَنَّهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَنْسُوبِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. وَيَذْكُرُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ قَالُوا بِأَنَّهُ دَعَى، وَأَنَّ انْتِسَابَهُ لِلطَّالِبِيِّينَ دَعْوَةٌ بَاطِلَةٌ، ثُمَّ يُضِيفُ رِوَايَةً أُخْرَى مَقَادَهَا أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ؛ فَغَشِيَهَا رَجُلٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ (٧)، وَقِيلَ مِنَ الْيَهُودِ، دَفَعَتْ لَهُ مَالًا؛ فَكَانَ يَهُوَاهَا وَتَهَوَاهَا، وَقَتَلَتْ جَعْفَرًا مَوْلَاهَا، فَقَوْلَدَتْ جَدَّ عُبَيْدِ اللَّهِ هَذَا. فَمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْقِصَّةُ قَالَ إِنَّهُ عَلَوِيٌّ، وَمَنْ عَلِمَهَا عَلِمَ دَعْوَتَهُ وَكَذِبَهُ (٨). وَمِثْلُ هَذِهِ الرُّوَايَةِ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالتَّارِيخِ كَثِيرٌ. فَيَكُونُ ذِكْرُ الْيَهُودِ وَلَوْ مِنْ بَابِ الظَّنِّ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الرُّوَايَاتِ قَدْ أَتَى لِلْمَزِّ فِي نَسَبِ هَذَا الْمَهْدِيِّ لِيَكُونَ أَحَدُ أَجْدَادِهِ

١ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٤٠١/٢ .

٢ - انْظُرْ فِي الْبَحْثِ: ص 265 .

٣ - انْظُرْ: ابْنِ عِدَارِي الْمَرَّاكِشِيِّ الْبَيَانُ الْمُغْرِبُ ٩٣/٤ .

٤ - اتَّهَمَتِ الْيَهُودِيَّاتُ بِأَنَّهُنَّ سَاحِرَاتٌ، وَقِيلَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ حَزَبُ الشَّيْطَانِ. انْظُرْ: وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْخَضَارَةِ ٨١/١٤ .

٥ - الْوَلُتْشَرِيسِي الْمَغْيَارِ الْمُغْرِبُ ٣٩٩/٢ .

٦ - فِي أَحَدِ رِوَايَاتِ نَسَبِهِ هُوَ: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ... ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمُلَقَّبِ بِالْمَهْدِيِّ، اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ اخْتِلَافًا كَبِيرًا فِي نَسَبِهِ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ ادَّعَى الْخِلَافَةَ مِنَ الشَّيْعَةِ بِالْمَغْرِبِ، وَبَنَى الْمَهْدِيَّةَ بِإِفْرِيقِيَّةَ، فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَتُوفِّيَ بِهَا سَنَةَ ٣٢٢ هـ.

انْظُرْ: ابْنِ عِدَارِي الْمَرَّاكِشِيِّ الْبَيَانُ الْمُغْرِبُ ١٥٨/١-١٧٥؛ ابْنِ خَلْكَانَ وَفَيَاتِ الْأَغْيَانِ ١١٧/٣-١١٩، ١٥٨/٧؛ ابْنِ الْأَبَارِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ١٧٥/١، ١٩٤، ٢٨٥، ٢٨٩، ٧/٢؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ١٠٤/٣ .

٧ - الْقَرَامِطَةُ: قَوْمٌ خَوَارِجٌ مَارِقَةٌ ظَهَرُوا بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ٧٨ هـ. انْظُرْ: ابْنِ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شُدْرَاتُ الدُّهَبِ ١٧١/١-١٧٢ .

٨ - انْظُرْ: ابْنِ عِدَارِي الْمَرَّاكِشِيِّ الْبَيَانُ الْمُغْرِبُ ١٥٩/١ .

مِنَ الْيَهُودِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْقَرَامِطَةِ وَكَلَاهُمَا نَقِصَةً وَمَعِيبَةً فِي نَسَبٍ مَّنْ يَدَّعِي أَنَّهُ عَلَوِيٌّ. وَالْأغْلَبُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ يَكُونُ ذِكْرُ الْيَهُودِ عَامًّا دُونَ تَعْيِينِ أَوْ تَسْمِيَةِ؛ فَكَثِيرًا مَا يُقَالُ وَاحِدٌ مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ أَحَدُ الْيَهُودِ، أَوْ يَهُودِيٌّ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّعْمِيمَاتِ. وَأَحْيَانًا يُسَمُّونَ مَن يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ، وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ قِيلَ فِي بَرِغَوَاطَةَ وَدَوْلَتِهِمْ، فَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي نَسَبِ بَرِغَوَاطَةَ؛ فَبَعْضُهُمْ يُلْحِقُهُمْ بِرَنَاتَةَ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ فِي زَعِيمِهِمْ صَالِحِ الْبَرِغَوَاطِيِّ (ت: بعد ١٧٤هـ) ^(١) إِنَّهُ يَهُودِيٌّ الْأَصْلُ مِنْ سِبْطِ شَمْعُونَ بْنِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٢) يُقَالُ إِنَّهُ وَكَثِيرٌ مِنْ أَحْفَادِهِ ادَّعَوْا النُّبُوَّةَ، وَاشْتَهَرَ بَعْضُهُمْ بِالْكَهَانَةِ وَالنَّجِيمِ، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْبَرَبْرِ حَتَّى أَطَاعُوهُمْ ^(٣).

نِسَاءُ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ .

سَمَحَ الْإِسْلَامُ لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْحُرَّةَ النَّصْرَانِيَّةَ أَوْ الْيَهُودِيَّةَ؛ وَمَعَ أَنَّ التَّزَاوُجَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَنَاصِرِ مَأْلُوفٌ بَيْنَ عَامَّةِ النَّاسِ، وَعِنْدَ حُكَّامِ الْأَنْدَلُسِ أَنْفُسُهُمْ؛ وَرُغْمَ وُجُودِ قَائِمَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ زَوْجَاتٍ غَيْرِ مُسْلِمَاتٍ لِلأَنْدَلُسِيِّينَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوْجَدُ اسْمُ يَهُودِيَّةٍ وَاحِدَةٍ بَيِّنَتُهُنَّ ^(٤). وَعَلَى الْعَكْسِ حِينَ تَكُونُ فَضِيحَةً تَظْهَرُ نِسَاءُ الْيَهُودِ أَحْيَانًا طَرَفًا فِي الْقِصَّةِ؛ فَلَمَّا وَلِيَ الْأَمْرَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِدْرِيسَ (ت: بعد ٢٣٤هـ) ^(٥) كَانَتْ مِنْهُمْ كَمَا فِي الشَّرَابِ، مُعْجَبًا بِالنِّسَاءِ، فَاسَاءَ السَّيْرَةَ، ذَكَرَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى جَارِيَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْيَهُودِ فِي حَمَّامِ النِّسَاءِ وَكَانَتْ بَارِعَةً فِي الْجَمَالِ فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَاسْتَعَانَتْ، فَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ أَهْلُ قَاسٍ، فَتَوَارَى بِالْأَنْدَلُسِ، وَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ أَسْفًا عَلَى مَا صَنَعَ ^(٦).

وَوَضَّلَ الْيَهُودُ يُجَمِّلُونَ نِسَاءَهُمْ بِفَاخِرِ الثِّيَابِ، وَلَكِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِنَ أَنْ يَظْهَرْنَ أُمَامَ الْجَمَاهِيرِ عَارِيَاتِ الرَّأْسِ، وَأَنْدَرُوهُنَّ بِأَنَّ مُخَالَفَةَ هَذَا الْأَمْرِ تُصْبِحُ سَبَبًا لِلطَّلَاقِ، وَأَمَرَ الْيَهُودِيُّ أَنْ لَا يُصَلِّيَ بِحَضْرَةِ امْرَأَةٍ يَرَى النَّاسُ شَعْرَهَا ^(٧).

١ - هُوَ: صَالِحُ بْنُ طَرِيفِ الْبَرِغَوَاطِيِّ، يَرَى ابْنُ دُحْيَةَ أَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُهُ بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ بَرِغَوَاطَةَ، وَالصَّوَابُ بَلْغَوَاطَةَ، نَسَبُهُ إِلَى قَبِيلَةِ بَلْغَوَاطَةَ بِلَامٍ مَفْتُوحَةٍ وَإِسْكَانِ الْغَيْنِ، وَالنَّسَبُ لَهَا بَلْغَوَاطِي. وَلِذَا عَامَ ١١٠هـ. نَشَأَ بِبَرِغَوَاطَةَ بِالْأَنْدَلُسِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ سَنَةَ ١٧٤هـ، وَاشْتَغَلَ بِالسَّحَرِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ الَّذِي يَخْرُجُ آخِرَ الزَّمَانِ لِيُقَاتِلَ الدُّجَالَ، وَادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَتَسَمَّى بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، سُمِّيَ مَنِ اتَّبَعَهُ بِرِغَوَاطِيٍّ، ثُمَّ أَحَالُوهُ بَرِغَوَاطِيٍّ.

انْظُرْ: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/٣٦٨؛ ابْنُ دُحْيَةَ الْمُطَرِّبُ ص ٨٨-٨٩؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ١/٢٢٣-٢٢٥؛ أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتِقْفَا ٢/١٥-١٨.

٢ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ١/٢٢٣-٢٢٥؛ أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتِقْفَا ٢/١٥.

٣ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ١/٢٢٥-٢٢٦.

٤ - انْظُرْ: نَجْمَةُ خَلِيلِ أَبُو إِصْبَعِ الْحَيَاةِ الْفِكْرِيَّةُ فِي عَصْرِ الْخِلَافَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٨٢.

٥ - هُوَ: يَحْيَى بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِدْرِيسَ ابْنِ إِدْرِيسَ الْحَسَنِيِّ. انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ١/٢١١-٢١٢.

٢١٢؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٠٧-٢٠٨؛ أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتِقْفَا ١/١٧٨.

٦ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ١/٢١١؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٠٧-٢٠٨؛ أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتِقْفَا ١/١٧٨.

٧ - انْظُرْ: وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ١٤/٦٧.

وَأُبِيحَ لِيَهُودِ الْأَنْدَلُسِ تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ مُخَالِفِينَ بِهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَهُودُ فِي بِلَادِ أَوْرُوبَا كَافَةً^(١).
وَكَانَ لِنِسَاءِ الْيَهُودِ مَعَ الْمُسْلِمَاتِ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْدَلُسِ اخْتِلَاطٌ وَمُشَارَكَةٌ وَتَأْثِيرٌ؛ فَذَكَرَ الْوَنَشْرِيْسِي أَنَّ اتِّخَاذَ طَعَامٍ
مَعْلُومٍ فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ، فِي مِيلَادِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَاشُورَاءَ، وَمَا أَحَدَثَتْهُ بَعْضُ النِّسَاءِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا، كُلُّ هَذَا
مِنْ فِعْلِ الْيَهُودِ^(٢).

رَابِعًا: - مُعَامَلَةُ الْأَنْدَلُسِيِّينَ لِلْيَهُودِ .

تَذَكُّرُ الْمَصَادِرُ صَوْرًا مُخْتَلِفَةً لِمُعَاوَنَةِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ يَظْهَرُ مِنْهَا مَا يَلِي:

١ - مُجَاوَرَتُهُمْ فِي السَّكَنِ وَمُشَارَكَتُهُمْ فِي احْتِفَالَاتِهِمْ .

رُغْمَ انْعِزَالِ غَالِبِيَّةِ الْيَهُودِ فِي "الْجَيْتُو" إِلَّا أَنَّ هَذَا الانْعِزَالَ لَمْ يَكُنْ قَاعِدَةً عَامَّةً لَهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ وَبِلَادِ
الْمَغْرِبِ؛ فَقَدْ جَاوَرَ الْيَهُودُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَظْهَرُ النَّوَازِلُ وَمَا دَوَّنَ مِنْ قِتَاوِي الْفُقَهَاءِ تَجَاوُرًا؛ فَقَدْ أَقْدَمَ الْقَاضِي
مَثَلًا عَلَى بَيْعِ دَارٍ يَتِيمٍ لِعِزْلِهَا عَنْ دُورِ الْيَهُودِ، وَطَلَّبُوا الْقَتْلَ إِذَا اكْتَرَى الدَّمِيُّ عُلُوءًا أَوْ اشْتَرَاهُ وَالْأَسْفَلَ
لِلْمُسْلِمِ^(٣)، كَمَا سَأَلَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ عَنْ حُكْمِ اسْتِقَاءِ الرَّجُلِ مِنْ بئرٍ وَاحِدَةٍ مُشْتَرَكَةٍ مَعَ دَارٍ مُجَاوِرَةٍ
لِيَهُودِيٍّ^(٤)، وَسَأَلُوا كَذَلِكَ عَنْ اسْتِقَاءِ الْيَهُودِ مِنْ نَهْرٍ وَسَطٍ بِلَدٍ، الْمُسْلِمُونَ يَتَوَضَّؤُونَ فِيهِ وَيَتَطَهَّرُونَ
وَيَغْسِلُونَ ثِيَابَهُمْ مِنْهُ^(٥).

وَتُثْبِتُ هَذِهِ الْأَسْنِلَةُ تَوَقُّعِينَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الْيَهُودِ سَكَنُوا بَيْنَ دُورِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ
الْمُسْلِمِينَ سَكَنَ فِي حَيِّ الْيَهُودِ وَلَمْ تَوْضَحِ الْمَصَادِرُ كَثِيرًا هَذَا الْأَمْرَ، إِلَّا أَنَّنِي أَتَوَقَّعُ أَنَّهُمْ سَكَنُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
لَا الْعَكْسَ، وَمِنْ الْإِشَارَاتِ الَّتِي تُقَوِّي تَوَقُّعِي أَنَّ دُورَ الْيَهُودِ كَانَتْ مُلَاصِقَةً لِلْمَسَاجِدِ أحيانًا، فَقِيلَ إِنَّهُ كَانَتْ
لأَحَدِهِمْ دَارٌ بِدَاخِلِ مَدِينَةِ قُرْطُبَةَ بِحَوْمَةٍ مَسْجِدٍ فِيهَا تَلَاصِقُ دَارًا أُخْرَى مَوْقُوفَةً عَلَى شَنْوَعَةِ الْيَهُودِ^(٦).
وَلَمَّا عَزَمَ عَلِيُّ بْنُ يُوْسُفَ تَوْسِيعَ جَامِعِ الْقُرَوَيْنِ اشْتَرَى أَرْضًا تَجَاوَرُهُ كَانَتْ لِلْيَهُودِ.

١ - انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ٧٠/١٤ .

٢ - انظر: الوَنَشْرِيْسِي المِغْيَارِ الْمَغْرِبِ ٤٨٩/٢، وَتَرِدُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي الْبَحْثِ : ص ٦٢ .

٣ - انظر: نَفْسُهُ ٢٥٩/٢ .

٤ - انظر: نَفْسُهُ ٢٠٨/٥ .

٥ - نَفْسُهُ ٤٣٣/٨ .

٦ - انظر: عيسى أبو الأصْبَغِ ابن سَهْلٍ وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الدِّمَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٢٥، ٦٠ - ٦١ [الوثيقة رَقْم: ٢٥٧]؛ الْوَنَشْرِيْسِي
المِغْيَارِ الْمَغْرِبِ ٥٣/٧ .

وشنوعة اليهود: بيت عبادتهم أو معبدهم، وَهَذَا اللَّفْظُ مَنْقُولٌ عَنِ اللَّاتِينِيَّةِ Sinagoga، وَمَعْنَاهُ أَصْلًا مَكَانُ الْجَمَاعَةِ، وَقَدْ خُصَّصَ الْمَعْنَى بَعْدَ ذَلِكَ
بِمَكَانِ اجْتِمَاعِ الْيَهُودِ لِلْعِبَادَةِ. انظر: عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمُسَيَّرِيُّ مَوْسُوْعَةُ الْيَهُودِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالصَّهْبُونِيَّةِ ٢١٦/٥ - ٢١٧ .

وَأَدَّى الاندِمَاجُ إِلَى نُشُوءِ بَعْضِ الْمَشْكِلاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ النَّاجِمَةِ مِنْ مَعِيشَتِهِمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَانْدِمَاجِهِمْ، فَسَنِلَ الْفُقَهَاءُ مَثَلًا عَنْ "يَهُودِيٍّ اشْتَرَى دَارًا مِنْ مُسْلِمٍ فِي دَرْبٍ يَقْطُنُهُ أَهْلُ الْخَيْرِ، وَتَأْدَى الْجِيرَانُ بِمَا لَا يَجُوزُ فِعْلُهُ كَشُرْبِ الْخَمْرِ"^(١)، وَوَرَدَ سُؤَالٌ عَنْ مُسْلِمٍ اشْتَرَى جَنَانًا مِنْ يَهُودِيٍّ وَحَازَهَا عَشْرَةَ أَعْوَامٍ، وَاعْتَمَرَهَا، وَحَبَسَهَا عَلَى بَنِيهِ، ثُمَّ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ. وَقَامَ يَهُودِيٌّ يَزْعُمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَبَسَهَا عَلَيْهِ عَمَاهُ حِينَ كَانَ صَغِيرًا، وَهُمَا الْيَهُودِيَّانِ الْبَائِعَانِ لَهَا^(٢).

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ مَا يَكْشِفُ عَنْ تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَتِ الْعَامَّةُ: "مَنْ فَتَحَ حَانُوتًا لِلتَّجَارَةِ، يَبِيعُ مِنْ يَهُودٍ وَنَصَارَى"^(٣). وَسَأَلُوا عَنْ صِحَّةِ مُشَارَكَةِ الْمُسْلِمِ لِلْيَهُودِيِّ^(٤).

وَشَاهَدَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ يَقُومُونَ بِبَعْضِ الطُّقُوسِ الْخَاصَّةِ بِهِمْ؛ فَقَالُوا إِنَّهُمْ عِنْدَمَا يُخْرِجُونَ جَنَازَةً أَمْوَاتِهِمْ يَسِيرُونَ نَحْوَ الْمَقْبَرَةِ فِي صَمْتٍ وَخَفَّةٍ فِي الْمَشْيِ، كَمَا وَصَفُوا قُبُورَهُمْ^(٥).

وَشَارَكَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ أحيانًا بِاخْتِفَالَاتِهِمْ، وَتَأَثَّرُوا بِبَعْضِ عَادَاتِهِمْ. فَجَاءَ فِي "الْمِغْيَارِ الْمَغْرِبِ" مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَحْتَفِلُونَ بِأَعْيَادِهِمْ، لَيْسَ هَذَا فَحَسَبَ، بَلْ كَانُوا يَتَهَادَوْنَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ؛ فُورَدَ سُؤَالٌ عَنْ حُكْمِ قَبُولِ وَأَكْلِ رَعَائِفِ كَانِ الْيَهُودُ يَصْنَعُونَهَا فِي عِيدِ الْفِطْرِ وَيُهْدُونَهَا لِبَعْضِ جِيرَانِهِمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ^(٦)، فَاسْتَفْتَوْا عَنْ إِحْدَاثِ بَعْضِ النِّسَاءِ أَمْرًا يَتَلَخَّصُ فِي أَنَّ الْمَرْأَةَ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا لَا تَكْتَالُ الْقَمْحَ وَلَا غَيْرَهُ مِنَ الطَّعَامِ، وَلَا تَحْضُرُ مَوْضِعَهُ لِأَجْلِ حَيْضِهَا، فَأَجَابَ الْمُسْتَفْتَى أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْيَهُودِ^(٧).

احْتَفَلَ الْأَنْدَلُسِيُّونَ بِالْعِيدِ، وَكَانَ الْعِيدُ عِنْدَهُمْ إِشَارَةً إِلَى النَّصْرِ وَالسَّعَادَةِ وَالْبَهْجَةِ وَتَحَقُّقِ الْأَمَلِ، وَمِنْ غَيْرِ الْمُعْتَادِ أَنْ يَشْعُرَ الشَّاعِرُ بِالْحُزَنِ يَوْمَ الْعِيدِ؛ فَحِينَ أَخْلَفَ صَدِيقُ الشَّاعِرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّقْلِيِّ^(٨) مَثَلًا وَعَدَهُ بِأَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ يَوْمَ عِيدِهِ، وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ^(٩) [بسيط]

تَجَهَّمَ الْعِيدُ وَأَنْهَلَتْ مَدَامِعُهُ وَكَانَتْ أَعْهَدُ مِنْهُ الْبِشْرَ وَالضَّحْكَ
كَأَنَّمَا جَاءَ يَطْوِي الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ شَوْقًا إِلَيْكَ فَلَمَّا لَمْ يَجِدْكَ بَكَى

١ - انظر: الوئشريسى المغيار المغرب ٤٣٧/٨ .

٢ - انظر: نفسه ٤٣٨/٧ .

٣ - الرِّجَالِي أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ٢٩٣/٢ رقم: ١٢٦٤، يَشِيرُ ظَاهِرُ الْمَثَلِ إِلَى مَا كَانَ الْعَمَلُ بِهِ جَارِيًا فِي الْأَنْدَلُسِ، وَلِلْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَةِ بِالْأَنْدَلُسِ خِلَافٌ فِي جَوَازِ مُعَامَلَةِ الْيَهُودِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ. انظر: الوئشريسى المغيار المغرب ٢١٤/٥ .

٤ - انظر: عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكَشِيُّ وَثَائِقُ الْمُرَابِطِينَ وَالْمَوْحِدِينَ ص ٥٨٩ .

٥ - انظر: الرِّجَالِي أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ٢١٦-٢١٧، وانظر فِي الْبَحْثِ: ص ٢٦٥ .

٦ - انظر: الوئشريسى المغيار المغرب ١١١/١١ .

٧ - انظر: نفسه ٤٨٩/٢ .

٨ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّفَّارِ الصَّقْلِيُّ، كَانَ صَدِيقًا لِأَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ رَشِيقٍ الْفَيْرَوَانِيِّ حِينَ رَحَلَ مِنْ صِقْلِيَّةٍ إِلَى الْفَيْرَوَانِ.

٩ - انظر: ابن بَسَّامِ الذُّخِيرَةُ ق ٤، م ٥٩٩/٢ - ٦٠٥ .

٩ - ابن بَسَّامِ الذُّخِيرَةُ ق ٤، م ٦٠٤/٢ .

فالبشر والضحك هما المتوقَّعان بالعيد^(١)، وتُرمزُ الأعيادُ عادةً إلى حالة هُدوءٍ وأمانٍ وفرحٍ. والأعيادُ الواردةُ في كلام الأندلسيين يُفصِّدُ بها عادةً أعيادُ المسلمين، ولا بدُّ أن يكونَ اليهودُ قد شاركوا المسلمين في احتفالاتهم، ومن الطبيعي أن يحتفلَ اليهودُ بأعيادهم في بيئة كنيستهم الأندلس، والنصوصُ المذكورةُ سابقاً من "المعيار" تؤكدُ هذا، وكانوا يصومون بيوم الغفران؛ فقد وجدتُ رسالةً تعودُ إلى عام ١٤٧هـ تؤنِّبُ النصارى الذين يريدون الصومَ مع اليهودِ فيه^(٢).

احتفالُ اليهودِ بأعيادهم في الأندلس.

الأعيادُ القديمةُ لليهودِ على ضربين^(٣)، الأولُ منها نطقت به التوراة، وهي خمسةُ أعيادٍ، والضربُ الثاني أحدثه اليهودُ زيادةً على التوراة، وهو عيدان. والأعيادُ الخمسةُ التي يزعمون أنها مثبتةٌ في توراتهم؛ الأولُ عيدُ رأسِ السنة والثاني عيدُ صوماريًا، ويسمونه الكبور. والثالثُ عيدُ المظال أو المظلة، ويسمى كذلك التبريك. والرابعُ عيدُ الفصح أو الفطير. والخامسُ عيدُ الأسابيع، ويسمى عيدُ الغنصرة أو الخطاب ويسمى عشترا. أما أعيادهم المستحدثةُ فهما اثنان؛ الأولُ عيدُ الفوز. والثاني عيدُ الحنكة، ومعناه التنظيف.

ولم يرد في المصادر تفصيلٌ واضحٌ لطقوس اليهودِ أو طريقة احتفالهم بهذه الأعياد، إلا أنه جاءت إشاراتٌ قليلةٌ في كتب التراجم إلى "عيد الغنصرة"^(٤)، وحولت أن أحصي إن ذكر أي من أعيادهم في الشعر في المصادر التي اطلعت عليها، فأخذتُ كتب "النَّفح" و"المغرب" و"الذخيرة" و"المعجب" و"الحلة السيرة" عينةً لدراسة هذا الأمر، فوجدتُ أن النصوص الشعرية خاليةٌ من أية إشارةٍ لأي عيدٍ من أعيادهم الخاصة ببيتنا الذي ورد بكثرة في هذا المجال هو الأعياد المشتركة مع النصارى ويوم "السبت" العيد الأسبوعي^(٥) لليهود.

١ - يرى مثلاً ابن فركون (ت: ٧٢٩هـ) قاضي الجماعة بغرناطة بُره ممدوحه من مرضيه عيداً للعيد .

انظر: ابن الخطيب الإخاطة ١/١٥٦، الكتيبة الكاملة ص ١٠٢ .

وابن جابر، من أهل المربة، صحَّ عيده يوم أبصر حسن محبوبته. انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٢/٣٣١، المقرئ تفتح الطيب ١٠/١٥٧ .
وتحوَّلت الأيام العادية عيداً لأبي جعفر الوشني (ت: ٥٧٤هـ)، وحين أحنَّت البلاد تسقط بأيدي الأعداء أصبح شمل الأعياد بيدياً عنده.
انظر: المقرئ تفتح الطيب ٦/٢٣٤ .

٢ - انظر: روبرت هيلنبراند زينة الدنيا: قرطبة الفروسنية ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/ ١٩٨ .

٣ - انظر أعياد اليهود في: القلشندي صبح الأعشى ٢/٤٦٣-٤٦٦؛ أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ١/٨٨-٨٩؛ التويري نهاية الأرب ١/١٩٥-١٩٧؛ المقرئ الموعظ والاعتبار ٤/٩٤٢-٩٤٨؛ ول ديورانت قصة الحضارة ١٤/٢٧-٢٨ .

٤ - سيِّد حديث عن علاقة اليهود بعيد الغنصرة في الكلام عن يوشع في ملاحق البحث .

٥ - يُفرِّق بعض الباحثين في كلامه بين العيد واليوم المشهور. فالأعياد مثلاً عند التويري في نهاية الأرب هي التي ذكرت سابقاً لليهود، وخصَّص مكاناً آخر للحديث عن أيام أصحاب الملل الثلاثة، وهي الجمعة للمسلمين والأحد للمسيحيين والسبت لليهود .

انظر: التويري نهاية الأرب (أيام أصحاب الملل الثلاثة) ١/١٥٠، و(أعياد اليهود والنصارى) ١/١٩١-١٩٧ .

وَكَانَ "عِيدُ الْفِصْحِ" مِنْ أَكْثَرِ الْأَعْيَادِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَرُودًا فِي الشَّعْرِ، وَأَتَى دُونَ تَحْدِيدِ إِنْ كَانَ لِلْيَهُودِ أَمْ لِلنَّصَارَى، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي "الرَّوْضِ الْمِطْطَارِ" وَ"العِيدِ الْقَرِيدِ" مِنْ كُتُبِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، حَيْثُ أَتَى ذِكْرُ "الْفِصْحِ" فِيهَا فِي أَشْعَارِ الْمَشَارِقَةِ^(١). وَيَصْنَعُ الْجَزْمُ فِي غَيْرِهَا إِنْ كَانَ "الْفِصْحُ" عِيدَ الْيَهُودِ أَمْ النَّصَارَى. وَأَسْتَنْتَنِي مِنْ هَذَا اثْنَيْنِ، الْأَوَّلُ مِنْهُمَا جَاءَ فِي شِعْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَدَّادِ (ت: ٤٨٠هـ)^(٢) فِي قَوْلِهِ^(٣): [سريع]

أَهْلِيمُ فِيهَا وَالْهَوَى ضَلَّةٌ بَيْنَ صَوَامِعَ وَبَيْعَاتِ
أَفْصَحُ وَخَدِي يَوْمَ فِصْحٍ لَهُم بَيْنَ الْأَرَى يَنْطِي

وَقَدْ يَتَوَهَّمُ الْقَارِئُ أَنَّ "الْفِصْحَ" الْمَذْكُورَ فِي الْأَبْيَاتِ هُوَ عِيدُ الْيَهُودِ، فَاقْبَلْ ذِكْرُ "الْفِصْحِ" بَيِّنَةٌ وَاحِدَةٌ كَانَ الشَّاعِرُ هَائِمًا بَيْنَ الصَّوَامِعِ وَالْبَيْعِ، لَكِنَّ الْأَبْيَاتَ قِيلَتْ فِي نُؤِيرَةٍ، وَسَمَّاها بِقَوْلِهِ: [سريع]
وَفِي الْحَشَا نَارٌ نُؤِيرِيَّةٌ عَلَّقَهَا مُنْذُ سُنِّيَّاتِ

وَلَوْ كَانَ الْقَارِئُ لَا يَعْرِفُ أَنَّ نُؤِيرَةَ مَسِيحِيَّةٌ لَا عَقْدَ أَنَّ الْكَلَامَ قِيلَ فِي فَتَاةٍ يَهُودِيَّةٍ لِأَنَّ الْبَيْعَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْأَبْيَاتِ هِيَ مَكَانُ الْعِبَادَةِ لِلْيَهُودِ اجْتَمَعَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِيهَا يَوْمَ "الْفِصْحِ".

وَمَوْقِعُ ثَانٍ ذَكَرَ فِيهِ "الْفِصْحُ" عِنْدَ أَبِي عَامِرٍ بْنِ شَهِيدٍ فِي قَوْلِهِ مَا دَحَا^(٤): [تكملة]
جُمِعَتْ بِطَاعَةِ حُبِّكَ الْأَضْدَادُ وَتَأَلَّفَ الْإِفْصَاحُ وَالْأَعْيَادُ

يَرَى الشَّاعِرُ أَنَّ مَحَبَّةَ مَمْدُوحِهِ جَمَعَتْ الْمُتَضَادَّاتِ، فَكَانَ تَأَلُّفُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ مُتَأَثِّرِينَ بِعَدْلِهِ. فَأَرَى أَنَّهُ أَشَارَ بِالْإِفْصَاحِ إِلَى أَصْحَابِ "الْفِصْحِ" وَهُمْ الْيَهُودُ وَبِالْأَعْيَادِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَصْحَابِ الْأَعْيَادِ فِي الدَّوْلَةِ، وَأَسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الْإِفْصَاحُ هُنَا مَأْخُودٌ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْإِبَانَةِ فِي الْقَوْلِ^(٥)؛ وَذَلِكَ لِعَدَّةِ أُمُورٍ، الْأَوَّلُ مِنْهَا: أَنَّ التَّأَلُّفَ فِي هَذَا الْبَيْتِ كَانَ بَيْنَ تَقْيِضَيْنِ، فَكَيْفَ يَجْتَمِعُ الْعِيدُ وَنَقِيضُهُ الْفَصَاحَةُ إِنْ قُلْنَا بِهَا؟ فَلَوْ كَانَ الْمَقْصُودُ الْفَصَاحَةُ فَلَنْ يَدْخُلَ هَذَا فِي جَمْعِ الْمُتَضَادَّاتِ، وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الرِّوَايَةَ لِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ تَقُولُ إِنَّهَا قِيلَتْ

قِيلَتْ فِي أَبِي عَامِرٍ بْنِ

^١ - انظر: ابن عبد ربه العبد القريد ٣١٣/١ - ٣١٤؛ الجُمَيْرِيُّ الرَّوْضُ الْمِطْطَارُ ص ١٧٠ - ١٧١ .

^٢ - هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَدَّادِ الْقَيْسِيُّ، شَاعِرٌ مَدَاحٌ، كَانَ أَكْثَرَ عُمُرِهِ عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَمَادِحٍ مَلِكِ الْمَرْيَةِ وَهُوَ أَصْلًا مِنْ وَادِي آش، ثُمَّ فَرَّ عِلَّهُ إِلَى ابْنِ هُوْدٍ صَاحِبِ سَرْقِشْطَةَ، تُوفِّيَ ٤٨٠هـ بِالْمَرْيَةِ، تَقَنَّ بِالْعُلُومِ وَلَا سِيمَا الْقَدِيمَةَ. وَلَهُ دِيْوَانٌ شَعْرٌ كَبِيرٌ . وَكَانَ يَهُودِيَّةً فَتَاةً رُومِيَّةً يُكْنَى عَنْهَا بِنُؤِيرَةٍ ، وَلَهُ فِيهَا شِعْرٌ كَثِيرٌ .

انظر: ابن بسام النخيرة ق ١، م ٢/٦٩١ - ٧٢٩؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ٢/٢٠٤؛ ابن الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ ٣٢٢/١ - ٣٢٣؛ ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٤٣/٢ - ١٤٥؛ ابن الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٢٣٦/٣ - ٢٣٩؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٥٢/٩ - ٢٥٣ .

^٣ - ابن الْحَدَّادِ الْأَنْدَلُسِيُّ دِيْوَانُهُ ص ١٥٦ - ١٦٠؛ ابن بسام النخيرة ق ١، م ٧٠٥/٢ .

^٤ - الْأَرِبَاطِيُّ وَالدُّوَيْحَاتُ يُغْلَبُ يُوسُفُ طَوِيلُ الظَّنِّ أَتَاهُمَا مِنْ مُنْتَرِهَاتِ الْمَرْيَةِ، وَأَتَوَقَّعُ أَنَّهَا أَسْمَاءُ أَمَاكِنَ أَوْ كُنَائِسَ، وَمَعْنَاهَا فِي اللَّغَةِ: الْأَرَى يَنْطِي: تَصْغِيرُ أَرْضِي وَهُوَ شَجَرٌ يَنْبُتُ بِالرَّمْلِ، وَهُوَ شَبِيهِ بِالْعَصَا، وَرَائِحَتُهُ طَيِّبَةٌ، وَلَهُ ثَوْرٌ، وَثَمَرُهُ كَالْعَنَابِ لَهَا عُرُوقٌ حُمْرٌ .

الدُّوَيْحَاتُ : جَمْعُ دُوَيْحَةٍ، تَصْغِيرُ دُوْحَةٍ وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ مِنْ أَيِّ الشَّجَرِ . ابن مَنْظُورُ لِسَانُ الْعَرَبِ [أرط، دوح] ٢٥٤/٧، ٢٥٤/٢، ٤٣٦/٢ .

^٥ - ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٨٤/١ .

^٦ - انظر: ابن مَنْظُورُ لِسَانُ الْعَرَبِ [فصح] ٥٤٤/٢ .

المُظَفَّرُ (١) أَحَدِ حُجَابِ قُرْطَبَةِ الَّتِي كَانَتْ مَرْكَزًا مِنْ مَرَاكِزِ تَجَمُّعِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ (٢)، وَالثَّلَاثُ: أَنَّ ابْنَ شَهِيدٍ لَهُ أَبْيَاتٌ سَابِقَةٌ ذَكَرَتْهَا فِي الْبَحْثِ سَابِقًا (٣) ذَكَرَ فِيهَا الْيَهُودَ وَبَابَهُمْ فِي قَصِيدَةٍ مَدَحَ كَذَلِكَ وَالْأَمْرُ الرَّابِعُ: أَنَّ مَعْنَى الْأَبْيَاتِ يَجْعَلُنِي أَقُولُ إِنَّ الْإِفْصَاحَ يَقْصِدُ بِهِ هُنَا الْيَهُودَ وَلَيْسَ النَّصَارَى مَعَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ "فَصْحٍ" أَيْضًا، فَقَدْ كَانَ النَّصَارَى فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ يُمَثِّلُونَ الْعَدُوَّ الَّذِي يُقَاتِلُهُ الْمَمْدُوحُ وَيَنْتَصِرُ عَلَيْهِ، بَيْنَمَا الْيَهُودُ كَانُوا يُمَثِّلُونَ فِتْنَةً اجْتِمَاعِيَّةً دَاخِلَ سُلْطَانِ الْمَمْدُوحِ. وَلِأَنَّ الشَّاعِرَ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَثَرِ الْمَمْدُوحِ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الَّذِي دَانَ لَهُ بِالطَّاعَةِ اتَّخَذَ مِنْ تَأْلُفِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ إِشَارَةً إِلَى الْعَدْلِ وَالْأَمَانِ الَّذِي نَعِمَ بِهِ الْمُجْتَمَعُ عَلَى اخْتِلَافِ طَوَائِفِهِ؛ مُسْلِمِينَ وَيَهُودَ وَالْأَمْرُ الْآخِرُ الَّذِي يَجْعَلُنِي أَقُولُ إِنَّ الْإِفْصَاحَ إِشَارَةٌ إِلَى "فَصْحٍ" الْيَهُودِ هُوَ مَجِيءُ كَلِمَةِ الْأَعْيَادِ تَالِيَةً لَهُ فِي الْأَبْيَاتِ، فَالتَّأْلُفُ سَيَكُونُ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ مِنَ الْأَعْيَادِ، لِذَا تَقْوَى عِنْدِي الْإِحْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ الْإِفْصَاحُ هُنَا هُوَ عِيدُ الْيَهُودِ.

وَذَكَرَتِ الْمَصَادِرُ أَنَّ يَهُودَ الْأَنْدَلُسِ كَانُوا يَصْنَعُونَ رَغَائِفَ فِي عِيدِ لَهُمْ يُسَمُّونَهُ عِيدَ الْفِطْرِ، وَيُهْدُونَهَا لِبَعْضِ جِيرَانِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوا قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِعَرْنَاطَةَ ابْنَ الْأَزْرَقِ (٤) هَلْ يَجُوزُ قُبُولُهَا مِنْهُمْ وَأَكْلُهَا أَمْ لَا؟ (٥). وَهَذِهِ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَشَارَكُونَ فِي اخْتِفَالَاتِهِمْ.

وَجَاءَ الْعِيدُ الْأَسْبُوعِيُّ لِلْيَهُودِ "السَّبْتُ" فِي أَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَيُطْلَقُونَ عَلَيْهِ فِي الْعِبْرِيَّةِ "שבת" سَبَاتٌ أَيْ الرَّاحَةُ (٦). وَقَدْ وَرَدَ فِي ثَوَرَاتِهِمْ الْحَدِيثُ عَنْ يَوْمِ "السَّبْتِ" (٧). وَكَانَ لِتَعْظِيمِهِمْ لَهُ تَقْدِيرٌ عِنْدَ الْقُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَقِيلَ لِسَخْنُونِ (ت: ٢٤٠هـ) (٨) إِنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يُحْلَفُ الْيَهُودِيِّ يَوْمَ

١ - هُوَ الْحَاجِبُ: أَبُو عَامِرٍ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنُ الْمُتَنَصِّرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، عَمُّ ابْنِ شَهِيدٍ بِقُرْطَبَةِ، وَأَثَبَتِ الْمَقْرِي فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ بَعْضَ الْأَبْيَاتِ مِنْ مَدْحِهِ فِيهِ .
انظر: عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكِنِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٤٠ ؛ الْمَقْرِي تَفْحِ الطَّيِّبِ ٢١٤/٤ .

٢ - انظر: الْجَمِيرِيُّ الرُّوضُ الْمِعْطَارُ ص ٤٥٦ .

٣ - انظر: ابن عبد ربه الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٣١٣/١ - ٣١٤ ؛ الْجَمِيرِيُّ الرُّوضُ الْمِعْطَارُ ص ١٧٠ - ١٧١، وانظر في الْبَحْثِ: ص ٤١ - ٤٢ .

٤ - هُوَ الْقَاضِي: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَزْرَقِ، قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِعَرْنَاطَةَ، مِنَ الرَّاحِلِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ بَعْدَ سُقُوطِ جَمِيعِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ .
انظر: الْمَقْرِي تَفْحِ الطَّيِّبِ ٤٣٦/٣ - ٤٤١ .

٥ - الْوُثَّاسِيُّ الْمَغْنِيَّاتُ الْمَغْرِبُ ١١١/١١ .

٦ - انظر: ي. قوجمان قاموسه ص ٩١٢ .

٧ - مِنْ ذَلِكَ: سِتَّةُ أَيَّامٍ يُصْنَعُ عَمَلٌ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتُ عَطْلَةٍ مُقَدَّسٍ لِلرَّبِّ. كُلُّ مَنْ صَنَعَ عَمَلًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ يُقْتَلُ قَتْلًا. فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ لِيَصْنَعُوا السَّبْتَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. التَّوْرَةُ: سَفَرُ الْخُرُوجِ ١٥/٣١ - ١٦ . وَمِثْلُهُ: سِتَّةُ أَيَّامٍ يُصْنَعُ عَمَلٌ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتُ عَطْلَةٍ مُقَدَّسٍ لِلرَّبِّ. كُلُّ مَنْ صَنَعَ عَمَلًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ يُقْتَلُ قَتْلًا. فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ لِيَصْنَعُوا السَّبْتَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. التَّوْرَةُ: سَفَرُ الْخُرُوجِ ٣٥/١ - ٣ .

٨ - هُوَ الْفَقِيهَ الْمَالِكِيُّ: أَبُو سَعِيدٍ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ بَنِ رِبِيعَةَ التَّنُوخِيِّ الْمَلَقَبُ بِسَخْنُونِ (بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا وَسُكُونِ الْحَاءِ)، وَلَقَبُ سَخْنُونِ بِاسْمِ طَائِفَةٍ بِالْمَغْرِبِ يَسْمُونَهُ سَخْنُونًا لِحَدَّةِ ذَهَبِهِ وَذِكَاثِهِ. أَصْلُهُ مِنْ مَدِينَةِ حَمَصَ بِالشَّامِ قَدَّمَ بِهِ أَبُوهُ مَعَ جُنْدِ أَهْلِ حَمَصَ، وَصَنَفَ كِتَابَ "الْمُدَوَّنَةِ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ"، فَرَتَبَهُ وَبَوَّهَهُ، وَعَلَى كِتَابِ سَخْنُونِ اعْتَمَدَ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ، وَكَانَ إِمَامًا مُنَاطَرًا كَثِيرَ النَّصَانِيَفِ مُعَظَّمًا. خَرَجَ لَهُ عِدَّةُ أَصْحَابٍ وَحَصَلَ لَهُ مِنْ الْأَصْحَابِ وَالتَّلَامِذَةِ مَا لَمْ يَحْصُلْ لِأَحَدٍ مِنَ أَصْحَابِ مَالِكٍ مِثْلَهُ، فَقَدْ بَلَغَ رَوَاتُهُ فِيمَا قِيلَ ٩٠٠، وَعَنْهُ انْتَشَرَ عِلْمُ مَالِكٍ بِالْمَغْرِبِ وَكَانَتْ وَلادَتَهُ سَنَةُ ١٦٠هـ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ ٢٤٠هـ عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً.
انظر: السَّلْفِيُّ أَخْبَارَ وَتَرَاجِمُ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ص ٣٨؛ الْقَاضِي عِيَّاضُ تَرْتِيبِ

الْمَذَارِكِ ٣٣٩-٣٦٨؛ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٣١؛ ابْنُ خُلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١٨٠/٣ - ١٨٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٦٤/١؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٦٣/١٢ - ٦٩؛ ابْنُ عِمَادٍ الْحَنْبَلِيُّ شُدْرَاتُ الذَّهَبِ ١٥٠/١ .

"السَّبْتِ"، وَالنَّصْرَانِيَّ يَوْمَ "الأَحَدِ"، وَقَالَ السَّائِلُ إِنَّهُمْ كَانُوا يَرْهَبُونَ ذَلِكَ، فَتَسَاءَلَ سَخْنُونُ مِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ يَخْلِفُونَ حَيْثُ يُعْظَمُونَ، فَسَكَتَ سَخْنُونُ كَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ (١). وَلَمْ يَحْمِلِ "السَّبْتِ" مَعْنَى وَاحِدًا عَنْدهُمْ؛ فَقَدْ جَاءَ "السَّبْتِ" فِي أَدْبِهِمْ حَامِلًا دِلَالَاتٍ أَرْبَعَ: الْأُولَى مِنْهَا تَشِيرُ إِلَى اخْتِفَالٍ بِالْعِيدِ فَقَطْ، وَعَلَيْهَا آيَاتٌ لِسَخْنُونٍ جَاءَ فِيهَا (٢): [السرير]

مَا أَطْوَلَ الْبَرْدَ وَرَبْعَاتِهِ وَأَطْرَفَ الشَّمْسَ بِتِيَهَرْتِ (٣)
تَبْدُو مِنَ الْعَيْمِ إِذَا مَا بَدَتْ كَأَنَّمَا تَنْشُرُ مِنْ تَحْتِ
فَنَحْنُ فِي بَخَرٍ بِلا لَجَّةٍ تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلَى سَمْتِ (٤)
تَفْرَحُ بِالشَّمْسِ إِذَا مَا بَدَتْ كَغَرَحَةِ الدَّمِيِّ بِالسَّبْتِ

وَلِتَوْضِيحِ مِقْدَارِ الْفَرَحَةِ بِظُهُورِ الشَّمْسِ فِي تَاهَرْتِ أَتْبَعَهَا الْحَمَوِيَّ بِاسْتِشْهَادَاتٍ تُدَلُّ عَلَى أَنَّ الشَّمْسَ بِهَا عَزِيزَةٌ تَكَادُ لَا تَظْهَرُ أَبَدًا (٥)، وَحِينَ أَرَادَ الشَّاعِرُ تَصْوِيرَ فَرَحَةِ النَّاسِ الشَّدِيدَةِ بِظُهُورِ الشَّمْسِ بِتَاهَرْتِ عَجَزَ عَنْ تَشْبِيهِهَا بِأَيِّ فَرَحَةٍ أَحَاطَتْ بِهِ أَوْ عَرَفَهَا إِلَّا فَرَحَةَ الْيَهُودِ بِيَوْمِ "السَّبْتِ"، وَالْغَالِبُ عَلَى التَّشْبِيهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنْ يَكُونَ "وَجْهَ الشَّبَهِ فِي الْمُسَبَّهِ بِهِ أَيْمٌ، وَهُوَ بِهِ أَشْهَرُ" (٦). إِذَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ، أَوَّلًا: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَحْتَفِلُونَ بِيَوْمِ "السَّبْتِ"، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ يَوْمًا عَادِيًّا كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ، وَثَانِيًا: أَنَّ اخْتِفَالَهُمْ بِيَوْمِ "السَّبْتِ" كَانَ شَائِعًا وَمَشْهُورًا وَلَهُ طُقُوسٌ أَوْ إِشَارَاتٌ يَعْلَمُهَا الْجَمِيعُ، فَلَوْ كَانَ يَحْصُلُ بِالسِّرِّ مَثَلًا أَوْ بَيْنَ جَمَاعَتِهِمْ فَقَطْ لَمَا تَحَدَّثَ عَنْهُ الشَّاعِرُ وَشَبَّهَ بِهِ، وَالْأَمْرُ الثَّالِثُ: أَنَّ اخْتِفَالَ الْيَهُودِ بِقُدُومِ "السَّبْتِ" لَمْ يَكُنْ اخْتِفَالًا عَادِيًّا، بَلْ كَانَ اخْتِفَالًا خَاصًّا وَمُمَيِّزًا، وَتَظْهَرُ فِيهِ فَرَحَتُهُمْ بِطَرِيقَةٍ يَشْعُرُ بِهَا كُلُّ مَنْ يَعْرِفُهُمْ، فَكَانَتْ فَرَحَتُهُمْ وَاخْتِفَالُهُمْ بِهِ شَيْئًا يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، وَإِلَّا لَمَا لَجَأَ الشَّاعِرُ إِلَى التَّشْبِيهِ بِمَا هُوَ أَقْلُّ أَوْ بِشَيْءٍ غَيْرٍ وَاضِحٍ أَوْ غَيْرِ مَشْهُورٍ.

١ - الوَنْشَرِيَّيْسِي الْمَغْرِبِي ٣٠٩/١٠

٢ - يَأْقُوتُ الْحَمَوِيَّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٧/٢ - ٨؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرْكَشِيَّيْنِ الْبَيَّانُ الْمَغْرِبِي ٢٥/١؛ الْخُمَيْرِيُّ الرُّؤُوسُ الْمِغْطَارُ ص ١٢٦.

٣ - تَاهَرْتُ: بَفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، أَوْ تِيَهَرْتِ، اسْمٌ لِمَدِينَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ بِأَقْصَى الْمَغْرِبِ بَيْنَ تَلَمْسَانَ وَقَلْعَةِ بَنِي حَمَادٍ يُقَالُ لِأَحَدَاهُمَا تَاهَرْتِ الْقَدِيمَةُ وَلِلْأُخْرَى تَاهَرْتِ الْمَحْدَثَةُ. وَهِيَ بَلَدَةٌ كَثِيرَةُ الْأَنْدَاءِ وَالضُّبَابِ وَالْأَمْطَارِ حَتَّى إِنْ الشَّمْسُ بِهَا قَلَّ أَنْ تُرَى، وَكَانَ بِتَاهَرْتِ كَثِيرٌ مِنْ حِفَاطِ الْحَدِيثِ، وَمِنْهُمْ ابْنُ سَخْنُونِ الَّذِي سَكَنَهَا وَبِهَا تَوَفَّى.

الْمَغْرِبِي ٢٥/١؛ الْخُمَيْرِيُّ الرُّؤُوسُ الْمِغْطَارُ ص ١٢٦ - ١٢٧.

٤ - سَمْتُ: سِيرَ بِالْحَدَسِ وَالظَّنِّ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِ أَيْ التَّعَسُّفِ بِالسَّيْرِ بِلا عِلْمٍ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [سَمْتُ] ٤٦/٢.

٥ - لِتَوْضِيحِ مِقْدَارِ الْفَرَحَةِ بِظُهُورِ الشَّمْسِ فِي تَاهَرْتِ أَتْبَعَهَا الْحَمَوِيَّ بِمَا وَرَدَ عَنْ أَحَدِهِمْ حِينَ نَظَرَ إِلَى تَوَقُّعِ الشَّمْسِ بِالْحِجَازِ، فَقَالَ: احْرِقِي مَا شَبَّتَ، وَاللَّهِ إِنَّكَ بِتَاهَرْتِ لَدَلِيلَةٌ! وَيُرْوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ دَخَلَهَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ السُّودَانِ. فَأَتَى عَلَيْهِ يَوْمٌ لَهُ وَهَجٌ وَحَرٌّ شَدِيدٌ وَسَمُومٌ فِي تِلْكَ الرِّمَالِ فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ وَقَدْ صَهَرَتِ النَّاسُ، وَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَنْ عَزَزْتُ فِي هَذَا الْمَكَانِ لَطَالَمَا رَأَيْتُكَ ذَلِيلَةً بِتَاهَرْتِ ثُمَّ أُنْشِدَ: [السَّيْرُ] مَا خَلَقَ الرَّحْمَنُ مِنْ طَرَفَةٍ أَشْهَى مِنَ الشَّمْسِ بِتَاهَرْتِ. انْظُرْ: يَأْقُوتُ الْحَمَوِيَّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٨/٢.

٦ - الْخَطِيبُ الْقُرُونِيُّ الْإِيضَاحُ فِي غُلُومِ الْبَلَاغَةِ ص ٣٥٨.

وَأَنْتِ الْمَصَادِرُ الثَّارِيخِيَّةُ بِمَا يُؤَكِّدُ أَنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ لَهُمْ عَنَاءٌ وَاضِحَةٌ يَوْمَ "السَّبْتِ"،
وَأَنَّهُ كَانَ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ يَوْمَ عِيدٍ لَهُ أَمِّيَّةٌ كَأَهَمِّيَّةِ الْجُمُعَةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْأَحَدِ لِلنَّصَارَى؛ فَحِينَ اخْتَلَفَتْ
الرُّسُلُ فِي تَقْرِيرِ يَوْمِ الزَّخْفِ لِيَسْتَعِدَّ الْقَرِيقَانِ لِمَوْقِعَةِ الزَّلَاقَةِ عَامَ ٤٨٠هـ^(١) قَالَ الْفُونْسُ: إِنَّ عَدَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ،
وَلَا نُحِبُّ مُقَاتَلَتَكُمْ فِيهِ لِأَنَّهُ عِيدُكُمْ، وَبَعْدَهُ السَّبْتُ لِلْيَهُودِ، وَهُمْ وَزَرَاؤُنَا وَكُتَّابُنَا وَأَكْثَرُ خَدَمِ الْعَسْكَرِ مِنْهُمْ، فَلَا غِنَى
بِنَا عَنْهُمْ^(٢)، وَبَعْدَهُ الْأَحَدُ لَنَا، فَتَحَرَّرْنَا هَذِهِ الْأَعْيَادَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ كَانَ مَا نُرِيدُهُ مِنَ الزَّخْفِ^(٣). وَهَذَا
الْخَبَرُ يُظْهِرُ الْيَهُودَ جَمَاعَةً كَبِيرَةً لَمْ يَكُنْ يُسْتَهَانُ بِهَا بَلْ كَانَ يُحَسَبُ حِسَابُهَا، وَيَتَوَقَّعُ الْفُونْسُ أَنَّ يَكُونُوا
أَعْوَانًا لَهُ فِي مَعَارِكِهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَظَرَةُ الْاِخْتِرَامِ هَذِهِ إِلَى عِيدِهِمْ، وَتَأْجِيلُ بَدْءِ الْمَعْرَكَةِ حَتَّى لَا تَكُونَ يَوْمَ
عِيدِهِمْ يَدْلَالُ عَلَى أَنَّ جَمَاعَةَ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ كَانَتْ تَقُومُ بِطُقُوسِهَا وَتَخْتَفِلُ يَوْمَ "السَّبْتِ" بِطَرِيقَةٍ
وَاضِحَةٍ، مِمَّا جَعَلَ هَذَا الْقَائِدَ الْمَسِيحِيَّ يَذْكُرُهُمْ كَأَنَّهُمْ قُوَّةٌ ثَالِثَةٌ بَيْنَ الْقُوَى الْمُتَنَاصِرَةِ.
وَحَوْلَ أَثَرِ "السَّبْتِ" وَأَهَمِّيَّتِهِ عِنْدَ الْيَهُودِ قَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ هَاجِبًا أَحَدَهُمْ، إِنَّهُ "قَادِرٌ عَلَى تَلْفِيقِ
الثُّبُوتِ، وَحَمْلِ الْيَهُودِ عَلَى نِسْيَانِ السُّبُوتِ، يَرَى الْحِكْمَةَ خَبِيثَةً جَبِيْهَةً، وَيَسْتَغْلُ بِغُيُوبِ النَّاسِ عَنْ عَيْبِهِ"^(٤)،
^(٥) فَيُفْهَمُ مِنَ الْكَلَامِ أَنَّ الْمَوْصُوفَ كَانَتْ لَدَيْهِ قُدْرَةٌ لِيَعْمَلَ أَشْيَاءَ عَظِيمَةً فَطِيعَةً؛ وَأَنَّ نِسْيَانَ الْيَهُودِ لِيَوْمِ
"السَّبْتِ" مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَحِيلَةِ، وَأَرَى أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ تَشَكَّلَ عِنْدَ ابْنِ الْخَطِيبِ مِمَّا شَاهَدَهُ حَوْلَهُ مِنْ عَنَاءِ
زَائِدَةٍ لِلْيَهُودِ بِهَذَا الْعِيدِ وَهَذَا الْيَوْمِ.
وَقَابَلَ الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ كَثِيرًا بَيْنَ "السَّبْتِ" لِلْيَهُودِ وَيَوْمِ "الْعَرُوبَةِ" لِلْمُسْلِمِينَ وَالْعَرُوبَةِ هُوَ
التَّسْمِيَةُ الْقَدِيمَةُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ^(٦). وَأَبَانَ الشَّعْرُ أَنَّهُمْ اسْتَحْدَمُوا أحيانًا التَّسْمِيَةَ الْقَدِيمَةَ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ،

^١ - الزَّلَاقَةُ: بفتح أوله وتشديد ثانيه، بالأندلس قرب قرطبة، بالقرب من بطليوس. حين استتجد المغمض بن عباد بالأمير يوسف بن تاشفين في المغرب
بعد قتله للسفير لليهودي ابن شاليب نجده ابن تاشفين بعشرة آلاف مقاتل واجهوا ألفونس الذي خرج إليهم في أربعين ألف فارس غير ما انضم
إليه. والتقى الجيشان في الزَّلَاقَةِ سَنَةَ ٤٧٩هـ، وانتصر المسلمون وهرب الأذفث بعد استئصال عساكره ولم يسلم معه سوى نفر يسير، وهذا العام يؤرخ
به في بلاد الأندلس كلها فيقال عام الزَّلَاقَةِ لأنها من أشهر الوقائع.

انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ١٤٦/٣، عبد الواحد المراكشي المعجب ص ١٣٢-١٣٥، الجُمَيْرِيُّ الرُّوض المِعْطَار ص ٢٨٧-٢٩٢.

^٢ - هكذا في المعجب لكن في الخلل المؤشبة كان هذا الكلام من رسالة مكتوبة بعث بها وفيها عن اليهود: ... وهم كثيرون في محللتنا، ونحن نقتر
إليهم، وفي الرُّوض المِعْطَار قال: عدا يوم الجمعة، وهو عيدكم، وبعده الأحد وهو عيدنا، فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت، ولم يأت على ذكر
اليهود. وفي قصة الحضارة تختلف القصة، ففيها أنه قال: إن عدا الجمعة يوم عيدكم، ويوم الأحد عيد عندنا، ولهذا فإني اقترح أن تدور المعركة يوم
السبت وهجم يوم الجمعة. انظر: عبد الواحد المراكشي المعجب ص ١٣٤؛ مجهول الخلل المؤشبة ص ٥٧؛ الجُمَيْرِيُّ الرُّوض

المِعْطَار ص ٢٩٠، ول ديورانت قصة الحضارة ٣١٢/١٣.

^٣ - انظر: عبد الواحد المراكشي المعجب ص ١٣٤؛ مجهول الخلل المؤشبة ص ٥٧، أما في الرُّوض المِعْطَار فكان قوله: فليكن لقاؤنا بينهما وهو
يوم السبت، فقال المغمض: هذه خديعة من ابن فرزند، إنما يريد غدر المسلمين فلا تطمئن إليه وليكن الناس على استعداد له طول يوم الجمعة
على احتراس كثير. الجُمَيْرِيُّ الرُّوض المِعْطَار ص ٢٩٠.

^٤ - ابن الخطيب تفضة الجراب في غلاة الاعتزاف ص ١٥٧.

^٥ - عَرُوبِيَّةٌ وَالْعَرُوبِيَّةُ: اسم قديم للجمعة، والأصح أن لا يدخلها الألف واللام. يعتقد ابن منظور أنه ليس بعربي. والجمعة بضم الميم وإسكانها: معناه
الجمع، وقيل إن كعب بن لؤي جد الرسول ﷺ أول من جمع يوم العروبية، وهو أول من سماها الجمعة. واختلف في سبب التسمية ف قيل لاجتماع
الخلق فيه، وقيل لاجتماع الناس للصلاة. انظر: ابن كثير تفسيره ٣٦٥/٤؛ العسقلاني فتح الباري ٣٥٣، ٣٥٥/٢، ١٦٣/٧؛ ابن

منظور لسان العرب [عرب، جمع] ٥٨/٥٩٣، ٨/١؛ الفقه شذوي صبح الأعشى ٣٨٩/٢-٣٩١.

وَرُبَّمَا تَكُونُ عَنَائِتُهُمْ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ لِتَوَافُقِ حُرُوفِ كَلِمَةِ "الْعَرُوبَةِ" مَعَ كَلِمَةِ "الْعَرَبِ" فِي التَّفَاخُرِ وَالتَّمَيُّزِ عَنِ الْأَعْلَامِ وَأَهْلِ الدِّمَّةِ. فَكَانَ يَوْمَ النَّصْرِ لِابْنِ جَمْهُورٍ (ت: ٥٩٢هـ) ^(١) بِقَوْلِهِ ^(٢): [ليسيط] لَمْ تَعْلَمْ ۞ الْعُجْمُ إِذْ جَاءَتْ مُصَمَّمَةٌ يَوْمَ الْعَرُوبَةِ أَنَّ الْيَوْمَ لِلْعَرَبِ

وَلَمْ يُذَكِّرْ يَوْمَ "الْعَرُوبَةِ" فِي الشَّعْرِ فَحَسَبُ، بَلْ جَاءَ فِي النَّثْرِ الَّذِي صَاحَبَ الشَّعْرَ فَجَاءَ عِنْدَ الْمُقَرِّي فِي تَقْدِيمِهِ لِبَيْتَيْنِ لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ^(٣) بِقَوْلِهِ: "وَلَهُ فِي غُلَامٍ رَأَى يَوْمَ الْعَرُوبَةِ" ^(٤).
وَأَرَى أَنَّ مُقَارَنَاتٍ وَمُحَاوَرَاتٍ كَانَتْ تُقَامُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الدِّمَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَأَرَى أَنَّ اسْتِخْدَامَ لَفْظَةِ "الْعَرُوبَةِ" عَوَضًا عَنْ "الْجُمُعَةِ" يُعَبِّرُ أَكْثَرَ عَنْ مَشَاعِرِ التَّعَصُّبِ وَالِافْتِحَارِ أَمَامَ أَهْلِ الدِّمَّةِ وَالْيَهُودِ الَّذِينَ كَانَتْ اخْتِفَالَاتُهُمْ بِسُبُوتِهِمْ وَأَحَادِهِمْ وَاضِحَةً وَمُمَيَّزَةً وَمُثِيرَةً لِمَشَاعِرِ الْمُفَاخَرَةِ عِنْدَ الشَّاعِرِ الْعَرَبِيِّ بِتِلْكَ الدِّيَارِ.

وَهَذِهِ الْمُقَارَنَاتُ وَالْمُحَاوَرَاتُ حَوْلَ يَوْمِي "الْعَرُوبَةِ وَالسَّبْتِ" عِنْدَ الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ يُؤَكِّدُهَا الْبَيْتَانِ التَّالِيَانِ لِلْمُتَوَكِّلِ (ت: ٤٨٥هـ) ^(٥) صَاحِبِ بَطْلَيُْوسَ ^(٦) وَقَدْ انْتَضَرَ وَفُودَ أَخِيهِ عَلَيْهِ مِنْ شَنْتَرَيْنِ ^(٧) يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَنَاءَ يَوْمِ السَّبْتِ، فَلَمَّا لَقِيَهُ عَائِقُهُ وَأَنْشَدَ ^(٨): [نوفر]

تَحَيَّرَتِ الْيَهُودُ السَّبْتَ عِيدًا وَقَلْنَا فِي الْعَرُوبَةِ يَوْمُ
فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ السَّبْتُ فِينَا أَطْلَلْتُ لِسَانَ مُحْتَجِّ الْيَهُودِ

^١ - هُوَ الْأَدِيبُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَمْهُورٍ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ يَحْيَى بْنِ جَمْهُورٍ الْقَيْسِيُّ يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ، مِنْ أُنَمَةِ الْفَقْهِ فِي إِسْبِيلِيَّةٍ، كَانَ رَجُلًا صَالِحًا فَاضِلًا عَالِمًا بِاللُّغَةِ، وَتُوفِّيَ بِيَلَدِهِ سَنَةَ ٥٩٢هـ بَيِّنًا مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٥١٤هـ. انظر: ابن الأَبَارِ التَّكْمِلَةَ ٢/٢٨١-٢٨٢.

^٢ - ابن الأَبَارِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ١٠١/٢.

^٣ - انظر: الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٥٧/٦.

^٤ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

^٥ - هُوَ: عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّجِيبِيِّ بْنِ الْأَفْطُسِ وَيُلَقَّبُ بِالْمُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُظَفَّرِ بْنِ الْمَنْصُورِ، وَلِيَ بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهِ سَنَةَ ٤٦٠هـ ثُمَّ أَخِيهِ يَحْيَى، وَكَانَ فِي بَطْلَيُْوسَ كَالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ فِي إِسْبِيلِيَّةٍ، بَنَى فِيهَا الْمَبَانِي الطَّيِّبَةَ وَالْمَصَانِعَ الْجَلِيلَةَ، وَرَعَى الْأَنْبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ فَوَفَدَ سَاحَتَهُ بَعْضُهُمْ، إِلَى أَنْ حَصَرَهُ الْمُلُثَمُونَ وَقَتَلُوهُ دُبْحًا مَعَ وَلَدَيْهِ الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ سَنَةَ ٤٨٥هـ. فَانْتَقَلَتِ الْوَلَايَةُ إِلَى ابْنِهِ يَحْيَى الْمَتَسَمِّي بِالْمَنْصُورِ ثُمَّ مَاتَ بَعْدَ مُنَافَسَةٍ طَوِيلَةٍ. انظر: ابن خَاقَانَ قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ ١/١٢٠-١٤٥؛ ابن بَسَّامِ النُّحَيْرَةِ ٢/٦٤٦-٦٥٢؛

الْأَصْفَهَانِي خَزِيدَةُ الْقَصْرِ ٤/٣٠٢-٣٠٧؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٧٤-٧٥؛ ابن الأَبَارِ التَّكْمِلَةَ ٤/٦٦؛ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ١٠٦/٢؛ ابن سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ١/٣٦٣-٣٦٥؛ زَلَّيَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ص ٩٥-٩٦.

^٦ - بَطْلَيُْوسَ: بِفَتْحَتَيْنِ وَسُكُونِ اللَّامِ وَبَاءٍ مَضْمُومَةٍ عِنْدَ الْحَمَوِيِّ مَفْتُوحَةٌ عِنْدَ الْجَمْهَرِيِّ، مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ أَعْمَالِ مَارِدَةَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ مِيلًا تَقَعُ عَلَى نَهْرِ آتَةِ غَرْبِي قَرْطَبَةَ. انظر: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/٤٤٧؛ الْجَمْهَرِيُّ الرُّوُضُ الْمِغْطَارُ ص ٩٣.

^٧ - شَنْتَرَيْنِ مَرْكَبَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ؛ شَنْتَ لَفْظَةٌ يَعْنِي بِهَا الْبَلَدَةُ أَوْ النَّاحِيَةُ، وَرَيْنَ هِيَ مَدِينَةٌ مُتَصِلَةٌ بِبَاجَا فِي غَرْبِي الْأَنْدَلُسِ عَلَى نَهْرِ تَاجِهٍ قَرِيبٍ مِنْ أَنْصَابِهِ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ وَهِيَ حَصِينَةٌ شِمَالِ الْأَشْبُونَةِ، سَقَطَتْ بِيَدِ الْإِفْرَنْجِ سَنَةَ ٣٤٥هـ. تَقَعُ عَلَى جَبَلٍ عَالٍ جَدًّا فِي الْبَرْتِغَالِ. وَلَهَا جَزَائِرٌ فِي الْبَحْرِ مَسْكُونَةٌ. وَفِي قَاعَدَتِهِ شَنْتَرَيْنِ هَذِهِ عَرَضُ لِيُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ الْمَرَضِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ سَنَةَ ٥٨٠هـ. انظر:

يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣/٣٦٦-٣٦٧؛ الْحَمِيرِيُّ الرُّوُضُ الْمِغْطَارُ ص ٣٤٦.

^٨ - ابن الأَبَارِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ١٠٦/٢؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٤/٤٠١.

وَيُشِيرُ الْبَيْتَانِ إِلَى أَنَّ اخْتِفَالَ الْيَهُودِ بِيَوْمِ "السَّبْتِ" وَعَنَائَتُهُمْ بِهِ كَانَ وَاضِحًا يَكَادُ يُضَاهِي عَنَائَةَ الْمُسْلِمِينَ بِيَوْمِ "الْعُرُوبَةِ"، وَرَأَى الشَّاعِرُ أَنَّ مَجْرَدَ قُدُومِ أَخِيهِ يَوْمَ "السَّبْتِ" سَيُطِيلُ لِسَانَ مُحْتَجِّ الْيَهُودِ، وَيُسْتَشْفُ مِنْ الْبَيْتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى مُحَاجَّاتِ بَيْنِ الْيَهُودِ وَالْعَرَبِ حَوْلَ أَعْيَادِهِمْ وَأَيُّهَا أَفْضَلُ. وَهَذَا لَا يَحْصُلُ إِلَّا إِنْ كَانَ الْيَهُودُ يُبْرِزُونَ عَنَائَتَهُمْ بِعِيدِهِمْ وَيَحْتَفِلُونَ بِهِ، فَخَافَ الشَّاعِرُ أَنْ يَسْتَغِلَّ الْيَهُودُ فَرْحَتَهُ وَقَوْمَهُ بِقُدُومِ عَائِيهِمْ يَوْمَ "السَّبْتِ" لَلِاسْتِدْلَالِ عَلَى أَنَّ "السَّبْتِ" أَفْضَلُ.

وَخَاطَبَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ يَامِينَ سَعِيدًا بْنَ الْحَكَمِ (ت: ٦٨٠هـ) ^(١) وَقَدْ أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ بِقَوْلِهِ ^(٢): [بسيط]
يَا غُدُوَّةَ السَّبْتِ مَا جَلَيْتَ مِنْ كُرْبٍ يَا غُدُوَّةَ السَّبْتِ مَا أَحْيَيْتَ مِنْ طَرَبٍ
لَنْ غَدَا السَّبْتُ عِيدًا لِلْيَهُودِ لَقَدْ غَدَا لَنَا أَوْجَبَ الْأَعْيَادِ لِلْقُرْبِ
أَمَّا بِهِ مَرَّ إِمْرَارُ الزَّمَانِ وَقَدْ أَجْنَى ضُرُوبَ مَتَى أَخْلَى مِنَ الضَّرَبِ
مَرَأَى سَعِيدِ الْعُلَا دَامَتْ سَعَادَتُهُ كُلُّ الْأَمَانِي وَأَقْصَى مُنْتَهَى الْأَرْبِ

وَمَا كَانَ الشَّاعِرُ لِيَدْخُلَ فِي مُقَارَنَةٍ بَيْنَ فَرْحَتِهِ بِشِفَاءِ مَمْدُوحِهِ وَفَرْحَةِ الْيَهُودِ بِعِيدِهِمْ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ عَنَائَةٌ خَاصَّةٌ وَاهْتِمَامٌ وَاضِحٌ بِهِ، وَلَمْ يَكْتَفِ الشَّاعِرُ بِفَرْحَتِهِ بِيَوْمِ "السَّبْتِ" لِشِفَاءِ مَمْدُوحِهِ بِهِ، بَلْ دَعَا إِلَى اعْتِبَارِهِ عِيدًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ أَصْبَحَ الْاخْتِفَالُ بِهِ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ اخْتِفَالِ الْيَهُودِ بِهِ.

وَالدَّلَالَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ دِلَالَاتِ "السَّبْتِ" الْإِشَارَةُ إِلَى مُعْتَقَدِ الْيَهُودِ وَدِينِهِمْ، وَأَوْضَحَ مِثَالًا عَلَيْهَا قَوْلُ ابْنِ الزُّرَّاقِ (ت: ٥٣٠هـ) ^(٣) حِينَ نَادَمَ غُلَامًا يَهُودِيًّا "يَوْمَ سَبْتٍ"، فَقَالَ ^(٤): [لطيف]
وَحَبَّبَ يَوْمَ السَّبْتِ عِنْدِي أَنَّهُ يُنَادِمُنِي فِيهِ الَّذِي أَنَا أَحَبُّتُ
وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنِّي مُسْلِمٌ حَنِيفٌ وَلَكِنْ خَيْرُ أَيَّامِي السَّبْتُ

١ - هُوَ : أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ الْحَكَمِ (٦٠١ - ٦٨٠هـ)، مِنْ طَبِيزَةِ Taveiro بِغَرْبِ الْأَنْدَلُسِ، اشْتَغَلَ أَوَّلَ أَمْرِهِ كَاتِبًا عَنْ بَعْضِ أَمْرَاءِ إِفْرِيقِيَّةٍ فِي بُجَايَةِ وَثُوْسَ ثُمَّ عَامِلًا فِي مَيُورَقَّةَ الَّتِي ارْتَدَّ عَنْهَا فِي حُكْمِهِ، وَأَحْبَبَهُ أَهْلُهَا وَدُعِيَ بِالرَّئِيسِ فِيهَا، وَارْتَدَّتِ الْحَيَاةُ الْأَدَبِيَّةُ فِي بِلَاطِهِ، وَصَارَتْ مَيُورَقَّةَ مَلْجَأً لِلْعُلَمَاءِ .

السِّيَرَاءُ ٣١٨/٢ - ٣٢٠هـ؛ ابْنُ سَعِيدِ الْمُغْرِبِ ٤٦٩/٢؛ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَرَاكُشِيِّ الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ السَّفَرُ الرَّابِعُ ص ٢٨ - ٣٣؛ الصَّفْدِيُّ الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٣٢ - ١٣٣هـ؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٧٥ - ٢٧٦؛ الْحِمَيْرِيُّ الرُّوضُ الْمِفْطَارُ ص ٥٤٩؛ الْمُقَرِّي تَفْجُحُ الطَّيِّبِ ٢٢٨/٦؛ أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ٢١٥ - ٢١٨هـ .

٢ - ابْنُ سَعِيدِ الْخُصَّارِ الْفَذَحِ الْمُغْلَى ص ٥٦ .

٣ - هُوَ الشَّاعِرُ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْرَاهِيمَ بْنِ عَطِيَّةِ اللَّهِ الْخُمَيْيِّ الْمَشْهُورُ بِابْنِ الزُّرَّاقِ الْبُلْتَنَسِيِّ . لَا يَوْجَدُ إِسْرَاهِيمُ فِي نَسَبِهِ عِنْدَ ابْنِ بَشْكَوَالٍ وَابْنِ دَحِيَّةٍ وَلَا الْكُتُبِيُّ؛ كَانَ أَبُوهُ فَقِيرًا جَدًّا يَعْمَلُ مُؤَدِّيًا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِبُلْتَنَسِيَّةٍ، وَيُقَالُ إِنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَبَّادٍ قَرَابَةً وَأَخْفَى نَفْسَهُ بَعْدَ خُلْعِهِمْ، عَنِ الْأَدَابِ فَبَرَعَ فِيهَا، وَامْتَدَحَ الْأَمْرَاءَ وَالرُّؤَسَاءَ وَكَانَ شَاعِرًا مُجَوِّدًا مَطْبُوعًا يَتَصَرَّفُ كَيْفَ شَاءَ، وَقِيلَ إِنَّهُ تَأَثَّرَ فِي نَظْمِهِ بِخَالِهِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ خَفَّاجَةَ وَنَزَعَ مِنْزَعَهُ. اِخْتَلَفَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ كَثِيرًا، فِي التَّكْمِلَةِ أَنَّهُ وَتُوفِّيَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ٥٣٠هـ وَلَمْ يَبْلُغِ الْأَرْبَعِينَ .

انْظُرْ: الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ٤، ج ٢/٦٤٧ - ٦٥٢؛ ابْنُ دَحِيَّةِ الْمُطَرِّبِ ص ١٠٠ - ١١٠؛ ابْنُ الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ ١٨٦/٣ - ١٨٧هـ؛ ابْنُ سَعِيدِ الْمُغْرِبِ ٣٢٣/٢ - ٣٣٨هـ؛ زَيَّاتُ الْمُبَرِّزِينَ ص ٢٠٩ - ٢١١؛ الْكُتُبِيُّ قَوَاتُ الْوَفَايَاتِ ١٠٨/٢ - ١٠٩هـ؛ الْمُقَرِّي تَفْجُحُ الطَّيِّبِ ٢٥٧/٤؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٨٩/٢ .

٤ - الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ٤، ج ٢/٦٤٨؛ ابْنُ دَحِيَّةِ الْمُطَرِّبِ ص ١٠٥؛ ابْنُ الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ السِّيَرَاءُ ١٠٦/٢؛ ابْنُ سَعِيدِ الْمُغْرِبِ ٣٢٨/٢؛ الْكُتُبِيُّ قَوَاتُ الْوَفَايَاتِ ١٠٩/٢؛ الْمُقَرِّي تَفْجُحُ الطَّيِّبِ ١٦٨/٥، ٧٤/٦؛ إِمِيلُو غَرْسِيه غُومْتُ شَعْرِ ابْنِ الزُّرَّاقِ ص ٨٨ .

وَرُغِمَ حُبُّهُ الشَّدِيدِ لِيَوْمِ "السَّبْتِ"، إِلَّا أَنَّهُ خَافَ أَنْ يَتَّهَمَ فِي دِينِهِ، لِذَا أَكَّدَ أَنَّهُ "مُسْلِمٌ خَنِيْفٌ".
وَيَمُهِدُ ذِكْرُ "السَّبْتِ" فِي الشَّعْرِ لِإِعْطَاءِ مَشَاهِدٍ تَدُلُّ عَلَى مُعْتَقَدِ الْيَهُودِ وَدِينِهِمْ وَنَبِيِّهِمْ، وَهَذَا

وَاضِحٌ فِي آيَاتِ لَابْنِ خُرُوفٍ الْقُرْطُبِيِّ (ت: ٦١٠هـ) ^(١) تَتَابَعَتِ الصُّورُ الشَّعْرِيَّةُ الْخَاصَّةُ بِالْيَهُودِ فِيهَا قَوْلُ
أَنْ ذَكَرَ "السَّبْتِ"؛ فَتَذَكَّرَ فِرْعَوْنَ مُوسَى، وَتَذَكَّرَ السَّحَرَةُ، كَمَا تَذَكَّرَ ثَعَالِيَهُمْ تَمِيسُ مُخِيفَةً، ثُمَّ الْجِبَالُ الَّتِي أَلْقَيْتُ
فَتَحَوَّلَتْ إِلَى ثَعَالِيٍّ مُتَّجِهَةٍ نَحْوَ الْكَلِيمِ مُوسَى، فَكَانَ "السَّبْتُ" فِي الْقَصِيدَةِ رَمْزًا لِكُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ مُجْتَمِعَةً
أَوْ بِمَعْنَى آخَرَ جَاءَ رَمْزًا لِمُعْتَقَدِ دِينِي وَلِأَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فِيهَا ^(٢): [نوفر]

إِذَا رَحَلْتُ عَرُوبَةً عَنْ حِمَاهَا تَأَوَّهَ كُلُّ أَوَاهٍ حَلِيمٍ
إِلَى سَبْتٍ حَكِي فِرْعَوْنَ مُوسَى يُجَمِّعُ كُلُّ سَحَارٍ عَظِيمٍ
فَتُبْصِرُ كُلُّ أُمْلُودٍ ^(٣) قَوِيمٍ يَمِيسُ بِكُلِّ ثَعْبَانٍ عَظِيمٍ
إِذَا انْسَابَتْ أَرَاقٍ مُمَا ^(٤) عَلَيْهَا تَذَكَّرْنَا بِهَا لَيْلَ السَّلِيمِ
وَشَاهَدْنَا بِهَا فِي كُلِّ حِينٍ جِبَالًا أَلْقَيْتُ نَحْوَ الْكَلِيمِ

وَلَأَنَّ "السَّبْتِ" حِينَ يُذَكَّرُ يَكُونُ دَالًّا عَلَى الْيَهُودِ فِي الْعَالِيَةِ، أَتَى مُرَافِقًا لِمَا يُرَافِقُ الْيَهُودَ فِي
الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، أَلَا وَهُوَ الْخَمْرُ، دَعَا لَشُرِّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ السَّرَّاجِ ^(٥) يَقُولُهُ ^(٦): [لبسيط]

يَا مَنْ إِذَا مَا سَقَيْتَنِي الرَّاحَ رَاحَتُهُ أَهْدَتِ إِلَيَّ بِهَا رُوحًا وَرِيحَانًا
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي صَبَاحِ السَّبْتِ يَأْخُذُهَا فَلَيْسَ عِنْدِي بِحُكْمِ الظَّرْفِ إِنْسَانًا

وَالثَّالِثَةُ مِنْ دِلَالَاتِ "السَّبْتِ" فِي الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ عِصْيَانُ وَتَمَرُّدُ أَهْلِهِ اسْتِنَادًا إِلَى الْحِكَايَةِ الْقُرْآنِيَّةِ
الْمَشْهُورَةِ عَنْ أَهْلِ "السَّبْتِ"، وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْإِشَارَاتُ فِي النَّثْرِ وَلَمْ أَجِدْ لَهَا أَمثلةً فِي الشَّعْرِ.

^١ - هُوَ: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ خُرُوفٍ الْقُرْطُبِيُّ، وَفِي تَفْخِ الطَّيِّبِ هُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يُوسُفَ، كَانَ إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، صَنَفَ شَرْحًا لِكِتَابِ
سَيَبَوِيهِ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ شَاعِرٌ مَشْهُورٌ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ. مَدَحَ أَمْرَاءَ الْمَغْرِبِ، وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَكَانَ يَشْتَغِلُ خِيَاطًا، وَلَمْ يَنْتَزِجْ قَطُّ، وَلَمْ يَتَّخِذْ
بَلَدًا مَوْطِنًا، بَلْ كَانَ يَنْتَقِلُ فِي الْبِلَادِ فِي طَلَبِ التَّجَارَةِ، وَكَانَ يَسْكُنُ الْحَانَاتِ. وَاخْتَلَفَ عَقْلُهُ بِأَخْرَجَتْهُ حَتَّى مَشَى فِي الْأَسْوَاقِ عَرِيَانًا بِأَدْيِ الْعَوْرَةِ مَكْشُوفِ
الرَّاسِ، وَقَدَّرَ أَنْ مَنِيَّتَهُ كَانَتْ مُتَرْتِّبًا فِي جَبِّ حَنْطَةٍ فِي حَلَبٍ بَقَلَعَتْهَا عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً. اخْتَلَفَ كَثِيرًا فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ بِإِسْبِيلِيَّةِ.

انْظُرْ: يَأْقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٥/٧٥-٧٦؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكِشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٣٠٣-٣٠٤؛ ابْنُ خُلَّكَانٍ الْوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٧/٩٤؛
ابْنُ الْأَبَارِ التَّكْمِلَةُ ٣/٢٣٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/١٣٦-١٣٩؛ زَيَّاتُ الْمُبَرِّزِينَ ص ١٣٨-١٣٩؛ الْكُنِّيُّ قَوَاتُ الْوَفَيَاتِ ٢/١٣٨-١٤٠؛ جَلَّالُ
الدِّينِ السُّيُوطِيُّ بُغْيَةُ النُّوْعَةِ ٢/٢٠٣؛ الْمَقْرِي تَفْخِ الطَّيِّبِ ٢/٣٧٨، ٣/٣٨٢-٢٨٤، ٥/٢٣٤-٢٣٥.

^٢ - الْمَقْرِي تَفْخِ الطَّيِّبِ ٥/٢٣٤-٢٣٥.

^٣ - أُمْلُودٌ وَإِمْلِيدٌ: نَاعِمٌ.

^٤ - الْأَرْقَمُ مِنَ الْحَيَاتِ: الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ، وَالْجَمْعُ أَرْقَمٌ، وَلَا يوصفُ بِهِ الْمَوْتُ، يُقَالُ لِلذَّكَرِ أَرْقَمٌ، لَكِنْ الْمَوْتُ رَقْشَاءٌ.

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [رَقْم] ١٢/٢٤٩.

^٥ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ السَّرَّاجِ، مِنْ شُعْرَاءِ مُلُوكِ الطُّوَّافِ، لَمْ تَتَحَدَّثْ عَنْهُ الْمَرَاجِعُ كَثِيرًا؛ قَالَ عَنْهُ ابْنُ بَسَّامٍ فِي الذُّخِيرَةِ إِنَّهُ مُحَسَّنٌ فِي
أَهْلِ عَصْرِهِ مَعْدُودٌ، وَشَاعِرٌ بَنِي حَمُودٍ، وَهُمْ أَصْحَابُ مَالِقَةَ، قَالَ الْحُمَيْدِيُّ: لَمْ يَقَعْ لِي اسْمُ أَبِيهِ، وَلَمْ تَرُدَّ تَرْجُمَتُهُ فِي الْقِطْعَةِ الْمُتَبَقِّيَةِ مِنْ أُنْبَاءِ مَالِقَةَ،
إِذْ يَبْدُو أَنَّهَا سَقَطَتْ فِيمَا سَقَطَ مِنْ أَوْرَاقِ الْكِتَابِ.

٨٨٢؛ الْحُمَيْدِيُّ جَدْوَةُ الْمُفْتَنَسِ ١/١٠٦؛ الضَّبِّيُّ بُغْيَةُ الْمُتَنَمِّسِ ١/١١٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/٤٣٤-٤٣٥.

^٦ - ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخِيرَةُ ق ١، م ٨٧٧؛ الْمَقْرِي تَفْخِ الطَّيِّبِ ٤/٣٥٧.

وَالْحِكَايَةُ مَاخُودَةً مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَسُئِلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ^(١).
 وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ حَوْلَ الْقَرْيَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ، وَعَمَّا فَعَلَ أَهْلُ "السَّبْتِ"، وَلَنْ أُخَوِّضَ فِي الْاِخْتِلَافِ، إِلَّا أَنَّ مُجْمَلَ الْقِصَّةِ عِنْدَ ابْنِ كَثِيرٍ (ت: ٧٧٤هـ) وَغَيْرِهِ ^(٢) يُؤَكِّدُ عِصْيَانَ الْيَهُودِ وَمَكْرَهُمْ وَتَحَايِلَهُمْ عَلَى مَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ، وَهَذَا قَصْدُ الْأَدْبَاءِ بِأَهْلِ "السَّبْتِ"، فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ جَاءَ فِي الرِّسَالَةِ الْجَدِيدَةِ ^(٣) الَّتِي كَتَبَهَا ابْنُ زَيْدُونَ إِلَى ابْنِ جَهْوَرٍ (ت: ٤٣٥هـ) ^(٤) مِنْ سِجْنِهِ قَوْلُهُ: "خَنَائِكَ! فَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى، وَنَالَنِي مَا حَسْبِي بِهِ وَكَفَى، وَمَا أَرَانِي إِلَّا لَوْ أَنِّي أُمِرْتُ بِالسُّجُودِ لَأَدَمْتُ فَأَبَيْتُ، وَقَالَ لِي نُوحٌ: "ارْكَبْ مَعَنَا"، فَقُلْتُ: "سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ" ^(٥)، وَأُمِرْتُ بِنِجَاءِ الصَّرْحِ "لَعَلِّي أَطْلُعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى" ^(٦) وَعَظُمْتُ عَلَى الْعَجَلِ، وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ، وَتَعَاطَيْتُ فَعَقَرْتُ ^(٧)، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ جُنُودُ طَالُوتَ ^(٨)، وَقُدْتُ الْفِيلَ

١ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ١٦٣. انْتَفَقَتْ مُعْظَمُ الرِّوَايَاتِ عَلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ بِحَقِّ الْيَهُودِ وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي السَّبْتِ الْحَيْتَانَ صَيْدَهَا وَأَكْلَهَا، فَتَحِيلُوا عَلَى اصْطِيَادِ الْحَيْتَانِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ بِمَا وَضَعُوا لَهَا مِنَ الشُّصُوصِ (جَمْعُ لِلشَّصْرِ وَهُوَ حَدِيدَةٌ عَقْفَاءُ يُصَادُّ بِهَا السَّمَكُ) وَالْحَبَابِلُ وَالْبِرْكُ قَبْلَ يَوْمِ السَّبْتِ، فَيَأْخُذْنَهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ السَّبْتِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا صَدْنَاهُ يَوْمَ الْأَحَدِ حِينَ أَخَذْنَاهُ، فَقَالَ الْفُقَهَاءُ: لَا، وَلَكِنَّكُمْ صَدَنْتُمُوهُ يَوْمَ فَتَحْتُمْ لَهُ الْمَاءَ فَدَخَلَ. فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ مَسَخَهُمُ اللَّهُ إِلَى صُورَةِ الْفَرْدَةِ وَهَذَا هُوَ مُجْمَلُ قِصَّةِ أَهْلِ السَّبْتِ.

انظر: ابن كثير تفسيره ١/١٠٥ - ١٠٧؛ العسقلاني فتح الباري ٦/٤٥٢ - ٤٥٣؛ ابن منظور لسان العرب [شخص] ٧/٤٨.

٢ - انظر: ابن كثير تفسيره ١/١٠٥ - ١٠٧؛ العسقلاني فتح الباري ٦/٤٥٢ - ٤٥٣.

٣ - انظر الرِّسَالَةَ الْجَدِيدَةَ فِي: ابْنِ زَيْدُونَ بَيَانُهُ وَرِسَالَتُهُ ص ٦٨٠ - ٧١٨؛ ابْنِ بَسَامِ النُّخَيْرَةِ ق ١، ٣٣٧ - ٣٤٦.

٤ - هُوَ: أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ جَهْوَرٍ (٣٦٤ - ٤٣٥هـ) ذَكَرَ ابْنُ الْأَبَارِ أَنَّهُ كَانَ شَاعِرًا مَكْثَرًا مِنْ شَعْرِهِ مِنْ وَرَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ، تَوَلَّى تَدْبِيرَ أُمُورِ قَرْطَبَةَ بَعْدَ مَا انْقَطَعَتْ دَعْوَةُ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ، وَفِي أَيَّامِهِ صَارَتْ قَرْطَبَةُ حَرَمًا يَلْجَأُ إِلَيْهِ كُلُّ خَائِفٍ وَمَخْلُوعٍ عَنْ مُلْكِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ عَنْ وَاحِدَةِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، فَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو الْوَلِيدِ الَّذِي وَزَرَ لَهُ الشَّاعِرُ ابْنُ زَيْدُونَ.

انظر: الْحُمَيْدِيُّ جَدْوَةُ الْمُفْتَبِّسِ ١/٢٩١؛ بَنُ خَاقَانَ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ ص ١٨٠ - ١٨٦؛ قَلَائِدُ الْعَفْيَانِ ق ٢، ج ١/٢١١؛ ابْنِ بَسَامِ النُّخَيْرَةِ ق ١، ٣٣٧ - ٣٥٤، ق ٢، ٦٠٢ - ٦٠٤؛ ابْنِ بَشْكَوَالِ الصَّلَةِ ١/٢١٥؛ الضَّبِّيُّ بُغْيَةُ الْمُتَلَمِّسِ ١/٣١٩ - ٣٢٠؛ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكَشِيِّ الْمُعْجَبِ ص ٥٧ - ٦٠؛ ابْنِ الْأَبَارِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءِ ١/٢٤٥ - ٢٥١؛ ابْنِ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ١/٥٦؛ الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ١/٢٩٠ - ٢٩٢.

٥ - إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَبْرَأْكَ مَعَدَّ﴾، وَ﴿سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ سُورَةُ هُودٍ، آيَةُ ٤٢ - ٤٣.

٦ - إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَجَعَلْنِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ سُورَةُ الْقَصَصِ، آيَةُ ٣٨.

٧ - تَعَاطَى: قَامَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ مَتَهِيًّا لِلضَّرْبِ أَوْ الطَّعْنِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [عطي] ١٥/٧٠.

عَقَرَ الْبَعِيرَ: ضَرَبَ قَوَائِمَهُ بِالسَّيْفِ أَوْ ذَبَحَهُ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [عقر] ٤/٥٩٢.

وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قِصَّةِ النَّاظِقَةِ مَعْجَزَةِ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ ثَمُودَ، وَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَعَطَّى فَعَقَرَ﴾ سُورَةُ الْفَجْرِ، آيَةُ ٢٩، وَ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهُ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمُ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهُ﴾ سُورَةُ الشَّمْسِ، آيَةُ ١٤.

٨ - هُوَ: طَالُوتُ شَادِلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَبِيالِ بْنِ ضَرَّارِ بْنِ يَحْرَبِ بْنِ أَفْجَحِ بْنِ آيسَ بْنِ بَنِيَامِينَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِزْرَاهِيمَ، أَحَدُ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ فَقِيرًا سَقَاءً يَسْقِي عَلَى حِمَارٍ لَهُ وَقِيلَ كَانَ ذَبَّاعًا. وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَشَدَّهُمْ بَأْسًا. انظر: ابن حزم جُمُهرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ص ٥٠٩؛ ابن كثير تفسيره ١/٣٠٢ - ٣٠٤؛ الْقَلْقَشَنْدِيُّ صُبْحُ الْأَعْشَى ٤/١٦٤؛ الطَّبْرِيُّ جَامِعُ الْبَيَانِ ٢/٦٠١ - ٦٣٥.

وَالْكَلَامُ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَا فَصَلَ طَالُوتَ لِحُجُودِ قَوْمِهِ لَئِيلَهُ مَسِيكُكُمْ نَهَرٌ﴾ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةُ ٢٤٩.

لأبرهة^(١).....^(٢) فَعَدَّدَ ابْنُ زَيْدُونَ كَثِيرًا مِنَ الْمُهْلِكَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا السَّابِقُونَ، وَمِنْهَا اعْتِدَاءُ الْيَهُودِ عَلَى حُرْمَةِ "السَّبْتِ". فَكَانَتْ هَذِهِ الْمَقُولَةُ كَالْمَثَلِ لِمَنْ يَحْتَالُ فِي الْأَمْرِ لِيَبْلُغَ مُرَادَهُ لَكِنْ لَمْ أَجِدْ مَثَلًا هَذِهِ الدَّلَالَةُ كَثِيرًا فِي شِعْرِهِمْ، وَإِنْ جَاءَ بِهَا شَاعِرٌ كَابْنِ زَيْدُونَ فِي رِسَالَتِهِ وَأَرَى أَنَّ تَأَثُّرَهُ بِالْقُرْآنِ أَقْوَى مِنْ تَأَثُّرِهِ بِالْيَهُودِ الْمَوْجُودِينَ، أَقُولُ هَذَا لِمَا حَظَّنِي أَنَّهَا جَاءَتْ مُنْجِمَةً فِي لَفْظِهَا تَمَامًا مَعَ الرِّوَايَةِ الْقُرْآنِيَّةِ (إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ)^(٣)

بَقِيَتِ الدَّلَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْآخِرَةُ لِمَا اسْتِخْدَامَ يَوْمِ "السَّبْتِ" عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَهِيَ الدَّلَالَةُ الْعَامَّةُ لَهُ كَيَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْيَهُودِ وَأَعْيَادِهِمْ، وَمِنْهَا قَوْلُ أَحَدِهِمْ^(٤): [بسيط]

نَطْوِي سُبُوتًا وَأَحَادًا وَتَنْشُرُهَا
فَعُدَّ مَا شِئْتَ مِنْ سَبْتٍ وَمِنْ أَحَدٍ
وَنَحْنُ فِي الطِّيِّ بَيْنَ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ
لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الْمَطْوِيُّ فِي الْعَدَدِ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ دَرَّاجِ الْقَسْطَلِيِّ (ت: ٤٢١هـ)^(٥) فِي عَدْوِ الْمُسْلِمِينَ ابْنَ شَانِجَةَ وَاتِّبَاعِهِ^(٦): [بسيط]
كَتَائِبًا تَرَكْتَ عَبْدًا مِلَّتِهِ
لَا تَعْرِفُ السَّبْتَ فِي الْأَيَّامِ مِنْ أَحَدٍ

وَقَوْلُ آخَرٍ^(٧): [لطويل]
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ
فَقُلْ لِجَدِيدِ الْعَيْشِ لَا بُدَّ مِنْ بَلَى
يَكُرَّانِ مِنْ سَبْتٍ عَلَيْكَ إِلَى سَبْتٍ
وَقُلْ لِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ لَا بُدَّ مِنْ شَتٍّ

وَهَذِهِ وَرَدَتْ بِقَلَّةٍ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَكَثِيرًا مَا أَتَتْ فِي الْحِكْمَةِ فِي الْحَدِيثِ عَنْ دَوْرَانِ الدَّهْرِ، فَيَبْدَأُ الشَّاعِرُ بِيَوْمِ "السَّبْتِ" لِأَنَّهُ أَوَّلُ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ وَقَدْ يَتَّبِعُهُ بِالْأَحَدِ وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ إِنَّهَا تَحْمِلُ دِلَالَةً خَاصَّةً وَهِيَ الْأَعْيَادُ وَمَا يُرَافِقُهَا مِنْ فَرَحٍ وَسُرُورٍ لَكِنِّي أَرْجَحُ الْقَوْلَ بِأَنَّ دِلَالَةَ "السَّبْتِ" وَ"الْأَحَدِ" فِيهَا كَانَتْ عَامَّةً، وَالْقَصْدُ مِنْهُ تَوَالِي الْأَيَّامِ بِسُرْعَةٍ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ الْإِنْسَانُ بِهَا.

١ - هُوَ: أَبْرَهَةُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْحَبَشِيُّ، وَيُلَقَّبُ بِالْأَشْرَمِ لَشَرَمٍ فِي شَفْتِهِ، مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ، بَنَى بِصَنْعَاءَ مَدِينَةً جَمِيلَةً بِهَا كَنِيسَةٌ سَمَّاها الْقَلِيسَ لَتَحْجَ إِلَيْهَا الْعَرَبُ بَدَلَ مَكَّةَ، وَذَهَبَ لِيَهْدِمَ الْكَعْبَةَ وَمَعَهُ الْفِيلَةُ فِي الْقِصَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ.

الطَّبْرِيِّ تَارِيخُهُ ١٣٢/٢ - ١٣٩؛ يَأْقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣٩٤/٤ - ٣٩٦.

٢ - ابْنُ زَيْدُونَ دِيوَانُهُ وَرِسَالَتُهُ ص ٦٨٩ - ٦٩٠.

٣ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ١٦٣.

٤ - الْمُقَرِّي تَفْخُ الطَّبِيبِ ١١٣/٧؛ أَرْهَارُ الرِّيَاضِ ٢٣٤/١.

٥ - هُوَ: أَبُو عَمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ دَرَّاجِ الْقَسْطَلِيِّ (بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ الطَّاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ نَسَبُهُ إِلَى قَسْطَلَةَ مَدِينَةٍ بِالْأَنْدَلُسِ)، شَاعِرٌ مَشْهُورٌ بِالْأَنْدَلُسِ، مَوْلَدُهُ عَامَ ٣٤٧هـ، قَالَ فِيهِ ابْنُ حَرْمٍ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَنَا مِنْ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا ابْنُ دَرَّاجٍ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْ شَاوِ حَبِيبٍ وَالْمُنْتَبِيِّ، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ أَيَّامَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ.

انْظُرْ: ابْنُ الْأَبَّارِ التَّكْمَلَةُ لِكِتَابِ الصَّلَةِ ١٦٣/١؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢١٧/٣.

٦ - ابْنُ دَرَّاجِ الْقَسْطَلِيِّ دِيوَانُهُ ص ١٤٩.

٧ - الْمُقَرِّي تَفْخُ الطَّبِيبِ ١١٣/٧.

وَلَمْ يَكُنْ تَأْثِيرُ "السَّبْتِ" خَاصًّا بِأَبْيَاتِ شِعْرِيَّةٍ أَوْ عِبَارَاتٍ أَدْبِيَّةٍ تُقَالُ هُنَا وَهُنَاكَ فَحَسَبَ، بَلْ يُشِيرُ الطَّرطُوشِيُّ إِلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ تَرَكَوا الْعَمَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَقْلِيدًا لِلنَّصَارَى الَّذِينَ يَتَوَقَّفُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَالْيَهُودَ الَّذِينَ يَتْرَكُونَهُ يَوْمَ "السَّبْتِ" ^(١)، وَأَكَّدَ الْوَنَشْرِبْسِيُّ وَجُودَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ بِقَوْلِهِ لِمَنْ اسْتَفْتَاهُ فِي تَرْكِ الْعَمَلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: "وَإِيَّاكُمْ تَعْظِيمَ يَوْمِ الْأَحَدِ وَالسَّبْتِ، وَتَرْكَ الْعَمَلِ فِيهِمَا وَفِي أَعْيَادِ النَّصَارَى، وَاعْمَلَنَّ الْأَيَّامَ كُلَّهَا وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يُنَادَى بِالصَّلَاةِ" ^(٢).

٢ - صَدَاقَتُهُمْ وَالتَّعَاوُنُ مَعَهُمْ.

أُشِيرَ فِي الْكُتُبِ إِلَى صَدَاقَاتٍ مَعَ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ؛ فَكَانَ لَابْنِ حَزْمٍ صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ يَتَرَدَّدُ عَلَى دُكَّانِهِ بِالْمَرْيَةِ ^(٣) ذَكَرَهُ فِي "طُوقِ الْحَمَامَةِ" ^(٤) وَ"الْفِصَلِ" ^(٥). وَلَا زَمَ ابْنُ بَاجَةَ (ت: ٥٢٣هـ) ^(٦) الْيَهُودِيَّ ابْنَ شَمْعُونِ الْقُرْطُبِيِّ ^(٧) مِنْ عُلَمَاءِ الْمَوْسِيْقَى ^(٨). وَيُرْوَى أَنَّهُ شُوهِدَ يَوْمَ وَفَاةِ الْفَقِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى (ت: ٢٩٨هـ) ^(٩) نَفْرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ جُمْلَةِ الْبَاكِيْنَ عَلَيْهِ ^(١٠)، وَلَا يَبْكِ الرَّجُلَ إِلَّا مَنْ خَالَطَهُ وَتَعَامَلَ مَعَهُ وَتَأَثَّرَ لِمَا ضَاعَ بِمَوْتِهِ.

وَتَتَنَاقَلُ الْمَصَادِرُ قِصَّةَ صَدَاقَةٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ نَدَرَ وَجُودُ أَمْثَالِهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسِهِمْ؛ فَعِنْدَمَا أَوْقَعَ الْحَكْمُ الرَّبْضِيُّ (١٨٠-٢٠٦هـ) بِالْفُقَهَاءِ فِي قُرْطُبَةٍ، وَقَضَى عَلَى ثَوَرَتِهِمْ، وَأَمَرَ بِتَغْرِيبِ

١ - أَبُو بَكْرٍ الطَّرطُوشِيُّ الْخَوَادِثُ وَالْبِدْعُ ص ٣٧

٢ - الْوَنَشْرِبْسِيُّ الْمَغْيَارِ الْمَغْرِبِ ١١/١٥٢ .

٣ - الْمَرْيَّةُ: بِالْفَتْحِ ثُمَّ الْكسْرِ وَتَشْدِيدُ الْيَاءِ، مَدِينَةُ أَنْدَلُسِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ كَوْرَةِ الْبَيْرَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَكَانَتْ هِيَ وَبِجَانَةِ بَابِي الشَّرْقِ.

انْظُرْ: الْإِنْدَرِسِيُّ لُزْمَةُ الْمُشْتَقِ ٢/٥٦٢-٥٦٣ يَتَأَقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥/١١٩-١٢٠؛ الْجَمْعِيُّ الرُّؤُوسُ الْمِغْطَارُ ص ٥٣٧-٥٣٨.

٤ - انْظُرْ: ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ ١/١١٤؛ طُوقُ الْحَمَامَةِ ص ١٩ .

٥ - انْظُرْ: ابْنُ حَزْمٍ الْفِصَلُ فِي الْمَلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالنَّحْلِ ١/١٣٥ .

٦ - هُوَ فِيلَسُوفُ الْأَنْدَلُسِ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى (الْحَسَنُ عِنْدَ ابْنِ سَعِيدٍ) الصَّائِغُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ بَاجَةَ النَّحْوِيِّ، كَانَ إِمَامًا فِي الْأَلْحَانِ وَالطَّبِّ، قَالَ ابْنُ أَبِي أَصِيبَةَ أَنَّهُ بَلِيَ بِمَحَنٍ كَثِيرَةٍ وَشِنَاعَاتٍ مِنَ الْعَوَامِ وَقَصَدُوا هَلَكَهَ مَرَاتٍ. وَأَطْنَبَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْمُسْهَبِ، اسْتَوْرَزَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ تَيْفَلُوَيْتَ مَلِكُ سَرَفُوسْطَةِ، وَكَثُرَ ابْنُ بَاجَةَ مِنْ رِثَائِهِ وَغْنَى بِهَا فِي الْأَحَانِ مُبَكِّبَةً، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ تَلَامِيذِ ابْنِ بَاجَةَ كَذَلِكَ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ رَشَدٍ وَتُوُفِّيَ ابْنُ بَاجَةَ شَابًّا مَسْمُومًا بِمَدِينَةِ فَاسٍ ٥٢٣هـ وَدُفِنَ بِهَا وَتَرَكَ مَوْلَفَاتٍ عَدِيدَةً.

انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/١١٩؛ ابْنُ أَبِي أَصِيبَةَ غُيُوثُ الْأَنْبَاءِ ١/٥١٥-٥١٧؛ ابْنُ خُلْدُونِ الْمُقَدِّمَةُ ص ٤٨٥

؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّبِيبِ ٤/٣٣٤، ٩/٢٣٣، ٢٤٣-٢٥٦ .

٧ - سَتَرِدُ تَرْجَمَةٌ لَهُ فِي مَثْنِ الْبَحْثِ: ص ٢٢٨ .

٨ - انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/١٢٧ .

٩ - هُوَ الْفَقِيهُ: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى الْأَنْدَلُسِيُّ الْقُرْطُبِيُّ. طَالَ عَمْرُهُ، وَتَنَافَسَ الْعُلَمَاءُ فِي الْأَخْذِ عَنْهُ، وَكَانَ كَبِيرَ الْقَدْرِ عَاقِلًا عَظِيمَ الْجَاهِ وَالْمَالِ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْإِحْسَانِ كَامِلَ الْمَرْوَةِ مُقَدِّمًا فِي الشُّرَى، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٩٨هـ وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَشْهُودَةً. وَقِيلَ: إِنَّهُ شُوهِدَ يَوْمَ مَوْتِهِ الْبَوَاكِي عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ ضَرْبٍ حَتَّى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَمَا شُوهِدَ قَطُّ مِثْلَ جَنَازَتِهِ وَلَا سَمِعَ بِالْأَنْدَلُسِ بِمِثْلِهَا.

انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ الذَّخِيرَةُ ق ١/٦٩١-٧٢٩؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٣/٥٣١-٥٣٢ .

١٠ - الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٣/٥٣٣ .

مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، عَزَّ عَلَى الْفَقِيهِ طَالُوتُ^(١) أَنْ يَتْرَكَ بَلَدَهُ، فَاخْتَفَى عِنْدَ صَدِيقٍ يَهُودِيٍّ لَهُ مُدَّةُ سَنَةٍ كَامِلَةٍ، وَالْيَهُودِيُّ فِي ذَلِكَ يُكْرِمُهُ أَبْلَغَ الْكَرَمِ وَيُعْظِمُهُ أَشَدَّ التَّعْظِيمِ، وَطَالَ عَلَيْهِ الْكَوْنُ عِنْدَ الْيَهُودِيِّ حَتَّى سَكَنَتْ الْأَحْوَالُ فَقَصَدَ أَحَدَ وُزَرَاءِ الْحَكْمِ يَطْلُبُ الْأَمَانَ وَالْمُسَاعَدَةَ، فَخَانَهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْحَكْمِ، وَحِينَ عَلِمَ الْحَكْمُ بِقِصَّتِهِ مَعَ الْيَهُودِيِّ عَيَّرَ وَزِيرَهُ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ حَفِظَ فِيهِ مَحَلٌّ هُوَ مِنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ، وَخَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ مِنْ أَجْلِهِ، وَغَدَرَتْ بِهِ إِذْ قَصَدَكَ وَخَفَرْتَ ذِمَّتَهُ". وَعَزَلَهُ مِنْ مَنْصِبِهِ، وَكَتَبَ لِلْيَهُودِيِّ كِتَابًا وَرَّادَ فِي إِحْسَانِهِ، فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودِيُّ ذَلِكَ أَسْلَمَ^(٢). وَهَذِهِ الْقِصَّةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ وَصَلَ الْحَالُ أَحْيَانًا أَنْ يَكُونَ الْيَهُودِيُّ أَمِنًا عَلَى حَيَاتِهِ بَيْنَمَا الْمُسْلِمُ مُطَارَدٌ مُلاحَقٌ؛ وَحِينَ فَرَّ أَحَدُ أَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بَعْدَ ثَوْرَةِ ابْنِ الْحَاجِّ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِفَرْطَبَةَ، قَالَ لِغُلَامِهِ: "إِذَا سُلِّتَ عَنِّي فَقُلْ إِنَّهُ مِنَ الْيَهُودِ فَإِنَّهُ أَمْسَى لِحَالِنَا"^(٣). وَوَصَلَ التَّعَلُّونُ بَيْنَهُمْ وَالِاخْتِلَاطُ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَخْدِمَ الْمُسْلِمُ الْيَهُودِيَّ؛ فَوَرَدَ عِنْدَ ابْنِ سَهْلٍ فِي وَثَائِقِهِ أَنَّ غُلَامًا يَزْعُمُ أَنَّهُ حُرٌّ، وَأَنَّهُ يُكْرَهُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ، وَادَّعَى يَهُودِيًّا أَنَّهُ مَمْلُوكُهُ^(٤).

٣- مَحْظُورَاتُ اجْتِمَاعِيَّةٍ عَلَيْهِمْ.

مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ لَا يَغْنِي أَنْ الْيَهُودَ كَانُوا فِي حُرِّيَّةٍ تَامَّةٍ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَجَمَعَ عَصَمَتُ دَنْدَشْ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ الْمَحْظُورَاتِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَمِنْهَا: أَنْ لَا يَذْبَحَ يَهُودِيٌّ لِمُسْلِمٍ، وَأَنْ لَا يُبَاعَ مِنَ الْيَهُودِ وَلَا مِنَ النَّصَارَى كِتَابٌ عِلْمٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ شَرِيعَتِهِمْ، لِأَنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ غَيْرُ أَمْنَاءَ فِي نَقْلِ الْعُلُومِ، وَكَانَ يُشَكُّ فِي نَصِيحَتِهِمْ الْخَالِصَةِ لِمَرْضَاهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: لَا يَتْرَكَ طَبِيبٌ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ يَجْلِسُ لِيُطَبِّبَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ نَصِيحَةَ مُسْلِمٍ إِلَّا أَنْ يُطَبِّبُوا أَهْلَ ذِمَّتِهِمْ^(٥). وَفِي الْحَمَامَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْغَالِبِ تَابِعَةً لِلدَّوْلَةِ أَوْ الْمَسَاجِدِ أَوْ الْأَحْبَاسِ كَانَ يُمنَعُ أَنْ يَحْكَّ "الْحَكَاكُ" الْمُسْلِمُ جِسْمَ الْمُسْتَحِجِّ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا^(٦).

١ - هُوَ: طَالُوتُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْمَغَافِرِيِّ، دَخَلَ مِصْرَ، وَلَقِيَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَعَادَ إِلَى فَرْطَبَةَ، وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ عَلَى الْحَكْمِ مِنْ أَهْلِ رِضْرِ شَقَنْدَةَ. انْظُرْ: ابْنُ الْقُوطِيَّةِ تَارِيخُ افْتِتَاحِ الْأَنْدَلُسِ ص ٧٠ - ٧١؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ

الْمَرْكَشِيِّ الْمُعْجَبُ ص ٢١-٢٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٣٩/١؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢٥٨/٨؛ الْمَقْرِي تَفْحِ الطَّبِيبِ ٣٨٢/٣.

٢ - انْظُرْ: ابْنُ الْقُوطِيَّةِ تَارِيخُ افْتِتَاحِ الْأَنْدَلُسِ ص ٧٠ - ٧١؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرْكَشِيُّ الْمُعْجَبُ ٢٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٣٩/١؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢٥٨/٨؛ الْمَقْرِي تَفْحِ الطَّبِيبِ ٣٨٢/٣.

٣ - ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٦١/١.

٤ - عِيسَى أَبُو الْأَصْبَغِ ابْنُ سَهْلٍ وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٢٢، ٤٧، ٥٣ [الوُثَائِقُ رَقْمُ: ٢٣٧، ٣٧٤].

٥ - انْظُرْ: عَصَمَتُ دَنْدَشْ الْأَنْدَلُسُ فِي نَهَايَةِ الْفَرَابِطِينَ وَمُسْتَهْلُ الْمُؤَحِّدِينَ ص ٢٥٧.

٦ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٣٢٣.

المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية لليهود في الأندلس .

أثبتت المصادر مشاركة اليهود للمسلمين في كثير من المعاملات المالية؛ فسئل عن معاملة اليهود مع العلم بأن جميعها أو غالبها على وجه الربا^(١). وسئل إن كانت تجوز معاملة اليهود بالبيع والشراء منهم والاستدانة أم لا^(٢)، وسئل ممن يبيع اليهود الطريف؟ وكان الجواب: يبيع الطريف^(٣) ليس بحرام عند المسلمين وإن كان عند اليهود عيباً لأن الله لم يحرمه^(٤)، وسئل عن المضطار^(٥) فأجيب بأن شربه حلال وبيعه حرام، فتعجب السائل كيف يحل شربه ولا يحل بيعه؟ وقيل: يبيعه حلال إلا من يهودي أو نصراني^(٦) وغير هذا كثير.

ولخص البحث دور اليهود في النظام الاقتصادي في الأندلس فيما يلي :

أولاً :- بعدهم عن الزراعة والصناعة .

ابتعد اليهود عن الزراعة في الأندلس، ويعلّل ول ديورانت بعدهم هذا بقوله إنهم كانوا يمتلكون أراضي واسعة في بلاد الأندلس أو إسبانيا النصرانية، إلا أن الشريعة اليهودية حرمت استئجار أرقاء من اليهود، والشريعة النصرانية حرمت على اليهودي استئجار أرقاء نصاري، فلم يكن أمامه إلا أن يفتح أرضه في استئجار عمال أحرار يصعب الحصول عليهم، ويتطلب الاحتفاظ بهم نفقات طائلة، كما أن الشريعة تحرم عليه العمل يوم السبت، والنصرانية تحرم عليه يوم الأحد، لذا ابتعد عن الزراعة^(٧)، ويقول إسرائيل شاخاك: إنه لم يكن فلاحون في المجتمع اليهودي الكلاسيكي، ولم تكن أقلية فلاحية؛ فاليهود خلال هذه الفترة، كانوا يشكّلون جزءاً لا يتجزأ من الطبقات صاحبة الامتيازات. والتاريخ اليهودي، ولا سيما التاريخ المدوّن باللغة الإنكليزية تاريخ مضمّل حول هذه النقطة نظراً لميله إلى التركيز على الفقر اليهودي والتمييز المناهض لليهود. فوظيقتهم الاجتماعية الكبرى هناك أنهم همزة الوصل أو الوساطة لقمع الفلاحين باسم الطبقة الحاكمة [الشلباء والتاج]^(٨). ووصفهم عبد الوهاب المسيري بأنهم كانوا طبقة وسطية إسفنجية يقومون بدور الإسفنجية التي تعمل ضد إرادتها فهم يمتصون ثروة الأرض والشعب، ثم يقوم الحكام بالضغط عليهم ليأخذوا ثروتهم فكان اليهودي

١ - انظر: الوئشريسي المغير المغير ٤٣٣/٦ .

٢ - انظر: نفسه ٢٤٤/٥ .

٣ - الطريف: إما أن يكون نوعاً من الأردية، أو نوعاً من الكلا . ابن منظور لسان العرب [طرف] ٢٢٠/٩ .

٤ - انظر: الوئشريسي المغير المغير ٢٥٠/٥ .

٥ - المضطار: ما اعتصر من أبقار العنب حديثاً، وهو من أسماء الخمر . ابن منظور لسان العرب [صطر] ٤٥٥/٤ .

٦ - انظر: الوئشريسي المغير المغير ٩٢/١١ .

٧ - ول ديورانت قصة الخسارة ٥٩/١٤ - ٦٠ .

٨ - إسرائيل شاخاك الديانة اليهودية وتاريخ اليهود؛ وطاة ٣٠٠٠ عام ص ٩٨ .

عُنُصْرًا طَبِيعًا أَمِينًا، مُلتَصِقًا تَمَامًا بِالطَّبَقَةِ الْمُسْتَغَلَّةِ الْحَاكِمَةِ، غَرِيبًا مَنبُودًا مِنَ الْجَمَاهِيرِ، مَدِينًا بِوُجُودِهِ وَبِأَمْنِهِ لِلْحَاكِمِ الْمُسْتَغَلِّ، لِذَا كَانَ الْيَهُودُ لَا يَطْمَحُونَ إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي السُّلْطَةِ مِمَّا زَادَ مِنْ أَطْمِئْنَانِ الطَّبَقَةِ الْحَاكِمَةِ إِلَيْهِمْ^(١). فَكَانَتِ الْيَهُودِيَّةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ تُنَمِّي الْكَرَاهِيَّةَ وَالْازْدِرَاءَ لِلزَّرَاعَةِ وَلِلْفَلَاحِيِّينَ، بِشَكْلِ يَفُوقُ مَا تُنَمِّيهِ مِنْ كَرَاهِيَّةٍ لِلْأُغْيَارِ^(٢) وَهَكَذَا كَانَ الْحَالُ مَعَ يَهُودِ الْأَنْدَلُسِ.

وَرَكَّزَ الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ اهْتِمَامَهُمْ عَلَى الْإِحْتِفَافِ بِالْمَالِ عَلَى شَكْلِ سُيُولَةٍ فَوْرِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ اسْتَبَعَدُوا اسْتِثْمَارَهَا فِي الْعَقَارَاتِ أَوْ الزَّرَاعَةِ أَوْ الصَّنَاعَةِ لِأَنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْاسْتِثْمَارِ يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِثْقَارٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَفَّرًا لَهُمْ مِنَ النَّاحِيَتَيْنِ السِّيَاسِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ؛ فَقَدَ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي بَيْئَةٍ مُعَادِيَةٍ مُعَرَّضِينَ لِأَنْ يَتَلَفَ عُنْفُ الْجَمَاهِيرِ أَمْلاكَهُمْ الثَّابِتَةَ أَوْ أَنْ يُصَادِرَهَا الْمُلُوكُ الْجَشْعُونَ، فَأَرْغَمَتْهُمْ هَذِهِ الظَّرُوفُ أَنْ يَجْعَلُوا مُدْخَرَاتِهِمْ مِنَ النُّوعِ السَّائِلِ الْمُتَحَرِّكِ^(٣)، فَكَانَ الْمَالُ السَّلْعَةُ الرَّئِيسَةُ الَّتِي تَعَامَلُ بِهَا الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَاسْتِغَالَ الْيَهُودُ بِالْمَالِ كَمَا يَرَى عَادِلٌ بِشَتَاوِي كَانَ النِّقْمَةُ وَالنِّعْمَةُ فِي أَنْ وَاحِدٍ؛ فَالْتَنَقَلَ الْمُسْتَمِرُّ وَالْقَلْقُ الدَّائِمُ وَغُمُوضُ الْمُسْتَقْبَلِ عَوَامِلٌ أَتَتْ مَعَ غَيْرِهَا إِلَى اخْتِفَافِ الْيَهُودِيِّ بِمَالِهِ^(٤)، وَأَدَّى إِلَى ابْتِعَادِهِ عَنِ الزَّرَاعَةِ أَوْ الصَّنَاعَةِ

ثَانِيًا :- نَشَاطُهُمْ فِي التَّجَارَةِ .

يَرَى عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَسِيرِيُّ أَنَّ كَلِمَةَ "يَهُودِيٌّ" قَدِيمًا كَانَتْ مُرَادِفَةً لِكَلِمَةِ "تَاجِرٍ"، وَبَعْدَ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ أَصْبَحَتْ كَلِمَةُ "يَهُودِيٌّ" مُرَادِفَةً لِكَلِمَةِ "مُرَابِيٍّ". حَتَّى إِنَّ اللُّغَاتِ الْأُورُوبِيَّةَ لَمْ تَتَخَلَّصْ تَمَامًا مِنَ التَّضْمِينَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُحْمَلُ كَلِمَةُ "يَهُودِيٌّ" مَعْنَى قَدْحِيًّا مِثْلَ "بَخِيلٍ" أَوْ "غَيْرِ شَرِيفٍ" أَوْ "عَبْدٍ لِلْمَالِ" وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ارْتَبَطَتِ الْكَلِمَةُ بِيَهُودَا Judas الْإِسْقَرِيوطِيِّ الَّذِي بَاعَ الْمَسِيحَ بِخَفَنَةٍ قِطْعٍ مِنَ الْفِضَّةِ^(٥).

وَوَصَلَ الْيَهُودُ إِلَى مَكَانَةٍ عَالِيَةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَعَمِلُوا فِي الْوِظَائِفِ الْإِدَارِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَعْمَلُ فِي وَظِيفَةِ يَهُودِ الْبَلَاطِ، وَاسْتَعْلُوا بِالتَّجَارَةِ الْمَحَلِّيَّةِ وَالْدَوْلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَصِلُ حَتَّى حُدُودِ الصِّينِ أَوْ كَانَتْ تَدْخُلُ إِلَى أُورُوبَا، وَاحْتَكَرُوا بَعْضَ أَنْوَاعِ التَّجَارَةِ مِثْلَ تِجَارَةِ الْعَبِيدِ، وَمِنْهُمْ الصَّقَالِبَةُ، وَبَسَبَبِ احْتِكَارِ الْيَهُودِ التَّجَارَةَ عَلَى شَوَاطِيءِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ، جَاءَتْ رِسَالَةُ

١ - انْظُرْ: عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَسِيرِيُّ الصَّهْبُونِيَّةُ الْخَاضِرُ وَالْمُسْتَقْبَلُ ٧٦/٣ - ٧٧؛ السَّيِّدُ عَبْدُ الْعَزِيزِ سَالِمٌ قَرْطُبَةُ خَاضِرَةُ الْخِلَافَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٣١.

٢ - إِسْرَائِيلُ شَاخَاكُ الدِّيَانَةُ الْيَهُودِيَّةُ وَتَارِيخُ الْيَهُودِ؛ وَطَاءة ٣٠٠٠ عامٍ ص ٩٨.

٣ - انْظُرْ: وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ٦٢/١٤.

٤ - انْظُرْ: عَادِلٌ سَعِيدٌ بِشَتَاوِي الْأَنْدَلُسِيُّونَ الْمُوَازِكَةُ ص ٢٠٩.

٥ - انْظُرْ: عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَسِيرِيُّ مَوْسُوعَةُ الْيَهُودِ وَالْيَهُودِيَّةُ وَالصَّهْبُونِيَّةُ ٢٥٥ / ٢.

المَغِيلِي (ت ٩٠٩ هـ) ^(١) في اليهود بِعُنوان "مِصْبَاحِ الْأَرْوَاحِ فِي أَصُولِ الْفَلَّاحِ" الَّتِي حَرَّضَ فِيهَا عَلَى اسْتِباحَةِ دِمَاءِ الْيَهُودِ وَأَمْوَالِهِمْ وَهَدَمَ كَنَائِسَهُمْ، وَهَجَمَ اتِّبَاعَهُ عَلَى الْبَيْعِ، فَهَدَمُوهَا، وَلَمْ تَكُنْ الرِّسَالَةُ رُؤْيَا فقهيةً بَحْتَةً، بَلْ كَانَتْ رُؤْيَا اجتماعيةً اقتصاديةً تُعْطِي فِكْرَةً عَنْ وَضْعِ الْيَهُودِ الاقتصاديِّ فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ؛ فَقَدْ كَتَبَهَا الْمَغِيلِي حِينَ رَأَى سَطْوَةَ الْيَهُودِ وَنُفُوذَهُمَ الْمَادِّيَّ النَّاتِجَ عَنْ امْتِنَانِهِمُ التَّجَارَةَ، وَخِذْمَتِهِمْ أَرْبَابَ الشُّوْكَةِ مِنَ السُّلْطَانِ. وَشَاهَدَ تَصَرُّفَاتِ الْيَهُودِ كَجَالِيَّةٍ مُسْتَعْلِيَّةٍ فِي بِلَادِ إِسْلَامِيَّةٍ، وَرَأَى تَسَاهُلَ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُمْ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَقْرُبُونَهُمْ مِنَ النَّفْسِ وَالْعِيَالِ، وَرَأَى مِنَ الْيَهُودِ تَجَاوُزًا لِلْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ بِشِرَاءِ دِمَمِ الْحُكَّامِ، فَأَعْلَنَ أَنَّ لَا ذِمَّةَ لَهُمْ، فَلَا تَكُونُ لَهُمُ الذِّمَّةُ الشَّرْعِيَّةُ إِلَّا مَعَ إِعْطَاءِ الْجَزْيَةِ وَهُمْ صَاغِرُونَ ^(٢) إِلَّا أَنَّهُ لَا صَغَارَ لَهُمْ لِمَا لَهُمْ مِنَ اتِّصَالِ بِأَرْبَابِ الشُّوْكَةِ، فَهُمْ يَخْدُمُونَ السُّلْطَانَ أَوْ يَخْدُمُهُمْ، وَتِجَارَتُهُمْ لَا تَبُورُ، وَضَائِقُوا تِجَارَ الْمُسْلِمِينَ، فِي وَفْتٍ اشْتَكَتْ فِيهِ التَّجَارَةُ مِنَ الْإِقْلَالِ، بَلْ أَصْبَحَ لِلْيَهُودِ مِنَ الْحُرْمَةِ وَالْجَاهِ أَكْثَرُ مِمَّا لِلْمُسْلِمِينَ ^(٣). وَلَا أَرَى فَرْقًا كَبِيرًا فِيمَا قَالَ الْمَغِيلِي عَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ حَالُ الْأَنْدَلُسِ.

١ - التَّجَارَةُ الدَّاخِلِيَّةُ وَالْخَارِجِيَّةُ.

وَكَانَتْ تِجَارَةُ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ عَلَى تَوْعِينَ دَاخِلِيَّةٍ وَدَوْلِيَّةٍ: الدَّاخِلِيَّةُ كَانَتْ بِدَائِيَّةٍ هَامِشِيَّةٍ، فَيَرَى السَّيِّدَ سَالِمًا أَنَّهَا كَانَتْ تَنْشَأُ حَاجَةً لِبَعْضِ السَّلْعِ كَالْتَّوَابِلِ وَالذَّهَبِ، فَيَقُومُ التَّاجِرُ الْيَهُودِيُّ بِتَوْرِيدِهَا وَسَدِّ الْحَاجَةِ الَّتِي تَنْشَأُ إِلَيْهَا، فَلَمْ يَكُنْ سِوَى "وَسِيطٍ"، لِذَا يُمَكِّنُ اعْتِبَارُهَا "هَامِشِيَّةً" لِأَنَّهَا لَمْ تَلْعَبْ أَيَّ دَوْرٍ فِي حَرَكَةِ الْإِنْتِاجِ وَإِنَّمَا ظَلَّتْ عَلَى هَامِشِيَّهَا ^(٤).

وَأَصْبَحَ الْيَهُودُ مِنْذُ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْمِيلَادِيِّ تِجَارًا دَوْلِيَّيْنِ وَمَحَلِّيَّيْنِ وَازْدَادَتْ أَهَمِّيَّتُهُمْ مَعَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ. فَأَصْبَحَ الْيَهُودِيُّ الْمُتَجَوِّلُ مَعْرُوفًا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ وَبَلَدَةٍ وَفِي كُلِّ سُوقٍ وَمَوْلِدٍ ^(٥)، حَتَّى فِي الْبَادِيَّةِ؛ فَسُئِلَ فِي "الْمَعْيَارِ" إِنْ كَانَتْ تُؤْخَذُ الْجَزْيَةُ عَنْ يَهُودٍ سَكَنُوا الْبَادِيَّةَ يَتَجَرَّوْنَ فِي أَنْوَاعِ

١ - هُوَ الْفَقِيه: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغِيلِيِّ التُّلُمَسَانِي، كَانَ عَالِمًا فَاضِلًا شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، بَدَأَ دِرَاسَتَهُ بِتِلْمِزَانٍ، ثُمَّ غَادَرَهَا إِلَى تَوَاتٍ بِالصَّحْرَاءِ الْكُبْرَى، اشْتَدَّ فِي مَطَارِدَةِ الْيَهُودِ بِفَاسَ إِلَى أَنْ قَتَلُوا وَلَدَهُ عَبْدَ الْجَبَّارِ فَحَزَنَ عَلَيْهِ كَثِيرًا إِلَى أَنْ تُوُفِيَ بِتَوَاتٍ سَنَةَ ٩٠٩ هـ. انْظُرْ: مُصَنَّفِي الْفُسْطَاطِيْنِي كَشَفَ الظُّنُونِ ١/٨٤٥؛ عَطَا رَأْيَهُ الْيَهُودُ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ

الْأَقْصَى ص ١٦٩ [الْحَاشِيَّة]؛ حَلَمِي حَمْدَانُ أَحْمَدُ بِصَدَدِ رِسَالَةِ الْمَغِيلِي فِي الْيَهُودِ الْمَنْشُورَةِ تَحْتَ عُتْوَانِ مِصْبَاحِ الْأَرْوَاحِ فِي أَصُولِ الْفَلَّاحِ، مَجَلَّةُ كُتَيْبَةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ سِيْدِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَاسَ، ع ٦، ١٩٨٣ م، ص ١٠٢ - ١٠٣.

٢ - إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّى يَطُوعُوا الْجَزْيَةَ عَرِيدًا وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، آيَةٌ ٢٩.

٣ - انْظُرْ: حَلَمِي حَمْدَانُ أَحْمَدُ بِصَدَدِ رِسَالَةِ الْمَغِيلِي فِي الْيَهُودِ الْمَنْشُورَةِ تَحْتَ عُتْوَانِ مِصْبَاحِ الْأَرْوَاحِ فِي أَصُولِ الْفَلَّاحِ، مَجَلَّةُ كُتَيْبَةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ سِيْدِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَاسَ، ع ٦، ١٩٨٣ م، ص ١٠٤ - ١٠٦.

٤ - انْظُرْ: السَّيِّدَ عَبْدَ الْعَزِيزِ سَالِمَ قَرْطُبَةَ حَاضِرَةَ الْخِلَافَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ١٩؛ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَسِيرِي مَوْسُوعَةُ الْيَهُودِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالصَّهْبُونِيَّةِ ٢٥٥/٢.

٥ - انْظُرْ: وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ٦١/١٤.

المتاجر وتطول إقامتهم في البادية^(١). وكانت الدول الأوروبية التي تريد إنعاش حركة التجارة فيها ترسل في طلب بعض اليهود وتوطنهم كي ينشطوا الحركة التجارية التي يعجز المجتمع الزراعي الجامد التقليدي عن القيام بها. ولذا كان ينص في المعاهدات أحياناً على تبادل اليهود، كما كان الملوك يحاولون الحفاظ على اليهود ضمن اهتمامهم بالتجارة^(٢).

ولعب يهود الأندلس دوراً هاماً في التجارة الخارجية وتخصصوا فيها^(٣)، ويعلل ول ديورانت نجاحهم فيها لمهارتهم في تعلم اللغات، وقُدرة الجماعات اليهودية البعيدة على فهم لغة العبرية، يضاف إلى هذا تشابه عادات اليهود وقوانينهم، كما أن استقلال الحي اليهودي في كل مدينة جعل الأمر سهلاً على أي يهودي غريب أن يجد من يفهمه، ويستدل ول ديورانت على هذا بينيامين التيطلي (ت: ١٠٦٩هـ) الذي استطاع أن يجتاز نصف العالم وأن يجد له موطناً أينما حل^(٤).

ووصف ابن خردادبه مسلك تجار اليهود بأنهم كانوا يسافرون براً وبحراً، يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسّمور^(٥)، والشبّوف، يصلون إلى القلزم، ثم يمشون إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي، حتى يرجعوا إلى القلزم، ثم يحملونه إلى بلادهم وهكذا^(٦). وتري أوليفيا كونستبل أن مدناً مثل المريّة وإشبيلية ومالقة كانت تقوم بدور مخازن التصريف التجارية، فيقوم التجار فيها بأعمال الاستيراد والتصدير. وقد يصل تاجر يهودي من مصر بحمولة من الكتان واللؤلؤ والمغز^(٧)، ومعها علبة من الأدوية الشرقية هدية لأسرة شريكه، وفي عودته قد يحمل معه الزعفران الأندلسي والقرمز والورق ليتاجر به في الإسكندرية^(٨).

ولأنّ عمليات التبادل التجاري احتاجت إلى التنقل من مكان إلى آخر بكميات كبيرة من الأموال، وبسبب مخاطر قطاع الطريق ولصوص القوافل التجارية اقتضت الحاجة إلى إيجاد وسيلة ترفع هذه المخاطر، فكانت الحوالات المالية (السفاتج)^(٩) التي كان يذكر بها المبلغ واسم التاجر

١ - انظر: الوئشريسي المغيّار المغرب ٢/٢٥٣.

٢ - انظر: عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/٢٥٥.

٣ - أوليفيا ريمي كونستبل التجارة والتجار في الأندلس ص ١١٣.

٤ - انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ١٤/٦١-٦٢؛ أوليفيا ريمي كونستبل التجارة والتجار في الأندلس ص ١١٣.

٥ - السّمور: دابة تسوى من جلودها فراء غالية الثمن. ابن منظور لسان العرب [سمر] ٤/٣٨٠.

٦ - انظر: ابن خردادبه المسالك والممالك ص ١٥٣-١٥٤.

٧ - المغز: طين أحمر يصنع به. ابن منظور لسان العرب [مغر] ٥/١٨١.

٨ - انظر: أوليفيا ريمي كونستبل التجار المسلمين في تجارة الأندلس الدولية ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ٢/١٠٦٣؛ التجارة والتجار في الأندلس ص ١٢٢.

٩ - السفاتج: جمع سفتجة، كلمة معربة، وهي إقراض لسقوط خطر الطريق. الجرجاني التّغريفات ص ١٥٧.

وَيُورَخُ لَهُ، وَخِلَالَ مُدَّةٍ مَحْدُودَةٍ تُصْبِحُ قِيَمَةُ السَّقَنَةِ وَاجِبَةً الدَّفْعِ لِصَاحِبِهَا^(١). وَكَانَ الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ مِمَّنْ نَشِطُوا فِي اسْتِعْمَالِ السَّقَاتِجِ الْمَالِيَّةِ مُقَابِلَ فَوَائِدٍ مُحَدَّدَةٍ، فَلَقَدْ كَانَ لَهُمْ دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي إِفْرَاضِ التَّجَارِ وَتَحْوِيلِ أَمْوَالِهِمْ مِنْ بَلَدٍ لآخرَ نَظَرًا لِتَوَزُّعِ مَرَاكِزِهِمِ التَّجَارِيَّةِ فِي شَتَّى أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَيَقُولُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَظْهَرٌ: إِنَّا نَجِدُ بَعْضَ الْإِشَارَاتِ وَالْدَّلَائِلِ الَّتِي تُؤَكِّدُ هَذَا الدَّوْرَ وَتُعَزِّزُهُ رُغْمَ إِغْفَالِ الْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بَيَانِ هَذَا الدَّوْرِ لِلْيَهُودِ وَتَجَاهِلِهِمُ الْحَدِيثَ عَنْهُ^(٢).

٢ - تِجَارَةُ الْعَبِيدِ وَالْجَوَارِي .

لَا تُحَرِّمُ الدِّيَانَةُ الْيَهُودِيَّةُ الرِّقَّ؛ ففِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ سَبَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ "وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءً مَدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ"^(٣)، أَمَّا الْأَجَانِبُ فَقَدْ أُبِيحَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَسْتَعْبِدُوهُمْ "وَأَمَّا عِبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ فَمِنْ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ، مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ، عَبِيدًا وَإِمَاءً، وَكَذَلِكَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوْطِنِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمُ الَّذِينَ عِنْدَكُمْ الَّذِينَ يَلِدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ فَيَكُونُونَ مُلْكًا لَكُمْ، وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لِأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ، تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ؛ وَأَمَّا إِخْوَانُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَا يَتَسَلَّطُ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ"^(٤).

وَبَدَأَتْ قِصَّةُ الْيَهُودِ مَعَ الرِّقِّ فِي الْأَنْدَلُسِ بِاسْتِرْقَاقِهِمْ حِينَ غَزَا أَشْبَانُ إِيلِيَا فَاِسْتَرْقَ مِائَةً أَلْفٍ مِنَ الْيَهُودِ وَبَاعَ مِنْهُمْ مِائَةً أَلْفٍ^(٥). وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ فَأَصْبَحَ الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ مَشْهُورِينَ بِتِجَارَةِ الرِّقِّ وَخَصَائِهِمْ. وَأَصْبَحَ التَّجَارُ الْيَهُودُ مُسَيِّطِرِينَ عَلَى تِجَارَةِ الرِّقِّ بِمُسَاعَدَةِ قَبَائِلِ الشَّمَالِ الَّذِينَ كَانُوا حُمَاةَ لَتِلْكَ التَّجَارَةِ^(٦). وَكَانَ الْيَهُودُ مُهَيَّيِّينَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ لِلَاِضْطِلَاعِ بِهَذِهِ الْوِظِيفَةِ؛ فَيَرَى الْمَسِيرِي أَنَّهُمْ كَانُوا جَمَاعَةً وَظِيفِيَّةً وَسَبِطَةً يُمْكِنُهَا أَنْ تَعِيشَ بَيْنَ الْفَرَاعَاتِ وَأَنْ تُدِيرَ هَذِهِ التَّجَارَةَ، كَمَا أَنَّ كَوْنَهُمْ يَهُودًا قَدْ زَوَّدَهُمْ بِالْحِمَايَةِ فِي حَرَكَتِهِمُ الدَّائِبَةِ، فَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَبِيعُوا عَبِيدًا نَصَارَى فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَعَبِيدًا مُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ النَّصْرَانِيِّ^(٧). وَيَرَى ابْنُ خُرْدَاذْبَةِ أَنَّ أَغْلَبَ تِجَارِ الرِّقِّ فِي أَوْرُوبَا مِنَ الْيَهُودِ وَذَلِكَ لِإِتْقَانِهِمْ عِدَّةَ لُحْمَاتٍ^(٨)، كَمَا أَنَّ

١ - انظر: التنوخي الفرج بعد الشدة ٢٤٤/٤ .

٢ - انظر: عبد المطلب مظهر أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي ص ١٠٧ - ١٠٨ .

٣ - التوراة: سفر عدد ٩/٣١ .

٤ - التوراة: سفر لاويين ٤٤/٥ - ٤٦ .

٥ - انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ص ٢ .

٦ - انظر: روبرت هيلنبراند زينة الدنيا: قرطبة القروسطية ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/ ١٩٨ .

٧ - انظر: عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/ ٢٧٧ .

٨ - انظر: ابن خرداذبة المسالك والممالك ص ١٥٣ .

استيراد العبيد، كما كان يُسمّيه أندريه ميكيل أدى إلى إنعاش التجار اليهود في إسبانيا^(١)، ويُعلّل آدم ميتز تسهيل هذا الأمر لهم أنهم كانوا يدفعون للحكومات ضرائب ثقيلة أثناء نقلهم للرقائق^(٢)، ويُعطي آدم ميتز دليلاً على نفوذهم وقوتهم في هذا الموضوع بما حدث في مدينة براغ حيث اضطر القديس أدالبرت Adalbert سنة ٩٨٩م [٣٧٨هـ] لا عزال مناصبه الأسقفية لأنه لم يستطع أن يعتنق المسيحيين الذين اشتراهم تاجر يهودي^(٣). وكانت أعداد الرقيق والجواري تزداد بسرعة في الأندلس؛ فوجدت في قرطبة آلاف من الرقيق الأبيض الصقالبة^(٤) من البلاد السلافية، ويسمّوهم آدم ميتز بأرستقراطية العبيد^(٥) لأنهم أغلى ثمنًا من غيرهم، فاستخدموا في الحرس والحاشية. وكانت الحرب مصدرًا هامًا لتجارة الرقيق والجواري عند اليهود؛ فرافقت جيش الملك القشتالي مجموعة من التجار اليهود^(٦)، وكانوا يقيمون الأسواق بالقرب من مراكز الجيش لبيع ما يحتاج إليه من تموين، كما كانوا يقومون بشراء أسرى الحرب^(٧). ولم تكن الحرب وحدها مصدرًا للاسترقاق عندهم، بل نجد أساليب عداوية أخرى غير مشروعة؛ فينقل توفيق بن عامر عن لاروس Grand Larousse أن بعض اليهود يختطفون الأطفال في أوروبا ويسرقون أبناء النصارى، ويعملون على خصائهم ويبيعونهم بأثمان باهظة في الأندلس^(٨)، وكان عدد من التجار النصارى لا يتورعون عن بيع مواطنيهم رقيقًا لعرب إسبانيا وإفريقية وسورية^(٩).

وحاول بعض اليهود إكراه فتيان من المسلمين على اعتناق اليهودية، فسئل فقهاء قرطبة عن غلام مملوك ادّعى يهودي وزعم الغلام أنه حر، وأنه أكره على اليهودية^(١٠). واستشهد آخر في ذلك بعهد الغلام، وكانت مكتوبة بالعبرانية^(١١). ولم يكن الأندلسيون يتطرون باحترام

١ - انظر: أندريه ميكيل الإسلام وحضارته ص ٢٢٦ .

٢ - انظر: آدم ميتز الحضارة الإسلامية ٣٠١/١ .

٣ - انظر: نفسه ٣٠٢/١ .

٤ - انظر: إلفي بروفنسال حضارة العرب في الأندلس ص ٨٥ .

٥ - انظر: آدم ميتز الحضارة الإسلامية ٢٩٥/١ .

٦ - ادّعى محمد بن شريفة أن عددهم مع ألفونس حين قدم معركة الأراكة كان ينيف عن مائتي ألف رجل وخمسة وعشرين ألف فارس دون أن يذكر مصدره في هذه المعلومة .

انظر: محمد بن شريفة حول التسامح الديني وابن ميمون والمؤرخين مجلة دراسات أنثروبولوجية، تونس: ع ١٤، ١٩٩٥م، ص ١٦ .

٧ - انظر: فتية سمور العلاقات الحزبية بين المؤرخين والممالك الإسبانية ص ١٥٢ نقلًا عن: أشباح تاريخ الأندلس ص ٣٩٠ .

٨ - انظر: توفيق ابن عامر الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين ٣، ٤ للهجرة، ص ١٦٧ نقلًا عن موسوعة لاروس الكبير؛ 4 671 Grand Larousse [مادة الرق] .

٩ - انظر: توفيق ابن عامر الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين ٣، ٤ للهجرة ص ١٦٧ .

١٠ - انظر: الوثائقي المغيار المغرب ٣٤٩/٨ - ٣٥٠ .

١١ - عيسى أبو الأصبح ابن سهل وثائق في أحكام قضاء أهل النمة في الأندلس ص ٤٧ [الوثيقة رقم: ٣٧٤] .

لهؤلاء التجار اليهود، فوصفهم أحد الأمراء حين ذكروا بقضية له مع جارية، فقال: إن هؤلاء التجار اليهود لوماء بخلاء وأقل القليل يفتعهم^(١)، وكثيراً ما كانوا يتشططون في ثمن الجواري^(٢). ورافقت تجارة الرقيق عند يهود الأندلس عملية إحصاء لهم؛ فالعبيد الذين يجلبون إلى الأندلس، ويعاد تصديرهم منها، كانوا يحملون إلى مدينة خلف بجاية في الأندلس أهلها يهود^(٣)، فيقوم اليهود بإحصائهم، ثم تعلم الإحصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخصون ويستحلون المثلة^(٤).

٣- تمويل جيوش النصارى واقتداء الأسرى.

ساد الاعتقاد بأن ذهب إفرقية كان ينقل إلى الأندلس فيدفعه ملوك الطوائف جزية للنصارى ثم يدخل خزينة اليهود الذين كانوا في ذلك الوقت كما يزعم عادل بشتاوي من أكبر ممالي جيوش قشتالة، واستمر اليهود في لعب هذا الدور؛ فكانوا من أكبر دائني خليمي الأول الأراغوني حتى قرّر سنة ٦٥١ هـ إلغاء ديونهم^(٥). ويذكر المسيري أن اليهودي إسحق أبرابانيل Isaac Abravanel [١٤٤٧-١٥٠٨ م = ٨٤٠-٩١٣ هـ]^(٦) كان أبوه مسؤولاً عن خزينة الدولة في لشبونة، وأصبح إسحق خازن فرديناند وإيزابيلا عام ١٤٩٢ م = ٨٩٧ هـ في طليطلة، وعمل هو وصديقه أبراهام سنيور في جمع الضرائب، وقام الاثنان بتمويل الحروب ضد آخر الجيوب الإسلامية في غرناطة^(٧). ويرى بشتاوي أن اليهود في قشتالة كانوا يشكّلون ثقلًا لا بأس به فوظف ألفونس العاشر يهوديًا لجبي الجزية من يهود غرناطة هو سولومون بن زادوك الذي شغل منصب كبير الجباة للملك فرناندو الثالث، وأتبع عدد من ملوك قشتالة النهج نفسه فعين بدروا بطر[الرابع صموئيل هليفي رئيسًا للجباة أيضًا. وقدم اليهود مبالغ طائلة لتمويل حرب إيزابيلا ضد غرناطة، رغم أن اضطهاد اليهود في قشتالة والعداء لهم كان بدأ قبل أكثر من قرن، ولم يجد الملك تلوا الآخر غضاظة في الاستلاف من الممولين اليهود^(٨). وبفضل ثراء اليهود الفاحش، تمكنوا من تكوين رابطة يهودية

١ - انظر: المقرئ تفتح الطيب ١١٨/٥ .

٢ - انظر: ابن سعيد المغرب ١٥١/١ .

٣ - انظر: المقرئ أحسن التقاسيم ٢١٠/١ .

٤ - انظر: المقرئ تفتح الطيب ١٤٥/١. علماً أن الفقه يمنع إحصاء الآدميين والبهائم ويؤدّب عليه. انظر: الفراء الأحكام السلطانية ص ٢٩١.

٥ - انظر: عادل سعيد بشتاوي الأندلسيون الموازنة ص ٢٠٨ .

٦ - هو: إسحق أبرابانيل (١٤٣٧-١٥٠٨ م) Isaac Abravanel يهودي بلاط في إسبانيا. وهو مفسر للعهد القديم، ومؤلف لكتب ذات طابع فلسفي. ولد في لشبونة، وكان أبوه مسؤولاً عن خزينة الدولة فيها، ففر إلى طليطلة عام ١٤٨٣ م = ٨٨٧ هـ، وأصبح خازن فرديناند وإيزابيلا، وقد عمل وصديقه أبراهام سنيور في جمع الضرائب. وقام الاثنان بتمويل الحروب ضد آخر الجيوب الإسلامية في غرناطة. إلى أن سقطت غرناطة، وطرد اليهود، فحاول أبرابانيل أن يقدم هدية إلى فرديناند، ولكنها رفضت وتم طرده. واستقر وأسرته في البندقية عام ٩٠٨ هـ حيث مات. انظر: عبد

الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١٨٣/٥-١٨٤ .

٧ - انظر: عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١٨٣/٥ .

٨ - انظر: عادل سعيد بشتاوي الأندلسيون الموازنة ص ٢٠٩ .

أَسْرَاهُمْ سِوَاءَ مَنْ إِسْبَانِيَا النَّصْرَانِيَّةِ أَوْ الْأَنْدَلُسِ، وَيُؤَكِّدُ إِبْرَاهِيمُ بُوْتَشِيش ذَلِكَ فِي رِسَالَةٍ كَتَبَهَا يَهُودِيٌّ فِي طَلَيْطَلَةَ سَنَةِ ٥٢٠ هـ لِفِدْيَةِ سَجِينَةٍ يَهُودِيَّةٍ فِي أَرَاغُون، وَرِسَالَةٍ أُخْرَى كَتَبَهَا أَحَدُ التُّجَّارِ إِلَى أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْإِتِّصَالَ بِأَقَارِبِهِ وَبِصَاحِبِ الشَّرْطَةِ لِإِطْلَاقِ سَرَّاحِ السَّجِينَةِ الْمَذْكُورَةِ^(١). وَذَكَرَ الضَّبِّي أَنَّ أَلْفُونْسُ حِينَ قَدِمَ إِلَى الْأَرَاكَةِ^(٢) "كَانَ مَعَهُ جَمَاعَاتٌ مِنْ تُجَّارِ الْيَهُودِ، قَدْ وَصَلُوا لِاسْتِزْرَاءِ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ وَأَسْلَابِهِمْ وَأَعَدُّوا لِذَلِكَ أَمْوَالًا"^(٣).

وَهُنَاكَ قِصَّةٌ تَنَاقَلَتْهَا الْمَصَادِرُ عَنْ مُحَاوَلَةِ يَهُودِيٍّ افْتِدَاءَ بَعْضِ مَنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ تَمَّ سَبْيُهُنَّ بَعْدَ سُقُوطِ بَرْبُشْتَر^(٤) بِأَيْدِي الرُّومِ وَأَخَذِ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي هُودٍ عَامَ ٤٥٦ هـ^(٥)، وَزَعَمُوا أَنَّهُ صَارَ لِأَكْبَرِ رُؤَسَاءِ الرُّومِ فِي حَصَّتِهِ نَحْوُ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ جَارِيَةٍ أَبْكَارٌ كُلُّهُنَّ، وَتَخَيَّرَ أُلُوفًا عِدَّةً مِنْ بَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ الْجَوَارِيَّ الْأَبْكَارِ وَالنِّبَاتِ ذَوَاتِ الْجَمَالِ وَمِنْ صَبِيَّاتِهِمُ الْحِسَانِ، وَحَمَلَهُمْ مَعَهُ لِيَهْدِيَهُمْ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ^(٦)، فَزَوَّيَ حِكَايَةً لِرَجُلٍ مِنْ تُجَّارِ الْيَهُودِ، أَتَى بَرْبُشْتَرَ الْبَائِسَةَ بَعْدَ الْحَادِثَةِ عَلَيْهَا، مُلْتَمِسًا فِدْيَةَ بَنَاتٍ لِبَعْضِ وُجُوهِ مَنْ نَجَا مِنْ أَهْلِهَا، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى قَوْمِمْ، فَوَجَدَهُ جَالِسًا مَكَانَ رَبِّ الدَّارِ مُسْتَوَلِيًا عَلَى فِرَاشِهِ، رَافِلًا فِي نَفِيسِ ثِيَابِهِ، وَالْوَصَائِفُ عَلَى رَأْسِهِ سَاعِيَاتٌ لِحِذْمَتِهِ؛ وَلَمَّا سَأَلَ عَنْ قَصْدِ التَّاجِرِ، أَشَارَ الْيَهُودِيُّ إِلَى وَفُورٍ مَا يَبْذُلُهُ فِي بَعْضِ مَنْ عِنْدَهُ، وَكَانَتْ بَيْنَهُنَّ ابْنَةُ صَاحِبِ الْمَنْزِلِ الَّتِي جَاءَ مِنْ أَجْلِ فِدْيَتِهَا، فَكَادَى الْقَوْمُ عَلَى جَارِيَةٍ وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَعْرِضَ عَلَى هَذَا الْيَهُودِيِّ الْخَدَّاعِ، كَمَا وَصَفَهُ، مَا فِي صَنَائِقِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحُلِيِّ، فَحَارَ نَظْرُ التَّاجِرِ وَبَهَتَ مِمَّا رَأَى، حَتَّى إِنَّهُ اسْتَرْدَلَ مَا عِنْدَهُ، ثُمَّ قَامَ مُنْطَلِقًا عَنْهُ، وَارْتَادَ لِتِجَارَتِهِ سِوَاهُ، وَيَقُولُ الْيَهُودِيُّ: "إِنَّهُ تَعَجَّبَ كَثِيرًا مِنْ كَثَرَةِ مَا لَدَى الْقَوْمِ مِنَ السَّبْيِ وَالْمَغْنَمِ"^(٧). وَقَوْلُ الْيَهُودِيِّ هَذَا يُشِيرُ إِلَى كَثَرَةِ تَنَقُّلِهِ بَيْنَ الْقَوْمِ بَاحِثًا عَنِ السَّبْيِ وَالْمَغْنَمِ.

وَلَمْ يَكُنْ عَمَلُ تُجَّارِ الْيَهُودِ هَذَا سَهْلًا؛ فَيُزَوِّي ابْنُ حَيَّانٍ قِصَّةً يَظْهَرُ فِيهَا اسْتِغْلَالُ تَاجِرٍ يَهُودِيٍّ مِنْ أَجْلِ الْفِدْيَةِ وَخَدِيعَتِهِ، فَلَمَّا وَقَعَ سَعْدُونُ الْمَعْرُوفُ بِالسَّرِنَبَاقِي فِي أَسْرِ النُّورْمَانِ خِلَالَ

١ - انظر: إبراهيم بوتشيش مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، خلال عصر المرابطين ص ٩٨ .

٢ - الأراكَة أو الأراك: حصن منيع بمقربة من قلعة رباح. ووقعة الأراك حدثت بعد أن نقض ألفونس عهد مع الأندلسيين سنة ٥٩٠ هـ، وعبر يعقوب المنصور إلى الأندلس سنة ٥٩١ هـ بجموع عظيمة، وسمع ألفونس بقصده فتجهز هو كذلك في جموع ضخمة لم يجتمع له مثلها قط. والتقوا فانتصر الموحدون، ولم ينج من الأعداء إلا ألفونس في نحو ثلاثين من قواده .

انظر: الضبّي بغية الملتئم ١/٦٦؛ بد الواحد المراكشي المفعول ص ٢٨٢-٢٨٣؛ الحميري الروض المغطر ص ٢٧ .

٣ - الضبّي بغية الملتئم ١/٦٧ .

٤ - بَرْبُشْتَر: (ضم الباء الثانية وسكون الشين وفتح التاء) مدينة في شرقي الأندلس بين لاردة وسرقسطة، وكانت بَرْبُشْتَر قد سقطت سنة ٢٥٤ هـ فحمل منها لصاحب القسطنطينية في جملة الهدايا سبعة آلاف بكرٍ مُنْتَخَبَةٍ، ثُمَّ اسْتَعَادَهَا الْمُسْلِمُونَ فِي إِمَارَةِ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ هُودٍ سَنَةَ ٢٧٥ هـ فَغَنِمُوا فِيهَا غَنِمًا عَشْرَةَ أَلْفِ امْرَأَةٍ ثُمَّ عَادَتْ لِلرُّومِ. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ١/٣٧٠ .

٥ - جَدُّ ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْزَةِ ق ٣، م ١٨٦/١، وابن سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ١/٢٣٩ سنة ٤٥٦ هـ بَيْنَمَا هِيَ ٤٥٠ هـ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .

٦ - انظر: ابن بَسَّامِ النُّخَيْزَةِ ق ٣، م ١٨٢/١ .

٧ - انظر: ابن بَسَّامِ النُّخَيْزَةِ ق ٣، م ١٨٦/١ - ١٨٧ هـ؛ الْمُقَرِّي تَفْحِ الطَّيِّبِ ٦/٢١٠ .

عَزَوْهُمْ لِسَوَاحِلِ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيَّةِ سَنَةَ ٢٤٥ هـ "فَدَاهُ مِنْهُمْ بَعْضُ تَجَّارِ الْيَهُودِ، يَبْتَغِي الرِّبْحَ مَعَهُ، فَقَارَضَ الْيَهُودِيَّ إِلَى أَنْ هَرَبَ عَنْهُ وَأَخْفَرَ ذِمَّتَهُ وَأَخْسَرَ مَالَهُ" (١).

٤ - مُشَارَكَةُ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ فِي التَّجَارَةِ .

وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُشَارَكَةِ الْيَهُودِ فِي التَّجَارَةِ وَالتَّعَامُلِ مَعَهُمْ فَقَدْ وَضِعَتْ عَلَيْهَا قُيُودٌ؛ فَحِينَ سُئِلَ الْفُقَهَاءُ عَنْ حُكْمِ التَّعَامُلِ مَعَ الْيَهُودِ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ جَمِيعَ مُعَامَلَتِهِمْ أَوْ عَالِبَتِهَا، كَمَا يَقُولُ السَّائِلُ، عَلَى وَجْهِ الرَّبَا، كَانَتْ الْإِجَابَةُ أَنَّهُ يُنْظَرُ فِي الْمُعَامَلَةِ إِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِهَا فُسَادٌ أَوْ ادِّعَاءُ خَصْمٍ أَمْ لَا فَالْوَاجِبُ الْعَمَلُ عَلَى الصَّحَّةِ فِيهَا إِنْ لَمْ يَظْهَرْ الْقِسَادُ (٢).

وَجَاءَ فِي وَثَائِقِ الْمَرَّاكِشِيِّ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ لِلْمُسْلِمِ مُشَارَكَةُ الْيَهُودِيِّ إِلَّا أَنْ يُغَيَّبَ الْيَهُودِيُّ أَمْرًا مِنَ التَّجَرِّ لاسْتِخْلَالِهِمُ الرَّبَا؛ أَيْ أَنَّهُمْ أَجَازُوا الْمُشَارَكَةَ إِنْ خَلَّتْ مِنَ الرَّبَا، وَقَالُوا أَنَّهُ إِنْ بَاعَ أَحَدُهُمَا جَارِيَةً بِثَمَنِ إِلَى أَجَلٍ فَلَا يَصْلُحُ لِصَاحِبِهِ أَنْ يَبْتَاعَهَا قَبْلَ الْأَجَلِ بِأَقْلَ مِنَ الثَّمَنِ، وَلَا بِأَسْ أَنْ يُبْذَعَ أَحَدُ الْمُتَقَاوِضِينَ أَوْ يُقَارَضَ (٣). وَبِالْثَّالِي أَبَاحُوا التَّعَامُلَ التَّجَارِيَّ إِنْ كَانَ بَعِيدًا عَنِ الرَّبَا فَأَجَازُوا الْأَكْرِيَّةَ مَثَلًا وَقَالُوا إِنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْرِى دَارَهُ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ (٤).

ثَالِثًا :- بَعْضُ الْمِهَنِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهِمْ .

حَوَتْ أَسْوَاقُ الْمُدُنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الْكُبْرَى وَمَرَكَزُ بَعْضِ الْمُدُنِ عَدِيدًا مِنَ الْمَتَاجِرِ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَكَانَتْ لَهُمْ ذَكَكِيْنٌ مَعْرُوفَةٌ، فَكَانَ ابْنُ حَزْمٍ يَتَرَدَّدُ عَلَى صَدِيقٍ يَهُودِيٍّ فِي دُكَّانِهِ بِالْمَرْيَّةِ (٥). وَاشْتَغَلَ الْيَهُودُ بِمِهَنِ مُخْتَلِفَةٍ؛ فَاشْتَغَلُوا بِالْجَزَارَةِ، وَسُئِلَ الْوَنُشَرِيسِيُّ عَنْ شِرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ مَجَازِرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى (٦)، وَسُئِلَ عَنْ قَوْمٍ يَهُودٍ ذَبَحُوا الْعَنَمَ لِأَنْفُسِهِمْ، فَرُبَّمَا خَرَجَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ يُسَمُّونَهُ طَاهُورًا، فَيَبِيعُونَ ذَلِكَ وَلَا يَبَيِّنُونَهُ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ بَيَّنَّ ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْبَحُ وَهُوَ جَزَّارٌ هَذِهِ صَنَعَتُهُ وَيَبِيعُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَهَلْ يُمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْمَنْعِ؟ (٧)

١ - انْظُرْ: ابْنُ حَيَّانِ الْمُقْتَبَسُ ص ٣٠٩، ٦٠٠ .

٢ - انْظُرْ: الْوَنُشَرِيسِيُّ الْمَغْيَارِ الْمَغْرِبِ ٤٣٣/٦ .

٣ - انْظُرْ: عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكِشِيُّ وَثَائِقُ الْمُرَابِطِينَ وَالْمُؤَحِّدِينَ ص ٥٨٩ .

٤ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٤٣٢ .

٥ - انْظُرْ: ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ ١١٤/١ ؛ طُوقُ الْحَمَامَةِ ص ١٩ .

٦ - انْظُرْ: الْوَنُشَرِيسِيُّ الْمَغْيَارِ الْمَغْرِبِ ٢٥٠/٥ .

٧ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٢٩/٢ .

وَلَشَهْرَةِ الْأَنْدَلُسِ بِكَثْرَةِ الْمُدُنِ الَّتِي يُرَبَّى فِيهَا الْحَرِيرُ^(١) عَمِلَ الْيَهُودُ فِي بَيْعِ الْمَلَابِسِ وَالْمَنْسُوجَاتِ مِنَ الْحَرِيرِ وَغَيْرِهِ لِلْمُسْلِمِينَ إِذَا جَاءَتْ الْقَتَاىَ بِجَوَارِ لُبْسٍ مَا نَسَجَهُ أَهْلُ الدِّمَّةِ وَالصَّلَاةِ فِيهِ دُونَ مَا لِبْسُوهُ^(٢) وَقِيلَ إِنَّ التَّاجِرَ أَبَا يَعْقُوبَ يُوسُفَ الْيَهُودِيَّ امْتَلَأَ عَدَدًا مِنْ دَكَائِنِ الْمَنْسُوجَاتِ فِي طَلِيْطَلَةٍ، وَتَخَصَّصَ يَهُودُ قَرْطَبَةَ بِصِنَاعَةِ وَتَسْوِيقِ الْمَنْسُوجَاتِ^(٣).

وَاحْتَكَرَ الْيَهُودُ دَكَائِنَ الصِّيَاغَةِ وَتِجَارَةِ الْحُلِيِّ وَالصَّيَارِفَةِ، لاشتغالهم بالأموال والإقراض والربا. وَبَزَعُوا كَثِيرًا فِي أَعْمَالِ صِيَاغَةِ الذَّهَبِ وَالْحُلِيِّ، وَنَظَّمَ الْأَخْبَارَ الْكَرِيمَةَ، حَتَّى إِنَّهُمْ احْتَكَرُوا سُوقَ الصِّيَاغَةِ فِي الْمُدُنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ. وَمِنْ الْأَعْمَالِ التَّجَارِيَّةِ الَّتِي شَغَلَهَا الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ مِهْنَةُ الدَّلَالِ؛ فَعَمِلَ بَعْضُهُمْ دَلَالًا يَبِيعُ مُتَجَوِّلًا لِلنَّاسِ، فَقَدْ تَنَازَعَ وَرَثَتُهُ ابْنُ عَلَاءٍ مَعَ يَهُودِيٍّ وَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ عَلَاءٍ بَاعَ مِنَ الْيَهُودِيِّ دُرْنُوكًا وَشُقَّةً^(٤) وَبَقِيَ ثَمَنُهَا عِنْدَهُ. وَقَالَ الْيَهُودِيُّ: لَمْ اشْتَرِهَا مِنْهُ، فَأَنَا دَلَالٌ أَبِيعُ لِلنَّاسِ فَسَأَلَنِي بَيْعَهُمَا لَهُ، فَبِيعْتُهَا، وَأُورِدْتُ جَمِيعَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَأَخَذْتُ أُجْرَتِي مِنْهُ^(٥).

وَأَثَرَ أَكْثَرَ الْبَاعَةِ بَيْنَ السَّلْعِ مُتَجَوِّلِينَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْأَمَاكِنِ الْعَامَّةِ غَيْرَ مُكْتَرِثِينَ بِمُطَارَدَةِ أَعْوَانِ الْمُحْتَسِبِ الَّذِي مَنَعَهُمْ مِنَ الْجُلُوسِ فِي الطَّرِيقَاتِ الضَّيِّقَةِ، وَيَعْلَلُ بَوْتَشِيْشِ انْتِشَارِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ بَارْتِفَاعِ ثَمَنِ الْخَانُوتِ حَيْثُ بَلَغَ أحيانًا فِي الْعَصْرِ الْمُرَابِطِيِّ ٦٠ دِينَارًا^(٦).

وَعَمِلَ بَعْضُ الْيَهُودِ فِي النَّجَارَةِ؛ فَطَلَّبَ أَبُو الرَّبِيعِ الْقُضَاعِي^(٧) مِنْ يُوسُفَ الْإِسْلَامِيِّ^(٨)، آلَةَ نَجَّارٍ خَدَمَ عِنْدَهُ^(٩). وَعَمِلُوا فِي السَّمْسَرَةِ وَبَيْعِ الْأَرَاضِي؛ فَسُئِلَ عَنْ مُسْلِمٍ اشْتَرَى جَنَانًا مِنْ يَهُودِيَّيْنِ، ثُمَّ حَبَسَهَا بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ عَلَى بَنِيهِ^(١٠). وَكَانُوا كَذَلِكَ مُوسِيقِيَّيْنِ وَمُطَرِبَيْنِ، فَكَانَ لِلْحَكَمِ

١ - عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لُقِّبَتْ جَيَّانَ (مِنْ قَرْيِ الْأَنْدَلُسِ شَرْقَ قَرْطَبَةَ) بِجَيَّانِ الْحَرِيرِ لِأَنَّ حَوْلَهَا قُرَى كَثِيرَةً تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ قَرْيَةٍ يُتَخَذُ بِهَا الْحَرِيرُ، وَفِي الْمَرْيَةِ يُصْنَعُ مِنَ الْخَرِّ وَجَمِيعَ مَا يَعْمَلُ مِنَ الْحَرِيرِ مَا لَمْ يَبْصُرْ مِثْلُهُ فِي الْمَشْرِقِ وَلَا فِي بِلَادِ النَّصَارَى، فَكَانَ بِهَا ٨٠٠ مِنْ صُنُوفِ وَأَنْوَاعِ الْحَرِيرِ. انظر: الإدريسي نزهة المشتاق ٥٣٧/٢، ٥٦٨؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ١٩٥/٢.

٢ - انظر: الوثائقي المعيار المغربي ٤-٣/١.

٣ - انظر: روبرت هيلنبراند زينة الدنيا: قَرْطَبَةُ الْقَرْوَسُطِيَّةُ تَرْجَمَةُ: عَبْدُ الْوَاحِدِ لَوْلُؤَةُ، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجَبُوسِيَّ ٢٠٢/١.

٤ - الدُّرْنُوكُ: ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ أَوْ الْبُسْطِ، لَهُ خَمَلٌ قَصِيرٌ كَخَمَلِ الْمَنَادِيلِ، يَشْبَهُ قُرْوَةَ الْبَعِيرِ وَالْأَسَدِ.

الشُقَّةُ: جَنْسٌ مِنَ الثِّيَابِ. ابن منظور لسان العرب [درك] ٤٢٣/١٠، [شق] ١٨٥/١٠.

٥ - انظر: عيسى أبو الأصْبَغِ ابن سهلٍ وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قَضَاءِ أَهْلِ الدِّمَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٧٣ [الوثيقة رقم: ٢٢٧].

٦ - انظر: إبراهيم بوتشيش مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، خلال عصر المرابطين ص ١٧٥.

٧ - هُوَ: أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الْقُضَاعِي، فِي الْمَغْرِبِ أَنَّهُ مِنْ قَدَمَاءِ الْأَنْبَاءِ وَمِنْ الْكُتَّابِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَكَلَامِهِ يَجْمَعُ بَيْنَ الْحُلَاوَةِ وَالْجَزَالَةِ. انظر: ابن بسام الذخيرة ٤٩٩/١-٥١٤؛ ابن سعيد المغربي ٤٢٣/٢-٤٢٤.

٨ - هُوَ: يُوسُفُ بْنُ حَسَنَائِي، ذَكَرَ رِيَّاضُ قُرَيْحَةَ أَنَّهُ ابْنُ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسَنَائِي دُونَ أَنْ يَذْكَرَ مَصْنَعَهُ الْمَعْلُومَةَ، وَسَتَرْدُ تَرْجَمَةُ لَهُ فِي مَثْنِ الْبَحْثِ: ص ٢١٦.

٩ - انظر: ابن بسام الذخيرة ٤٩٩/١، ٣، م ٤٩٩. والمشار: المنشار. ابن منظور لسان العرب [أشر] ٢١/٤.

١٠ - انظر: الوثائقي المعيار المغربي ٤٣٨/٧.

نَفْسِهِ مَعْنِي يَهُودِيٍّ اسْمُهُ أَبُو النَّصْرِ مَنْصُورَ حَظِي بِثِقَةِ الْأَمِيرِ فَبَعَثَهُ إِلَى بَغْدَادَ رَسُولًا إِلَى الْمُعَنِّي زُرِّيَابَ يَسْتَدْعِيهِ لِلْقُدُومِ لِبِلَاطِيهِ وَتَجَحَّ مَنْصُورٌ فِي مَهْمَّتِهِ^(١). وَذَكَرَ الْمُعَنِّي ذِي^(٢) الْإِسْرَائِيلِي فِي حَقْلَةِ لِلْمَأْمُونِ ذِي النَّوْنِ (ت: ٦٧هـ)^(٣). قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ بَأَنَّ شَجْوَهُ يُخْرِسُ الْأَطْيَارَ، وَبِأَنَّ عِنْدَهُ صَوْتًا شَجِيًّا، أَطْرَبَ الْمَوْجُودِينَ، فَأَطْرَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى وَفُورِ حِلْمِهِ^(٤).

وَقَدْ عَدَّدَ جِهَادُ الزُّغْلُولِ الْمِهَنَ الَّتِي احْتَرَفَهَا يَهُودُ الْأَنْدَلُسِ فَكَانَ مِنْهَا غَيْرُ الْمَذْكُورَةِ سَابِقًا: صِنَاعَةُ الْخُبْزِ وَالزَّيْتِ وَالصَّابُونِ وَصِنَاعَةُ الْحَلِيِّ وَأَدَوَاتِ الْمَطْبَخِ وَتَسْفِيرِ الْكُتُبِ وَسَكِّ النُّقُودِ، وَاشْتَغَلُوا فِي خِدْمَةِ الْحَمَامَاتِ وَحَفْرِ الْأَبَارِ وَمُعَالَجَةِ الْمَعَادِنِ وَتَرْوِيقِ الْخَشَبِ وَقِطْعِ الرَّخَامِ وَزَخْرَفَةِ الْبُيُوتِ، وَعَمِلُوا بِبَيْعِ السَّمَكِ وَالصُّوفِ وَالْكَتَّانِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالْآلَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةِ، وَبَرَّعُوا فِي صِنَاعَةِ الْقَلَائِدِ وَالْعُقُودِ الْمُرْجَانِيَّةِ وَفِي تَخْضِيرِ الْأَطْعِمَةِ وَالْمَأْكُولَاتِ الشَّهِيَّةِ؛ فَكَانَ مِنْهُمْ الطَّبَّاخُونَ وَالشَّوَارِوُونَ وَالْقَلَاوُونَ الْمَهَرَّةُ، وَبَرَزَ مِنْهُمْ أَطِبَاءٌ وَصَيَادِلَةٌ وَمُتَقَفُونَ وَمُهَنْدِسُونَ، وَامْتَهَنَ بَعْضُهُمْ مِهْنًا حَقِيرَةً كَالسَّخْرِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَشْكُلُوا طَائِفَةً مُتَجَانِسَةً^(٥). وَبِهَذَا يَبْدُو تَنَوُّعُ الْمِهَنِ الَّتِي زَاوَلُوهَا، فَكَانُوا مُشَارِكِينَ فِي مَنَاحِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ فِي الْمَجْتَمَعِ بِكُلِّ طَبَقَاتِهِ، وَتَمَيَّزُوا فِي الْمِهَنِ التَّالِيَةِ:

١- تَحْصِيلُ الضَّرَائِبِ وَالْأَعْشَارِ .

تَوَلَّى الْيَهُودُ فَرَضَ الضَّرَائِبِ مِنْ بَدَايَاتِ حُكْمِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَفِي حُكُومَةِ الْحَكَمِ الرَّبِضِيِّ [١٨٠]-٢٠٦هـ] تَوَلَّى الْقَوْمَسُ رَبِيعُ بْنُ تُوْدِيلِفُو Rabi b. Teadulfo أَمَرَ فَرَضَ الضَّرَائِبِ عَلَى الْعَامَّةِ، وَكَانَ الْحَكَمُ ظَالِمًا مُتَجَبِّرًا عَلَى النَّاسِ، وَيَبْدُو أَنَّ رَبِيعًا كَانَ مِثْلَهُ، مِمَّا أَثَارَ الْعَامَّةَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْحَكَمِ^(٦)، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ ثَوْرَةِ الرَّبِضِ سَنَةِ ٢٠٢هـ فِي قَرْطَبَةِ.

١ - انظر: الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّبِيبِ ١١٠/٤ .

٢ - هُوَ: الْمُعَنِّي ذِي الْإِسْرَائِيلِي، لَمْ أَعثر لَهُ عَلَى تَرْجَمَةٍ .

٣ - هُوَ مَلِكُ طَلَيْطَلَةَ: الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ ذِي النَّوْنِ، نَقَلَ الْمُغْرِبُ عَنِ الْحَجَارِيِّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي ذِي النَّوْنِ أَكْثَرُ وَلَا أَشْهَرُ ذِكْرًا مِنْهُ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ عِنْدَ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ الْوُزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ. وَذَكَرَ تَفْحُ الطَّبِيبِ كَثِيرًا مَجَالِسَ لِلْمَأْمُونِ مَعَ الشُّعْرَاءِ وَالْأَنْبَاءِ بِمَجْلِسِ النَّاعُورَةِ، كَمَا نَقَلَ الْمُقَرِّي أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَصَفًا لِلْقَصْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي شَادَهُ، وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّ طَلَيْطَلَةَ تَمَيَّزَتْ بِمَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْمَبَانِي الذَّنُونِيَّةِ، مَاتَ سَنَةَ ٤٦٧هـ، فَقَوْلِي بَعْدَهُ ابْنُ ابْنِهِ وَهُوَ الْقَادِرُ يَحْيَى. وَأَوَّلَ مَا اسْتَرَدَّ الْإِفْرَنْجُ مِنْ مَدِينَةِ الْأَنْدَلُسِ مَدِينَةَ طَلَيْطَلَةَ مِنْ يَدِ ابْنِ ذِي النَّوْنِ سَنَةَ ٤٧٥هـ، أَوْ سَنَةَ ٤٧٨هـ . انظر: ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ٤، ١٢٦-١٣٧؛ ابْنُ الْأَبَارِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ١٧٧/٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبُ ٥٦/١-٥٧، ٩/٢، ١٢؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّبِيبِ ٦٨/٢، ١٧٥-١٧٦، ١٢١/٦-١٢٣ .

٤ - انظر: ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ٤، ١٣٦ .

٥ - انظر: جِهَادُ غَالِبِ مُصْطَفَى الرَّغْلُولِ الْحَرْفِ وَالصَّنَاعَاتِ فِي الْأَنْدَلُسِ مِنْذُ الْفَتْحِ حَتَّى سَقُوطِ غَرْنَاطَةِ ص ٥٢ .

٦ - انظر: ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ١٥ .

وَبَرَى الْمَسِيرِي أَنَّ الْيَهُودَ فِي أُرُوبًا كُلَّهَا وَلَيْسَ فِي الْأَنْدَلُسِ فَحَسَبُ اشْتَعَلُوا بِتَحْصِيلِ الضَّرَائِبِ وَإِدَارَةِ ضِيَاعِ النَّبَلَاءِ وَالْإِفْطَاعِيِّينَ. وَاحْتَكَرُوا هَذِهِ الْوِظَائِفَ تَقْرِيْبًا حَتَّى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَهَذَا جَعَلَهُمْ مَحْطَ سَخَطِ الْجَمَاهِيرِ أَكْثَرَ مِنْ وَظِيْفَةِ الرَّبَا دَاتِهَا^(١).

وَلَا يَعْنِي تَوَلِيَّةُ الْيَهُودِ أَمْرَ الضَّرَائِبِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَطَالُهُمْ؛ بَلْ كَثِيرًا مَا كَانَتْ تُسَنُّ ضَرَائِبُ جَدِيدَةٍ عَلَيْهِمْ، مِنْهَا مَا ذَكَرَ سَابِقًا مِنْ أَنَّ ابْنَ مَيْمُونٍ وَافَقَ عَلَى تَحْصِيلِ ذَهَبٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْيَسَانَةِ بِاسْمِ التَّقْوِيَّةِ؛ فَفَقَرَتْ أَنْفُسُهُمْ، وَوَجَدَ ابْنُ مَيْمُونٍ السَّبِيلَ إِلَى حَمْلِهِمْ عَلَى التَّمَرُّدِ^(٢).

وَيُظْهِرُ أَنَّ هَذِهِ الضَّرَائِبَ كَانَتْ تَفَرِّضُ وَفَقَ حَاجَةَ الدَّوْلَةِ، وَتَحْصِيلُ التَّقْوِيَّةِ وَأَمْنَالِهَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ. وَمِثْلُهَا حِينَ قَوِيَ أَمْرُ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينٍ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُ افْتَرَضَ عَلَى الْيَهُودِ سَنَةَ ٤٦٤ هـ فَرِيضَةً ثَقِيلَةً، اجْتَمَعَ لَهُ مِنْهَا مَالٌ كَثِيرٌ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى مَا كَانَ يُحْطَطُ^(٣). وَحِينَ اخْتِاجَ أَحَدُهُمْ فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ الْأَمْوَالَ لِتَعِينِهِ فِي حَرْبِهِ مَعَ أَعْدَائِهِ أَغْرَمَ النَّاسَ أَمْوَالًا وَأَغْرَمَ الْيَهُودَ السَّاكِنِينَ بِهَا كَذَلِكَ مَالًا^(٤)، وَلَمْ تَكُنِ الضَّرَائِبُ خَاصَّةً بِالْيَهُودِ بَلْ بِرَعَايَا الدَّوْلَةِ وَمِنْهُمْ الْيَهُودُ.

وَمَا يُقْبَضُ مِنْ أَمْوَالِ الْيَهُودِ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ سُمِّيَ عَشُورًا^(٥)، وَمَنْ يَقْبِضُ هَذِهِ الْأَمْوَالَ مِنْهُمْ كَانَ يُدْعَى عَشَّارًا^(٦) أَوْ عَامِلَ الْعَشُورِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْقَائِمُ بِهَذِهِ الْوِظِيْفَةِ يَهُودِيًّا، وَكَانَ يَتَعَرَّضُ لِمُضَايَقَاتٍ مِنَ النَّاسِ كَمَا يَظْهَرُ فِي الرَّوَايَةِ عَنْ أُمِّيَّةَ بْنِ شَهِيدٍ^(٧) أَنَّهُ كَانَ يَمُرُّ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْقَصْرِ بِالْأَعْرَجِ ابْنِ مَطْرُوحِ الْفَقِيهِ^(٨)، وَكَانَ إِذَا سَلَّمَ أُمِّيَّةَ عَلَيْهِ جَاوَبَهُ بِمَا يَكْرَهُ، فَأَمْهَلَهُ، حَتَّى حَانَ وَقْتُ الْحَصَادِ، وَأَوْصَى عَامِلَ الْعَشُورِ أَنْ يَمُرَّ مَعَ عَمَّالِهِ بِقَرْيَةِ ابْنِ مَطْرُوحٍ وَيَتَعَدُّوا عَلَى أَنْدَرِهِ^(٩) إِذَا دَرَى. ثُمَّ يَهْبِطُونَ إِلَى قَرْطَبَةَ وَيَدْعُونَ عَلَيْهِ الْعَشُورَ، فَفَعَلُوا وَرَفَعُوا إِلَيْهِ، وَقَدْ خَرَجَ ابْنُ مَطْرُوحٍ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ فِي طَرِيقِهِ: يَا قَتْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ^(١٠) وَالْحَادِثَةَ^(١١) تُشِيرُ إِلَى أَمْرَيْنِ: أَوَّلُهُمَا أَنَّ

١ - انظر: عبد الوهاب المسيري الصهيونية الحاضرة والمستقبل ٧٤/٣.

٢ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّان ص ١٣٠-١٣٢.

٣ - انظر: مجهول الخلل المؤشَّة ص ٢٥.

٤ - انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب - قسم المؤخِّدين - ص ٣٧٢.

٥ - من قول الرسول ﷺ: إِنَّمَا الْعَشُورُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَشُورٌ.

انظر: الترمذي الجامع الصحيح ٢٧/٣؛ الرُّزَّعِيُّ أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ ٣٣٧/١، ٣٣٩.

٦ - العشار: هُوَ الْمَاكِسُ الَّذِي يَجْبِي الْأَعْشَارَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَالْمَكْسُ هِيَ الْجَبَايَةُ.

ابن منْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [عشر، مكس] ٥٧٠/٤، ٢٢٠/٦.

٧ - هُوَ: أُمِّيَّةُ بْنُ عَيْسَى بْنِ شَهِيدٍ، عَمَلٌ وَالِدُهُ عَيْسَى وَزَيْرًا مَقْرَبًا مَدَّةَ عَشْرِينَ عَامًا لِلْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ، ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٤٣ هـ. انظر: ابن حَيَّانُ الْمُفْتَتَبِسُ ص ٢٦-٢٨.

٨ - هُوَ الْفَقِيهُ يُوسُفُ بْنُ مَطْرُوحٍ، يُنْسَبُ إِلَى الرِّبْرِضِ الْمُتَصِلِ بِقَرْطَبَةَ مِنْ فُقَهَاءِ مَذْهَبِ مَالِكٍ.

انظر: الْحَمِيدِيُّ جَدْوَةُ الْمُفْتَتَبِسِ ٥٨٩/٢؛ وَتِ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٦/٣.

٩ - الْأَنْدَرُ: الْبَيْدَرُ. ابن منْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [ندر] ٢٠٠/٥.

١٠ - انظر: ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٠٦.

هؤلاء العمال اليهود كانوا العوبة بيد الكبار يأمرونهم أحياناً بالاعتداء على الناس دون حق، فينفذون، والأمر الثاني أنهم كانوا يتلقون الإهانات ويعايزون بأنهم قتل الأنبياء. ولازمت الإقراض والرّبا "الرشوة" التي وصفها إسرائيل شاحاك بأنها السلاح القديم للطوائف اليهودية^(١).

ويبدو أن تولية اليهود على الضرائب كان شائعاً في الأندلس، ممّا حداً بأبي حفص الزكرمي^(٢) أن يحتج صارخاً لسكوت العامة حين طُلب بمكس كان يتولاه يهودي^(٣): [لكل]
يا أهل دانية لقد خالفتم حكم الشريعة والمروءة فينا
كنا نطالب لليهود جزية وأرى اليهود بجزية طلبونا

٢ - الإقراض والرّبا.

حرّمت النصرانية الرّبا، أمّا اليهودية فلم تحرّمه، وإن كانت حرّمت إقراض اليهودي^(٤). ومع نهاية العصور الوسطى كانت كلمة "يهودي" مرادفة في كثير من اللغات الأوروبية لكلمة "تاجر" أو "مراب"، وتبلورت في عصر النهضة على يد شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦م) حيث لصقت بهم صورة المرابي اليهودي القبيح شيلوك في مسرحية "تاجر البندقية"^(٥) الذي كانت المجوهرات والأموال أغلى لديه من ابنته^(٦)، فأصبحت شخصيته جزءاً من المعجم الانجليزي وتعني: الرجل الطماع الشر الذي لا تعرف الرحمة طريقاً إلى قلبه^(٧). وظهر شبيه شيلوك في معظم الآداب الأوروبية، حتى في الأدب الشعبي الإسباني؛ فجاءت مثلاً صورة اليهود في "ملحمة السيد" التي كان ينشدّها القاضي أبو الوليد الوقشي^(٨) (ت ٤٨٨هـ)^(٨) مقارنةً بصورة شيلوك فكان اليهوديان راكيل وفيداس

١ - انظر: إسرائيل شاحاك الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ص ٢٩ .

٢ - هو : أبو حفص العروضي الزكرمي: أشار الحموي إلى أنه من إفريقية، لكنه قال هذه الأبيات في الأندلس .

انظر: ياقوت الحموي معجم الأندلس ٢١٨/١٠ - ٢١٩ .

٣ - ياقوت الحموي معجم البلدان ١٤٥/٣ - ١٤٦؛ السلفي أخبار وتراجم أندلسية ص ٣٧ - ٣٨ .

٤ - فيها: لا تفرض أخاك رباً، رباً فضة أو رباً طعام أو رباً شيء ما مما يفرض ربياً. للأجنبي تفرض ربياً ولكن لأخيك لا تفرض ربياً التوراة : سفر التثنية ٢٣/٢٠ - ٢١ .

٥ - انظر: شكسبير تاجر البندقية ص ١٣، ٥٠، ٦٣. أغلب الظن أن اليهود الذين عاشوا في إنجلترا في عصر شكسبير لم يزدوا على مائتي يهودي في طول البلاد وعرضها وهو عدد ضئيل للغاية بالنسبة إلى تعداد السكان البالغ أربعة ملايين نسمة، ومع ذلك كان لهم وجود واضح في مسرحيات شكسبير . انظر: رمسيس عوض شكسبير واليهود ص ٥٨ .

٦ - انظر: د. ل. كارنيف اليهود واليهودية في نظر شعوب العالم ص ٥٠ .

٧ - عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٣٧٩/٢ - ٣٨٢ .

٨ - هو القاضي: أبو الوليد هشام بن أحمد الكنائي الوقشي (٤٠٨ - ٤٨٨هـ)، من وقش (بالتفتح وتشديد القاف) في طليطلة، وثوقي في دانية، كان فقيهاً عالماً بمعظم الفنون في عصره، ومن أعظم الناس بالبحر واللغة ومعاني الشعر والبلاغة، حسن النقد للمذاهب، وكان في بلنسية عندما احتلها السيد، وتولى رئاسة القضاء على أيامه، وقد استطاع أن ينال ثقة السيد وأن يكون موضع تقديره، انهم برأي المعتزلة.

انظر: ابن بشكوال الصلة ياقوت الحموي معجم البلدان ٣٨١/٥ - ٣٨٤؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ١٩/١٣٤ - ١٣٦؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٨٤/٢ .

صُورَةً ثَانِيَةً لِشَيْلُوكَ^(١)، فَالْيَهُودُ فِيهَا يَشْتَغِلُونَ بِالتَّجَارَةِ وَالصَّيْرِفَةِ، وَبِالرِّبَا وَالْمُرَاهَنَةِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى الْمَالِ كَثِيرًا، وَمِنْ أَجْلِ الرَّبْحِ يُصَانِعُونَ، وَيَتَكَتَّمُونَ^(٢).

وَلَمْ تَكُنِ الدُّيُونُ مَعَ الْيَهُودِ كُلِّهَا قَلِيلَةً عَاجِلَةً الدَّفْعِ، فَعَنْ يَهُودِيٍّ أَنَّهُ اسْتَظْهَرَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِثَلَاثَةِ رُسُومٍ، أَحَدَهَا لِتَارِيخِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا، وَاثْنَانِ لِتَارِيخِهِمَا أَحَدَ عَشَرَ عَامًا^(٣). وَسُئِلَ كَذَلِكَ عَنِ الْيَهُودِ الْمُشْتَغِلِينَ بِالْمُعَامَلَةِ فِي الْقَرْيِ يَسْتَظْهَرُونَ بِرُسُومٍ شَرْعِيَّةٍ تَوَارِيخُهَا بَعِيدَةٌ؛ مِنْهَا مَا يَكُونُ عِشْرِينَ عَامًا وَأَزِيدَ وَثَلَاثِينَ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا، وَعَشْرَةَ أَعْوَامٍ، وَالْغُرَبَاءُ يَدْعُونَ الْخَالَصَ وَلَا بَيِّنَةَ لَهُمْ، وَالْيَهُودُ يُنْكِرُونَ الْقَبْضَ^(٤). وَإِنْ وَجِدَتْ هَذِهِ النُّصُوصُ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى إِقْرَاضٍ طَوِيلِ الْأَجَلِ، فَلَا بَدَّ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ دِيُونٌ أَكْثَرُ عَاجِلَةً الدَّفْعِ.

وَيَرَى السَّيِّدُ عَبْدُ الْعَزِيزِ سَالِمٌ أَنَّ وَضْعَ الْمُرَابِيئِ الْمُخْتَرَفِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ أَمْرٌ لَا يُحْسَدُونَ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَانُوا يَتَقَاضُونَ قَوَائِدَ بَاهِظَةً تُصِلُ إِلَى ٣٢.٥% بَلْ وَأَخْيَانًا ٢٢٠%، هَذَا وَكَانَ الْأَمِيرُ وَلَيْسَ الْيَهُودِيُّ هُوَ الَّذِي يَقُومُ بِتَحْدِيدِ مُعَدَّلِ الْقَائِدَةِ. وَلَمْ يَكُنْ يَحْكُمُ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ أَيُّ قَانُونٍ تِجَارِيٍّ أَوْ آيَّةٍ اعْتِبَارَاتٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ نَاصِجَةٍ، وَإِنَّمَا كَانَ يُحَدِّدُهَا مَدَى خُلُوقِ خَزَانَةِ الْأَمِيرِ، فَطَالَمَا كَانَ الْاِقْتِصَادُ مُزْدَهَرًا، لَمْ يَكُنِ الْأَمِيرُ يُطَالِبُ بِضَرَائِبَ عَالِيَةٍ، وَبَدَأَ يَنْخَفِضُ سِعْرُ الْقَائِدَةِ وَيَقِلُّ السَّخَطُ الشَّعْبِيُّ ضِدَّ الْيَهُودِ^(٥). يُشَبِّهُ هَذَا مَا قِيلَ فِي الْبَحْثِ سَابِقًا عَنْ تَحْصِيلِ ذَهَبٍ كَثِيرٍ مِنْ يَهُودِ أَلِيَسَانَةَ بِاسْمِ التَّقْوِيَّةِ^(٦). إِذَا يَتَوَصَّلُ السَّيِّدُ سَالِمٌ إِلَى أَنَّ الرَّبَا عِنْدَهُمْ لَمْ يَكُنْ اسْتِغْلَالًا لِلْأَغْيَارِ، وَتَأْمَرًا ضِدَّهُمْ، فَالْمُرَابِيئِ الْيَهُودِيُّ كَانَ الْقَرِيسَةَ، وَكَانَ الْمُلُوكُ وَالنُّبَلَاءُ أَكْثَرَ الْمُسْتَفِيدِينَ، وَعَلَى الْمَدَى الطَّوِيلِ كَانُوا الْمُرَابِيئِ الْحَقِيقِيِّينَ، فَكَانُوا يَسْمَحُونَ لِلْيَهُودِ بِمُوَاصَلَةِ مِهْنَتِهِمْ حَتَّى يَتَفَاقَمَ الْاِسْتِثْيَاءُ الشَّعْبِيُّ، ثُمَّ يَقُومُونَ بِطَرْدِهِمْ أَوْ عِقَابِهِمْ بِشِدَّةٍ وَبَدَأَ يَمْلَأُونَ خَزَائِنَهُمْ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَكْسِبُونَ شَعْبِيَّةً^(٧).

١ - انظر: ملحمه السيد ترجمه: الطاهر مكي ص ٢٧٠ - ٢٧١.

٢ - ملخص القصة أن السيد ملك أصبح فقيرًا جدًا، ولكي يواجة مطالب العيش له ولرجال له إلى الحيلة فملا بالزمل صندوقين مخرقين مذهبين، ودفع بهما إلى اليهوديين راكيل وفيداس الذين كانا يقومان بالصيرفة، ويفرضان بالرأيا مقابل رهن، وأوهم اليهوديين بأن فيهما كل ثروته، من ذهب ومجوهرات بحجة أنه لا يستطيع أن يحملهما في رحلته منفيا، وأقنعهما أنه بحاجة عاجلة للمال وأنه سيؤد رهنهما حين يعود من المنفى، فقبلا مسرورين، ودفعا له مقابل الصندوقين ستمائة مازك لأجل لا يزيد على عام، متأملين أن لا يعود السيد وسيكون من نصيبهما كل ما بداخلهما من جواهر ومال.

٣ - انظر: الوثائسي المغير المغرب ٢٤٤/٥.

٤ - انظر: نفسه ٢٤٥/٥.

٥ - انظر: السيد عبد العزيز سالم قرطبة خاضرة الخلافة في الأندلس ص ٣١.

٦ - انظر: الأمير عبد الله التتبان ص ١٣٠.

٧ - انظر: السيد عبد العزيز سالم قرطبة خاضرة الخلافة في الأندلس ص ٣١.

المبحث الرابع : الحياة الدينية لليهود في الأندلس .

كان لليهود الأندلس طريقتهم الخاصة في التعبير عن دينهم في الصلاة وإقامة الشعائر التي تعد استمرارا للتقاليد الدينية اليهودية التي نشأت وتطورت في بابل؛ في عبادتهم وتلاوتهم وترتيلهم وإنشادهم، وانفردوا بنصوص في أديتهم وصلواتهم قريبة الشبه بما عند المسلمين^(١). ومن مظاهر الحياة الدينية عند يهود الأندلس ما يلي :

أولاً :- الحرية الدينية للطائفة اليهودية .

يذكر ول ديورانت أن بلاد الأندلس حظيت بتسامح غير عادي مع الأديان^(٢)، ولا شك أن حالة من الحرية والازدهار كانت تعيشها الطائفة اليهودية في الأندلس تمثلت بوضوح في ارتقاء بعضهم إلى الوزارة دون أن يفقد الانتماء الديني عانقا؛ فلم تثر فكرة الأقليات أو الأجناس أو الطوائف، باستثناء حالات معدودة انصب فيها هيجان العامة على اليهود، لمقدمات سياسية اقتصادية اجتماعية لا علاقة لها بالطائفة والدين كما مرّ بالدراسة التاريخية. ومن البدء كان تطلع اليهود في إسبانيا إلى أن ينعموا بحكم العرب لما حظي به أبناء مذهبهم يهود المغرب من حرية دينية^(٣). ومن أيام الفتح الأولى تحدثت المصادر عن معتقداتهم؛ فبعد أن فتح طارق طليطلة مثلاً، بلغ مدينة تسمى "مدينة المائدة"، لوجود مائدة سليمان عليه السلام بها، فتم وصفها بدقة في كثير من الكتب، وجاء حديث وتفصيل عن كيفية وصولها إلى طليطلة كما يدعون، وكل هذا من معتقداتهم^(٤).

ورغم انعزال اليهود في أحيائهم إلا أن بعض مظاهر الحرية الدينية يمكن تسجيلها. فقد مثلت مدرسة قرطبة للدراسات العبرية مركز الصدارة في القرن الخامس الهجري، وتوسعت حتى أصبحت داراً للإفتاء للشريعة اليهودية. وهذا يدل على أن الجالية اليهودية بقرطبة كانت تمارس شعائرها في حرية تامة. ووصلت الحال بهم إلى أن ترجم يوسف بن أبي ثور شتاتش مقطعات

١ - انظر: عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١٨٤/٢ .

٢ - ول ديورانت قصة الحضارة ٢٨٢/١٢ .

٣ - انظر: عبد الواحد المراكشي المعجب ص ٩-١٠؛ ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٤، ٩/٢ .

٤ - Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 230 - 231 .

٤ - قيل إن السبب في وصول مائدة سليمان إلى طليطلة أن ملك الروم ملأ زحف إلى بيت المقدس ليقاثل إسرائيل، أخذ بلادهم وسبى ما فيها، ووجد فيها من مكارم الأنبياء عصا آدم والتابوت وعصا موسى، ومائدة سليمان، فحمل جميع ذلك إلى رومة، فلما مر ملك الروم بمصر، فدفع لهم المائدة يتبركون بها، وكانوا قد أمدوه، وقالوا بني إسرائيل؛ فحملتها الأساقفة إلى الإسكندرية، فلما وصل الفتح الإسلامي هربوا بها من مكان لآخر إلى أن وصلت مدينة طليطلة. انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ١٢/٢، ١٧-١٨؛ المقرئ تفتح الطيب ٢٦٠/١-٢٦١، ٢٧٧؛ مجهول أخبار مجموعة في فتح الأندلس ص ٢٣؛ الرقيق القيرواني تاريخ إفريقية والمغرب ص ٥٦ .

مِنَ التَّلْمُودِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ وَقَدَّمَهَا لِلْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ الثَّانِي (١). كَمَا أَنَّ الْأَنْدَلُسَ أَصْبَحَتْ مَحَجًّا لِبَعْضِ الْيَهُودِ مِنْ بُلْدَانٍ أُخْرَى، مِنْ ذَلِكَ وَفُودُ إِسْحَاقَ الْقَاسِي (ت: ٤٩٧هـ) وَاسْتِقْرَارُهُ فِي أَلِيَسَانَةَ سَنَةَ ٤٨١هـ (٢).

وَكَانَ الْمُسْلِمُ فِي الْأَنْدَلُسِ مُطَالِبًا بِاخْتِرَامِ دِينِ الْيَهُودِ، وَيُقَاضَى مَنْ يَتَعَرَّضُ لِدِينِهِمْ بِإِهَانَةٍ؛ فَقَدْ نَظَرَ أَحَدُ الْقُضَاةِ فِي قَضِيَّةٍ عَنْ رَجُلٍ شَهِدَ أَنَّ عَبْدًا مَمْلُوكًا كَبِيرَ السِّنِّ أَتَى إِلَى يَهُودِيٍّ يُطَالِبُهُ فِي حَقِّ لَهُ، فَخَلَفَ لَهُ الْيَهُودِيُّ بِالتَّوْرَةِ، فَلَعَنَ الْعَبْدُ التَّوْرَةَ، ثُمَّ أَتَى شَاهِدًا آخَرَ فَشَهِدَ أَنَّ الْعَبْدَ قَالَ: إِنَّمَا لَعَنَ تَوْرَةَ الْيَهُودِ. وَجَاءَتِ الْقُتُوبُ بِأَنَّ الشَّاهِدَ الثَّانِي عَلَّقَ الْقَوْلَ بِالْقَتْلِ بِصِفَةِ تَحْتِمِلِ التَّأْوِيلِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ تَوْرَةَ الْيَهُودِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ظَنٌّ أَنَّ تَوْرَتَهُمْ شَيْءٌ عَمِلُوهُ لِأَنفُسِهِمْ وَلَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ وَصِفَ الْعَبْدُ بِكِبَرِ السِّنِّ وَضَعْفِ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ، وَهَذِهِ ثَلَاثَةٌ أَوْصَافٍ تُخِلُّ بِصَاحِبِهَا. وَلَوْ اتَّفَقَ الشَّاهِدَانِ أَنَّهُ لَعَنَ التَّوْرَةَ مُجَرَّدًا لَصَاقَ التَّأْوِيلُ، أَيْ لَحُكِمَ بِقَتْلِهِ (٣).

وَوُجِدَ عَدَدٌ مِنَ الشُّنُوعَاتِ لِأَدَاءِ صَلَوَاتِ الْيَهُودِ، فَلَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَنْ يَسْأَلَ أَحَدُهُمْ سُؤَالَ فِيهِ أَنْ لَهُ دَارًا بِحَوْمَةِ مَسْجِدٍ فِي قَرْطَبَةِ تُلَاصِقٍ دَارًا أُخْرَى مَوْقُوفَةً عَلَى شُنُوعَةِ الْيَهُودِ (٤). وَلَا يَتَعَارَضُ بِرَأْيِي مَعَ الْحُرِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ مَنَعَ الْيَهُودِ مِنْ إِحْدَاثِ شُنُوعَاتٍ جَدِيدَةٍ فِي مَدَائِنِ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، طَالَمَا أَبْقِيَتِ الْقَدِيمَةُ لَهُمْ. وَاسْتَنْتَوَا مِنْ هَذَا إِنْ كَانُوا أَهْلَ ذِمَّةٍ مُنْقَطِعِينَ عَنْ دَارِ الْإِسْلَامِ وَحَرِيمِهِ وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ مُسْلِمُونَ فَلَا يُمْنَعُونَ مِنْ بِنَائِهَا بَيْنَهُمْ وَلَا مِنْ إِدْخَالِ الْخَمْرِ إِلَيْهِمْ وَلَا مِنْ كَسْبِ الْخَنَازِيرِ، وَإِنْ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ مُنَعُوا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ (٥). وَسُمِحَ لَهُمْ أَحْيَانًا بِإِنْشَاءِ الْجَدِيدِ مِنْهَا، وَمِنْهَا الشُّنُوعَةُ الَّتِي بَنَاهَا إِسْحَاقُ بْنُ شَبْرُوطَ وَالِدُ حَسْدَايَ فِي قَرْطَبَةِ (٦).

وَحِينَ طَلَبَ ابْنُ تَاشَفِينَ رَدًّا مِنْ قُضَاةٍ بِعَرْنَاطَةَ سَنَةَ ٥٢١هـ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ مُعَامَلَةِ الدَّمِيِّينَ وَالْمُعَاهِدِينَ الْمَنْقُولِينَ مِنْ إِسْبِيلِيَّةٍ إِلَى مَكْنَاسَةِ (٧) كَانَ الْجَوَابُ بِإِقْرَارِهِمْ عَلَى مَرَاتِبِ شَرِيعَتِهِمُ الَّتِي يُقِيمُونَ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يُقِيمُ شَرِيعَتَهُ فِي دَارِهِ نُونًا قَافُوسٍ يَضْرِبُهُ، وَلَا فِعْلٍ يُظْهِرُهُ، فَيُبَاحُ ذَلِكَ وَلَا يُنْكَرُ (٨)، فَتَرِكَ الْيَهُودُ أَحْرَارًا مِنْ أُمُورِ شَرِيعَتِهِمْ طَالَمَا لَمْ يَجَاهِرُوا بِهَا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ.

١ - انظر: روبرت هيلنبراند زينة الدنيا: قَرْطَبَةُ الْقَرْوَسُطِيَّةُ تَرْجَمَةُ: عَبْدُ الْوَاحِدِ لَوْلُؤَةُ، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجَبُوسِي ١/ ١٩٧.

٢ - انظر: إِبْرَاهِيمُ بَوْتَشِيش مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الْاجْتِمَاعِيِّ لِلْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ، خِلَالَ عَصْرِ الْمُرَابِطِينَ ص ١٠٦.

٣ - انظر: الْوُثُورِيَّةُ الْمَغْرِبُ ١٠/ ٥٢٦.

٤ - انظر: عَيْسَى أَبُو الْأَصْبَغِ ابْنُ سَهْلٍ وَثَائِقُ فِي أَحْكَامِ قُضَاةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٦٠-٦١ [الوثيقة رقم: ٢٥٧].

٥ - انظر: الْوُثُورِيَّةُ الْمَغْرِبُ ٢/ ٢٣٣.

٦ - انظر: أَهْلُ الذِّمَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ خِلَالَ الْحُكْمِ الْأُمَوِيِّ ص ٣٦ نقلًا عن كولن إسبانيا في أوائل القرون الوسطى ص ٢٠٣.

٧ - مَكْنَاسَةُ: بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ وَنُونٍ، مَدِينَةٌ بِالْمَغْرِبِ فِي بِلَادِ الْبَزِيرِ قَرِيبَةً مِنْ مَرَاكُشَ وَفَاسَ، بَيْنَهَا وَفَاسَ أَرْبَعُونَ مِيلاً، وَهِيَ مَدِينَتَانِ صَغِيرَتَانِ عَلَى ثَنِيَّةٍ بِيضَاءَ بَيْنَهُمَا حَصْنٌ. اخْتَطَّ إِحْدَاهُمَا يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ مَلِكُ الْمَغْرِبِ مِنَ الْمُلُكِينَ وَالْأُخْرَى قَدِيمَةٌ وَأَكْثَرُ شَجَرِهَا الزَّيْتُونُ. انظر: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥/ ١٨١: الْحَمِيرِيُّ الرُّوضُ الْمَغْطَارُ ص ٥٤٤.

٨ - انظر: الْوُثُورِيَّةُ الْمَغْرِبُ ٨/ ٥٨ - ٥٩.

وحتى تُترك لهم الحرية في اختيار الدين الذي يريدون لهم ولأبنائهم، لم يُجزأ ابنُ لبانة أن يعلم رجلٌ مسلمٌ أولادَ اليهود القرآن^(١). وتُترك لهم حرية تعليم أبنائهم علوم التوراة والكتابة بالعبرية، فضلاً عن العلوم الأخرى مثل الحساب والرياضيات التي درسوها على يد شيوخ مسلمين. ومُجاذلات ابن حزم مع علمائهم ومُحاوراته لهم في بعض ما ورد في التوراة وفي دينهم يدلُّ على مدى الحرية التي تمتعوا بها في نشر تعاليم دينهم وتوراتهم حتى بين المسلمين.

وكان ينظر إلى اليهودي في الأندلس بصقته الإنسانية وكانت تؤمن له حقوقه الإنسانية، ويتولى الاهتمام بأموره أحياناً عليه القوم ومن هم في منزلة السلاطين، فحين قامت فتنة إشبيلية سنة ٤٦٢ هـ بسبب عدوان رجلٍ منهم على يهودي سب الشريعة، قبض صاحب المدينة على المسلم واعتقله، فنارت العامة تعاطفاً مع المسلم، فأرسل السلطان بقرطبة ولده إلى إشبيلية في جيش كثيف من نخبة علمائه ووجوه رجاله، لمشاركة القصة، والاختياط من العامة^(٢). وفي هذا إشارة إلى احتداد الموقف واشتداد الصراع بين المسلمين واليهود، وإلا ما كان السلطان ليرسل كل هذا الوفد لمُتابعة الأمر، وهذا يدلُّ كذلك على محاولة صاحب المدينة والسلطان إيصال الحق لأصحابه حتى لو كان لليهودي تعدى على الشريعة وثارت العامة لسوء تصرفه.

فلم تكن اليهود تشعر بتعصبٍ ضدها بسبب الدين، وأعطى هذا هُدوءاً لأفراد الطائفة اليهودية في الأندلس، ووصل الأمر إلى أن يقوم يهودي بحبس داره على مسجد بقرطبة، إلا أن الفقهاء لم يجيزوا تحبيس اليهودي^(٣)، ويروى عن يهودي آخر أنه حبس أملاًكا عدة له على مساكين المسلمين بلورقة^(٤)، إن انقرض عقب ابنته البكر التي في حجره^(٥). ولا يعقل أن يقوم يهودي بحبس أملاكه على مسجد أو على مساكين المسلمين إلا إن كان يشعر بهُدوء في العلاقات بين أصحاب الديانتين حوله، ولا يشعر بتعصب أو اضطهاد لطائفه.

ثانياً: - دخول بعض يهود الأندلس في الإسلام .

تأثر اليهود وأهل الذمة بالدين الإسلامي، واعتنق عدد كبير منهم الإسلام بعد الفتح الإسلامي لشبه جزيرة إيبيريا، فظهرت طبقة جديدة في المجتمع الأندلسي أطلق عليها المُسلمة أو الأسالمة، وأخذت هذه الطبقة بالتزايد شيئاً فشيئاً على حساب أهل الذمة حتى أصبح الذميون أقلية بين السكان،

١ - انظر: الوثائقي المغيار المغرب ٩٦/١١ .

٢ - انظر: ابن بسام النخبة ق ١م ٤١٨/١ .

٣ - انظر: الوثائقي المغيار المغرب ٦٥/٧ .

٤ - لورقة: بالضم ثم السكون والراء مفتوحة والقاف، ويُقال لُرقة بسكون الراء بغير الواو، وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير .

يافوت الحموي مُعجم البلدان ٢٥/٥ ؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ٣٨/٥ .

٥ - انظر: عيسى أبو الأصبح ابن سهل وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس ص ٦٨ [الوثيقة رقم: ١٦٦] .

وَفِي إِقْلَالٍ مُسْتَمِرٍّ. وَحَاوَلَ مُونْتِغَمَرِي وَات مَعْرِفَةَ أَسْبَابِ اعْتِنَاقِ مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الْكَبِيرِ الْإِسْلَامَ، فَرَدَّهُ إِلَى اسْتِبْدَادِ وَظَلَمِ فِتْنَةِ الْقَوِطِ الْحَاكِمَةِ الَّذِي جَعَلَ الْحَيَاةَ عَسِيرَةً جِدًّا بِالنَّسَبَةِ لِأُولَئِكَ الْيَهُودِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى تَوَقُّعِ وَجُودِ كَثِيرٍ مِنَ الرَّقِيقِ بَيْنَهُمْ، كَمَا أَنَّ بَعْضَ مُعْتَقَدَاتِ الْقَوِطِ مَهَّدَتِ السَّبِيلَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْفِكْرِيَّةِ لَاعْتِنَاقِهِمُ الْإِسْلَامَ^(١). فَأَرْجَعَ مُونْتِغَمَرِي إِسْلَامَهُمْ إِلَى عِدَّةِ أُمُورٍ لَكِنْ بَعْضَ الدَّارِسِينَ أَرْجَعَ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ لِغَامِلٍ وَاحِدٍ. فَأَصْحَابُ التَّفْسِيرِ الْمَادِّي، يَرَوْنَ السَّبَبَ الْمَادِّي وَرَاءَ إِسْلَامِ سُكَّانِ الْبِلَادِ، فَيَرَوْنَ أَنَّ النُّبْلَاءَ أَسْلَمُوا مِنْ أَجْلِ الْحِفَاطِ عَلَى أَمْلاكِهِمْ أَوْ هَرَبًا مِنْ دَفْعِ الْجَزْيَةِ، وَالْعَامَّةُ مِنْ أَجْلِ تَحْسِينِ أَوْضَاعِهِمُ الْمُتَرَدِّيةِ وَالْفَقِيرَةَ، وَآخَذَ بِهِذَا دُوزِي مِثْلًا الَّذِي زَعَمَ أَنَّ الدَّمِيَّينَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ يُسْلِمُونَ طَمَعًا فِي طَعْمِ الْغَاءِ الْجَزْيَةِ عَنْهُمْ^(٢)، بَيْنَمَا يَدَّعِي أَصْحَابُ التَّفْسِيرِ الْاجْتِمَاعِيِّ لِلتَّارِيخِ مِثْلًا أَنَّ إِسْلَامَهُمْ صُورَةٌ مِنْ مُحَاكَاةِ الْمَغْلُوبِ الضَّعِيفِ لِلْغَالِبِ الْقَوِيِّ... وَهَكَذَا. إِلَّا أَنِّي أَرَى، كَمَا يَرَى عَبْدُ الْمُطَلِّبِ مَظْهَرٌ، أَنَّ التَّسَامُحَ وَعَدَمَ إِجْبَارِهِمْ عَلَى تَغْيِيرِ دِينِهِمْ أَسْبَابٌ مُشْجَعَةٌ، وَمَا يَحْمِلُهُ الْإِسْلَامُ مِنْ أَفْكَارٍ تَتَلَاءَمُ مَعَ فِطْرَةِ الْبَشَرِ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ يُسْلِمُونَ^(٣). وَقِصَّةُ إِسْلَامِ الْيَهُودِيِّ صَدِيقِ الْفَقِيهِ طَالُوتَ مِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ^(٤).

وَظَهَرَ فِي الْمَصَادِرِ تَقْدِيرٌ لِمَنْ تَحَوَّلُوا عَنِ الْيَهُودِيَّةِ أَوْ مَنْ كَانُوا مِنْ أَصُولٍ يَهُودِيَّةٍ؛ فَمَعَ أَنَّ الْأَبَ نَصْرَانِيٍّ وَالْأُمَّ يَهُودِيَّةً فِي نَسَبِ أَبِي النُّعَيْمِ الْجَنَوِيِّ إِلَّا أَنَّهُ مُوصُوفٌ بِأَنَّهُ الشَّيْخُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى الْكَبِيرُ الشَّانِ. وَشَهِدَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَنْدَلُسِيُّ بِقَوْلِهِ إِنَّ أَبَاهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا تَزَوَّجَ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً وَوَلَدَتْ لَهُ الشَّيْخُ أَبَا النُّعَيْمِ فَنَشَأَ مِثْلًا فِي الْعِلْمِ وَالْوِلَايَةِ وَمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ^(٥)، فَلَمْ تَتَأَثَّرْ شَهَادَةُ الْمُعَرِّفِينَ لَهُ بِكَوْنِ وَالِدِهِ أَوْ أُمِّهِ عَلَى دِينٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ، وَشَهِدُوا لَهُ بِأَفْضَلِ مَا يُشْهَدُ لِمُسْلِمٍ.

وَأَرَى أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ اعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ فِعْلًا لِتَحْقِيقِ مَكَاسِبَ لَيْسَ إِلَّا، وَمِثْلُ هُوَ لَا إِجَاءَتْ تَصَرُّفَاتُهُمُ الْلاحِقَةُ لِإِعْلَانِ إِسْلَامِهِمْ تَوَكُّدًا هَذَا، فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَالْعَامَّةُ لَا تَرْحَمُ فِي هَذَا. بَيْنَمَا ظَهَرَ مِنْ بَعْضِ الْيَهُودِ مِمَّنْ تَحَوَّلَ عَنْ دِينِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ صِدْقٌ لِحَظَّتِهِ الْعَامَّةُ فَتَسَيَّتْ دِينَ أَسْلَافِهِ وَعَامَلَتْهُ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِ الْحَقِّ. وَغَالِبًا مَا تُضَافُ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى اسْمِ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ وَارْتَاخَتْ الْعَامَّةُ لِإِسْلَامِهِ بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ قَلِيلٌ مِثْلًا عَبْدُ الْحَقِّ الْإِسْلَامِيُّ، الَّذِي

١ - انظر: مونتمغري وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية ص ٦٦ .

٢ - انظر: رينهارت دوزي تاريخ مسلمي إسبانيا ترجمة: حسن حبشي، ص ١٣٨ .

٣ - انظر: عبد المطلب مظهر أهل النعمة في الأندلس خلال الحكم الأموي ص ٧٩ - ٨٠ .

٤ - انظر: ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ص ٧٠-٧١؛ عبد الواحد المراكشي المعجب ص ٢١؛ ابن سعييد المغرب ٣٩/١؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٢٥٨/٨؛ المقرئ نفح الطيب ٣٨٢/٣ . وانظر قصته في البحث : ص ٧٤ .

٥ - انظر: أحمد الناصري الاستقصا ١٩١/٥ .

تَرَكَ الْيَهُودِيَّةَ إِلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ وَضَعَ رِسَالَةً قَبْلَ سَنَةِ ٨٠٢ هـ أَسَمَاهَا "السَّيْفُ الْمَمْدُودُ فِي الرَّدِّ عَلَى أَخْبَارِ الْيَهُودِ" ^(١)، وَقِيلَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ الْإِسْلَامِيُّ وَغَيْرُهُمْ. لَكِنْ شَكٌّ فِي صِحَّةِ إِسْلَامِ بَعْضِهِمْ أَحْيَانًا؛ فَلَا زَمَ الشَّاعِرُ ابْنَ سَهْلٍ وَصَفَ الْإِسْرَائِيلِيَّ وَالْيَهُودِيَّ كَثِيرًا تَذْكِيرًا بِدِينِ أَسْلَافِهِ، وَسِيُخَصَّصُ الْبَحْثُ حَدِيثًا حَوْلَ مَا قِيلَ فِي صِحَّةِ إِسْلَامِ ابْنِ سَهْلٍ ^(٢)، وَقِيلَ إِنَّ مُوسَى بْنَ مَيْمُونٍ (٥٣٠-٦٠٢ هـ) ^(٣) الْقُرْطُبِيُّ تَظَاهَرَ بِالْإِسْلَامِ فِي الْمَغْرِبِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى يَهُودِيَّتِهِ بِمِصْرَ، وَصَارَ رَئِيسًا عَلَيْهِمْ وَاشْتَغَلَ بِاللَّاهُوتِ الْيَهُودِيِّ ^(٤).

ثَالِثًا: - قَضَاءُ الْيَهُودِ فِيمَا بَيْنَهُمْ .

مِنْ أَكْثَرِ الْإِشَارَاتِ عَلَى مَدَى الْحُرِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا يَهُودُ الْأَنْدَلُسِ وَجُودُ قَضَاءٍ مُسْتَقَلٍّ بِهِمْ، وَفِي كُتُبِ النَّوَازِلِ أَسْنَلَةٌ تُؤَكِّدُ أَنَّهُمْ تَمَيَّزُوا بِقَضَاءٍ لَا يَتَدَخَّلُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ. وَوَصَلَ الْحَالُ بِهِمْ أَنْ طَالَبُوا فِي أَكْثَرِ مَنْ نَازِلَةٍ أَنْ يَنْظُرَ قَضَاءُ مُسْلِمُونَ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ. فَسُئِلَ ابْنُ الْعَطَّارِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ يُطَالِبُونَ شَخْصًا مِنْهُمْ بِمَظَالِمٍ وَدَعَاوَى، وَيَذْهَبُونَ إِلَى مُحَاكَمَتِهِ بِبَيْتَةِ الْيَهُودِ، لَكِنَّ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ يَرْغَبُ بِمُحَاكَمَتِهِ عِنْدَ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ، إِذْ بِيَدِهِ وَثِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ بِعُدُولِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يَطْلُبُونَهُ مِنْهُ ^(٥). وَسُئِلَ فَقَهَاءُ قُرْطُبَةٍ عَنْ يَهُودِيٍّ ذَكَرَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْيَهُودِ طَلَبَتْهُ عِنْدَ قَضَاتِهِمْ بِأَشْيَاءَ ادَّعَتْهَا عَلَى أَبِيهِ، فَادَّعَى أَنَّ بِيَدِهِ سِجِلًا لِقَاضِي الْجَمَاعَةِ وَوَتَائِقَ مُنْعَقَدَةً بِالْخَطِّ الْعَرَبِيِّ وَشُهُودِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَثْبَتَ أَنَّ قَضَاءَ الْيَهُودِ وَقُفَّهَاءَهُمْ عَلَى عِدَاوَةِ أَبِيهِ، وَأَنَّ شُهُودَهَا مِنَ الْيَهُودِ، وَمَتَى خَرَجَ نَظَرُهَا عَنْهُمْ بَطَلَ حَقُّهَا ^(٦). فَكَانَ جَوَابُ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ أَنَّ الَّذِي جَرَى الْعَمَلُ بِهِ بِالْأَنْدَلُسِ إِذَا تَظَالَمَ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْحُقُوقِ وَدَعَا أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ مِنْهُمْ إِلَى حُكْمِ الْإِسْلَامِ، وَدَعَا الثَّانِي إِلَى قَضَاتِهِمْ، أَنْ يَرْفَعُوا إِلَى قَضَاتِهِمْ، كَيْفَ وَالطَّالِبَةُ تَقُولُ إِنَّ شُهُودَهَا مِنَ الْيَهُودِ وَلَا تُمْكِنُهُمْ الشَّهَادَةُ

١ - انظر: عطاء ربه اليهود في بلاد المغرب الأقصى ص ٢٠١ .

٢ - انظر في البحث : ص ١٩٩-٢٠٣ .

٣ - هو الطبيب الفيلسوف: موسى بن ميمون القرطبي (٥٣٠-٦٠٢ هـ) وُلِدَ فِي قُرْطُبَةٍ وَتَلَفَّى عُلُومَهُ فِيهَا، ثُمَّ هَاجَرَتْ عَائِلَتُهُ سَنَةَ ٥٤٤ هـ إِلَى إفريقية ثُمَّ إِلَى فِلَسْطِينَ، وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ سَنَةَ ٥٦١ هـ وَخَدَمَ الْقَاضِي الْفَاضِلَ، وَقِيلَ إِنَّهُ طَبَّبَ صَاحِبَ الدِّينِ الْأَيُّوبِي، وَقِيلَ إِنَّهُ تَظَاهَرَ بِالْإِسْلَامِ فِي الْمَغْرِبِ وَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَاشْتَغَلَ بِالْفِقْهِ، ثُمَّ عَادَ فِي مِصْرَ إِلَى يَهُودِيَّتِهِ، وَصَارَ رَئِيسًا لِلْيَهُودِ، وَبَحَثَ فِي الطَّبِّ وَالْفَلَسَفَةِ وَاللَّاهُوتِ، وَلَهُ مَوْلُفَاتٌ أَهْمُهَا دَلَالَةُ الْخَائِرِينَ، تُؤَقَّى بِالْقَاهِرَةِ، وَنَقَلَ رَفَاتَهُ إِلَى طَبْرِيقَةٍ، وَلَا يَزَالُ قَبْرُهُ قَائِمًا فِيهَا .

انظر: القفطي إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٠٩-٢١٠؛ ابن أبي أصيبعة غيون الأنباء ١/٥٨٢-٥٨٣؛ الكُتُبُ فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ ٢/٥٣٧-٥٣٨؛ عبد العزيز عبد الله الطب والأطباء في المغرب ص ٣٩؛ ول ديورانت قصة الحضارة ٤٧/١٤ وما بعدها، ١٢٠-١٣١؛ إسرائيل ولفسون موسى بن ميمون ص ١-٤؛ خوان فيرنيت فضل الأندلس على ثقافة الغرب ص ٨٢-٨٣؛ أحمد شحلان موسى بن ميمون وكتابه دلاله الخائرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ع ٥٦، ١٩٧٩ م، ص ١-٢٣ .

٤ - انظر: ابن أبي أصيبعة غيون الأنباء ١/٥٨٢ .

٥ - انظر: الوثائقي المعيار المغرب ١٠/٥٦ .

٦ - انظر: نفسه ١٠/١٢٨ - ١٢٩ .

إِلَّا عِنْدَ قُضَاتِهِمْ. إِلَّا أَنَّهُ اسْتِنَادًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ) ^(١) يُخَيَّرُ حَاكِمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ إِذَا جَاؤُوا رَاضِينَ بِحُكْمِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢).

وَكَانَ دِينُهُمْ مُعَظَّمًا حِينَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ مُسْلِمُونَ، فَقِيلَ إِنَّ الْقَاضِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْأَلْبَدِيِّ ^(٣) كَانَ يَطْلُبُ مِنَ الْعَرَبِ مِنَ الْيَهُودِ الْحَلْفَ بِالتَّوْرَةِ ^(٤). وَمِنْ أَطْرَفِ مَا قَرَأْتُ عَنْ إِنْصَافِ الْيَهُودِ مَا قِيلَ مِنْ أَنَّ الْقَاضِي سُلَيْمَانَ بْنَ أَسْوَدَ ^(٥) طَلَبَ بِمَارِدَةَ لِلْحُكْمِ بَيْنَ تاجر يَهُودِيٍّ وَمُحَمَّدٍ أَمِيرِهَا، فَقَدِمَ الْيَهُودِيُّ بِرَقِيقٍ مِنْ جَلِيقَةٍ ^(٦)، وَكَانَ فِيهِمْ جَارِيَةٌ رَائِعَةُ الْجَمَالِ، تَشْتَطُّ الْيَهُودِيُّ فِي تَمْنِهَا عَلَى الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ، فَأَمْسَكَهَا الْأَمِيرُ، فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى سُلَيْمَانَ، قَالَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ أَنْكَرَهَا الْأَمِيرُ، فَمَا كَانَ مِنَ الْقَاضِي إِلَّا أَنْ رَكِبَ إِلَى قَرْطَبَةَ لِيَشْكُوهُ عِنْدَ أَبِيهِ، فَحِينَئِذٍ رَدَّهَا عَلَى الْيَهُودِيِّ، فَقَالَ الْقَاضِي لِلْيَهُودِيِّ: قَدْ بَلَغْتُكَ مَا طَلَبْتَهُ، وَأَرَى أَنْ تَصِيرَ الْجَارِيَةُ إِلَى الْأَمِيرِ بِمَا أَحَبَّهُ مِنَ الثَّمَنِ فَهَذَا أَشْبَهُ بِالْأَمِيرِ وَالْيَقُ فَفَعَلَ ذَلِكَ ^(٧). فَأَوْصَلَ إِلَى الْيَهُودِيِّ حَقَّهُ أَوَّلًا، ثُمَّ اقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَاهَمَ مَعَ خَصْمِهِ الْأَمِيرِ حَوْلَ الثَّمَنِ.

المبحث الخامس: الحياة الثقافية لليهود في الأندلس.

شارك اليهود في كثير من مناجي الحياة الثقافية في الأندلس، صحيح أنهم ذابوا في الحضارة العربية لكن كان لهم أثر واضح فيها من عدة نواح، منها:

أولاً: - تعليمهم ومدارسهم.

وُجِدَ اتِّجَاهَانِ لِتَعْلِيمِ أَبْنَاءِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ؛ النَّمَطُ الدِّينِيُّ الْيَهُودِيُّ وَالتَّعْلِيمُ الْعَرَبِيُّ:

١ - النَّمَطُ الدِّينِيُّ الْيَهُودِيُّ:

يَرَى وَلِ دِيُورَانْتِ أَنَّ نَمَطَ التَّعْلِيمِ الْيَهُودِيِّ الدِّينِيِّ فِي إسبانيا الإسلامية لَمْ يَخْتَلَفْ عَنِ النَّمَطِ الَّذِي كَانَ سَائِدًا فِي بَابِلَ، فَكَانَ الْأَطْفَالُ يَتَعَلَّمُونَ مَا يُؤَهِّلُهُمُ لِلْمُشَارَكَةِ فِي الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ فِي

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ، آيَةُ ٤٢ .

٢ - انْظُرْ: الْوَلُشَّرِيسِي الْمَغْرِبِ ١٢٨/١٠ - ١٢٩ .

٣ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَلْبَدِيُّ، قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِعَرْنَاطَةَ . انْظُرْ: الْوَلُشَّرِيسِي الْمَغْرِبِ ٣٠٩/١٠ .

٤ - الْوَلُشَّرِيسِي الْمَغْرِبِ ٣٠٩/١٠ .

٥ - هُوَ الْقَاضِي: أَبُو أَيُّوبِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَسْوَدَ، عَمِلَ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ زِيَادٍ وَأَخِيهِ مُحَمَّدٍ بَعْدَهُ. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ كَانَ صَالِحًا مُتَّقِفًا .

انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٥١/١ - ١٥٢ .

٦ - جَلِيقَةُ: بِكَسْرَتَيْنِ وَاللَّامُ مُشَدَّدَةٌ وَيَاءُ سَاكِنَةٌ وَقَافٌ مَكْسُورَةٌ وَيَاءُ مُشَدَّدَةٌ وَهَاءُ، مَدِينَةٌ قَرِبَ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ مِنْ نَاحِيَةِ شِمَالِي الْأَنْدَلُسِ فِي أَقْصَاءِ مَنْ جِهَةِ الْغَرْبِ. وَصَلَ إِلَيْهِ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ لَمَّا فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ . انْظُرْ: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١٥٧/٢ .

٧ - انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٥١/١ .

المُعَبَّد. وَكَانَ يُطْلَبُ مِنْ كُلِّ جَالِيَّةٍ يَهُودِيَّةٍ فِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْ تُقِيمَ عَلَى نَفَقَتِهَا مُجْتَمَعَةً مَا لَا يَقِلُّ عَنْ مَدْرَسَةٍ ابْتِدَائِيَّةٍ وَأُخْرَى ثَانَوِيَّةٍ دَاخِلِ الْكَنِيسِ الْيَهُودِيِّ فِي الْعَادَةِ، وَكَانَ يُشَارُ إِلَى الْعُلَمَاءِ أَلَا يَعِيشُوا فِي بَلَدٍ يَخْلُو مِنْ هَاتَيْنِ الْمَدْرَسَتَيْنِ^(١)، وَكَانَ التَّرْكِيزُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقِرَاءَةِ وَالصَّلَوَاتِ وَعَلَى دِرَاسَةِ التَّوْرَةِ وَالتَّلْمُودِ، وَظَلَّتْ بَعْضُ الْمَدَارِسِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَرْكُزُ عَلَى تَعْلِيمِ الشَّرِيعَةِ الْيَهُودِيَّةِ حَتَّى فِتْرَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ؛ فَقَدْ أَصْدَرَ سَلِيمَانُ بْنُ أَبِرَاهَامَ بْنُ أَرْدُوطَ زَعِيمُ يَهُودِ بَرْشَلُونَةِ عَامَ ٧٠٤ هـ قَرَارًا بِحَرْمَانِ كُلِّ يَهُودِيٍّ يَعْلَمُ أَيَّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ غَيْرِ الدِّينِيَّةِ مَا عَدَا الطَّبَّ أَوْ آيَةَ فَلَاسَفَةٍ غَيْرِ يَهُودِيَّةٍ أَوْ يَجْرُو عَلَى دِرَاسَةِ شَيْءٍ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ^(٢).

وَتَغَيَّرَ الْحَالُ قَلِيلًا لَمَّا افْتَدَى مُوسَى بْنُ حَنُوحَ (سَنَةِ ٣٦٤ هـ)^(٣) مِنَ الْأَسْرِ بِقَرْطَبَةٍ حَيْثُ أَنْشَأَ بِمَعُونَةِ حَسَنَائِهِ مَجْمَعًا عِلْمِيًّا مَا لَبِثَ أَنْ أَصْبَحَتْ لَهُ الزَّعَامَةُ الْفَعْلِيَّةُ عَلَى يَهُودِ الْعَالَمِ كُلِّهِ. وَافْتَتَحَتْ مَجَامِعُ مِثْلِهِ فِي أَلِيَسَانَةِ وَطَلَيْطَلَةِ وَبَرْشَلُونَةِ وَغَرْنَاطَةِ، وَكَانَتِ الْمَدَارِسُ الْيَهُودِيَّةُ فِي الشَّرْقِ تُقْصِرُ نَشَاطَهَا عَلَى التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ، بَيْنَمَا هَذِهِ تَعْلَمُ فِيمَا تَعْلَمُهُ الْأَدَبُ وَالْمُوسِيقَى وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَالْهَيْئَةُ وَالطَّبَّ وَالْفَلَاسَفَةَ. فَقَالَ بَعْضُ يَهُودِ إِسْبَانِيَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سِعَةً وَعُمُقًا فِي الثَّقَافَةِ. فَكَانَ مِمَّا يُسَرِّبُ الرَّجُلَ الْعِلْمَ وَصَاحِبَ الْمَرْكَزِ السِّيَاسِيِّ بِالْعَارِ أَلَا يَلْمُ بِالتَّارِيخِ وَالْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْفَلَاسَفَةِ وَالشُّعْرِ^(٤).

وَسَاعَدَ مُوسَى بْنُ حَنُوحَ فِي مَجْمَعِ قَرْطَبَةِ عُلَمَاءُ يَهُودٍ مِنْهُمْ اللُّغَوِيُّ مَنَاحِيمُ بْنُ سُرُوقَ، وَالنَّحْوِيُّ يَهُودَا بْنُ حَيُّوجَ^(٥)، وَدُونَاشُ بْنُ لِبْرَاطَ^(٦)، وَأَبُو الْوَلِيدِ مَرْوَانُ بْنُ جَنَاحَ وَغَيْرُهُمْ. وَصَيَّرَ هَؤُلَاءِ قَرْطَبَةَ مَرْكَزًا مِنْ مَرَائِجِ الثَّقَافَةِ الْيَهُودِيَّةِ عِدَّةَ قُرُونٍ^(٧). ثُمَّ ظَهَرَ فِيهَا يَعْقُوبُ بْنُ جُو، وَيُوسُفُ بْنُ أَبِي ثَوْرٍ الَّذِي نَازَعَ يُونُسَ بْنَ جَنَاحَ عَلَى الرَّئَاسَةِ، فَانْقَسَمَ يَهُودُ قَرْطَبَةَ إِلَى حَزْبَيْنِ: جَمَاعَةٌ تَتَشَبَّعُ لِيُوسُفَ بْنِ جَنَاحَ، وَأُخْرَى إِلَى حَنُوحَ، وَلَجَأُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ فَنَصَحَ ابْنُ أَبِي ثَوْرٍ أَنْ يَرْحَلَ مِنْ

١ - انْظُرْ: وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْخَضَارَةِ ٩/١٤-١٠.

٢ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٣٤/١٤.

٣ - هُوَ: مُوسَى بْنُ أَنُوحَ، Moses ben Enoch وَتَلَفُظُ وَشَنُوكَ وَأَخْنُوحَ وَهَنُوحَ عَالَمُ يَهُودِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، اشتهر بعلمه بالتَّلْمُودِ، جَاءَ إِلَى قَرْطَبَةَ، فَأَقَامَ بِهَا، وَاتَّصَلَ بِابْنِ سَعْدِيَا الْفَيُومِيِّ وَرَاسَلَهُ لِيُسَاعِدَهُ فِي حَلِّ بَعْضِ الْمَشْكَلاتِ. انْظُرْ: جَوَادُ عَلِي مَا عَرَفَهُ ابْنُ

النَّدِيمِ عَنْ الْيَهُودِيَّةِ وَالتَّنْصُرَانِيَّةِ؛ الْقِسْمُ الثَّانِي مَجَلَّةُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، م ١٠، ١٩٦٣م، ص ١٧٢.

٤ - انْظُرْ: وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْخَضَارَةِ ٥٣/١٤.

٥ - هُوَ: يَهُودَا بْنُ حَيُّوجَ وَبِالْعَرَبِيَّةِ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ دَاوُدَ بْنِ حَيُّوجَ، وَلَدَ فِي فَاسَ ثُمَّ رَحَلَ إِلَى قَرْطَبَةَ وَظَلَّ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ، وَلَهُ مَوْلُفاتٌ عَدِيدَةٌ فِي النُّحُو. انْظُرْ: عَطَا رِيَّةُ الْيَهُودِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ص ٢٠٤؛ وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْخَضَارَةِ ٩٦/١٤.

٦ - هُوَ الشَّاعِرُ: دُونَاشُ هَالِيفِي بْنُ لِبْرَاطَ، وَلَدَ بِفَاسَ سَنَةَ ٤٧٨ هـ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى قَرْطَبَةَ الْأَنْدَلُسِ، وَكَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي إِدْخَالِ أَوْزَانِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، فَجَدَّدَ الشُّعْرَ الْعَبْرِيَّ بِإِدْخَالِهِ الْبُحُورَ الْعَرَبِيَّةَ فِيهِ، وَكَانَ دَا بَاعَ طَوِيلَ فِي شُعْرِ الْمَدْحِ، نَظَّمَ قِصَائِدَ عَدِيدَةً فِي الْمَدْحِ.

انْظُرْ: مُحَمَّدُ بَحْرُ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٢٧-٣١؛ عَطَا رِيَّةُ الْيَهُودِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ص ٢٠٥-٢٠٦.

٧ - انْظُرْ: جَوَادُ عَلِي مَا عَرَفَهُ ابْنُ النَّدِيمِ عَنْ الْيَهُودِيَّةِ وَالتَّنْصُرَانِيَّةِ - الْقِسْمُ الثَّانِي ص ١٧٢.

قُرْطُبَة، فَاُمْتَنَل وَرَحَلَ إِلَى سُوْرِيَة، وَبَعْدَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ أَرْسَلَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ بْنُ جُو يَفْتَرِحُ عَلَيْهِ الْعَوْدَةَ إِلَى قُرْطُبَة لِيَتَسَلَّمَ رِئَاسَةَ الْمَدْرَسَةِ، لَكِنَّهُ رَفَضَ، وَمَاتَ فِي دِمَشْقَ سَنَةَ ٤٠٢ هـ^(١).
 وَنَشِطَ التَّأْلِيفُ فِي عُلُومِ الْيَهُودِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَعَمِلَ إِسْحَاقُ الْقَاسِي (ت: ٩٧ هـ) عَلَى إِثْرَاءِ الدِّرَاسَاتِ الدِّينِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ، وَاسْتَغْرَقَ شَرْحَهُ لِلتَّلْمُودِ خَمْسِينَ سَنَةً، ثُمَّ أَسَّسَ فِي أَلِيَسَانَةَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَيْهَا مَدْرَسَةً لِلدِّرَاسَاتِ التَّلْمُودِيَّةِ ثُمَّ أَتَى أَبْرَاهَامُ بْنُ عِزْرَا (ت: ٥٦٢ هـ)^(٢). فَشَرَحَ الْقَوَانِينَ التَّلْمُودِيَّةَ فِي أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ مُجَلَّدًا^(٣).
 وَبَعْدَهُ أَلْفَ مُوسَى بْنُ مَيْمُون (ت: ٦٠٢ هـ) كِتَابًا لَعَلَّهُ أَهَمُّ مَا ظَهَرَ فِي فَقْهِ الْيَهُودِ، وَسَمَّاهُ "مَشْنِي تَوْرَا" أَيْ إِعَادَةُ الشَّرِيعَةِ وَاشْتَهَرَ بِاسْمِ "يَدِ حَزَاقَةِ أَيْ الْيَدِ الْقَوِيَّةِ"، صَاغَ فِي أَجْزَائِهِ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ كُلَّ أَحْكَامِ التَّلْمُودِ وَالْمَشْنَا وَالتَّوْرَةِ^(٤)، وَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ "السَّرَاجَ" وَهُوَ شَرْحٌ دَقِيقٌ "لِلْمَشْنِي"، وَأَلْفَ ابْنِ مَيْمُون بِالْعَرَبِيَّةِ "كِتَابَ الْفَرَائِضِ" يَدْفَعُ بِهِ النَّقْدَ الْمُوجَّهَ إِلَيْهِ^(٥). فَقَدْ شَنَّ يَهُودٌ كَثِيرُونَ الْعَارَةَ عَلَيْهِ لِمُحَاوَلَتِهِ إِخْلَالَ الْفَلَسَفَةِ مَحَلَّ التَّلْمُودِ وَشَكَّكُوا بِهِ وَدَنَسُوا قَبْرَهُ، وَقِيلَ إِنَّ فِي كُتُبِهِ آرَاءَ خَارِجَةٍ عَنِ الدِّينِ شَدِيدَةَ الْخَطَرِ، فَأُخْرِقَتْ كُتُبُهُ فِي احْتِفَالٍ عَامَ ٦٣١ هـ فِي مُنْبَلِيَّةِ، وَفِي بَارِيَسَ عَامَ ٦٣٩ هـ وَأُخْرِقَ التَّلْمُودُ فِي بَارِيَسَ، ثُمَّ نَدِمَ بَعْضُهُمْ فَقَدِمَ الْكُوهَنَ جَنَاحَ إِلَى مُنْبَلِيَّةِ وَكَفَّرَ عَنْ مُشَارَكَتِهِ فِي إِخْرَاقِ كُتُبِ ابْنِ مَيْمُونَ عَلَنًا فِي كَنِيْسَتِهَا وَحَجَّ تَائِبًا إِلَى قَبْرِهِ^(٦).

٢ - التَّعْلِيمُ الْعَرَبِيُّ:

تُرِكَ لِلْيَهُودِ حُرِّيَّةُ تَعْلِيمِ أَوْبَانِهِمْ عُلُومَ التَّوْرَةِ وَالْكِتَابَةِ بِالْعِبْرِيَّةِ، فَضْلًا عَنِ الْعُلُومِ الْأُخْرَى مِثْلَ الْحِسَابِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ الَّتِي دَرَسُوهَا عَلَى يَدِ شَيْوُخٍ مُسْلِمِينَ. وَيَرَى مُونْتِغَمَرِي وَاتَّ أَنَّ يَهُودَ إسبَانِيَا خَاصَّةً مَدِينِينَ لِلْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ، فَجَلَسَ عَدِيدٌ مِنْهُمْ عِنْدَ أَقْدَامِ أَسَاتِذَةٍ يَتَكَلَّمُونَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَأَلْفُوا كُتُبَهُمْ بِهَا كَابِنِ مَيْمُون^(٧) الَّذِي دَرَسَ فِي مَدَارِسِ قُرْطُبَة، وَمِنْ شَيْوُخِهِ تَلْمِيذٌ مِنْ

١ - مُحَمَّدُ بَحْرُ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٣٥-٣٦ .

٢ - هُوَ: أَبْرَاهَامُ بْنُ عِزْرَا الطَّلَيْطَلِي، يُسَمَّى بِالْحَكِيمِ الْكَبِيرِ، قَضَى شَطْرًا مِنْ حَيَاتِهِ الْأُولَى فِي مَدِينَةِ قُرْطُبَة، كَتَبَ عِدَّةَ مَوْلاَفَاتٍ فِي النُّحُو وَالْفَلَسَفَةِ وَالْفَلَكِ وَالطَّبِّ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، وَكَتَبَ شَرْحًا لَفْظِيًّا لِلصُّوَرِ كُتُبَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَخَرَجَ عَلَى النَّاسِ بِأَفْكَارٍ تَنْصَارِبُ مَعَ أَفْكَارِ مَعَاصِرِهِ فَاصْطَدَمُوا بِهِ، وَاضْطَرُّوا إِلَى الرَّحِيلِ عَنْ وَطَنِهِ فَلَمْ يَقَرَّ لَهُ قَرَارٌ، فَتَقَلَّ بَيْنَ إِيْطَالِيَا وَفَرَنْسَا وَالْيُونَانِ وَلَنْدَنِ الَّتِي اتَّخَذَهَا مَقَرًا لَهُ حَتَّى وَافَتِهِ مَنِيَتُهُ سَنَةَ ٥٦٢ هـ .
 انْظُرْ: رِيحِي كَمَالُ دُرُوسٌ فِي اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ ص ٤٧-٤٨؛ مُحَمَّدُ مَجِيدُ السَّعِيدُ الشُّعْرُ فِي عَهْدِ الْمُرَابِطِينَ وَالْمُوحِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ ص ٥٥؛ أَنْخِلُ جُنَّالِثٌ بِالنُّشَا تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٢٦، ٥٠٠-٥٠١؛ مُونْتِغَمَرِي وَاتَّ أَثَرُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَوْرُوبَا ص ١٢٨ .

٣ - انْظُرْ: إِبرَاهِيمُ بُونْتِشِيَشْ مَبَاحِثٌ فِي التَّارِيخِ الْاجْتِمَاعِيِّ لِلْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ، خِلَالَ عَصْرِ الْمُرَابِطِينَ ص ١٠٦ .

٤ - انْظُرْ: حَسَنُ ظَاطَا الْفِكْرُ الدِّينِيُّ الْيَهُودِي؛ أَطْوَارُهُ وَمَذَاهِبُهُ ص ٩٠ .

٥ - انْظُرْ: أَنْخِلُ جُنَّالِثٌ بِالنُّشَا تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٥٠٢ .

٦ - انْظُرْ: وَلِ بِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ١٤/١٣٤ .

٧ - انْظُرْ: مُونْتِغَمَرِي وَاتَّ فِي تَارِيخِ إسبَانِيَا الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٦٧ .

تلاميذ ابن باجة^(١) وأظهر بعض اليهود نجابة اعترف بها معلّموهم العرب؛ فأبو عامر ابن شهيد (٣٨٢-٤٢٦هـ) يقول إن يوسف بن إسحاق الإسرائيلي كان أفهم تلميذ مرّ به^(٢). وكان لملوك العرب دور في دفع اليهود إلى التحول عن التعليم الديني إلى تعليم شامل منفتح، فيقول الراعي إن إبراهيم بن سهل وغيره من يهود الأندلس كانوا يقرأون اللغة والنحو والأدب، ويتعاطون العلوم العقلية كالطب والحساب وعلم الأحكام النجومية والنظم والنثر لأن ملوك الأندلس كانوا عرباً مجبولين على حب ذلك بطباعهم ومائيلين إليهم بخلقهم وحببتهم، غير أنهم لا يؤلون كتابة السر إلا لمن اجتمعت فيه أدوات ذلك^(٣)، وهذا ما جعل أبناء الطائفة اليهودية توافقة لمثل تلك الدراسات، حتى إننا نسمع عن يهود وعرب في هذه الفترة درسوا معاً على معلم واحد، وهكذا. وسرعان ما أضحي صاحب الثقافة المتعددة الجوانب شخصية مختزلة بين يهود الأندلس^(٤). وظهر أثر هذا التعليم في الأدب؛ فيرى ريموند شابندلين أن من أهم ما أنجزه يهود الأندلس الثقافة الأدبية التوفيقية التي جمعت بين الأفكار والأشكال الأدبية العربية والعبرية. ولعب حاخامات البلاط أمثال ابن شبروط وابن غريشة دوراً بارزاً في تغذية هذا الأدب. ولم يكن رجال البلاط اليهودي يستطيعوا أداء مهامهم الرسمية ما لم يستعدوا لها بثقافة عربية شبيهة بتلك التي تمتع بها أقرانهم المسلمون، ولم تكن اللغة عائقاً لأن اليهود كانوا يتكلمون العربية^(٥). ولم يكتف ملوك الأندلس بجلب طلبة اليهود لهذه المدارس، بل ألغوا الطائفة فيها، وكانت المدارس الابتدائية كثيرة العدد، وأضاف الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ)^(٦) سبعة وعشرين مدرسة لتعليم أبناء الفقراء بالمجان^(٧)، وكان الحكم مستجلباً للعلماء من كل الآفاق مقرباً لهم، ذا وله بالمطالعة

١ - انظر: أنخل جُنْثَالْت بالنشأ تاريخ الفكر الأندلسي ص ٥٠٢ .

٢ - انظر: ابن بسام النخبة ق ١، م ٢٣٣/١ .

٣ - انظر: الراعي الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، حوليات الجامعة التونسية، ع ٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤١ .

٤ - انظر: ريموند شابندلين اليهود في إسبانيا المسلمة ترجمة: مزيم عبد الباقي، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/ ٣٠٧ .

٥ - انظر: نفسه ١/ ٣٠٦ .

٦ - هو: المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن بن محمد الأموي المرواني، يكنى أبا العاص ويلقب بأمير المؤمنين بالأندلس، بويغ بعد أبيه سنة ٣٥٠هـ، وعني بتقريب العلماء، وكان حسن السيرة جامعاً للعلم والكتب القيسة الكثيرة بحيث إنها قاربت نحواً من مائتي ألف سفر، جمع ما لم يجمعه أحد من الملوك لا قبله ولا بعده، واشترى له من البلاد البعيدة بأعلى الأثمان فضائق خزائنه بالكتب. ولما تجد له كتاباً إلا وله فيه قراءة أو نظر من أي فن، ولي الحكم بعده ابنه هشام وكان ابن تسع سنوات .

انظر: محمد القاضي الإنباء بانباء الأنبياء ص ٢٥١؛ الضبي بغية المتلهم ١/ ٤٠-٤٢؛ عبد الواحد المراكشي المفج ص ٢٦-٢٩؛ ابن الأبار الخلة السيرة ١/ ١٩٩-٢٠١، ابن الأبار التكملة ١/ ٢٢٦-٢٢٧؛ ابن جداري المراكشي البيان المغرب ٢/ ٢٢٣-٢٥٢؛ ابن سعيد المغرب ١/ ١٨٦-١٨٧؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٦٩-٢٧١؛ المقرئ تفتح الطبيب ١/ ٣٦٥-٣٧٨ .

٧ - انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ١٣/ ٣٠٦ .

وَتَحْصِيلِ الْكُتُبِ النَّفِيسَةِ^(١)، وَكَانَ لَهُ وَرَاقُونَ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ يَنْتَخِبُونَ لَهُ غَرَائِبَ التَّوَالِيفِ وَرِجَالٌ يُوجِّهُهُمْ إِلَى الْأَفَاقِ بَحْثًا عَنْهَا^(٢). وَفُتِحَ الطَّرِيقُ أَمَامَ الْيَهُودِ لِخَلْقِ نَوْعٍ جَدِيدٍ مِنَ التَّعْلِيمِ عَلَى يَدِ حَسْدَايَ بْنِ شَبْرُوطِ الَّذِي عَمِلَ بِفَضْلِ عِلَاقَتِهِ الْوَثِيقَةِ بِالْحَكَمِ عَلَى اسْتِجْلَابِ تَالِيفِ الْيَهُودِ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَكَانُوا قَبْلُ يَضْطَرُّونَ فِي مَعْرِفَةِ عُلُومِهِمْ إِلَى يَهُودِ بَغْدَادِ^(٣).

وَأَوَّلُ كَلِّيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ أُنْشِئَتْ بِإِشْرَافِ مُحَمَّدٍ الْقُرْمُوطِيِّ الْمُرْسِيِّ (ت: ٧٤٤هـ)^(٤) الَّذِي وَصَفَهُ رِيبِيرَا بِأَنَّهُ أُعْجُوبَةٌ فِي عِلْمِهِ الْوَاسِعِ الْغَزِيرِ الْعَمِيقِ^(٥)، وَلَمَّا تَغَلَّبَ الْفُونُسُ الْعَاشِرُ عَلَى مُرْسِيَّةٍ عَرَفَ لَهُ حَقُّهُ فَبَنَى لَهُ مَدْرَسَةً يُقْرَى فِيهَا الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى وَالْيَهُودَ^(٦)، فَكَانَ يُعَلِّمُ الطُّلَابَ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَدْيَانِ^(٧)؛ وَكَانَ يُقْرَىءُ الْأَمَمَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فُنُونَهُمُ الَّتِي يَرْغَبُونَ فِي تَعَلُّمِهَا^(٨) ثُمَّ وَجِدَتْ أُخْرَى فِي إِشْبِيلِيَّةٍ، فَاجْتَمَعَ فِي الْمَدْرَسَتَيْنِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى وَالْيَهُودِ^(٩) ثُمَّ فِي لُوسَانِيَا، وَمِنْ أَسَاتِذَتِهَا إِسْحَقُ بْنُ مَرْشَءَوَلٍ، وَتَلْمِيزُهُ مَرْوَانُ بْنُ جَنَاحٍ.

ثَانِيًا :- أَشْهُرُ عُلُومِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ .

كَثُرَ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ، لَكِنْ يُلَاحَظُ أَنَّ الْمَصَادِرَ الْعَرَبِيَّةَ تَجَاهَلَتْهُمْ؛ فَلَمْ يَذْكَرِ النَّدِيمُ مَثَلًا مِنْ الْيَهُودِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي فِهْرِيسِهِ سِوَى سَعْدِيَا الْفَيُومِيِّ (ت: ٣٣٠هـ)^(١٠)، وَذَكَرَ قَلِيلٌ

١ - قِيلَ إِنَّ كُتُبَهُ قَارِنَتْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ سَفَرٍ، وَقَالُوا أَرْبَعَانِ أَلْفًا، لَمَّا نَقَلُوهَا أَقَامُوا سِتَّةَ أَشْهُرٍ فِي نَقْلِهَا، وَوَعَدُوا الْكُتُبَ الَّتِي كَانَتْ فِيهِارَسَ بِأَسْمَاءِ الْكُتُبِ الَّتِي اجْتَمَعَتْ فِي خَزَائِنِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصَرِ أَرْبَعَةً وَأَرْبَعُونَ فِي كُلِّ مِنْهَا عَشْرُونَ وَرَقَةً. انْظُرْ: ابْنُ الْأَبَارِ الْخَلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢٠٢/١، ١٠١، ٢٠٣؛ ابْنُ سَعْدٍ الْمَغْرِبِ ١٨٦/١؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢٣٠/١٦؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٧٧/١.

٢ - انْظُرْ: ابْنُ الْأَبَارِ الْخَلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢٠٢/١.

٣ - انْظُرْ: ابْنُ أَبِي أَصْبِعَةَ عُيُونُ الْأَنْبَاءِ ٤٩٨/١.

٤ - هُوَ الْعَالِمُ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْقُرْمُوطِيُّ، وَقِيلَ الرَّقُوطِيُّ، الْمُرْسِيُّ، مِنَ النَّابِغِينَ فِي الرِّيَاضِيَّاتِ، مِنْ أَهْلِ رَقُوطَةَ، مِنْ أَعْمَالِ مُرْسِيَّةٍ، قَالَ الْمَقْرِي إِنَّهُ مِنْ أَعْرَافِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِالْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ: الْمُنْطِقِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْعَدَدِ وَالْمُوسِيقَى وَالطَّبَّ، وَكَانَ طَبِيبًا مَاهِرًا، آيَةً اللَّهِ فِي الْمَعْرِفَةِ بِالْأَنْدَلُسِ يُقْرَىءُ الْأَمَمَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فُنُونَهُمُ الَّتِي يَرْغَبُونَ بِهَا وَفِي تَعَلُّمِهَا، رَحَلَ إِلَى غَرْنَاطَةَ وَدَخَلَ فِي خِدْمَةِ سُلْطَانِهَا مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ الْأَحْمَرِ، فَأَنْشَأَ لَهُ مَدْرَسَةً تَوَلَّى تَدْرِيسَ الرِّيَاضِيَّاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ فِيهَا حَتَّى وَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٤٤هـ.

انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٦٧/٣؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٧١/٥ - ٢٧٢.

٥ - انْظُرْ: خُولِيَانُ رِيبِيرَا التَّرْبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ؛ أَسْوَئُهَا الْمَشْرِقِيَّةُ وَتَأْثِيرَاتُهَا الْغَرْبِيَّةُ ص ٢٤-٢٥.

٦ - انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٦٨/٣؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٧١/٥ - ٢٧٢.

٧ - انْظُرْ: خُولِيَانُ رِيبِيرَا التَّرْبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ؛ أَسْوَئُهَا الْمَشْرِقِيَّةُ وَتَأْثِيرَاتُهَا الْغَرْبِيَّةُ ص ٢٥.

٨ - انْظُرْ: الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٧١/٥.

٩ - انْظُرْ: أَنْخَلُ جُنَائِلَتِ بِالنَّشِاطِ تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٢٨.

١٠ - هُوَ: سَعْدِيَا بْنُ يُوسُفَ الْفَيُومِيِّ، وُلِدَ فِي مِصْرَ ٢٧٨هـ، وَهَاجَرَ إِلَى فِلَسْطِينَ وَبَابِلَ وَصَارَ رَئِيسًا لِمَدْرَسَةِ سُورَا عَلَى نَهْرِ الْفَرَاتِ. ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي فِهْرِيسِهِ، وَقَالَ إِنَّهُ مِنْ أَفَاضِلِ الْيَهُودِ وَعُلَمَائِهِمُ الْمُتَمَكِّنِينَ مِنَ اللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ، وَبَرَعُ الْيَهُودِ أَنَّهَا لَمْ تَرَ مِثْلَهُ، وَلِسَعْدِيَا مَوْلَاةٌ عَرَبِيَّةٌ أَلْفَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ، سَمَّى ابْنُ النَّدِيمِ أَغْلَبِيَّهَا، وَلَهُ مَوْلَاةٌ بِالْعِبْرَانِيَّةِ كَذَلِكَ، انْحَصَرَ عَمَلُهُ فِي مُحِيطِ اللُّغَةِ فَعَمِلَ مُعْجَمًا عَرَبِيًّا فِي جَزَائِنَ، وَتُوفِّيَ ٣٣٠هـ. انْظُرْ: ابْنُ النَّدِيمِ الْفَهْرِسْتُ ٣٤/١؛ إِبْرَاهِيمُ هِنْدَاوِي الْأَثَرُ الْعَرَبِيُّ فِي الْفِكْرِ الْيَهُودِيِّ ص ١٨٨؛ وَلِ بِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ١٤/٤٤؛ جَوَادُ عَلِي مَا عَرَفَهُ ابْنُ النَّدِيمِ عَنْ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ؛ الْقِسْمُ الثَّانِي مَجَلَّةُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، م ١٠، ١٩٦٣م، ص ١٥٦ - ١٥٨، ١٦٢ - ١٦٩.

منهم في المصادر العربية باختصار شديد، ويتفصيل أكثر في المراجع الحديثة التي اعتمدت على مصادر حديثة غير عربية، فكانوا كما يلي :

١- في النقل والترجمة .

تبدى أكبر دور لليهود بالأندلس في نقل حضارة العرب إلى أوروبا والعالم. وبدأ دورهم بالترجمة؛ فحين هادى الملك أرمانوس الخليفة الناصر سنة ٣٣٧ هـ كتاباً مكتوباً بالإغريقي وهو "مصور الحشائش" لديسقوريدس، طلب الناصر من أرمانوس أن يبعث إليه رجلاً ليعلّم له مترجمين، فبعث الراهب نقولا سنة ٣٤٠ هـ. وكان يومئذ بقرطبة أطباء منهم حسداي بن شبروط الإسرائيلي الذي كان أبحتهم وأحرصهم على ذلك من جهة التقرب إلى الناصر^(١)، وقد يكون يهود غير حسداي في هذا المجمع العلمي . وبدأ النقل بالترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية؛ وأقدم الترجمات من العبرية إلى العربية قام بها إسحاق بن روبيّن البرجلوني سنة ٤٧٠ هـ فترجم مقالة لليهود في البيع والشراء، وكذلك ترجم "الأصول" لمروان بن جناح بعنوان "ספר השושים"^(٢). ومن العربية إلى العبرية ترجم أبراهام بن صمويل بن ليفي بن حسداي كتباً كثيرة منها "الثقافة" لأرسطو سمّاه "ספר התפוח"، و"السلوك" للغزالي سمّاه "ميزان العمل" ٢٢٦ ٢٢٧ "واستبدل فيه اقتباسات من التوراة والتلمود باقتباسات القرآن والسنة، و"الاستقصاء" لإسحاق إسرائيل بعنوان "ספר הימודות"، و"الوصايا" لابن ميمون بعنوان "ספר המדות"^(٣). وشجع مشلم بن يعقوب^(٤) أبناء ملته على ترجمة ما كتبه اليهود بالعربية إلى العبرية، فترجموا "الكتاب الخزي" لليهودا هليفي (ت: ٥٤٠ هـ)^(٥)، و"إصلاح

١ - انظر: ابن أبي أصيبعة غيون الأنبا ١/ ٤٩٤ .

٢ - انظر: أنخل جنتالت بالنشيا تاريخ الفكر الأندلسي ص ٥٠١ - ٥٠٢؛ إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٨٨ .

٣ - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٨٨ .

٤ - هو : مشلم بن يعقوب، يهودي من أهل لوند جنوب فرنسا . انظر: أنخل جنتالت بالنشيا تاريخ الفكر الأندلسي ص ٥٠١ .

٥ - هو: يهودا هاليقي (بن ليفي) الطليطلي (٤٧٧ - ٥٤٠ هـ) يكنى العزب بأبي الحسن، من مؤسسي مدرسة لليهود في الأندلس، عاش في عهد المرابطين ومطلع دولة الموحدين، نظم أشعاره في قوالب وموضوعات عربية، وكان يكتب بالعربية في جمال نادر، له الكتاب المسمى "الخزي" . انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ٢٢٢ - ٢٢٣؛ نازك عبد

الفتاح عروض الشعر العبري ص ٤٠ - ٤١؛ ول ديورانت قصة الحضارة ١٤/ ١٠١، ١١٧؛ أنخل جنتالت بالنشيا تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٤،

٢٦؛ خوان فيرنيت فضل الأندلس على ثقافة الغرب ص ٤١٢ .

الأخلاق" و"مختار اللالي" لسليمان بن جبيرول (ت: ٤٦٢هـ) ^(١)، ورسانل ابن جناح في اللغة ^(٢). وبفضل ما ترجم إلى العبرية عزت العلوم الإسلامية المجتمعات اليهودية في أوروبا ^(٣).

٢ - في اللغة والأدب .

يرى هنداوي أن الدراسات النحوية لليهود في الأندلس وصلت النضوج خاصة بقرطبة، وأول عالم لغوي نحوي من اليهود ظهر في الأندلس مناحيم بن سوروب (٢٩٧-٣٤٨هـ) ^(٤) سكرتير حسداي بن شبروط الذي عمل على وضع معجم عبري يسمى "מחברת" أي الكراسة، وهو أول عمل لغوي في العبرية شمل الناحية اللغوية الكاملة للكتاب المقدس، كما شغل دوناش بن ليراط مكانة رفيعة في النحو العبري. وبعد أول من ميز بين الأفعال المتعدية وغير المتعدية ^(٥).

وظهرت مدارس للنحو عند اليهود، وانقسم علماء النحو بين مناحم ودوناش؛ فكان إسحاق ابن جيكايل ويهودا حيوج من تلاميذ مناحم واشتركا في كتاب يسمى "رد على الرد" خصص قسم منه لنقد دوناش وتأييد أقوال مناحم وحججه. وكان يهودا شيشيت من تلاميذ دوناش وكتب ردًا على تلاميذ مناحم في أسلوب هجائي شعري ^(٦). وكتب موسى بن جيكايل ^(٧) في النحو العبري مؤلفات مستقلة وترجم كتب حيوج إلى اللغة العبرية، كما ألف كتابًا على الجنس

١ - هو الفيلسوف والشاعر اليهودي: سليمان بن يهودا ابن جبيرول المعروف باسم أبي أيوب سليمان بن يحيى، ولد عام ٤١٣هـ، وتوفي سنة ٤٥٠هـ، أو ٤٦٢هـ، كان شاعرًا معروفًا، ومن أوائل رواد الفلسفة في الأندلس، تنقل بين مالقا وقرطبة وسرقسطة وغرناطة. وكان فقيرًا مريضًا قصده رئيس طائفة اليهود بسرقسطة أبا عامر يقوتيل ومحه في قصائد عدة، قتل أبو عامر سنة ٤٣٠هـ في السجن فرثاه، ثم هام على وجهه منبؤًا بسبب آرائه الفلسفية، فلجأ إلى ابن تغريلا في غرناطة فأكرمه ثم أنهمه بآرائه الفلسفية. عرف بكتابه ينبوع الحياة، وله إصلاح الأخلاق ومختار اللالي.

انظر: ربحي كمال دروس اللغة العبرية ص ٤٦؛ محمد بحر عبد المجيد اليهود في الأندلس ص ٥٢-٦٠؛ نازك عبد الفتاح عروض الشعر العبري ص ٥٥-٥٩؛ مونتغمري وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية ص ١٦٧؛ ول ديورانت قصة الحضارة ١١٤/١٥-١١٥؛ أنخل جنتال بالنيشيا تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٦، ٤٩٣، ٥٠١-٥٠٢؛ خوان فيرنيت فضل الأندلس على ثقافة الغرب ص ١٨٣-١٨٤؛ أ.ر جب الأدب ترجمة: عبد اللطيف حمزة بحث في: تراث الإسلام ص ٢٨٧، ٢٩٠؛ جواد علي ما عرفه ابن النديم عن اليهودية والنصرانية؛ القسم الثاني مجلة المجمع العلمي العراقي، م ١٠، ١٩٦٣م، ص ١٧١-١٧٤.

٢ - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٨٤.

٣ - انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ١١٠/١٤.

٤ - هو: مناحم بن سوروب (٢٩٧-٣٤٨هـ)، اتصل بحسداي بن شبروط وزير الخليفة الناصر وصار سكرتيرًا له. وتمتع بعطف حسداي وتشجيعه فأنتج ما هيا له مكانًا رفيعًا في تاريخ الفكر اليهودي.

انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٠؛ ول ديورانت قصة الحضارة ٩٦/١٤.

٥ - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٠-١١.

٦ - انظر: نفسه ص ١١.

٧ - هو: موسى بن جيكايل، نشأ في قرطبة وتركها إلى سرقسطة أثر الاضطرابات الأهلية.

انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٣.

في العبرية بعنوان "المذكر والمؤنث" ^(١). وعاصِر ابن جيجانيلا يهودا بن بلعام (ت ٤٩٣ هـ) ^(٢) الذي كتب عددًا من المقالات في النحو واللغة بعنوان "ما تشابه لفظه واختلف معناه"، وله كتاب "الحروف" وكتاب عن الأفعال، وآخر في الحركات والنبرات باسم "المرشد لقراءة الكتاب المقدس" ^(٣)، وألف إسحاق بن يشوس الطليطلي كتابًا في التصاريف، وألف داود بن هاجر من غرناطة كتابًا في الحركات، وليفي بن الثبان "المفتاح" في النحو، وتحدث ابن بارون عن العلاقة النحوية بين اللغتين العربية والعبرية في "كتاب الموازنة". ومن الملاحظ أن معظم هذه الكتب كتبت باللغة العربية ^(٤).

وحصص الشاعر يهودا هليفي جزءًا من كتابه "كزاري" لعلم الصوت وبنية النحو العبري. ووضع إسماعيل بن نغريلا تلميذ حيوج "كتاب الاستغناء" في علم اللغة من عشرين جزءًا ^(٥). إلا أن الفضل الأكبر لابن نغريلا يرجع إلى تشجيعه لدراسة النحو؛ فقد وجه عناية خاصة لهذه الدراسة بفضل مركزه الذي كان يتمتع به كرئيس لليهود فجمع كثيرًا من علماء اللغة والنحو حوله وشجعهم على البحث. منهم سليمان بن جبيرول الذي مدح ابن نغريلا بشعره ثم دمه ^(٦)، وألف ابن جبيرول مختصرًا للنحو العبري على غرار ألفية ابن مالك ^(٧)، ولشدة اهتمام ابن جبيرول بلغة قومه صاغ قصيدة عبرية من أربعمائة بيت على بحر الرجز يتحسر فيها على انصراف اليهود وسماتهم "الجماعة العمياء" عن لغتهم والتكلم بعجمية أهل الأندلس إيدوم Edom وبعضهم الآخر يستعمل لغة كيدار Kedar أي اللغة العربية ^(٨).

أما بالنسبة للأدب فقد وضع أبراهام بن عزرا (ت ٥٦٢ هـ) قطعة أدبية على نهج "حي بن يقظان" أسماها "حي بن مقيص" ^(٩). كما قام عزرا بن يعقوب (٥٦٥-٦٢٩ هـ) بترجمة كتاب "كليلا ودمنة" إلى العبرية يسمونه "أساطير بيدبا الفيلسوف الهندي" ^(١٠). كما ألفوا قصصًا عبرية

-
- ١ - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٣ .
 - ٢ - هو : يهودا بن بلعام، ولد في طليطلة واستوطن إشبيلية وتوفي عام ٤٩٣ هـ وكتب عددًا من المقالات في النحو واللغة .
 - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٤ .
 - ٣ - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٤ .
 - ٤ - انظر: نفسه ص ١٥ .
 - ٥ - انظر: نفسه ص ١١ .
 - ٦ - انظر: محمد بحر عبد المجيد اليهود في الأندلس ص ٤٣، ٥٦؛ إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ٩٧ .
 - ٧ - الكتاب مكوّن من أربعمائة بيت من الشعر التزم فيها توالي حروف الأبجدية العبرية في أول كل بيت .
 - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٤ .
 - ٨ - انظر: أنخل جُنثاليت بالنشأ تاريخ الفكر الأندلسي ص ٤٩٤ .
 - ٩ - تصوّر في القصة أنه قابل شيخًا يدعى ابن مقيص وقاما برحلة بين الأفلاك، غلب عليها الطابع الفلسفي .
 - انظر: محمد بحر عبد المجيد اليهود في الأندلس ص ٨٢-٨٥ .
 - ١٠ - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٢٠ .

مُتَّخِذِينَ مِنَ الْقِصَصِ الْعَرَبِيَّةِ مِثَالًا يَحْتَذُونَهُ، وَأَشْهَرُهَا يُوسُفَ زَبَارَا (٥٣٤-٥٩٦هـ) قِصَّةُ "יִשְׁשכָּר" أَيِ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ (١). وَلَأَبْرَاهَامَ بْنِ صَمُوئِيلَ بْنِ حَسْدَايَ قِصَّةُ بِعُنْوَانِ "الْأَمِيرُ وَالْذَّرْوِيشُ" (٢). وَكَانَ يَهُودًا الْحَرِيزِيَّ (ت: ٦٢٢هـ) (٣) أَبَدَعَ كَاتِبًا لِلْمَقَامَاتِ فِي الْعِبْرِيَّةِ، تَرَجَمَ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ إِلَى الْعِبْرِيَّةِ وَتَأَثَّرَ بِهَا فَكَتَبَ مَقَامَاتٍ بِالْعِبْرِيَّةِ، وَمَقَامَةً بِالْعَرَبِيَّةِ، بِحَظٍّ عِبْرِيٍّ يَسْرُدُ فِيهَا رِحْلَتَهُ فِي الشَّرْقِ (٤). ثُمَّ أَلَفَ سُلَيْمَانُ بْنُ رُقَيْلٍ (٥) مَقَامَةً كَمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ (٦).

وَتَمَيَّزَ يَهُودًا الْحَرِيرِيُّ بِالنَّقْدِ، وَمِمَّا قَالَ فِي كِتَابِهِ "تَحْكُمُونِي" أَنَّ الشَّعْرَ الْبَدِيعَ الْحَافِلَ بِاللَّالِي كَانَ فِي بَادِي الْأَمْرِ مُلْكًا مَقْصُورًا عَلَى بَنِي يَغْرُبَ وَحَدَهُمْ، وَهُمْ يَفُوقُونَ فِي شِعْرِهِمْ شِعْرَاءَ الْعَالَمِ قَاطِبَةً، فَإِنَّ جَمِيعَ شِعْرِهِمْ لَا قِيَمَةَ لَهُ وَلَا وَزْنَ مُقَابِلَ شِعْرِ الْعَرَبِ، فَالْعَرَبُ وَحَدَهُمْ هُمْ الْمُسْتَائِرُونَ بِالشَّعْرِ الْعَذْبِ فِي لَفْظِهِ الْجَمِيلِ فِي فَحْوَاهُ وَمَعْنَاهُ (٧).

وَقَامَ بَعْضُ أَدْبَاءِ الْيَهُودِ بِتَرْجَمَةِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ. فَالْفَ شَاعِرُ الْفَيْلَسُوفِ سُلَيْمَانُ بْنُ جَبْرِوَلٍ كِتَابًا بِعُنْوَانِ "מבחר הפנינים" أَيِ "مُخْتَارِ اللُّوْلُؤِ"، كَتَبَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ ثُمَّ تَرَجَمَهُ يَهُودًا بْنُ تَبُونٍ، وَالْكِتَابُ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ اسْتَعَانَ فِيهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ. وَمِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تُرْجِمَتْ إِلَى اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ كِتَابُ بِعُنْوَانِ "נְסִיחַ הַפְּלָסְפִּי" وَهُوَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ تَحْتَوِي عَلَى إِضَاءَاتٍ عَرَبِيَّةٍ وَأَصُولٍ شَرْقِيَّةٍ. وَقَدْ تَرَجَمَ الْكِتَابَ يَهُودًا الْحَرِيرِيُّ بِعُنْوَانِ "מזסרי הפיליסופים" أَيِ "عِبَرِ الْفَلَسِيفَةِ" (٨). وَتَرَجَمَ إِسْحَاقُ بَنِيَامِينَ يَهُودًا الْأَمْثَالَ الْعَرَبِيَّةَ وَجَمَعَ فِيهَا مَا يَقْرُبُ مِنْ خَمْسَةِ

١ - يَحْتَوِي الْكِتَابُ عَلَى عَدَدٍ مِنَ الْقِصَصِ الشَّعْبِيَّةِ وَالْأَمْثَالِ الْمُخْتَارَةِ وَالْأَشْعَارِ الْفُكَاهِيَّةِ الْفَصِيرَةِ. وَشَمِلَ مَعْلُومَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ التَّشْرِيحِ وَالطَّبِّ وَالْعُلُومِ. وَفِيهِ قِصَصٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ كَلِيلَةٍ وَدُمْنَةٍ، وَأُخْرَى مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ. وَاحْتَوَى عَلَى مِائَةِ مَثَلٍ مِنْ مَصَادِرَ عَرَبِيَّةٍ مُتَّوَعَةٍ وَالتَّرَمُّ فِيهِ السَّجْعُ مُقْلَدًا الْأَسْلُوبَ الْعَرَبِيَّ. انْظُرْ: إِبْرَاهِيمَ هِنْدَاوِيَّ الْأَثَرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْفِكْرِ الْيَهُودِيِّ ص ١٢١-١٢٢.

٢ - انْظُرْ: أَنْخِلَ جُنْتَالِثَ بِالنِّشَا تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٥٠١.

٣ - هُوَ الشَّاعِرُ الْيَهُودِيُّ: يَهُودًا (زَكَرِيَّا) الْحَرِيرِيُّ بْنُ شُلُومُونَ، مِنْ أَهْلِ طُلَيْطَلَةَ، كَانَ شَاعِرًا قَوِيَّ الْقَرِيحَةِ، غَزِيرَ الْمَادَةِ، لَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ فِي الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ، كَانَ رَدِيءَ اللِّسَانِ خَبِيثَ الطَّوِيَةِ، كَانَ قَدْ طَافَ فِي الْبُلْدَانِ وَجَالَ فِي الْأَقْطَارِ ثُمَّ سَكَنَ بِأَخْرَةِ حَلَبَ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٦٢٢هـ، وَكَانَ فِي كُلِّ بَلَدٍ يَحِلُّ بِهَا يَمْدَحُ وَجِهَاءَ الْيَهُودِ فِيهَا. وَلَمْ يَتَعَلَّمِ الْحَرِيرِيُّ أَيَّ مِهْنَةٍ غَيْرَ الْأَدَبِ وَالتَّرْجَمَةِ.

انْظُرْ: مُحَمَّدَ بَحْرَ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْيَهُودِيَّ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ١٢٩-١٣٧؛ آمَنَةُ الْبَدَوِيِّ شِعْرُ النَّازِحِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى مِصْرَ وَالشَّامِ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ بَيْنَ التَّأَثُّرِ وَالتَّأَثُّرِ ص ٢٣٧؛ مِنْ عَقُودِ الْجَمَانِ، مَخْطُوطٌ، وَرَقَةٌ ٢٢٧-٢٣١، النِّفْحُ ٢/٦٦٠؛ وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْخَضَارَةِ ١١٧/١٤-١١٨؛ أَنْخِلَ جُنْتَالِثَ بِالنِّشَا تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٥٠١.

٤ - كَتَبَ الْحَرِيرِيُّ مَقَامَاتِهِ بِالْعِبْرِيَّةِ لِيَهْدِيَهَا إِلَى مَنْ يَمْدُونُ لَهُ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ الْمَالِيَّةِ. وَمَقَامَاتُهُ تَسْمَى بِتَحْكُمُونِي تَتَضَمَّنُ خَمْسِينَ مَقَامَةً، يَرُويهَا هِيْمَانُ هَا اَزْرَاحِي، وَيُطْلِقُهَا حَبْرَاقِينِي وَهَمَّا اسْمَانِ اقْتَبَسَهُمَا الْحَرِيرِيُّ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَأَكْثَرَ فِيهَا مِنَ الْمُحْسِّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ. انْظُرْ: مُحَمَّدَ بَحْرَ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْيَهُودِيَّ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ١٢٩؛ أَنْخِلَ جُنْتَالِثَ بِالنِّشَا تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٥٠١.

٥ - هُوَ: سُلَيْمَانُ بْنُ رُقَيْلٍ أَوْ صَقْبِلَ، عَرَفَتِ الْعِبْرِيَّةُ عَلَى يَدَيْهِ فَنَ الْمَقَامَاتِ؛ أَلَفَ مَقَامَةً عَلَى نَمَطِ الْمَقَامَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَرَويهَا هُوَ أَشْرَ بْنَ يَهُودَا. انْظُرْ: مُحَمَّدَ بَحْرَ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْيَهُودِيَّ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٧٩-٨١؛ أَنْخِلَ جُنْتَالِثَ بِالنِّشَا تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٤٩٨، ٥٠١.

٦ - انْظُرْ: أَنْخِلَ جُنْتَالِثَ بِالنِّشَا تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٥٠١.

٧ - انْظُرْ: رِبْحِي كَمَالُ ذُرُوسَ فِي اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ ص ٥٠.

٨ - انْظُرْ: إِبْرَاهِيمَ هِنْدَاوِيَّ الْأَثَرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْفِكْرِ الْيَهُودِيِّ ص ١٢٣.

الاف مَثَلٍ، بَأَن يَذْكُرَ المَثَلِ العَرَبِيَّ مَكْتُوبًا بِحُرُوفٍ عِبْرِيَّةٍ ثُمَّ يَتَرَجَّمُهُ إِلَى اللُّغَةِ العِبْرِيَّةِ، وَيَشْرَحُهُ وَيَذْكُرُ مُنَاسِبَتَهُ وَمَصْدَرَهُ وَأَصْلَهُ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ أَمْثَالُ عِبْرِيَّة "משלי לאר" الذي رَتَّبَهُ تَرْتِيبًا أَلِفَبِيًّا فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ^(١).

وَذَكَرَتْ أَسْمَاءُ عِدَّةٍ شُعَرَاءَ مِنَ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ، سَيَتَحَدَّثُ الْبَحْثُ لَاحِقًا عَمَّنْ نَظَّمَ مِنْهُمْ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَهُنَاكَ شُعَرَاءُ لَمْ يَتَّضِحْ إِنْ كَانَ لَهُمْ شِعْرٌ بِالْعَرَبِيَّةِ أَمْ لَا، مِنْهُمْ فِي لُوسِيَانَا إِسْحَاقُ بْنُ غِيَاثٍ^(٢) وَتُودَرُوسُ أَبُو الْعَافِيَةِ^(٣)، وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَبْرِوَلٍ، وَزَكَرِيَّا بْنُ يَهُودَا بْنِ بُلْعَامٍ^(٤) مِنْ إِشْبِيلِيَّةِ الَّذِي اشتهَرَ بِهَجَائِهِ اللَّادِعِ، وَزَكَرِيَّا الْحَرِيزِيُّ كَاتِبُ الْمَقَامَاتِ^(٥)، وَسَعْدِيَّا بْنُ دَنَانَ مِنْ عَرْنَاطَةِ الَّذِي كَانَ آخِرَ شَاعِرٍ عِبْرِيٍّ فِي إِسْبَانِيَا، وَكَانَ مِنَ الْمَنْفِيِّينَ عَامَ ٨٩٧ هـ^(٦) وَغَيْرُهُمْ.

٣ - فِي الطَّبِّ .

وَيَعُدُّ حَسَدَايُ بْنُ شَبْرُوطٍ مِنْ أَشْهَرِ أَعْلَامِ الطَّبِّ عِنْدَ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَمِنْ كِبَارِ أَحْبَارِهِمْ، وَكَانَ الطَّبَّيبُ الْخَاصُّ لِلْخَلِيفَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ وَابْنِهِ الْحَكَمُ، تَدَرَّجَ فِي الْمَنَاصِبِ حَتَّى أَصْبَحَ أَحَدَ الْمُتَنَفِّذِينَ الْقَرِيبِينَ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْحَاكِمِ بِقُرْطُبَةٍ. وَيَسَبِّبُ شُهْرَةَ أَطْبَاءِ الْيَهُودِ كَانَ يَطْلُبُهُمْ كِبَارُ السَّاسَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَخَارِجَهَا، مِثَالُ عَلَى هَذَا حَالَةَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زُرُّورِ الْيَهُودِيِّ، فَعِنْدَمَا طَرَقَ طَائِفُ

١ - انظر: إبراهيم هذاوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٢٤ .

٢ - هو الشاعر اليهودي: إسحاق بن غياث، ولد ٤٢٩ هـ، من لوسيانا، كان أستاذًا مُتبحِّرًا في التفسير والفقه اليهودي، كان رئيسًا لمدرسة لوسيانا، ونظم ابن غياث ما يربو على ٣٠٠ قصيدة دينية ببوطيم، وكان مُخلصًا لعائلة ابن نَغْرِيْلَةَ، ورثاه بقصيدة باللغة الآرامية، وضمنها مدحًا لابنه يُوسُفَ، ودعا أسرة ابن نَغْرِيْلَةَ إلى لوسيانا بعد مقتل عائلتها، فأكرمها وتعهده بتربية عزريا بن يُوسُفَ الذي مات وهو في العشرين من عمره، وظهرت كياسته عندما فرض الملك عبد الله ملك عَرْنَاطَةِ الحصار على لوسيانا بعد أن رفض سكانها اليهود دفع الضرائب التي رفعت بعد قتل يُوسُفَ ابن نَغْرِيْلَةَ، وغلب عليه المرض بعد الحادثة، ونقل إلى قُرْطُبَةٍ، وبكاء اليهود في الأندلس وخارجها، لم أعثر على شعر له بالعربية.

انظر: مُحَمَّدُ بحر عبد المجيد اليهود في الأندلس ص ٣٨، ٦١، ٦٤ .

٣ - هو الأديب اليهودي: تُودَرُوسُ أَبُو الْعَافِيَةِ: كَانَ عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِيَهُودِ بِلَاطِ الْفُؤُسِ الْعَاشِرِ عَمِلَ عَلَى التَّرْجَمَةِ إِلَى اللُّغَةِ الْفِشْتَالِيَّةِ الْمَحَلِّيَّةِ، كَمَا ارْتَدَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ الْعِبْرِي عَلَى يَدَيْهِ فَقَدْ كَتَبَ مُعْظَمَ شِعْرِهِ الْعِبْرِي بِأَشْكَالٍ مُشْتَقَّةٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَامَ كَذَلِكَ بِبَعْضِ التَّجَارِبِ بِالصَّنِيعِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُسْتَقَّةِ مِنَ لُغَةِ الرُّومَانِثِ، تَرَكَ دِيوَانًا كَبِيرًا وَفِيهِ مُزْدَوِجَةٌ يُخَاطَبُ بِهَا الْفُؤُسُ.

تَرْجَمَةُ: مَرْيَمُ عَبْدِ الْبَاقِي، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجِيُوسِي ٣١٤.

٤ - هُوَ الشَّاعِرُ الْيَهُودِيُّ: زَكَرِيَّا بْنُ يَهُودَا بْنِ بُلْعَامٍ مِنْ إِشْبِيلِيَّةِ، كَانَ نَحْوِيًّا وَمُفَسِّرًا، وَكَتَبَ عِدَّةَ مَقَالَاتٍ بِالْعَرَبِيَّةِ، تَتَاوَلَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَسْتَعْمَلُ لِمَعَانٍ مُخْتَلَفَةٍ، وَلَهُ شِعْرٌ دِينِيٌّ وَمُوشَّحَةٌ .

انظر: مُحَمَّدُ بحر عبد المجيد اليهود في الأندلس ص ١٢٩-١٣٧ .

٥ - انظر: ريموند شابيندلين اليهود في إسبانيا المسلمة تَرْجَمَةُ: مَرْيَمُ عَبْدِ الْبَاقِي، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجِيُوسِي ٣١٥ .

المرَضِ السُّلْطَانِ أَبَا عَنَانَ (ت: ٧٥٩ هـ) ^(١) طَلَبَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَيْهِ طَبِيبَ دَارِهِمْ إِبْرَاهِيمَ، لَكِنَّ الْيَهُودِيَّ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَاعْتَذَرَ، فَتَنَكَّرَ لَهُمُ السُّلْطَانُ ^(٢).
وَلِكَثْرَةِ أَطِبَّاءِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ ظَهَرَتْ اخْتِكَائَاتٌ كَثِيرَةٌ لَهُمْ مَعَ النَّاسِ؛ فَسُئِلَ مَثَلًا عَنْ مَمْلُوكَةٍ جُعِلَتْ عِنْدَ يَهُودِيٍّ لِيُطَبِّبَهَا فَضَاعَتْ عِنْدَهُ ^(٣)، وَلَكَثَرَتِهِمْ تَوَزَّعَتْ أَسْمَاؤُهُمْ عَلَى خَرِيطَةِ الْأَنْدَلُسِ، فَأِسْحَاقُ بْنُ قِسْطَارٍ (ت: ٤٤٨ هـ) ^(٤) وَعِمْرَانُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَأَبْرَاهَامُ بْنُ عِزْرَا (ت: ٥٦٢ هـ) ^(٥) مِنْ طُلَيْطَلَةَ. بَيْنَمَا مَنَاحِمُ بْنُ الْقَوَالِ ^(٦) مِنْ سَرَقُسْطَةَ، وَمِنْ قُرْطُبَةَ مُوسَى بْنُ مَيْمُونٍ (٥٣٠-٦٠٢ هـ) الَّذِي وَصِفَ بِأَنَّهُ أَوْحَدُ زَمَانِهِ فِي الطَّبِّ ^(٧)، وَهَاجَرَ الطَّبِيبُ الْيَهُودِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ زَرْوَرٍ مِنْ غَرْنَاتَةَ إِلَى قَشْتَالَةَ ^(٨)، وَيَهُودَا هَلِيفِي وَسُلَيْمَانُ ابْنُ الْمُعَلِّمِ فِي بَلَاطِ عَلِيِّ بْنِ تَاشَفِينَ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، وَفِي بَرْشَلُونَةَ الْيَاسُ بْنُ الْمُدَوَّرِ ^(٩)، وَيُوسُفُ ابْنُ حَسْدَايَ (ت: ٥٣٣ هـ) تَرَكَ الْأَنْدَلُسَ إِلَى مِصْرَ ^(١٠).
وَبَدَأَ أَثَرُ الْأَطِبَّاءِ الْيَهُودِ فِي أَشْعَارِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَمُوشَحَاتِهِمْ، فَقَدْ يَكُونُ "مَيْمُون" فِي هَذِهِ الْمَحَاوِرَةِ لِلْعِشْشُومِ (ت: ٤٣٠ هـ) ^(١١)، بَيْنَ عَرُوسٍ وَزَوْجِهَا الْعَيْنِ وَاحِدًا مِنْهُمْ، بِقَوْلِهِ ^(١٢): [لسريع]
عَلَى مُعَاذِ قُرُونٍ ^(١٣) لَوْ يُعَايِنُهَا
قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ إِذْ جَاءَ يَتَكَحَّهَا
مَاذَا دَهَيْتُ بِهِ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ ^(١٤)

- ١ - هُوَ سُلْطَانُ الْمَغْرِبِ: أَبُو عَنَانَ فَارِسُ ابْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ. لَمَّا قُتِلَ السُّلْطَانُ أَبُو الْحَجَّاجِ الَّذِي كَانَ لِسَانُ الدِّينِ وَزِيرُهُ، أُرْسِلَ ابْنُهُ مُحَمَّدًا الْغَنِيُّ بِاللَّهِ إِلَى أَبِي عَنَانَ مِنْ إِنْشَاءِ لِسَانِ الدِّينِ رِسَالَةً يَسْتَعِجِدُ بِهِ لِقَاتِلِ أَعْدَائِهِ. وَمَدَحَهُ شُعْرَاءُ الْأَنْدَلُسِ لِدَوْرِهِ فِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ. انْظُرْ: الْمُقَرِّي تَفْخُ الطَّبِيبِ ٤٢٩/١ - ٤٣٢، ٢١٠/٢ - ٢١١، ١٨٦/٦ - ١٩٣، أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْإِسْتَفْصَا ١٩٠/٣ - ٢٠٥.
- ٢ - انْظُرْ ابْنَ خَلْدُونَ تَارِيخُهُ ٤٠٢/٧ - ٤٠٣.
- ٣ - انْظُرْ: الْوُثَيْرِيُّ الْمَغْرِبِ ٣١٩/٨.
- ٤ - هُوَ الطَّبِيبُ الْيَهُودِيُّ: إِسْحَاقُ بْنُ قِسْطَارٍ، خَدِمَ كُلًّا مِنْ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ، وَابْنِهِ إِفْبَالِ الدَّوْلَةِ عَلِيٍّ، تَبَصَّرَ فِي مِهْنَةِ الطَّبِّ، وَأَثَقَنَ خَفَايَاهَا، كَمَا بَرَعَ فِي الْفَلَسَفَةِ وَالْمَنْطِقِ وَاللُّغَةِ، وَأَجَادَ فَقْهُ الْيَهُودِ فَأَصْبَحَ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِهِمْ، تُوُفِّيَ بِطُلَيْطَلَةَ سَنَةَ ٤٤٨ هـ. وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ٧٥ سَنَةً. انْظُرْ: ابْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ٤٩٨/١.
- ٥ - انْظُرْ: مُحَمَّدُ مَجِيدُ السَّعِيدِ الشُّعْرُ فِي عَهْدِ الْمُرَابِطِينَ وَالْمُوَحِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ ص ٥٥.
- ٦ - هُوَ الطَّبِيبُ الْيَهُودِيُّ: مَنَاجِمُ بْنُ الْقَوَالِ، مِنْ سَرَقُسْطَةَ Saragosa تَبَحَّرَ فِي الْفَلَسَفَةِ وَالْمَنْطِقِ، وَلَهُ كِتَابُ كَنْزِ الْمُقَلِّ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَسْأَلَةِ وَالْجَوَابِ ضَمَّنَهُ جُمْلًا مِنْ قَوَانِينِ الْمَنْطِقِ وَأَصُولِ الطَّبِيعَةِ. انْظُرْ: ابْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ٤٩٨/١.
- ٧ - انْظُرْ: ابْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ٥٨٢/١ - ٥٨٣.
- ٨ - ابْنُ الْخَطِيبِ ثَفَاضَةُ الْجَرَابِ فِي غَلَاةِ الْإِغْتِرَابِ ص ١٩.
- ٩ - انْظُرْ: إِبْرَاهِيمُ هِنْدَاوِيُّ الْأَثَرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْفِكْرِ الْيَهُودِيِّ ص ١٧٩ نَقْلًا عَنْ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْيَهُودِيَّةِ ٤١٤/٨.
- ١٠ - انْظُرْ: ابْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ٥٠٠/١.
- ١١ - هُوَ: أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَجَّاجِ الْعَافِيَّيِّ الْمُتَلَقَّبُ بِالْعِشْشُومِ، مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ وَمِنْ شُعْرَاءِ الْمَعْتَصِدِ بْنِ عِبَادٍ، مَاتَ بَعْدَ ٤٣٠ هـ. انْظُرْ: الْحَمِيدِيُّ جَلُوهُ الْمُقْتَبَسِ ٤١٢/٢ - ٤١٣، الضَّبِّيُّ بَغْيَةُ الْمُتَمَسِّسِ ٤٤٥/٢، ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢٦٥/١ - ٢٦٦، صَفْوَانُ ابْنِ إِدْرِيسَ زَادَ الْمُسْتَأْفَرِ ص ١٠٢ - ١١٥، الْمُقَرِّي تَفْخُ الطَّبِيبِ ٢٦٨/٥ - ٣٥.
- ١٢ - الْمُقَرِّي تَفْخُ الطَّبِيبِ ٢٦٨/٥.
- ١٣ - قُرُونٌ: جَمْعُ قَرْنٍ؛ الدَّوَابَّةُ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ ذُوَابَةُ الْمَرْأَةِ وَضَفِيرَتَهَا. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [قَرْن] ٣٣١/١٣.
- ١٤ - الْعَيْنُ: الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ، وَلَا يَبْرِيدهنَّ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [عَيْن] ٢٩١/١٣.

هَلَا اسْتَعْنَتْ بِمِيمُونٍ فَقَالَ لَهَا إِنَّي اسْتَعْنْتُ عَلَى نَفْسِي بِمِيمُونٍ

أَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ "مِيمُونٌ" فِي الْأَبْنَاءِ طَبِيبًا يَهُودِيًّا مَشْهُورًا عِنْدَهُمْ^(١). طَلَبْتُ الْعَرُوسَ أَنْ يَسْتَعِينَ عَرِيسُهَا بِهِ لِيَعْرِفَ سَبَبَ مَرَضِهِ، فَيَكُونَ الْمَعْنَى الْقَرِيبُ "لِمِيمُونٍ" فِي آخِرِ الْبَيْتِ الْمُبَارَكِ^(٢) بَيْنَمَا قَصَدَ الشَّاعِرُ الْحَبِيبَ وَأَرْجَحُ أَنْ يَكُونَ الْفَتَى الْيَهُودِيُّ مُوسَى الَّذِي كَانَ الشَّاعِرُ مُغْرَمًا بِهِ، وَصَرَاحَ بِعَشْقِهِ لَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ^(٣)؛ فَهُوَ سَبَبُ عِلَّةِ الشَّاعِرِ مَعَ عَرُوسِهِ لِشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِهِ. وَإِنْ أَتَى ذِكْرُ الطَّبِيبِ الْيَهُودِيِّ غَيْرَ صَرِيحٍ هُنَا، إِلَّا أَنَّهُ بَدَا وَاضِحًا عِنْدَ ابْنِ قُرْمَانَ بِقَوْلِهِ^(٤): [لخفيف]

قُلْ لَمَّا رَأَى بَشْغَلُ الْبَالِ وَنَحْوُ الْجَسَدِ

"يَا أَبُو بَكْرٍ، لَا غِنَى أَنْ تَعْمَلَ مَا عَمَلَ كُلِّ حَدٍ

أَي^(٥)، عَرَفَ يَهُودًا بِأَخْبَارِكِ هُ طَبِيبُ الْبَلَدِ

فَفِي الْأَبْنَاءِ اسْمُ طَبِيبٍ يَهُودِيٍّ مَشْهُورٍ يُدْعَى يَهُودًا، يَعْتَرِفُ كُورِينُطِي أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ تَحْقِيقَ ذَاتِهِ لِشُبُوعِ هَذَا الْاسْمِ لَدَى الْيَهُودِ، لَكِنْ يَتَوَقَّعُ أَنَّهُ يَهُودًا هَالِيفِي (ت: ٤٤٠هـ) الْأَدِيبُ الْمَشْهُورُ الَّذِي اخْتَرَفَ الطَّبَّ مُدَّةً فِي الْأَنْدَلُسِ^(٦)، أَمَّا الدُّكْتُورُ سَامْسُو الْمُتَخَصِّصُ فِي عُلُومِ الْعَرَبِ أَخْبَرَ كُورِينُطِي أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ يَهُودًا بَنُ طَبُون (ت: ٤٤٤هـ)^(٧) وَلَا بُرْهَانَ عَلَى أَيِّ مِنَ الْقَوْلَيْنِ.

٤ - فِي الْفَلَسَفَةِ .

كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَبْرِوَل (ت ٤٦٢هـ) مِنْ أَوَائِلِ رُؤَادِ الْفَلَسَفَةِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ، عُرِفَ بِكِتَابِهِ "يَنْبُوعُ الْحَيَاةِ"، وَلَعَدِمَ اسْتِشْهَادُهُ بِآيَةٍ مِنَ التَّوْرَةِ أَوْ بِأَيِّ قَوْلٍ مِنَ التَّلْمُودِ، وَلَكِنْ الْكِتَابُ فُلَسْفِيًّا، مَكْتُوبًا بِالْعَرَبِيَّةِ فِي الْأَصْلِ، ظَنَّ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَرَبِ أَنَّهُ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ فِيلَسُوفٍ عَرَبِيٍّ، أَوْ نَصْرَانِيٍّ، وَظَلَّ الْعُلَمَاءُ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِهِ حَتَّى عُنِيَ عَلَى تَرْجَمَةِ عِبْرَانِيَّةِ الْكِتَابِ مُنْتَصَفَ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ تَبَيَّنَ مِنْ مُقَدِّمَتِهَا أَنَّ مُؤَلِّفَهُ ابْنُ جَبْرِوَل وَأَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا^(٨)، وَلَهُ مُؤَلَّفٌ آخَرُ كَتَبَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَنَقَلَهُ يَهُودًا بْنُ تَبُونٍ إِلَى الْعِبْرِيَّةِ بِاسْمِ "إِصْلَاحِ النَّفْسِ". وَمِنْ الْمُتَعَمِّقِينَ فِي الْفَلَسَفَةِ عَلَى نَمَطِ ابْنِ جَبْرِوَلِ

١ - مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: الطَّبِيبُ مُوسَى بْنُ مِيمُونِ الْقُرْطُبِي، سَبَقْتُ تَرْجَمَتُهُ .

٢ - انْظُرْ: ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [يَمَن] ٤٥٨/١٣ .

٣ - انْظُرْ: صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسَ زَادَ الْمُسَافِرِ ص ١٠٦ - ١٠٨؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٢٦٧/١؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّبِيبِ ٢٦٨/٥، وَانْظُرْ فِي الْبَحْثِ: ص ١١٦ - ١١٧ .

٤ - ابْنُ قُرْمَانَ دِيَوَانُهُ ص ٤٨٤ .

٥ - أَيُّ: بِمَعْنَى هَيَّا .

٦ - انْظُرْ: ابْنُ قُرْمَانَ دِيَوَانُهُ ص ٤٨٥ [الْحَاشِيَّةُ] .

٧ - هُوَ: يَهُودًا بْنُ شَاوُولَ بْنِ طَبُونٍ، مِنْ مَوَالِيدِ عَرَبْنَاطَةَ سَنَةِ ٥٣٠هـ، وَفِيهَا مَارَسَ الطَّبَّ إِلَى ٥٤٤هـ .

انْظُرْ: ابْنُ قُرْمَانَ دِيَوَانُهُ ص ٤٨٤ [الْحَاشِيَّةُ] .

٨ - انْظُرْ: جَوَادُ عَلِيٍّ مَا عَرَفَهُ ابْنُ التَّدِيمِ عَنْ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ - الْقِسْمُ الثَّانِي ص ١٧٢ - ١٧٣ .

كَانَ يَحْيَى بْنُ يُونُسَ بْنِ يُونُسَ بْنِ يُونُسَ (ت: ٤٤١هـ)^(١)، صَاحِبُ "الْهَدَايَةِ إِلَى وَاجِبَاتِ الْقُلُوبِ" الْمُؤَلَّفِ بِالْعَرَبِيَّةِ تَرْجَمَهُ كَذَلِكَ يَهُودَا بْنُ تَبُونٍ بِعُنْوَانِ "وَاجِبَاتِ الْقُلُوبِ חובות הלבבות"^(٢). أَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ دَاوُدَ الطَّلِيظِيُّ فَهُوَ أَوَّلُ فِيلَسُوفٍ يَهُودِيٍّ تَأَثَّرَ بِفَلَسَفَةِ أَرِسْطُوطَالِيَسَ، وَأَرْجَعَ الْبَاحِثُونَ عِلْمَهُ بِهَذِهِ الْفَلَسَفَةِ إِلَى كُتُبِ الْفَارَابِيِّ (ت: ٣٣٩هـ)^(٣) وَابْنِ سِينَا (ت: ٤٢٨هـ)^(٤) الَّتِي قَرَأَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ^(٥). وَاشْتَهَرَ مِنْهُمْ يَهُودَا لَاقِي (ت: ٥٤٧هـ)^(٦) وَيَحْيَى بْنُ يَهُودَا هَلِيفِي^(٧). إِلَّا أَنَّ أَمِيرَ مُفَكَّرِي الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ أَنْخَلِ بِالنُّشَا هُوَ مُوسَى بْنُ مَيْمُونٍ (ت: ٦٠٢هـ)، وَلَهُ "دِلَالَةُ الْحَائِرِينَ" الَّذِي كُتِبَ بِالْعَرَبِيَّةِ، حَاوَلَ أَنْ يُوقِّفَ فِيهِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ كَمَا فَعَلَ ابْنُ حَزْمٍ وَابْنُ رُشْدٍ^(٨).

وَمِنْ الْمُلَاحَظِ عَلَى الشُّعْرَاءِ الْيَهُودِ بِالْأَنْدَلُسِ أَنَّ مُعْظَمَهُمْ كَانُوا مِنَ الشُّعْرَاءِ الْفَلَسَفَةِ، نَظَّمُوا شِعْرًا فُلَسْفِيًّا وَعِلْمِيًّا، مِنْهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ جَبْرِوَلٍ الَّذِي قِيلَ إِنَّهُ شَاعِرٌ بَيْنَ الْفَلَسَفَةِ وَفِيلَسُوفٍ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ، وَأَبُو الْحَسَنِ هَلِيفِي وَأَبْرَاهَامُ بْنُ عِزْرَا وَيُونُسُ بْنُ صَدِيقٍ (ت: ٥٤٣هـ)^(٩).

- ١ - هُوَ : يَحْيَى بْنُ يُونُسَ بْنِ يُونُسَ بْنِ يُونُسَ (ت: ٤٤١هـ) فِيلَسُوفٌ يَهُودِيٌّ عَاشَ فِي بَلَنْسِيَةِ مَعَ ابْنِ جَبْرِوَلٍ. كُتِبَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَاجِبَاتِ الْقُلُوبِ وَتَرْجَمَهُ يَهُودَا بْنُ تَبُونٍ بِعُنْوَانِ חובות הלבבות. وَيَنْسَبُ إِلَيْهِ كِتَابُ آخَرُ يُسَمَّى عَقِيدَةُ النَّفْسِ أَلْفَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ ثُمَّ تَرَجَمَ لِلْعِبْرِيَّةِ. انْظُرْ: إِبْرَاهِيمُ هُنْدَاوِيٍّ الْأَثَرُ الْعَرَبِيَّ فِي الْفِكْرِ الْيَهُودِيِّ ص ١٤٩ - ١٥٠؛ أَنْخَلِ جُنْدَالِثُ بِالنُّشَا تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٤٩٤، ٤٩٧ - ٤٩٧.
- ٢ - انْظُرْ: جَوَادُ عَلِيٍّ مَا عَرَفَهُ ابْنُ النَّدِيمِ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ - الْقِسْمُ الثَّانِي ص ١٧٥.
- ٣ - هُوَ الْفِيلَسُوفُ: أَبُو نَصْرِ الْفَارَابِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَرِخَانَ (٢٦٠ - ٣٣٩هـ)، نَشَأَ بِتُرْكِيَا وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَسْفَارُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ ثُمَّ يَمَشُوقَ، عَرَفَ اللِّسَانَ التُّرْكِيَّ وَبَعْدَ لُغَاتِ غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ. وَكَانَ مَفْرُطَ الذِّكَاةِ، وَلَهُ مَصْنُفَاتٌ فِي الْحِكْمَةِ وَالْمَنْطِقِ وَالْمَوْسِيقَى مِنْهَا آرَاءُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ. وَرَتَّبَ لَهُ سِنْفُ الدَّوْلَةِ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَةَ دِرَاهِمٍ إِلَى أَنْ مَاتَ. انْظُرْ: ابْنُ خَلَّكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١٥٣/٥ - ١٥٧؛ الشَّهْرَزُورِيُّ تَارِيخُ الْحُكَمَاءِ ص ٤٠٩ - ٤١٠؛ الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤١٦/١٥ - ٤١٨؛ الصَّفَدِيُّ الْوَفَائِي بِالْوَفَائَاتِ ١٠٢/١ - ١٠٧؛ ابْنُ عِمَادٍ الْخَبَرِيُّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٤٩/١ - ٣٥٤؛ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٣٣/٩.
- ٤ - هُوَ الْفِيلَسُوفُ الطَّبِيبُ: أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سِينَا، وُلِدَ سَنَةَ ٣٧٠هـ، أَصْلُهُ بَلْخَى وَمَوْلَدُهُ بِيخَارَى. حَصَلَ كَثِيرًا مِنَ الْعُلُومِ وَتَعَلَّمَ الطَّبَّ وَعَالَجَ بِهِ وَعَلَّمَهُ. تَنَقَّلَ فِي الْبُلْدَانِ حَتَّى نَزَلَ قَرْوِينَ، فَوَزَرَ بِهَا، وَفَتَنَ وَسُجِنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، مَاتَ بِهَمْدَانَ ٤٢٨هـ، لَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا الْإِنْصَافُ عَشْرُونَ مَجْلَدًا الشِّفَاءُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةِ مَجْلَدًا وَالْقَانُونُ وَارْجُوزَةُ فِي الطَّبِّ وَغَيْرُهَا. انْظُرْ: ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ غَيُوثُ الْأَنْبَاءِ ٤٣٧/١ - ٤٥٩؛ ابْنُ خَلَّكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١٥٧/٢ - ١٦٢؛ الصَّفَدِيُّ الْوَفَائِي بِالْوَفَائَاتِ ٢٤٩/١٢ - ٢٥٥؛ الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٥٣١/١٧ - ٥٣٦؛ ابْنُ عِمَادٍ الْخَبَرِيُّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٢٤/٢ - ٢٣٧؛ الشَّهْرَزُورِيُّ تَارِيخُ الْحُكَمَاءِ ص ٤٢١.
- ٥ - انْظُرْ: جَوَادُ عَلِيٍّ مَا عَرَفَهُ ابْنُ النَّدِيمِ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ - الْقِسْمُ الثَّانِي ص ١٧٧.
- ٦ - انْظُرْ: مُحَمَّدُ مَجِيدُ السَّعِيدِ الشُّعْرُ فِي عَهْدِ الْمُرَابِطِينَ وَالْمُوحِدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ ص ٥٥.
- ٧ - انْظُرْ: أَنْخَلِ جُنْدَالِثُ بِالنُّشَا تَارِيخُ الْفِكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٢٤.
- ٨ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٢٤، ٥٠٣.
- ٩ - هُوَ الْفِيلَسُوفُ الْيَهُودِيُّ: يُونُسُ بْنُ صَلِّيقٍ (٤٧٢ - ٥٤٣هـ) عَاشَ فِي قُرْطُبَةَ، وَمَوْلَفُهُ الْفَلَسَفِيُّ الْأَسَاسِي يُسَمَّى الْعَالَمُ الصَّغِيرُ كُتِبَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَتَرَجَمَ أَخِيرًا إِلَى الْعِبْرِيَّةِ بِعُنْوَانِ העולם הצעיר. وَكَانَ يُونُسُ مُعَرِّمًا بِالْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُتَأَثِّرًا بِهَا وَلَكِنَّهُ كَانَ يَطْبَعُهَا بِطَابِعِهِ الْخَاصِّ. انْظُرْ: إِبْرَاهِيمُ هُنْدَاوِيٍّ الْأَثَرُ الْعَرَبِيَّ فِي الْفِكْرِ الْيَهُودِيِّ ص ١٥٠.

وموسى بن عزرا^(١). ويحيى بن يوسف بن بقودة، وأكثر هؤلاء تأثراً بالفلسفة الإسلامية ابن صديق له كتاب "العالم الصغير" كتبه بالعربية وترجم إلى العبرية بعنوان "העולם הצעיר"^(٢).

٥- في الجغرافيا والفلك والرحلات.

استخدمت المصادر التي تورخ للأندلس التاريخ الهجري فقط، لكن ربما استخدم أهل الأندلس التقويم الأوروبي في تسيير أعمالهم، وقد يكون استخدام التقويم الأوروبي بين النصارى في مناطقهم، أو بينهم وبين العرب، فقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من الصكوك التي تمثل طريقة البيع والشراء تورخ به في مدينة طليطلة بعد سقوطها سنة ٤٧٧هـ، إلا أن التقويم الأوروبي في ذلك الحين ليس هو المعروف اليوم، بل كان يعرف باسم "تاريخ الصفر"^(٣).

وكان القاضي حنان من قرطبة عام ٣٥٩هـ من أوائل العلماء اليهود الذين شغفوا بالفلك وألف كتاباً مطولاً فيه. ومثله اشتهر إبراهيم بن حيا بالفلك وكذلك إبراهيم بن عزرا^(٤). ويقول ول ديورانت: إنه لم يفد علم الجغرافيا إلا قليل من الشعب اليهودي رغم كثرة تنقله، بيد أن اثنين منهم بناحيا الراسبوني وبنيامين التطيلي^(٥) (ت: ٥٦٩هـ) كانا أعظم الرحالة، كما يرى ول ديورانت، فكتبنا قصصاً عن رحلاتهما في أوروبا والشرق، ارتحل بنيامين التطيلي عن سرقسطة عام ٥٥٤هـ، بدافع الاطلاع الشخصي وطاف في البلاد ثم عاد إلى موطنه عام ٥٦٨هـ حيث مات. وكان أكثر ما يهتم به هو الجماعات اليهودية، فأعطى معلومات عن اليهود، ووصف أحوالهم في كل مدينة زارها في كتابه "המסעות" أي الرحلات الذي يعتبر مرجعاً في تاريخ اليهود، وأحوالهم وجغرافية البلاد في عصره؛ فكتب بالتفصيل عن رحلاته متنقلاً بين أوروبا والشرق العربي^(٥)، ووصف مدنها الرئيسية، وذكر أسماء اليهود البارزين فيها، وأشار إلى المعاملة الطيبة التي كان يلقاها اليهود في ظل الخلافة الإسلامية، ووصف المظاهر الجغرافية لكل بلد مر به والخصائص الجنسية

لسكانه

وصفاً

١ - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١١٨ .

٢ - انظر: نفسه ص ١٥٠ .

٣ - تاريخ الصفر: هو تاريخ كان مصطلحاً عليه في إسبانيا من قبل دخول الإسلام، بل من قبل المسيح، وكان مبدأه في أول يناير سنة ٣٨ قبل المسيح لعهد أغسطس قيصر، وبقي هذا التاريخ معروفاً في إسبانيا إلى القرن الخامس عشر للمسيح، وكانت اليهود تورخ قبله بوفاة موسى عليه السلام . انظر: المقرئبي المواعظ والاعتبار ٩٤٢/٤؛ عدنان مصطفى نظريته ريبيرا حول عروبة الأندلس،

حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر، ع ١٢، ١٩٨٩ م ص ١٩١ .

٤ - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٧١ .

٥ - زار بنيامين كلاً من شمال إسبانيا جنوب فرنسا إيطاليا تركيا الجزائر بحر إيجه قبرص سوريا فلسطين العراق اليمن مصر صقلية.

انظر: محمد بحر عبد المجيد اليهود في الأندلس ص ٨٢؛ ول ديورانت قصة الحضارة ١١٣/١٤ .

يَمْتَنَزُ بِكَثِيرٍ مِنَ الدَّقَّةِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ وَالْقُرْبِ مِنَ الْحَقِيقَةِ^(١).
وَيُعْتَقَدُ أَنَّ الْيَهُودِيَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ يَعْقُوبَ الْإِسْرَائِيلِيَّ الْمَعْرُوفَ بِالطَّرْطُوشِيِّ أَهْدَى كِتَابًا عَنْ رِحَالَتِهِ
إِلَى مُدُنٍ وَمَمَالِكٍ أَوْرُوبًا إِلَى الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ^(٢). وَوَصَفَ الْيَهُودِيَّ يَهُوذَا الْحَرِيزِيَّ بِأُسْلُوبِ السَّجْعِ أَسْفَارَهُ
وَرِحَالَتِهِ وَأَعْطَى مَعْلُومَاتٍ عَنِ الْأَمَاكِنِ وَالْبِلَادِ كَمَا أُعْطِيَ صُورَةً عَنْ حَيَاةِ الْيَهُودِ وَأَحْوَالِهِمْ فِي مُدُنِ
الشَّرْقِ الْهَامَّةِ. فَوَصَفَ بِلَادًا زَارَهَا مِنْهَا مِصْرُ وَفِلَسْطِينُ وَسُورِيَّةُ وَالْعِرَاقُ، وَأَعْطَى أَخْبَارًا هَامَّةً كَثِيرَةً عَنِ
الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ فَأَشْبَهَ الرَّحَّالَةَ بِنِيَامِينَ^(٣).

٦- فِي الْغِنَاءِ وَالْمُوسِيقَى .

لَمْ تَرْكُزِ الْمَصَادِرُ كَثِيرًا عَلَى مَوْضُوعِ الْغِنَاءِ وَالْمُوسِيقَى، إِلَّا أَنَّهُ جَاءَ فِي "الدَّخِيرَةِ" حَدِيثٌ عَنْ
اِحْتِفَالٍ فِي قَصْرِ الْمَأْمُونِ سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ سَمَّى بِهِ ابْنُ بَسَّامٍ يَهُودِيَّيْنِ انْمَازُوا عَنْ غَيْرِهِمْ فِي الْحَفْلَةِ، وَهُمَا
ابْنُ حَسْدَايَ الَّذِي كَانَ مُدَبِّرَ الْحَفْلَةِ، وَالْمُطَرِبُ دَيُّ^(٤). وَلَمْ يُحَدِّدْ ابْنُ بَسَّامٍ هَوِيَّةَ زُمَرِ الْمُغَنِّينَ، وَأَتَوَقَّعُ أَنْ
يَكُونَ بَيْنَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ.
وَلَمْ تَكُنْ حَالَةُ الْمَأْمُونِ شَادَّةً عَنِ الْمُجْتَمَعِ الْأَنْدَلُسِيِّ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ عَمِلَ عِنْدَ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ
الرَّبَّضِيِّ (١٨٠-٢٠٦هـ) مُغَنٍّ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ أَبُو النَّصْرِ مَنْصُورُ الَّذِي بَعَثَهُ إِلَى بَغْدَادَ رَسُولًا إِلَى الْمُغَنِّي زُرِّيَّاتَ
يَسْتَدْعِيهِ لِلْقُدُومِ إِلَى بِلَاطِهِ وَنَجَحَ مَنْصُورُ فِي مَهْمَّتِهِ^(٥). وَكَانَ إِسْحَاقُ بْنُ شَمْعُونِ الْيَهُودِيَّ الْقُرْطُبِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ
الْمُوسِيقَى^(٦).

١ - انظر: آمنة البدوي شعر النازحين من الأندلس إلى مصر والشام في القرن السابع الهجري بين التأثر والتأثير ص ٩ ؛ ول ديورانت قصة الحضارة ١١٣/١٤ .

٢ - انظر: عبد المطلب مظهر أهل النُّمَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ خِلَالِ الْحُكْمِ الْأُمَوِيِّ ص ١١٧ .

٣ - انظر: إبراهيم هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي ص ١٣٤ .

٤ - انظر: ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ٤، م ١٣٥ ؛ وانظر: قلائد العفيان ق ٣، ج ٢/٥٤٨ .

٥ - انظر: المقرئ تفتح الطيب ١١٠/٤ .

٦ - ابن سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ١٢٧/١ - ١٢٨ ، وَسَتَرْدُ تَرْجَمَةٌ لَهُ فِي مَثْنِ الْبَحْثِ لَاحِقًا : ص 228 .

الفصل الثاني : حُضُورُ الْيَهُودِ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْأَنْدَلُسِ.

المبحث الأول : اليهود في موضوعات الشعر العربي بالأندلس.

لم تختلف كثيراً موضوعات الشعر في الأندلس عنها في الشعر العربي التقليدي، لذا سيتناول البحث أثر اليهود في أشهر موضوعات الشعر العربي :

أولاً:- اليهود في شعر الغزل

لم تمنع اليهودية الأنديسيين من أن تتعلق قلوبهم ببناات اليهود، ولم يشكّل اختلاف الدين حاجزاً يحول بين شعراء الأندلس والحديث عن نساء اليهود والتغزل بهن. فلم أجد مثلاً بين شعرائهم من تعلق قلبه بفتاة ما، وأراد الاقتراب فامتنع من ذلك لكونه من اليهود.

ولم تظهر صورة واضحة الخطوط والألوان للنسوة اليهوديات في أشعارهم؛ فلا تظهر فيه إلا معالم أنثوية أو صفات جسدية لأنثى، بل كان عامّاً، وخوطب المحبوب كثيراً بلغة التذكير وهذا أسلوب شائع في الغزل العربي، ومنه قول أحدهم في محبوب يهودي^(١) : [مطلع بسيط]

وأهيف من يهود يرنو
أقبل كالغصن في تان
فقلت يا غصن أين تنم^(٢) ي
فقال إني في بني النضر ير

والهوية الدينية لم تمنع المرأة اليهودية من أن تكون محبوباً جميلة مؤثرة على قريحة الشعراء، ولم تمنع الشاعر من أن يتغزل بها وأن يسبح عليها أو صافاً تقليدية؛ فهي هيفاء القامة، وعيونها عيون شادن غرير، وتقبل كالغصن في تننيها. وكلها أو صافاً تقليدية لا جديد فيها سوى توظيف قصة بني النضير التي أخذها الشاعر الأنديسي من السيرة النبوية للإشارة إلى يهودية المحبوب. وأخذ ابن زيدون قصة قوم

موسى من القرآن ليختصر حال محبوبته معه بقوله^(٣) : [لخيف]

قد علقتا سواك علقتا نفيساً
وليسنا الجديد من خلع الحب
ليس منك الهوى، ولا أنت منه
ب^(٤)، ولم نأل أن خلعتا اللبيس^(٥)
أهبطي مصر، أنت من قوم

^١ - ابن الأحرر تثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ص ٣٠٣ .

^٢ - فلان ينمي إلى حسب وينمي وينمو : يرتفع إليه .

^٣ - ابن زيدون لبوانته ورسائله ص ١٩٥ ؛ الكثبي قوات الوفيات ٥٨٨ / ٢ .

^٤ - اللبيس : الثوب الذي كثر لبسه حتى أخلق .

^٥ - إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ قَسَمَ مُوسَىٰ لِنَجِّسَ عَلَىٰ طَعْمٍ وَاحِدَةٍ دَعَا رَبُّكَ بِخُرْجٍ لَدَّ مِمَّا نَبَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَقَاتَهُ وَقَوْمَهُ وَعَدَسَهُ

وَصَصَهُ أَهْطُوا مَصْرًا فَرَلَكُمْ سَلَّمٌ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ سورة البقرة، آية ٦١ .

فَمَحْبُوبَتُهُ رَفَضَتْ مَوَدَّتَهُ وَتَمَنَعَتْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعْجِبْهَا أَيُّ حَالٍ يُقَدِّمُهُ الشَّاعِرُ لَهَا فَاشْتَبَهَتْ قَوْمَ مُوسَى الَّذِينَ لَمْ يُعْجِبْهُمْ أَيُّ حَالٍ. فَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْيَهُودِ لَكِنَّهَا أَشْبَهَتْ الْيَهُودَ بِرَفْضِهَا لِحُبِّهِ^(١).
وَبِمَا أَنَّ الشَّاعِرَ الْأَنْدَلُسِيَّ لَمْ يَتَسَتَّرْ عَلَى دِينِ مَحْبُوبِهِ حَتَّى لَوْ كَانَ يَهُودِيًّا لَمْ يَكُنْ غَرِيبًا عَلَى ابْنِ قُرْمَانَ أَنْ يُسَمِّيَ بَنَاتِ الْيَهُودِ فِي شِعْرِهِ مُتَأَثِّرًا بِشَخْصِيَّاتِ "التَّوْرَةِ"، بِقَوْلِهِ^(٢):

أَوْقَدَ فِي قَلْبِي النَّارَ جُلُوسَ لِلظُّلْ
يَرَوْنَ قَطُوعَ قَلْبِي مَرِيَمَ وَلَيْقَةَ
الْوَحْدَ مِنْ سَكْرٍ وَالْأَخْرَةَ قِرْقَةَ
جَوَارِ بَنِي لَيْلَى مُخْتَارَ صِفَّةٍ

وَيَتَوَقَّعُ كُورِينُطِي^(٣) أَنَّ "مَرِيَمَ وَلَيْقَةَ" جَارِيتَانِ يَهُودِيَّتَانِ مِنْ "بَنِي لَيْلَى" أَيِّ مِنْ "بَنِي لَيْقَةَ" وَهُمُ الْيَهُودُ، وَلَيْقَةُ مِنْ أَزْوَاجِ يَعْقُوبَ وَهِيَ الَّتِي وَلَدَتْ لَهُ أَكْثَرَ بَنِيهِ^(٤). وَسَمَّى ابْنُ قُرْمَانَ بِمَا اعْتَادَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ تَسْمِيَّاتِ لَجَوَارِي الْيَهُودِ حَوْلَهُ؛ فَلَيْقَةُ لَمْ تُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ، بَلْ فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ.
وَلَمْ يَكُنِ الْكَلَامُ مُتَكَلِّفًا، بَلْ فِيهِ سُهُولَةٌ وَعَفْوِيَّةٌ، إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الصَّغْبِ فَهُمْ مَعْنَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بِسُهُولَةٍ لِلْعَامِيَّةِ فِيهَا، وَيُمْكِنُ التَّكَهُُّنُ أَنَّ الشَّاعِرَ يَتَحَدَّثُ عَنْ حِيرَتِهِ أَمَامَ مَجْمُوعَةِ الْجَوَارِي اللَّائِي رَأَوْا فِي مُنْتَرَاهِ "حَوْرٍ مُؤَمَّلٍ"^(٥)، فَأَعْجِبَ بِهِنَّ، وَتَمَيَّزَتْ مِنْهُنَّ "مَرِيَمَ وَلَيْقَةَ". وَإِنْ سَلَّمْتُ بَأَنَّ الْجَارِيتَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ -وَهَذَا مَا أَمِيلُ إِلَيْهِ لِلتَّغْلِيلِ الْمَعْقُولِ الَّذِي جَاءَ بِهِ كُورِينُطِي- فَإِنَّ الشَّعْرَ الْعَامِيَّ اِحْتَوَى شَيْئًا ضَاعَ مِنَ الْكُتُبِ لِقَلَّةِ عِنَايَةِ الدَّارِسِينَ بِشِعْرِ الْعَامَّةِ^(٦). فَظَهَرَ الْكَلَامُ الْعَامِيُّ

١ - بدا هنا تأثر ابن زيدون بأبي نواس في قوله: [الوافر]

وَمُظْهَرَةٌ لَخَلْقِ اللَّهِ نُسْكَاً وَتَلْقَانِي بِدَلٍّ وَابْتِسَامٍ
أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الرَّحَامِ
فِيَا مَنْ لَيْسَ يَكْفِيهَا خَلِيلٌ وَلَا أَلْفَا خَلِيلٌ كُلَّ عَامٍ
أُظُنُّكَ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْنُرُونَ عَلَى طَعَامِ

انظر: أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ٧٨/١٧؛ الكشي قوافي الوفيات ٥٨٨/٢. ولم أجدها في ديوان أبي نواس.

٢ - ابن قُرْمَانَ ديوانه ص ٩٠٠ - ٩٠٣ / رقم ١٤٤.

٣ - انظر: نفسه ص ٩٠١ / رقم ١٤٤.

٤ - هي: ليا (لينة، لائقة، ليقة، ليا) بنت لابان (لبان) حفيد آزر والد إبراهيم الخليل، ابنة خال سيدنا يعقوب نكحها فولدت له سبعة من أبنائه، ثم توفيت فتزوج أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنيامين، وكان أبناء يعقوب من أزواجه اثني عشر رجلاً هم آباء الأسباط.

انظر: الطبري تاريخه ٣١٧/١؛ ابن حزم جمهرة أنساب العرب ٥٠٤؛ أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ١٦/١.

٥ - انظر: المقرئ نفح الطيب ٢١/٢.

٦ - قال جيمس ت. مونرو إنه أتى بأدلة وثائقية في دراستين نشرهما مؤخراً على وجود أدب شعبي لم يسجل في الكتب ولم تشر إليه الكتب؛ فتمت مخطوطة عربية تشير إلى وجود أرجال شعبية تم نسخها عام ٤٤٠ هـ ولا بد أن يكون أصلها أقدم بكثير، كما توجد رسالة حول تنظيم الأسواق في الأندلس كتبها عام ٣١٩ هـ محتسب اسمه ابن عبد الرؤوف، تقول إن الذين يطوفون بالأسواق منشدين الأرجال وغير ذلك من ضروب الغناء محظور عليهم ذلك عندما يدعى الناس إلى الجهاد أو إلى الحج.

انظر: جيمس ت. مونرو الرجل والموشح: الشعر الأندلسي والتراث الرومانسي ترجمته: عبد الواحد لؤلؤة، بحث في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/ ٥٩٠ - ٥٩١.

مَا لَا يَظْهَرُ فِي شِعْرِ عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَالْمُتَقَرَّبِينَ مِنَ الْبَلَطَاتِ، وَأَبَانَ أَثَرًا لِنِسْوَةِ الْيَهُودِ عَلَى الشَّاعِرِ، وَقَدْ يَكُونُ فِيمَا اخْتَفَى مِنْ أَشْعَارِهِمُ الْعَامِيَّةُ مَا يُبَيِّنُ عَنْ تَلَاقٍ أَفْطَرَضَ حُصُولُهُ بِصُورَةٍ مَعْقُولَةٍ.

وَجَاءَتْ مَصَادِرُ الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ بِغَزَلٍ لِسَعْدِ الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ (ت: ٦٥٦هـ) ^(١) مِنْهُ ^(٢): [لخفيف]
وَعَزَّالٍ مِنَ الْيَهُودِ أَتَانِي
بِتُ أَجْنَى الشَّقِيقِ مِنْ وَجَنَّتَيْهِ
وَاعْتَقَقَا إِذْ لَمْ نَخَفْ مِنْ رَقِيبٍ
مَنْ رَأَيْ يَظُنُّنِي لِنُحُولِي
وَأَصْفَرَارِي عَلَامَةً فَوْقَ رَأْسِهِ
زَائِرًا مِنْ كُنَيْسِهِ أَوْ كِنَاسِهِ
وَأَشْمُ الْعَبِيرِ مِنْ أَنْفَاسِهِ
وَأَمْنَا الْوُشَاةَ مِنْ حُرَاسِهِ

الْمَحْبُوبُ يَهُودِيٌّ، وَذَكَرَهُ الشَّاعِرُ دُونَ تَغْلِيلٍ أَوْ تَبْرِيرٍ أَوْ اسْتِغْرَابٍ، وَقَضَى مَعَهُ أَخْلَى الْأَوْقَاتِ بَعِيدًا عَنْ الْوُشَاةِ وَالْحُرَاسِ، وَعَالَى مِنْ أَثَرِ هَذَا الْحُبِّ، فَظَهَرَ عَلَيْهِ اصْفَرَّارُ الْمُحِبِّينَ وَهَرَأْلُهُمْ، وَجَاءَتْ أَوْصَافُ الْمَحْبُوبِ الْيَهُودِيِّ تَقْلِيدِيَّةً، قَالَ وَجَنَّتَانِ كَالشَّقِيقِ الْأَخْمَرِ، وَالْأَنْفَاسُ كَالْعَبِيرِ الْعَطِرِ، كَمَا أَنَّ لِلْحُبِّ أَثَرًا بَادِيًا عَلَى جَسَدِ الْمُحِبِّ تَمَثَّلَ بِاصْفَرَّارٍ شَدِيدٍ عَلَيْهِ فَكَانَ كَشَكْلَةِ الْيَهُودِ الصَّفَرَاءِ عَلَى جَسَدِ هَذَا الْمَحْبُوبِ الْيَهُودِيِّ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةَ الْيَهُودِيَّةَ الْوَاضِحَةَ لِمَحْبُوبٍ مِنَ الْيَهُودِ لَمْ تَظْهَرْ وَلَمْ تَتَكَرَّرْ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ أَشْعَارِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ .

١ - لِقَاءُ الشَّاعِرِ الْأَنْدَلُسِيِّ بِقَتِيَّاتِ الْيَهُودِ

تَجَاهَلَ الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ الدِّينَ الْيَهُودِيَّ فِي الْعَزَلِ، وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّهُ عَانَقَ يَقِفُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَحَبَّ، وَلَمْ أَجِدْ أَنَّ شَاعِرًا مِنْهُمْ تَمَادَى فِي عَزَلِهِ وَأَشْعَارِهِ بِأَمْرٍ يَهُودِيَّةٍ؛ فَلَا يُعْقَلُ الْقَوْلُ إِنَّ الشَّاعِرَ الْأَنْدَلُسِيَّ لَمْ يَرَ نِسَاءً مِنَ الْيَهُودِ، فَبَيْنَ الْيَهُودِ كَالْأَنْدَلُسِ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَمُرَّ غَيْرُ وَاحِدَةٍ مِنْ نِسَاءِ الْيَهُودِ بِحَيَاتِهِ. كَمَا أَنَّ الْمَصَادِرَ تَجَاهَلَتْ عِلَاقَةَ الشُّعْرَاءِ بِنِسَاءِ الْيَهُودِ إِنَّ كَانَ هُنَاكَ شَعْرٌ قِيلَ فِيهِمْ وَأَقُولُ بِتَجَاهُلٍ لِمَعْرِفَتِي مِنْ خِلَالِ الشَّعْرِ نَفْسِهِ أَنَّ فُرْصَةَ التَّلَاقِ بِهِنَّ كَانَتْ مَتَيْسَّرَةً، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ التَّجَاهُلُ مَقْصُودًا مِنْ قِبَلِ الشُّعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ.

وَأَشَارَ ابْنُ قُرْمَانَ إِلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ مُلَاقَاةَ نِسَاءِ الْيَهُودِ عَلَى الْأَقْلَى فِي الْمُنْتَزَّهَاتِ الْعَامَّةِ حَيْثُ التَّقَى الْجَارِيَتَيْنِ الْيَهُودِيَّتَيْنِ. فَقَدْ كَثُرَتْ مَجَالِسُ الْإِنْسِ وَاللَّهْوِ فِي أَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ حِكْرًا عَلَى نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَطْ، وَمَحْظُورٌ عَلَى الْيَهُودِيَّاتِ دُخُولُهَا أَوْ الْمُرُورُ مِنْهَا.

١ - هُوَ الشَّاعِرُ الصُّوفِيُّ: سَعْدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَرَبِيٍّ أَوْ الْعَرَبِيِّ، ابْنُ مُحْيِي الدِّينِ الْمَوْلُودِ بِمُرْسِيَّةَ سَنَةِ ٥٦٠هـ، رَجُلٌ عَنْ إِشْبِيلِيَّةَ ٥٩٨هـ إِلَى الشَّرْقِ حَاجًّا، وَتُوفِّيَ ٦٣٨هـ، وَابْنُهُ هَذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شَعْرٌ، وَتُوفِّيَ بِدِمَشْقَ.

انْظُرْ: الْكُنْبِيُّ قَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ ٢/٢٦٨ - ٢٧١؛ الْمُقَرِّي تَفْحُصُ الطُّيُبِ ٢/٣٨٢ - ٣٨٥؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَبَشِيُّ شَذَرَاتُ الدُّهَبِ ٣/٢٨٣ .

٢ - الْمُقَرِّي تَفْحُصُ الطُّيُبِ ٢/٣٨٤ .

وَمِنْ الْمُمْكِنِ لِقَاءُ نِسَاءِ الْيَهُودِ فِي أَمَاكِنِ الْعِبَادَةِ الْخَاصَّةِ بِالْيَهُودِ أَوْ فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهَا؛ فَالشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحَلَ إِلَى الْأَذْيَرَةِ وَالْبَيْعِ بَحْثًا عَنِ الْخَمْرِ مَثَلًا أَوْ النِّسَاءِ الْجَمِيلَاتِ؛ وَهَذَا لَيْسَ جَدِيدًا، فَشَعَرَ الْمَشَارِقَةُ يَفِيضُ بِهَا، وَلَنْ أَقُولَ خَمْرِيَّاتِ أَبِي نُوَاسٍ فَحَسْبُ، فِدْيَانُ بْنُ الْمُعْتَزِّ (١) امْتَلَأَ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْأَذْيَرَةِ وَسَمَّى بَعْضَهَا، وَوَصَفَ الرُّهْبَانَ وَالرَّاهِبَاتِ، فِي قَصِيدَةٍ "سَقَى الْمَطِيرَةَ" مَثَلًا سَمَّى دَيْرَيْنِ وَهُمَا الْمَطِيرَةُ وَدَيْرَ عَدُونِ (٢)، وَفَصَّلَ الْحَدِيثَ عَمَّنْ فِيهِمَا. وَفِي الْأَنْدَلُسِ ظَهَرَتْ حُرِّيَّةٌ أَكْثَرُ فِي التَّحْرُكِ، لَكِنْ لَمْ تَظْهَرْ زِيَارَاتُ لِبَيْعِ الْيَهُودِ فِي شِعْرِهِمْ، وَوَجَدْتُ إِشَارَاتٍ قَلِيلَةً إِلَيْهَا دُونَ تَوْضِيحٍ لِمَا حَصَلَ بِالزِّيَارَةِ وَمَنْ تَمَّتْ مُشَاهَدَتُهُ فِيهَا. وَمِنْهُ قَوْلُ شِهَابِ الدِّينِ بْنِ الْخُلُوفِ (ت: ٨٩٩هـ) (٣) فِي مُقَدِّمَةِ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ لَهُ يَقُولُ فِيهَا (٤):

[لطويل]

فَطُورًا أَرَى فِي كُلِّ سَرَحٍ (٥) وَمَعْبَدٍ وَطُورًا أَرَى فِي كُلِّ دَرَسٍ وَمَعْبَدٍ
وَطُورًا أَرَى فِي كُلِّ دَيْرٍ وَبَيْعَةٍ وَأَصْبُو لِذَاتِ الْحُسْنِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ

تُشِيرُ الْأَبْيَاتُ إِلَى أَنَّ ابْنَ الْخُلُوفِ تَنَقَّلَ بَاحِثًا عَنِ الْحُبِّ بَيْنَ الْمَعَابِدِ وَأَمَاكِنِ الدَّرَسِ وَالتَّعْلِيمِ؛ فَالشَّاعِرُ لَا يَرَى الدِّينَ حَاجِزًا يَمْنَعُ الْوُصُولَ إِلَى جَمِيلَاتِ الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى وَمِنْهُنَّ الْيَهُودِيَّاتُ. وَمِنْ الْإِشَارَاتِ الَّتِي تُدَلُّ عَلَى لِقَاءِ نِسَاءٍ مِنَ الْيَهُودِ مَا قِيلَ فِي أَشْعَارِهِمْ عَنْ بَيْعِ الدِّينِ أَوْ تَغْيِيرِهِ بِسَبَبِ الْحُبِّ (٦)؛ وَلَمْ يُبَيِّنِ الشَّعْرُ إِنْ كَانَ الْمَحْبُوبُ الْمَقْصُودُ مَسِيحِيًّا أَمْ يَهُودِيًّا، وَأَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا؛ فَتَارِيخُنَا الْإِسْلَامِيُّ مَمْلُوءٌ بِقِصَصِ الْحُبِّ الَّتِي أَبْقَتْ عَلَى الْعَرَبِيِّينَ دِينَهُمْ وَإِنْ كَانَ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ مَا يُشِيرُ إِلَى انْحِرَافٍ فِي بَعْضِ مَظَاهِرِ الدِّينِ أَوْ تَشْتِيتٍ فِي الْعِبَادَةِ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ كَمَا رَأَيْنَا عِنْدَ مَجْنُونٍ لَيْلَى حِينَ غَيَّرَ قِبْلَتَهُ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ حِينَ سَهَا فِي عَدَدِ الرُّكْعَاتِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُغَيِّرْ

١ - للمزيد انظر: ابن المعتز ديوانه القصائد النالية: أمكنث عاذلتني ص ١٢، يا أرض عمرو ص ٢٠٣-٢٠٤ صبوت إلى الندامي ص ٢٠٤-٢٠٦، وفتيان لهو ص ٢١١، سقى المطيرة ص ٢١٨-٢١٩، رعى شهرين بالدير ص ٢٢٦، لا تبك للظاعنين ص ٢٤٠. وعاقذ زنار ص ٢٤٢، صحت ص ٣٩١.

٢ - دير المطيرة: في قرية المطيرة من نواحي سر من رأى. انظر: الحميري الرؤوس الميفطار ص ٢٥٢.

دير عَدُون: بظاهر المطيرة، نسبة إلى عدون أخو الوزير صاعد بن مخلد لأنه كان كثير التردد إليه والمقام فيه والعناية بعمارته.

انظر: ابن خلكان وفیات الأعيان ٨٠/٣؛ الحميري الرؤوس الميفطار ص ٢٥١.

٣ - هو الشاعر: أحمد بن محمد الحميري يُعرف بشهاب الدين بن الخلوف. فاسي الأصل، قسطنطيني المولد، ثوسيني الدار، كتب في الأدب نظمًا ونثرًا وبرع فيه. توفي عام ٨٩٩هـ. انظر: السخاوي الضوء اللامع ١٢٢/٢، ١٠٢؛ الزركلي الأعلام ٢٣١/١.

٤ - شهاب الدين ابن الخلوف ديوانه ص ٨٨.

٥ - السرح: دوحة واسعة يحل تحتها الناس في الصيف ويبتئون تحتها البيوت وظلها صالح، وقيل هو كل شجر طال.

ابن منظور لسان العرب [سرح] ٤٨٠/٢.

٦ - قال ابن لئون (ت: بعد ٤٩٣هـ) مثلاً إنه باع دينه من أجل الحب، وفي موشح له أكد أنه يدين بدين الهوى.

انظر: علي بن بشرى الأغرناطي غدة المجلس ص ٣٣٦-٣٣٧؛ ٤٢٢-٤٢٣ / موشحة رقم (٢٢٤، ٢٨١).

ونذكر ابن شفيع البسطي مقرئ المريّة، إن شريعة الحب شرعه، والهوى دينه. انظر: ابن سعيّد المغرب ٧٩/٢.

وتساوت الأديان عند أحمد بن طلحة (ت: ٦٣١هـ). انظر: ابن الخطيب الإحاطة ٢٣٧/١؛ المقرئ نفح الطيب ٢٧٦/٤.

دِينُهُ لِأَجْلِهَا^(١) . وَاسْتَبْدَالَ دِينَ الْحُبِّ بِالْمِلَّةِ وَالَّذِينَ يُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ مِنَ الْخِيَالِ الشَّعْرِيِّ، لِذَا لَمْ تَكُنْ إِجَابَةُ ابْنِ سَهْلٍ الْإِسْرَائِيلِيِّ (ت: ٦٤٩ هـ) ^(٢) غَرِيبَةً حِينَ قَالَ ^(٣) : [لطويل]

يُسَائِلُنِي مِنْ أَيِّ دِينٍ مُدَاعِبًا وَشَمْلُ اعْتِقَادِي فِي هَوَاهُ مُبَدَّدُ
فَوَادِي حَنِيفِي وَلَكِنْ مُقَاتِلِي مَجُوسِيَّةٌ مِنْ خَدِّهِ النَّارُ تَعْبُدُ

٢ - أَثَرُ الْيَهُودِ فِي الْعَزَلِ التَّقْلِيدِيّ

تَصَدَّرَتْ قَصَائِدُ مَذْحِ الْيَهُودِ عَلَى قِلَّتِهَا بِالْعَزَلِ. فَأَبْنُ الْفَرَاءِ الْأَخْفَشُ بْنُ مَيْمُونٍ ^(٤) فِي مَذْحِهِ ابْنَ نَغْرِيلَةَ الْيَهُودِيَّ يَتَغَزَّلُ فِي سُهُولَةٍ نَاسَبَتْ كُنُوزَ الْمَمْدُوحِ يَهُودِيًّا بِقَوْلِهِ ^(٥) : [لرجز]

أَهْوَى الَّذِي تَيَمَّنِي حُبُّهُ وَمَا دَرَى أَنِّي أَهْوَاهُ
أَكَادُ أَفْنَى مِنْ غَرَامٍ بِهِ لَا سِيَّامَا سَاعَةَ الْقَاهُ
وَاللَّهِ مَا يَذْكُرُنِي سَاعَةً وَلَا وَحَقَّ اللَّهُ أَنَسَاهُ

وظَهَرَ عَكْسُ هَذَا عِنْدَ ابْنِ خَيْرَةَ الْمُتَفَتِّلِ فِي الْمَمْدُوحِ نَفْسِهِ، فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مَطْلَعُهَا ^(٦) : [لطويل]

أَحَاجِيكُمْ هَلْ يَمَّمُوا الضَّالَّ وَالسَّدْرَا ^(٧) أَبِي قَلْبِي الْمَعْمُودُ ^(٨) أَنْ يَسْكُنَ الصَّدْرَا
وَفِي الْهُودَجِ الْمَزْرُورِ جُودَرٍ رَمْلَةٍ ^(٩) أَسِيلُ مَجَالٍ الْقُرْطِ فِي حُرَّةِ الدَّفْرَى ^(١٠)

^١ - انظر: قيس بن الملوح ديوان مخننون لئلي ص ٢٩٩ . [الطويل]

وَأَنِّي إِذَا صَلَّيْتُ يَمُمْتُ نَحْوَهَا بَوَّجْهِ وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حُبُّهَا كَعُودِ الشَّجَا أَعْيَا الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
أَصَلِّي فَمَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا أَتُنْتِنِ صَلَّيْتُ الضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا

^٢ - سترد ترجمته له في متن البحث : ص ١٩٦ - ٢١٤ .

^٣ - المَقْرِي تَفْعُ الطَّبِيبِ ٦٩/٥ .

^٤ - هُوَ: الْأَخْفَشُ بْنُ مَيْمُونٍ الْقِبْدَاقِي الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْفَرَاءِ، ذَكَرَهُ الْحَجَارِيُّ فِي الْمُسْتَهْبِ، مِنْ حِصْنِ الْقِبْدَاقِ مِنْ أَعْمَالِ قَلْعَةِ بَنِي سَعِيدٍ، وَتَأَدَّبَ فِي قُرْطُبَةٍ، ثُمَّ عَادَ إِلَى غَرْبَاطَةَ وَاعْتَكَفَ بِهَا عَلَى مَذْحِ وَزِيرِهَا الْيَهُودِيَّ ابْنَ نَغْرِيلَةَ. وَكَانَتْ مُهَاجَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُتَفَتِّلِ شَاعِرِ الْبَيْرَةِ الَّذِي كَانَ كَذَلِكَ مِنْ مَادِحِي الْوَزِيرِ الْيَهُودِي، وَبَعْدَ قَتْلِ الْيَهُودِيٍّ وَفَدَّ عَلَى الْمَرْيَةِ وَمَذْحِ رَفِيعِ الدَّوْلَةِ بَنِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَمَاحٍ.
انظر: ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٨٢/٢ - ١٨٤؛ الْمَقْرِي تَفْعُ الطَّبِيبِ ٣٤٦/٤ - ٣٤٧ .

^٥ - ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٨٢/٢ .

^٦ - ابن بَسَّامِ الدُّخَيْرَةِ ١، ٧٦٣/٢ - ٧٦٤ .

^٧ - السدر: شجر النبق وأحدثها سِدْرَةٌ، وَهُوَ لَوْنَانٍ (عَبْرِيٌّ وَضَالٌّ)، الْعَبْرِيُّ لَا شَوْكَ فِيهِ، وَأَمَّا الضَّالُّ فَهُوَ السَّدْرُ الْبَرِّيُّ أَوْ الْجَبَلِيُّ، وَهُوَ ذُو شَوْكَ.
ابن مَنْظُورِ لِسَانِ الْعَرَبِ [دقر، سدر، ضيل] ٢٩٠/٤، ٣٥٤/٤، ٣٩٧/١١ .

^٨ - الْمَعْمُودُ: الْمَرِيضُ، وَيُقَالُ لَهُ: مَا يَعْمِدُكَ؟ أَيِ مَا يُوجِعُكَ. وَعَمَدَةُ الْمَرَضِ أَيِ أَضْنَاهُ. ابن مَنْظُورِ لِسَانِ الْعَرَبِ [عمد] ٣٠٣/٣ .

^٩ - الْجُودَرُ: الْبَقْرَةُ الْوَحْشِيَّةُ أَوْ وَلَدُهَا وَشَبِهُتْ بِهِ الْمَرْأَةُ لِجَمَالِ عَيُونِهِ . ابن مَنْظُورِ لِسَانِ الْعَرَبِ [جذر] ١٢٤/٤ .

مَزْرُورٌ: مُزَيَّنٌ بِالْأَزْرَارِ الَّتِي تَشْتَدُّ بِهَا الْكِلَالُ وَالسُّتُورُ عَلَى مَا يَكُونُ فِي حَجَلَةِ الْعُرُوسِ. ابن مَنْظُورِ لِسَانِ الْعَرَبِ [زرر] ٣٢١/٤ .
وَرَدَ الْهُودَجُ الْمَزْرُورُ كَثِيرًا فِي أَشْعَارِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الْحَدَّادِ: [الطويل]

وَمَا حَرَنِي إِلَّا نَعُوجُ خُدُوجِهِمْ لَوَالْهُودَجُ الْمَزْرُورُ مِنْهُمْ عَائِجُ
حُرَّةُ الدَّفْرَى: مَوْضِعُ مَجَالِ الْقُرْطِ مِنْهَا. ابن الْحَدَّادِ الْأَنْدَلُسِيُّ دِيوَانُهُ ص ١٧٤ .
ابن مَنْظُورِ لِسَانِ الْعَرَبِ [حر] ١٨٣/٤ .

فَالْقُوَّةُ وَالْجَزَالَةُ وَاضِحَةٌ عِنْدَ ابْنِ خَيْرَةَ، وَالتَّرَمُّ الشَّاعِرُ النَّمَطُ الْعَرَبِيُّ الْقَدِيمُ لِقَصَائِدِ الْمَدْحِ؛ بِدَأْهَا بِمُقَدِّمَةِ طَلِيلَةِ قَصِيرَةٍ تَتَخَدَّثُ عَنِ الرَّحِيلِ وَآثَرِهِ عَلَى قَلْبِهِ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يَفْقَرَ مِنْ صَدْرِهِ، اسْتَهْلَهَا بِسُؤَالٍ طَرَحَهُ أَمَامَ الرَّحِيلِ مُسْتَفْهِمًا مُسْتَعْرِبًا إِنْ كَانَتْ الْمَحْبُوبَةُ قَدْ غَادَرَتْ الدِّيَارَ وَرَحَلَتْ، ثُمَّ لَاحَقَ هُودَجَ الْمَحْبُوبَةِ بَيْنَمَا قَلْبُهُ الْمَرِيضُ بِحُبِّهِ دَائِمُ الْحَرَكَةِ وَالْخَفَقَانِ يَأْبَى السُّكُونَ لِتَفْكِيرِهِ بِرَاكِبَةِ ذَاكَ الْهُودَجِ، وَكُلُّ هَذَا مُقَدِّمَةٌ لِلْعَزْلِ بِالْمَحْبُوبَةِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَدْحِ الْيَهُودِيِّ.

وَلَمْ تَخْتَلَفْ مُقَدِّمَةُ الْمُتَفَقِّلِ وَمَا تَلَاهَا فِي الْقَصِيدَةِ عَنْ مَثِيلَاتِهَا عِنْدَ الْعَرَبِ فِي مَدْحِ غَيْرِ الْيَهُودِ، فَعَنِي كَثِيرًا بِجَزَالَةِ الْأَلْفَاظِ كَالْعَادَةِ فِي شِعْرِ الْمَدْحِ، وَلاَحَقَ هُودَجَ الْمَحْبُوبَةِ، وَوَصَفَ آثَرَ الْحُبِّ، ثُمَّ تَخَدَّثَ عَنْ مَخَاسِنِهَا بِتَشَابِيهِ مَطْرُوقَةٍ وَرَدَّ مَثِيلَ لَهَا فِي شِعْرِ الْعَرَبِ، بِقَوْلِهِ (١): [لطويل]

كَأَنَّ الثَّرِيَّا مَا بَدَأَ مِنْ وَشَاحِهَا وَقَدْ هَمَّتِ الْأَرْدَافُ أَنْ تُسَلِّمَ الْخَصْرَا
يُذَكِّرُنِي شَكْلَ الْهَلَالِ سِوَارُهَا وَقَدْ أُرْسَلْتُ مِنْ دُونِ هُودَجِهَا سِثْرَا
يَقُولُونَ إِنَّ السَّحَرَ فِي أَرْضِ بَابِلَ وَلَوْ عَايَنُوا أَجْفَاتَهَا نَظَرُوا السَّحْرَا
يُرِيكَ طُلُوعَ الْبَدْرِ طَرَقَ شُعَاعِهَا وَتَفْجَأُ مِنْ إِيضَاحِ غُرَّتِهَا الشُّعْرَى (٢)
فِيَا لَكَ مِنْ تَحْرِيرِ زَيْنٍ عَقْدَهَا إِذَا عَقْدُ مَنْ شَجَى بِهَا زَيْنَ النَّحْرَا

فَوَشَاحُهَا الْمُزَيْنُ بِاللَّالِي يُشَبِّهُ الثَّرِيَّا، وَسِوَارُهَا كَالْهَلَالِ، وَسَحَرُ جُفُونِهَا فَاقَ سِحَرَ السَّحَرَةِ بِبَابِلَ. وَالْعِقْدُ إِذَا دَادَ جَمَالًا عَلَى النَّحْرِ الْجَمِيلِ، ثُمَّ وَصَفَ الْمُتَفَقِّلُ آثَرَ الْحُبِّ عَلَيْهِ، فَقَالَ (٣): [لطويل]

فَلَا هَجَرْتُ عَيْنِي سَوَابِقُ أَدْمَعِي كَمَا أَنَّ لَيْلِي بَعْدَهُمْ هَجَرَ الْقَجْرَا
فَقُلْ فِي شَجٍّ قَدْ بَاتَ يَمْسَحُ دَمْعُهُ بَغْفٍ وَأُخْرَى تَحْتَهَا كَبِدٌ حَرَّى (٤)
وَقَدْ ضَرَبَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ رَوَاقَهُ وَأَطْلَعَ فِي الْإِفَاقِ أَنْجَمُهُ الزُّهْرَا
كَأَنَّ سَمَاءَ الْأَرْضِ بِخَرٍ زَبْرَجِدٍ وَقَدْ نَثَرَ الْغَوَاصُ مِنْ فَوْقِهِ دُرًّا
لَقَدْ طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَالْدَّهْرُ بَعْضُهُ وَلَمْ أَرَ لَيْلًا قَبْلَهُ شَاكِلَ الدَّهْرَا
وَمَا اكْتَحَلْتُ عَيْنِي بِمِثْلِ ابْنِ يُوسُفَ وَلَسْتُ أَحَاشِي الشَّمْسَ مِنْ دَا وَلَا (٥) الْبَدْرَا

وَمِنْ وَصَفِ دُمُوعِهِ الْعَزِيرَةِ الْمُتَسَاقِطَةِ دُونَ انْقِطَاعِ انْتَقَلَ لِلْحَدِيثِ عَنْ مَخْبَأِ هَذِهِ الدُّمُوعِ وَهُوَ لَيْلُ الْعُشَاقِ الطَّوِيلِ. وَلَا هَمَّ لَدَى الشَّاعِرِ إِلَّا أَنْ يَمْسَحَ دُمُوعَهُ الْعَزِيرَةَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ وَالْيَدِ الْأُخْرَى يَضَعُهَا عَلَى كَبِدٍ مُتَأَلِّمَةٍ مُلْتَهَبَةٍ لِشِدَّةِ أَلَمِهِ مِنَ الْحُبِّ، وَفِي هَذَا تَقْلِيدٌ لِمَنْ قَالَ بِأَنَّ آثَرَ الْحُبِّ يَظْهَرُ عَلَى الْكَبِدِ وَلَيْسَ الْقَلْبُ (٦). ثُمَّ يَصِفُ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ، وَيَتَخَلَّصُ حَسَنَ يَنْتَقِلُ إِلَى الْهَدَفِ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَهُوَ مَدْحُ ابْنِ يُوسُفَ الَّذِي جَاءَ نُورُهُ كَالْقَمَرِ الَّذِي يُزِيلُ سَوَادَ اللَّيْلِ، بَلْ كَانَ كَالشَّمْسِ شَدِيدَةِ اللَّمْعَانِ. فَالْأَبْيَاتُ السَّابِقَةُ فِي الْعَزْلِ وَآثَرِهِ وَطُولُ اللَّيْلِ مَا هِيَ إِلَّا مُقَدِّمَاتٌ تَقْلِيدِيَّةٌ لِلْمَدْحِ. وَلَمْ يَتَأَثَّرِ الْعَزْلُ كَثِيرًا بِكُونِ الْمَمْدُوحِ يَهُودِيًّا سِوَاءَ فِي أَبْيَاتِ الْعَزْلِ أَمْ فِي الْمَدْحِ

١ - ابن بسام الذَّخِيرَةُ ق ١، م ٧٦٤/٢.

٢ - الشعري: كوكب يُزَيَّرُ يُقَالُ لَهُ الْمُرْزَمُ يَطْلُعُ بَعْدَ الْجُوزَاءِ، وَطُلُوعُهُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ. ابن منظور لِسَانُ الْعَرَبِ [شعر] ٤١٦/٤.

٣ - ابن بسام الذَّخِيرَةُ ق ١، م ٧٦٣/٢ - ٧٦٤.

٤ - الكبد الحَرَّى: المُلْتَهَبَةُ كَالنَّارِ الْمُشْتَغَلَةِ. لِأَنَّ الْحَرَّى وَالْحَرَاةَ تُسْتَعْمَلُ لَصَوْتِ النَّارِ الْمُشْتَغَلَةِ.

٥ - ابن منظور لِسَانُ الْعَرَبِ [حرر] ١٧٨/٤.

٦ - أحاشي: أَفْرَعُ مِنْ حَاشٍ يَحِيشُ حَيْشًا إِذَا فَرَعَ، وَأَحَاشِي فَلَانًا: أَبْعَدُهُ وَأَعَزَلَهُ. ابن منظور لِسَانُ الْعَرَبِ [حيش] ١٨١/١٤. يقصد أَنَّهُ لَنْ يَخَافَ غُرُوبَ الشَّمْسِ وَلَا اخْتِفَاءَ الْقَمَرِ.

٦ - كَانَ الشُّعْرَاءُ الْمُحِبُّونَ قَسَمِينَ: مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ الْقَلْبَ مَرْكَزَ يَظْهَرُ بِهِ آثَرُ الْحُبِّ وَأَلَمُهُ الشَّدِيدُ وَهَذَا الشَّاعِرُ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، لَكِنْ وَجَدَ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الْكَبِدَ هِيَ مَكَانُ الْأَلَمِ النَّاتِجِ عَنْ شِدَّةِ الْحُبِّ وَمِنْهُمْ عَرُودٌ حِينَ قَالَ فِي مَحَبُّوبَتِهِ عَفْرَاءَ: [الطويل]

عَلَى كَبِدِي مِنْ حُبِّ عَفْرَاءٍ قَرَحَةٌ وَعَيْنَايَ مِنْ وَجْدٍ بِهَا تَكَفَانُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي الْأَمَالِيُّ ١٦٠/٢.

انظر: إِبْرَاهِيمَ السَّامِرَانِي وَأَحْمَدَ بَشَرَ شِعْرُ غُرُودِ بْنِ حَزَامٍ، مَجَلَّةُ كَلْبِيَّةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ بَغْدَادِ، ١٩٦١م، ع ٤٤، ص ١٢.

بَعْدَهَا، وَلَمْ يَظْهَرْ فِي الْقَصِيدَةِ أَيُّ تَجْدِيدٍ أَوْ غَرَابَةٍ عَمَّا اعتادتِ العربُ سَمَاعَهُ؛ وَالْقَصِيدَةُ تَقْلِيدِيَّةٌ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا.

٣- أثر اليهود في شعر الغزل بالعلمان

لَمْ يَظْهَرْ اسْمُ لِقَاءِ مِنَ الْيَهُودِ اخْتَلَّتْ مَسَاحَةٌ وَاسِعَةٌ مِنْ شِعْرِ شَاعِرٍ أَنْدَلُسِيِّ بَيْنَمَا شَاعَ الْغَزْلُ بِعِلْمَانِ الْيَهُودِ فِي شِعْرِهِمْ؛ فَعِمْرَانُ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ^(١) مَلِيحٌ إِشْبِيلِيَّةٌ تَعَزَّلَ فِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنْهُمْ ابْنُ حَجَّاجٍ الْعَافِيُّ الْغَيْشُومِ (ت: ٤٣٠ هـ)، بِقَوْلِهِ^(٢): [لكمل]

بُعِثْتُ لَهُ مِنْ كَافِرِي عَشَّاقِهِ مَنْ مَبْلَغُ مُوسَى الْمَلِيحِ رِسَالَةٌ
لَوْ لَمْ تَكُنْ تَوْرَاتُهُ مِنْ سَاقِهِ مَا كَانَ خَلْقٌ رَاغِبًا عَنْ دِينِهِ

وَقَدْ يَكُونُ الشَّاعِرُ التَّقَاهُ فِعْلًا لِأَنَّهُ تَعَزَّلَ فِيهِ بِأَبْيَاتٍ أُخْرَى غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ، مِنْهَا قَوْلُهُ^(٣): [سريع]

وَأَنْتَ يَا مُوسَى قَدْ اخْتَرْتَهُ وَاخْتَارَ مُوسَى قَبْلُ مِنْ قَوْمِهِ

حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنِ التَّقَى بِهِ فَقَدْ سَمِعَ عَنْهُ لِشُهْرَتِهِ. وَلِأَنَّ الشَّاعِرَ وَالْقَتَى مِنْ إِشْبِيلِيَّةٍ يَتَرَجَّحُ لَدَيَّ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ التَّقَاهُ فِعْلًا وَفِي إِشْبِيلِيَّةٍ. وَظَهَرَ حُسْنُ التَّعْلِيلِ^(٤) عِنْدَ الشَّاعِرِ بِقَوْلِهِ إِنَّ النَّاسَ تَرَعَبُ عَنْ دِينِ الْقَتَى مُوسَى وَهُوَ دِينُ الْيَهُودِ لِأَنَّ "تَوْرَاتَهُ مِنْ سَاقِهِ"، وَلَمْ تُسَعِّفْنِي كُتُبُ الثَّرَاثِ لِتَوْضِيحِ الْمَعْنَى، فَرَجَّحْتُ أَنَّهُ قَصَدَ بِقَوْلِهِ "سَاقِيهِ" السَّاقِيَّ الَّذِي يَسْقِي الْخَمْرَ، وَ"التَّوْرَةَ" هِيَ الشَّرَائِعُ وَالْقَوَانِينُ؛ وَالنَّاسُ تُعْرِضُ عَنْهُ لِأَنَّهُ يَأْخُذُ قَوَانِينَهُ وَشَرَائِعَهُ مِمَّنْ يَسْقِيهِ الْخَمْرَ إِشَارَةً إِلَى مُجُونِهِ.

١ - هُوَ: عِمْرَانُ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، يُقَالُ بِمَلِيحٍ إِشْبِيلِيَّةٍ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ، تَعَزَّلَ بِهِ عَدَدٌ مِنْ شُعْرَاءِ إِشْبِيلِيَّةٍ.

انظر: ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢٨٨/١؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٠٩، ٢٧١/٥.

٢ - صفوان ابن إدريس زَادُ الْمُسَافِرِ ص ١٠٦ - ١٠٨؛ ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢٦٧/١؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٦٨/٥.

٣ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٦٨/٥.

٤ - حَسَنُ التَّعْلِيلِ: وَهُوَ أَنْ يُدْعَى لَوْصَفٍ عِلَّةٌ مَنَاسِبَةٌ لَهُ بِاعْتِبَارِ لَطِيفٍ غَيْرِ حَقِيقِي.

انظر: الْخَطِيبُ الْقُرُونِيُّ الْإِيضَاحُ فِي غُلُومِ الْبَلَاغَةِ ص ٥١٨ - ٥٢٣.

الشديد وبذا تأثر الشاعر بالموروث في محاورته لليهودي؛ فاختار الغلام المسمى "موسى" (١) ليكون محبوبه وليكون شبيهاً للنبي موسى الذي اختار سبعين من قومه لميقات الله، ويشير عجز البيت إلى تأثر واضح بالقرآن (٢)، ولم يكتف ابن حجاج بالبيتين السابقين، ففعل فيه (٣): [سريع]

إِنَّ الزَّوِيلِيَّ (٤) قَتَى شَاعِرٌ قَدْ أَعْجَبَ الْعَالَمَ مِنْ نَظْمِهِ

فالمذعور موسى زويلي منسوب إلى زويلة، وزويلة اسم لعدة مدن شمال إفريقيا، منها واحدة في طرابلس إفريقيا (٥) كان يجلب منها الرقيق (٦)، وقد يكون موسى هذا رقيقاً مجلوباً منها، وقد يكون ساقياً للخمر في إحدى حانات الخمر التي اشتهرت بوجود اليهود، فكان منهم أصحاب لتلك الحانات أو باعة للخمر فيها أو رواداً. وانظر إلى أي مرتبة ارتفع الشاعر بموسى في البيت الثاني، فاختاره من بين كل البشر ليصبح في محبته مشابهاً لحالة النبي موسى عليه السلام حين اختار من قومه أفضلهم لميقاته مع ربه. وكان مثله أحمد الكساذ (٧) الذي تغزل في موسى مليح إشبيلية بقوله (٨): [نخيب]

مَا لِمُوسَى قَدْ حَرَّ اللَّهُ لَمَّا قَاضَ نُورٌ أَغْشَاهُ ضَوْءُ سَنَاهُ

وَأَنَا قَدْ صَعِقْتُ (٩) مِنْ نُورِ مُوسَى لَا أَطِيقُ الْوُقُوفَ حِينَ أَرَاهُ

ولم يقف الأمر عند التغزل بهذا الفتى بل رثاه الكساذ لما مات فقال فيه (١٠): [لمد]

هَتَفَ النَّاعِي بِشَجْوِ الْأَبَدِ إِذْ نَعَى مُوسَى بْنَ عَبْدِ الصَّمَدِ
مَا عَلَيْهِمْ وَيَحْتُمُّ لَوْ دَقُّوا فِي فَوَادِي قِطْعَةٍ مِنْ كِبَدِي

وَقَالَ فِيهِ كَذَلِكَ (١١): [سريع]

رُدَّ إِلَى الْجَنَّةِ حُورِيَّهَا وَارْتَفَعَ الْحُسْنُ مِنَ الْأَرْضِ

١ - موسى المعني هو: موسى بن عبد الصمد مليح إشبيلية، سبقت ترجمته.

٢ - من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمَةً﴾ سورة الأعراف، آية ١٥٥.

٣ - المقرئ تفتح الطيب ٢٦٨/٥.

٤ - الزويلي نسبة إلى زويلة، بفتح الأول وكسر الثاني، اسم لعدة مدن بإفريقية واحدة منها في طرابلس يجلب منها الرقيق، وثانية زويلة بناها المهدي عبيد الله إلى جانب المهدية. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ١٦٠/٣؛ الحميري الروض المغطار ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

٥ - طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام مضمومة ويقال أطرابلس وطرابلس الغرب، معناها بالرومية والإغريقية ثلاث مدن، مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال إفريقيا.

انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٢٥/٤؛ الحميري الروض المغطار ص ٣٨٩ - ٣٩٠.

٦ - انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ١٦٠/٣؛ الحميري الروض المغطار ص ٢٩٦.

٧ - هو: أبو العباس أحمد المقرئ المعروف بالكساذ، كان شاعراً وشاحاً رجلاً في إشبيلية في مدة منصور بني عبد المؤمن، وكان يهوى موسى مليح إشبيلية. انظر: ابن سنييد المغرب ٢٨٨/١؛ المقرئ تفتح الطيب ٢٧١/٥.

٨ - المقرئ تفتح الطيب ٢٧١/٥.

٩ - متأثر بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا تَحْلِرُ لَهُ لِحْلِحَتَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ سورة الأعراف، آية ٤٣.

١٠ - ابن سنييد المغرب ٢٨٨/١؛ المقرئ تفتح الطيب ٢٧١/٥.

١١ - نفسه والصفاحات نفسها، مع اختلاف فر بدلاً من رد في تفتح الطيب.

وَأَصْبَحَ الْعُشَّاقُ فِي مَأْتَمٍ بَعْضُهُمْ يَبْكِي عَلَى بَعْضٍ
وَرُغْمَ قِلَّةِ الشَّعْرِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شُعْرَاءِ الْيَهُودِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَخُلْ مِنَ الْعَزَلِ بِالْغُلَمَانِ وَمِنْ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ
بْنُ الْفَخَّارِ الْيَهُودِيُّ^(١) الَّذِي بَدَأَ تَأَثُّرُهُ الْوَاضِحُ بِالْمُحَسَّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ فِي قَوْلِهِ^(٢): [لطويك]
وَلَمَّا دَجَا لَيْلُ الْعِدَارِ بِحَدِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى وَأَسْتَرُ
وَأَصْبَحَ عُذَالِي يَقُولُونَ صَاحِبُ فَأَخْلُو بِهِ جَهْرًا وَلَا أَسْتَرُ
وَذُكِرَتْ أَسْمَاءُ لِلْيَهُودِ فِي مُوشَّحَاتِهِمْ كَابْنِ رَاحِيلَ فِي مُوشَّحَةِ لَابْنِ بَقْيٍ (ت: ٥٤٠هـ)^(٣) بِقَوْلِهِ^(٤):
سَاحِرِ الطَّرْفِ رَخِيمٍ فِي صِفَاتِ ابْنِ رَاحِيلَ
طَيِّبِ الشَّمِّ لَذِيذِ اللَّثْمِ حُلُوِ التَّقْيِيلِ
وَوَظَهَرَ ابْنُ رَاحِيلَ كَذَلِكَ فِي مُوشَّحَةٍ أُخْرَى لِلْمُسَمَّى ابْنِ رَافِعِ رَأْسُهُ، يَقُولُ فِيهَا^(٥):
يَا أَشْبَهَ الْقَوْمِ بِالْفَتَى ابْنِ رَاحِيلَ
أَقْصِرْ عَنِ لَوْمِي مُذْ رَأَىكَ عَدُولِي
هَبْ لِي مِنْ نَوْمِي كَهَبِّاتٍ ۞
وَوَظَهَرَ تَأَثُّرُ الْيَهُودِ فِي هَذَا الْعَزَلِ كَذَلِكَ بِعَزَلِ ابْنِ سَهْلٍ الْإِسْرَائِيلِيِّ بِقَتْلِهِ الْمُسَمَّى مُوسَى حَيْثُ قَصَرَ عَلَيْهِ
جُلَّ عَزَلِهِ، مِمَّا جَعَلَ بَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ أَبَا نُوَّاسٍ الْأَنْدَلُسِيِّ^(٦).

٤- الْعَزَلُ عِنْدَ شُعْرَاءِ مِنَ الْيَهُودِ

لَا بُدَّ أَنْ لِلْيَهُودِ شِعْرًا نُظِمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي الْعَزَلِ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ تَعَلَّمَ
الْعَرَبِيَّةَ، وَنُظِمَ بِهَا، لَكِنْ لَمْ تُعْطِنَا الْمَصَادِرُ كَثِيرًا فِي هَذَا وَبِشَهَادَةِ أَسَاتِذَةِ الْعَرَبِ أَظْهَرَ بَعْضُ

١ - سَتَرْدُ تَرْجَمَةٌ لَهُ فِي مَثْنِ الْبَحْثِ : ص ٢٢٧ .

٢ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٤/٥ .

٣ - هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَقْيٍ الْأَنْدَلُسِيِّ الْفَرَطِيِّ (ت: ٥٤٠هـ)، قَلَّمَا يَخْلُو شِعْرُهُ مِنْ بَدِيعٍ، صَاحِبُ
مُوشَّحَاتٍ، قِيلَ إِنَّ لَهُ مَا يَنيفُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ مُوشَّحَةٍ وَمِثْلَهَا قِصَائِدٌ وَمَقْطَعَاتٌ، أَصْلُهُ مِنْ سَرَفِ سَطْرَةٍ، وَتَأَدَّبَ بِإِسْبِيلِيَّةٍ شَهِدَ فِتْنَةَ طُلَيْطَلَةَ تَقَلَّبَ فِي بِلَادِ
اللَّهِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْقَاسِمِ فَقَصَرَ مَدَائِحَهُ عَلَيْهِ ثَوْفِي بَوَادِي آش ٥٤٠هـ أَوْ ٥٤٥هـ .

انْظُرْ: الْفَتْحُ ابْنِ خَاقَانَ قَلَائِدُ الْعُقَيَّانِ ق ٢، ج ٢/٢٧٨؛ مَطْمَحُ الْأَنْفُسِ ص ٤٠٧ - ٤٠٨؛ ابْنُ بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ٢، م ٢/٦١٥ - ٦٣٦؛
الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ١/١٣٠ - ١٤٣، ق ٤، ج ٢/٦٦٧؛ يَأْقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْأَنْبَاءِ ٢٠/٢١ - ٢٥؛ ابْنُ خُلَكَانَ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٦/٢٠٢؛
ابْنُ سَعْدٍ الْمَغْرِبِ ١٩/٢، رَايَاتُ الْمُتَبَرِّزِينَ ١٣٦ - ١٣٨؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ١٧/٢، ١٤/٦ - ١٨ .

٤ - عَلِيٌّ بْنُ بَشْرٍ الْأَعْرَنْطِيُّ عُدَّةُ الْجَلِيسِ ص ٥١٤ - ٥١٥ / مُوشَّحَةٌ رَقْمُ (٣٤٤) .

٥ - سِيدُ غَازِي دِيَوَانُ الْمُوشَّحَاتِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ١٤/١ .

٦ - هُوَ: بِاقِيلٌ، رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ اشْتَرَى ظَنِيْبًا بِأَحَدِ عَشْرِ دِرْهَمًا فَقِيلَ لَهُ: بِكُمْ اشْتَرَيْتَهُ، فَفَتَحَ كَفِيْهِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ، بِشِيرٍ بِذَلِكَ إِلَى أَحَدِ
عَشْرِ، فَانْفَلَتَ الظَّنِيْبُ، فَضَرَبُوا بِهِ الْمَثْلَ فِي الْعِيِّ بِقَوْلِهِمْ: أَعْيَا مِنْ بِاقِيلٍ . انْظُرْ: الرَّازِيَّ مُخْتَارُ الصَّحَاحِ ٢٤/١ .

٧ - مُحَرَّرٌ مِنْ شَاوِي أَبِي نُوَّاسٍ الْأَنْدَلُسِيِّ؛ ابْنُ سَهْلٍ الْإِسْرَائِيلِيِّ ص ١٦٠ - ١٦١، وَسَيَرْدُ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ سَهْلٍ حَدِيثٌ عَنْهُ .

اليهود نجابة في تعلم النظم؛ فهذا أبو عامر ابن شهيد (ت ٤٢٦ هـ) يقول: إنه جلس إليه يوماً يوسف ابن إسحاق الإسرائيلي وكان أفهم تلميذ مر به. وهو يوصي رجلاً عزيزاً عليه من أهل قرطبة عن كيفية نظم الشعر، وطلب إليه أن يأتي العداة عليه بشيء يصنعه يدل على أنه فهم. وكان ذلك اليهودي ساكتاً يعي ما يقال، فعذا القرطبي فأنشد لأستاذه، ثم جاء اليهودي، فأنشده^(١): [لمتقارب]

أَيَّم رُكْبَانَهُمْ مَنَعَجَا^(٢) وَقَدْ ضَمَّنُوا قَلْبَكَ الْهُودَجَا؟

واستمر إلى آخر قصيدته، فأتى بكل حسن، فقال القرطبي: شعر اليهودي أحسن من شعري^(٣)، ويلاحظ أن ابن بسام لم يذكر إلا بيتاً واحداً من قصيدة اليهودي رغم نجابته وجودة شعره.

ومن القليل الذي ذكر من شعر اليهود أبيات من الشعر في الغزل أوردها ابن سعيد في "المغرب" ونسبها إلى ابن نغيلة الذي قتله الصنهاجيون، قال فيها^(٤): [لسريع]

يَا غَائِبًا عَنْ نَاطِرِي لَمْ يَغِبْ
عَنْ خَاطِرِي رَفَقًا عَلَى الصَّبِّ
فَمَا لَهُ فِي الْبُعْدِ مِنْ سَلْوَةٍ
وَمَا لَهُ سُولٌ^(٥) سِوَى
صُورَتِ فِي قَلْبِي فَلَمْ تَبْتَعِدْ
عَنْ نَاطِرِ الْفِكْرَةِ بِالْحُبِّ
مَا أَوْحَشَتْ طَلْعَةً مَنْ لَمْ يَزَلْ
يُنْقَلُ مِنْ طَرَفٍ إِلَى قَلْبٍ

وقال ابن سعيد إنه أخذها عن "المسهب"، ولم تثبتها المصادر الأخرى. ولا يمكن أن تكون هذه الأبيات المثبتة في "المغرب" هي الوحيدة التي قالها هذا اليهودي، وعادة ابن سعيد في كتابه أن يختار أبياتاً قليلة جداً للشعراء حتى لو كان لديهم الكثير من الشعر. إذا أرى أن أبياتاً متوقعة لهذا الشاعر ولغيره من شعراء اليهود غابت عن هذا الكتاب وعن غيره من الكتب.

والأبيات السابقة لا تكفي للحكم، لكن غياب غيرها يدفع إلى القول بأن الغزل عند شعراء اليهود كان على شاكلتها ولا يختلف عما قاله العرب؛ فلا جديد فيها، ومعانيها تقليدية. إلا أنها انحطت رتبة لكثرة طلب الشاعر للمحسنات مضافاً إليها عدم عنايته باختيار ألفاظه؛ فالطباق في "غائباً ولم يغيب" وفي "البعد والقرب" وفي "البعد ولم تبتعد". والجناس مائل في "سلوة وسول"، بجانب التكرار في المعنى واللفظ رغم قلة الأبيات. وهذا جعل الفكرة فيها سطحية باهتة والعاطفة باردة غير متأججة. ولا يمكن نسبتها مثلاً لشاعر عربي له باع في الشعر؛ فالركاكة فيها بادية. بالإضافة إلى أن خلوها

١ - ابن بسام النخيرة ق ١، م ٢٣٣/١.

٢ - منعج: بالفتح ثم السكون وكسر العين، موضع بالمدينة لبني عامر.

٣ - انظر: ابن بسام النخيرة ق ١، م ٢٣٣/١ - ٢٣٤.

٤ - ابن سعيد المغرب ١١٤/٢.

٥ - سؤل الإنسان: أمنيته أن يتمناها فنزئ لطلبها الباطل وغيره من غرور الدنيا؛ وأصل السؤل مهموز عند العرب استنقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به على تخفيف الهمز.

ابن منظور لسان العرب [سؤل] ٣٥٠/١١.

مِنَ التَّشْبِيهَاتِ وَالصُّورِ جَعَلَهَا غَرِيبَةً بَعْضَ الشَّيْءِ عَنِ شِعْرِ الْعَزْلِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْأَنْدَلُسِيُّونَ مُمْتَلَأًا بِتَشَابِيهِ
وَصُورٍ فِيهَا تَجْدِيدٌ وَفِيهَا تَنَوُّعٌ فِي أَغْلِبِ الْأَحْيَانِ.

ثَانِيًا: - الْيَهُودُ فِي شِعْرِ الْمَدْحِ

يَسِيرُ الْحَدِيثُ عَنْ أَثَرِ الْيَهُودِ فِي شِعْرِ الْمَدْحِ فِي اتِّجَاهَيْنِ: الْأَوَّلُ مِنْهُمَا مَدْحُ الْيَهُودِ، وَالثَّانِي
أَثَرُ الْيَهُودِ فِي مَدْحِ الشُّعْرَاءِ لِرِجَالِ الْأَنْدَلُسِ .

الْإِتِّجَاهُ الْأَوَّلُ: مَدْحُ الْيَهُودِ

يُلاحَظُ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الشُّعْرِ أَنَّ الشُّعْرَاءَ لَمْ يَتَأَثَّرُوا بِالْيَهُودِ فِيهِ. وَأَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ إِنَّ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا
مِنْ قَصَائِدِ الْمَدْحِ الَّتِي قِيلَتْ فِي الْيَهُودِ لَمْ يَكُنْ بِطَوِيلٍ ۖ قَصَائِدِ الْمَدْحِ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي مَدْحِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ
أَوْ الْقَادَةِ الْعَرَبِ فِي تِلْكَ الْبَيْئَةِ أَوْ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ عَامَّةً، وَهُنَاكَ أَسْبَابٌ عَدِيدَةٌ وَرَاءَ هَذَا؛ فَقَدْ يَكُونُ مُعْظَمُ
شِعْرِ الْمَدْحِ الَّذِي قِيلَ فِي الْيَهُودِ اخْتَفَى أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا كَامِلًا ۖ لَا لِنَقْرَأَ فِيهِ الطَّوِيلَ، فَالَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهُ
مُقْطَعَاتٌ قَصِيرَةٌ أَوْ أَبْيَاتٌ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْمَصَادِرِ، فَلَمْ أَعْثُرْ عَلَى قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ، كَمَا أَنَّ قَلَّةً
مَعْدُودَةً مِنَ الشُّعْرَاءِ هِيَ الَّتِي مَدَحَتْ شَخْصِيَّاتٍ يَهُودِيَّةً، وَكَانَ ابْنُ نَعْرِيلَةَ الشَّخْصِيَّةَ الْمَحُورِيَّةَ فِي هَذَا
الشُّعْرِ.

أَثَرُ ابْنِ نَعْرِيلَةَ فِي شِعْرِ مَدْحِ الْيَهُودِ

تَكَادُ تَكُونُ شَخْصِيَّةُ ابْنِ نَعْرِيلَةَ سِوَاءَ الْأَبِ أَوْ الْإِبْنِ^(١) الْوَحِيدَةَ الَّتِي ظَهَرَتْ فِيهَا وَصَلَ إِلَيْنَا فِي
شِعْرِ مَدْحِ الْيَهُودِ، وَبِالنَّظَرِ فِي الْأَبْيَاتِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهِ يُمَكِّنُ اسْتِخْرَاجَ أَهَمِّ سِمَاتِ مَدْحِ الْيَهُودِ. وَابْنُ
نَعْرِيلَةَ هُوَ الْوَزِيرُ الْيَهُودِيُّ إِسْمَاعِيلُ، وَهُوَ الْأَبُ الَّذِي اشتهَرَ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَطَيْبِ تَعَامُلِهِ بِجَانِبِ دَهَائِهِ
وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ بِعَكْسِ ابْنِهِ إِذَا يَكُونُ إِسْمَاعِيلُ الْأَبُ هُوَ الْمَقْصُودُ فِي الْمَدْحِ وَهُوَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِي إِنَّ لَمْ أَذْكَرْ
مَا يُخَصِّصُهُ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِابْنِهِ يَوْسُفَ الَّذِي ثَارَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ وَقَتْلَتْهُ سَوْفَ أَثْبِتَ اسْمَهُ كَامِلًا فِي
الْحَدِيثِ حَتَّى لَا يَحْصُلَ لُبْسٌ.

وَلَا يُمَكِّنُ الْآنَ الْبَحْثُ فِي الدَّافِعِ الَّذِي حَدَا بِهِؤَلَاءِ الشُّعْرَاءِ إِلَى مَدْحِ هَذَا الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ، فَبَعْدَ
انْقِضَاءِ وَقْتِ طَوِيلٍ عَلَى نَظْمِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْعَارِ لَا أَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ بِأَنَّ الشُّعْرَاءَ الَّذِينَ مَدَحُوا هَذَا الْيَهُودِيَّ
كَانُوا يَتَمَلَّقُونَهُ كَمَا يَرَى هِنْرِي بِيرْسُ^(٢) أَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي مَدْحِهِ، لِأَنَّ هَذَا سَيَقُودُنَا إِلَى الْبَحْثِ فِي
النَّوَايَا. وَإِنْ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا غَيْرَ مَا رَأَوْا، وَمَنْ يَتَمَلَّقُ عَادَةً يَقُلُّ فِي الْمَمْدُوحِ غَيْرَ مَا هُوَ
مَوْجُودٌ لِيَكْسِبَ وَدَّهَ أَوْ يَنَالَ حُظُوَّةَ عِنْدَهُ.

^١ - ابْنُ نَعْرِيلَةَ يُطْلَقُ عَلَى اثْنَيْنِ مِنْ وُزَرَاءِ عَرْنَاطَةِ الْأَبِ وَالْإِبْنِ، وَسَيَرُدُّ حَدِيثٌ عَنْهُمَا فِي الْبَحْثِ : ص ٢٧٨ - ٢٨٩ .

^٢ - انْظُرْ: هِنْرِي بِيرْسُ الشُّعْرُ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي عَصْرِ الطَّوَائِفِ ص ٢٤٥ .

وَحَتَّى لَوْ كَانَ الشَّاعِرُ يَتَحَدَّثُ عَنْ وَاقِعٍ فَهَذَا لَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ التَّمْلُقُ حَاصِلًا، خَاصَّةً حِينَ يَكُونُ الْمَمْدُوحُ لَهُ مِنَ السَّطُوَّةِ وَالنُّفُودِ مَا لِدَاكَ الْيَهُودِيَّ. إِلَّا أَنْ بَكَاءَ ابْنِ الْفَرَّاءِ الْأَخْفَشِ عَلَيْهِ يُثَبِّتُ عَكْسَ هَذَا الْادِّعَاءِ، فَقَدْ قَالَ فِي ابْنِ تَغْرِبِلَّةَ الْيَهُودِيَّ بَعْدَ مَوْتِهِ ^(١): [لطويل]

وَلَكِنْ عِنْدِي لِلْوَفَاءِ شَرِيعَةٌ تَرَكْتُ بِهَا الْإِسْلَامَ يَبْكِي عَلَى الْكُفْرِ

وَاتَّخَذَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الرَّوَايَةَ مَصْنِدَةً لِلإِقَاعِ بِهِ أَمَامَ رَفِيعِ الدَّوْلَةِ ابْنِ صَمَادِاح (ت بعد: ٥٣٩هـ) ^(٢) فَكَانَ هَذَا الشُّعْرُ مَنَاجَاةً لَهُ وَمَفْخَرَةً؛ فَحِينَ وَفَدَ الْأَخْفَشُ عَلَى الْمَرْيَةِ وَمَدَحَ ابْنَ صَمَادِاحَ قَالَ بَعْضُ الْحُسَادِ لَهُ مِمَّنْ أَرَادُوا ضَرْهُ بِنَا سَيِّدِي لَا تَقْرَبْ هَذَا اللَّعِينُ فَإِنَّهُ قَالَ فِي الْيَهُودِيَّ، فَمَا كَانَ مِنْ رَفِيعِ الدَّوْلَةِ إِلَّا أَنْ قَالَ: "هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الْحُرُّ الَّذِي يَتَبَغَّى أَنْ يُصْطَنَعَ قُلُوبًا وَفَاؤُهُ مَا بَكَى كَافِرًا بَعْدَ مَوْتِهِ، وَقَدْ وَجَدْنَا فِي أَصْحَابِنَا مَنْ لَا يَرَعَى مُسْلِمًا فِي حَيَاتِهِ" ^(٣). فَلَا يُقَالُ إِنَّ الشَّاعِرَ كَانَ مُتَمَلِّقًا لِلْيَهُودِيَّ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ بَكَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلَمْ يَخْجَلْ أَنْ يُصَرِّحَ وَبَجَهَرَ بِهَذَا وَسَطَ بَيْتَةٍ عَرَبِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ، بَعْدَ أَنْ زَالَتْ سَطَوْتُهُ، وَأَنْتَهَى نُفُودُهُ. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَظَاهِرَ التَّمْلُقِ وَالْكَذِبِ تَخْتَفِي فِي الرِّثَاءِ ^(٤).

وَتَوَكَّدُ قِصَّةُ الْأَخْفَشِ مَعَ ابْنِ صَمَادِاحَ أَنَّ مَدَحَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَدَحَ مِنَ الْيَهُودِ كَانَ مَأْلُوفًا حَتَّى عِنْدَ أَمْرَاءِ الْعَرَبِ وَالْمَمْدُوحِينَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ دِينَ الْيَهُودِيَّ يَقِفُ عَائِقًا أَمَامَ ذِكْرِ فَضَائِلِ ذَوِي الْفَضْلِ فِي تِلْكَ الْبَيْتَةِ الْمُنْفَتِحَةِ حَتَّى وَإِنْ كَانُوا يَهُودًا. وَالْمُجْتَمَعُ الْأَنْدَلُسِيُّ لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَى مَدَحِ الشُّعْرَاءِ الْعَرَبِ سَادَةَ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ، لَكِنْ غَيْرَةُ الشُّعْرَاءِ مِنْ نُدْمَاءِ السَّلَاطِينِ تَبْدُو مَأْلُوفَةً فِي كُلِّ بَيِّنَاتِ الْمَدَحِ، وَلَا يُمَكِّنُ الْقَوْلُ إِنَّ مَدَحَ الْيَهُودِ كَانَ مُشْعَلًا أَوْ سَبَبًا لَهَا، وَالْمُطَّلَعُ عَلَى أَحْوَالِ الشُّعْرَاءِ فِي عُصُورِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ شَرْقًا وَغَرْبًا يَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهَا. وَقَصَرُ الْمُتَنَبِّيِّ مَعَ حُسَادِهِ فِي بِلَاطِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ خَيْرُ مِثَالٍ عَلَى ذَلِكَ ^(٥). وَلَوْ تَرَكْتُ النِّيَّةَ وَالِدَافِعَ وَانْتَقَلْتُ إِلَى مَا مَدَحَ بِهِ هَذَا الْيَهُودِيَّ لَوَجَدْتُ أَنَّ وَضَاعَةَ الْوَجْهِ وَإِشْرَاقَهُ مِنْ أُبْرَزِ وَأَشْهَرِ مَا قِيلَ فِيهِ، مُضَافًا إِلَيْهَا صِفَةٌ ثَانِيَةٌ

١ - الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٤٦/٤ .

٢ - هُوَ: رَفِيعُ الدَّوْلَةِ أَبُو يَحْيَى بْنُ الْمُغْتَصِمِ بْنِ صَمَادِاحَ، ذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي وَصْفِهِ أَنَّهُ ذُو الْخَلْقِ الْكَرِيمِ وَالشَّرَفِ الْبَازِخِ. فَكَانَ كَوَالِدَهُ لَهُ سِيرَةٌ حَسَنَةٌ. وَفِي الْحِلَّةِ السَّيْرَاءِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي صَمَادِاحَ أَشْعَرُ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ الْخُمُولَ أَخْنَى عَلَى مُحَاسِنِهِ، وَكَانَ بِنِزَامٍ أَثِيرًا جُنْدًا وَإِلَيْهَا حِينَئِذٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٥٣٩ هـ. انْظُرْ: ابْنُ خَاقَانَ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ ص ٢٢٢-٢٢٥؛ ابْنُ بَسَّامِ النُّحَيْرَةِ ق ١، ٧٣٧/٢-٧٣٩؛ ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةِ السَّيْرَاءِ ٩٢/٢-٩٦، ١٩٢-١٩٩؛ ابْنُ سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٢/١٩٩-٢٠٠؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٦٩/٩-٢٧١ .

٣ - الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٤٦/٤ .

٤ - لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُ الْجَزْمِ بِأَنَّ مَنْ يَمْدَحُ مَمْدُوحًا مُسْلِمًا أَوْ عَرَبِيًّا يَكُنْ صَادِقًا بَيِّنًا يَكُونُ كَاذِبًا حِينَ يَمْدَحُ الْيَهُودِيَّ، كَمَا لَا يُمَكِّنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ أَرْوَغَ قَصَائِدِ الْمَدَحِ الْعَرَبِيِّ خَلَّتْ مِنَ التَّمْلُقِ، خُصُوصًا إِنْ كَانَ لِلْمَمْدُوحِ سَطُوَّةٌ وَقُوَّةٌ وَنُفُودٌ وَاضِحٌ. فَالْصَّدَقُ فِي الْمَدَحِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ الْجَزْمُ بِهَا بِسَهُولَةٍ، وَيَزِدَادُ الْأَمْرُ صُعُوبَةً إِنْ كَانَ هَذَا الْمَمْدُوحُ الْيَهُودِيَّ مَحْبُوبًا كَمَا يَنْضَحُ فِي الرِّوَايَاتِ عَنْهُ.

٥ - انْظُرْ مَثَلًا الْمُتَنَبِّيَّ: [الطَّوِيل] أَرْزَلَ حَسَدَ الْحُسَادِ عَلَيَّ بِكِبَتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدًا الْمُتَنَبِّيَّ شَرْحُ دِيوانِهِ ١٣/٢ .

هِيَ جَمَالُ نَادِيهِ، وَوَفَاؤُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَكَرَمُهُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ كَانَتْ الثَّلَاثَةُ وَحَوْلَ هَذِهِ الْمَعَانِي دَارَ مُعْظَمِ مَذْجِهِ.
وَاجْتَمَعَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ فِي بَيِّنِينَ لِلْأَخْفَشِ بِقَوْلِهِ ^(١): [بسيط]

صَاحِبُ مُحْيَاةٍ تَلَقَّ النَّجْحَ فِي الْأَمَلِ وَانْظُرْ بِنَادِيهِ حُسْنَ الشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ ^(٢)

مَا إِنْ يُلَاقِي خَلِيلٌ فِيهِ مِنْ خَلٍ وَكَلَّمَ حَالَ صَرْفِ الدَّهْرِ لَمْ يَحُلْ

وَلَا أَجِدُ فِي الْأَبْيَاتِ مُبَالَغَةً فِي الْمَدْحِ، أَوْ خُرُوجًا عَنِ الْمَأْلُوفِ، أَوْ أَثَرًا بَيِّنًا لِلْيَهُودِيِّ لَمْ يَصِفْهُ الشَّاعِرُ
بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ، وَبِمَا يَنْسَجِمُ تَمَامًا مَعَ الصُّورَةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْكُتُبِ عَنْهُ.

وَلَمْ يَكُنِ الْأَخْفَشُ الْمَادِحَ الْوَحِيدَ لِهَذَا الْيَهُودِيِّ؛ فَالْمُنْقَلَبُ كَذَلِكَ قَالَ فِيهِ ^(٣): [مجزوء لكامل]

قَرَنَ الْقَضَائِلَ وَالْفَوَاضِلَ فَشَأَى ^(٤) الْأَوَاخِرَ وَالْأَوَائِلَ

سَقَطُوا بِرَفْعَةٍ فَضْلِهِ كَالشَّمْسِ فِي شَرْفِ الْمَنَاقِلِ ^(٥)

كَمَا أَنَّ الْمَمْدُوحَ قَدْ أَكْسَبَ الزَّمَانَ شَرَفًا، لَا الْقَبِيلَةَ أَوْ الْجَمَاعَةَ عِنْدَ الْمُنْقَلَبِ بِقَوْلِهِ ^(٦): [مجزوء لكامل]

شَرَفَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ شَرَفَ الْأَسِنَّةَ بِالْعَوَامِلِ ^(٧)

وَلَمْ يَرْكُزِ الْمُنْقَلَبُ كَثِيرًا عَلَى شَرْفِ الْقَوْمِ أَوْ الْقَبِيلَةِ أَوْ الدَّوْلَةِ أَوْ الْأُمَّةِ بِهِ، فَيَكَادُ الْمَمْدُوحُ فِي مِثْلِ هَذِهِ
الْقَصَائِدِ يَكُونُ مَعْرُوضًا عَنْ أَيِّ انْتِمَاءٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ حِزْبٍ يَرْفَعُهُ أَوْ يَرْتَفِعُ بِهِ. وَفِي مُعْظَمِ أَبْيَاتِ الْمَدْحِ الَّتِي
قِيلَتْ فِي هَذَا الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ كَانَتْ تَظْهَرُ لَهُ صُورَةٌ مِثَالِيَّةٌ، مَعْرُوضَةٌ عَنْ أَيِّ تَفَاعُلٍ حَقِيقِيٍّ مَعَ الْبَيْئَةِ
وَالْمُجْتَمَعِ الْمُحِيطِ بِهِ، فَفِي قَصَائِدِ الْمَدْحِ الَّتِي قِيلَتْ فِي الْخُلَفَاءِ وَ الْأَمْرَاءِ وَالْقَادَةِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ كَانَتْ تَظْهَرُ
تَفَاصِيلُ لِحَيَاةِ الْمَمْدُوحِ وَعِلَاقَاتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ.

أَمَّا فِي مَدْحِ ابْنِ نَعْرِيلَةَ فَكَانَتْ الصِّفَاتُ الَّتِي تُسَبِّغُ لَهُ مِثَالِيَّةً، فَلَمْ نَرِ فِيهَا تَحَرُّكًا بِجَيْشٍ، أَوْ قِتَالًا
لِأَعْدَاءٍ، أَوْ بِنَاءٍ لِمَدِينَةٍ أَوْ مَسْجِدٍ أَوْ مَعْلَمٍ حَضَارِيٍّ، وَلَا مُشَارَكَةً لِلنَّاسِ فِي اجْتِنَالِ نَبَوِيٍّ أَوْ مُنَاسَبَةٍ دِينِيَّةٍ
مَثَلًا، وَلَا رَأْيًا تَوَافَقَ الْوُفُودِ إِلَيْهِ مُؤَيَّدَةً أَوْ مُهَنْتَةً أَوْ مُعْزِيَةً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ
أَوْ يُشَارِكُونَ بِهَا الْعَامَّةَ. فَكَانَ ابْنُ نَعْرِيلَةَ فِيمَا قِيلَ فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا نُمُودَجًا بَعِيدًا عَنْ أَيِّ
تَحَرُّكِ بَشَرِيٍّ لَهُ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ. صَحِيحٌ أَنَّ صُورَةَ الْعَرَبِ الْمَمْدُوحِينَ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ كَانَتْ مِثَالِيَّةً
كَذَلِكَ، وَامْتَلَأَتْ بِالْمُبَالَغَاتِ كَثِيرًا، لَكِنَّهَا بِجَانِبِ هَذَا كَانَتْ تَصِفُ وَاقِعًا وَتَحَرُّكًا اجْتِمَاعِيًّا أَوْ سِيَاسِيًّا
وَاضِحًا، وَهَذَا لَمْ يَظْهَرْ فِي مَدْحِ ابْنِ نَعْرِيلَةَ.

^١ - الْمَقْرِي تَفْعُ الطَّيِّبِ ٣٤٦/٤ .

^٢ - جَدَّمَ تَدْخُلُ الشَّمْسُ فِي بَرَجِ الْحَمَلِ أَيِّ فِي اعْتِدَالِ الرَّبِيعِ يَبْلُغُ لِمَعَانِهَا غَابِطُهُ وَيَتَسَاوَى فِيهَا اللَّيْلُ مَعَ النَّهَارِ .
انْظُرْ: النُّوَيْرِيُّ نِهَايَةَ الْأَرْبِ ١/١٦٥؛ الْقَلْقَشَنْدِيُّ صُبْحِ الْأَعْشَى ٣٧١/٢-٣٧٦ .

^٣ - ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخَيْرَةُ ١، ٧٦٢/٢ - ٧٦٣ .

^٤ - شَأَى: سَبَقَ .

^٥ - الْمَنَاقِلُ: الْمَرَاحِلُ .

^٦ - ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخَيْرَةُ ١، ٧٦٣/٢ .

^٧ - عَوَامِلُ الرَّمَحِ: جَمْعُ عَامِلٍ، وَهُوَ مَا يَلِي السِّنَانَ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [عَمَل] ١١/٤٧٧ .

وَجَاءَ تَعْدِيلُ النَّمُودَجِ الْعَرَبِيِّ فِي قَصَائِدِ مَذْحِ ابْنِ نَعْرِيلَةَ الْيَهُودِيِّ تَعْدِيلًا مُنَاسِبًا يَنْسَجِمُ مَعَ خُصُوصِيَّةِ هَذَا الْوَزِيرِ، فَمِنْ الْمُنَاسِبِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ إِنَّهُ كَرِيمٌ مِعْطَاءٌ، لَكِنْ مِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَجَاعٌ أَوْ مُقَاتِلٌ تَخْشَاهُ الْأَعْدَاءُ؛ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَدَا لَمْ يَقَدْ حَرَبًا ضِدَّ الْأَعْدَاءِ وَلَمْ يُشَارِكْ فِي أَيِّ مِنْهَا؛ فَهَذَا لِلْخُلَفَاءِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْقَادَةِ .

وَحَاوَلَ الْمُنْقَتِلُ أَنْ يَكُونَ حَذِرًا فِي قَوْلِ مَا يُنَاسِبُ يَهُودِيَّةَ الْمَمْدُوحِ فَقَالَ ^(١): [مجزوء لكامل]
 مَنْ لَمْ يَلِدْ بِجَنَابِهِ لَمْ يَأْمَنِ الدَّهْرَ الْمُخَاتِلَ
 مُتَقَلِّدٌ سَيْفَ الْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتُ لَهُ حَمَائِلُ

وَقَدْ يَكُونُ هُنْرِي بِيرِسُ مُحِقًّا حِينَ قَالَ بِتَوَلَّى الْمُنْقَتِلَ لِهَذَا الْمَمْدُوحِ: فَيُوجِي النِّظْمُ بِمَدَى قُوَّةِ وَتَفُؤِذِ الْمَمْدُوحِ، فَالَّذِي لَا يَدُورُ فِي فَلَكَهٍ لَنْ يَأْمَنَ خِدَاعَ الدَّهْرِ. وَلِهَذَا قَدْ يَكُونُ الْخَوْفُ مِنْ بَطْشِهِ دَافِعًا قَوِيًّا دَفَعَ الشَّاعِرَ وَأَمَثَلَهُ إِلَى تَمَلُّقِهِ وَمَذْحِهِ طَلَبًا لِلْأَمَانِ عِنْدَهُ. وَحِينَ ذَكَرَ اللُّوْذَ وَالْأَمَانَ بَدَتْ قُوَّةُ الْمَمْدُوحِ وَلَيْسَ أَمَامَ الْأَعْدَاءِ، وَأَنْتَ التَّشْبِيهَاتُ عَادِيَّةٌ مَالُوفَةٌ بِتَقْلِيدِ سَيْفِ الْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتِ حَمَائِلُ لَهُ، لَكِنْ عَدَّ الْمُنْقَتِلُ نَفْسَهُ مُقْصِرًا فِي وَصْفِ كَمَالِهِ، فَقَالَ ^(٢): [مجزوء لكامل]

قَصَّرْتُ فِي وَصْفِي لَهُ وَلَوْ أَنَّ ي سَحْبَانَ وَائِلَ ^(٣)
 مَا قَلَّ مَا يُرْجَى الْكَمَا لَمْ يَأْمَنِ أَبُوهُ غَيْرُ كَامِلِ

فَمَعَ أَنْ وَالِدَهُ "غَيْرُ كَامِلٍ" أَيُّ يَهُودِيٍّ إِلَّا أَنَّهُ امْتَنَزَ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ بِقَوْلِهِ ^(٤): [مجزوء لكامل]
 سَكَنَ النَّدَى فِي كَفِّهِ سَكَنَى الرَّوَاجِبِ ^(٥) فِي الْأَنَامِلِ
 وَجَرَى الْحَيَاءُ بِوَجْهِهِ جَرَى الْفِرْنَدِ ^(٦) عَلَى

وَلَا أَدْرِي بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مَاذَا بَقِيَ مِنْ صِفَاتِ الْمُرُوءَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَمْ يُذَكِّرْ فِي هَذَا الْيَهُودِيٍّ .
 وَأَخَذَ الْمُنْقَتِلُ مِنْ صِفَاتِ الْمَجْدِ مَا يُنَاسِبُ كَوْنَ مَمْدُوحِهِ يَهُودِيًّا، سِوَاءَ الصِّفَاتِ الْمَادِيَّةِ كَجَمَالِهِ وَحُسْنِ الطَّلَعَةِ أَوْ الْمَعْنَوِيَّةِ كَكَرَمِهِ وَعِلْمِهِ وَحَيَاتِهِ وَشَهْرَتِهِ وَكَوْنِهِ مَلَاذًا لِلْمُحْتَاجِينَ، وَلَمْ يَصِفْهُ بِمَا يُظْهِرُ دِينَهُ أَوْ يُشِيرُ إِلَيْهِ أَوْ يُلَمِّحُ إِلَيْهِ بِذِكْرِ رَمَزٍ أَوْ عَادَةٍ أَوْ طَقْسٍ مِنْ طَقُوسِ الْيَهُودِ، فَكُلُّ هَذِهِ اخْتَفَتْ تَمَامًا؛ أَيُّ أَنَّ الشَّعْرَ الْأَنْدَلُسِيَّ لَمْ يَعْتَرَفْ بِالْيَهُودِيَّةِ كَدِينٍ فِي الْمَذْحِ، وَحِينَ بَرَزَ الْمَمْدُوحُ الْيَهُودِيُّ كَانَتْ الصِّفَاتُ الَّتِي أُسْبِغَتْ عَلَيْهِ خَالِيَةً تَمَامًا مِنَ الرُّمُوزِ الدِّينِيَّةِ .

^١ - ابن بَسَّامِ الذُّخَيْرَةُ ق ١، م ٧٦٣/٢ .

^٢ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

^٣ - هُوَ: سَحْبَانُ وَائِلٍ، مِنْ خُطْبَاءِ بَاهِلَةَ وَشَعْرَائِهَا، يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبَلَاغَةِ، فَيُقَالُ: أَنْطَقَ مِنْ سَحْبَانَ، وَمِنْ قُسٍّ بَنٍ سَاعِدَةٌ كَذَاكَ .

انْظُرْ: الْمِيدَانِي مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ١/٣٤٦ .

^٤ - ابن بَسَّامِ الذُّخَيْرَةُ ق ١، م ٧٦٣/٢ .

^٥ - الرَّوَاجِبُ: مَفَاصِلُ أَصُولِ الْأَصَابِعِ الَّتِي تَلِي الْأَنَامِلَ .

^٦ - الْفِرْنَدُ: وَشْيُ السَّيْفِ، وَقَالُوا: هُوَ السَّيْفُ نَفْسُهُ؛ وَهُوَ دَخِيلُ .

^٧ - تَصَلُّ السَّيْفِ: حَدِيدُهُ .

ابن مَنْظُورُ لِسَانِ الْعَرَبِ [رَجَب] ١/٤١٣ .

ابن مَنْظُورُ لِسَانِ الْعَرَبِ [فَرَنْد] ٣/٣٣٤ .

ابن مَنْظُورُ لِسَانِ الْعَرَبِ [نَصْل] ١١/٦٦٢ .

وَمِنْ أُنْبِيَاءِ الْمَدْحِ الَّتِي أُرْجِحُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ نَغْرِيْلَةَ الْيَهُودِيِّ الْمَمْدُوحَ بِهَا بَيْنَانِ أَوْ رَدَهُمَا "الْمَغْرِبُ"
لِلْمُنْقَلَبِ وَلَمْ يُشْرَ إِلَى الْمَعْنَى بِهِمَا، وَهُمَا ^(١): [لبسيط]

إِذَا مَدَحْتَ فَلَا تَمْدَحْ سِوَاهُ فَفِي
يُصْغِي إِلَى الْمَدْحِ مِنْ جُودٍ وَمِنْ أَدَبٍ
يُمْنَاهُ بَحْرٌ مُحِيطٌ لِلْعُقَاةِ زَخَرٌ ^(٢)
كُمُشْتَكِي الْجَدْبِ قَدْ أَصْغَى لِصَوْبِ مَطَرٍ

تَذَكُّرُ الْمَصَادِرُ أَنَّ لِلْمُنْقَلَبِ أَمْدَاحًا عَدِيدَةً فِي هَذَا الْوَزِيرِ، كَمَا أَنَّ الصِّفَاتِ فِي الْبَيْتَيْنِ تَنْسَجُمُ مَعَ مَا وَرَدَ عَنْهُ؛ فَأُثْبِتَتِ الْمَصَادِرُ شِدَّةَ كَرَمِهِ وَحُسْنَ إِصْغَائِهِ لِلْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ. وَأَرَى أَنَّ الْمُنْقَلَبَ أَجَادَ فِي الْبَيْتَيْنِ وَجَدَّدَ، فَجَاءَ بِصُورَةٍ طَرِيقَةٍ لِلْمَمْدُوحِ وَهُوَ يُصْغِي إِلَى الْمَدْحِ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ بِكُلِّ أَدَبٍ كَحَالِ الْأَرْضِ تُصْغِي لِلْمَطَرِ الْمُنْدَفِعِ فَوْقَهَا بِشِدَّةٍ وَهِيَ عَطَشَى تَشْتَكِي الْجَدْبَ.

مِثَالٌ عَلَى شِعْرِ الْمَدْحِ لِلْيَهُودِ

اخْتَرْتُ قَصِيدَةً لِلْمُنْقَلَبِ فِي مَدْحِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ لِتَكُونَ مِثَالًا عَلَى شِعْرِ مَدْحِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَهِيَ أَطْوَلُ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ الْيَهُودِ، فَقَدْ خَلَا شِعْرُهُمْ مِنْ قَصَائِدِ كَامِلَةٍ طَوِيلَةٍ فِي الْمَدْحِ، وَجَمَعْتُ أُنْبِيَاءَهَا مِنْ "الدَّخِيرَةِ" فَلَمْ تَوْجَدْ فِي غَيْرِهِ، وَهِيَ غَيْرُ مُثَبَّتَةٍ كَقَصِيدَةٍ تَامَّةٍ، بَلْ جَاءَتْ عَلَى شَكْلِ مُخْتَارَاتٍ مِنْ شِعْرِهِ، وَلَا أَعْرِفُ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأُنْبِيَاءُ مُجْتَمِعَةً تُشَكِّلُ الْقَصِيدَةَ كَامِلَةً، أَمْ أَنَّ هُنَاكَ أُنْبِيَاءًا غَيْرَهَا غَفَلْتُ عَنْهَا الْمَصَادِرُ أَوْ لَمْ أَتَوَصَّلْ إِلَيْهَا بَعْدُ ^(٣).

وَحَدَّثَ خَلَطٌ فِي الْكُتُبِ حَوْلَ تَعْيِينِ اسْمِ الْمَقْصُودِ بِقَصَائِدِ الْمَدْحِ هَذِهِ؛ فَقَدْ أُطْلِقَ ابْنُ نَغْرِيْلَةَ عَلَى اثْنَيْنِ وَزَرَائِلَ بَادِيَسَ بْنِ حَبُوسَ. وَتَنَشَّاتِ الصُّعُوبَةُ فِي تَحْدِيدِ الْاسْمِ لِأَنَّ الْكُتُبَ تَوَارَثَتْ الْحَدِيثَ عَنْهُمَا بِأَلْقَابِ "ابْنِ نَغْرِيْلَةَ" فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ، وَيَقُولُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: "إِنَّ هَذَا اللَّقَبَ يُطْلَقُ عَلَى اثْنَيْنِ مَشْهُورَيْنِ هُمَا صَمُوئِيلُ بْنُ يَوْسُفَ "إِسْمَاعِيلُ" أَوْ إِشْمُوَالُ" وَيَوْسُفُ ابْنُهُ، وَقَدْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ عَالِمًا وَزِيرًا لِصَاحِبِ غَرْنَاتَةَ، وَخَلَفَهُ ابْنُهُ يَوْسُفُ فَأَسَاءَ النَّصْرُفُ فِيمَا يَبْدُو، فَتَارَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَقَتْلُوهُ. لَكِنْ ابْنُ بَسَّامٍ يَنْسِبُ أَفْعَالُ الْإِبْنِ إِلَى أَبِيهِ، وَيَتَّبِعُهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ سَعِيدٍ" ^(٤). وَفِي مَوْقِعٍ آخَرَ فِي حَاشِيَةِ الْكِتَابِ نَفْسِهِ خَطَأً إِحْسَانُ عَبَّاسٍ مَرَّةً أُخْرَى ابْنُ بَسَّامٍ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ الْقَصِيدَةَ مُوجَّهَةٌ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بَيْنَمَا الْكَلَامُ فِي ابْنِهِ يَوْسُفَ، فَيَكُونُ ابْنُ بَسَّامٍ كَمَا يَرَى إِحْسَانُ عَبَّاسٍ قَدْ وَقَعَ فِي اضْطِرَابٍ ^(٥).

وَأَرَى أَنَّ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ أَصَابَ فِي جُزْءٍ مِنَ الْكَلَامِ وَأَخْطَأَ فِي آخَرٍ؛ أَصَابَ فِي قَوْلِهِ إِنَّ هُنَاكَ خَلَطًا فِي تَحْدِيدِ اسْمَيْهِمَا، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي الْاضْطِرَابِ الْحَاصِلِ فِي الْكُتُبِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْهُمَا،

^١ - ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٨٣/٢ .

^٢ - الْعُقَاةُ: الْأَضْيَافُ وَطُلَّابُ الْمَعْرِفَةِ .

يزخر: يمتلئ ويرتفع .

^٣ - انْظُرْ الْقَصِيدَةَ: ابْنُ بَسَّامٍ الدَّخِيرَةُ ق ١، ٧٦٣/٢ - ٧٦٥ . وَهِيَ مُثَبَّتَةٌ كَامِلَةٌ فِي الْمَلَا حَقِ .

^٤ - نَفْسُهُ ق ١، ٧٦١/٢ . [الْحَاشِيَةُ]

^٥ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ق ١، ٧٦٦/٢ . [الْحَاشِيَةُ]

فابن بَسَامٍ لَمْ يَكُنْ مُخْطِئًا حِينَ نَسَبَ الْأَنْبِيَاءَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ لَا لِيُوسُفَ. ففِي غَلَامِ إِحْسَانَ عَبَّاسٍ نَفْسِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَبَ مِنْهُمَا كَانَ حَسَنَ السَّيْرِ مَحْبُوبًا، وَالَّذِي أَسَاءَ النَّصْرُفَ وَكَرِهَهُ النَّاسُ هُوَ الْإِبْنُ، وَعَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الْأَبَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ وَالْإِبْنُ هُوَ يُوسُفُ، أَرَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قِيلَتْ فِي حَسَنَ السَّيْرِ مِنْهُمَا الْأَبَ إِسْمَاعِيلَ فَلَا يَكُونُ هُنَاكَ خَطَأً، وَإِنْ حَصَلَ خَطَأٌ فَهُوَ عِنْدَ إِحْسَانَ عَبَّاسٍ، وَفِي الْأَنْبِيَاءِ نَفْسَهَا مَا يُزِيلُ هَذَا الْجَدَلَ، فَقَدْ قَالَ الْمُنفَتِلُ فِيهَا ^(١): [لطويك]

وَمَا اكْتَحَلْتُ عَيْنِي بِمِثْلِ ابْنِ يُوسُفَ وَلَسْتُ أَحَاشِي الشَّمْسَ مِنْ دَا وَلَا الْبَدْرَا

يُشِيرُ النَّبِيُّ بِمَا لَا يَقْبَلُ الْجَدَلَ إِلَى أَنَّ الْمَمْدُوحَ ابْنَ يُوسُفَ وَلَيْسَ يُوسُفَ، كَمَا أَنَّ الرُّقْعَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ ذَكَرَ فِيهَا ابْنَ يُوسُفَ كَذَلِكَ صَرَاحَةً فِي النَّثْرِ بِقَوْلِهِ: "إِذَا اتَّصَلْتَنَ بِإِسْمَاعِيلَ بْنِ يُوسُفَ، فَتَى كَرَمٍ خَالًا وَعَمًّا....." ^(٢)، كَمَا أَنَّ الْمُنفَتِلَ نَصَّ عَلَى اسْمِهِ، بِقَوْلِهِ ^(٣): [مجزوء لكمل]

هَذَا ابْنُ يُوسُفَ الَّذِي وَرِثَ الْفَضَائِلَ عَنِ قَوَاضِلِ

فَإِنْ سَلَّمْتُ مَعَ إِحْسَانَ عَبَّاسٍ بِأَنَّ تَحْرِيفًا حَصَلَ لِكَلِمَةِ "إِسْمَاعِيلَ" فِي النَّثْرِ الْمُرْفَقِ مَعَ الْقَصِيدَةِ، وَالتَّحْرِيفُ فِي النَّثْرِ شَائِعٌ، إِلَّا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ تَكُونُ أَدَقَّ وَأَصْدَقَ، كَمَا أَنَّ كَلَامَ "الدَّخِيرَةِ" وَ"الْمُغْرِبِ" لَمْ يَطْلُ بِهَذَا الْعَهْدِ كَثِيرًا عَنْ هَذَا الشَّعْرِ، ثُمَّ إِنَّ تَغْيِيرَ "إِسْمَاعِيلَ" بِدَلَالٍ مِنْ يُوسُفَ سَيُودِي إِلَى خَلٍّ فِي وَزْنِ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءِ، لِذَا أَرَجَّحُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعَ مَا رَأَفَقَهَا مِنْ نَثَرٍ صَحِيحَةٍ لَا خَطَأَ فِيهَا، وَأَنَّ اسْمَ الْمَمْدُوحِ بِهَا ابْنُ يُوسُفَ جَاءَ صَائِبًا وَفِي مَوْقِعِهِ تَمَامًا، وَلَا أُجِدُّ سَبَبًا لِرَّغْمِ خَلْطٍ فِي الْاسْمِ الْوَارِدِ فِي الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنْ حَصَلَ خَطَأٌ فَقَدْ كَانَ فِي النَّثْرِ فَقَطْ. وَحِينَ كَتَبَ ابْنُ بَسَامٍ تَلْخِيصًا يَعْرِفُ بِمَقْتُلِ الْيَهُودِيِّ جَاءَ فِيهِ أَنَّ الْأَبَ يُوسُفَ كَانَ حَسَنَ السَّيْرِ فِيهِمْ مَيِّمُونَ النَّقِيَّةَ عِنْدَهُمْ... ^(٤)، فَهَذَا فَقَطْ اتَّوَقَّعُ الْخَطَأَ، وَالْأَصُوبُ الْقَوْلُ إِسْمَاعِيلَ. أَمَّا فِي الصَّفْحَةِ الْمُقَابِلَةِ حِينَ قَالَ أَحَدُهُمْ: "لَا بَأْسَ بِإِسْمَاعِيلَ لَوْلَا أَنَّهُ نَسِيَ الْيَهُودِيَّةَ" ^(٥) رُبَّمَا قِيلَ فِي الْأَبِ وَلَيْسَ الْإِبْنُ؛ فَالْغَلَامُ عَامٌّ وَغَيْرُ مُرْتَبِطٍ بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ. وَيَعْتَقِدُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ أَنَّ الْمَمْدُوحَ هُوَ الْمَقْتُولُ فِي الْمَذْبَحَةِ، وَلَا يَوْجَدُ فِي الْأَنْبِيَاءِ أَوْ مُنَاسَبَتَهَا مَا يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ، وَكَوْنُ الْإِبْنِ الْمَقْتُولِ هُوَ يُوسُفَ لَا يَنْفِي أَنَّ يَكُونُ الْمَمْدُوحُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالِدَهُ وَلَيْسَ هُوَ؛ فَوَالِدُهُ وَزَرَ فِتْرَةً طَوِيلَةً بَعْرَانَاةً، تَعَوَّدَتِ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَشَهِدَتْ مِنْهُ مَا يُوجِبُ الْمَدْحَ، وَهُوَ وَالِدُ يُوسُفَ الْمَقْتُولِ وَهُوَ ابْنُ يُوسُفَ الْجَدِّ، وَلَا غَرَابَةَ فِي هَذَا، بَلْ الْغَرَابَةُ تَتَأْتِي إِنْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تُقَالُ فِي مَدْحِ وَزِيرٍ يَهُودِيٍّ اشْتَهَرَ بِرُعُونَتِهِ وَسُوءِ تَصَرُّفِهِ.

^١ - ابن بَسَامٍ الدَّخِيرَةُ ق ١، ٢/٧٦٤.

^٢ - نَفْسُهُ ق ١، ٢/٧٦١ - ٧٦٢. يَبْدُو أَنَّ الْكَلَامَ فِيهَا مُوجَّهٌ لِمَجَاعَةٍ مِنَ السُّوءِ كُنَّ بِحَاجَةٍ لِلْمَعُونَةِ فِي أَمْرِ مَا.

^٣ - نَفْسُهُ ق ١، ٢/٧٦٢ - ٧٦٣.

^٤ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ق ١، ٢/٧٦٦.

^٥ - نَفْسُهُ ق ١، ٢/٧٦٧.

لِذَا أَرَى أَنَّ الْمَوَاقِعَ الثَّلَاثَةَ السَّابِقَةَ قِيلَتْ بِحَقِّ الْوَزِيرِ إِسْمَاعِيلَ ذِي الشَّخْصِيَّةِ الْمَحْبُوبَةِ الَّتِي جَذِبَتْ الشُّعْرَاءَ إِلَى بِلَاطِهِ، فَلَا يَكُونُ بِهَذَا خَلْطٌ، وَأَمْرٌ آخَرُ يُقَوِّيَ الْإِعْتِقَادَ عِنْدِي بِصِحَّةِ الْاسْمِ الْمَذْكُورِ فِي الْأَبْيَاتِ بِجَانِبِ الْوَزْنِ الشُّعْرِيِّ الَّذِي حَفِظَ الْاسْمَ مَرَّتَيْنِ فِي قَصِيدَتَيْنِ هُوَ تَشَابُهُ اسْمِ الْإِبْنِ مَعَ الْجَدِّ فِي تَسْبِيبِ هَذَا الْيَهُودِيِّ. وَيَكُونُ ابْنُ يُوسُفَ هُوَ الْأَبَ، وَقَدْ سُمِّيَ وَالِدُ الْمَمْدُوحِ وَابْنُهُ بِالْاسْمِ نَفْسِهِ عَلَى عَادَةِ يَهُودِ الْأَنْدَلُسِ فِي تَسْمِيَةِ الْحَفِيدِ بِاسْمِ الْجَدِّ أحيانًا كَالْعَرَبِ؛ فَيُوسُفُ فِي "الْمَغْرِبِ" هُوَ: يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يُوسُفَ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ^(١)، وَمِثَالٌ آخَرُ هُوَ أَبُو الْفَضْلِ حَسَدَايَ بْنُ يُوسُفَ ابْنِ حَسَدَايَ الْإِسْرَائِيلِيِّ^(٢)، وَلَوْ حَوَتْ كُتُبُ الثَّرَاثِ تَرْجَمَةً لَكَثِيرٍ مِنَ الْيَهُودِ لِلْإِحْظَانِ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ أَكْثَرَ. وَبِمَا أَنَّهُمُ التَّزَمُوا تَسْمِيَةَ الْحَفِيدِ بِاسْمِ الْجَدِّ بِهَذَيْنِ الْاسْمَيْنِ وَسَطَ هَذِهِ الْقَلَّةِ الْمُتَرَجِّمِ لَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ عَادَةً مُتَّبَعَةً عِنْدَ بَعْضِ يَهُودِ الْأَنْدَلُسِ. فَتَكُونُ الْأَبْيَاتُ قِيلَتْ فِعْلًا فِي إِسْمَاعِيلَ، وَحِينَ نَادَى الشَّاعِرُ ابْنَ يُوسُفَ قَصَدَ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي سَمَّى ابْنَهُ عَلَى اسْمِ أَبِيهِ، وَتَكُونُ صِيغَةُ الْجَمْعِ فِي الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ لِلْمُنْفَتِلِ تَعُودُ عَلَى الْوَزِيرَيْنِ^(٣): [لطويل]

بُدُورٌ وَلَكِنَّا أَمْنًا سِرَارَهَا ^(٤)	بُحُورٌ وَلَكِنْ لَا نَرَى دُونَهَا بَرًا
غِيُوثٌ إِذَا مَا الْمَحَلُّ شَبَّ بِبَلَدَةٍ	كُھُوفٌ إِذَا جَاءَتْ بِنَا أَرْضُهُ كُبْرَى
يُخَالُونَ مِنْ فَرَطِ الْحَيَاءِ أَذْلَةً	وَتَرْتَجُّ أَحْشَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ دُعْرَا
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّظْمِ وَالنَّثْرِ مُحْسِنًا	فَإِنَّ نَدَاهُمْ عَلَّمَ النَّظْمَ وَالنَّثْرَا

حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى بِالْأَبْيَاتِ هُوَ "يُوسُفُ" الْمَقْتُولُ فِيمَا بَعْدَ - مَعَ أَنَّنِي لَا أَمِيلُ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ - يَكُونُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَمْدُوحِ وَاسْمِ أَبِيهِ مَعْنَى بِلَاغِيٍّ هَدَفَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ بِمَدْحِ الْاِثْنَيْنِ، كَمَا أَنَّ ذِكْرَ اسْمِ الْأَبِ وَتَجَاهُلَ اسْمِ الْمَمْدُوحِ قَدْ يَكُونُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَبَ لَتَمَيُّزِهِ اسْتَحَقَّ أَنْ يُذَكَّرَ اسْمُهُ.

١ - نَهْجُ قَصِيدَةِ الْمُنْفَتِلِ فِي ابْنِ نَغْرِيْلَةَ :

كَانَ الْمُنْفَتِلُ فِي مَدْحِهِ لِلْيَهُودِيِّ ابْنَ نَغْرِيْلَةَ مُقْلَدًا؛ فَابْتَدَأَ الْقَصِيدَةَ بِمُقَدِّمَةِ طَلِيلِيَّةٍ سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي الْعَزَلِ. ثُمَّ انْتَقَلَ بَعْدَهَا لِلْحَدِيثِ عَنْ أَثَرِ الْحُبِّ ثُمَّ وَصَفَ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ الَّذِي هَجَرَهُ فَجْرُهُ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَدْحِهِ بِتَخْلُصٍ جَمِيلٍ سَرِيعٍ، وَجَاءَ طَوْلُ اللَّيْلِ وَظَلَمَتُهُ تَوَطُّنَةً لِلدُّخُولِ فِي الْمَدْحِ، فَفِي هَذَا اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الَّذِي هَبَّجَ دُمُوعَ الشَّاعِرِ وَزَادَ مِنْ أَلَمِ كَبِدِهِ لَمْ تَكْتَحِلْ عَيْنَاهُ بِمَنْ هُوَ أَجْمَلُ مِنْ ابْنِ يُوسُفَ، فَكَانَ مُحْيَاةَ نَجْمٍ مُشِعٍ يُغْنِي عَنْ نُورِ الشَّمْسِ، فَجَاءَ ذِكْرُ اللَّيْلِ مُنَاسِبًا لِنَقْلِ الْحَدِيثِ عَنِ الْبَدْرِ الْمُكَافِي لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ الَّتِي سَتَرِيلُ الظَّلَامَ مِنْ حَيَاةِ الْمُنْفَتِلِ، فَقَالَ^(٥): [لطويل]

^١ - انظر: ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١١٥/٢ .

^٢ - انظر: ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٤٤١/٢؛ صَاعِدُ طَبَقَاتِ الْأُمَمِ ص ١١٢ .

^٣ - ابن بَسَّامِ الدُّخَيْرَةِ ق ١، م ٧٦٤/٢ .

^٤ - سِرَارُهَا: اخْتِفَاؤُهَا، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنْ اسْتَسَرَّ الْهَلَالُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ بِمَعْنَى خَفِيَ. ابن مَنظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [سرر] ٣٥٧/٤ .

^٥ - ابن بَسَّامِ الدُّخَيْرَةِ ق ١، م ٧٦٤/٢ .

لَقَدْ طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَالْدَّهْرُ بَعْضُهُ
وَمَا اكْتَحَلْتُ عَيْنِي بِمِثْلِ ابْنِ يُوسُفَ
وَلَمْ أَرَ لَيْلًا قَبْلَهُ شَاكِلَ الدَّهْرَا
وَلَسْتُ أَحَاشِي الشَّمْسَ مِنْ دَا وَلَا الْبَدْرَا

وعلى كُُلِّ الأحوال فإنَّ الممدوح وَوَالِدَهُ الْيَهُودِيَّينَ وَصِيفًا بِمَا يُوصَفُ بِهِ الْمَدْحُ مِنَ الْعَرَبِ.

٢- الغلو في قصيدة المنقفل:

اتَّبَعَ ابْنُ بَسَّامِ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةَ بِقَوْلِهِ: "إِنَّهُ اندرَجَ لَهُ [يَقْصِدُ الْمُنْقِفِلَ] مِنَ الْغُلُوِّ فِيهِ، مَا لَا أُثْبِتُهُ وَلَا أَرْوِيهِ، وَأَبْعَدَ اللَّهُ الْمُنْقِفِلَ، فِيمَا نَظَمَ فِيهِ وَقَصَلَ، وَقَبَّحَهُ وَقَبَّحَ مَا أَمَلْ" (١). وَإِنْ دَقَّقَ الْقَارِئُ النَّظْرَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ لَنْ يَجِدَ فِيهَا غُلُوًّا شَدِيدًا يَدْعُو ابْنَ بَسَّامِ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ إِثْبَاتِ بَقِيَّةِ أَبْيَاتِهَا، وَيَقَرَّرَ أَنْ لَا يَرْوِيهَا، إِلَّا إِنْ كَانَتْ الْأَبْيَاتُ الَّتِي أَخْفَاهَا وَلَمْ يُثْبِتْهَا قَدْ اخْتَوَتْ بِالْفِعْلِ غُلُوًّا قَبِيحًا جَعَلَهُ يَتْلُو مُلَاحَظَتَهُ تِلْكَ بِالْإِعْدَاءِ عَلَى قَائِلِهَا بِالْقُبْحِ مُسْتَنَكِرًا مَا نَظَمَ وَمَا قَصَلَ. فَالْصَّفَاتُ الَّتِي أَلْحَقَهَا الْمُنْقِفِلُ عَلَى ابْنِ نَغْرِيلَةَ فِي مَدْحِهِ هِيَ الصَّفَاتُ الَّتِي دَارَتْ فِي فَلَكِهَا قِصَائِدُ الْمَدْحِ الْعَرَبِيِّ. بَيْنَمَا قِيلَ فِي شِعْرِ الْمَدْحِ عِنْدَ الْعَرَبِ مَا اخْتَوَى غُلُوًّا وَاضِحًا، لَا يُقَارَنُ بِهِدَا؛ فَالْمُبَالَغَةُ وَاضِحَةٌ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ عِنْدَ أَبِي نُوَّاسٍ حِينَ مَدَحَ هَارُونَ الرَّشِيدَ (٢) وَالْمُنْتَبِيَّ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ (٣)، وَمِثْلُهُمَا فِي الْأَنْدَلُسِ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ (ت: ٣٦٢هـ) (٤) حِينَ مَدَحَ الْمُعِزَّ لِدِينِ اللَّهِ الْقَاطِمِيِّ (٥). وَلَا أَرَى فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ مُعَالَاةً تَدْعُو ابْنَ بَسَّامِ إِلَى الْحَقِّ عَلَى الشَّاعِرِ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ إِلَّا إِنْ كَانَ يَعُدُّ مَدْحَ الْيَهُودِيِّ هُوَ الْمُعَالَاةُ. وَرُغْمَ حَقِّهِ وَقَرَارِهِ أَنْ لَا يُثْبِتَ وَأَنْ لَا يَرْوِيَ شَيْئًا مِنْ مُعَالَاتِهِ إِلَّا أَنَّهُ غَيَّرَ قَرَارَهُ وَأَثْبِتَ بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً مَا فِيهِ غُلُوٌّ ظَاهِرٌ عِنْدَ الْمُنْقِفِلِ بِقَوْلِهِ (٦): [لطويل]

وَمَنْ يَكُ مُوسَى مِنْهُمْ ثُمَّ صِنُوهُ
فَقُلْ فِيهِمْ مَا شِئْتُ لَنْ تَبْلُغَ الْعُشْرَا

فَكَمْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ آيَةٍ تَرَى
وَكَمْ لَهُمْ فِي النَّاسِ مِنْ نِعْمَةٍ تَنْتَرَى

١ - ابن بَسَّامِ الذُّخِيرَةُ ق ١، م ٢/٧٦٤ .

٢ - انْظُرْ مَثَلًا: [الوافر] وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى أَنَّهُ لَتَخَافَكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ أَبُو نُوَّاسٍ دِيوَانُهُ ص ١٨٥ .

٣ - انْظُرْ مَثَلًا: [السيط] كَفَى بِجِسْمِي لُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي الْمُنْتَبِيَّ شَرْحَ دِيوَانِهِ ٤/٣١٩ .

٤ - هُوَ: أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ الْأَزْدِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ بَنِي الْمُهَاجِرِ مُلُوكِ إِفْرِيقِيَّةٍ، وَانْتَقَلَ أَبُوهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَسَكَنَ الْبَيْرَةَ، فَوُلِدَ بِهَا مُحَمَّدٌ وَبَرَعَ فِي الشُّعْرِ، وَكَانَ عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ كَالْمُنْتَبِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَكَانَ مُمْتَهَمًا بِالْفَلَسَفَةِ يَسْلُكُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَشْعَارِهِ مَسْلِكَ الْمَعَرِيِّ كَمَا أَنَّهُ كَانَ شَهِيرَ الْأَسْتِهْتَارِ. وَقَفَ بِشَعْرِهِ لِلْوَزِيرِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْدَلُسِيِّ مَلِكِ الزَّابِ إِلَى أَنْ كَتَبَ الْخَلِيفَةُ الْمُعِزُّ بِالْقَيْرَوَانِ أَنْ يَتَوَجَّهَ لِحَضْرَتِهِ، فَفَعَلَ، وَفِي سَنَةِ ٣٦٢هـ قُتِلَ فِي بَرْقَةٍ فِي مَشْرِيقِهَا عَلَى صَبِيٍّ فَقَدْ كَانَ مُغْرَمًا بِحُبِّ الصَّبِيَّانِ. وَلَمَّا بَلَغَ الْمُعِزُّ خَيْرَ مَوْتِهِ أَسَفَ عَلَيْهِ أَسْفًا عَظِيمًا، وَقَالَ: هَذَا الَّذِي كُنَّا نَرْجُو أَنْ نَفَاجِرَ بِهِ شُعْرَاءَ الْمَشْرِقِ فَلَمْ يُقْتَرِ لَنَا ذَلِكَ. انْظُرْ: ابْنُ خَاقَانَ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ ص ٣٢٢ - ٣٣٢؛ الْحَمِيدِيُّ جَنُودَةُ الْمُفْتَبِّسِ ١/١٥٦ -

١٥٧؛ الضَّبِّيُّ بُغْيَةُ الْمُتَنَمِّسِ ١/١٨١-١٨٢؛ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْأَنْبَاءِ ١٩/٩٢-١٠٥؛ ابْنُ دُحْيَةَ الْمُطَرِّبُ ص ١٩٢-١٩٥؛ ابْنُ الْأَبَّارِ التَّكْمَلَةُ

٤/١٤٧؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٢/٩٧-٩٩؛ زَيَّاتُ الْمُبَرِّزِينَ ص ١٥٠-١٥٥؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٦/٧٣؛ ابْنُ الْخَطَّابِ الْإِحَاطَةُ ٢/٢٨٨ -

٢٩٢؛ الْمُقَرِّيُّ تَفْجُحُ الطَّيِّبِ ١/١٨٢؛ ابْنُ عِمَادٍ الْحَنْبَلِيُّ شُدْرَاتُ الذَّهَبِ ٢/٤١-٤٤ .

٥ - انْظُرْ مَثَلًا: [الرجز] مَا شِئْتُ لَا مَا شِئْتَ لَا مَا شِئْتَ الْأَقْدَارُ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْفَهَّارُ ابْنُ هَانِيٍّ دِيوَانُهُ ص ١٤٦ .

٦ - ابن بَسَّامِ الذُّخِيرَةُ ق ١، م ٢/٧٦٥ .

فَالْمُغَالَاةُ وَاضِحَةٌ بِمَدْحِ قَوْمِ "مُوسَى"، وَتَوَكَّدُ الْآيَاتُ اللَّاحِقَةُ أَنَّهُمُ الْيَهُودُ، فَيَكُونُ مُوسَى فِيهَا هُوَ النَّبِيُّ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَبَعْدَ مَدْحِ قَوْمِ الْمَمْدُوحِ، يَمْدَحُ الْمُنْفَتِلَ الْيَهُودِيَّ قَائِلًا^(١): [لطويل]

أَجَامَعَ شَمْلَ الْمَجْدِ وَهُوَ مُشْتَتٌّ
وَمُطْلِقَ شَخْصِ الْجُودِ وَهُوَ مِنَ الْأُسْرَى

فَضَلَّتْ كِرَامَ النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا كَمَا فَضَّلَ الْعِقْبَانُ بِالْخَطَرِ الْقَطْرًا^(٢)

فَيَصِفُهُ بِأَنَّهُ جَمَعَ شَمْلَ الْمَجْدِ بَعْدَ أَنْ تَشَتَّتْ، وَقَدْ يَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الَّذِينَ شَتَّتُوا الْمَجْدَ
هُنَاكَ، وَأَنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ هُوَ الَّذِي جَمَعَهُ. وَهَذَا جَعَلَ الشَّاعِرَ يَعُدُّهُ أَفْضَلَ النَّاسِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَكَأَنَّ الْعَالَمَ
الْعَرَبِيَّ وَالْإِسْلَامِيَّ خَلَا مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الْيَهُودِيَّ، فَفَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلَا أَسْتَطِيعُ تَحْدِيدَ مَاذَا قَصَدَ الشَّاعِرُ
بِكِرَامِ النَّاسِ شَرْقًا وَغَرْبًا الَّذِينَ فَضَّلَهُمْ هَذَا الْيَهُودِيَّ؟ وَأَيَّ زَمَنٍ يَقْصِدُ، وَعَنْ أَيِّ قَوْمٍ يَتَحَدَّثُ؟ وَهَلْ يَنْدَرِجُ
الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ تَحْتَ هَذِهِ الْمَوَازِنَةِ مَثَلًا؟ فَإِنْ وَسَّعَتِ الْقُتْرَةُ التَّارِيخِيَّةُ، سَنَأْتِي الْمُقَارَنَةَ بَعْلُو قَبِيحٍ فِي
الْحَدِيثِ عَنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ وَجَدَ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ مَا فاقَ هَذِهِ الْمُبَالَغَةَ فِي مَدْحِ بَعْضِ
الْمُسْلِمِينَ. وَاتَّوَقَّعْ أَنَّ هَذِهِ الْمَوَازِنَةَ هِيَ الَّتِي دَفَعَتْ ابْنَ بَسَّامٍ إِلَى الْهُجُومِ عَلَيْهَا؛ فَبَعْدَ أَنْ أَثَبَّتَ ابْنُ بَسَّامٍ
الْآيَاتِ أَتْبَعَهَا بِقَوْلِهِ: "فَقَبَّحَ اللَّهُ هَذَا مَكْسَبًا، وَأَبْعَدَ مِنْ مَذْهَبِهِ مَذْهَبًا، تَعَلَّقَ بِهِ سَبَبًا؛ فَمَا أَذْرِي مِنْ أَيِّ شُؤْنٍ هَذَا
الْمُدِلُّ بِذَنْبِهِ، الْمُجْتَرِي عَلَى رَبِّهِ، أَعْجَبُ: التَّفْضِيلُ هَذَا الْيَهُودِيَّ الْمَافُونَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، أَمْ خَلَعَهُ
إِلَيْهِ الدُّنْيَا وَالْدِّينُ؟ حَشَرَهُ اللَّهُ تَحْتَ لِيَوَائِهِ، وَلَا أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ إِلَّا بِفَضْلِ اعْتِنَائِهِ"^(٣). وَلَا يُسْتَغْرَبُ هَذَا الْهُجُومُ

مِنْ ابْنِ بَسَّامٍ عَلَى الْمُنْفَتِلِ فَقَدْ ظَهَرَتْ الْمُغَالَاةُ عِنْدَهُ أَكْثَرَ فِي قَوْلِهِ^(٤): [لطويل]

لَمَّا قَبَّلُوا إِلَّا أَنَامِكَ الْعَشْرَا

وَلَوْ فَرَّقُوا بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى

فَيُمْنَاكَ لِلْيَمْنَى وَيُسْرَاكَ لِلْيُسْرَى

وَلَا سَتَلُمُوا كَفَيْكَ كَالرُّكْنِ زُلْفَةً

وَلَمْ يَكُنْ غَرِيبًا فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ تَقْبِيلُ يَدِ الْمَمْدُوحِ عِرْقَانًا بِفَضْلِهِ، وَوُجِدَ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ مَنْ شَبَّهَ
تَقْبِيلَ رَاِحَةِ الْمَمْدُوحِ بِتَقْبِيلِ الرُّكْنِ مِنَ الْكَعْبَةِ^(٥)، وَبِاسْتِيلَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، فَكَانَ الشَّاعِرُ مُقْلِدًا فِيهِ. لَكِنَّ ذَلِكَ
قِيلَ فِي غَيْرِ الْيَهُودِ، أَمَّا أَنْ يَأْتِيَ بِحَقٍّ وَاحِدٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَهَذَا الْعَرَابَةُ.
وَتَزْدَادُ الْعَرَابَةُ وَتَرْتَفِعُ دَرَجَةُ الْغُلُوِّ حِينَ يَعْمَلُ الْمُنْفَتِلُ مُفَارَقَةً بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى فَيَجِدُ أَنَّ
مَمْدُوحَهُ الْيَهُودِيَّ يُمَثِّلُ الْهُدَى خَيْرَ تَمَثِيلٍ. وَأَتَسَاءَلُ كَيْفَ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ الْمَمْدُوحُ يَهُودِيًّا وَفِي

^١ - ابن بَسَّامِ الذُّخِيرَةُ ق ١، م ٢/٧٦٥ .

^٢ - الْقَطْرُ: الْمَطَرُ .

الْعِقْبَانُ: جَمْعُ عِقْبَانٍ وَهُوَ الرَّجُلُ الْغَلِيظُ .

يَقْصِدُ أَنَّ الرَّجُلَ الْغَلِيظَ الشَّجَاعَ يَوْمَ الْخَطَرِ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَاءِ الْمُتَهَمِرِ الَّذِي تَتَمَنَّاهُ الْعَرَبُ وَتَطْلُبُهُ دَوْمًا.

^٣ - ابن بَسَّامِ الذُّخِيرَةُ ق ١، م ٢/٧٦٥ .

^٤ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

^٥ - قَالَ أَبُو ثَوَّاسٍ مَثَلًا فِي مَدْحِ الْأَمِينِ: [البسيط]

يَا ثَاقُ لَا تَسَامِي أَوْ تَبْلُغِي رَجُلًا تَقْبِيلُ رَاِحَتِهِ وَالرُّكْنَ سَيَّانَ

أَبُو ثَوَّاسٍ دِيوَانُهُ ص ٢٢٥ .

الوقت نفسه مهدياً؟ وكيف يجزئ الشاعر على القول إن ممدوحه يستحق التبجيل الذي تستحقه الكعبة من المؤمنين؟ وأنه يستحق أن نقبل أنامله كلها اعتِرافاً بهدايته وبعده عن الضلالة علماً أنه لم يقع بين يدي ما يشير إلى أن أحد وزيرَي باديس أو كليهما قد أسلم أو ادعى الإسلام، وكل من كتب عنهما كان يصف اسمهما أو مهنتهما بكلمة اليهودي، حتى إن الأمير عبد الله في مذكراته التي تحدث فيها باستفاضة عن تلك الفترة التي تآلق فيها نجم هذا الوزير يوم كانت له الكلمة المسموعة عند جده باديس إلى أن تم قتله، لم يذكر اسم الأول منهما في المذكرات ولا اسم ابنه، وغالباً ما كان يقول "اليهودي" أو "اليهودي اللعين" (١)، وهذا يؤكد أن أياً منهما لم يسلم، بل بقيا على يهوديتهما، وهذا يرجعني إلى سؤال وهو: كيف تجرأ على نسبة الهداية لهذا اليهودي وسط بيئة إسلامية؟ ولا يكفي المنقيل بهذا بل يضيف ما يزيد الأمر غرابة، في قوله (٢)

[لطويل]

وَقَدْ فُزْتُ بِالدُّنْيَا وَنِلْتُ بِكَ الْمَتَى وَأَطْمَعُ أَنْ أَلْقَى بِكَ الْفَوْزَ فِي الْآخَرَى

وهنا يظهر فعلاً الغلو الذي أزعج ابن بسام، ولا أجد تفسيراً مناسباً لهذه الأمنية عند الشاعر، فكيف يكون هذا اليهودي طريق الفوز في الدنيا والآخرة. وحتى إن قبل قوله في الدنيا، فكيف يكون هذا "اليهودي الكافر" طريق الفوز في الآخرة، فقد وصلت المبالغة هنا أقصى حد ممكن لها، ولا مثيل لها في الشعر العربي مهما تميز هذا الممدوح اليهودي الذي قيلت فيه.

وأشار هنري بيرس إلى أن ناسخ مخطوطة "الذخيرة" الموجودة في باريس كان يصرح أنه من الضروري أن يكتب أمام هذا البيت: "أعوذ بالله من غمرات الشياطين" (٣)، مستنكراً الشطط والغلو الواضح. ولولا أن هذا الكلام شعر، وللشعراء في نظمهم شطحات وجنون لقلت إن هذا البيت دليل واضح على اعتناقه اليهودية، فلا يصل للفوز في الآخرة بيهودي إلا إن كان على دينه. إلا أن الحكم في أمر الدين لا يؤخذ بمثل هذا الكلام، ولا يتأتى بتحليل بيت شعري فقط.

٣- اعتناق المنقيل اليهودية :

ولم تقف المبالغة والغلو عند هذا الحد في شعر المنقيل، بل أعلن أنه غير دينه فعلاً ليصبح على

دين ممدوحه اليهودي في قوله (٤): [لطويل]

وَإِنْ كُنْتُ فِي قَوْمِي أَدِينُ بِهِ سِرًّا

فَقِيرًا وَأَمْنْتُ الْمَخَافَةَ وَالْفَقْرَ

أَدِينُ بِدِينِ السَّبْتِ جَهْرًا لَدَيْكُمْ

وَقَدْ كَانَ مُوسَى خَائِفًا مُتَرَقِّبًا

١ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّان ص ٣١ - ٦٠ .

٢ - ابن بسام الذخيرة ق ١، م ٧٦٥ .

٣ - هنري بيرس الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ٢٤٤ .

٤ - ابن بسام الذخيرة ق ١، م ٧٦٥ .

ولا يمكن الجزم إن كان الشاعر قد تحول فعلاً عن دينه إلى اليهودية، أم أن هذا الكلام مجرد خيال شعري على اعتبار أن الشعراء يقولون ما لا يفعلون، وفي البيتين السابقين إشارة وتلميح إلى هذا. ولم تسعني المصادر للبت في هذا وسنبقى المصادر مقتصرة فيه إلى أن يأتي في هذا الشأن جديد سواء في المصادر التي لم تصل إلينا بعد، أو التي لم أصل إليها إلى الآن.

وأستبعد القول بأن الشاعر هنا اعتقد أن هذا اليهودي اعتنق الإسلام وحسن إسلامه مثلاً، ولا تحمل الأبيات غلواً أو استهجاناً. سأستبعد هذا القول لأن الشاعر نفسه أعلن على الملأ ما لا تستطيع كتب التاريخ أو الأدب أن تدخل في مناهات فيه بقوله: "أدين بدين السبت جهراً لديكم" ففي هذا جزم من الشاعر نفسه بأن دين الممدوح الذي يدين به الشاعر هو "دين أصحاب السبت" وهم اليهود بلا أدنى ريب، لذا قال بعض الدارسين إن الشاعر قد تحول إلى اليهودية وأنه كان يكتم ويخفي هذا التحول، لكنه لم يعد خائفاً، فقد أعطاه ممدوحه من الأمان ما لم يحصل عليه النبي موسى أمام أعدائه لشدة نفوذ وسطوة هذا الوزير الذي كان في حمايته. فاحتوت الأبيات مبالغة لا حدود لها، سواء اعتنق المنقلب اليهودية سراً كما يرى هنري بيرس^(١) دون أي توضيح ومُعتمداً على الأبيات المذكورة، أم لم يدين بدينهم بل مجدهم وتحدث عن فضائلهم فحسب.

حين يذكر دين الممدوح اليهودي في الشعر، يكون الحديث عنه بصفة عامة دون دخول في تفاصيل هذا الدين. فصرح المنقلب على سبيل المثال بحبه لدين اليهود بعد أن أخفاه مدة وهو بين قوميه لكنه لم يدخل في تفاصيل هذا الدين، وفي طقوسه، فلا يظهر في شعره ولا في شعر غيره شيء عن صلاتهم أو دعائهم أو طقوسهم أو تراتيلهم أو التعاليم الخاصة بدينهم. وأرى أن المنقلب في اعتناقه لدينهم لم يعتنقه محبة لهذا الدين، لكنه أحبه لمحبة الممدوح. فلم يظهر في شعره ما يشير إلى معتقدات يهودية أعجبته لإعجابه بممدوحه وهو يؤذيها مثلاً. ولم يذكر المنقلب من دينهم إلا عمومية واحدة هي دين السبت، ولم يلجأ لتوضيح آخر لهذا الدين.

وإن تركت البحث في قضية تغيير دين المنقلب في الأبيات تبقى المغالاة غير المتوقعة حين أجرى الشاعر مقارنة بين صورتين: صورة النبي موسى عليه السلام وهو فقير محتاج خائف يترقب مع أنه رسول الله، وتحت رعاية الله، ومؤيد من الله، وهو كليم الله ويعرف أن الله معه، تقابلها صورة الشاعر في البيت الأخير واثقاً من ممدوحه اليهودي أمناً في حماه، وقد أغناه وأزال عنه الفقر والخوف، فتكون النتيجة أن حال الشاعر تحت رعاية ممدوحه اليهودي أفضل من حال النبي موسى تحت عناية ربه. وفي هذا الكلام مغالاة وجراءة ما قرأت مثلها في الشعر العربي خاصة في الحديث عن اليهود مهما كانت مكانتهم الاجتماعية أو السياسية.

^١ - انظر: هنري بيرس الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ٢٤٤ .

وَسَتَرِيذُ الْغَرَابَةِ إِنْ صَدَّقْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ قِيلَتْ فِعْلاً فِي مَقْتَلِ الْيَهُودِيِّ يُوسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ كَمَا ذَكَرَ أَحْسَنُ عَبَّاسٍ حِينَ عَلَّقَ عَلَيْهَا فِي الْحَاشِيَةِ فَكَيْفَ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَى هَذِهِ الْمُبَالَغَاتِ وَيَتَجَرَّأُ عَلَى الدِّينِ فِي وَقْتٍ كَانَ الْمَمْدُوحُ فِيهِ مَقْتُولاً وَاتَّبَاعُهُ مُلاحَقُونَ، وَمَذْبَحَةٌ عَظِيمَةٌ رَافَقَتْ مَقْتَلَهُ. أَلَمْ يَخَفِ الشَّاعِرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْمُنتَقِمِينَ وَالتَّائِبِينَ؟!

الاتِّجَاهُ الثَّانِي: أَثَرُ الْيَهُودِ فِي مَذْحِ الشُّعْرَاءِ لِرِجَالِ الْأَنْدَلُسِ

رُغِمَ كَثْرَةُ مَذْحِ الشُّعْرَاءِ لِرِجَالِ الْأَنْدَلُسِ فِي الشُّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ وَرُغِمَ طُولُ قَصَائِدِ الْمَذْحِ إِلَّا أَنَّ أَثَرَ الْيَهُودِ فِيهِ قَلِيلٌ جِدًّا؛ فَمَعْرَكَةُ الْمَمْدُوحِ الَّتِي تَمَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي شِعْرِ الْمَذْحِ مَعْرَكَةُ أَمَامِ الصَّلِيبِ وَالنَّافُوسِ، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِمَّا لَهُ دِلَالَةٌ عَلَى دِينِ النَّصَارَى. وَلَمْ يَكُونُوا الْيَهُودَ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ قِسْمٌ مِنْهُمْ يُقَاتِلُ مَعَ النَّصَارَى، فَقَلَى أَرْضِ الْوَقْعِ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَرْبٌ مُعَلَّنَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ، وَلَمْ تَتَجَمَّعِ الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي جُيُوشٍ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ الْيَهُودِ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا أَيُّ تَجَمُّعٍ دِينِيٍّ سِيَاسِيٍّ يُقَاتِلُ الْمَمْدُوحِينَ، بَلْ كَانُوا طَوْعًا فِي أَيْدِي الْمُلُوكِ الْعَرَبِ وَدَوِي السُّلْطَةِ يُسَاعِدُونَهُمْ وَيُنْقِذُونَ مَا يُرِيدُونَ، إِلَى أَنْ وَصَلَتْ الْحَالُ أَنْ أَصْبَحَ الْمُلُوكُ أَنْفُسُهُمْ لِعَبَةِ بِأَيْدِيهِمْ يُحَرِّكُونَهَا بِسِيَاسَةٍ وَدَهَاءٍ كَمَا حَصَلَ مَعَ بَادِيسَ وَوَزِيرِهِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ، إِلَّا أَنَّ غَالِبِيَّتَهُمْ كَانُوا رَعَايَا أَمْنِيٍّ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ.

وَبِهَذَا لَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ أَثَرٌ وَاضِحٌ فِي الْمَذْحِ إِنْ كَانَ الْمَمْدُوحُ مُسْلِمًا، لَكِنْ لَمْ يَخْتَفِ أَثَرُهُمْ نِهَائِيًّا؛ فَكَانَ أَعْدَاءُ الْمَمْدُوحِ كَالْيَهُودِ حِينَ مَذَحَ ابْنُ عَمَّارٍ (ت: ٤٧٩هـ) ^(١) الْمُعْتَصِدَ بِاللَّهِ (ت: ٤٦٤هـ) ^(٢) بَعْدَ نِزَاعِهِ مَعَ بَادِيسَ حَوْلَ قَرْمُونَةَ ^(٣)، قَالَ ابْنُ عَمَّارٍ ^(٤): [لطويل]

يَهُودًا وَكَانَتْ بَرَبْرًا فَانْتَضَرَ ^(٥) الظُّبَا وَأَنْبِئُهُمْ مِنْهَا بِالسِّنَةِ لَدَّ ^(٦)

^١ - هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عِمَارٍ، أَوَّلُهُ مِنْ شُلُبٍ، عَمِلَ عِنْدَ الْمُعْتَصِدِ وَاخْتَلَفَ مَعَهُ فَنَفَاهُ، وَلَمَّا وَلِيَ الْمُعْتَصِدُ بَعْدَهُ قَرْبَهُ إِلَيْهِ كَثِيرًا. وَوَلَاهُ عَلَى شُلُبٍ ثُمَّ مُرْسِيَّةً، فَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْإِنْفِرَادَ بِهَا، ثُمَّ قَرَّ إِلَى الْمُؤَمِّينَ بْنِ هُوْدٍ فِي سَرْقُسْطَةِ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِدُ يُمْنِيَهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَسَجَنَهُ ثُمَّ قَتَلَهُ عَامَ ٤٧٩هـ، لَهُ دِيْوَانُ شَعْرٍ. انْظُرْ: ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعَفْيَانِ ٢، ج ٢/٢٥٣ - ٢٨٨؛ ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخَيْرَةُ ٢، م ١/٣٦٨ - ٤٣٣. ابْنُ

بِخِيَةِ الْمُطَرِّبِ ص ١٦٩؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ١١١ - ١٢٩؛ ابْنُ الْأَبَّارِ الْخَلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢/١٣١؛ ابْنُ خَلَّكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤/٤٢٥ - ٤٢٩؛ ابْنُ سَعِيدٍ رَايَاتُ الْمُتَبَرِّزِينَ ٨٦ - ٨٩؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ١٥٩ - ١٦٢.

^٢ - هُوَ: أَبُو عَمْرٍو الْمُتَلَقَّبُ بِالْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ؛ وَالِدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ ثَانِي أَمْرًا بَنِي عَبَّادٍ، وَلَاهُ أَهْلُ إِشْبِيلِيَّةَ أَمْرَهُمْ بَعْدَ أَنْ انْتَهَى حُكْمُ الْفَاطِمِيِّينَ فِيهَا (٤٣٩ - ٤٦٤هـ)، وَدَانَتْ لَهُ الْمُلُوكُ مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ، وَعَهْدَ بِالْحُكْمِ بَعْدَهُ إِلَى ابْنِهِ الْمُعْتَصِدِ، وَاخْتَلَفَ فِي سَبَبِ وَفَاتِهِ. انْظُرْ: ابْنُ بِيخِيَةِ الْمُطَرِّبِ ص ١٢ - ١٣؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٩٥ - ١٠١.

^٣ - قَرْمُونَةُ: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ شَرْقِي إِشْبِيلِيَّةَ. انْظُرْ: الْحَمِيرِيُّ الرُّؤُصُ الْمُغَطَّارُ ص ٤٦١.

^٤ - ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعَفْيَانِ ٢، ج ٢/٢٦٣.

^٥ - الْتَضَى السِّيفَ: اسْتَخْرَجَهُ مِنْ غَمْدِهِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [نضاً] ١٥/٣٣٠.

^٦ - أَلْسَنَةُ لُدٍّ أَوْ لُدٍّ: شَدِيدَةُ الْخُصُومَةِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [لُد] ٣/٣٩١.

وَأَقِفْ هُنَا عِنْدَ تَحْلِيلِ لِهَنْرِي بِيرْسُ فِيهِ بَعْضُ الْغَرَابَةِ، حَيْثُ عَقَّبَ عَلَى الْبَيِّنَاتِ السَّابِقِ بِقَوْلِهِ: "رُبَّمَا كَانَتْ هُنَاكَ صِلَاتٌ أَسْرِيَّةٌ بَيْنَ بَادِيسَ بْنِ حَبُوسَ الَّذِي حَكَّمَ غَرْنَاطَةَ وَوَزِيرِهِ الْيَهُودِيَّ ابْنَ نَعْرِيلَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ الْيَهُودِيَّاتِ: أَخَوَاتِ صَمُوئِيلَ [يَقْصِدُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَ نَعْرِيلَةَ]، أَوْ بَنَاتِ عَمِّهِ، أَوْ بَنَاتِهِ، كُنَّ يَكُونُ جَانِبًا مِنْ حَرِيمِ بَادِيسَ، لَا عَشِيقَاتٍ، وَإِنَّمَا زَوَّجَتْ شَرَعِيَّاتٍ، وَهُوَ مَا يُفَسِّرُ لَنَا مِنْ أَيِّ سَبَبٍ آخَرَ الْقُوَّةَ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا، فَعَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الصِّلَةِ الْأَسْرِيَّةِ سَيَطْرُقُ عَلَى عَائِلَةِ الْأَمِيرِ الْحَاكِمِ، وَبِالتَّالِي يُمَكِّنُ اعْتِبَارُهُ سَيِّدًا مِنْ بَرَبْرِ الْمَمْلَكَةِ، وَأَنْ يَسْخُو عَلَى أَهْلِهِ، وَلَمْ يَتَرَدَّدْ هُوَ لَاءٍ فِي أَنْ يَرْتَفِعُوا بِهِ إِلَى مَرْتَبَةِ عَاهِلِ غَرْنَاطَةَ الْحَقِيقِيِّ" (١).

وَأَرَى هَذَا مِنْ أَغْرَبِ مَا قَرَأْتُ حَوْلَ عِلَاقَةِ هَذَا الْوَزِيرِ بِمُلُوكِ غَرْنَاطَةَ، وَلَمْ أَجِدْ فِي الْمَصَادِرِ مَا يُؤَيِّدُهُ، وَلَا أَذْرِي مِنْ أَيْنَ جَاءَ بِيرْسُ بِهَذَا التَّوَقُّعِ، إِلَى دَرَجَةِ التَّأَكُّدِ أَنَّ أَوْلَاءَ النِّسَاءِ كُنَّ زَوَّجَتْ شَرَعِيَّاتٍ، وَلَمْ يَكُنْ بِزَعْمِهِ حَتَّى عَشِيقَاتٍ، بَيْنَمَا لَمْ تَتَعَرَّضْ لَهُ الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ ابْنِ نَعْرِيلَةَ، فَقَدْ كَانَ يُذَكِّرُ فِيهَا كَاتِبًا تَرَفَّى بِعَمَلِهِ وَبِحِيلِهِ وَبِدَهَائِهِ وَبِضَعْفِ شَخْصِيَّاتٍ مَنْ حَوْلَهُ إِلَى الْمَكَاثَةِ الَّتِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا حَتَّى الْعَرَبُ الْمُحِيطُونَ. وَأَقْرَبُ الْمَصَادِرِ الَّتِي كَتَبَتْ عَنْ تِلْكَ الْأُسْرَةِ كِتَابُ "التَّيْبَانِ" الَّذِي كَتَبَهُ حَفِيدُ بَادِيسَ، وَفِي الْكِتَابِ إِشَارَةٌ إِلَى سَبَبِ قُرْبِ هَذَا الْوَزِيرِ مِنْ بَادِيسَ لَيْسَ فَقَطْ كِفَاءَةُ هَذَا الْيَهُودِيِّ، بَلْ اعْتِبَارَاتٌ سِيَاسِيَّةٌ كَثِيرَةٌ (٢)، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا أَبَدًا أَيُّ ذِكْرٍ لِعِلَاقَةِ أَسْرِيَّةٍ أَوْ قَرَابَةِ عَائِلِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْحَاكِمَةِ أَبَدًا.

وَلَمْ أَجِدْ فِيمَا قَرَأْتُ مَا يُشِيرُ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ إِلَى أَنَّ عَائِلَةَ بَادِيسَ اخْتَوَتْ فِي حَرِيمِهَا قَرِيبَةً مِنْ أَقَارِبِ ابْنِ نَعْرِيلَةَ كَانَتْ سَبَبًا لِتَقَرُّبِهِ، وَفِي مُذَكَّرَاتِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ تَأَكُّدٌ عَلَى أَنَّ النِّسَاءَ فِي قَصْرِ بَادِيسَ لَمْ يَكُنَّ عَامِلَ تَقَرُّبٍ وَمُصَاهَرَةٍ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ، ظَهَرَتْ مِنْهُنَّ عِدَاوَةٌ وَاضِحَةٌ لِهَذَا الْيَهُودِيِّ فَكُنَّ يَمْنَعْنَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَالذَّ كَاتِبِ الْمَذَكَّرَاتِ مَثَلًا مِنْ الْإِقْتِرَابِ مِنْهُ، وَقَدْ تَرَدَّدَ الْقَوْلُ بِعِدَاوَةِ النِّسَاءِ لَهُ فِي مَوَاقِعَ عَدِيدَةٍ فِي الْمَذَكَّرَاتِ كَانَ مِنْهَا قَوْلُهُ: "وَمِمَّا أَعَانَ عَلَى الْفَسَادِ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ أَبَانَا كَانَ مَعَ أُمَّهَاتِهِ، اللَّائِي رَبَّيْنِ وَلَدَهُ الْمُعَزَّ أَخَانًا، عَلَى ضِدِّ مِنَ الْأَمْنِ؛ لِإِفْرَاجِهِنَّ الْمَالَ عَلَى ابْنِهِ طِفْلًا صَغِيرًا وَمَنْعِهِ هُوَ مِنْهُ فَاجْتِنَاجَ إِلَى الْيَهُودِيِّ عَنِ الْمَالِ. وَكَانَ أُمَّهَاتُهُ يُطَالِبْنَهُ وَيَمْنَعْنَهُ عَنْ صُحْبَةِ الْيَهُودِيِّ، حَتَّى شَعَرَ بِذَلِكَ" (٣). فَالنِّسَاءُ فِي الْقِصَّةِ الْمَذْكُورَةِ كُنَّ سَبَبَ بَلَاءٍ لِهَذَا الْيَهُودِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُنَّ مَنْ أَعَانَتْهُ لِلْوُصُولِ أَوْ الْإِقْتِرَابِ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا فَإِنَّ مَعَارِكَ النِّسَاءِ حَوْلَ تَنْشِئَةِ وَلِيِّ الْعَهْدِ الْمُنْتَظَرِ كَانَتْ سَبَبًا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي دَعَتْ ذَاكَ الْوَزِيرَ الْيَهُودِيَّ إِلَى مُشَاوَرَةِ الْخَوَاصِّ مِنَ الْيَهُودِ فِي أَمْرِهِ، فَقِيلَ: "إِنَّ الْخَنْزِيرَ - لَعَنَهُ اللَّهُ - لَمَّا رَأَى طُغْيَانَ النِّسَاءِ، وَكُلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُنَّ تُرِيدُ وَلَايَةً مَنْ تَرْبِيهِ مِنْ أَبْنَاءِ السُّلْطَانِ، وَرَأَى تَغْيِيرَ مَوْلَاهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَهْرَبًا،

١ - هنري بيرس الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ص ٢٤٣

٢ - الأمير عبد الله التَّيْبَانِ ص ٣١٠ - ٣٢ .

٣ - نفسه ص ٤١ .

وَلَا وَجَدَ إِلَى التَّخْلُصِ سَبِيلًا، وَشَاوَرَ فِي ذَلِكَ مَشِيخَتَهُ مِنْ دَوِي الرَّاْي فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى مُخَاطَبَةِ ابْنِ صُمَادِحَ، وَأَنَّهُ الْأَوَّلَى لِجَبْرِتِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ" (١).

وَلَمْ تَكُنِ الْعَدَاوَةُ مُجَرَّدَ تَحْلِيلٍ قَامَ بِهِ هَذَا الْأَمِيرُ الْحَفِيدُ أَوْ أُوحِتَ إِلَيْهِ مِنْ رَبَّنُهُ مِنَ النِّسَاءِ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْمَذْكُورَاتِ قَوْلٌ لَهُ حِينَ قُدِّمَتْ لَهُ نَصِيحَةٌ بِأَنْ يُصَايِرَ الْأُمُورَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ الْمُظْفَرُ، لِأَسِيْمَا أَنَّهُ قَدْ أَسَنَ، وَيُلْقِي يَدَهُ فِي حَفِيدِهِ الْمُعَزَّ، قَتَبَقَ يَ حَالَهُ مَعَهُ حَسَبَ مَا كَانَتْ مَعَ جَدِّهِ؛ قَالَ الْيَهُودِيُّ: "كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ لَوْلَا أَنَّ الْمُعَزَّ صَغِيرُ السِّنِّ، وَلَهُ أُمَّهَاتٌ وَطَبَقَاتٌ جَمَّةٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالْحَاشِيَةِ. فَكَيْفَ نَرْجُو مَعَهُمُ الْفَلَاحَ؟ وَالْحَالُ إِذْ ذَاكَ تَكُونُ عَلَيَّ أَشَدُّ لاختلاف أهوائهم" (٢) ففي هذا الكلام إشارة إلى خطورة وصعوبة وضع النساء أمام طموحات هذا الوزير اليهودي.

وَفِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُ لَا يُوْجَدُ أَيُّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ هَذَا الْوَزِيرَ كَانَتْ لَهُ صِلَةٌ بِالنِّسَاءِ حَوْلَ بَادِيَسَ، كَمَا زَعَمَ هِنْرِي بِيرِسَ، وَلَوْ كَانَتْ وَاحِدَةً عَلَى عِلَاقَةٍ بِهِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ بِهِ لَظَهَرَ فِي الْمَذْكُورَاتِ مَا يُؤَيِّدُ هَذَا أَوْ يُلَمِّحُ إِلَيْهِ. فَالْأَمِيرُ الْكَاتِبُ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ، وَتَحَدَّثَ عَنْ خَفَايَا الْأُسْرَةِ بِصَرَاحَةٍ كَبِيرَةٍ، كَمَا أَنَّهُ تَوَسَّعَ كَثِيرًا فِي الْحَدِيثِ عَنْ هَذَا الْيَهُودِيِّ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُ عِلَاقَةٌ مَعَ نِسَاءِ الْقَصْرِ تَذَعَّمَهُ لَذَكَرَهَا كَاتِبُ الْمَذْكُورَاتِ وَلَكِنْ أَعْلَمَ النَّاسَ بِهَا لِعَدَاوَتِهِ الشَّدِيدَةِ لِهَذَا الْوَزِيرِ الَّتِي بَرَزَتْ فِي الْأَلْفَاظِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي كَانَ يَنْعَثُ بِهَا، فَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ يَدٌ نِسَائِيَّةٌ فِي الْأُسْرَةِ تُعِينُهُ أَوْ عَيْنٌ تُسَاعِدُهُ فِي غُرْفِ الْحَرِيمِ فِي الْقَصْرِ لَيَبْلُغَ تِلْكَ الْمَكَانَةَ عِنْدَ بَادِيَسَ لَكَانَ مِنَ الْأَوَّلَى أَنْ يَذَكَرَهَا هَذَا الْأَمِيرُ مُسْتَهِينًا بِهَا، مُسْتَهْزِئًا بِمَكَانَتِهَا. وَأَرَى أَنَّ ابْنَ عَمِّ ارٍ أَرَادَ تَشْبِيهَ أَعْدَاءِ مَمْدُوحِهِ مِنَ الْبَرَابِرَةِ مُلُوكِ غُرْنَاطَةَ بِأَنَّهُمْ كَالْيَهُودِ فِي عَدَاوَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ لَيْسَ إِلَّا، فِي الْبَيْتِ تَشْبِيهٌ غَابَ عَنْ هِنْرِي بِيرِسَ حِينَ أَتَى بِإِدْعَائِهِ الَّذِي لَا يَصْمِدُ طَوِيلًا أَمَامَ أَيِّ بَحْثٍ فِي حَيَاةِ كُلِّ مَنْ بَادِيَسَ وَوَزِيرِهِ الْيَهُودِيِّ، فَلَمْ يَرِدْ تَأَكِيدُ لَهُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ تِلْكَ الْقُتْرَةِ أَبَدًا، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ لَمَا غَفَلَتْ عَنْهُ تِلْكَ الْكُتُبُ.

أثر اليهود في المذائح النبوية

قَدْ يَسْتَعْلُ الشَّعْرُ الدِّينِي فِي الْمَذَائِحِ النَّبَوِيَّةِ مَثَلًا لِإِبْرَازِ صِرَاحِ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ؛ فَيَفَرِّغُ الشَّاعِرُ فِيهِ جُزْءًا مِمَّا بِهِ تَجَاهُهُمْ، وَيَتَنَاقَشُ هَذَا بِذِكْرِ تَارِيخِهِمُ الْأَسْوَدِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَثَلًا، أَوْ النَّشْفِي بِمَا حَصَلَ لَهُمْ حِينَ تَمَّتْ مُلَاحَقَتُهُمْ وَطَرْدُهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا. إِلَّا أَنَّنِي تَوَصَّلْتُ إِلَى عَكْسِ هَذَا؛ فَمَا قِيلَ فِيهِمْ قَلِيلٌ وَلَا يُشْكَلُ أَثَرًا وَاضِحًا، وَلَا يُوجِي أَبَدًا بِتَعْصِبٍ ضِدَّهُمْ.

وَوُجِدَ ذِكْرٌ مُبَاشِرٌ لِلْيَهُودِ مَقْرُونِينَ مَعَ النَّصَارَى فِي مَدِيحِ نَبَوِيِّ لِأَحَدِهِمْ (٣): [لوفر]	لَقَدْ رَفَعَ الْإِلَهُ عَنِ الْبَرَايَا
بِبَغْتِ مُحَمَّدٍ مَحْمُودٍ	أَتَى وَالنَّاسُ فِي الْأَفَاقِ نَهَبٌ (٤)
لِسُمرِ الْخَطِّ أَوْ بِيضِ السُّيُوفِ	فَأَنَقَذَهُمْ وَلَوْلَاهُ لَكَانُوا
لَقِي بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالْحُتُوفِ (٥)	نَبِيٌّ لَا يَغْلُ (٥) عَلَيْهِ إِلَّا
سَخِيفُ الْعَقْلِ ذُو رَأْيٍ مَوْوُوفٍ (٦)	كَأَعْمَارِ (٧) الْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى
أَوْ الْفَلَكَيِّ أَوْ الْفَيْلُسُوفِ	فَبَعْضٌ لِلتَّجَاهُلِ وَالتَّعَامِي
وَبَعْضٌ لِلتَّخَيُّرِ وَالْوُقُوفِ	

١ - الأمير عبد الله التَّيَّان ص 50 - ٥١ .

٢ - نفسه ص 51 .

٣ - المَقْرِي تَفْحُ الطَّبِيب ٣٣٥/١٠ - ٣٣٦ .

٤ - نهَبٌ لِلْسُّيُوفِ: تَتَنَاولُهُ أَوْ تَأْخُذُهُ السُّيُوفُ.

٥ - لَا يَغْلُ عَلَيْهِ: لَا يَدْخُلُهُ حِفْظٌ عَلَيْهِ يُزِيلُهُ عَنِ الْحَقِّ .

٦ - مَوْوُوفٌ: أَصَابَتْهُ آفَةٌ .

٧ - الْأَعْمَارُ: جَمْعُ عُمَرٍ، وَهُوَ الْجَاهِلُ الْغُرُّ الَّذِي لَمْ يُجَرِّبِ الْأُمُورَ .

ابن مَنْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [نهب] ٧٧٤/١ .

ابن مَنْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [غلل] ٤٩٩/١١ .

ابن مَنْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [أوف] ١٦/٩ .

ابن مَنْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [عمر] ٣١/٥ .

أَعْطَى الشَّاعِرُ أَمْثِلَةً عَلَى السُّخْفَاءِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَهُمْ أَرْبَعُ جَمَاعَاتٍ، عَلَى رَأْسِهِمْ سَفَلَةُ الْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى. وَلَمْ يُعَمِّمِ الشَّاعِرُ حُكْمَهُ، وَلَمْ يَكُنِ الْهَجَاءُ مُوجَّهًا إِلَيْهِمْ كَجَمَاعَةٍ دِينِيَّةٍ، بَلْ أَرَاهُ اسْتَفْتَحَ مَوْقِفَ أَرَادِلِهِمْ كَمَا اسْتَفْتَحَ مَوْقِفَ عُلَمَاءِ الْفَلَكَ وَالْمُتَحَدِّثِينَ فِي الْفَلَسَفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَأَخَذَ الشَّاعِرُ فِي الْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ يُجَادِلُهُمْ وَبِحَاجَتِهِمْ حَوْلَ بَرَاهِينِ النُّبُوَّةِ الَّتِي يُكْذِبُونَهَا. وَأَرَى فِي هَذَا الشُّعْرِ هُدُوءًا فِي الْجِدَالِ وَالْحَوَارِ مَعَ الْيَهُودِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى مَوْضُوعِيَّةٍ تَمَثَّلَتْ فِي عَدَمِ إِطْلَاقِ الْأَحْكَامِ الْعَامَّةِ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ يَكُونُ فِي الْوَاقِعِ الْأَنْدَلُسِيِّ هُدُوءٌ مُشَابِهٌ فِي التَّعَامُلِ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَبَحَثْتُ عَنْ إِشَارَةٍ إِلَى الْيَهُودِ الْقَدَمَاءِ فِي الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ وَالْأَخِيرِ مِنْ "النَّفْحِ" عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا، فَلَمْ أَلَمْحُ فِيهَا ذِكْرًا لِلْيَهُودِ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُدْرَسَ، فَقَدْ كَانَ قَلِيلًا بَلْ نَادِرًا. وَمِنْهُ مَا وَرَدَ حَوْلَ تَنْبُؤِ التُّورَةِ بِقُدُومِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهَذَا وَجَدْتُهُ فِي تَسْدِيسٍ^(١) وَتَحْمِيسِينَ^(٢)، تَحْمِيسٌ مِنْهَا لَابْنِ سَهْلٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا وَأَسْلَمَ سَأَحَدْتُ عَنْهُ فِي الْبَحْثِ لَاحِقًا.

ثالثًا: - الْيَهُودُ فِي شِعْرِ الْهَجَاءِ

هَجَاءُ الْيَهُودِ مُتَوَقَّعٌ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَجَاءَ هِجَاؤُهُمْ فِي الشُّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِ :

(١) دَوَائِرُ هَجَاءِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ .

الدَّائِرَةُ الْأُولَى قُصِدَ بِهَا هَجَاءُ الْيَهُودِ، وَالتَّانِيَةُ جَاءَ هِجَاؤُهُمْ فِيهَا ضِمْنًا أَغْرَاضٍ أُخْرَى كَالْمَذْحِ أَوْ الرِّثَاءِ أَوْ فِي الْمُهَاجَاةِ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ أَوْ الْإِخْوَانِيَّاتِ، التَّالِيَةُ هِيَ هَجَاءُ الْيَهُودِ لِلْعَرَبِ:

الدَّائِرَةُ الْأُولَى : هَجَاءُ الْيَهُودِ

جَاءَ هَجَاءُ الْيَهُودِ فِي ضَرْبَيْنِ فِي الشُّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ: الْأَوَّلُ مِنْهُمَا يَهْجُو الْيَهُودَ عَامَّتَهُمْ دُونَ تَمْيِيزِ بَيْنَهُمْ، أَيْ يَهْجُو كُلَّ الْيَهُودِ لَا يَسْتَنْتِي مِنْهُمْ أَحَدًا، وَهَذَا كَانَ قَلِيلًا بَلْ نَادِرًا، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ جُزَيٍّ الْكَلْبِيِّ الَّذِي وَصَفَ الْيَهُودَ بِالْحَقْدِ وَسُوءِ السَّرِيرَةِ فِي قَوْلِهِ^(٣) : [لطويل]

وَرُبَّ يَهُودِيٍّ أَتَى مُنْطَبِّبًا لِيَأْخُذَ ثَارَاتِ الْيَهُودِ مِنَ النَّاسِ

إِذَا جَسَّ نَبْضَ الْمَرْءِ أَوْدَى سَرِيْعًا أَلَمْ تَسْمَعْ بِقَتْلِهِ

فَمَعَ أَنْ ظَاهَرَ الْأَبْيَاتِ هَجَاءُ الْأَطِبَّاءِ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنِّي أَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ هَجَاءَ الْيَهُودِ عَامَّةً، لَكِنَّهُ وَرَى بِالْأَطِبَّاءِ كَمَا أَشَارَ الْمُقَرِّيُّ حِينَ كَتَبَ قَبْلَ الْأَبْيَاتِ إِنَّ الشَّاعِرَ قَالَهَا "مُورِيًّا". وَلَمْ يُوضَّحِ الْمُقَرِّيُّ كَمَا لَمْ يُوضَّحِ الشَّاعِرُ نَفْسُهُ فِي الْأَبْيَاتِ السَّبَبَ الَّذِي دَعَا لَهُذَا الْهَجَاءِ.

وَالضَّرْبُ الثَّانِي يُقْصَدُ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمِنْهُ شِعْرُ لَابْنِ الْخَطِيبِ قَالَ فِيهِ^(٤) : [لطويل]

وَعَصْبَةُ شَرٍّ مِنْ يَهُودٍ لَقِيَتْهَا يُجَانِبُهَا دَاعِي الْهُدَى وَيُحَاشِيهَا^(٥)

إِذَا أَمْنُوا وَاسْتَوْتَقُوا الْبَابَ أَعْلَنُوا خَبَائِثَ مَا كَانَ لِسَانُ لِيُفْشِيَهَا

^١ - انظر: المقري نفح الطيب ٢٨٨/١، ٣٠٠، ٣١٠.

^٢ - التخميسات الخمس أو الخمسات: هو الشعر الذي يقسم فيه الشاعر قصيدته إلى أقسام في كل منها خمسة أقطر، مع مراعاة نظام للقافية في هذه الأقطر، وأول من أتى بها أبو الجنان. انظر: إميل بدیع يعقوب المغنم المفضل في علم العروض ص ٣٩٩، ١٨٨.

^٣ - المقري نفح الطيب ٧٧/٨، أزهار الرياض ١٩٧/٣.

^٤ - هو: جساس بن مرة الشيباني، قاتل كليب وائل، دارت الحرب بين بكر ووائل سنين بسبب فتكته. انظر: ابن الأثير الكامل ٤١١/١ - ٤٢٠؛ الأبيشيبي المستطرف ٣٠٤/١؛ القلشندي صبح الأعشى ٣٩١-٣٩٢، ٤٤٦؛ ابن منظور لسان العرب [جس] ٣٩/٦.

^٥ - ابن الخطيب السلماي ديوانه ٧٣٩/٢.

^٦ - يجانبها: يبتعد عنها.

يحاشيها: يعزلها ويبعدها.

ابن منظور لسان العرب [جنب] ٢٧٨/١.

ابن منظور لسان العرب [حشي] ١٨٢/١٤.

كَانَ رُؤُوسَ الْقَوْمِ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ وَقَدْ أُوْمَأَتْ لِلأَرْضِ صُفْرُ شَوَاشِيهَا^(١)
 أَقَاحُ^(٢) أَمَالَتْهَا الرِّيحُ عَلَى الثَّرَى وَقَدْ أَسْقَطَتْ عَنْهَا بَيَاضَ حَوَاشِيهَا
 وَعِنْدِي مُلَاحَظَاتٌ حَوْلَ هَذِهِ الْأَبْنِيَاتِ: أَوَّلَاهَا أَنَّ تَقْدِيمَ الشَّاعِرِ لِلأَبْنِيَاتِ يَدُلُّ بِمَا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 هِجَاءِ الْيَهُودِ عَامَّةً، بَلْ كَانَ فِي عُسْبَةِ مِنْهُمْ^(٣)، وَقَدَّمَ ابْنُ الْخَطِيبِ لِلأَبْنِيَاتِ بِقَوْلِهِ: "قُلْتُ فِي الْيَهُودِ حَسَبًا
 اقْتِضَاهُ وَقْتُ مِنَ الْأَوْقَاتِ"^(٤)، وَأَرَى فِي هَذَا اعْتِدَارًا لِلْيَهُودِ، فَالْكَلامُ لَا يَسْتَحِقُّونَهُ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، وَلَا
 يُسَحَبُ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى الْيَهُودِ عَامَّةً؛ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ فَحَسَبُ.

١ - الشواشي: الرقيق الناعم من الثياب، ويقصد هنا عمامتهم الصفراء، لم تستخدم في المعاجم القديمة للثياب ولكن في لسان العرب
 الشواش: الخفيف من اللعاب. ابن منظور لسان العرب [شوش] ٣١٠/٦

٢ - أقاح هو الأفحوان: نبت تشبه به الأسنان، وواحدته أفحوانة، والجمع أقاح، وهو نبت طيب الريح حوالته ورق أبيض ووسطه أصفر.
 ابن منظور لسان العرب [قحو] ١٧١/١٥.

٣ - العُصْبَةُ تُطْلَقُ عَلَى الْجَمَاعَةِ مَا بَيْنَ الْعَشْرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ. ابن منظور لسان العرب [عصب] ٦٠٧/١.

٤ - ابن الخطيب السلماني ديوانه ٧٣٩/٢.

وَأَشَارَ ابْنُ الْخَطِيبِ إِلَى أَنَّ أَعْمَالَ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ لَمْ تَكُنْ ظَاهِرَةً؛ وَلَمْ يَأْتِ بِهِمْ يُصَلُّونَ فِي بَيْعٍ أَوْ
أَمَاكِنِ الْعِبَادَةِ، بَلْ كَانُوا يَقُومُونَ بِعِبَادَتِهِمْ سِرًّا بَعْدَ أَنْ يُغْلِقُوا الْبَابَ عَلَيْهِمْ. وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي وَجَدْتُ بِهَا
إِشَارَةً إِلَى طُقُوسِ الْيَهُودِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَشَبَّهَ الشَّاعِرُ حَالَتَهُمْ وَهُمْ يَقُومُونَ بِأَدَاءِ صَلَاتِهِمْ وَقَدْ عَطَوْا رُؤُوسَهُمْ
بِعَمَائِمِهِمُ الصَّفْرَاءَ وَكَأَنَّهُمْ زَهْرُ الْأَفْحَوَانِ يَمِيلُ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَهَزَى بِحَرَكَاتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ. وَعَرَّضَ ابْنُ
عَبْدِ رَبِّهِ بِالْمُتَّجِمِ ابْنَ عِزْرَاءَ، بِقَوْلِهِ^(١) : [لسريع]

زَرَى عَلَيْكَ الْكُوكَبُ الثَّاقِبُ

قُلْ لَابِنِ عِزْرَاءَ السَّخِيفِ الْحِجَا

وَوَجَدْتُ بَيَّتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ فِي هِجَاءٍ وَزِيرٍ يُنَبِّزُ^(٢) "تَحْقُون" ، جَاءَ فِيهِمَا^(٣) : [لرملة]
صَجَّ مِنْ تَحْقُونِ بَيْتِ الذَّهَبِ
وَدَعَا مِمَّا بِهِ وَاحَرَبِي
رَبِّ طَهَّرْنِي فَقَدْ دَنَسَنِي
عَارُ تَحْقُونِ الْوَفِّ الذَّنْبِ

أَرَى أَنَّ الْمَهْجُوَّ أَبُو الْفَضْلِ بْنِ حَسَدَايَ؛ فَمَجَلِسُ الذَّهَبِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ مَجَالِسِ الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُوْدَ فِي
الْقَصْرِ الْمُسَمَّى بِدَارِ السُّرُورِ^(٤) ، وَابْنُ حَسَدَايَ أَسْلَمَ وَعَمِلَ فِي بِلَاطِ الْمُقْتَدِرِ^(٥) . وَلَمْ أَجِدْ فِي هِجَاءِ الْيَهُودِ
أَبْيَاتًا أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ.

الدَّائِرَةُ الثَّانِيَّةُ : هِجَاءُ الْيَهُودِ فِي أَغْرَاضٍ غَيْرِ الْهَجَاءِ

ظَهَرَ فِي أَغْرَاضٍ غَيْرِ مُخَصَّصَةٍ لِلْهَجَاءِ، مِنْهَا مَا يَلِي :

١- فِي الْكَلَامِ عَنْ مُعْتَقَدَاتٍ فَاسِدَةٍ

أَتَى ذِكْرُ "الْيَهُودِ" كَثِيرًا مَعْطُوفًا عَلَيْهِمْ "النَّصَارَى" أَوْ الْعَكْسُ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ. وَجِئْتُ تَرْدُ
الْكَلِمَتَانِ مُتَتَابِعَتَيْنِ فِي شِعْرِ هَمٍّ فَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى شَرِّ مُتَوَقَّعٍ أَوْ عَدُوٍّ مُجْتَمِعٍ لِضَرْبِ الْمُسْلِمِينَ. وَبِجَانِبِهِمَا كَانَتْ
تُذَكِّرُ أحيانًا فِرْقَةً مِنَ الْفِرَقِ الْمُفْسِدَةِ الضَّالَّةِ، وَيَقَرُّنُ الْيَهُودَ بِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى سُوءِ
تَفْكِيرٍ وَخُطُورَتِهَا. وَمِنْهُ مَا جَاءَ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْجَبَّارِ (ت ٧٤٩ هـ)^(٦) بِقَوْلِهِ^(٧) : [لطويل]

يُحِبُّ ابْنُ سَيْنَا^(٨) أَوْ يُوَالِي أَبَا

إِذَا أَنْتَ دَاكِرْتِ امْرَأًا فَرَأَيْتَهُ

يُقَلِّدُهُ مَنْ حَيْثُ يَذَرِي وَلَا يَذَرِي

وَيَزْهِي بِأَنْ كَانَ ابْنُ رُشْدٍ^(٩) إِمَامَهُ

وَلِيَحْدَرَ الشَّاعِرُ مِنْ عُلُومِ الْفَلَسَفَةِ جَمَعَ طَالِبَهَا مَعَ الْيَهُودِ بَعْدَ بَضْعَةِ أَبْيَاتٍ بِقَوْلِهِ^(١٠) : [لطويل]

١ - ابن عبد عبد ربِّهِ شِعْرُهُ ص ٦٥ . وَقَدْ يَكُونُ ابْنُ عِزْرَاءَ فِي الْبَيْتِ هُوَ أَبْرَاهَامُ بْنُ عِزْرَاءَ، سَبَقْتُ تَرْجَمَتُهُ ص ٩٠ .

٢ - يُنَبِّزُ : يُقَلِّبُ . ابن منظور لِسَانِ الْعَرَبِ [نيز] ٤١٣/٥ .

٣ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٣/٢ ، وَالْأَبْيَاتُ لَدَى الْوِزَارَتَيْنِ ابْنِ عُثْمَانَ شَلَبَ مِنْ وَرَرَاءِ الْمُقْتَدِرِ بْنِ هُوْدَ .

٤ - انْظُرْ : نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٥ - انْظُرْ : الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَخَاسِنِ وَغُنْدَةُ الْمَخَاسِنِ ص ١٥٦ ؛ ابْنُ خَاقَانَ قَلَائِدُ الْعَفْيَانِ ق ٣ ، ج ٢/٥٤٦ .

٦ - هُوَ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْجَبَّارِ : مِنْ مَشَايِخِ ابْنِ الْخَطِيبِ وُلِدَ فِي عَرْنَاطَةَ ٦٧٣ هـ ، وَتُوفِّيَ عَامَ ٧٤٩ هـ ، قَالَ فِي أَغْرَاضِ
شَعْرِيَّةٍ شَتَّى ، وَأَجَادَ الْقَوْلَ فِي الْأَلْغَازِ الشَّعْرِيَّةِ وَكُتِبَ نَثْرًا مُطَوَّلًا كَثِيرًا ، وَلَهُ مِرَاسِلَاتٌ مَعَ ابْنِ الْخَطِيبِ وَغَيْرِهِ . وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ الْخَطِيبِ نَثْرَهُ فِي تَأْفِيفٍ مِنْ
جَمْعٍ وَنُقْطَةٍ مِنْ يَم . انْظُرْ : الْحُمَيْدِيُّ جَدْوَةُ الْمُفْتَبِّسِ ١١٩/٢ ؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِخَاطَةُ ١٢٥/٤ - ١٥٢ ؛

٧١ ؛ الْكُتَيْبَةُ الْكَامِنَةُ ص ١٨٣ - ١٩٣ ؛ اللَّمَحَةُ الْبَذْرِيَّةُ ص ١٠٤ ؛ ابْنُ الْأَحْمَرِ تَنْبِيْهُ فَرَايِدِ الْجُمَانِ فِي نَظْمِ فُحُولِ الزَّمَانِ ص ٢٣٩ - ٢٤٢ ؛ الْمَقْرِي
تَفْحُ الطَّيِّبِ ٤٠٧/٧ - ٤٣١ ، ٩ - ١/٨ .

٧ - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْجَبَّارِ دِيوَانُهُ ص ٢٥٣ .

٨ - يَقْصِدُ ابْنَ سَيْنَا الْفَيْلَسُوفَ سَبَقْتُ تَرْجَمَتُهُ .

٩ - يَقْصِدُ أَبَا نَصْرٍ الْفَارَابِيَّ ، سَبَقْتُ تَرْجَمَتُهُ .

١٠ - يَقْصِدُ : الْفَقِيهَ الْفَيْلَسُوفَ ابْنَ رُشْدٍ سَبَقْتُ تَرْجَمَتُهُ .

فَإِنْ مَرَّ بِحُكْمِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ
فَإِنَّ مِنْ أَعْدَاءِ لِمَلَّةِ أَحْمَدَ
وَلَيْسَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِحَالَةٍ
أَرَمَ^(٢) فَلَمْ يَنْبَسْ بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ
فَبَشَّرَهُ يَوْمَ الْعَرْضِ بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرِ
بِأَبْلَغِ مِنْهُ فِي مُعَاضَدَةِ الْكُفْرِ

وَلَمْ يَتَحَدَّثِ الْجِيَابُ عَنْ أَيِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْإِيلَامِ وَالْتَفْرِيعِ كَثِيرٌ؛ فَكَانَتْ كَلِمَةُ
"الْيَهُودِ" وَحْدَهَا تَكْفِي لِيَتِمَّ التَّحْذِيرُ الْمَطْلُوبُ فَكَيْفَ إِذَا أُضِيفَتْ لَهَا كَلِمَةُ "النَّصَارَى".
وَجَاءَ هِجَاءُ الْيَهُودِ كَذَلِكَ مُقْتَرَنًا مَعَ الْحَدِيثِ عَنِ الْفَلَسَفَةِ وَاتِّبَاعِهَا فِي آيَاتٍ سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي
قَوْلِ أَحَدِهِمْ فِي الْمَدِيحِ النَّبَوِيِّ^(٣)، وَكَانَ الْعَبَاءُ وَالتَّجَاهُلُ صِفَةً أَغْمَرَهُمْ فِيهَا.

٢- فِي الْمَذْحِ

شَبَّهَ أَعْدَاءُ الْمَمْدُوحِ بِالْيَهُودِ فِي أَعْمَالِهِمْ أَوْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ، فَظَهَرَ هَذَا مَرَّتَيْنِ فِي مَذْحِ ابْنِ عَمَّارٍ
لِلْمُعْتَصِدِ؛ الْأُولَى سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: "يَهُودًا وَكَانَتْ بَرَبْرًا"^(٤)، وَالثَّانِيَةُ فِي قَوْلِهِ^(٥): [تَكَلَّمَ]
شَقِيتَ بِسَيْفِكَ أُمَّةً لَمْ تَعْتَقِدْ
إِلَّا الْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بَرَبْرًا
وَلَمْ يَكُنْ الْهَجَاءُ مُوجَّهًا إِلَى الْيَهُودِ. لَكِنَّ الشَّاعِرَ يَرَى الْبَرَابِرَةَ أَعْدَاءَهُ كَالْيَهُودِ تَمَامًا يَجِبُ قِتَالُهُمْ. وَقَدْ يَكُونُ
فِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى عِلَاقَةِ الْبَرَابِرَةِ بِالْيَهُودِ حَيْثُ اعْتَلَى ابْنُ النُّعْرِيَّةِ الْيَهُودِيَّانِ الْوِزَارَةَ فِي مَمْلَكَةِ بَادِيَسَ زَعِيمِ
الْبَرَبْرِ، الَّذِي كَانَ فِي عَدَاءٍ مَعَ الْمُعْتَصِدِ وَابْنِهِ^(٦).

٣- فِي الرِّثَاءِ

جَاءَ هِجَاءٌ لِلْيَهُودِ فِي غَرَضِ الرِّثَاءِ أَيْضًا؛ فَفِي مُوشِحٍ لِابْنِ حَزْمُونَ يَقُولُ^(٧) :

١ - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْجِيَابِ دِيَوَانُهُ ص ٢٥٤ .
٢ - أَرَمَ: سَكَتَ، وَتَرَمَرَمَ الْقَوْمُ: تَحَرَّكُوا لِلْكَلامِ وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا.
٣ - الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٣٥/١٠ - ٣٣٦، وَانْظُرْ فِي الْبَحْثِ: ص ١٣٤ .
٤ - ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعُقَيَّانِ ق ٢، ج ٢٦٣/١. سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْبَحْثِ: ص ١٣١ .
٥ - ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعُقَيَّانِ ق ٢، ج ٢٨٣/١؛ ابْنُ دُحْيَةَ الْمُطَرِّبِ ص ١٧١؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكِبِيُّ الْمُعْجَبُ ص ١١٦؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ١٨٧/٢ .
٦ - انْظُرْ: خَمِيسِي حَمِيدِي الْحَرَكَةُ الْأَلْبِيَّةُ فِي إِشْبِيلِيَّةَ لَزَمَنَ بَنِي عَبَّادٍ ٤١٤ هـ - ٤٨٤ هـ ص ١٤٠ .
٧ - ابْنُ سَعْدٍ يَدِ الْمَغْرِبِ ٢١٧/٢ - ٢١٨ .

مَاءُ الْمَدَامِ صَابُ عَلَيْكَ أُولَى أَنْ يَجُودَ
سَقَى الْبَرِيَّةَ صَابُ رُزْءُ أَحْلَاكَ اللَّحُودُ
فَكُلُّ خَلْقٍ أَصَابُ إِلَّا النَّصَارَى وَالْيَهُودُ ١

فَمَعَ أَنَّ النَّصَارَى هُمْ مَنْ قَتَلُوا الْمَرْتِيَّ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ كَمَا يُشِيرُ ابْنُ سَعِيدٍ فِي التَّقْدِيمِ لِلْأَبْيَاتِ، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَكْتَفِ بِقَوْلِ النَّصَارَى حِينَ أَرَادَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمُتَشَفِّينَ بِمَوْتِهِ، فَجَمَعَ مَعَهُمُ الْيَهُودَ. وَقَدْ يَكُونُ بِكَلَامِ ابْنِ حَزْمُونِ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا مُشَارِكِينَ لَجِيُوشِ النَّصَارَى، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي بَلَدِهِ خُصُوصِيَّةٌ لِلْيَهُودِ جَعَلَتْهُ يُسَمِّيهِمْ مَعَ النَّصَارَى الْمُقَاتِلَةَ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَمَعَ أَنَّ ابْنَ حَزْمُونِ كَانَ لَهُ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي الْهَجَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ هَجَا نَفْسَهُ (١)، وَرُغِمَ أَنَّهُ كَانَ يُفْحِشُ وَيُقْذَعُ فِي كَثِيرٍ مِنْ هِجَائِهِ (٢)، إِلَّا أَنَّ كَلَامَهُ هَذَا عَنِ الْيَهُودِ جَاءَ هَادِئًا عَامًّا لِدَا أُنْسَاءُلُ كَيْفَ سَلِمَ الْيَهُودُ مِنْ بَدَاءَةِ لِسَانِهِ وَمِنْ إِفْدَاعِهِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَسْلَمْ مِنْ لِسَانِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَدَوَى الْمَكَانَةِ. وَفِي الْإِجَابَةِ عَنْ هَذَا التَّسَاوُلِ أَرَى أَنَّ الْأَبْيَاتَ تُشِيرُ إِلَى هُدُوءٍ وَاضِحٍ فِي الْعَلَاqَاتِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ رُغِمَ مَا يُقَالُ عَنْ دَوْرِهِمْ فِي التَّعَاوُنِ مَعَ أَعْدَاءِ الدَّوْلَةِ. فَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ مُشَادَاتٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْعَرَبِ شَهَدَهَا ابْنُ حَزْمُونِ لَكَانَ الْقَوْلُ فِي الْيَهُودِ أَقْسَى وَلَظَهَرَ فِي شِعْرِهِ، فَسُلَاطَةُ لِسَانِ هَذَا الشَّاعِرِ وَفُحْشُهُ فِي الْقَوْلِ لَمْ يَقْرَبَا مِنَ الْيَهُودِ، وَحِينَ اقْتَرَبَ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ كَانَ حَدِيثًا عَادِيًّا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعَهُمْ بَكَوْا عَلَى هَذَا الْقَائِدِ، وَأَنَّ الْكُفَّارَ فَقَطْ لَمْ يَبْكُوهُ.

وَأَرَى أَنَّ ذِكْرَ الْيَهُودِ فِي نِهَآيَةِ الْبَيْتِ اسْتَدْعَتْهُ الْقَافِيَةُ أَكْثَرَ مِمَّا اسْتَدْعَاهُ صِرَاعُ سِيَاسِيٍّ أَوْ اجْتِمَاعِيٍّ؛ فَقَدْ أَشَارَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي تَقْدِيمِهِ لِلْقَصِيدَةِ فِي "الْمَغْرِبِ" أَنَّ لِلشَّاعِرِ قُدْرَةً عَلَى مُضَآيِقَةِ الْقَوَافِي، فَأَرَى أَنَّ ذِكْرَ الْيَهُودِ فِي الْأَبْيَاتِ مِنْ بَابِ هَذِهِ الْمُضَآيِقَةِ لَيْسَ إِلَّا.

٤- فِي هِجَاءِ غَيْرِهِمْ

كَانَ حَظُّ الْيَهُودِ قَلِيلًا فِي هِجَاءِ مُخَصَّصٍ لَهُمْ، لَكِنْ اخْتَلَوْا مَسَاحَةً فِي هِجَاءِ الْمَجْمُوعَاتِ التَّالِيَةِ :

(أ) فِي هِجَاءِ السَّاسَةِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ

كَانَتْ السِّيَاسَةُ سِلَاحًا دَا حَدَّيْنِ لِنَشْطَاءِ الْيَهُودِ أَوْ مَنْ يَقْرَبُهُمْ، وَلَهَا دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي رَفْعِ مَكَائِنِهِمْ؛ فَتَجَاحُ الْيَهُودِيَّ فِي السِّيَاسَةِ يَدُلُّ عَلَى تَجَاحِهِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْأَنْدَلُسِيِّ، فَتَجَحَّ وَاشْتَهَرَ مِنْهُمْ مَنْ وَصَلَ إِلَى

١ - قَالَ ابْنُ حَزْمُونِ فِي هِجَاءِ نَفْسِهِ: [الطويل] تَأَمَّلْتُ فِي الْمِرَاةِ وَجْهِي فَخِلْتُهُ كَوَجْهِ عَجُوزٍ قَدْ أَشَارَتْ إِلَى اللَّهْوِ

النَّظَرُ : عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٢٩٣ - ٢٩٧ .

٢ - يَقُولُ الْمَرَّاكُشِيُّ فِيهِ: وَلَهُ [ابْنُ حَزْمُونِ] فِي هَذَا الْمَعْنَى [يَقْصِدُ الْهَجَاءَ] أَحْسَنَ مِنْ هَذَا كَثِيرًا إِلَّا أَنَّهُ أَقْدَعَ فِيهِ، فَلَذَلِكَ لَمْ أُوْدِعْهُ هَذِهِ الْأَوْرَاقَ لِأَنِّي لَا أَسْتَجِيرُ أَنْ يُنْقَلَ مِنْهُ هَذَا عَنِّي إِنَّهُ نَالَ عِنْدَ قُضَاةِ الْمَغْرِبِ وَعُمَالِهِ وَوَلَاتِهِ جَاهًا وَتَرَوْهُ، كُلُّ ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ لِسَانِهِ وَحَذَرًا مِنْ هِجَائِهِ، وَلَا أَعْلَمُ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ بَلَدًا إِلَّا وَأَهَاجِي هَذَا الرَّجُلَ تُحَفِّظُ فِيهِ وَتُدْرُسُ .

عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٢٩٧ .

مكانة سياسية مرموقة، وحظي الوزراء اليهود في الأندلس بمكانة مرموقة، وكانت لهم مساحة واسعة في كتب التاريخ والتراجم، بل إن بعض اليهود حظوا بمساحة أكبر مما شغلها نظراؤهم من العرب والمسلمين، ومن يبحث فيما كتب عن ابن نغريلا مثلاً سيتأكد من هذا. لكن ظهرت بعض الآثار الدالة على تأثير الشعراء واستقبالهم دخول اليهود دائرة السياسة، وتعرض بعض من الساسة اليهود في الأندلس إلى كثير من النكمة أدت إلى مذابح كما حصل مع ابن نغريلا. ولم تكن بواعث هذا الهجاء دينية أو طائفية بل كانت كما ترى هتاء أبو الرب ذاتية إذ جاء في معظمه ناجماً عن حقد وضغينة شخصية نظراً للمنصب الذي احتله أولئك الوزراء الذي كان مطمحا للكثيرين^(١).

وكثر هجاء من كانت له علاقة باليهود من ساسة العرب والمسلمين. ليس هذا فحسب، بل كان أمن اليهود واطمئنانهم مدعاة لهجاء بعض الساسة في قول الشاعر^(٢): [لطويل]

بنو الأذعياء الأخرىاء بلغنهم
ورثوا بني الهادي دريعة^(٣) طعنهم
ونومهم بالخوف نوم مشرد

وعم السخط لدخول اليهود في الحكم في المغرب العربي كذلك، وحين سئل أبو عبد الله ابن الحداد الأندلسي عن حال تلمسان^(٤) حين زارها، قال^(٥): [لطويل]

تلمسان أرض لا تليق بحالنا
وكيف يحب المرء أرضاً يسوسها
وهذا مثابة للحال بالأندلس حين أصبحت الأمور بيد وزراء من اليهود في غرناطة مثلاً، فنظم الإيبيري قصيدة طويلة في هجائهم كانت منطلق ثورة عليهم^(٦)، أولها^(٧): [لمتقارب]

ألا قل لصنّهاجة أجمعين
مقالة ذي مقة^(٩) مشفق
لق دزل سيدكم زلة
تخير كاتبه كافراً
فعر اليهود به وانتخوا^(١٠)
وتأهوا وكاثوا من الأرذلين

ولم يكن هذا خاصاً بالأندلس والمغرب بل ذكر الأندلسيون حالاً مثابته في المشرق، فلما زار الشاعر الشهيد أبو حفص الهوزني^(١١) (ت: ٤٦٠هـ) مكة رآه الحال المثابة فيها، فقال^(١٢): [لطويل]

١ - انظر: هتاء أبو الرب النقد السياسي والاجتماعي عند شعراء النخبة ص ٧٣ .

٢ - المقرئ أزهار الرياض ٢٧٨/٥ .

٣ - دريعة: أعداء أو غرباء . ابن منظور لسان العرب [درا] ٧٣/١ .

٤ - تلمسان: بكسرتين وسكون الميم، بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان . انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٤٤/٢ .

٥ - المقرئ أزهار الرياض ٣٠٧/٣ .

٦ - انظر القصيدة في ملاحق البحث .

٧ - أبو إسحاق الإيبيري ديوانه ص ٨٩؛ ابن سعيّد المغرب ١٣٣/٢؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٣١؛ المقرئ تفتح الطيب ٩٣/٦ - ٩٤ .

٨ - الندي: مجلس القوم . ابن منظور لسان العرب [ندي] ٣١٧/١٥ .

٩ - مقة: محبة . ابن منظور لسان العرب [ومق] ٣٨٥/١٠ .

١٠ - انتخوا: افتخروا وتعتظمو . ابن منظور لسان العرب [نخا] ٣١٣/١٥ .

١١ - هو: أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني (٣٩٢ - ٤٦٠هـ) من شعراء الأخيرة كان بينه وبين المعتضد بن عباد صداقة قبل أن يتولى رئاسة إشبيلية، وبعد الرئاسة أوجس منه المعتضد دُعراً وضاق بمكانه، فاستأذن عام ٤٤٠هـ ورحل إلى الشام والعراق ثم مصر، ووصل إلى مكة، ثم رجع إلى

أَيَا أَسَافًا لِلدِّينِ إِذْ ظَلَّ نُهْبَةً بِأَعْيُنِنَا وَالْمُسْلِمُونَ شُهُودُ
 أَفِي حَرَمِ الرَّحْمَنِ يُلْحَدُ جَهْرَةً وَيُجْعَلُ أَشْرَاكَ إِلَهِ يَهُودُ
 فَذَكَرَ الْيَهُودَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى هَوَانِ أَمْرِ الْحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ وَضَعْفِ أحوَالِهِمْ حَتَّى فِي أَطْهَرِ بِلَادِ اللَّهِ.
 وَتَحَدَّثَ أَبُو الْحُسَيْنِ ابْنُ الْجَدِّ (ت بعد: ٤٧٩ هـ) ^(٢) عَنْ وَزَارَةِ الْيَهُودِ وَتَسَلُّطِهِمْ بِقَوْلِهِ ^(٣): [لوفر]
 تَحَكَّمَتِ الْيَهُودُ عَلَى الْفُرُوجِ وَتَاهَتِ بِالْبَغَالِ وَالسُّرُوجِ
 وَقَامَتِ دَوْلَةُ الْأَنْدَالِ فِيْنَا وَصَارَ الْحُكْمُ فِيْنَا لِلْعُلُوجِ ^(٤)
 فَقُلْ لِلْأَعْوَرِ الدَّجَالِ هَذَا زَمَانُكَ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ

وَحَمَلَتْ "الْفُرُوجُ" فِي الْأَبْيَاتِ دِلَالَةً وَتَوْرِيَةً ^(٥) نَاسَبَتْ الْقَوْلَ فِي الْهَجَاءِ، فَالَّذِي يَتَّبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ أَنْ تَكُونَ جَمْعًا لِلْفَرْجِ أَيْ الْعَوْرَةِ أَوْ أَنَّهَا جَمْعٌ لِسَوَاءَاتِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ^(٦) فَتَنَسَبَتْ هَذِهِ الشَّاعِرِ

الأندلس، استقر بإشبيلية سنة ٤٥٦ هـ، فاستدرجه إلى قصره وقتله بيده وأمر بدفنه داخل القصر من غير غسل ولا صلاة سنة ٤٦٠ هـ، إذا أطلق عليه ابن الأبار في التكملة لقب الشهيد، وابنه أبو القاسم هو الذي كان سبب فساد دولة الموحدين بتحريض يوسف بن تاشفين عليه حتى أزال ملكه. انظر: ابن بسام الذخيرة ٢م، ١/٨١ - ٩٤؛ ابن بشكوال الصلة ٢/٤٠٢؛ ابن الأبار التكملة ١/٥٠، ١٥٣؛ ابن سعيدي المغرب ١/٢٣٩ - ٢٤٠؛ المقرئ نفح الطيب ٢/٣٠٧ - ٣٠٨، ٣/٣٧١ - ٣٧٣؛ القاضي عياض ترتيب المدارك ٤/٨٢٥ - ٨٢٦.

^١ - ابن بسام الذخيرة ٢م، ١/٩٢ - ٩٣. وفي أبيات تنسب إلى الحسن بن خاقان، ينهكم على وضع الحكم بمصر قال: [المنسرح]

يَهُودُ هَذَا الزَّمَانِ قَدْ بَلَّغُوا غَايَةَ آمَالِهِمْ وَقَدْ مَلَكُوا
 الْعِرُّ فِيهِمْ وَالْمَالُ عِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشَارُ وَالْمَلِكُ
 يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ تَهَوُّدُوا قَدْ تَهَوَّدَ الْفَلَكُ

انظر: المقرئ اتعاض الخنقا بأخبار الأئمة الفاطميين الخنقا ص ١٥٩؛ السيوطي حسن المحاضرة ٢/١٨٢.

وقيل إنها للشاعر المعروف بابن الشَّوَاءِ فِي بَعْضِ الْوُزَرَاءِ مِنَ الْيَهُودِ بِدِمَشْقَ . انظر: ابن العديم بُغْيَةُ الطُّنْبِ فِي تَارِيخِ حَلَبَ ٢/٦٩٧.

٢ - هو: أبو الحسين يوسف بن محمد ابن الجَدِّ، استكتبه ابن عمار (ت: ٤٧٩ هـ) لَمَّا مَلَكَ مُرْسِيَّةَ. وَقَالَ ابْنُ بَسَامٍ أَنَّ مَعَاوَنَةَ الْخَمْرِ غَضَّتْ مِنْهُ، وَلَوْلَاهَا لَمَّا ذَكَرَهُ الْبِلَادُ، وَوَصَفَهُ الْجَارِي بِحُبِّ الْعِلْمَانِ.

انظر: ابن بسام الذخيرة ٢م، ٢/٥٥٦ - ٥٦٢؛ ابن سعيدي المغرب ١/٣٤٠.

^٣ - ابن بسام الذخيرة ٢م، ٢/٥٦٢.

^٤ - العلوج: جمع للعلاج، وهو الرجل من كفار العجم، ويقال للقوي الضخم منهم. ابن منظور لسان العرب [علاج] ٢/٣٢٦.

^٥ - التورية: وتسمى الإيهام تعني أن يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ: قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ، وَيَرَادُ الْبَعِيدُ مِنْهُمَا.

انظر: الخطيب القزويني الإيضاح في علوم البلاغة ص ٤٩٩، ٥٢٨؛ محمد المناوي التعاريف ١/٢١٣ - ٢١٤.

^٦ - انظر: ابن منظور لسان العرب [فرج] ٢/٣٤٢. وَعَلَيْهَا جَاءَتِ الْآيَةُ: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ سُورَةُ الْأَحْزَابِ، آيَةُ ٣٥.

فِيهَا وَاسْتَحْدَامُ الشَّاعِرِ لِكَلِمَةِ "تَحَكَّمْتَ" يَجْعَلُنِي أَسْتَبْعِدُ مَعْنَى الْعَوْرَةِ، وَأَرَاهَا تَعْنِي تَوَاحِي الْبِلَادِ أَوْ الثُّغُورِ فِيهَا^(١). وَيَقُولُهُ "تَحَكَّمْتَ" يَكُونُ فِي الْأَبْيَاتِ إِنْشَارَةً وَاضِحَةً إِلَى أَنَّ تَوَلِيَّةَ الْيَهُودِ مَنَاصِبَ حَسَّاسَةٍ فِي تَوَاحِي الْبِلَادِ كَانَ مُنْتَشِرًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَاصًّا بِمَنْطِقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَذَا جَعَلَ الشَّاعِرَ يَرَى أَنَّ أُمُورَ الْحُكْمِ أَصْبَحَتْ فِي تَوَاحِي الْبِلَادِ بَيْنَ هَوْلَاءِ الْعُلُوجِ الْأَنْدَالِ^(٢)، وَتَبَاهَى الْيَهُودُ بِالْمُخَالَفَةِ فِي الْبَغَالِ وَسُرُوحِهَا^(٣). فَظَهَرَتْ بِهِذَا عَلَامَةٌ عَلَى الْفَتَنِ الَّتِي حَذَّرَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْهَا وَاقْتَرَبَ زَمَنُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ^(٤). وَقَالَ الْمَشَارِقَةُ فِي النَّصَارَى أَبْيَاتًا مُشَابِهَةً، نَسَبَهَا الْحَمَوِيُّ إِلَى ابْنِ بَسَّامٍ الْعَبْرَتَائِيَّ (ت: ٣٠٢هـ)^(٥)، بَيْنَمَا الْمَقْرِيزِيُّ يَنْسِبُهَا إِلَى ابْنِ الْخَلَالِ (ت: ٥٦٦هـ)^(٦)، جَاءَ فِيهَا^(٧): [نوفر]

وَغَالُوا بِالْبَغَالِ وَبِالسُّرُوجِ
وَصَارَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي الْعُلُوجِ
وَذَلَّتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ طَرًّا
فَقُلْ لِلْأَعْوَرِ الدَّجَالِ هَذَا

أَرَى أَنَّ ابْنَ الْجَدِّ أَخَذَهَا عَنِ الْعَبْرَتَائِيَّ؛ فَابْنُ الْجَدِّ عَمِلَ عِنْدَ ابْنِ عَمَّارٍ الْمُتَوَفَّى عَامَ ٤٧٩هـ بَيْنَمَا سَابَقُهُ الْعَبْرَتَائِيَّ تُوَفِّيَ عَامَ ٣٠٢هـ. وَإِذَا كَانَ ابْنُ الْجَدِّ وَصَفَ الْوُزَرَءَ الْيَهُودَ بِالْأَنْدَالِ، وَجَعَلَهُمْ مَسْئُولِينَ عَنْ قِتْنَةٍ عَظِيمَةٍ، فَإِنَّ السُّمَيْسِرَ هَجَا بِأَدْبَارِ الْأَفْظِ أَقْبَحَ حِينَ اسْتَوَزَرَ يَهُودِيًّا ثُمَّ نَصَرَ أُنْيَا، بِقَوْلِهِ "بَذَلَ الْبَوْلُ بِالْخَرَاءِ"^(٨).

وَأَحْيَانًا تَكُونُ حِيلُ الْيَهُودِ وَالْأَعْيَبُ الْمَرْوِيَّةُ أَفْضَلَ مَا يَذْكُرُهُ الشَّاعِرُ فِي هَوْلَاءِ السَّاسَةِ كَمَا حَصَلَ عِنْدَ أَبِي الْحُسَيْنِ يُونُسَ بْنِ الْجَدِّ حِينَ قَالَ فِي مَلُوكِ الطَّوَائِفِ^(٩): [بسيط]

أَرَى الْمُلُوكَ أَصَابَتْهُمْ بِأَنْدَلَسٍ
وَكَيْفَ يَشْعُرُ مَنْ فِي كَفِّهِ قَدْحٌ
صَمَّتْ مَسَامِعُهُ عَنْ غَيْرِ نَغْمَتِهِ
تَلْقَاهُ كَالْعَجَلِ مَعْبُودًا بِمَجْلِسِهِ
لَهُ خُورٌ وَلَكِنْ حَشْوُهُ خَوْرٌ^(١٠)

فَعَدَّتِ الْمُلُوكُ بِرَأْيِ الشَّاعِرِ كَعَجَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ مَعْبُودَةً بِمَجَالِسِهَا وَتَسَلُّطِهَا وَلَهَا صَوْتُ مَسْمُوعٌ هُوَ صَوْتُ سُلْطَتِهَا وَجَبَرُوتِهَا، لَكِنْ لَا فَائِدَةَ فِيهَا، بَلْ فِيهَا ضَعْفٌ شَدِيدٌ. وَقِصَّةُ عَجَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَخْصُرُ الْيَهُودَ

^١ - انظر: ابن منظور لسان العرب [فرج] ٣٤٢/٢.

^٢ - النَّدْلُ: هُوَ الْخَسِيسُ الْمُخْتَفَرُ. ابن منظور لسان العرب [نذل] ٥٦٥/١١.

^٣ - فِي الْوَزَائِلِ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمْ أَصْبَحُوا يَرْكَبُونَ السُّرُوحَ عَلَى ظَهْرِ الدُّوَابِّ وَيَلْبَسُونَ الْقَاحِرَ مِنَ الثِّيَابِ الرَّفِيعَةِ الْجَلِيلَةِ وَعَمَائِمِ الثُّوبِ، وَبَاتَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ تُرْعِجُ الْمُسْلِمِينَ وَأَخَذُوا يَسْأَلُونَ الْفُقَهَاءَ حَوْلَهَا.

انظر: الوُثْرَيْسِيُّ الْمَغْيَارِيُّ الْمَغْرِبِيُّ ٢٥٦/٢ - ٢٥٧؛ الْمَقْرِيزِيُّ تَفْحُصُ الطَّبِيبِ ١٠٩/٣.

^٤ - انظر: الْبُخَارِيُّ صَحِيحُهُ ٩٦/٨ وَمَا بَعْدَهَا [باب التَّعَوُّدِ مِنَ الْفَتَنِ].

^٥ - هُوَ الْكَاتِبُ: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَنصُورٍ بْنِ بَسَّامٍ الْعَبْرَتَائِيَّ نَسَبَهُ إِلَى عِبْرَتَا، يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ، كَانَ حَسَنَ الْبَيْهَةِ شَاعِرًا مَاضِيًا لَا يَسْلَمُ مِنْ لِسَانِهِ أَحَدٌ، وَكَانَ يَقُولُ الشَّعْرَ فِي هِجَاءِ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَءِ الرُّؤَسَاءِ، تُوَفِّيَ سَنَةَ ٣٠٢هـ عَنْ نَيْفٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. انظر: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٣٩/١٤ - ١٥٣.

^٦ - هُوَ الْأَدِيبُ: مَوْفِقُ الدِّينِ أَبُو الْحَجَّاجِ يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْخَلَالِ الْمَصْرِيِّ مِنْ أَعْيَانِ الْكُتَّابِ الْمَصْرِئِينَ وَفَضْلَانِهِمْ، وَكَانَ صَاحِبَ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ فِي وَزَارَةِ صِلَاحِ الدِّينِ. انظر: ابْنُ خُلَّكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢٢٠/٧ - ٢٢٤؛ الذَّهَبِيُّ سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٥٠٥/٢٠.

^٧ - انظر: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٥٢/١٤؛ الْمَقْرِيزِيُّ الْمَوَاعِظُ وَالْإِعْتِبَارُ ١٩٤/٢.

^٨ - انظر: السَّلَفِيُّ أَخْبَارَ وَتَرَاجُمِ أُنْدَلُسِيَّةٍ ص ٨٤؛ الْمَقْرِيزِيُّ السُّلُوكُ ٨٣/٧؛ ابْنُ تَعْرِيٍّ بَزْدِي النُّجُومُ الرَّاهِزَةُ ٢٥٥/١٤ - ٢٥٦؛ السَّخَاوِيُّ الضُّوءُ اللَّامِعُ ٣١٨/١٠ - ٣١٩؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٩٠/٤. وَسَمَّيْتُ الْأَبْيَاتَ كَامِلَةً فِي الْحَدِيثِ عَنِ السُّمَيْسِرِ: ص ١٤٣.

^٩ - ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخِيرَةُ ٢٠٢م ٢٥٦/١ - ٢٥٧.

^{١٠} - الْخَوْرُ: الضَّعْفُ وَالْإِنْكَسَارُ. ابن منظور لسان العرب [خور] ٢٦٢/٤.

إلا أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَأْخُذْهَا عَنْهُمْ، بَلْ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ (عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ) ^(١)، وَتَأَثَّرَ الشَّاعِرُ بِالْقُرْآنِ وَاضْحٌ؛ فَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ "دَوَائِرُ السَّوْءِ" مِنْ (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) ^(٢)، وَاقْتَبَسَ مِنَ الْقُرْآنِ (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) ^(٣)، كَمَا أَنَّ هَذَا الْمَهْجُوَّ مَا عَادَتْ تُؤَثَّرُ فِيهِ "الْآيَاتُ وَالسُّورُ".

هَجَاءُ السُّمَيْسِرِ لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ اسْتَوَزَرُوا يَهُودًا

كَانَ خَلْفُ بْنُ فَرَجِ الْإِلْبِيرِيِّ الْمَعْرُوفُ بِالسُّمَيْسِرِ ^(٤) مَثَلاً لِلْمُعَارَضَةِ السِّيَاسِيَّةِ الْجَرِيئةِ، فَوَقَفَ فِي شِعْرِهِ مَوْقِفَ الْمُعَارَضَةِ لِلسُّلْطَةِ الْحَاكِمَةِ مَهْمَا كَلَّفَهُ الْأَمْرُ، وَكَانَ شِعْرُهُ خَافِلاً بِهَجَاءِ السَّاسَةِ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ قِمَّةُ الْهَرَمِ السِّيَاسِيِّ. وَلَمْ يَكُنِ السُّمَيْسِرُ الشَّاعِرَ الْوَحِيدَ الَّذِي سَاءَهُ هَذِهِ الْحَالُ، وَتَأَثَّرَ بِتَوَلَّى الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ الْحُكْمَ وَتَحَدَّثَ عَنْ فَسَادِ الْأُمُورِ. لَكِنَّ السُّمَيْسِرَ سَارَ فِي طَرِيقِ خَافَ غَيْرُهُ أَنْ يَسْلُكَهُ، فَكَانَتْ لَدَيْهِ جُرْأَةٌ وَصَرَاحَةٌ فِي مُوَاجَهَةِ صَاحِبِ غَرْنَاتٍ، فَخَافَ الشَّعْرَاءُ وَلَجَّأُوا إِلَى هَجَاءِ الْوُزَرَاءِ، وَلَمْ يَقْتَرِبُوا مِنْ هَجَاءِ الْمُلُوكِ خَوْفاً مِنْ بَطْشِهِمْ بَيْنَمَا رَكَّزَ السُّمَيْسِرُ عَلَى هَجَاءِ مَنْ اسْتَوَزَرَ الْيَهُودَ. فَهَجَا بِأَدْبَارِ لِيَهَاوَنَهُ وَتَرَكَ أُمُورَ دَوْلَتِهِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَعَمَّ تَجْرِبَتُهُ عَلَى جَمِيعِ مُلُوكِ عَصْرِهِ، فَطَالَ بِالثُّورَةِ عَلَيْهِمْ، بِقَوْلِهِ ^(٥) [مجزوء لكامل]

نَادِ الْمُلُوكَ وَقُلْ لَهُمْ مَاذَا الَّذِي أَخَذْتُمْ
وَجَبَّ الْقِيَامُ عَلَيْكُمْ إِذْ بِالنَّصَارَى قُمْتُمْ

^١ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ١٤٨؛ سُورَةُ طه، آيَةُ ٨٨ .

^٢ - سُورَةُ التَّوْبَةِ، آيَةُ ٩٨؛ سُورَةُ الْفَتْحِ، آيَةُ ٦ .

^٣ - سُورَةُ الْمُئْتَرِ، آيَةُ ٢٨ .

^٤ - هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو الْقَاسِمِ خَلْفُ بْنُ فَرَجِ الْإِلْبِيرِيِّ الْمَعْرُوفُ بِالسُّمَيْسِرِ وَكَتَبَهَا ابْنُ بَحْيَةَ السُّمَيْسِرِ بِيَاءَ قَبْلِ الرَّاءِ، مِنْ أَعْلَامِ شِعْرَاءِ الْبَيْرَةِ فِي مَدَةِ مُلُوكِ الطَّوَانِفِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْحَجَارِيُّ فِي الْمُسْتَوْبِ، وَابْنُ بَسَّامٍ فِي "النَّخِيرَةِ"، لَهُ تَصَرُّفٌ حَسَنٌ فِي مَقْطُوعَاتِ الْأَبْيَاتِ وَخَاصَّةً إِذَا هَجَا وَقَدَحَ، فَقَدْ كَانَ كَثِيرَ الْهَجَاءِ، وَأَمَّا إِنْ مَدَحَ وَأَطَالَ الْقَصَائِدَ فَشِعْرُهُ أَقْلُ جُودَةٍ. وَلَهُ كِتَابُ سَمَاءِ شِفَاءِ الْأَعْرَاضِ فِي اخْتِذِ الْأَعْرَاضِ .

انْظُرْ: الْحَمِيدِيُّ جُذُوهَ الْمُفْتَبِسِ ٣٢١/١-٣٢٢؛ ابْنُ بَسَّامٍ النَّخِيرَةُ ق ١م ٨٨٢/٢-٩٠٤؛ السَّلْفِيُّ أَخْبَارٌ وَتَرَاجِمٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ ص ٢٨، ٨٣-٨٤؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ٤، ج ٢/١٥-١٦؛ ابْنُ بَحْيَةَ الْمُطَرِّبُ ص ٩٣؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/١٠٠-١٠١؛ زَلَّاتِ الْمُبَرِّزِينَ ١٥٦؛ الْمُفَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٥٢/٥-٢٥٣ .

^٥ - ابْنُ بَسَّامٍ النَّخِيرَةُ ق ١م ٨٨٥ .

وَالسَّمِيسِرُ هُوَ صَاحِبُ الْكِتَابِ الْمُسَمَّى "شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ فِي أَخْذِ الْأَعْرَاضِ" الَّذِي اسْتَعَاذَ الْمَقْرِيُّ بِاللهِ تَعَالَى مِمَّا بِهِ حِينَ ذَكَرَهُ^(١)، لَذَا لَاءَمَ الْهَجَاءِ اللَّادِعُ لِلْمُلُوكِ طَبْعَهُ وَكَثُرَ عِنْدَهُ فَحِينَ اسْتَوَزَرَ بَادِيسَ يَهُودِيًّا ثُمَّ نَصْرَانِيًّا، قَالَ السَّمِيسِرُ فِيهِ^(٢): [مجزوء لخفيف]

كُلُّ يَوْمٍ إِلَى وَرَا بُدِّلَ الْبَوْلُ بِالْحَرَا
فَرَمَانًا تَهْـوَدَا وَرَمَانًا تَنْصَرَا
وَسَتَّصَبُوا إِلَى الْمَجُـو سِ إِذَا الشَّيْخُ عَمَّرَا

وَجَاءَ فِي مُعْجَمِ السَّلَفِيِّ أَنَّ السَّمِيسِرَ قَالَ الْأَبْيَاتَ الثَّلَاثَةَ فِي بَادِيسَ بْنِ حَبُوسَ حِينَ هَلَكَ وَزِيرُهُ الْيَهُودِيُّ فَاسْتَوَزَرَ بَعْدَهُ نَصْرَانِيًّا، وَكُتِبَ بِهَا نُسْخَا عِدَّةٌ، وَرَمَاهَا فِي شَوَارِعِ الْبَلَدِ وَالطَّرِيقَاتِ، وَسَارَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُمَادِحَ^(٣) فِي الْمَرْيَةِ، وَلَمَّا وَقَفَ بَادِيسُ عَلَيْهَا أَرْسَلَ وَرَاءَهُ أَصْحَابَ الْخَيْلِ، فَقَاتَهُمْ، وَلَمْ يَلْحَقُوهُ وَطَارَتِ الْأَبْيَاتُ فِي أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ^(٤). وَاشْتَهَرَتْ حَتَّى فِي الْمَشْرِقِ، فَاسْتَشْهَدَ بِهَا صَاحِبُ "شَذَرَاتِ الذَّهَبِ" فِي الْحَدِيثِ عَنْ جَمَالِ الدِّينِ الْكُرْكِيِّ (ت: ٨٥٦هـ)^(٥) مِنْ نَصَارَى الْكُرْكِ، وَقَدْ اسْتَقَرَّ كَاتِبًا لِلِسِرِّ بِالْأُيُودِ الْمِصْرِيَّةِ بَعْدَ مَوْتِ سَابِقِهِ الْيَهُودِيِّ عَلِمَ الدِّينَ ابْنَ الْكُوَيْزِ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ عِنْدَ بَعْضِ الْمُوَرِّخِينَ أَقْبَحَ حَادِثَةٍ رَأَاهَا بَنُو عَصْرِهِ، وَقَالَ الْمَقْرِي زِي إِنَّ وَلَايَةَ الْكُرْكِيِّ الْمَسِيحِيِّ بَعْدَ ابْنِ الْكُوَيْزِ الْيَهُودِيِّ ذَكَرَتْهُ بِأَبْيَاتِ السَّمِيسِرِ حِينَ هَلَكَ ابْنُ نَعْرِيلَةَ الْوَزِيرُ الْيَهُودِيُّ لِبَادِيسَ فَاسْتَوَزَرَ بَعْدَهُ وَزِيرًا نَصْرَانِيًّا، فَأَثْبَتَهَا الْمَقْرِي زِي^(٦)

وبهذا كَانَ هَجَاءُ الْمُلُوكِ مُقْتَرَنًا كَثِيرًا بِهَجَاءِ وَزَرَانِهِمُ الْيَهُودِ .

١ - انظر: المَقْرِي تَفْخِ الطَّيِّبِ ٢٥٣/٥ .

٢ - السَّلَفِيُّ أَخْبَارٌ وَتَرْجِمٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ ص ٨٤؛ الْمَقْرِي زِي السُّلُوكُ ٨٣/٧؛ ابْنُ تَغْرِي بَزْدِي النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢٥٥/١٤ - ٢٥٦؛ السَّخَاوِيُّ الضُّوْءُ اللَّامِعُ ٣١٨/١٠ - ٣١٩؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ٢٩٠/٤ .

٣ - هُوَ السُّلْطَانُ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ ابْنِ صُمَادِحِ النُّجَبِيِّ، وَالتُّجَيْبِيُّونَ [يُضَمُّ التَّاءُ عِنْدَ ابْنِ دَحِيَّةٍ وَفَتْحُهَا بَعْضُهُمْ، نِسْبَةٌ إِلَى امْرَأَةٍ اسْمُهَا تُجَيْبٌ] وَلَاةٌ سَرَفُوسَةٌ، كَانَتْ مَدَّةَ الْمَمْلَكَةِ الصَّمَادِحِيَّةِ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً وَنِيفَ، مَلِكُ الْمُعْتَصِمِ مِنْهَا إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، كَانَ جَزَلَ الْعَطَاءِ. وَقَدْ إِلَيْهِ طَالِبُو الْعَطَاءِ، وَكَانَ شَدِيدَ الْعَدَاءِ لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ. وَصَدَمَتْهُ خَيْلُ الْمَرْبِطِيِّينَ وَهُوَ عَلِيلٌ عَلَيْهِ مَاتَ مِنْهَا، فَحَاصِرُوهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّى ٤٤٨ هـ .

ابْنُ الْأَبَارِ الْخُتَّةُ السِّيَرَاءُ ٧٨/٢ - ٨٨؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ١٩٥/٢ - ١٩٨ .

٤ - انظر: السَّلَفِيُّ أَخْبَارٌ وَتَرْجِمٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ ص ٨٣ .

٥ - وَهَمَا: جَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ الصَّفِيِّ الْكُرْكِيُّ النَّصْرَانِيَّ وَصَدِيقُهُ الْيَهُودِيُّ عَلَمُ الدِّينِ دَاوُدُ بْنُ الْكُوَيْزِ. وَقَدْ كَانَ أَبُو الْجَمَالِ هَذَا مِنْ نَصَارَى الْكُرْكِ وَتَظَاهَرَ بِالْإِسْلَامِ، وَكَانَ هُوَ وَأَبُو عَلَمُ الدِّينِ قَدْ خَدَمَ كَاتِبًا عِنْدَ قَاضِيِ الْكُرْكِ وَانْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ، وَقَدْ عَيَّنَ الْأَشْرَفُ بَرَسْبَايَ عَلَمُ الدِّينِ دَاوُدُ بْنُ الْكُوَيْزِ نَازِلًا لِلْجَيْشِ بِمِصْرَ ٨٢٤ هـ ثُمَّ تَوَلَّى وَظِيفَةً كِتَابَةَ السِّرِّ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى جَمَالِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ الصَّفِيِّ الْكُرْكِيِّ (ت: ٨٥٦ هـ) كِتَابَةَ السِّرِّ. وَتَوَفَّى الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ بِدِمَشْقَ عَنْ سِنٍ عَالٍ، وَكَانَ قَدْ عَزَلَ عَنْهَا لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ .

انظر: الْمَقْرِي زِي السُّلُوكُ ٨٣/٧ - ٨٤؛ ابْنُ تَغْرِي بَزْدِي النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٨٥/١٣، ٢٨، ١٧٣ - ١٧٤، ٢٥٥ - ٢٥٦، ٢٧٧، ١٥٨٣/١٩، ٣٥٤، ٣٩٧، ١٥/١٦، ٢١، ١٨٩، ١٩٣، ٣٤٩؛ السَّخَاوِيُّ الضُّوْءُ اللَّامِعُ ٢١٣/٣ - ٢١٤، ٧٩٧ - ٢١٤، ٣١٨/١٠ - ٣١٩؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ٢٩٠/٤ .

٦ - انظر: الْمَقْرِي زِي السُّلُوكُ ٨٣/٧ - ٨٤؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ٢٩٠/٤ .

(ب) فِي هِجَاءِ مُوظَّفِي الدَّوْلَةِ

وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ الشَّعْرَاءِ عَلَى هِجَاءِ الْمُلُوكِ لِعَلَّاقَتِهِمْ بِالْيَهُودِ، بَلْ تَعَدَّى الْأَمْرُ هَذَا لِيَشْمَلَ مَنْ قَامَ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى أَيِّ مَصْلَحَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، مَهْمَا كَانَتْ الْوِظِيفَةُ الَّتِي يَشْغُلُهَا الْيَهُودِيُّ. فَنَبَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَوَصَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى قُصُورِ الْحُكَّامِ، وَعَمِلُوا فِي الْوِزَارَةِ كَمَا رَأَيْنَا، وَكُلُّ هَذَا لَمْ يَتِمَّ فَجَاءَ، فَقَدْ سَبَقَتْهُ خَطَوَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْ أَدْنَى دَرَجَاتِ الْعَمَلِ، لَئِنْ أَتَوَقَّعَ أَنَّ عِدَّةً لَيْسَ قَلِيلًا مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا يَقُومُونَ عَلَى أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فِي وَظَائِفَ مُخْتَلِفَةٍ قَابِلُ تَغْيِيلَةٍ بَدَأَ حَيَاتُهُ كَاتِبًا أَمَامَ قَصْرِ بَادِيَسَ بْنِ حَبُوسَ، وَتَرَفَّى إِلَى أَنْ وَصَلَ الْوِزَارَةَ. وَذَكَرْتُ أَسْمَاءَ بَعْضِ الْمُوظَّفِينَ مِنَ الْيَهُودِ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالتَّرَاجِمِ، أَوْ أَشِيرَ إِلَيْهِمْ إِشَارَةً دُونَ ذِكْرِ الْأَسْمَاءِ أَحْيَانًا؛ فَذَكَرَ ابْنُ عَدَارِي أَنَّ أَبَا عَمَرَ يَنَالُهُ اللَّمْتُونِيُّ وَالْيَ غَرْنَاتِيَّةٌ كَانَتْ لَهُ كَاتِبٌ "يَهُودِيٌّ الْأَعْرَاقُ وَالْأَخْلَاقُ" (١)، وَفِي قَوْلِهِ "يَهُودِيٌّ الْأَخْلَاقُ" لَمَزٌ وَاسْتَهْزَاءٌ وَاضِحٌ، وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْيَهُودَ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ كَانُوا لَهُمْ وَضْعٌ خَاصٌّ وَأَخْلَاقٌ خَاصَّةٌ، لِذَرَجَةِ أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يُحَاوِلْ تَوْضِيحَ الْمَقْصُودِ بِهَذَا الْوَصْفِ الْغَرِيبِ.

وَوُجِدَ مَنْ نَقَرَ مِنْ اسْتِكْتَابِ الْيَهُودِ وَنَسَبِ إِلَيْهِمُ الْعَذْرَ وَالْحَقْدَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فِي الْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ لِعِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّرِيشِيِّ (٢) يُخَاطِبُ مَنْ اسْتَكْتَبَهُمْ، قَائِلًا (٣): [لَوْ فَر]

أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ قَتْلَى هِلَالٍ	وَقَيْسٍ (٤) وَابْنِ عَمِّكَ الرَّسُولِ
وَتَحْمِي دِينَهُ بِالسَّيْفِ نَصْرًا	وَكَاثِبِكُمْ يُكَذِّبُ مَا يَقُولُ
وَتَنْقُدُهُ عَلَيْكَ الْعُرْبُ طَرًّا	أَمَا فِي الْمُسْلِمِينَ بِهِ بَدِيلُ
مَتَى نَصَحَتْ يَهُودُ الْعُرْبِ يَوْمًا	أَحَقُّدُهُمْ لِأَوْسِيكُمْ يَزُولُ

فَوُصِفَ الْيَهُودُ بِالْحَقْدِ الدَّائِمِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِمَا فَعَلَهُ الْأَوْسُ بِهِمْ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْيَهُودَ لَا تَنْسَى أَبَدًا حُكْمَ سَعْدِ (ت ٥٠) (٥) فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، وَيَجِبُ الْحَذَرُ مِنَ الْحَقْدِ الدَّافِينَ فِي نَفْسِهِمْ.

١ - ابن عَدَارِي الْمَرَاكُشِيُّ الْبَيَّانُ الْمُغْرِبُ ٧٧/٤ .

٢ - هُوَ : عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ الدَّجِي الشَّرِيشِيِّ، يَكْنَى أَبَا مُوسَى، مِنْ مُعَاَصِرِي الْمُوحِدِينَ .

انْظُرْ : ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَرَاكُشِيُّ الذِّيلُ وَالتَّكْمِيلَةُ السَّفَرُ الْخَامِسُ ق ٢ ، ص ٤٨٧-٤٩٨ .

٣ - ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَرَاكُشِيُّ الذِّيلُ وَالتَّكْمِيلَةُ السَّفَرُ الْخَامِسُ ق ٢ ، ص ٤٩٨ .

٤ - هِلَالٌ وَقَيْسٌ : مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ؛ تَنْسَبُ قَيْسٌ إِلَى قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ بْنِ مَضَرَ، وَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ تَعَالَى لَقَيْسَ هَذَا أَوْلَادًا كَثْرًا، وَمِنْ وَلَدِهِ قِبَائِلُ هَوَازِنَ، وَمِنْهَا جَاءَ بَنُو هِلَالٍ . انْظُرْ قِبَائِلَ الْعَرَبِ فِي : أَبُو الْفَدَاءِ الْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ ١٠٥/١ - ١٠٦ .

٥ - هُوَ الصَّحَابِيُّ سَعْدُ بْنُ مَعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيِّ. شَهِدَ بَدْرًا، وَزَمِيَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَعَاشَ شَهْرًا ثُمَّ مَاتَ. وَفِي الْأَبْيَاتِ إِشَارَةٌ إِلَى حُكْمِ سَعْدٍ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بَعْدَ نَقْضِهِمْ عَهْدَهُمْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ. فَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ، وَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً، وَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَصَارُ وَافَقُوا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ زَعِيمُ الْأَوْسِ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ سَيَحْكُمُ بِإِطْلَاقِهِمْ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحِينَئِذٍ حَضَرَ سَعْدُ مَحْمُولًا. قَالَ: لَوْ وَلَّيْتُ أَمْرَهُمْ لَقَاتَلْتُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَسَبَّيْتُ ذُرَارِيَهُمْ.

انْظُرْ : الطَّبْرِيُّ تَارِيخُهُ ٥٨٣/٢ - ٥٨٧؛ الْبَخَارِيُّ صَحِيحُهُ ٨١/٤ - ٨٢؛ أَبُو الْفَدَاءِ الْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ ١٣٥/١ -

١٣٦؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٧٩/١ - ٢٩٧؛ الْعَسْفَلَانِيُّ فَتْحُ الْبَارِي ٤٩٩/٧ - ٥٠٢ .

وَبَدَأَ أَتْرُ لِلْيَهُودِ فِي هِجَاءِ أَهْلِ الْمَدِينِ عَامَّةً، وَمِثَالٌ عَلَيْهِ مَا قَالَهُ أَبُو حَفْصٍ الزُّكْرَمِيُّ ^(١) فِي هَجْوِ دَانِيَّةَ ^(٢) وَأَهْلِهَا عِنْدَمَا طُوبِتْ بِمَكْسٍ ^(٣)، كَانَ يَتَوَلَّاهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ ^(٤): [لكامل]

يَا أَهْلَ دَانِيَّةِ لَقَدْ خَالَفْتُمْ	حُكْمَ الشَّرِيعَةِ وَالْمُرُوءَةِ فِينَا
مَالِي أَرَاكُمْ تَأْمُرُونَ بِضِدِّ مَا	أَمَرْتُ، تُرَى نَسَخَ إِلَهُ الدِّينَا
كُنَّا نَطَالِبُ لِلْيَهُودِ بِجَزِيَّةٍ	وَأَرَى الْيَهُودَ بِجَزِيَّةٍ طَلَبُونَا
مَا إِنْ سَمِعْنَا مَالِكًا أَقْبَى بِدَا	لَا لَا وَلَا مِنْ بَعْدِهِ سَخَنُونَا
هَذَا وَلَوْ أَنَّ الْأَيْمَةَ كُلَّهُمْ	حَاشَاهُمْ بِالْمَكْسِ قَدْ أَمَرُونَا
مَا وَاجِبٌ مِثْلِي يُمَكِّسُ عِذْلُهُ	لَوْ كَانَ يَغْدِلُ وَزْنُهُ قَاعُونَا ^(٥)
وَلَقَدْ رَجَوْنَا أَنْ نَنَالَ بِعَذْلِكُمْ	رِفْدًا يَكُونُ عَلَى الزَّمَانِ مُعِينَا
فَالآنَ نَقْعُ بِالسَّلَامَةِ مِنْكُمْ	لَا تَأْخُذُوا مِنَّا وَلَا تُغْطُونَا

يَسْتَهْزِئُ بِأَهْلِ دَانِيَّةٍ لِأَنَّهُمْ يَسْتَخْدِمُونَ الْيَهُودَ؛ فَالْيَهُودُ تَتَوَلَّى جَمْعَ أَمْوَالِ الزَّكَاةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَقُلِ الزَّكَاةَ بَلِ الْجَزِيَّةَ لِيَزِيدَ السُّخْرِيَّةَ بِمَا يَخْصُلُ. وَأَرَى فِي الْأَنْبِيَاءِ ثَوْرَةً وَغَضَبًا شَدِيدَيْنِ لِلِسَّمَاحِ لِلْيَهُودِ بِتَوَلَّى هَذِهِ الْوُظَائِفِ. وَهَذَا جَعَلَ الشَّاعِرَ لَا يَصُبُّ جَامَ غَضَبِهِ عَلَى مَلِكٍ أَوْ قَائِدٍ أَوْ وَزِيرٍ بَلْ وَجَّهَ الْكَلَامَ وَالْهَجَاءَ إِلَى أَهْلِ دَانِيَّةٍ جَمِيعًا.

(ج) فِي مُهَاجَاةِ الشُّعْرَاءِ

قَامَتْ مُنَافَسَةٌ قَوِيَّةٌ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ فِي بَلَاطَاتِ الْأُمَرَاءِ وَالْمُلُوكِ الْعَرَبِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَفِي بِلَاطِ الْوُزَرَاءِ الْيَهُودِ كَذَلِكَ، وَكَانَتْ الْمُهَاجَاةُ بَيْنَهُمْ مِنْ مَظَاهِيرِ هَذِهِ الْمُنَافَسَةِ، وَمِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ قِصَّةٌ سَبَقَتْ الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا عَنِ الْأَخْفَشِ حِينَ وَفِدَ عَلَى ابْنِ صُمَادِحٍ فَأَرَادَ بَعْضُ الْحُسَّادِ الْإِيْقَاعَ بِهِ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ مَدَحَ ابْنَ نَغْرِيْلَةَ وَبَكَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ^(٦). وَكَانَ ابْنُ مَيْمُونِ الْأَخْفَشِ وَابْنُ الْمُنْقَلِيلِ أَشْهَرَ الشُّعْرَاءِ

^١ - هُوَ: أَبُو حَفْصٍ الْعَرُوضِيُّ الزُّكْرَمِيُّ نَسَبُهُ إِلَى زُكْرَمٍ، لَمْ تَرِدْ فِي الرُّوَضِ الْمِعْطَارِ، وَلَمْ يَحْدِدِ الْحَمَوِيُّ مَوْقِعَهَا، فَقَالَ: إِمَّا قَرْيَةً بِإِفْرِيقِيَّةٍ أَوْ بِالْأَنْدَلُسِ، وَإِمَّا قَبِيلَةً مِنَ الْبَرْبَرِ.

انْظُرْ: السَّلَفِيُّ أَخْبَارَ وَتَرَاجِمَ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ص ٣٧؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ١/٣٥٨؛ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١٤٥/٣.

^٢ - دَانِيَّةٌ: بَعْدَ الْأَلْفِ نُونٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ مَفْتُوحَةٌ، مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ أَعْمَالِ بَلَنْسِيَّةٍ عَلَى ضِفَةِ الْبَحْرِ شَرْقًا، وَعَلَيْهَا سُورٌ حَصِينٌ، وَفِي الْجَنُوبِ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُسْتَدِيرٌ وَيُسَمَّى هَذَا الْجَبَلُ جَبَلُ قَاعُونٍ. وَكَانَتْ قَاعُونُ مَلِكٌ مُجَاهِدٌ عَامَرِيٌّ.

انْظُرْ: الْإِنْدُرَيْسِيُّ نَزْهَةُ الْمُشْتَقِ ٥٥٧/٢؛ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤٣٤/٢، ١٤٥/٣، ٢٩٨/٤.

^٣ - الْمَكْسُ: الضَّرْبَةُ الَّتِي يَأْخُذُهَا الْمَاكِسُ (الْعَشَّارُ) وَأَصْلُهُ جَبَايَةُ مَالٍ يُوْخَذُ مِنْ بَائِعِي السِّلْعِ فِي الْأَسْوَاقِ.

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [مَكْس] ٢٢٠/٦.

^٤ - يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١٤٥/٣ - ١٤٦؛ السَّلَفِيُّ أَخْبَارَ وَتَرَاجِمَ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ص ٣٧ - ٣٨.

^٥ - قَاعُونٌ: جَبَلٌ شَاهِقٌ عَظِيمٌ مُسْتَدِيرٌ قَرِيبٌ دَانِيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ يُرَى مِنْ مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ.

انْظُرْ: الْإِنْدُرَيْسِيُّ نَزْهَةُ الْمُشْتَقِ ٥٥٧/٢؛ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٩٨/٤؛ السَّلَفِيُّ أَخْبَارَ وَتَرَاجِمَ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ص ٣٨ [الْحَاشِيَّة].

^٦ - انْظُرْ: الْمُقَرِّيُّ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٤٦/٤. سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى الْبَيْتِ فِي الْبَحْثِ: ص ١٢١.

ببلاط ابن تغريلة، ودارت بينهما مهاجاة^(١)، ومع أن دخول الشاعرين بلاط الوزير اليهودي زاد المنافسة بينهما وألهم الهجاء بينهما، إلا أن هذه المهاجاة لم يكن اليهود سببها المباشر، لكن كان البلاط مسرحاً لها وتربة خصبة أدكناها وبطريق غير مباشر كان الوزير اليهودي وبلاطه دافعاً لهذا الهجاء، لا ليهوديته بل لتنافس الشعراء حوله كالعادة في بلاطات الأمراء.

ومن الملاحظ على مهاجاة الشعراء حول ابن تغريلة أن أشعارهم كانت عادية لا يظهر فيها أثر لليهود، فكانت هجاء مرّاً بين شاعرين. إلا أن مهاجاة بعض الشعراء خارج بلاط اليهودي جاء فيها ذكرهم؛ فحين دارت معركة هجائية بين ابن الياسمين (ت: ٦٠١هـ)^(٢) وعدد من الشعراء كابن العباس الجراوي (ت: ٦٠٩هـ)^(٣)، ذاع للجراوي في هجائه قوله^(٤): [بسيط]

است الحباري^(٥) ورأس النسر بينهما
خذاها إليك بحكم الوزن أربعة
لون الغراب وأنفاس من الجعل^(٦)
كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

فردّ عليه ابن الياسمين بقوله طاعناً في نسبته^(٧): [بسيط]

يا أغرق الناس في نسل اليهود ومن
خذاها بحكم اجتماع الدم واحدة
تأبى شمائله التفصيل للجمل
تغني عن النعت والتوكيد والبدل

فيلمز بنسبه بقوله إنه عريق في نسب اليهود، ويظهر أن هذه الصفة لازمتهم وقومهم^(٨) حتى إنه وقع على استجداء لأحد الشعراء ببيتين، زاد عليهما الشاعر البيت التالي مستهزئاً به: [مطلع بسيط]

نسبت للمسلمين آلي
وكان شيخ اليهود جدي

١ - من هذه المهاجاة أن ابن المنفلت هجا الأخفش بقوله: [المجتث]

إن كنت أخفش عني فإن قلبك أعمى

فكيف تنثر نثرًا وكيف تنظم نظماً

ابن سعيّد المغربي ١٨٣/٢؛ المقرئ تفتح الطيب ٣٤٧/٤ .

ومن هجاء المنفلت كذلك لابن ميمون الأخفش قوله: [مجزوء الرمل]

لابن ميمون قريض زهير البزد فيه

فإذا ما قال شعراً نفقت سوق أبيه

المقرئ تفتح الطيب ٣٤٦/٤ .

٢ - هو: عبد الله بن محمد بن حجاج ويعرف بابن الياسمين من فاس من البربر، كان أحد رجالات السلطان بالمغرب وله أرجوزة في الجبر سمعت منه بإشبيلية في سنة ٥٨٧هـ، وتوفي ذبيحاً بمراكش سنة ٦٠١هـ . انظر: ابن الأبار التكملة ٣٠٧/٢ .

٣ - هو الشاعر: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكوراني الجراوي، قبيلته كوراية برابر، سكن مراكش وكان أديباً، وله ديوان شعر، ألف للسلطان يعقوب المنصور كتابه صفوة الأدب وديوان العرب في مختار الشعر، وكان يضرب به المثل في حسن التوقيع وإجادته. دخل الأندلس متكرراً عليها وتوفي بإشبيلية سنة ٦٠٩هـ . انظر: ابن الأبار التكملة ١١٢/١ - ١١٣؛ ابن سعيد الغصون النانعة ص ٩٨ -

١٠٣؛ ابن خلكان وفیات الأعيان ١٢/٧؛ أحمد الناصري الاستقصا ٢٠٠/٢ .

٤ - ابن سعيد الغصون النانعة ص ٤٦ .

٥ - الحباري: طائر . ابن منظور لسان العرب [حبر] ١٦٠/٤ .

٦ - الجعل: هو حيوان كالخنفساء . ابن منظور لسان العرب [جعل] ١١٢/١١ .

٧ - البخازي ثمينة القصر ١٥٥/١؛ ابن سعيد الغصون النانعة ص ٤٦ .

٨ - قال ابن سعيد إن قبيلته كوراية برابر يعيهم أهل المغرب ويعمون أنهم يهود . انظر: ابن سعيد الغصون النانعة ص ٩٨ .

وَكَانَ الْجَرَاوِيُّ يُجَالِسُ بَنِي الشَّحَمَاتِ، فَقَالَ فِيهِ شَاعِرٌ يُدْعَى بِابْنِ تَلَيْسَ يَسْتَهْزِئُ بِهِ^(١): [لوفر]
 بَنِي الشَّحَمَاتِ أَنْتُمْ خَيْرُ آلٍ
 أَرَى نَجَلَ الْجَرَاوِيِّ لَكُمْ جَلِيئًا
 وَأَكْرَمُ مَنْ تَسَامَى بِالْجُدُودِ
 وَحَرَمْتَ الشُّحُومَ عَلَى الْيَهُودِ

وَأَرَى هَذَا مِنَ الْهَجَاءِ الْقَاسِي. وَمِثْلُ هَذَا تَكَرَّرَ عِنْدَ ابْنِ عَمَّارٍ بِقَوْلِهِ لِلْمُعْتَصِدِ إِنَّ أَعْدَاءَهُ الْبَرَابِرَةَ كَالْيَهُودِ فِي مَوَاقِعَيْنِ سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِمَا^(٢).

الدَّائِرَةُ الثَّالِثَةُ: هِجَاءُ الْيَهُودِ لِلْعَرَبِ.

بَحَثْتُ عَنْ شِعْرِ الْيَهُودِ فِي هِجَاءِ الْعَرَبِ، فَلَمْ أَجِدْ لَهُمْ شَيْئًا يُذَكِّرُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ فَلَمْ تُثَبِّتْهُ الْكُتُبُ. وَإِنْ ضَاعَ مَا اسْتَقْبَحَهُ جَامِعُو الشُّعْرِ مِنْ هِجَاءِ الْمُسْلِمِينَ لِلْمُسْلِمِينَ^(٣) فَسَيَكُونُ مُتَوَقِّعًا أَنْ يُسْتَقْبَحَ وَيُسْتَبْعَدَ هِجَاءُ الْيَهُودِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَضَاعَ مِثْلُ هَذَا الْهَجَاءِ، لَكِنْ بَقِيَتْ مِنْهُ أَشْيَاءٌ قَلِيلَةٌ، مِنْهَا مَا جَاءَ عَنْ ابْنِ نَعْرِيلَةَ، أَنَّهُ: "أَقْسَمَ أَنْ يَنْظِمَ جَمِيعَ الْقُرْآنِ فِي أَشْعَارٍ وَمَوْشَحَاتٍ يُعْنَى بِهَا"^(٤)، لَكِنْ لَمْ تَوْضَحِ الْكُتُبُ هَلْ بَرَّ بِقَسَمِهِ أَمْ لَا، فَلَا يُرَوَى مِنْ شِعْرِ ابْنِ نَعْرِيلَةَ إِلَّا قَوْلُهُ^(٥): [مجزوء لرميل]

نَقَشْتُ فِي الْخَدِّ سَطْرًا
 لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى
 مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَوْزُونٍ
 تَنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

وَفِي هَذَا الْكَلَامِ اسْتَهْزَاءٌ وَاضِحٌ بِالْقُرْآنِ، لَكِنْ لَمْ يَبَيِّنْ فِيهِ إِفْدَاعٌ وَلَا فُحْشٌ، وَلَا أُدْرِي إِنْ كَانَ ابْنُ نَعْرِيلَةَ قَدْ اتَّبَعَ هَذِهِ بَابِيَّاتٍ أُخْرَى كَمَا أَقْسَمَ أَمْ أَنَّ قَتْلَهُ مِنْ قِبَلِ الْعَرَبِ فِيمَا بَعْدَ لَمْ يُمَهِّلْهُ، وَوَضَعَ حَدًّا لَاسْتَهْزَائِهِ هَذَا. إِلَّا أَنَّهُ وَرَثَ ابْنَهُ صِفَةَ الْاسْتَهْزَاءِ بِالْمُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ صَغِيرًا لَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ بِغَرْنَاطَةِ^(٦)، فَهَرَبَ إِلَى إفْرِيقِيَّةَ، وَكَتَبَ مِنْهَا إِلَى أَهْلِ غَرْنَاطَةِ شِعْرًا مِنْهُ^(٧): [لخفيف]

أَقْبِلَا بِسَنَجِلٍ لَيْسَ تَخْشَى
 غَوْدِرَ الْجِسْمِ فِي الثَّرَابِ طَرِيحًا
 حَشَرَ جِسْمٍ وَقَدْ سَمِعْتَ النَّصِيحَا
 أَيْهَا الْعَادِرُونَ هَلَا وَفَيْتُمْ
 وَغَدَا الرُّوحُ فِي الْبَسِيطَةِ رِيحًا
 إِنْ يَكُنْ قَتَلَكُمْ لَهُ دُونَ ذَنْبٍ
 وَقَدَيْتُمْ شِبْهَ الدَّبِيحِ الدَّبِيحَا
 قَدْ قَتَلْنَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ الْمَسِيحَا
 وَنَبِيًّا مِنْ هَاشِمٍ قَدْ سَمَمْنَا
 خَرَّ مِنْ أَكْلَةِ الدَّرَاعِ طَرِيحًا^(٨)

١ - مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيفَةَ أَدِيبُ الْأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرِ التَّجْيِيبِ ص ٢٨٣ .

٢ - ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعَفْيَانِ ٢، ج ١/٢٨٣ ، ق ٢، ج ١/٢٦٣؛ السَّلَفِيُّ أَخْبَارُ وَتَرَاجِمُ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ص ٨٤؛ ابْنُ دِيحِيَّةِ الْمُطَرِّبِ ص ١٧١؛ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ١١٦؛ الْمُفْرِيزِيُّ السُّلُوكُ ٧/٨٣؛ ابْنُ تَغْرِي بَرْدِي النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٤/٢٥٥-٢٥٦؛ السَّخَاوِيُّ الضُّومُ اللَّامِعُ ١٠/٣١٨-٣١٩؛ الْمُفْرِي تَفْحُ الطَّبِيبِ ٢/١٨٧؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٤/٢٩٠ . سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي الْبَحْثِ: ص ١٣٧، ١٣١ .

٣ - فَصَّرَحَ الْمَرَّاكُشِيُّ مَثَلًا بِأَنَّهُ اسْتَبْعَدَ شِعْرًا حَسَنًا كَثِيرًا لِلشَّاعِرِ ابْنِ حَزْمُونَ لَأَنَّهُ أَقْدَعَ فِيهِ، فَلَمْ يُودِعْهُ كِتَابَهُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَجِيزُ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ مِثْلُ ذَلِكَ الْإِقْدَاعِ فِي الْقَوْلِ . انْظُرْ: عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٢٩٦ ، وَانْظُرْ قَوْلَهُ فِي الْبَحْثِ: ص ١٣٨ [الْحَاشِيَّةُ] .

٤ - ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/١١٤ .

٥ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٦ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٢/١١٥ .

٧ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٨ - فِي الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ وَفِيهِ أَنَّ يَهُودِيَةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا ثُمَّ اِكْتَشَفَ السَّمَّ، وَلَمَّا جِيءَ بِهَا، وَسَأَلَهَا الرَّسُولُ ﷺ اعْتَرَفَتْ بِأَنَّهَا وَضَعَتْ لَهُ السَّمَّ . انْظُرْ: الْبَخَارِيُّ صَحِيحُهُ ٣/٢٠٢ - ٢٠٣ .

يَقُولُ ابْنُ سَعِيدٍ فِي تَقْدِيمِهِ لِلأَبْيَاتِ: إِنَّ هَذَا مِنْ شِعْرِهِ الْمَشْهُورِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ شِعْرِ غَيْرِ هَذَا^(١)، وَبِمُلاحَظَةِ أَنَّ الشَّعْرَ الْمَذْكُورَ فِي هِجَاءِ الْعَرَبِ مِنْ وَزِيرٍ وَابْنِهِ، أَرَى أَنَّ غَيْرَهُمَا لَا يَتَجَرَّأُ عَلَى هِجَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَأَكِّدًا مِنْ وُجُودِ حِمَايَةِ لَهُ مِنْ غَضَبِهِمْ. حَتَّى إِنْ الْوَزِيرَ يُوسُفَ نَفْسَهُ كَانَ هِجَاؤُهُ أَحَدَ الْأَسْبَابِ فِي الثُّورَةِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ رُغْمَ بَأْسِهِ وَسُلْطَتِهِ.

وَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ هِجَاءٍ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ لَمْ يَصِلْ إِلَى مُسْتَوَى الشُّعْبِيَّةِ؛ فَلَمْ أَجِدْ لِلْيَهُودِ مَا يُشَبِّهُ مَثَلًا مَا جَاءَ بِهِ ابْنُ غَرَسِيَّةَ^(٢)، وَفِي الْبَحْثِ أَبْيَاتٌ فِي هِجَاءِ الْيَهُودِ، لَكِنْ لَمْ أَرِ قَصِيدَةً كَامِلَةً أَوْ رِسَالَةً كَامِلَةً تُسَخَّرُ مِنْهُمْ، لِذَا يَرَى سَعْدُ شَلَبِي أَنَّ هِجَاءَ الْيَهُودِ مُجَرَّدُ مُمَاحَكَاتٍ قَائِمَةٍ عَلَى الْعَصَبِيَّةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي أَثَارَتَهَا الْخِلَافَاتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالتَّصَرُّفَاتُ الْفَرْدِيَّةُ الشَّاذَّةُ^(٣).

(٢) أَوْصَافُ تَرَدَّدَتْ فِي هِجَاءِ الْيَهُودِ .

تَكَرَّرَ لَفْظُ "الْقِرْدِ" أَوْ "الْخَنْزِيرِ" فِي الشُّعْرِيَّةِ مِنَ الْيَهُودِ فِي الشُّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَكَانَ نَعْتُ الْيَهُودِ بِالْقِرُودِ أَكْثَرَ مِنْ نَعْتِهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ آخَرَ فِي الْهِجَاءِ، وَأَخْيَانًا كَانَ يَأْتِي لَفْظُ "الْقِرْدِ" مُفْرَدًا، وَأَخْيَانًا كَانَ يَأْتِي مَعَ صِفَةٍ تَزِيدُ مِنْ قُبْحِ لَفْظِهِ وَمِنْ الْبِدَاعَةِ فِيهِ، كَمَا حَصَلَ فِي قَصِيدَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا لَفْظُ "الْقِرْدِ" مَرَّتَيْنِ، الْأُولَى مِنْهُمَا عَنْ بَادِيَسَ بِقَوْلِهِ^(٤): [لمتقارب]

وَتَاهُوا وَكَانُوا مِنَ الْأَرْدَلِينَ

فَعَزَّ الْيَهُودُ بِهِ وَانْتَخَوْا

لَأَرْدَلٍ قِرْدٍ رَدٍ مِ
٥٠١١

فَكَمْ مُسْلِمٍ فَاضِلٍ قَاتِلٍ

وَالثَّانِيَّةُ فِي الْقَصِيدَةِ نَفْسِهَا، فَقَالَ الْإِلْبِيرِيُّ: [لمتقارب]

وَأَجْرَى إِلَيْهَا تَمِيرَ الْعُيُونِ

وَرَخْمَ قِرْدٍ رَدَهُمْ دَارَهُ

وَتَحَنُّ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ

فَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ

١ - لَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنْهُ فِي الْمَصَادِرِ. وَفِي اخْتِفَائِهِ تَأَكِيدُ عَلَى مَا قُلْتُ سَابِقًا عَنِ اخْتِفَاءِ شِعْرِ الْيَهُودِ ضَمْنِ مَا اخْتَفَى مِنَ الشُّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ .

٢ - هُوَ: أَبُو عَامِرٍ أَحْمَدُ ابْنُ غَرَسِيَّةَ، مِنْ أَبْنَاءِ نَصَارَى الْبُشْكُنْسِ سُبَيَّ صَغِيرًا، وَأَدَبَهُ مُجَاهِدٌ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْجَزَّارِ الشَّاعِرِ صُحْبَةً وَاسْتِكْنَابَاتٍ كَانَ مِنْهَا مَا كَتَبَهُ لَهُ مَعَانِبًا إِيَّاهُ لتركه مدح مُجَاهِدٍ واقتصاره عَلَى مدائح الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُمَادِحَ، فَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ إِنَّهَا رِسَالَةٌ ذَمِيمَةٌ وَإِنَّهُ ذَمَّ الْعَرَبَ فِيهَا وَفَخِرَ بِقَوْمِهِ الْعَجَمِ. ثُمَّ أورد ابْنُ بَسَّامٍ مَعَهَا فُصُولًا مِنْ رِسَائِلٍ لِبَعْضِ مَنْ ردوا عَلَيْهِ وَيَكْتُوه، حَتَّى أَسْكُتُوهُ . انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٤٠٦/٢ - ٤٠٧؛ ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخِيرَةُ ١، ٧٠٤/٢ - ٧٢٢ .

٣ - انْظُرْ: سَعْدُ إِسْمَاعِيلَ شَلَبِيَّ الْبَيْئَةُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي الشُّعْرِ ص ٤٢٦ .

٤ - أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ دِيوَانُهُ ص ٨٩؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٣٣/٢؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣١؛ الْمُقَرِّي تَفْخِخُ الطَّيِّبِ ٩٤/٦ .

٥ - إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَسَمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَلَقَهُمُ كُونُوا فَرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةٌ ٦٥ .

وَحِينَ رَحَلَ ابْنُ عُتْبَةَ الْإِسْبِيلِيُّ^(١) إِلَى مِصْرَ سُئِلَ عَنْ حَالِهِ سَمَّى مِصْرَ دَوْلَةَ الْقُرُودِ لِتَحْكُمَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ فِيهَا، وَفَضَّلَ الْعَوْدَةَ لِابْنِ هُودٍ، فَقَالَ^(٢): [مطلع بسيط]

أَصْبَحْتُ فِي مِصْرَ مُسْتَضَامًا
وَاضْيَعَةُ الْعُمَرِ فِي أَخِيرِ
تَبَصَّرَ الدَّهْرَ مَنْ يِرَاعِي
أَوْدٌ مِنْ لَوْمِهِمْ رُجُوعًا
أَرْقُصُ فِي دَوْلَةِ الْقُرُودِ
مَعَ النَّصَارَى أَوِ الْيَهُودِ
مَعْنَى قَصِيدَ وَلَا قُصُودِ
لِلْعَرَبِ فِي دَوْلَةِ ابْنِ هُودِ

وَادَّعَى هِنْرِي بِيرِسُ أَنَّ لَفْظَ الْقِرْدِ خَاصٌّ بِالْيَهُودِ بِقَوْلِهِ: "وَإِذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الْخَنَزِيرِ... تُطْلَقُ عَلَى الْمَسِيحِيِّينَ فَإِنَّ كَلِمَةَ قِرْدٍ كَانَتْ بِعَامَّةٍ مِنْ نَصِيبِ الْيَهُودِ تَأْتُرًا بِالآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ"^(٣)، وَاسْتَشْهَدَ هِنْرِي بِيرِسُ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهَا لَفْظُ "قِرْدَةٍ" لَتُؤَكِّدَ ادِّعَاءَهُ. وَمَنْ يَتَأَمَّلُ سِيَاقَ الْآيَاتِ يَجِدُ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي الْيَهُودِ، بَلْ جَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُخَاطَبِينَ فِيهَا.

وَبَحَثْتُ عَنْ لَفْظِ "قِرْدٍ" وَ"قِرْدَةٍ" فِي شِعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ لَأَرَى إِنْ كَانَتْ صِفَةً لَارَمَتْ جَمَاعَةَ الْيَهُودِ كَمَا يَزْعُمُ هِنْرِي بِيرِسُ، فَوَجَدْتُ أَنَّهَا وَرَدَتْ بِكَثْرَةٍ كَذَلِكَ فِي هِجَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ إِدْرِيسَ الْمُؤَبِّلِ^(٤) لَمَّا مَرَّ مَوْكِبُ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (ت: ٣٩٢هـ)^(٥) أَمَامَهُ حِينَ تَغَلَّبَ عَلَى هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ (ت: ٣٩٣هـ)^(٦) وَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ دُونَهُ، فَقَالَ الْمُؤَبِّلُ مُسْتَهْزِئًا^(٧): [تكملة]

تَمْشِي عَسَاكِرُهُمْ حَوَالِي هُودَجِ
أَبْيِ أُمَيَّةَ أَيْنَ أَقْمَارُ الدَّجَى
أَعْوَادُهُ فِيهِنَّ قِرْدٌ أَشْهَبُ^(٨)
مِنْكُمْ وَمَا لَوْ جُوهَهَا تَتَغَيَّبُ

١ - هُوَ: ابْنُ عُتْبَةَ الْإِسْبِيلِيُّ رَحَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى مِصْرَ، وَفَارَقَ إِسْبِيلِيَّةَ حِينَ تَوَلَّاهَا ابْنُ هُودٍ. انْظُرْ: الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٤٠٤/٣ .

٢ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٤٠٤/٣ .

٣ - هِنْرِي بِيرِسُ الشِّعْرُ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي عَصْرِ الطُّوَانِفِ ص ٢٢٠ .

٤ - هُوَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِدْرِيسَ الْعَلَوِيِّ الْحَسَنِيِّ الْمُتَقَلَّبِ بِالْمُؤَبِّلِ، مِنْ أَبْنَاءِ الْأَدَارَسَةِ، كَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا. أَصْلُهُ مِنَ الْمَغْرِبِ وَسَكَنَ قُرْطُبَةَ إِلَى أَنْ سَيَّرَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَنِ الْأَنْدَلُسِ، وَالْمُؤَبِّلُ هُوَ مَنْ كَانَ حَاقًا بِرِعَايَةِ الْإِبِلِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي لَا يَغْشَى النِّسَاءَ. انْظُرْ: ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةَ السِّيَرَاءُ ٢٢٦/١ - ٢٢٨؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكِشِيِّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ٢/٢٨١؛ ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [أبل] ٤/١١ .

٥ - هُوَ: الْمَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْمَعَاوِي، أَصْلُهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ، مَوْلَدُهُ عَامَ ٣٢٧هـ، وَرَدَ قُرْطُبَةَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَمْ تَزَلْ خَالَتُهُ تَعْلُو فِيهَا إِلَى أَنْ صَارَ صَاحِبَ التَّدْبِيرِ وَالْمُتَعَلِّبِ عَلَى الْأُمُورِ وَحَجَبَ هِشَامًا الْمُؤَيَّدَ، فَدَانَتْ لَهُ أَقْطَارُ الْأَنْدَلُسِ كُلُّهَا.

انْظُرْ: الْحَمِيدِيُّ جَدْوَةُ الْمُفْتَبِسِ ١/١٣١، ٤٧ - ١٣٣؛ ابْنُ خَاقَانَ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ ص ٣٨٨ - ٣٩٧؛ الضَّبِّيُّ بُغْيَةُ الْمُتَمَسِّسِ ١/١٥٢ - ١٥٣؛ ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةَ السِّيَرَاءُ ١/٢٦٨ - ٢٧٧؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/١٩٩ - ٢٠٣؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٢/١٠١ - ١٠٧؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ١/٣٧٨ - ٤٠٥؛ ابْنُ عِمَادٍ الْحَنْبَلِيُّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢/١٤٣ - ١٤٤؛ ابْنُ خَلْدُونٍ تَارِيخُهُ ٤/١٨٩ - ١٩٢ .

٦ - هُوَ الْخَلِيفَةُ: هِشَامُ الْمُؤَيَّدِ بْنِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ (٣٦٦ - ٣٩٣هـ) يُكْنَى أَبَا الْوَلِيدِ، أُمُّهُ وَلَدَتْ اسْمَهَا صُبْحٌ، وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَبِيهِ عَشْرَةَ أَغْوَامٍ وَأَشْهُرٍ، وَكَانَ مُتَعَبِّيًا لَا يَظْهَرُ وَلَا يَنْفِذُ لَهُ أَمْرٌ، حَيْثُ تَغَلَّبَ عَلَى أَمْرِهِ وَتَوَلَّى حِجَابَتَهُ وَتَدْبِيرَ مَمْلَكَتِهِ أَبُو عَامِرٍ الْمَنْصُورُ، الَّذِي ضَمَّنَ لَصَبْحِ اسْتِقْرَارِ الْمَلِكِ لَابْنِهَا. انْظُرْ: الضَّبِّيُّ بُغْيَةُ الْمُتَمَسِّسِ ١/٤٣؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكِشِيُّ الْمَغْجَبُ ص ٢٧ - ٣٠ .

٧ - ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةَ السِّيَرَاءُ ١/٢٢٦ - ٢٢٨ .

٨ - أَشْهَبُ: قَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّدَّةِ وَالْكَرَاهَةِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [شهب] ١/٥٠٨ .

وَجَاءَ لَفْظُ "قِرْدٍ" فِي شِعْرِ لَابِنِ زَمْرَك (ت ٧٩٥هـ) ^(١) مَدَحَ فِيهِ السُّلْطَانَ أَبَا الْعَبَّاسِ الْمُرَيْنِيَّ، وَالْقِرْدُ فِيهَا هُوَ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ حِينَ سُمِحَ لَهُ بِسُكْنَى فَاسٍ ^(٢)، وَذَكَرَ هِنْرِي بِيرِسُ نَفْسَهُ أَنَّ "الْقِرْدَ" لَمْ يَكُنْ إِشَارَةً احْتِقَارٍ دَائِمًا ^(٣)، ثُمَّ أَضَافَ بِيرِسُ أَنَّ أَحَدَ الْمُتَشَدِّدِينَ مِنْ وُلَاةِ الْبَرْبَرِ أَلَزَمَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَنْ يَضَعُوا عَلَى أَكْتَافِهِمْ رِقَاعًا بَيْضَاءَ فِي كُلِّ رُقْعَةٍ مِنْهَا قِرْدٌ وَخِنْزِيرٌ وَعَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ أَلَوَاحًا مُصَوِّرٌ فِيهَا قِرْدَةٌ ^(٤)، وَعَلَّقَ بِيرِسُ أَنَّ تَشَدُّدَ الْوَالِي لَمْ يَكُنْ خَاصًّا بِأَهْلِ الدِّمَّةِ بَلْ كَانَ مُتَشَدِّدًا مَعَ أَهْلِ مَنْطِقَتِهِ أَخِذًا عَلَيْهِمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَنَاحِي لَهُوِهِمْ وَلَعِبِهِمْ. وَأَنَا مَعَ هِنْرِي بِيرِسُ فِي أَنَّ "الْقِرْدَ" لَمْ يَكُنِ الْقَصْدُ مِنْهُ دَائِمًا إِهَانَةُ الْيَهُودِ فَحَسَبَ، بَلْ كَانَ كَذَلِكَ رَمْزًا لِلتَّخْذِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(٥)، فَكَانَ لَفْظُ "قِرْدٍ" فِي هِجَاءِ الْيَهُودِ كَاسْتِخْدَامِهِمْ لَهُ فِي هِجَاءِ الْعَرَبِ.

وَكَانَ "قِرْدٌ" يُشَبِّهُ "الْكَلْبَ" فِي قَوْلِ الْمُنْقَلَبِ فِي عَرَبِيٍّ "كَالْكَلْبِ اسْقَطْ شَعْرَهُ لَعَقُ الدِّمِّ" ^(٦)، وَجَاءَ "الْكَلْبُ" وَغَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَصَفًا لِلْيَهُودِ كَذَلِكَ عِنْدَ الْإِسْبِيرِيِّ بِقَوْلِهِ فِيهِمْ ^(٧): [لمتقارب]
فَقَدْ ضَجَّتْ الْأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ وَكَادَتْ تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينَ
تَأْمَلْ بَعِيْنِيكَ أَقْطَارَهَا تَجِدْهُمْ كِلَابًا بِهَا خَاسِنِينَ

ثُمَّ وَصَفَ وَزِيرَهُمُ الْيَهُودِيَّ بِالْكَبْشِ السَّمِينِ وَطَالَبَ الْإِسْبِيرِيُّ بِذَبْحِهِ بِقَوْلِهِ ^(٨): [لمتقارب]
فَبَادِرْ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً وَضَحِّ بِهِ فَهُوَ كَبْشٌ سَمِينٌ

فَإِنْ اسْتُخْدِمَتْ أَلْفَاظُ "قِرْدَةٍ" أَوْ "خَنْزِيرٍ" مَرَّةً فِي الْإِشَارَةِ إِلَى يَهُودِيٍّ وَأُخْرَى فِي نَصْرَانِيٍّ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ خَاصَّةً بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، بَلْ جَاءَتْ بِكَثْرَةٍ فِي هِجَاءِ الْعَرَبِ، وَمِثَالٌ عَلَيْهَا مَا جَاءَ عِنْدَ أَبِي عَامِرٍ بْنِ شَهِيدٍ فِي رِسَالَةٍ طَوِيلَةٍ اخْتَوَتْ شِعْرًا كَثِيرًا تَكَرَّرَ فِيهَا "الْقِرْدُ" وَ"الْخِنْزِيرُ" وَغَيْرُهُمَا مِنْ

^١ - هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الصَّرِيحِي، وَيُعْرَفُ بِابْنِ زَمْرَك (٧٣٣-٧٩٥هـ) مِنْ أَشْهُرِ تَلَامِذَةِ ابْنِ الْخَطِيبِ، وَمِنْ أَشَدِّ خُصُومِهِ فِيْمَا بَعْدَ، أَصْلَهُ مِنْ شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ، سَكَنَ سَلْفُهُ غَرْنَاطَةَ، وَتَرَقَّى فِي الْكِتَابَةِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى السُّلْطَانِ أَبِي سَالِمٍ مَلِكِ الْمَغْرِبِ، وَلَمَّا انْتَقَلَ آخِرُ سُلَاطِينِ الْعَرَبِ ابْنُ الْأَحْمَرِ إِلَى الْمَغْرِبِ، أَنْسَلَهُ وَخَصَّهُ بِكِتَابَةِ سِرِّهِ، مَاتَ مَقْتُولًا. انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاظَةُ ٢/٣٠٠ - ٣١٤؛ الْكُتَيْبَةُ

الْكَامِلَةُ ص ٢٨٢ - ٢٨٨؛ الْمَقْرِي تَفْحُصُ الطَّيِّبِ ١٠/٣ - ١٢٢؛ أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ٧/٧.

^٢ - قَالَ ابْنُ زَمْرَك: [الْكَامِلُ] قُولُوا لِقِرْدٍ فِي الْوِزَارَةِ عَرَّةٌ حِلْمٌ مَنَّكَتَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ

اسْكَنْتَهُ مِنْ فَاسٍ جَنَّةٌ مَلِكُهَا مُتَعَمِّمًا مِنْهَا بِدَارٍ قَرَارِ

الْمَقْرِي أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ٢/٣٠؛ تَفْحُصُ الطَّيِّبِ ٧/١٦٤.

^٣ - أَرْسَلَ أَلْفُونْسُ السَّادِسُ لِحُسَامِ الدَّوْلَةِ ابْنَ رَزِينٍ قِرْدًا لِكَيْ يَشْكُرَهُ عَلَى الْهَدَايَا الَّتِي تَلَقَّاهَا مِنْهُ، وَلَمْ يَزِ الْأَمِيرُ فِي عَمَلِهِ هَذَا إِشَارَةً احْتِقَارٍ، وَسَرَّ بِهَا. انْظُرْ: هِنْرِي بِيرِسُ الشُّعْرُ الْأَنْدَلُسِي فِي عَصْرِ الطُّوَانِفِ ص ٢٢٠.

^٤ - انْظُرْ: هِنْرِي بِيرِسُ الشُّعْرُ الْأَنْدَلُسِي فِي عَصْرِ الطُّوَانِفِ ص ٢٢٠.

^٥ - مِثَالٌ عَلَى هَذَا حِينَ قَضَى الْمَنصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ (ت: ٣٤١هـ) عَلَى مُخَلِّدِ الْإِبَاضِيِّ (ت: ٣٣٦هـ) أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ عَلَى جَمَلٍ وَعَلَى كَتِفَيْهِ قِرْدَانٍ، وَطِيفَ بِهِ أَيَّامًا إِلَى أَنْ مَرَّقَتْهُ الرِّيَاحُ. انْظُرْ: ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢/٣٨٧ - ٣٨٩.

^٦ - ابْنُ بَسَامِ النُّخَيْرَةُ ق ١، ٢/٧٦١.

^٧ - أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْبِيرِيُّ دِيوَانُهُ ص ٨٩ - ٩٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/١٣٣؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣١ - ٢٣٣.

^٨ - نَفْسُهُ ص ٩٢؛ نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا؛ نَفْسُهُ ص ٢٣٣.

الحيوانات، وكلها كانت في العرب واليهود^(١)، ومع أن الكلام في معظمها استهزاءً بوزيرين من العرب، إلا أنه قال فيهما نظمًا أفسى مما قيل في اليهود، وفي الأبيات المدرجة في الرسالة أوصاف لهما قد يكون الوصف "بالقردة" أو "الخنزير" أهون منها^(٢). ولم يُعْطِهما وصفًا واحدًا فقط كما كان يقال أحيانًا في وصف اليهود، فقد وصفهم بأوصاف عدة، وكانت الصورة العامة لهم أنهم ليسوا من البشر مع أنهم على شكل البشر؛ بل كانوا قائمة طويلة من الحيوانات^(٣)، وبهذا لا يكون لفظ "قرد" خاصًا باليهود وإن استخدم في هجائهم بكثرة.

وكانت "الأندال، والغلوج" من الألفاظ التي جاءت في هجائهم. وجاءت في النثر أكثر من الشعر. وظهر إقذاع أحيانًا، كما مر في البحث سابقًا بأنهم "البول الذي يدل بالخرأ"^(٤). ومعظم الصفات التي وُصفوا بها في شعر الهجاء كانت معنوية وليست خلقية؛ فوُصفوا بعدم الإخلاص في عملهم؛ فالطبيب منهم بدا سيئًا شريرًا في تطييبه للمسلمين، وهم يحملون معتقدات خاطئة، فهم "عصبة شر"، ووصفوا "بسخافة العقل وقبح الرأي". ووصفوا بأنهم يحملون عداً كبيراً للإسلام والمسلمين؛ فهم يغلون على النبي ﷺ، ولديهم حقد لا يزول على المسلمين، ولا يقبلون النصيح من المسلمين ولا يقدمون النصيح للمسلمين، ولا يتورعون أبدًا عن تحليل الحرام عن المسلمين، كل هذا بجانب فجورهم. وقد كان أثر اليهود في الهجاء أوضح مما يمكن حين كان يشبه بهم المهجو دون تفصيل أو توضيح للتشابه بين المهجو واليهود، وهذا كان كثيرًا في الشعر.

^١ - أورد ابن بسام فصولاً من الرسالة منها قوله: [الرجز]

هلا سترت الشين بالزين

صدّهما من قردك المصطفى

وما رأى الناس على ما مضى

من قبل إحصار الوزيرين

^٢ - منها: [البسيط] ندلان: ما حرّكا إلا فشا دفر

لو أن أشياء كانت لهم هم

لكيهم - وقضاء الله محتمل -

نفع الكلاب إذا ما مسها المطر

تبقي رياستنا لم ترأس البقر

ليسوا من الناس إلا أنهم صور

يوم يرى الشوم باد في صحيفته

وقرد سوء على صفحاته وبر

ابن بسام النخيرة ق ١، م ٢١٥ .

ابن بسام النخيرة ق ١، م ٢٢٤ .

^٣ - هجا ابن شهيد اثنين؛ فشبه أحدهما بالنعبان العظيم، ورأى بينهما تدفع بشدة كرايحة الكلب، وهم كالبحر، وهما في مجلسهما يوم وقرد. وجاء في نثر الرسالة نفسها كمية أخرى من الحيوانات في هجاء مسلمين منها: فالح، الله في قبول هذا القرد والالتباس به.... وما كان هذا القرد أهلاً لأن يحمل عليه حرّ كلام.... وقد علاه خنزير.... وعطس مستجاء بإبرة زنبور.... فالح، الله في قبول هذا القرد والالتباس به، فإنه قد أدار.... لا يصلح للأفعى مراد الرّوض، ولا ورود الحوض، ولا يدفع لوم الكلب.... كرم الصّحب ثلاثة سموم: سم أفعى وعقرب ويعسوب نحل.... أقذع كثيراً في الحديث في غراميل البغال، والكلام في الجرذان.... أمثال الجناب، وقزناؤ الخنافس.... فوق درجة الحمار الوحشي في شدة ضراطه.... انظر الرسالة: وردت قطع منها متناثرة في ابن بسام النخيرة ق ١، م ٢١٣ - ٢٤٤ .

^٤ - السلفي أخبار وتراجم أنطلسية ص ٨٤؛ المفريزي السلوك ٨٣/٧؛ ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٥ - ٢٥٦؛ السخاوي الصّوء اللامع ٣١٨/١٠ - ٣١٩؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٤/٢٩٠، وانظر في البحث: ص ١٤٣ .

لكن لم يتعرّض الشعراء في هجائهم إلى طقوسهم الدينية ومعتقداتهم إلا ما جاء في قول ابن الخطيب حين استهزأ بصلاة جماعة منهم وبخركاتهم التي يقومون بها أثناء الصلاة، وسوى هذا لم يكن دينهم وما به من طقوس مجالاً للسخرية والهزء في الشعر الأندلسي.
واتخذ بعض الشعراء قصص اليهود وما روي عنهم مجالاً للسخرية والتندر بمن يريدون هجوه؛ فهاجا ابن الجذد ملوك الطوائف بأنهم "كالعجل مغبوا بمجلسه" في أبيات سبقت الإشارة إليها^(١)، وجاءت قصة بقرة بني إسرائيل في هجاء لابن عمار الأندلسي بقوله^(٢): [مجزوء لوفرا]
وهذا عذر مأبون أبوه سارق البقرة

فقال الشاعر إن أبا المهجؤ مأبون^(٣) بأنه سارق البقرة، ويقصد بها بقرة بني إسرائيل^(٤). وكانت "البقرة" مجال تندر وسخرية بين الشعراء نزهون^(٥) وابن قزمان كذلك، فقالت له، وقد أتى بغفارة صفراء، وكان قبيح المنظر: أصبحت كبقرة بني إسرائيل، ولكن لا تسر الناظرين^(٦).

رابعاً: اليهود في شعر الخمر

اقتصر ذكر اليهود مع الحديث عن الخمر واللغو كثيراً؛ فالخمر تتعامل به اليهود بينما هو منهي عنه في الدين الإسلامي، ولم تكن عامة الناس على رضى بما يحصل في مجالس الخمر، لذا كانت علاقة اليهود بالخمر سبباً من الأسباب الموجبة لهجائهم ولذكرهم أثناء الحديث عنها.
وجاء الخمر في شعر الأندلسيين على ضربين بهما أثر واضح لليهود، الأول: نظمها كارة لها ولمن يقرب مجالسها، ينسب إلى مجالسها سوء أحوال الملوك والوزراء وفساد أمور البلاد، وتمت الإشارة إلى أثر اليهود في هجاء هذه الفئة سابقاً والضرب الثاني: قاله متلذذاً بشرب الخمر

١ - ابن بسام النخيرة ٢، م ٢٥٦/١ - ٢٥٧ .

٢ - خالص صلاح محمد بن عمار الأندلسي؛ دراسة أدبية تاريخية ص ٢٥٠ .

٣ - المأبون: من رمي بقبيح وقذيف بسوء . ابن منظور لسان العرب [أبن] ٣/١٣ .

٤ - يقصد قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا، وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْمُونَ . فَقَدْ أَضْرِبُهُ بَعْضُهُ كَذَلِكَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِكُمْ آيَةٌ لَكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، آية ٧٢-٧٣. ومُلْخَصُ القِصَّة: أنَّ أصحابَ بَقَرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ طَلَبُوهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى وَجَدُوهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي بَقَرٍ لَهُ، وَكَانَتْ بَقَرَةٌ تُعْجِبُهُ، فَجَعَلُوا يُعْطُونَهُ بِهَا فَيَأْتِي، حَتَّى أَعْطَوْهُ مِائَةَ مَسْكِيهَا ذَنَائِرٍ، فَدَنَبُوهَا، فَضَرَبُوهُ يَعْنِي الْقَتِيلَ . بَعْضُهُ مِنْهَا، فَقَامَ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دِمَاءً، فَسَأَلُوهُ فَقَالُوا لَهُ مَنْ قَتَلَكَ؟ قَالَ: قَتَلَنِي فُلَانٌ . ابن كثير تفسيره ١/١١٢ .

٥ - هي: نزهون القلاعية يقال كذلك بنت القليعي وبنت القلاجي والقليعية، كان والدها محمد بن أحمد بن خلف القليعي قاضياً تولى قضاء غرناطة عام ٥٠٨هـ، وتوفي على قضائها سنة ٥١٠هـ . ولم تذكر كتب التراجم تاريخاً لولادتها ووفاتها. وهي شاعرة غرناطية ماحنة كثيرة النواير، أدبية طريفة، قال ابن الأبار في وصفها إنها كانت واحدة صنفها في أدبها .

انظر: الضبي بغية الملتمس ٧٣٢/٢؛ ابن الأبار التكملة ٢٥٨/٤، المفتض من ثخفة القادح ص ٢١٦ - ٢١٧، ٢٣٦؛ ابن سعيدي المغرب ٢٢٨/١، ١٢١/٢؛ زيات المبرزين ص ١٥٩؛ ابن عبد الملك المراكشي الذيل والتكملة السفر الثامن ق ٢، ص ٤٩٣؛ ابن الخطيب الإخاطة ٣/٣٤٤-٣٤٥؛ المقرئ تفتح الطيب ٦٩-٧٢ .

٦ - انظر: ابن سعيدي المغرب ١٢١/٢؛ المقرئ تفتح الطيب ٧٠/٦ .

مُسْتَمْتَعٌ بِمَجَالِسِهَا؛ مِثَالٌ عَلَيْهِ حِينَ مُنِعَ بَيْعُ مَا يُؤْكَلُ مَعَ الشَّرَابِ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، لِأَنَّهَا فَاكِهَةٌ الْخَلَاعِ لِلْحَدِّ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، أَعْلَنَ ابْنُ قُرْمَانَ رَفُضَهُ التَّوْبَةَ^(١)، لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ أَتَى بِطَبِيبٍ يَهُودِيٍّ يُبِيحُ لَهُ شُرْبَ الْخَمْرِ فِي وَقْتٍ تَتَأَجَّجُ فِيهِ الْعَلِيقَةُ الدِّينِيَّةُ وَتَكُونُ مُتَقَدَّةً مُرْتَفِعَةً وَهُوَ أَوَائِلُ شَوَّالٍ بَعْدَ رَمَضَانَ مُبَاشَرَةً، وَلَمْ يَكْتَفِ بِإِيَاخَتِهَا بَلْ عَدَّهَا حَلَالًا لَا حَرَامَ فِيهَا، فَقَالَ^(٢): [لمجتث]

شَهْرُ الصَّيَامِ زَالٌ وَجَاشُوَالٌ يَالَسَ نَسَالُ^(٣)

مِنْ دَابِ تَشْرَبُ وَلَسَ نَسَلٌ عَنِ الصَّيَامِ

إِنْ الْقَوَامُ دُونَ شَرَابٍ عِنْدِي لَسَ قَوَامٌ

حَرَامٌ هُ مِنْ قَلْهَا؟ لَا تَكْذِبْ، لَسَ حَرَامٌ

الْيَوْمَ عَادَ قَالَ ابْنُ قُرْمَانَ أَنْ خَالَ

فَالشَّاعِرُ يُدَاوِمُ عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ بِنَاءً عَلَى نَصِيحَةِ ابْنِ قُرْمَانَ الَّذِي حَلَّلَ شُرْبَهَا، وَابْنُ قُرْمَانَ طَبِيبٌ يَهُودِيٌّ مَشْهُورٌ فِي بِلَاطِ الْمَرَابِطِينَ كَمَا يَرَى عَبْدُ الْعَزِيزِ الْأَهْوَانِيُّ^(٤). وَفِي هَذَا إِشَارَتَانِ، الْأُولَى كَثْرَةُ اشْتِعَالِ الْيَهُودِ بِالطِّبِّ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَالثَّانِيَةُ أَنَّ تَأْتِيرَ الْيَهُودِ عَلَى مُسْلِمِي الْأَنْدَلُسِ كَبِيرٌ وَوَاضِحٌ، فَحَتَّى لَا تَلُومُهُ النَّاسُ عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ حَاوِلَ إِقْنَاعِهِمْ بِمَنْ لَهُ مَكَانَةٌ وَتَأْتِيرٌ عِنْدَهُمْ، وَهُوَ الطَّبِيبُ الْيَهُودِيُّ الَّذِي سَمَّاهُ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذَا الطَّبِيبَ كَانَ مَشْهُورًا، وَأَنَّ النَّاسَ كَانَتْ تَأْخُذُ بِكَلَامِهِ وَتَسْمَعُ نَصَائِحَهُ، وَإِلَّا لَمَا لَجَأَ الشَّاعِرُ إِلَى الْإِسْتِشْهَادِ بِهِ وَبِرَأْيِهِ فِي تَحْلِيلِ شُرْبِ الْخَمْرِ.

وَظَهَرَ الْعَكْسُ عِنْدَ ابْنِ الْقُرَوِيِّ الْأَسْلَمِيِّ^(٥) ذِي الْأَصْلِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي اتَّخَذَ لَهُ كَاتِبًا مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ يُدْعَى أَبَا الْحُسَيْنِ ابْنَ الْجَدِّ، فَغَابَ الْأَخِيرُ عَنْهُ أَيَّامًا يَشْرَبُ النَّبِيذَ فَلَامَهُ عَلَى اسْتِهْتَارِهِ، وَالْعَرِيبُ هُنَا أَنَّ الْيَهُودِيَّ يُطَالِبُ الشَّاعِرَ بِالْكَفِّ عَنْ شُرْبِهَا، بَيْنَمَا يُحَاوِلُ الشَّاعِرُ إِقْنَاعَهُ بِقَوَائِدِهَا. فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِأُبَيَاتٍ يُعَلِّمُهُ بِتَرْكِ الْخِدْمَةِ عِنْدَهُ وَيُلُومُهُ بِقَوْلِهِ^(٦): [تكملة]

أَعَزَلْ وَوَلَّ قَفِي حَدِيثَكَ آيَةً لَوْ أَنَّ قَوْمَكَ أَحْسَنُوا التَّأْوِيلَ

وَرَأَيْتَ رَأْيًا فِي الْمُدَامِ أَصِيلًا هَلَا عَذَرْتَ عَلَى الْبَطَالَةِ^(٧) أَهْلَهَا

هِيَ مَا عَلِمْتَ فَلِنْ عَرَّتْكَ جَهَالَةٌ فَاسْتَفْسِرَنَّ مِنْ سِرِّهَا الْإِنْجِيلَ^(٨)

وَلِمَعْرِفَةِ أَثَرِ الْيَهُودِ فِي شِعْرِ الْخَمْرِ لَا بُدَّ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ أَمْرَيْنِ، هُمَا: أَمَاكِنُ التَّقَى فِيهَا الشُّعْرَاءُ بِالْيَهُودِ وَشَرِبُوا فِيهَا الْخَمْرَ، وَالثَّانِي هُوَ الْعَلَاقَاتُ الَّتِي أَظْهَرَهَا هَذَا الشُّعْرُ وَكَانَ فِيهَا أَثَرٌ لِلْيَهُودِ.

١ - انظر: ابن قُرْمَانَ دِيوَانُهُ ص ٦٠٠ .

٢ - نَفْسُهُ ص ٧٧٤ / رَقْم ١١٩ .

٣ - يَا لَسَ نَسَالُ: لَمْ أَعِدْ أَسْأَلُ [حاشية الديوان]

٤ - ابن قُرْمَانَ: حَقَّقَ الْأَهْوَانِيُّ شَخْصِيَّتَهُ فِي مَقَالَةٍ نَشَرَهَا فِي مَجَلَّةِ الْمَعْرِفَةِ الْمِصْرِيِّ لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِمَدْرِدٍ عِدَد ١٨ ص ٧٧، مُعْتَمِدًا عَلَى مَقَالَةٍ لِلْأَسْتَاذِ شَتْرَنَ فِي مَجَلَّةِ الْأَنْدَلُسِ عِدَد ١٣ ص ٣١٧، عَلَى أَنَّهُ طَبِيبٌ يَهُودِيٌّ. ابن قُرْمَانَ دِيوَانُهُ ص ٧٧٥ [الْحَاشِيَّةُ] .

٥ - هُوَ : ابْنُ الْقُرَوِيِّ الْأَسْلَمِيُّ ذُو الْأَصْلِ الْيَهُودِيِّ كَانَ حَاجِبًا لَصَاحِبِ عَزْنَاطَةَ، لَمْ أَعثر لَهُ عَلَى تَرْجَمَةٍ وَقَدْ يَكُونُ ابْنُ الْقُرَوِيِّ هَذَا وَاحِدًا مِنْ وَزِيرَيْنِ أَخَوَيْنِ ذَكَرَهُمَا الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ فِي مُذَكَّرَاتِهِ، أَحَدُهُمَا عَلِيٌّ وَالْآخَرُ عَبْدُ اللَّهِ، كَانَتْ نَشَاتُهُمَا مَعَ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ ابْنِ نَعْرِيلَةَ فِي مَكْتَبِ بَادِيَسَ بْنِ حَبُوسَ، وَكَانَا قَائِدِي الْعَسْكَرِ. انظر: الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ التَّبَّيَّانُ ص ٣٦ - ٣٩، ٥٩ .

٦ - ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخِيرَةُ ق ٢، م ٥٦٢/٢ .

٧ - الْبَطَالَةُ: اتِّبَاعُ اللَّهِ وَالْجَهَالَةُ. ابن مَنْظُورُ لِسَانُ الْعَرَبِ [بطل] ٥٦/١١ .

٨ - يَقْصِدُ بِهِذَا اسْتِحَالَةَ الْخَمْرِ إِلَى دَمِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِنْجِيلِ فِي قَوْلِهِمْ وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ أُمُّهُ وَأَخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ... قَالَ: أَنَا عَطْشَانٌ، وَكَانَ إِثْنَاءَ مَوْضُوعًا مَمْلُوءًا خَلَا، فَمَلَأُوا إِسْفَنْجَةً مِنَ الْخَلِّ وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا [عُشْبَةٍ بَرِيَّةٍ تُشَبِّهُ الْمِيرْمِيَّةَ] وَقَدَّمُوهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: قَدْ أَكْمَلْتُ، وَتَكَمَّرَ رَأْسُهُ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٩: ٢٨، ٢٥-٣٠ .

وَمِنْ التَّفْسِيرَاتِ لَهَا أَنَّهُمْ قَدَّمُوا لَهُ خَلًّا مَمْرُوجًا بِمَرَارَةٍ كَمَخْذَرٍ لِنَتْفِيفِ الْإِلَامِ، انظر: مَوْقِعُ بَيْتِ اللَّهِ

الأول : أماكن الخمر التقى فيها الشعراء المسلمون باليهود

لم يكن هناك مكان واحد يلتقي فيه الشاعر الأندلسي باليهود يعاقرون الخمر، فمنها: الأديرة والبيع والحانات، ومنها قصور الحكام والأمراء، والوزراء، ومنها أخضان الطبيعة .
وجاء أكثر وصف لمجالس الخمر في شعر الأندلسيين في الأديرة والبيع لتوفر الخمر فيها، ثم الحانات التي يشرف عليها اليهود والنصارى. لكن يكاد يختفي فيها الحديث المطول عن بيع اليهود في شعر الخمر، بينما كان أثر النصارى في هذه الأشعار واضحاً بارزاً^(١)، ولا أعلم سبباً لذلك إلا عزلة اليهود وتكتمهم على طقوسهم؛ فعزلة اليهود وتكتمهم على طقوسهم جعلتهم بعيدين عن عيون الشعراء، في الوقت نفسه فتح النصارى أبواب كنائسهم لمن يريد دخولها، فدخلها الشعراء، وشاهدوا عاداتهم، ووصفوا ما شاهدوا فيها. وما قيل في الأديرة لم يتجاهل دور اليهود. فوردت أبيات ظهر فيها اليهود؛ ففي محاوراة لابن الخطيب مع صاحب دير قال^(٢): [لطويل]

فَقَالَ لِبَنَسَ الْمُسْلِمُونَ ضُيُوفَنَا أَمَا وَأَبِيكَ الْحَبْرَ مَا نَحْنُ بِالْبَيْسِ

أرى "الحبر" هنا إشارة إلى أن العابد في الدير كان يهودياً لو أخذنا بقول الجوهرى بأن "الحبر" واحد أخبار اليهود^(٣) رغم أنه ذكر "التثليث" في بيت سابق بقوله^(٤): [لطويل]

أَيَا عَابِدَ النَّاسُوتِ ۞ إِنَّا أَتَيْنَا لَتَثْلِيثٍ، بَلَى، وَلِتَسْديسِ

١ - الغالب على الخمار أو المعنى في الشعر الأندلسي أن يكون نصرانياً، وحمل الشعر صورة الإعجاب والانسجام للدير ومن به، فوصفت الكنيسة، ووصف النفس الداعي لتلك المجالس أو ساقى الخمر، ووصفت ملابسهم، وعاداتهم، وبعض طقوسهم. ومثال على هذا مجلس خمر لابن خفاجة (ت: ٥٣٣هـ) في أحد أديرة النصارى، قال فيه: [الوافر]

وَحَمَارٍ أَخَذَتْ بِهِ مَسِيحِي رَجِيمَ الدَّلِّ ذِي وَثَرٍ فَصِيحِ
ابن سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٣٧٢/٢

إلا أن بعضهم وصف فُبح ما رآه في كنيسة، فعمّر ابن الشهيد (ت بعد: ٤٤٠هـ) يقول في مقامه له: [الكامل]

وَكُنَيْسَةٍ أَخَذَ الْبَلَى مِنْهَا كَمَا أَبْصَرْتُ فِيْنَا فِي مَعَارٍ يُنْهَبُ

بِئْسَ الْمُصَلَّى إِنْ أَرَدْتَ تَعَبُدَا فِيهِ وَلَكِنْ كَانَ نِعَمَ الْمَشْرَبِ
ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ١، ٢/٢٨٣ .

٢ - انظر: المقرئ تفتح الطيب ١٩٣/٩ .

٣ - انظر: الجوهرى الصّاح ٢٧٠/٢ .

٤ - انظر: المقرئ تفتح الطيب ١٩٣/٩ .

وَلَا أَقُولُ "التَّثْلِيثَ" إِشَارَةً إِلَى عَدَدِ الْكُؤُوسِ أَوْ الْمَرَّاتِ الَّتِي يَتَوَرَّى الشَّاعِرُ شَرْبَهَا لِذِكْرِ التَّسْدِيسِ بَعْدَهُ، بَلْ أَرَى أَنَّهُ أَرَادَ التَّوَرِيَّةَ أَمَامَ عَابِدِ النَّاسُوتِ ١) لِيَفْتَحَ لَهُمُ الْبَابَ وَيَدْخُلَهُمُ الدَّيْرَ، وَأَخَذَ ابْنُ الْخَطِيبِ هَذَا مِنْ أَحَدِ أَشْيَاخِهِ يَحْيَى التَّجِيبِيِّ (ت: ٧٥٣هـ) وَالتَّوَرِيَّةَ وَاضِحَةً فِيهِ بِقَوْلِهِ ٢): [لطويل]

فَقُلْنَا لَهُ أَمْنَا فَإِنَّا عِصَابَةٌ
أَتَيْنَا لِتَثْلِيثٍ وَإِنْ شِئْتَ تَسْدِيسًا

وَفِي الْأَبْيَاتِ نَفْسَهَا مَا يَجْعَلُنِي أَقُولُ هَذَا؛ حَيْثُ يَقُولُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي الْبَيْتِ التَّالِي ٣): [لطويل]

وَمَا قَصَّ دُنَا إِلَّا الْمَقَامُ بِحَانَةِ
وَكَمْ أَلَسَ الْحَقُّ الْمُبِينُ بِتَلْبِيسِ

فَأَخْفَى الشَّاعِرُ قَصْدَهُ وَهُوَ الْخَمْرُ وَذَكَرَ مَا يَسُرُّ الْعَابِدَ الْيَهُودِيَّ مُدَلِّسًا عَلَيْهِ لِيَسْتَقْبِلَهُمُ الْعَابِدُ مُعْتَقِدًا أَنَّهُمْ قَادِمُونَ لِلْعِبَادَةِ مَعَهُ وَلَوْ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِهِ، وَهَذَا مَا أَمِيلُ إِلَيْهِ، وَفِي الْبَيْتِ اعْتِرَافٌ أَنَّهُ لَحَنَ فِي قَوْلِهِ وَأَنَّهُ قَامَ بِتَدْلِيلِهِ لِيَقْتَنَعَ وَيَفْتَحَ بَابَ مَعْبَدِهِ، مَعَ أَنَّ هَدَفَهُمْ بَعِيدٌ عَنِ الْعِبَادَةِ وَالَّذِي يَجْعَلُنِي أَمِيلُ إِلَى الْقَوْلِ بِيَهُودِيَّةِ الْمُحَاوِرِ أَنَّ الْقَصِيدَةَ لَمْ تَخْتَوِ عَلَى مُسَمَّيَاتٍ كَثِيرَةٍ خَاصَّةً بِالنَّصَارَى كَمَا هِيَ الْعَادَةُ، فَلَمْ تَحَوِ الْأَبْيَاتُ مَعَ "التَّثْلِيثِ" السَّابِقِ الذِّكْرَ إِلَّا "اصْطِكَكَ النَّوَاقِيسُ" وَقَدْ تَكُونُ لِلْيَهُودِيَّةِ خُصُوصِيَّةٌ مَعَ النَّوَاقِيسِ. وَقَدْ يَحْتَجُّ مُحْتَجٌّ عَلَى قَوْلِي بِوُرُودِ "قِس" ٤) فِي أَوَّلِهَا، لَكِنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْمُقَدِّمَةِ الطَّلِيلَةِ وَرِحْلَةِ الْعِيسِ عَلَى الْهَضْبَةِ قُرْبَ قَصْرِ بَادِيسَ، حِينَ بَدَأَهَا بِقَوْلِهِ ٥): [لطويل]

عَسَى خَطَرَةٌ بِالرَّكْبِ يَا حَادِيَ الْعِيسِ
عَلَى الْهَضْبَةِ الشَّمَاءِ مِنْ قَصْرِ بَادِيسِ

وَأَتَى بَعْدَهَا ذِكْرُ الْقِسِّسِ نَكْرَةً عَامَّةً تَصِفُ عَبَادَةَ الْإِنْجِيلِ فِي قَوْلِهِ ٦): [لطويل]

لَقَدْ رَسَخَتْ أَيُّ الْجَوَى فِي جَوَانِحِي
كَمَا رَسَخَ الْإِنْجِيلُ فِي قَلْبِ قِسِّيسِ

بَيْنَمَا الْعَابِدُ الَّذِي قَابَلَهُمُ بِالْحَانَةِ ابْنُ "الْحَبْرِ" مَرَّةً وَ"رَبَّانِي" فِي أُخْرَى فِي قَوْلِهِ ٧): [لطويل]

تَطَّلَعَ رَبَّانِيَّهَا مِنْ جِدَارِهِ
يُهَيِّنُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ بِتَقْدِيرِ

١ - النَّاسُوتُ: طَبِيعَةٌ خَاصَّةٌ لِلْمَسِيحِ عِنْدَ أَتْبَاعِهِ لَمْ أَجِدْ لَهَا تَعْرِيفًا فِي الْمَعَاجِمِ التَّقْلِيدِيَّةِ، يَقُولُونَ إِنَّ الْمَسِيحَ كَلَّمَهُ اللهُ الْمُتَجَسِّدَ بَشَرًا، وَحَمَلَ فِي شَخْصِهِ طَبِيعَتَيْنِ مُتَرَابِطَتَيْنِ (طَبِيعَةُ اللَّاهُوتِ الْأَزَلِيَّةِ، وَطَبِيعَةُ النَّاسُوتِ) أَيِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، لِلْمَزِيدِ انْظُرْ:

www.arabic.islamicweb.com

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّهْلَوِيُّ الرَّدُّ عَلَى النَّصَارَى فِي ادِّعَاءِ نُبُوَّةِ الْمَسِيحِ وَأَلُوْهِتِهِ .

www.khayma.com

حامد العولقي الثالث .

www.arabicbible.org

قاسم إبراهيم هل المسيح هو الله؟ Is Jesus God

٢ - ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاظَةُ ٣٩٩/٤ - ٤٠٠؛ الْكُتُبُ الْكَامِنَةُ ص ٨٠؛ الْمَقَرِّي تَفْحُ الْطَيْبِ ٤٠/٨ .

٣ - الْمَقَرِّي تَفْحُ الْطَيْبِ ١٩٣/٩؛ وَأَخَذَهُ مِنْ شَيْخِهِ يَحْيَى التَّجِيبِيِّ: [الطويل]

وَمَا قَصَدْنَا إِلَّا الْكُؤُوسَ وَإِنَّمَا لَحْنًا لَهُ فِي الْقَوْلِ خُبْنًا وَتَدْلِيلًا

ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاظَةُ ٣٩٩/٤؛ الْكُتُبُ الْكَامِنَةُ ص ٨٠؛ الْمَقَرِّي تَفْحُ الْطَيْبِ ٤٠/٨ .

٤ - الْقِسُّ وَالْقِسِّيسُ: رَئِيسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّصَارَى فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ، وَقِيلَ: هُوَ الْكَيْسُ الْعَالِمُ، وَتُجْمَعُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ فَسَاقِسَةٌ وَقِسِّيسُونَ وَلَوْ جَمَعَهُ قُسُوسًا كَانَ صَوَابًا. انْظُرْ: مُحَمَّدُ الْمَأَوِيَّيَّ التَّغَارِيفُ ٥٨١/١؛ ابْنُ مَطْطُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [قسس] ١٧٤/٦ .

٥ - انْظُرْ: الْمَقَرِّي تَفْحُ الْطَيْبِ ١٩١/٩ .

٦ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٩٢/٩ .

٧ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٩٣/٩ .

وَلَوْ تَرَكْتُ "عَابِدَ النَّاسِوتِ" الَّتِي ذُكِرَتْ مُجَاوِرَةً لِلتَّثْلِيثِ، مُعْتَبَرَةً أَنَّهَا جَاءَتْ لِتُكْمِلَ التَّوْرِيَّةَ فِي الْبَيْتِ، فَسَيَتَرَجَّحُ لَدَيَّ الظَّنُّ أَنَّ الْعَابِدَ الرَّبَّانِيَّ يَهُودِيٌّ، فَكَلِمَةُ الرَّبَّانِيَّ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً بَلْ عِبْرَانِيَّةً أَوْ سُرْيَانِيَّةً عِنْدَ أَبِي عُبَيْدٍ (ت: ٤٨٧هـ) ^(١) لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ الرَّبَّانِيَّيْنَ. كَمَا أَنَّ ذِكْرَ قَصْرِ بَادِيسَ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ قَدْ يَكُونُ بِهِ مُؤَشِّرٌ آخَرٌ عَلَى أَثَرِ الْيَهُودِ فِي الْقَصِيدَةِ؛ فَقَدْ عَزَّ الْيَهُودُ وَارْتَفَعَ شَأْنُهُمْ كَثِيرًا مُعْظَمَ قُتْرَةِ حُكْمِ بَادِيسَ بْنِ حَبُوسَ لِعَرْنَابَةِ وَحُكْمِ أَبِيهِ قَبْلَهُ. وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَحَتَّى لَوْ كَانَ هَذَا الْمُخَاطَبُ بِالْأَبْيَاتِ يَهُودِيٍّ النَّحْلَةِ، أَرَى أَنَّ تَأْثِيرَ الدِّيَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ أَكْبَرُ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ، حَتَّى إِنَّ الشَّاعِرَ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ حَبْرٍ يَهُودِيٍّ، لَا يَذْكُرُ عَقِيدَتَهُ صَرَاحَةً، وَلَا يُشِيرُ إِلَى طُقُوسِهِمْ، فَرُمُوزُ النَّصْرَانِيَّةِ وَطُقُوسُهَا كَانَتْ أَشْهَرَ فِي بَيْتِهِمْ.

أَمَّا بِالنَّسَبَةِ لَوْجُودِ الْيَهُودِ فِي حَانَاتِ الْخَمْرِ فَهَذَا لَمْ يَظْهَرْ فِي شِعْرِ الْخَمْرِ سِوَى "مُوسَى" مَلِيحِ إِسْبِيلِيَّةٍ، كَمَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَصْفٌ لِأَصْحَابِ الْحَانَاتِ أَوْ السُّقَاةِ مِنَ الْيَهُودِ فِي شِعْرِ الْخَمْرِ. وَكَانَ الْخَمْرُ يُسْقَى فِي قُصُورٍ عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنَ الْحُكَّامِ وَالْأَمْرَاءِ عَرَبٍ وَنَصَارَى، فَقِي اخْتِفَالٍ فِي قَصْرِ الْمَأْمُونِ ابْنِ ذِي النُّونِ رَافِقَ وَلِيمَةٍ إِعْذَارٍ ^(٢) بِمُنَاسَبَةِ تَطْهِيرِ حَفِيدٍ لِلْمَأْمُونِ، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ فِيهِ: "إِنَّ الْمَأْمُونِ دَهَبَ إِلَى تَنْمِيمِ تَكْرِيمِ زُورَارِهِ مِنْ رِجَالِ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ اسْتَحْضَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ لَشُهُودِ فَرْحَتِهِ، بِمُشَاهَدَةِ مَجْلِسِ خُلُوتِهِ، وَتَنْعِيمِ أَسْمَاعِهِمْ بِلَذَاتِ أَغَانِيهِ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُرَخِّصُ فِي النَّبِيذِ وَلَا يَسُوعُ لَهُ نَعِيمٌ دُونَهُ، فَاحْتَمَلَ حَرَجَ ذَلِكَ مُبَالِغَةً فِي تَأْنِيْسِهِمْ، فَاحْتَقَلَ لَهُمْ فِي مَجْلِسٍ قَدْ نُضِّدَ، وَأَحْضِرَ فِيهِ جَمِيعُ آلَاتِ الْأَنْسِ... وَنُظِمَتْ نَوْبَةُ الْمُغَنِّينَ زُمَرَاءَ، فَهَاجُوا الْأَطْرَابَ" ^(٣) وَاسْتَحْفُوا الْأَلْبَابَ، وَتَقَلُّوا الطَّبَاعَ فَجَاءُوا بِأَمْرِ عَجَابٍ، بَدَّاهُمْ فِيهِ سَابِقُ حَلْبَتِهِمْ، الْمُحَسَّدُ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ، الْإِسْرَائِيلِيُّ ذِي، الزَّائِدُ إِحْسَانُهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ (ت: ١٨٨هـ) ^(٤)، صَدِيقُ إِبْلِيسَ، الظَّرِيفُ فِي فِتْنَتِهِ، وَتَحَايَلَهُ بِالْمَاخُورِيِّ ^(٥) الْمَكْنُونِ الَّذِي اغْتَدَى فِي بَاطِلِهِ، نَسِيحٌ وَحْدَهُ، يَزْدَهِي الْعِيدَانِ جَسَّهُ، وَيُخْرِسُ الْأَطْيَارَ شَجْوَهُ، قَاتِلُهُ اللَّهُ مِنْ اخِذٍ بِالْقُلُوبِ! فَطَرَبُوا وَطَرَبَ الْمَأْمُونُ لِيَلْتَنِزَ عَلَى وَفُورٍ

^١ - انظر: [رب] ابن منظور لسان العرب ٤٠٤/١ .

وهو: أبو عبيد عبد الله بن عبدالعزيز بن محمد البكري، نزيل قرطبة. كان رأساً في اللغة وأيام الناس، صنف في أعلام النبوة، وعمل شراً لأماله القالي، وله اشتقاق الأسماء و معجم ما استعجم و النبات، توفي سنة ٤٨٧هـ .

انظر: ابن بسام النخبة ق ٢، م ٢٣٢/١ - ٢٣٨؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٣٥/١٩ - ٣٦ .

^٢ - الإعذار: طعام الختان. وفي الحديث: الوليمة في الإعذار حق. ابن منظور لسان العرب [عذر] ٥٥١/٤ .

^٣ - الأطراب: من الطرب وهو خفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن والهم. ابن منظور لسان العرب [طرب] ٥٥٧/١ .

^٤ - هو المغني: إبراهيم بن ماهان بن بهمن الموصلي المعروف بالنديم، فارسي الأصل. عُرف بالغناء والألحان، لقبه الذهبي رئيس المطربين، غنى للمهدي ولهارون الرشيد. ولد إبراهيم سنة ١٢٥هـ وكانت وفاة في سنة ١٨٨هـ وله مصنفات كثيرة في الفقه وعرب الحديث والنوادر والشعر.

انظر: ابن خلكان وفیات الأعيان ٤٢/١ - ٤٣؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٧٩/٩ - ٨٠؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٣١٨/١ -

٣١٩ .

^٥ - الماخور: مجلس الريبة ومجمع أهل الفسق والفساد ويؤت الخمارين، وهو لون من النغم كذلك .

ابن منظور لسان العرب [مخر] ١٦١/٥؛ بطرس البستاني محيط المحيط ١٩٥٥/١ .

جَلْمِهِ" (١).

يُلاحَظُ مِنَ النَّصْرِ السَّابِقِ أَنَّ قُصُورَ الْأَمْرَاءِ كَانَتْ تَتَنَافَسُ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ بِمَا فِيهِ الْخَمْرُ، وَيُفْهَمُ مِنَ الْكَلَامِ أَنَّ الْمَأْمُورَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَسْبِغُ شَرْبَ الْخَمْرِ، لَكِنَّهُ أَحْضَرَهُ لِعِلْمِهِ أَنَّ بَيْنَ الْحُضُورِ مَنْ يَرْخِصُ شَرْبَ النَّبِيذِ. وَلَمْ يَكُنْ وَجُودُ الْيَهُودِ فِي قُصُورِ الْحُكَّامِ وَالْأَمْرَاءِ وَجُودًا ثَانِيًا، بَلِ اخْتَلَوْا مَكَانَةً هَامَّةً فِي إِعْدَادِ مَجَالِسِ عَلَيْهِ الْقَوْمِ، وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ دَوْرٌ مُدِيرِ الْحَفَلَاتِ لِتِلْكَ الْقُصُورِ كَمَا وَضَحَ مِنَ النَّصْرِ السَّابِقِ؛ وَمِثْلُهُ لَمَّا أَعْرَسَ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ، بِنْتُ الْوَزِيرِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، اخْتَفَلَ أَبُوهُ الْمُؤْتَمِنُ بِاللَّهِ فِي ذَلِكَ اخْتِفَالًا عَظِيمًا، وَكَانَ مُدِيرُ ذَلِكَ الْاِخْتِفَالِ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَايَ (٢). وَلَمْ يَلْتَقِ الشُّعْرَاءُ فِي قُصُورِ الْحُكَّامِ وَالْأَمْرَاءِ الْعَرَبِ فَحَسَبُ؛ بَلْ كَانَ هُنَاكَ لِقَاءٌ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ الْعَرَبِ مَعَ الْيَهُودِ دَاخِلَ قُصُورِ الْأَمْرَاءِ النَّصَارَى (٣).

وَلَمْ تَأْتِ الْكُتُبُ بِكَثِيرٍ عَنْ قُصُورِ الْوُزَرَاءِ الْيَهُودِ، وَلَقَلَّةِ عَدَدِ الْوُزَرَاءِ الْيَهُودِ سَبَبٌ فِي ذَلِكَ، لَكِنْ جَاءَ فِي مُذَكَّرَاتِ "التَّبَيَّانِ" لِحَفِيدِ بَادِيَسَ بْنِ حَبُوسَ ذِكْرٌ كَثِيرٌ لِقُصْرِ وَزِيرِهِمِ الْيَهُودِيِّ، أَوْ مَنْزِلِهِ كَمَا كَانَ يُسَمِّيهِ الْأَمِيرُ. وَحِينَ كَانَ يَذْكُرُ مَنْزِلَ الْيَهُودِيِّ كَانَ الْهَدَفُ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ الْإِشَارَةُ إِلَى مَجْلِسِ دَسَائِسَ وَمُؤَامَرَاتٍ أَوْ مَجْلِسِ خَمْرٍ وَأَنْسٍ وَلَهْوٍ. وَتَكَادُ تَخْتَفِي أَيُّ صِفَةٍ ثَالِثَةٍ قَدْ يَأْخُذُهَا مَنْزِلُ ذَلِكَ الْوَزِيرِ فِي الْكِتَابِ. فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ حَوْلَ وَفَاةِ وَالِدِهِ بُلْقَيْنَ الْمُلَقَّبِ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ مَسْمُومًا مِنْ شَرَابٍ تَنَاوَلَهُ فِي مَنْزِلِ الْيَهُودِيِّ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ أَبَانَا كَانَ كَثِيرَ الشَّرْبِ مَعَهُ وَالتَّكْرَارِ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ. فَشَرِبَ يَوْمًا عِنْدَهُ عَلَى عَادَتِهِ" (٤). وَتَكَرَّرَتِ الْإِشَارَةُ مَرَّةً أُخْرَى حِينَ قَالَ: "فَتَحَيَّلَ الْخِنْزِيرُ عَلَى أَنْ دَعَا أَبَانَا إِلَى مَنْزِلِهِ لِشَرَابٍ، حَتَّى سَكِرَ" (٥). فَمَنْزِلُ ذَلِكَ الْوَزِيرِ كَانَ مُهَيَّأً لِمَجَالِسِ الْخَمْرِ لَدَرَجَةٍ أَنْ كَانَ الْأَمْرَاءُ أَنْفُسُهُمْ يَتَرَدَّدُونَ عَلَيْهِ طَالِبِينَ شَرْبَهَا.

١ - ابن بَسَّامِ الذَّخِيرَةُ ق ٤، م ١٣٥؛ وانظر: ابن خَلْقَانَ قَلَائِدُ الْعُقَبَانِ ق ٣، ج ٢/٥٤٨.

٢ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ١٧٣/٢.

٣ - قَالَ الطَّاهِرُ مَكِّي: إِنَّ أَيَّ رَجُلٍ مَيَسُورِ الْحَالِ مِنْ أَمْرَاءِ النَّصَارَى كَانَ إِذَا أَقَامَ حَفْلًا دَعَا إِلَيْهِ الشُّعْرَاءَ دُونَ تَمْيِيزِ لِدِينِهِمْ، وَأَضَافَ أَنَّ بِلَادَ الْمَلِكِ شَانِجَةَ الْخَامِسِ فِي قِسْطَالَةِ عَامِ ٦٩٢ هـ كَانَتْ نَصْمٌ سِتَّةٌ وَعَشْرِينَ شَاعِرًا مُسْلِمًا بَيْنَهُمْ امْرَأَتَانِ، وَاثْنِي عَشَرَ شَاعِرًا مَسِيحِيًا، وَشَاعِرًا يَهُودِيًا، وَوُجِدَ فِي مُحَاضِرِ إِحْدَى الْمَجَالِسِ الْبَلَدِيَةِ سَنَةَ [٨٤٦ هـ] طَلَبٌ مِنَ الْأَعْضَاءِ بِدْفَعِ عَشْرِ قَطْعٍ نَقْدِيٍّ لِّلْمَدْعُوِّ مُحَمَّدٍ جَاجُو مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ الْبُونَتِ، وَهُوَ مُسْلِمٌ كَمَا يَبْدُو مِنْ اسْمِهِ، لِأَنَّهُ قَامَ بِالْعَزْفِ عَلَى آلَةِ مُوسِيقِيَّةٍ فِي اخْتِفَالَاتِ الْبَلَدِيَةِ. كَمَا شَكَا مَجْمَعُ الْقِسَاوَسَةِ لِبَلَدٍ مِنْ بِلَادِ الْأَنْطَلَسِ مِنْ أَنَّ النَّصَارَى يَجْلِبُونَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودَ إِلَى الْكُنَائِسِ لِيُعْتَمُوا فِيهَا وَيَعْرِفُونَ، وَأَنَّ مَدِينَةَ شَاطِئِيَّةَ بَنُو عِصْرٍ خَاصَرِ اشْتَهَرَتْ بِأَنَّهَا مَوْطَنُ لِهَوْلَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَجِيدُونَ الْإِنْشَادَ وَالْعَزْفَ. انظر: مَلَحَمَةُ السَّيِّدِ تَرْجَمَةً: الطَّاهِرُ مَكِّي ص ٣٩.

٤ - الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ التَّبَيَّانِ ص ٤٠.

٥ - نَفْسُهُ ص ٤١.

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْقُصُورُ تَضُمُّ الْيَهُودِيَّ مَعَ نَدَمَائِهِ الْعَرَبِ فَحَسَبُ، بَلْ كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا أَقْرَبَاؤُهُ وَمَعَارِفُهُ مِنَ الْيَهُودِ، وَفِي مُذَكَّرَاتِ الْأَمِيرِ إِنْشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ حِينَ ذَكَرَ قِصَّةَ مَقْتَلِ خَالِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ الْيَهُودِيَّ أَبِي الرَّبِيعِ بْنِ الْمَاطُونِيِّ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَهُ غَدْرًا فِي مَنْزِلِهِ عَلَى الشَّرَابِ^(١).
أَمَّا بِالنَّسَبَةِ لِمُعَاقَرَةِ الْخَمْرِ فِي مَجَالِسِ بِأَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ فَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ أَنَّ ابْنَ شُهَيْدٍ وَالزَّجَّالِيَّ كَانَا يَجْتَمِعَانِ فِيهِ حَيْرَ الزَّجَّالِيِّ الْوَاقِعَ خَارِجَ "بَابِ الْيَهُودِ" بِقَرْطَبَةِ عَلَى الْخَمْرِ^(٢)، وَلَمْ يَكُنِ الْحَيْرُ خَاصًّا بِهِمَا؛ فَفِي "النَّفْحِ" مَا يُوَكِّدُ أَنَّهُ كَانَ عَامًّا يَكْتَرُ فِيهِ اجْتِمَاعُ الْأَصْدِقَاءِ^(٣).

الثاني : عَلاَقَاتُ لِلْيَهُودِ بِالْخَمْرِ ظَهَرَتْ فِي الشَّعْرِ

إِنَّ الْبَاحِثَ فِي الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ يَرَى عَلاَقَةً وَاضِحَةً لِلْيَهُودِ بِالْخَمْرِ. وَقَدْ تَكُونُ عَلاَقَةُ الْيَهُودِ بِالْخَمْرِ أَكْبَرَ عَلاَقَةٍ أَقْتَرَنَ ذِكْرُهُمْ بِهَا فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ؛ فَكَانَتْ كَالْتَّالِي:

١- يَحْضُونَ عَلَى شُرْبِهَا وَيَحْلُلُونَهَا

كَانَ لِلْيَهُودِ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي الْحَضِّ جِهَارًا عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ، مِثَالُ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ فِي أَبْيَاتِ كَتَبَهَا يُوسُفُ بْنُ حَسْدَايَ الْيَهُودِيُّ إِلَى خَالِ أَبِي الْحُسَيْنِ ابْنِ الْفَخَّارِ، يَقُولُ فِيهَا^(٤): [بسيط]
أَبَا الْحُسَيْنِ أَتَاكُمْ يَشْتَكِي ظَمًا ضَيْفٌ عَلِيلٌ غَدَتْ فِي الرَّاحِ رَاحَتُهُ
فَابْعَثْ إِلَيْهِ بِهَا صَهْبَاءَ^(٥) نَارِيَّةً تَلْتَفُ مِنْهَا بَنُورُ الشَّمْسِ رَاحَتُهُ

فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْفَخَّارِ بِأَبْيَاتٍ يَدْعُوهُ فِيهَا إِلَى الْإِسْلَامِ^(٦)، وَيُفْهَمُ مِنَ الرَّوَايَةِ أَنَّ ابْنَ الْفَخَّارِ كَانَ ضِدَّ دَعْوَةِ حَسْدَايَ، لِذَا رَفَضَهَا، وَاتَّبَعَ رَفْضَهُ بِدَعْوَةِ ذَلِكَ الْيَهُودِيَّ إِلَى الْإِسْلَامِ. وَفِي دَعْوَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ مَلَمَحٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَقْرُبُ الْخَمْرَ تَذِينًا وَأَنَّ الْيَهُودِيَّ كَانَ يَحْضُهُ عَلَى مُخَالَفَةِ دِينِهِ بِشُرْبِهَا^(٧).

^١ - انظر: الأمير عبد الله التَّبَّيَّان ص ٤٨ .

^٢ - انظر: ابن خاقان قَلَانِدِ الْعَفَّيَّان ق ٢، ج ٢/٤٣٩ .

^٣ - فأبو الحُسَيْنِ ابْنُ سَرَّاجٍ مِثْلًا اجْتَمَعَ عَشِيَّةً بِرُيُوسِ الزَّجَّالِيِّ بِقَرْطَبَةِ مَعَ ثَلَاثَةِ مِنَ الشُّعْرَاءِ يَزْجُلُونَ الشَّعْرَ وَيَزُودُونَ الْأَخْبَارَ وَيَنْشُرُونَ مَخَاسِنَ الْأَدَابِ.
انظر: الْمُفَرِّي تَفْحُ الطَّبِيبِ ١٣/٦ .

^٤ - ابن خَمِيسِ الْمَالِقِيِّ أَدْبَاءُ مَالِقَةَ ص ٢٨١ .

^٥ - الصَّهْبَاءُ: الْخَمْرُ .
ابن مَنْظُورِ لِسَانِ الْعَرَبِ [صهب] ٥٣٢/١ .

^٦ - انظر: ابن خَمِيسِ الْمَالِقِيِّ أَدْبَاءُ مَالِقَةَ ص ٢٨١ .

^٧ - وفي ملاحِقِ الْبَحْثِ رِسَالَتَانِ: وَاحِدَةٌ لِابْنِ الدُّبَاغِ، وَالثَّانِيَةُ رَدُّ عَلَيْهَا مِنَ الْيَهُودِيَّ ابْنِ حَسْدَايَ، يَظْهَرُ فِيهِمَا الْحَثُّ جِهَارًا عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ، كَمَا يَظْهَرُ الدَّوْرُ الْوَاضِحُ لِلْيَهُودِيَّ فِي تَهْيِئَةِ مَجَالِسِ الْخَمْرِ وَالدَّعْوَةُ لَهَا، وَيُلَاحَظُ بِالنَّسَبَةِ لِشَعْرِ الْخَمْرِ أَنَّ ابْنَ حَسْدَايَ الْيَهُودِيَّ الْمَقْصُودَ فِي الرِّسَالَتَيْنِ لَدَيْهِ تَمَكُّنٌ وَاطِّلاَعٌ وَاسِعٌ عَلَى أَبْيَاتٍ قِيلَتْ فِي الْخَمْرِ فَاسْتَشْهَدَ بِكَثِيرٍ مِنْهَا فِي رِسَالَتِهِ. كَمَا اسْتَشْهَدَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ، بِجَانِبِ كَثْرَةِ تَضَمُّنِهِ وَاقْتِنَاسِهِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سَعَةِ اطِّلاَعِهِ وَعَلَى مَعْرِفَةٍ جَيِّدَةٍ بِالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عِنْدَ يَهُودِ الْأَنْدَلُسِ.

انظر: ابن بَسَّامِ الْخُحَيْرَةِ ق ٣، ٢٨٣/١، ٢٨٥-٢٨٨ .

وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ يَوْمًا فِي ضِيَافَةٍ بَعْضِ إِخْوَانِهِ بِحِصْنِ رُوطَةَ، وَارْتَفَعَ الطَّعَامُ وَلَمْ تَحْضُرِ الْمُدَامُ، فَقَالَ لِزَبِّ الْمَنْزِلِ أَيْبَاتًا يَطْلُبُ الْخَمْرَ، مِنْهَا^(١): [لمجتث]
 الْعِيدُ أَيَّامُ أَكْلِي وَمَشْرَبِي وَبَعَالِي
 وَقَدْ أَكَلْنَا فَهَاتِ اسْمَ قِنَا مِنَ الْجُرْيَالِ^(٢)

فَلَمَّا وَصَلَ أَبُو الْفَضْلِ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ بِمَا طَلَبَ، وَكَتَبَ مَعَهَا أَيْبَاتًا شِعْرِيَّةً يُعَارِضُهُ فِيهَا^(٣).
 وَحِينَ يَقُومُ أَحَدُ الْمَشْهُورِينَ بِشُرْبِ الْخَمْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ كَثِيرًا مَا كَانَ يَتَّهَمُ الْيَهُودَ بِإِغْوَائِهِ، فَقَدْ صَرَّحَ ابْنُ بُلْقَيْنَ صَاحِبُ الْمَذْكُورَاتِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً بِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يُشَجِّعُونَ الْأَمْرَاءَ حَوْلَهُ عَلَى مُعَاقَرَةِ الْخَمْرِ وَيُسَهِّلُونَ لَهُمُ الْحُصُولَ عَلَيْهَا^(٤)، وَكَانَ شُرْبُ الْخَمْرِ فِي بُلُوتِ الْيَهُودِ وَسِيلَةً لِلْسَّيْطَرَةِ عَلَى هَؤُلَاءِ السَّادَةِ؛ فَصَوَّرَتِ الْمَذْكُورَاتُ الْأَمْرَاءَ وَالْمُلُوكَ أَلْعُوبَةً بِيَدِ الْيَهُودِيِّ، وَصَوَّرَتْهُ شَيْطَانًا يُزَيِّنُ لَهُمْ شُرْبَ الْخَمْرِ فَيَتَقَادُونَ بِسُهُولَةٍ. فَأَغْرَى الْمُظْفَرُ حَاكِمَ غَرْنَاطَةَ بِالشَّرَابِ بَعْدَ أَنْ جَعَلَهُ يَمِيلُ إِلَيْهِ كَثِيرًا، فَتَرَكَ لَهُ سِيَاسَةَ أُمُورِ مَمْلَكَتِهِ، إِلَى أَنْ تَجَرَّأَ عَلَى التَّأَمُرِ مَعَ ابْنِ صَمَادِحَ بَيْنَمَا "الْمُظْفَرُ فِي هَذَا كُلِّهِ، لَا خَبَرَ عِنْدَهُ إِلَّا الْإِقْبَالَ عَلَى الشَّرْبِ وَالذَّعَةِ"^(٥).

٢ - يَبِيعُونَ الْجَيِّدَ مِنْهَا وَيُوقِّرُونَهَا لِمَنْ يُرِيدُهَا

ذَكَرَ إِمِيلِيو غَرْسِيَّةُ غُومِسَ أَنَّ بَعْضَ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ كَانُوا يَفْبِيُونَ إِلَى ظِلَالِ الْبَيْعِ الْمُسْتَعْرَبِيَّةِ الصَّغِيرَةِ فِي قَرْطَبَةِ لِيُصِيبُوا شَيْئًا مِنَ النَّبِيذِ^(٦)، وَقَالَ قَرْطَبَةُ لَوْجُودٍ كَثْرَةٍ مِنَ الْيَهُودِ فِيهَا يُوقَّرُونَهَا وَيَبِيعُونَهَا. وَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ يَقُومَ الْيَهُودُ بِالْمُتَاجَرَةِ بِهَا وَتَوْفِيرِهَا لِمَنْ يُرِيدُهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ يُمْتَنَعُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُتَاجَرَةُ بِهَا، فَلَجَأَ ابْنُ الْفَخَّارِ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ فِي أَيْبَاتٍ ذَكَرَتْ سَابِقًا إِلَى ابْنِ حَسْدَايَ الْيَهُودِيِّ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُوقِّرَهَا لَهُ^(٧).

وَمَرَّ فِي الْبَحْثِ نَصْرٌ عَنِ اخْتِفَالِ أَقِيمٍ فِي قَصْرِ الْمَأْمُونِ قُدِّمَ فِيهِ الْخَمْرُ. وَجَاءَ فِيهِ ذِكْرٌ لِاثْنَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ؛ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا ابْنُ حَسْدَايَ الَّذِي كَانَ يُدَبِّرُ الْحَفَلَاتِ وَيُنْظِمُهَا وَيَجْلِبُ لَهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ

١ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٨٩ .

٢ - الْجُرْيَالُ وَالْجُرْيَالَةُ: الْخَمْرُ الشَّدِيدَةُ الْحُمْرَةِ.

٣ - الْأَيْبَاتُ هِيَ: [المجتث] رُفَّتْ إِلَيْكَ عَرُوسُ بَحْرٍ مِنَ الْجُرْيَالِ

قَمِصُهَا ذَهَبِي كَالشَّمْسِ فِي الْأَصَالِ

وَحُلِيِّهَا فِضِّي مُنْظَمٌ كَاللَّيْلِ

فَذَوْتُكَ اشْرَبْ هَنِيئًا لَا زِلْتَ نَاعِمٌ بَالٍ

ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٨٩ .

٤ - انْظُرْ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ: الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ التُّنَيَّانُ ص ٤٠ - ٤٠، ٤٧، ٥٤ .

٥ - نَفْسُهُ ص ٥٣ .

٦ - انْظُرْ: إِمِيلِيو غَرْسِيَّةُ غُومِسِ الشُّعْرُ الْأَنْدَلُسِي؛ بَحْثٌ فِي تَطَوُّرِهِ وَخُصَائِصِهِ ص ٣٥ .

٧ - انْظُرْ: ابْنُ خَمِيسِ الْمَالِقِيِّ أَدْبَاءُ مَالِقَةِ ص ٢٨١

المدعوون من وسائل الراحة كالخمر والغناء، والثاني المطرب الإسرائيلي ذي^(١)، وإن كان مديراً الحفلة من اليهود والمطرب من اليهود، لا بد أن تكتمل الصورة بخمر يهودي المتجر. وظهرت في مذكرات "التبيان" أكثر من إشارة إلى مجالس خمر أشرف عليها ابن تغريelle اليهودي، وكشفت المذكرات أنه كان وراء مقتل الأمير سيف الدولة بعد أن تمكن منه بجعله يتعود شرب الخمر معه^(٢). كما نسب إليه قتل خاله في منزله على الشراب^(٢)، فكانت الخمر الوسيلة المشهورة أمام اليهود في الأندلس للوصول إلى مآربهم حتى مع بني ملتهم من اليهود. ومن غريب التدابير أن تكون نهاية هذا اليهودي مشابهة لنهاية من اختال عليهم، فبعد أن مرت حياته ما بين خض على شرب الخمر، وموآمرات ودسائس مسرحتها مجالس الخمر، وضع حدًا لحياته من مجلس خمر كان أعدده، فقد استعمل اليهودي الشراب تلك الليلة مع أقوام من عبيد باديس كانوا قد عاقبوه واتفقوا معه، إلى أن خرج أحدهم وهو سكران ينادي الناس للثورة على اليهودي المتآمر مع ابن صمادح^(٤). وبهذا خرجت شرارة مقتله من مجلس خمر أعدده ليضع فيه الخطوط الأخيرة لمكيدة تسليم غرناطة إلى ابن صمادح.

٣- اشتهر بعض شعرائهم بشربها

اشتهر بعض شعراء اليهود بشرب الخمر؛ فوصف ابن سعيدي الشاعر إسحاق بن شمعون القرطبي اليهودي بأنه كثير المقام على شرب المدام^(٥)، فقرن ذكر الخمر بالغناء والموسيقى ووصف الطبيعة في أبيات فاضت بالفرح والسرور وجمال المجلس، دون أن يأتي بتفصيل حول دور الخمر أو أثرها على شاربها، بل مر ذكرها على عجل حين قال^(٦): [لكل]

قم هات كأسك فالنعيم قد انتسق
والعود عن داعي المسرة قد نطق
ولديك من حث الكؤوس أزاهراً
والزهر زهر والرياض سماؤها

إلا أنه توسع في الحديث عن فائدتها وأثرها على شاربها في مكان آخر، فقال^(٨): [لوفر]
خبرت العالمين فلم أجد من
يثير لي المني غير المدام
تجلي الهم عن فكري وتبدي
لي اللذات أجمع في نظام
وتطعمني بما لا أرثجيه
بأحلى من لذات المنام
بهما في الشرب من خلق
وتخرج بي إذا واليت حثا
تخلت بغير آفاق الكرام^(٩)
ولو أني أحكم لم أدرها

١ - انظر: قلائد العفيان ٣، ج ٢/٥٤٨؛ ابن بسام النخبة ٤، ١٣٥-١٣٦؛ المقرئ نفح الطيب ١٧٣/٢.

٢ - الأمير عبد الله التبيان ص ٤٠-٤١.

٣ - انظر: نفسه ص ٤٨.

٤ - انظر: نفسه ص ٥٤.

٥ - انظر: ابن سعيدي المغرب ١٢٨/١.

٦ - نفسه والصفحة نفسها.

٧ - الخمر: معروف من الشباب مشتق منه.

الأراكة: الأراك؛ شجرة طويلة خضراء ناعمة تتخذ منها المساويك.

٨ - ابن سعيدي المغرب ١٢٨/١.

٩ - الطعام: أزال الناس وأوغادهم.

ابن منظور لسان العرب [خز] ٣٤٥/٥.

ابن منظور لسان العرب [أرك] ٣٨٨/١٠.

ابن منظور لسان العرب [طعم] ٣٦٨/١٢.

وفي الأبيات لا يَصِفُ أثرَ الخمرِ عَلَيْهِ وفائدتها فَحَسْبُ، بَلْ يَرَى لَهَا مِكانَةً عَظِيمَةً تَجْعَلُهُ يَتَمَنَّى أَنْ لَا تُسْقَى إِلَّا فِي مَجَالِسِ الْكِرَامِ وَعَلِيَّةِ الْقَوْمِ حَتَّى لَا تُهَانَ لِمَا لَهَا مِنْ قَائِدَةٍ.

٤- لَهُمْ عَلاَقَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ عَقِيدَةٌ بِهَا

تَجَاوَزَ الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ الْحُدُودَ حِينَ لَعَى الْحَوَاجِزَ الدِّينِيَّةَ، وَظَهَرَتِ الْخَمْرُ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ذَاتَ صِفَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ مَعْبُودَةٍ الْجَمِيعِ، وَبِمَجَالِسِهَا التَّقَى الْجَمِيعُ: الشَّاعِرُ الْمُسْلِمُ وَأَصْحَابُ "التَّجْسِيمِ" الْيَهُودُ وَأَصْحَابُ "التَّثْلِيثِ" النَّصَارَى، وَمِنْ ذَلِكَ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ فِي قَوْلِهِ^(١): [لمتقارب]

مُعْتَقَّةٌ^(٢) جَسَمَتَهَا الْيَهُودُ وَمِنْ بَعْدِهَا تَلْتَثَمُهَا النَّصَارَى

وَلَأَنَّ الْقَصِيدَةَ عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيِّينَ، أَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ الْقَوْلَ إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ هِيَ الْخَمْرُ الَّتِي تَلْتَقِي عِنْدَهَا أَصْحَابُ الدِّيَانَاتِ مَهْمَا اخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي الْعِبَادَةِ. وَجَاءَتْ مُرْتَفَعَةً عَنْ "التَّجْسِيمِ" فِي مُحَاوَرَةِ لَابِنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَلِيكُشِيِّ (ت: ٧٤٠هـ)^(٣) مَعَ قِسٍّ جَاءَ فِيهَا^(٤): [لطويل]

مُسْعَشَعَةٌ كَالشَّمْسِ لَكِنْ تَرُوحَنْتُ^(٥) وَجَلْتُ عَنْ التَّجْسِيمِ قَدْماً فَلَا تُرَى

وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَعَقِيدَةِ "التَّجْسِيمِ" الْخَاصَّةِ بِالْيَهُودِ فِي الشَّعْرِ لَيْسَ خَاصًّا بِالْأَنْدَلُسِيِّينَ. وَوُجِدَ مَا يُشَابِهُهُ هَذَا فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمَشْرِقِيِّ^(٦).

١ - ابن الخطيب السلطاني ديوانه ٣٨٦/٢ .

٢ - الْمُعْتَقَّةُ: الْخَمْرُ الَّتِي عُنُقَتْ زَمَانًا حَتَّى عُنُقَتْ أَيِ أَصْبَحَتْ قَدِيمَةً . ابن منظور لسان العرب [عتق] ٢٣٧/١٠ .

٣ - هُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَلِيكُشِيِّ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. كَانَ فاضلاً، متخلفاً، أديباً، شاعراً صوفياً، كتبَ عَنِ الْأُمَرَاءِ بِإِفْرِيقِيَّةٍ، وَنَالَ حِظْوَةً، وَوَصَلَ الْأَنْدَلُسَ عَامَ ٧١٨هـ، فَلَقِيَ بَغْرَنَاطَةَ حَفَايَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطَنِهِ إِلَى آخِرِ عَمَرِهِ عَامَ ٧٤٠هـ .

انظر: الْمُقَرَّبِيُّ تَفْحُصُ الطَّيِّبِ ٣٧٥/٨ - ٣٧٧؛ ابن الخطيب الإخاطة ٥٦٣/٢ - ٥٧١ .

٤ - ابن الخطيب الإخاطة ٥٦٧/٢ .

٥ - تَرُوحَنْتُ عَلَى وَزْنِ تَفَعَّلْتُ لِلْمَبَالِغَةِ تَدُلُّ عَلَى سَعَةٍ وَفُسْحَةٍ وَاطِّرَادٍ .

انظر: ابن فارس مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ [باب الراء والواو وما يثلاثهما] ص ٤٢٨ - ٤٣٠ .

٦ - جَاءَتْ الْخَمْرُ مُسْعَشَعَةً وَبَلَا تَجْسِيمٍ مَثَلًا عِنْدَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ (ت: ٢٩٦هـ) فِي قَوْلِهِ: [البسيط]

أَبْقَى الْجَدِيدَانِ مِنْ مَوْجُودِهَا عَجَبًا وَزَانِحَةً فِي غَيْرِ تَجْسِيمٍ ابْنُ الْمُعْتَزِّ ديوانه ص ٣٥٩ .

خامساً: - اليهود في موضوعات وفنون أخرى

ظهر أثر اليهود في موضوعات أخرى أشهرها ما يلي :

الأول : في شعر الإخوانيات

قد يظهر في شعر الإخوانيات ما لا يظهر في شعر المناسبات، فيه صدق ووضوح أكثر من غيره مما يقال بتصنع أو تألق قد يفسد التلقائية والصدق أحياناً، ولأن اليهود لم يكونوا من عليّة القوم بل من الفئات المغمورة، ولأن الذين وصلوا منهم لمكانة عالية في الأندلس كانوا قلة، ولأن معظم الشعر الذي وصل إلينا كان شعر الفقة المختارة وعليّة القوم على الأغلب، لكل هذا كان ذكرهم فيما وصل إلينا من شعر عزيزاً، لكن هذا لم يبلغ أثرهم فيه وعلى رأسه المراسلات.

ولم يكن لليهود مساحة كبيرة في شعر المراسلات، فلم تصلنا أبيات موضوعها اليهود. وكان ملاحظت وأقوالاً متناثرة كما في الأغراض الأخرى. وجاءت المراسلات على نوعين :

١- مراسلات من اليهود أو إليهم

الشخصيات اليهودية التي تبادلّت المراسلات في الأندلس قليلة جداً، ويسترعي الانتباه موقف الرواة من هذه الأشعار. فحين نقلت هذه الأشعار فيما بعد ودخلت كتب التراجم والأدب كان هناك حكم مسبق على اليهود فيها أدى إلى معاملة خاصة لهذه الأشعار، فالحاق اسم اليهودي بدعاء باللعنة عليه مثلاً يشير إلى استنكار ورفض ناقلي الشعر والمؤرخين لهذا اليهودي، ليس لقبح الموضوع الذي قال فيه، فقد قال الشعراء العرب ما يفوقه سوءاً ونقلت أشعارهم، وبهذا أرجع إلى الدائرة الأولى التي انطلق منها البحث بقولي إن عيون الباحثين مفتحة على هويّتهم الدينية وسوء معتقدتهم أكثر من رواية شعرهم، فلم يعن المؤرخ كثيراً بنقل أشعارهم كافة، بل أتى بأبيات متفرقة في معظم الحالات إن تميّز هذا الشاعر اليهودي بسطة واسعة أو كان من العلية كما حصل في إثبات كثير من المراسلات مع الوزير ابن حسداي.

ومن الجدير بالذكر أن الدعاء باللعنة لم يكن موجّهاً لليهود فقط، فقد نالت اللعنة بعض المسلمين في كتب التراجم والأدب، فأتبع اسم الشاعر الجزيري (ت ٥٨٦هـ) ^(١) مثلاً بعبارة "لعنه الله" في الترجمة له عند ابن خميس نفسه ^(٢). كما أن نسيان الأشعار أو تجاهلها لم يكن خاصاً باليهود بل كان يتسحب كذلك على كثير من الشعراء المسلمين على اختلاف أغراضهم الشعرية.

١ - هو الشاعر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجزيري ثار على بني عبد المؤمن، فقرّ ولم يزل يتنقل مستخفياً إلى أن وصل مديّة بسطة. فقتل وحمل رأسه إلى مراكش . انظر: ابن سعيّد المغرب ٣٢٣/١ - ٣٢٤؛ المقرئ تفتح الطيب ٢١٣/٥ - ٢١٤ .

٢ - انظر: ابن خميس المألقي أدباء مالقة ص ٢٨١ .

هَذَا مِنْ نَاحِيَةٍ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى كَانَتْ هَذِهِ الْمُرَاسِلَاتُ تَأْتِي أحيانًا دُونَ مُرَاقِبَةٍ لِهَوِيَّةِ الْيَهُودِيِّ
الْمُوجَّهَةِ مِنْهُ أَوْ إِلَيْهِ، بَلْ ظَهَرَ الْيَهُودِيُّ فِيهَا ذَا مَكَانَةٍ وَقِيَمَةٍ أَدْبِيَّةٍ واجْتِمَاعِيَّةٍ، فَكَانَ صَاحِبَ سُلْطَةٍ وَقَرَّارٍ فِي
حَلِّ مُشْكِلاتِ الشُّعْرَاءِ، كَمَا حَصَلَ مِثْلًا مَعَ ابْنِ عَمَّارٍ^(١) حِينَ اعْتُقِلَ فِي شَقُورَةٍ^(٢)، فَرَأَسَلَ ابْنَ حَسْدَايَ
يَصِفُ مَوْقِعَ اعْتِقَالِهِ، وَيَطْلُبُ نَجْدَتَهُ بِقَوْلِهِ^(٣): [كامل]

أَدْرِكَ أَخَاكَ وَلَوْ بِقَافِيَةٍ
فَلَقَدْ تَقَادَفْتَ الرِّكَّابَ بِهِ
طَفِرَ حَتَّ^(٥) صَحَابَتُهُ بِلا
بِمَعَارِجٍ أَتَتْ إِلَى حَرَجٍ
عَالٍ أَظُنُّ الْجِنَّ إِذْ مَرَدَّتْ
وَحَشٍ تَنَاجَرَتْ الْوُجُوهُ بِهِ
قُصِرَ تَمَهَّدَ بَيْنَ حَافِيَتَيْنِ
مُتَحَيِّزٍ سَالَ الْوَقَارُ عَلَى
مَلَكْتَ عَنَانَ الرِّيحِ رَاحَتُهُ
مَأْوَى الْعَزِيزِ وَقَدْ نَصَحَ
وَوَصَلَتْ خِدْمَةُ قَاطِعِ سَبَبِي

كَالطَّلِّ يُوقِظُ نَائِمَ الزَّهْرِ
فِي غَيْرِ مَوْمَاءٍ^(٤) وَلَا بَحْرِ
وَتَسَاقَطُوا سُكْرًا بِلا خَمَرٍ
حَتَّى مِنَ الْأَنْوَاءِ وَالْقَطَرِ
جَعَلَتْهُ مَرْقَاةً إِلَى النَّسْرِ
حَتَّى اسْتَرْبَتْ بِصَفْحَةِ الْبَذْرِ
نَسْرِينَ مِنْ قَلْبِكَ وَمِنْ وَكْرِ
عِطْفِيهِ مِنْ كِبَرٍ وَمِنْ كِبَرٍ
فَجِيَادُهَا مِنْ تَحْتِهِ تَجْرِي
تُ وَقَدْ أَبْلَيْتُ فِي الْعُذْرِ
وَأَطَعْتُ أَمْرَ مُضَيِّعِ أَمْرِي

وَبَعْدَ أَنْ يَصِفَ مُعْتَقَلَهُ، يَشْكُرُهُ عَلَى جَمِيلِ صُنْعِهِ مَعَهُ، طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ^(٦): [كامل]
دَعْ ذَا وَصِلْنَا غَيْرَ مُؤْتَمَرٍ
وَكَتُبْ إِلَيْنَا إِنَّهَا لَيَدُ
تَمْحُو الَّذِي كَتَبَتْ يَدُ الدَّهْرِ

فَحِينَ احتَاجَ الشَّاعِرُ السُّلْطَةَ وَالنُّفُوذَ وَالسِّيَاسَةَ تَحَدَّثَ إِلَى الْيَهُودِيِّ مِنْ سِجْنِهِ مُسْتَعِظًا إِيَّاهُ، مُتَطَلِّعًا إِلَى
نُفُوذِهِ وَمَكَانَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ، وَأحيانًا جَاءَتْ هَذِهِ الْمُرَاسِلَاتُ بَعِيدَةً عَنِ السُّلْطَةِ وَالنُّفُوذِ وَالسِّيَاسَةِ،

١ - هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَمَّارِ الْمَهْرِيِّ الْبَكْرِيِّ، صَاحِبَ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ مِنَ الصَّبَا حَتَّى كَانَتْ لَهُ مَكَانَتُهُ الْخَاصَّةُ عِنْدَهُ، إِلَى أَنْ
فَسَدَ مَا بَيْنَهُمَا، فَفَقَلَهُ الْمُعْتَمِدُ بِيَدِهِ بِسَاطُورٍ كَانَتْ مَعَهُ .
انظر: ابن خاقان قلائد العُقَيَانِ ق ٢، ج ١/٢٧٣ .

٢ - شَقُورَةٌ: بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَبَعْدِ الْوَاوِ السَّاكِنَةِ رَاءَ، مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ، بِهَا حِصْنٌ مَنِيْعٌ مِنْ حُصُونِ الْأَنْدَلُسِ وَبِهَا كَانَتْ دَارُ إِمَارَةِ هَمَشَكِ .
انظر: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣/٣٥٥؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكِبِيُّ الْمُعْجَبُ ص ١٢٣-١٢٤؛ ابْنُ الْأَبَّارِ الْخَلَّةُ السِّيَرَاءُ ٢/١٤٩؛
الْإِنْدَرِيسِيُّ نَزْهَةُ الْمُشْتَقِ ٢/٥٦٠-٥٦١؛ الْحَمِيرِيُّ الرُّوضُ الْمُعْطَارُ ص ٣٤٩ .

٣ - ابْنُ خَاقَانَ قَلَائِدُ الْعُقَيَانِ ق ٢، ج ١/٢٧٤ .

٤ - الْمَوْمَاءُ: الْمَفَازَةُ الْوَاسِعَةُ الْمَلْسَاءُ، أَوْ الْفَلَاةُ الَّتِي لَا مَاءَ بِهَا وَلَا أَنْبَسَ . ابنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [موم] ١٢/٥٦٦ .

٥ - طَفَحَتْ: مَلَأَهَا الشَّرَابُ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلسَّكَرَانِ: طَافَحَ أَيُّ أَنْ الشَّرَابَ قَدْ مَلَأَهُ . ابنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [طفح] ٢/٥٣٠ .

٦ - خَالِصُ صِلَاحِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ الْأَنْدَلُسِيِّ؛ دَرَسَةُ أَدْبِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ ص ٣٠٢-٣٠٣ .

تَتَحَدَّثُ عَنِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ الْعَادِيَّةِ وَالْأُمُورِ الْحَيَاتِيَّةِ الْعَادِيَّةِ الَّتِي يَتَبَادَلُهَا الْإِخْوَانُ عَادَةً.

وَتَعَدَّدَتْ الْمَوْضُوعَاتُ الَّتِي تَتَاوَلَهَا شِعْرُ الْمُرَاسِلَاتِ؛ فَأَبُو الْحَسَنِ الْخَصْرِيُّ (ت. ٤٨٨هـ) ^(١) يُرْسِلُ إِلَى

ابن حَسْدَايَ أَبْيَاتًا تُظْهِرُ الْمَكَانَةَ وَالنُّفُوزَ لِهَذَا الْمُخَاطَبِ، مِنْهَا ^(٢) : [مجزوء لرملة]

أَيُّهَا الْمُشْرِفُ حَاشَا لَأُولَى الرَّأْيِ الْخِطَاءُ

لَا تَقُلْ مَا بِيَدِي مَا لَوْلَا عِنْدِي عَطَاءُ

بَيِّتُ أَمْوَالِكَ بَخْرُ مَا عَلَى الْبَحْرِ غِطَاءُ

تُشِيرُ الْأَبْيَاتُ إِلَى الْغِنَى الْقَاحِشِ الَّذِي تَمَتَّعَ بِهِ هَذَا الْيَهُودِيُّ، فَالنَّاسُ تَقْصِدُهُ طَامِعَةً فِي عَطَائِهِ، وَيَتَّبِعُهَا

الْخَصْرِيُّ بِأَبْيَاتٍ يَشْكُو فِيهَا ابْنَ عِيَّاشِ الْيَهُودِيَّ صَهْرَ ابْنِ حَسْدَايَ، مِنْهَا ^(٣) : [مجزوء لكامل]

مَا بَالُ صِهْرِكَ صَدَنِي وَإِلَى سَنَّاكَ أَتَاقَنِي ^(٤)

هُوَ عَقِّي وَبَرَزْتَنِي هُوَ عَنْ لِقَائِكَ عَاقَنِي

إِنِّي أَخَفْتُ عَلَى [الْوَزِيرِ] وَلَوْ ثَقُلْتُ لَطَاقَنِي

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْـ فَضْلِ الَّذِي قَدْ رَاقَنِي

أَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ عِيَّاشِ الْيَهُودِيَّ هَذَا حَاجِبًا لِلْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ، وَتُصَوِّرُ الْأَبْيَاتُ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِنُفُوزٍ كَبِيرٍ عِنْدَ الْوَزِيرِ فَكَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ هَذَا الشَّاعِرَ مِنْ لِقَاءِ الْوَزِيرِ، وَبِهَذَا تُشِيرُ الْأَبْيَاتُ إِلَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ وَمِنْ أَقْرَابِ الْوَزِيرِ كَانَتْ تُحِيطُ بِهِ وَتُدَافِعُ عَنْهُ وَتُسَاعِدُهُ فِي تَذْيِيرِ أُمُورِهِ، وَهَذَا ابْنُ عِيَّاشِ الْمَذْكُورُ فِي الْأَبْيَاتِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ.

وَفِي أَبْيَاتٍ مِنْ أَبِي عَامِرِ بْنِ الْفَرَجِ (ت. بعد ٤٦٧هـ) ^(٥) إِلَى ابْنِ حَسْدَايَ يَقُولُ فِيهَا ^(٦) : [لمجتث]

إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنْ الدِّيَاخِيلُونَ ^(٧)

فَابْعَثْ بِهِ تَتَعَوَّضُ مِنْهُ بِشُكْرِ ثَمِينٍ

فَإِنْ عِنْدِي خَرَا جَا مِنْ بَابَةِ التَّلْيِينِ

١ - هُوَ : أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَنِيِّ الْفَهْرِيُّ الْخَصْرِيُّ الْفَيرواني نزيل سبته، كَانَ ضَرِيرًا، مِنْ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ مَدَحَ مُلُوكًا وَوُزَرَءَ وَأَخَذَ جَوَائِزَهُمْ وَلَهُ فِي ابْنِ عِبَادِ قِصَائِدٌ عِدَّةٌ وَقَالُوا إِنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِالْقِرَاءَاتِ، وَقَدْ أَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِسَبْتَةٍ وَغَيْرِهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ سَنَةَ ٤٨٨هـ، وَلَهُ نَصَائِفُ فِي الْقِرَاءَاتِ وَطُرُقِهَا، وَلَهُ قَصِيدَةٌ فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ عَدَدَ أَبْيَاتِهَا مِائَتَانِ وَتِسْعَةٌ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شِعْرٍ، وَمِنْ قِصَائِدِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ [المتدارك] : يَا لَيْلُ، الصَّبُّ مَتَى عَدُّهُ أَقْبَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ

انظر: الحُمَيْدِيُّ جَدْوَةُ الْمُفْتَبِسِ ٤٩٧/٢ - ٤٩٨هـ؛ ابن بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ٢٠٢، ١٦٦-١٦٧، ٤٠٤، ٢٨٣-٢٨٤هـ؛ ابن بَشْكُوَالِ الصَّلَّةِ ٢٢٧/٢؛ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٣٩/١٤ - ٤١هـ؛ ابْنُ رِجْبٍ الْمُطَرِّبُ ص ١٣، ٢٠، ٨٠، ٨٤هـ؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكِشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ١٤٤ - ١٤٥هـ؛ ابْنُ الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ ٢٣٧/٤؛ الْخُلَّةُ السِّيَرَاءُ ٥٤/٢؛ ابْنُ خُلَّكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣٣١/٣ - ٣٣٤هـ؛ ابْنُ سَعِيدٍ زَلَيَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ٢٦٢ - ٢٦٣هـ؛ الدَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢٦/١٩ - ٢٧هـ؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيُّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٨٥/٢ - ٣٨٦هـ.

٢ - ابْنُ بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ٢٠٢، ١٦٦-١٦٧، ٤٠٤.

٣ - نَفْسُهُ ٢٠٢، ١٦٦-١٦٧، ٤٠٤.

٤ - أَتَاقَنِي : نَازَعَنِي . ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [توق] ٣٣/١٠ .

٥ - هُوَ الْوَزِيرُ : أَبُو عَامِرِ بْنِ الْفَرَجِ عَمِلَ عِنْدَ الْمَأمُونِ يَحْيَى بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ (٤٣٥-٤٦٧هـ)، وَنَالَ لَقَبَ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ، كَانَ مِنْ بَيْتِ رِئَاسَةِ. تَصَرَّفَ أَبَاؤُهُ وَقَوْمُهُ مَعَ بَنِي ذِي النُّونِ مُلُوكَ طَلَيْطَلَةَ.

انظر: ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةُ السِّيَرَاءُ ١٧١/٢ - ١٧٢هـ؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٢/٢؛ الْمُقَرِّي تَفْجِ الطُّيْبِ ٣٦٥/٤ - ٣٦٦هـ.

٦ - ابْنُ بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ٢٠٢، ١٦٦-١٦٧، ٤٠٤.

٧ - الدِّيَاخِيلُونَ : مَرَهْمٌ يَنْفَعُ مِنَ الْجَرَاحَاتِ وَيَحُلُّ السَّلْعَ وَالصَّلَابَاتِ، وَيَتَكُونُ مِنْ نَسَبٍ مَعْلُومَةٍ مِنْ لَعَابِ بَزْرِ الْكَتَّانِ وَبَزْرِ مَرٍ وَبَزْرِ الْخَطْمِيِّ وَحَلْبَةِ وَمَرْدَاسَنَجٍ . انظر: أَبُو الْمُنَى بْنُ أَبِي النَّصْرِ مَنَهَاجُ الدُّكَّانِ ص ٢١٥هـ، وَمَقَالُ : عَبْدُ النَّاصِرِ كَعْدَانِ الْأَدْوِيَّةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا

الزُّهْرَاوِيُّ فِي الْجَرَاحَةِ . فِي مَوْقِعِ : <http://www.ishim.net> ankaadan 6 surgicalDrugsZahrawi htm

فَأَجَابَهُ أَبُو الْفَضْلِ بِقَوْلِهِ^(١): [لمجتث]

فِي الْمَجْدِ شَتَّى الْفُئُونِ

يَا أَخِيذًا بِالْيَمِينِ

سَبِّ وَالْقَرَابِازِينَ^(٢)

سَلَّمَ لِعِلْمِي فِي الطَّبِّ

خُرَاجُ^(٣) بِالتَّالِيَيْنِ

لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَاوَى الـ

أَخْلَاطِ بِالتَّسْكِينِ [

حَتَّى يَقُومَ رَدْعُ الـ

يُغْزَى إِلَى الزَّرْجُونِ^(٤)؛

وَقَدْ بَعَثْتُ شَرَابًا

مَشْرُوبِ الْأَفْسِنِينِ^(٥)

يُغْنِي إِذَا ذُقْتَهُ عَنْ

فَلَمْ تَظْهَرْ هُوبَةُ الْيَهُودِ بِهَا، بَلْ ظَهَرَتْ مَعْرِفَةُ دَقِيقَةِ الطَّبِّ وَبِالْعِلَاجِ، كَمَا يُلَاحَظُ طُغْيَانُ الْمُصْطَلَحَاتِ الطَّبِّيَّةِ عَلَى الْفَافِظِ الْأَبْنِيَّاتِ، فَلَمْ تَظْهَرْ بِالْأَبْنِيَّاتِ الْمَقْدَرَةُ الشَّعْرِيَّةُ بِقَدَرِ مَا كَانَتْ تُعْرِضُ حَاجَةً أُخْوِيَّةً.

٢- أَثَرُ الْيَهُودِ فِي مَرَاثِلَاتِ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ

ظَهَرَ رَأْيُ الْأَنْدَلُسِيِّينَ فِي الْيَهُودِ فِي الْمَرَاثِلَاتِ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَفِي رَدِّ لَأَبِي الْوَلِيدِ ابْنِ زَيْدُونَ عَلَى رِسَالَةٍ بَعَثَهَا لَهُ الْمُعْتَصِدُ، يَقُولُ شَاكِرًا^(٦): [مجزوء لكامل]

إِنْ شَاءَكَ الْأَمَلُ الْبَعِيدُ

هَلْ يَشْكُرَنَّ "أَبُو الْوَلِيدُ"

لِلدَّهْرِ أَسْهَرَتْ الْحُسُودُ

أَوْ أَنْ تُسَوِّغَ نِعَمَةً

تَرْضِيكَ فَهُوَ مِنَ الْيَهُودِ

إِنْ لَمْ يَدِنْ بِنَصْرِ يَحْيَى

تَضْجِي السُّعُودُ لَهَا جُنُودُ

لَا زِلْتَ رَافِعَ رَايَةٍ

^١ - ابن بسام الدخيرة ق ٣، م ١/٤٨٦ - ٤٨٧ .

^٢ - القراباذين: الأدوية المركبة .

^٣ - الخُرَاجُ مَا يَخْرُجُ فِي الْبَدَنِ مِنَ الْقُرُوحِ .

^٤ - الزَّرْجُونُ : الْحَمْرُ، وَهُوَ فَارِسِي مَعْرَب .

^٥ - الْأَفْسِنِينِ (Absinthe) وَيَسْمَى كَذَلِكَ شَبِيَّةُ الْعُجُوزِ وَالشَّيْخِ الرَّومِي، وَقَدْ أَطْنَبَتِ الْكُتُبُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ الشَّرَابِ الَّذِي يُصْنَعُ مِنْهُ.

انظر: أبو المنى بن أبي النصر منهاج الدُّكَّانِ ص ٦٣، ٣٨٥؛ موسى ابن عبيد الله الإسرائيلي

القرطبي شرح أسماء العقار ص ٤، ٦٢-٦٣؛ ابن سينا القانون في الطب ص ٨٧-٩٠، ٢٨٤؛ مفردات النباتات الطَّبِّيَّةِ وَطُرُقُ الْمُعَالَجَةِ بِهَا ص ٣٨-٤٠؛ تَحْفَةُ الْأَخْبَابِ ص ٤؛ وديع جبر مُعْجَمُ النَّبَاتَاتِ الطَّبِّيَّةِ ص ٤٤ .

^٦ - ابن زَيْدُونَ دِيوَانُهُ وَرِسَالَتُهُ ص ٢٢٣ .

يُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنَّ الْيَهُودَ لَا يَسْتَمِعُونَ النَّصِيحَةَ، أَوْ أَنَّهُمْ لَا يَتَصَحَّحُونَ غَيْرَهُمْ أَبَدًا، وَفِي هَذِهِ وَتِلْكَ سُخْرِيَّةٌ وَتَعْرِيطٌ بِهِمْ. فَإِنْ كَانَتْ "يَدْنُ" بِمَعْنَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ^(١) يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ الْيَهُودَ لَا يَتَّخِذُونَ بِالنَّصَائِحِ الْمُقَدَّمَةِ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ "يَدْنُ" بِمَعْنَى يَقُومُ بِإِسْدَاءِ النَّصِيحِ وَالْمُجَازَاةِ وَالْمُكَافَأَةِ^(٢)، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ الْيَهُودَ لَا يَقُومُونَ بِنَصِيحِ غَيْرِهِمْ، وَعَلَى كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَوَتْ الْأَبْيَاتُ اسْتِهْزَاءً بِالْيَهُودِ عَامَّةً فِي الْأَنْدَلُسِ لِأَنَّهُمْ يَزْعَمُ الشَّاعِرُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ.

وَفِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ الْقَيْسِيِّ إِلَى صَدِيقٍ لَمْ يُسَمِّهِ^(٣)، قَالَ^(٤): [لطويل]
تَجَاوَرُ قَوْمًا مَا نَرَى مِنْهُمْ سِوَى مُعَرِّى عَنِ الْخَيْرَاتِ بِالشَّرِّ مَوْسُومٍ
عَدِيمٍ مِنَ التَّقْوَى مَلِيٍّ مِنَ الْخَنَى^(٥) لَدَى الْحِسِّ مَوْجُودٌ وَلَكِنْ كَمَعْدُومٍ
أَنَاسٌ وَلَكِنْ بِالْبَهَائِمِ الْحَقُّوَا لَوْصَفَيْنِ مَنْطُوقٍ ذَمِيمٍ وَمَفْهُومٍ
تُدَارِيهِمْ تَبْغِي بِذَلِكَ رِضَاهُمْ وَهَيْهَاتَ يَرْضَى بِالْمُدَارَاةِ ذُو اللُّومِ
ثُمَّ فَصَّلَ الْقَوْلَ عَنْ خَالِهِ السَّيِّئِ وَسَطَّ قَوْمٌ تَهَاوَنُوا بِالْإِمَامَةِ الْيَهُودُ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، قَالَ^(٦): [لطويل]
وَإِنَّ أَنَاسًا بِالْإِمَامِ تَهَاوَنُوا لِأَفْضَلُ مِنْهُمْ فِي الْيَهُودِ وَفِي الرُّومِ
فَدَعُ دَارَهُمْ مِثْلَ الْإِمَامَةِ عِنْدَهُمْ فَمَا إِنْ تَرَى بِالسُّوءِ بَعْدُ بِمَأْمُومٍ
وَرَخْلَكَ حَوْلَ عَنْهُمْ نَحْوَ غَيْرِهِمْ عَلَى عَجَلٍ تَطْفُرُ بِجُودٍ وَتُكْرِمُ
فَمَعَ أَنَّهُ يُفْضَلُ بَعْضُ الْيَهُودِ وَالرُّومِ عَلَيْهِمْ، إِلَّا أَنَّ الْكَلَامَ بِهِ هِجَاءٌ مَرُّ لَهُمْ وَلِلْيَهُودِ وَلِلرُّومِ.
وَفِي هَذَا الْبَابِ جَاءَتْ بَعْضُ الْأَشْعَارِ الَّتِي عَارَضَ فِيهَا الْعَرَبُ شِعْرَ الْيَهُودِ وَالْعَكْسُ، وَسَأَتَحَدَّثُ عَنْهَا فِي الْكَلَامِ عَنْ دَوْرِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسَدَايَ فِي الْمُعَارَضَاتِ.

الثاني : فِي الشِّعْرِ الْمُتَحَدَّثِ عَنِ الْفِتَنِ

كَانَ لِلْيَهُودِ دَوْرٌ وَاضِحٌ فِي الْأَشْعَارِ الَّتِي أَشْعَلَتْ الْفِتْنَ وَسَبَّبَتْ الْمَذَابِحَ، أَوِ الَّتِي قِيلَتْ عَنْهَا. فَفِيمَا يُرَوَّى عَنِ الْوَزِيرِ ابْنِ عَمَّارٍ أَنَّهُ كَانَ ضَدَّ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٧)، وَأَنَّهُ تَوَلَّعَ بِإِنْتِقَاصِهِ، وَخَاطَبَ أَهْلَ بَلَنْسِيَّةَ يُغْرِبُهُمْ بِهِ وَيَحْضُّهُمْ عَلَى الْقِيَامِ عَلَيْهِ، فَأَحْدَثَتْ نَفْسُ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَهُ عَلَيْهِ

^١ - يَدْنُ: يَنْقُذُ، يُطْعِمُ.

^٢ - يَدْنُ: يَجْزِي أَوْ يُكَافِي.

^٣ - فِي حَاشِيَةِ الدِّيَوَانِ أَنَّهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَالِكِ الْأَلْبِيرِيِّ.

^٤ - عَبْدُ الْكَرِيمِ الْقَيْسِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ دِيْوَانُهُ ص ٣٣٦.

^٥ - الْخَنَى: الْفُحْشُ فِي الْقَوْلِ.

^٦ - عَبْدُ الْكَرِيمِ الْقَيْسِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ دِيْوَانُهُ ص ٣٣٨.

^٧ - هُوَ الْكَاتِبُ: أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، مَدِيرُ أَمْرِ بَلَنْسِيَّةَ، زَوْجُ ابْنَتِهِ لِلْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ ابْنِ الْمُؤْتَمِنِ، كَانَ عَلَى خِلَافِ مَعَ الْمُعْتَمَدِ بْنِ عُبَادٍ. انْظُرْ: ابْنُ الْأَثَرِ الْخُلَّةَ السَّيْرَاءَ ١١٩/٢ - ١٢٤؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٣٤/٢.

مَكِيدَةً، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَسَّ إِلَى مُرْسِيَّة نَبِيلاً مِنْ يَهُودِ الشَّرْقِ لَابَسَ ابْنَ عَمَّارٍ حَتَّى اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ، وَأَحْلَهُ مَحَلَّ
الرَّوَايَةِ لِأَشْعَارِهِ، فَحَصَلَ هَذَا الْيَهُودِيُّ عَلَى قَصِيدَةٍ فِيهَا هِجَاءٌ لِلْمُعْتَمِدِ، وَطَارَ بِهَا الْيَهُودِيُّ إِلَى ابْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ، فَطَيَّرَهَا الْأَخِيرُ مُدْرَجَةً فِي طَيِّ كِتَابٍ إِلَى الْمُعْتَمِدِ، فَكَانَتْ الشَّرَارَةُ الْوَاضِحَةُ الَّتِي أَشْعَلَتْ ثَوْرَةَ
الْمُعْتَمِدِ عَلَى صَدِيقِهِ ابْنِ عَمَّارٍ فَاسْتَدْرَجَهُ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ^(١).

وَكَانَتْ نُونِيَّةُ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ (ت: ٤٥٩هـ) الَّتِي بَلَغَتْ وَاحِدًا وَسِتِّينَ بَيْتًا دَعْوَةً صَرِيحَةً لِذَبْحِ يَهُودِ
غَرْنَاتَةَ، وَتَتَّفِقُ الْمَصَادِرُ عَلَى أَنَّ الْإِلْبِيرِيَّ قَالَهَا فِي ابْنِ نَغْرِيْلَةَ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ، وَفِي "الْمَغْرِبِ" أَنَّهُ كَانَ
يُنْكِرُ عَلَى مَلِكِهَا بَادِيَسَ أَنَّهُ اسْتَوَزَرَ الْيَهُودِيَّ، فَقَفَاهُ بَادِيَسُ إِلَى الْعُقَابِ بِالْبِيرَةِ، فَقَالَ قَصِيدَتُهُ، فَاشْتَهَرَتْ
وَنَارَتْ صِنَهَاجَةً عَلَى الْيَهُودِيِّ فَقَتَلُوهُ^(٢). وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ^(٣)، فَسَمَّهَا فُوزِي عَيْسَى إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ
يَسْتَنْثِيرُ قِبَائِلَ صِنَهَاجَةٍ وَيَحْفَظُهُمْ لِتَذَارُكِ هَذِهِ السَّقَطَةِ الشَّنِيعَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا بَادِيَسُ حِينَ اسْتَوَزَرَ
يَهُودِيًّا، وَالْقِسْمُ الثَّانِي يَسْتَنْثِيرُ حَمِيَّةَ بَادِيَسَ وَيُهَيِّجُ مَشَاعِرَهُ لِلْعُصْبِ عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ بَغَضُوهُ إِلَى النَّاسِ
وَهَدَمُوا مَا شَيْدَ، وَالثَّلَاثُ يُشِيرُ إِلَى وَقَعِ غَرْنَاتَةَ الْأَلِيمِ بَعْدَ أَنْ اسْتَحَالَتْ إِلَى بَيْتَةِ يَهُودِيَّةٍ، تَمَيَّزَ الْيَهُودُ بِهَا
بِالْثَّرَاءِ وَالتَّرَفِ، وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ دَعْوَةٌ صَرِيحَةٌ إِلَى بَادِيَسَ وَالصَّنَهَاجِيِّينَ لِلتَّنَكُّلِ بِابْنِ نَغْرِيْلَةَ وَرَهْطِهِ^(٤).

وَيُمْكِنُ إِثْبَاتُ عِدَّةٍ مُمْلَحَاتٍ حَوْلَ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ مِنْ قِرَاءَةِ أَيْبَاتِهَا؛ فَالْقَصِيدَةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ حَالَةَ
ابْنِ نَغْرِيْلَةَ لَمْ تَكُنْ حَالَةً عَامَّةً، وَلَمْ تَتَكَرَّرْ عِنْدَ غَيْرِهِ، فَقَالَ الْإِلْبِيرِيُّ فِيهَا^(٥): [لَمْتَقَارِب]

تَأْمَلْ بَعَيْنَيْكَ أَفْطَارَهَا وَكَيْفَ انْقَرَدَتْ بِتَقَرِّيهِمْ
تَجِدُهُمْ كِلَابًا بِهَا خَاسِئِينَ وَهُمْ فِي الْبِلَادِ مِنَ الْمُبْعَدِينَ

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ يُؤَكِّدَانِ أَنَّ بَادِيَسَ انْقَرَدَ بِتَقَرِّيهِمْ بَيْنَمَا الْعَادَةُ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُبْعَدِينَ عَنْ مَرَكَزِ الْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ
فِي الْبِلَادِ كَافَّةً، وَأَنَّ الْمَكَانَةَ الَّتِي حَصَلَ عَلَيْهَا هَذَا الْوَزِيرُ كَانَتْ فَوْقَ مَا تَمَنَّى يَهُودُ الْأَنْدَلُسِ، وَبِمَكَاتِهِ تِلْكَ
ارْتَفَعَ الْيَهُودُ كَثِيرًا، فَقَالَ الْإِلْبِيرِيُّ^(٦): [لَمْتَقَارِب]

فَعَزَّ الْيَهُودُ بِهِ وَانْتَحَوْا^(٧) وَتَاهُوا وَكَانُوا مِنَ الْأَرْدَلِينَ
وَنَالُوا مِنْهُمْ وَجَازُوا الْمَدَى فَحَانَ الْهَلَاكُ وَمَا يَشْعُرُونَ

وَفِي الْأَبْيَاتِ ذِكْرٌ وَاضِحٌ لِبَقَاءِ هَذَا الْوَزِيرِ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْلَمْ، فَبَيْهَا^(٨): [لَمْتَقَارِب]
تَحْيَرُ كَاتِبُهُ كَافِرًا وَلَوْ شَاءَ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وَبِهَذَا تَأْكِيدٌ عَلَى أَنَّ يَهُودِيَّتَهُ كَانَتْ سَبَبَ الْمَشْكَلَةِ فَلَمْ يَرِدْ فِيهَا تَعْدَادٌ لِأَفْعَالٍ لَهُ كَانَتْ سَبَبًا لِلثَّوْرَةِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ
يَضْحَكُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ دِينِهِمْ^(٩) فَقَالَ الْإِلْبِيرِيُّ فِيهِ^(١٠): [لَمْتَقَارِب]
وَيَضْحَكُ مِنَّا وَمِنْ دِينِنَا فَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاجِعُونَ

وَأُظْهِرَتْ الْقَصِيدَةُ وَصْفًا عَامًّا لِحَالِ الْيَهُودِ فِي غَرْنَاتَةَ، مِثْلَهُ الْإِلْبِيرِيُّ بِقَوْلِهِ^(١١): [لَمْتَقَارِب]

١ - انظر: ابن بسام الذخيرة ٢/م ٤١٥/١ [الحاشية]؛ ابن الأبار الخلة السيرة ٢/١٥٧-١٥٨؛ ابن خاقان قلائد العفيان ٢/ج ١٨٤-١٨٥.

٢ - انظر: ابن سعييد المغرب ٢/١٣٢-١٣٣.

٣ - القصيدة مثبتة في ملاحق البحث.

٤ - انظر: فوزي سعد عيسى الهجاء في الأدب الأندلسي ص ٨٦.

٥ - أبو إسحاق الإلبيري ديوانه ص ٩١؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٣٢.

٦ - أبو إسحاق الإلبيري ديوانه ص ٨٩؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٣١؛ المقرئ تفتح الطيب ٦/٩٤.

٧ - انتحوا: افتخروا وتعظموا. ابن منظور لسان العرب [نخا] ١٥/٣١٣.

٨ - أبو إسحاق الإلبيري ديوانه ص ٨٩؛ ابن سعييد المغرب ٢/١٣٣؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٣١؛ البيت الأول في المقرئ تفتح الطيب ٦/٩٤.

٩ - قيل إن سبب الثورة عليه أنه أقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يُعنى بها. انظر: ابن سعييد المغرب ٢/١١٤.

١٠ - أبو إسحاق الإلبيري ديوانه ص ٩١؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٣٢.

وَإِنِّي اخْتَلَلْتُ بِعَرْنَاطَةٍ
وَقَدْ قَسَّمُوهَا وَأَعْمَالَهَا
وَهُمْ يَقْبِضُونَ جَبَائِلَهَا^(٢)
وَهُمْ يَلْبَسُونَ رَفِيعَ الْكَسَا
وَهُمْ أَمَنَّاكُمْ عَلَى سِرِّكُمْ
وَكَيْفَ يَكُونُ خَوْفٌ أَمِينٌ؟
فَكُنْتُ أَرَاهُمْ بِهَا عَابِثِينَ
فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِينٌ
وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَقْضِمُونَ
وَأَنْتُمْ لَا وَضَعَهَا لَا يَسُونُ
وَكَيْفَ يَكُونُ خَوْفٌ أَمِينٌ؟

وَمَعَ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ لِجَمَاعَةِ الْيَهُودِ، لَكِنْ لَا بُدَّ أَنَّهُ تَرَكَّزَ عَلَى ابْنِ نَغْرِيلَةَ، وَهَذَا الْكَلَامُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ عَنِ الْيَهُودِ يَدُلُّ عَلَى كَثَرَتِهِمْ فِي عَرْنَاطَةٍ، كَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْنَ نَغْرِيلَةَ لَمْ يَصِلْ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَخَذَهُ، وَقَدْ يَكُونُ هُوَ سَبَبًا فِي تَمْكِينِ غَيْرِهِ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ أَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ فِي دَائِرَتِهِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ "مِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِينٌ"، فَبَدَّوْا بِعَرْنَاطَةٍ كَأَنَّهُمْ "قَسَّمُوهَا وَأَعْمَالَهَا" فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَارْتَفَعُوا كَثِيرًا وَحَازُوا فَوْقَ مَا تَمَنَّوْا بِقُرْبِهِمْ مِنَ السُّلْطَةِ، وَتَوَلَّيَهُمْ مَنَاصِبَ مَرْمُوقَةٍ، بَيْنَمَا "يُقْصَى" الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْفِهِ الْأَسْبَابِ، فَعَاشَ الْمُسْلِمُونَ بِحَالٍ مُخَالَفٍ تَمَامًا، اخْتَصَرَهُ الْإِنْبِيرِيُّ بِقَوْلِهِ^(٣): [لَمْتَقَارِب]

وَيَأْكُلُ غَيْرُهُمْ دِرْهَمًا
وَقَدْ لَا يَسُوكُمْ بِأَسْحَارِهِمْ^(٤)
وَهُمْ يَذْبَحُونَ بِأَسْوَاقِهَا
فَيُقْصَى، وَيُذْنُونَ إِذْ يَأْكُلُونَ
فَمَا تَسْمَعُونَ وَلَا تُبْصِرُونَ
وَأَنْتُمْ لَا طَرَفَ لَهَا^(٥) أَكْلُونَ

ثُمَّ انْتَقَلَ الْإِنْبِيرِيُّ لِيُوصِفَ الْمُسْتَوَى الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ هَذَا الْيَهُودِيُّ، فَقَالَ^(٦): [لَمْتَقَارِب]
وَرَخَّخَ قِرْدُهُمْ دَارَهُ
فَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ
وَأَجْرَى إِلَيْهَا تَمِيرَ الْعُيُونِ
وَتَحَنُّ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ

وَبَعْدَ أَنْ رَسَمَ الشَّاعِرُ خُطُوطَ هَذِهِ الصُّورَةِ الْقَائِمَةِ لِحَالِ الْمُسْلِمِينَ بِعَرْنَاطَةٍ بِسَبَبِ الْيَهُودِيِّ وَجَمَاعَتِهِ اكْتَمَلَتْ التَّهْيِئَةُ النَّفْسِيَّةُ لِلْقَارِي حَتَّى يَسْتَقْبِلَ دَعْوَةَ الْإِنْبِيرِيِّ الْجَرِيئَةِ^(٧): [لَمْتَقَارِب]

فَبَادِرْ إِلَى ذَنْبِهِ قُرْبَةً
وَلَا تَرْفَعْ الضَّغْطَ عَنْ رَهْطِهِ
وَفَرِّقْ عِدَاهُمْ وَخُذْ مَالَهُمْ
وَضَحَّ بِهِ فَهُوَ كَبَشْرٍ سَمِينٍ
فَقَدْ كَنَزُوا كُلَّ عِلْقٍ ثَمِينٍ
فَأَنْتَ أَحَقُّ بِمَا يَجْمَعُونَ

وَحَتَّى لَا يَتَوَانَى السَّامِعُ، وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُ بِالِإِثْمِ لِقَتْلِهِ أَهْلَ الذِّمَّةِ، أَتَى الْإِنْبِيرِيُّ بِمُبَرَّرَاتٍ لِإِزَالَةِ أَيِّ حَرَجٍ مِنْ مَسْأَلَةِ قَتْلِهِمْ، فَقَدْ نَكَلُوا عَنْهُمْ، فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ، بَلِ الْخِيَانَةُ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ؛ فَقَالَ^(٨): [لَمْتَقَارِب]

وَلَا تَحْسِبَنَّ قَتْلَهُمْ عُدْرَةً
وَقَدْ نَكَلُوا عَنْهُمْ عِنْدَهُمْ
وَكَيْفَ تَكُونُ لَهُمْ ذِمَّةٌ
بَلِ الْعُدْرُ فِي تَرْكِهِمْ يَغْبَثُونَ
فَكَيْفَ تُلَامُ عَلَى النَّاكِثِينَ
وَتَحْنُ خُمُولٌ وَهُمْ ظَاهِرُونَ

١ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٢ - جِبَايَةُ الْخِرَاجِ: جَمْعُهُ وَتَحْصِيلُهُ .

٣ - أَبُو إِسْحَاقَ الْإِنْبِيرِيُّ دِيوَانُهُ ص ٩٠ ؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣١ .

٤ - لَا يَسُوكُمْ: مِنَ النَّبَسِ بِي أَيِ خَوْلَطْتُ فِي عَقْلِي، أَوْ مِنْ لَا يَسُ بِمَعْنَى عَرَفَ بَاطِنَهُ . ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [لَبَسَ] ٢٠٤/٦ .
بِإِسْحَارِهِمْ يَكْسِرُ الْهَمْزَةَ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا بِعَمَلِهِمُ السُّخْرَ .

٥ - لِإِطْرَافِهِمْ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ، وَالْإِطْرَافُ قَدْ تَكُونُ مِنَ الطَّرِيفِ: ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ . ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [طَرَفَ] ٢٢٠/٩ .

٦ - أَبُو إِسْحَاقَ الْإِنْبِيرِيُّ دِيوَانُهُ ص ٩١ ؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣٢ .

٧ - أَبُو إِسْحَاقَ الْإِنْبِيرِيُّ دِيوَانُهُ ص ٩١ ؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣٢ .

٨ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَاتُ نَفْسُهَا .

وَنَحْنُ الْأَذَلَّةُ مِنْ بَيْنِهِمْ كَاتِبَا أَسَانَا وَهُمْ مُحْسِنُونَ

وَلَا يَبْدُو أَنَّ بَادِيسَ تَأَثَّرَ بِهَذَا التَّحْذِيرِ فِي مُعْظَمِ الرِّوَايَاتِ سِوَى رِوَايَةِ الرَّاعِي (ت: ٨٥٣هـ) ^(١) وَسَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهَا ^(٢)، إِلَّا أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ كَمَا يَرَى هِنْرِي بِيرِسَ كَهْرَبَ عَزَائِمِ الْخَائِفِينَ، وَأَيَّقَطَ خُمُودَ الْعَافِلِينَ، وَأَنَارَ حَرَكَةَ شَعْبِيَّةَ مَحَتَّ خِلَالِ سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ سُلْطَةً كَانَتْ بِالْعَةِ الْخَوَارِ، وَظَهَرَتْ رَدَّةُ الْفِعْلِ، وَكَانَ الرَّدُّ عَنِيفًا، لَكِنْ أَخْطَأَ هِنْرِي بِيرِسَ بِزَعْمِهِ أَنَّ عُنْفَ الرَّدِّ بِسَبَبِ مَا أُشِيعَ مِنْ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَتَوَوَّنُونَ إِقَامَةَ مَمْلَكَةٍ يَهُودِيَّةٍ ^(٣)؛ فَالرِّوَايَاتُ لِلْحَادِثَةِ لَمْ تَذْكُرْ هَذَا الْادِّعَاءَ بِاسْتِثْنَاءِ ابْنِ عِدَارِي ^(٤)، وَرَكَزَتْ مُعْظَمُهَا عَلَى مَوَاطَرَتِهِ مَعَ ابْنِ صُمَادِحَ لِتَمْكِينِهِ مِنْ دُخُولِ بَغْرَنَاطَةِ ^(٥). وَأَكَّدَ هِنْرِي بِيرِسَ أَنَّ نَقْمَةَ الْعَامَّةِ وَتَوَرَّتَ هُمْ لَمْ تَكُنْ ضِدَّ الْيَهُودِ فَقَدْ "انْتَهَتْ الثَّوْرَةُ بِانْتِهَاءِ يَوْسُفَ وَلَمْ تَمْتَدَّ إِلَى الْيَوْمِ

١ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَنْدَلُسِيِّ الْبَغْرَنَاطِيِّ الرَّاعِي (٧٨٢-٨٥٣ هـ) نَشَأَ بِبَغْرَنَاطَةِ وَتَعَلَّمَ فِيهَا الْفِقْهَ وَالْأَصُولَ وَالْعَرَبِيَّةَ وَمَهَرَ فِيهَا، رَحَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٨٢٥ هـ، وَانْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ لَا سِيَّمَا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ حَادِ الْلِسَانِ وَالْخَلْقِ. انْظُرْ: الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٤٣٢/٣ - ٤٣٦؛ ابْنُ عِمَادٍ الْحَنْبَلِيُّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٧٩/٤.

٢ - يَقُولُ الرَّاعِي إِنَّ بَادِيسَ قَرَأَ الْقَصِيدَةَ وَسَأَلَ عَنْ خَبَرِهَا فَأُعْلِمَ بِالْقَضِيَّةِ، فَأَمَرَ بِدَبْحِهِ، فَطُلِبَ، فَوُجِدَ فِي الْحَمَامِ مَشْدُوحَ الرَّأْسِ قَتِيلًا. انْظُرْ: الرَّاعِي الْمُفْتَعُ السَّهْلُ فِي تَرْجِمَةِ وَشَعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوْلِيَّاتُ الْجَامِعَةِ التُّونُسِيَّةِ، ع ٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٢ - ٤٤.

٣ - انْظُرْ: هِنْرِي بِيرِسُ الشَّعْرَ الْأَنْدَلُسِيَّ فِي عَصْرِ الطُّوَانِفِ ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

٤ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكُشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٢٦٥/٣ - ٢٦٦.

٥ - وَالْمَرَاجِعُ الْحَدِيثَةُ مُعْظَمُهَا تَرْكُزُ عَلَى أَنَّ السَّبَبَ تَامَرَهُ مَعَ ابْنِ صُمَادِحَ انْظُرْ: مُحَمَّدُ ابْنُ الْخُوجَةِ يَهُودُ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ ص ٢٨.

التَّالِي، لَأَنَّ الْبَرْبَرَ كَانُوا بِاخْتِصَارٍ يَكْرَهُونَهُ وَحَدَهُ، أَمَّا الْيَهُودُ فَوَاصَلُوا حَيَاتَهُمْ كَمَا كَانُوا يَعْيشُونَ قَبْلًا فِي مُقَاطَعَةِ عَرْنَاطَةَ دُونَ أَنْ يَبْحَثُوا فِيَمَا تَلَا ذَلِكَ عَنْ مَنَاصِبَ ذَاتِ مَكَانَةٍ عَالِيَةٍ" (١). وفي هَذَا الْكَلَامِ مِنْ بِيرِسِ نَفْسِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ طُمُوحَاتِ الْوَزِيرِ وَتَأْمَرُهُ هُوَ سَبَبُ الثَّوْرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ طُمُوحٌ وَلَا أَمَلٌ بِإِقَامَةِ دَوْلَةٍ يَهُودِيَّةٍ بَلْ كَانُوا خَائِفِينَ مِنْ تَغْيِيرِ بَادِيَسَ عَنْهُمْ فَبَحَثُوا عَنْ بَدِيلٍ سِيَاسِيٍّ، فَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ نِيَّةٌ لِإِقَامَةِ دَوْلَةٍ مَا أَبَقَتِ الْعَامَّةُ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا بَادَتْهُمْ مِنْ عَرْنَاطَةَ أَوْ أَجَلَتْهُمْ عَنْهَا بَلَا هَوَادَةٍ فِي حِمِيَّةِ ثَوَرَتِهِمْ. وَتَمَّ لِلشَّاعِرِ مَا أَرَادَ وَفَهَمَتْ صِنْهَاجَةُ الْإِشَارَةِ وَتَارَتْ، وَزَحَفُوا عَلَى دَارِ ابْنِ تَغْرِيْلَةَ "فَافْتَحْمُوهَا، وَأَنْتَهَبُوهَا، وَأَخْفَى الْيَهُودِيُّ نَفْسَهُ فِي بَيْتٍ مَلَانٍ فَحْمًا، وَسَوَّدَ بِهِ وَجْهَهُ وَتَنَكَّرَ، فَأَخْرَجُوهُ، وَقَتَّلُوهُ، وَصَلَبُوهُ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، وَقُتِلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَلْفٌ مِنَ الْيَهُودِ" (٢). وَكَانَتْ قَصِيدَةُ الْإِلْبِيرِيِّ السَّبَبَ الْمُبَاشِرَ لِلثَّوْرَةِ، حَيْثُ قَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ إِنَّ مَهْلِكَ الْيَهُودِيِّ كَانَ بِسَبَبِ شِعْرِ حُفَظَ عَنْهُ، يُحَرِّضُ صِنْهَاجَةَ عَلَيْهِ (٣).

فَلَمْ تَكُنِ الْقَصِيدَةُ نَظْمًا عَادِيًّا، بَلْ كَانَتْ، كَمَا يَرَى سَلْمَانُ الْخَطَّابُ صَحِيفَةً الْمُعَارَضَةِ الَّتِي أَبْرَزَتْ جَوَانِبَ الشُّعْرَاتِ فِي هَيْكَلِ دَوْلَةِ بَادِيَسَ (٤) وَرَأَى إِمِيلُو عَرَسِيهِ غُومِثُ أَنَّ الْقَصِيدَةَ تَسْتَحِقُّ مَا حَظِيَتْ بِهِ مِنْ شُهْرَةٍ، فَقَالَ إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ إِلَّا الْقَلِيلَ النَّادِرَ مِنْ أُبْيَاتِ الشُّعْرِ لَعِبَتْ دَوْرًا سِيَاسِيًّا مُبَاشِرًا فِي التَّارِيخِ السِّيَاسِيِّ لِأُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ، فَكَهَرَبَتْ الْعَرَائِمَ، وَدَفَعَتْ بِهَا فِي سُرْعَةٍ خَاطِئَةٍ إِلَى إِشْعَالِ الْحَرَائِقِ، وَشَحَدَتْ السُّيُوفَ إِلَى الْقَتْلِ، كَالدَّوْرِ الَّذِي لَعِبَتْهُ قَصِيدَةُ الْإِلْبِيرِيِّ هَذِهِ (٥).

وَكَانَتْ الْقَصِيدَةُ مُوجَّهَةً لِاثْنَيْنِ أَهْلِ صِنْهَاجَةَ أَوَّلًا، حَيْثُ بَدَأَهَا الْإِلْبِيرِيُّ بِقَوْلِهِ (٦): [لِمَتَقَارِب]
أَلَا قُلْ لِصِنْهَاجَةَ أَجْمَعِينَ بُدُورِ النَّدِيِّ وَأَسَدِ الْعَرِينِ

وَتَانِيًا بِبَادِيَسَ، فَنَادَى الْإِلْبِيرِيُّ بِبَادِيَسَ بِاسْمِهِ بِقَوْلِهِ (٧): [لِمَتَقَارِب]
أَبَادِيَسُ أَنْتَ أَمْرٌ حَاقِظٌ تُصِيبُ بِظَنِّكَ نَفْسَ الْيَقِينِ

وَتَارَجَحَتْ أُبْيَاتُ الْقَصِيدَةِ فِي الْإِتِّجَاهَيْنِ: بَادِيَسَ وَصِنْهَاجَةَ. وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي صُمِّتَ فِيهِ أَذُنُ بَادِيَسَ عَنِ الْقَصِيدَةِ، اسْتَطَاعَ الصَّنَهَاجِيُّونَ الْبَرْبَرُ أَنْ يَفْهَمُوا هَذَا الشُّعْرَ. وَاعْتَمَدَ الْإِلْبِيرِيُّ عَلَى أَدَوَاتٍ كَثِيرَةٍ كَيْ يُحَقِّقَ الْغَايَةَ مِنْ قَصِيدَتِهِ فَيَرَى الطَّاهِرَ مَكِّيًّا، أَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ الْجُنُودَ، وَهُمْ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ أَصْلًا بِالْحَدِيثِ، مِنْ بَرْبَرَ صِنْهَاجَةَ، وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ جَاءَ إِلَى

١ - هُتْرِي بِيرِسِ الشُّعْرَ الْأَنْدَلُسِي فِي عَصْرِ الطُّوْأَفِ ص ٢٤٧ .

٢ - ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣٤ .

٣ - انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٤٤٠/١ .

٤ - انْظُرْ: سَلْمَانُ الْخَطَّابُ الشُّعْرَ السِّيَاسِي فِي الْأَنْدَلُسِ فِي عَهْدِ الطُّوْأَفِ ص ٦٨ .

٥ - انْظُرْ: إِمِيلُو عَرَسِيهِ غُومِثُ مَعَ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمُنْتَبِي؛ سَيَّرَ وَبَرَسَاتِ ص ٩٧ .

٦ - أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ دِيْوَانُهُ ص ٨٩؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِيُّ ١٣٣/٢؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣١؛ الْمُفْرِي تَفْخِ الطُّيْبِ ٩٣/٦ - ٩٤ .

٧ - أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ دِيْوَانُهُ ص ٩٠؛ ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣٢ .

عَرْنَاطَةٌ مِنْ قَرِيبٍ، لَيْسُوا مُهَيَّيْنِ لِلأَشْعَارِ الرَّقِيقَةِ، وَحَظُّهُمْ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ مُتَوَاضِعٌ، وَكُلُّ نَصِيبِهِمْ مِنَ الْمُعْجَمِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ الْأَلْفَاظِ ذَاتِ الدَّلَالَةِ الدِّينِيَّةِ^(١)، فَاعْتَمَدَ عَلَى هَذِهِ الْأَدَوَاتِ، وَأَضَافَ إِمِيلُو غُومِثُ أَنَّهُ "ابْتَعَدَ عَنِ الْكَلِمَاتِ الْعَامِضَةِ، وَالْبُحُورِ الْمُعَقَّدَةِ، وَعَنِ الرُّمُوزِ الشَّعْرِيَّةِ، وَعَنِ الْأَوْصَافِ وَالْأَقْوَالِ الْمَكْرُورَةِ فِي مَصْنَعِ الشُّعْرَاءِ؛ فَأَخَذَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ أَشَدَّ الْكَلِمَاتِ قُوَّةً وَصَلَابَةً، وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَفْهَمَهَا كُلُّ مُسْلِمٍ قَادِرٍ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَأَنْ يَجْمَعَهَا فِي تَرَكَيبٍ سَهْلَةٍ غَيْرِ مُعَقَّدَةٍ، وَأَنْ يَرْمِي بِهَا فِي مَقَاطِعٍ عَادِيَّةٍ وَمُؤَثَّرَةٍ، كَالْخُطُوبَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي بَحْرِ الْمُتَقَارِبِ، وَالْأَفْكَارِ؟ لَا شَيْءَ أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ ضَرُورِيٌّ، وَالْإِشَارَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ اللَّهِ شَرِيكًا فِيمَا قَدْ يَخْدُثُ"^(٢).

كَمَا بَدَأَ لِلشَّاعِرِ نَفْسٌ طَوِيلٌ فِي الْقَصِيدَةِ، وَهَذِهِ الْإِطَالَةُ دَلَّتْ عَلَى حِرْصِ الشَّاعِرِ عَلَى تَقْلِيلِ الْفِكْرَةِ بَعْدَ قَوْلِهِ لِأَهْمِيَّةِ مَوْضُوعِهَا وَسَيِّطَرَتِهِ عَلَى أَفْكَارِهِ، وَهَذَا النَّفْسُ الطَّوِيلُ بِرَأْيِي كَانَ لَهُ دَوْرٌ بَالِغٌ فِي تَغْذِيَةِ الشُّعُورِ بِالْكَرَاهِيَّةِ لِلْيَهُودِيِّ وَرَهْطِهِ بِالْإِطَالَةِ بِجَانِبِ اسْتِعْمَالِهِ لِلُّغَةِ خَاصَّةً قُرْبِيَّةً، مَأْنُوسَةً اللَّفْظِ، وَاضِحَةً الْمَعْنَى، تَعْتَمِدُ عَلَى الْمُبَاشَرَةِ وَالصَّرَاحَةِ، وَالتَّعْبِيرِ الْوَاقِعِيِّ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى لُجُوءِ الشَّاعِرِ إِلَى الْعِبَارَاتِ الدَّارِجَةِ وَالْأَلْفَاظِ الشَّائِعَةِ، كُلُّ هَذَا جَعَلَ الْقَصِيدَةَ تَبْدُو كَلَامًا قُرْبِيًّا مِنْ النَّثْرِ أَوْ مِنْ كَلَامِ الْخُطْبِ الْمُزْتَجَلَةِ. وَلَمْ يَتَّكِلْ الْإِلْبِيرِيُّ فِي خُطْبِهِ بَلْ عَزَفَ جَيِّدًا عَلَى مَسَاحِرِ الْعَامَّةِ بِأَسْلُوبِهِ السَّهْلِ الْمُبَاشِرِ الَّذِي اقْتَرَبَ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَدْبًا شَعْبِيًّا^(٣).

وَأَصِلُ مِنْ هَذَا إِلَى أَنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ لَهُمْ مَسَاحَةٌ وَاضِحَةٌ فِي حَدِيثِ الْعَامَّةِ، وَكَانَ الْحَدِيثُ عَنْهُمْ مِنْ هَمِّ الْعَامَّةِ، وَبِاعْتِقَادِي أَنَّ قَصِيدَةَ الْإِلْبِيرِيِّ لَوْلَا أَنَّهَا رَافَقَتْ مَذْبَحَةَ لَوَاحِدٍ مِنْ عَلِيَّةِ الْقَوْمِ لَمَا اسْتَهْرَتْ وَمَا وَصَلَتْ إِلَيْنَا. وَتَجَاهَلُ الْمُؤَرِّخِينَ لِلْإِلْبِيرِيِّ وَلِلْقَصِيدَةِ يَقْوَى اعْتِقَادِي هَذَا؛ فَلَمْ أَجِدْ سَبَبًا مَعْقُولًا لِمَصْنُوعِ الْمُؤَرِّخِينَ عَنِ الْإِلْبِيرِيِّ مَثَلًا؛ فَلَا تُوجَدُ لَهُ تَرْجَمَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَادِرِ، كَمَا أَنَّ الْمَصَادِرَ لَمْ تُعْنِ بِالْقَصِيدَةِ فَلَمْ تَرُدْ كَامِلَةً إِلَّا فِي "أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ" وَالْذِيَّانِ، وَالْمَقْرِيٍّ مَثَلًا فِي نَفْحِهِ لَمْ يَذْكُرْ مِنْهَا إِلَّا أَبْيَاتًا خَمْسَةً رُغْمَ قَوْلِهِ إِنَّهَا قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ^(٤).

أَمَّا فِي الدِّرَاسَاتِ الْحَدِيثَةِ فَقَدْ كَانَ ابْنُ نَغْرِيلَةَ وَمَا رَافَقَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ مِنْهَا الْقَصِيدَةُ الدَّاعِيَّةُ إِلَى ذَبْحِهِ مَحْوَرِ دِرَاسَاتٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ؛ فَيُلْخَصُ أَنْخُلُ جُونْتَالْتِ بِالنِّثْيَا دَوَافِعَ الْإِلْبِيرِيِّ لِنَظْمِ قَصِيدَةِ التَّحْرِيطِ ضِدَّ ابْنِ نَغْرِيلَةَ وَالْيَهُودِ بِأَسْبَابِ شَخْصِيَّةٍ بَحْتَةٍ تَتَعَلَّقُ بِالشَّاعِرِ؛ فَقَدْ كَانَ مَغِيظًا لِأَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْ فِي بَلَاطِ عَرْنَاطَةِ الْمَرْكَزِ الَّذِي كَانَ يَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لَهُ، وَزَادَ فِي حُنْقِهِ كَمَا يَرَى بِالنِّثْيَا أَنَّ يُوسُفَ هَذَا أَمَرَ بِنَفْيِهِ مِنْ عَرْنَاطَةِ، فَانْصَرَفَ إِلَى النَّسْكِ وَالزُّهْدِ، وَنَظَّمَ فِي مُعْتَكِفِهِ

١ - انظر: الطاهر مكي دراسات أندلسية؛ في الأدب والتاريخ والفلسفة ص ٧٣-٧٤.

٢ - انظر: الطاهر مكي دراسات أندلسية؛ في الأدب والتاريخ والفلسفة ص ٧٣-٧٤؛ إميلو غزسيه غومث مع شعراء الأندلس والمتنبي؛ سير ودراسات ص ١٠٥-١٠٦.

٣ - انظر أبو إسحاق الإلبيري ديوانه ص ١٢-١٣.

٤ - انظر: المقرئ تفتح الطيب ٩٤/٦.

يَهْجُو يُوسُفَ، وَيُؤَلِّبُ الْمُسْلِمِينَ وَبَادِيسَ عَلَى الْيَهُودِ^(١). وَيَرَى نَافِعَ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ هِجَاءَ الْإِلْبِيرِيِّ مُرْتَبِطٌ بِشَخْصِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ نَفْسِهِ لَا بِعَقِيدَتِهِ، لِأَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْوِزَارَةِ لِكَمَالِ عِلْمِهِ لَا لِدِينِهِ. وَتَارَ النَّاسُ عَلَيْهِ لِتَسْلُطِهِ وَظُلْمِهِ لَا بِسَبَبِ عَقِيدَتِهِ أَوْ دِينِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ يَبْدُو أَنَّ ابْنَ نَغْرِيْلَةَ كَانَ يُمَثِّلُ الْيَهُودَ فِي عَرْنِاطَةٍ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ تَمَثِيلًا صَحِيحًا^(٢).

وَحَصَّصَ أَحْمَدُ مَكِّي فَصْلًا كَامِلًا لِلْحَدِيثِ عَنْ دَوْرِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ فِي مَقْتَلِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ بِعُنْوَانِ "الْقَصِيْدَةُ الَّتِي فَجَّرَتْ ثَوْرَةً"^(٣)، فَلَاخِظَ أَنَّ الْمُؤَرِّخِينَ لَمْ يُشِيرُوا إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ، وَبِخَاصَّةِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ فِي مُذَكِّرَاتِهِ "التَّبَيَّانِ"، فَرُغِمَ أَنَّهُ أَمَدَّنَا بِتَفْصِيْلَاتٍ وَافِيَةٍ عَنِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي رَافَقَتْ مَقْتَلَ هَذَا الْوَزِيرِ إِلَّا أَنَّهُ التَّزَمَ الصَّمْتَ إِزَاءَ أَبِي إِسْحَاقَ^(٤).

وَبَحَثَ إِحْسَانُ عَبَّاسَ عَنْ دَوْرِ ابْنِ حَزْمٍ كَذَلِكَ فِي التَّخْرِيصِ عَلَى مَقْتَلِ الْوَزِيرِ؛ فَرَأَى أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي صَدَرَ عَنْ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ كَانَ أَسَاسَ الثَّوْرَةِ عَلَيْهِ بِالإِضَافَةِ إِلَى إِسَاءَاتِهِ الْآخَرَى^(٥).

الثَّالِثُ: فِي الْمَوْشَحَاتِ وَالْأَزْجَالِ

لَمْ يَظْهَرْ أَثَرٌ كَبِيرٌ لِلْيَهُودِ فِي الْمَوْشَحَاتِ وَالْأَزْجَالِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، بَلْ جَاءَ عَابِرًا وَمُتَفَرِّقًا فِيهَا؛ فَالْأَزْجَالُ ابْنُ قُرْمَانَ يَقْتَبِسُ مِنْ "الثَّوْرَةِ" أَحْيَانًا وَيُصَرِّحُ بِلَفْظِهَا بِقَوْلِهِ^(٦):

فَإِنَّ مَكْتُوبَ هُ فِي الثَّوْرَةِ أَطْلَبُ تَجِدُ

وَلَمْ يَسْتَغْرِبْ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْأَهْوَانِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ "الثَّوْرَةِ" بَلْ رَأَاهُ أَخْذًا مُبَاشِرًا مِنْ الْبَيْتَةِ الَّتِي كَانَتْ "الثَّوْرَةُ" فِي بُيُوتٍ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِهَا^(٧)، وَبِهَذَا الْإِسْتِشْهَادِ مِنْ "الثَّوْرَةِ" فِي الْأَدَبِ الشَّعْبِيِّ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا كَانَتْ مُصَدَّرًا لِلْمَعْلُومَاتِ عِنْدَ الْعَامَّةِ. وَآتَى ذِكْرُ لِلْيَهُودِ مَعَ النَّصَارَى حِينَ تَزَوَّجَ ابْنُ قُرْمَانَ وَضَاقَ بِالزَّوْاجِ وَبِالْمَرَاةِ، وَهَرَبَ إِلَى مَجَالِسِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ خَارِجَ الْبَيْتِ، يُصَاحِبُهُ عَوْدُ النَّصَارَى أَوْ الْيَهُودِ^(٨)، فَذُكِرُوا فِي مَجَالِسِ اللّهُوِّ مَعَ النَّصَارَى.

١ - انظر: أنخل جُنَّالِت بالنبيا تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٠٨ .

٢ - انظر: نافع عبد الله الهجاء في الشعر العربي الأندلسي ص ١٠٣ .

٣ - انظر: الطاهر مَكِّي دراسات أندلسية؛ في الأدب والتاريخ والفلسفة ص ٧٦-٥٠ .

٤ - انظر: نفسه ص ٧٦ .

٥ - انظر: ابن حزم رسائله ؛ رسالة في الرد على ابن نغريلة اليهودي ١٩/٣ .

٦ - ابن قُرْمَانَ ديوانه زجل رقم ٦٠ .

٧ - انظر: عبد العزيز الأهواني الرجل في الأندلس ص ١٩١ .

٨ - قَالَ : أَنَا تَابِبٌ يَا لِسَ ثَقُولِ بِزَوَاجٍ وَلَا جَلْوٍ وَلَا عَرُوسَ بَنَاجٍ

وَالْمَبِيتُ بَرًّا وَالطَّعَامُ وَالشَّرَابُ

مَنْ يُسَمِّيهِ تَخَذُ إِلَيْهِ الْعُودُ

لَا رِيَاسَةَ غَيْرَ اللَّعْبِ بِالزُّجَاجِ

شَعَفَ كَانَتْ وَيَا بَعْدَ لِسَ ثَعُودُ

لِلنَّصَارَى مَرُّوا أَحْمَلُوهُ وَالْيَهُودُ

ابن قُرْمَانَ ديوانه زجل رقم ٢١ .

أَوْ لَحْمُكَ بِصَخْرَتَيْنِ أَوْ مُصَابُ

وَمَرَّ سَابِقًا ذِكْرُ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ مُتَتَابِعَيْنِ فِي مُوشَّحِ لَابِن حَزْمُون، فِيهِ (١):
فَكُلُّ خَلْقٍ أَصَابَ إِلَّا النَّصَارَى وَالْيَهُودَ

وَأَتَى ذِكْرُ الْيَهُودِ بِعُمُومِيَّةٍ فِي بَعْضِ الْمَوْشَّحَاتِ؛ فَاَلْمَحْبُوبُ يَهُودِيٌّ مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ دُونَ تَفْصِيلٍ أَوْ تَوْضِيحٍ لَأَيِّ صِفَةٍ خَاصَّةٍ لَهُ أَوْ لِقَوْمِهِ فِي قَوْلِ أَحَدِهِمْ (٢):

يُرَاعِ بِسِخْرِ
ظَنِّي مِنْ بَنِي إِسْحَاقِ
ثَوَى فِي ظَبَا الْأَخْدَاقِ
تُغْرِجَلْ عَنْ أَغْلَاقِ
وَبُوسَا بِخَمْرِ
وَعَنْ كُلِّ دُرٍّ

وَذَكَرَتْ أَسْمَاءُ لِلْيَهُودِ فِي مَوْشَّحَاتِهِمْ كَابِن رَاحِيلَ فِي مَوْشَّحَتَيْنِ لَابِن بَقِي وَابِن رَافِعَ رَأْسَهُ سَبَقَتْ
الإشارة إليهما فِي شِعْرِ الْعَزَلِ بِالْغُلَمَانِ (٣).

وَقَدْ يَكُونُ لِلْيَهُودِ مُشَارَكَةٌ فِي الْأَدَبِ الشَّعْبِيِّ وَفِي الْمَوْشَّحَاتِ وَالْأَزْجَالِ، وَسَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ مُلْعَبَةٍ (٤) مِنْ الشُّعْرِ الزَّجَلِيِّ مَنْسُوبَةٍ لِبَعْضِ الْيَهُودِ، قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ إِنَّهَا نَحْوُ الْخَمْسِمِائَةِ (٥)، وَأُورِدَ أَبْيَاتًا خَمْسَةً مِنْهَا، وَإِنْ اسْتَطَاعَ يَهُودِيٌّ نَظْمَ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْأَبْيَاتِ مَرَّةً وَاحِدَةً اتَّوَقَّعَ وَجُودَ نَظْمٍ مُشَابِهِ سَابِقٍ أَوْ لَاحِقٍ لَهُ وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْيَهُودِ، لَكِنَّهُ اخْتَفَى وَلَمْ يَصِلْنَا.

وَقَلَّةُ ظُهُورِ الْيَهُودِ فِي الْمَوْشَّحَاتِ يَعُودُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَدَابَ الشَّعْبِيَّةَ لَمْ تَخُطَّ بِعِنَايَةِ الدَّارِسِينَ، فَكَانَتْ فَنَاءً شَعْبِيًّا لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُدَوَّنَ حَتَّى وَقْتُ مُتَأَخِّرٍ؛ فَالْمَرَّاكِشِيُّ يَعْتَرِفُ مَثَلًا أَنَّهُ لَمْ يُسَجِّلْ مَوْشَّحَاتِ أَبِي بَكْرِ ابْنِ زُهْرٍ (ت. ٥٩٥ هـ) (٦) لِأَنَّ الْعَادَةَ لَمْ تَجْرِ بِإِيرَادِ الْمَوْشَّحَاتِ فِي الْكُتُبِ (٧). فَإِنْ أُضِيفَ لِهَذَا تَجَاهُلُ الْبَاحِثِينَ لِلْيَهُودِ يُتَوَقَّعُ كَثِيرٌ عَنِ الْيَهُودِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا فِي هَذَا الْأَدَبِ الشَّعْبِيِّ.

١ - ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/ ٢١٨.

٢ - عَلِيٌّ بْنُ بَشْرٍ الْأَعْرَنَاطِيُّ غُدَّةُ الْجَلِيسِ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ / مَوْشَّحَةٌ رَقْم (٢٤٨).

٣ - انْظُرْ: عَلِيٌّ بْنُ بَشْرٍ الْأَعْرَنَاطِيُّ غُدَّةُ الْجَلِيسِ ص ٥١٤ - ٥١٥ / مَوْشَّحَةٌ رَقْم (٣٤٤)؛ سِيدُ غَازِي دِيوَانُ الْمَوْشَّحَاتِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ١/ ١٤.

٤ - انْظُرْ: ابْنُ خَلْدُونِ الْمُقَدِّمَةُ ص ٣٣٩؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرَّاكِشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ - قِسْمُ الْمُوحِدِينَ - ص ٢٢٩، انْظُرْ فِي الْبَحْثِ: ص ٤٨ - ٤٩.

٥ - انْظُرْ: ابْنُ خَلْدُونِ الْمُقَدِّمَةُ ص ٣٣٩.

٦ - هُوَ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ ابْنُ زُهْرٍ، يُعْرَفُ بِابْنِ زُهْرٍ الْحَفِيدِ (وَزُهْرٍ بِضَمِّ الزَّايِّ وَسُكُونِ الْهَاءِ) مَوْلَدُهُ وَنَشَأَتُهُ بِإِشْبِيلِيَّةِ ٥٠٧ هـ. كَانَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ كُلِّهِمْ عُلَمَاءُ رُؤَسَاءُ حُكَمَاءُ وَرِزَّاءُ، كَانَ وَشَّاحًا وَشَاعِرًا وَقَيْلَسُوفًا، وَاشْتَهَرَ بِالطَّبِّ، وَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ كَمَا يَذْكُرُ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَتَوَلَّى بِمَرَّاكِشَ ٥٩٥ هـ. انْظُرْ: بِأَقْوَاتِ الْحَمَوِيِّ مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٨/ ٢١٦ - ٢٢٥؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكِشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٩١ - ٩٢؛ ابْنُ الْأَبَّارِ التَّكْمِيلَةُ ٢/ ٧٥؛ ابْنُ خَلْكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤/ ٤٣٤ - ٤٣٦؛ ابْنُ دِحْيَةَ الْمُطَرِّبُ ص ٢٠٣؛ ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ عُيُونُ الْأَنْبَاءِ ١/ ٥٢٢ - ٥٣٠؛

ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/ ٢٧١ - ٢٧٩؛ زَايَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ٥٦ - ٥٧؛ الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢١/ ٣٢٦ - ٣٢٧؛ الْمُقَرِّي تَفْخُ الطَّيِّبِ ٣/ ١٥ - ٢٠؛ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّبِّ وَالْأَطْبَاءُ فِي الْمَغْرِبِ ص ٣٠.

٧ - عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكِشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٩٢، وَاعْتَبِرْتَ الْاسْتِعَارَةَ مَنْقُصَةً عِنْدَ الْوُشَّاحِينَ؛ فَابْنُ سَنَاءِ الْمَلِكِ يَفْتَخِرُ أَنَّهُ يَصْنَعُ مَوْشَّحَاتِهِ بِنَفْسِهِ وَلَا يَسْتَعِيرُهَا. انْظُرْ: مُحَمَّدُ زَكَرِيَّا عَنَانِي الْمَوْشَّحَاتِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ص ٣٦، نَقْلًا عَنْ مَخْطُوطِ كِتَابِ: ابْنِ سَنَاءِ الْمَلِكِ

فصوص الفصول وعقود العقول بدار الكتب والأهر وباريس والاسكندرية.

وظَهَرَ فِي شِعْرِهِمْ تَعَوُّدَاتٌ بِالْعِبْرِيَّةِ يُرَدِّدُهَا الْمُشْعُوذُونَ دُونَ أَنْ يَعْرِفُوا مَعْنَاهَا، مِنْهَا فِي شِعْرِ
 لِلْبَّاهِي: "بَهْرُشَاهِيَا" يُرَجِّحُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْهَرَامَةَ أَنَّهَا عِبْرِيَّةٌ، مَعْنَاهَا "مُدْمَرَةٌ كَانَتْ" (١).
 وَمِنْ الْأُمُورِ الَّتِي تُشِيرُ بِوُضُوحٍ كَبِيرٍ إِلَى نَوْعٍ مِنَ التَّأَثُّرِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَجُودِ
 خُرُجَاتٍ مُشْتَرَكَةٍ فِي مُوشَّحَاتِهِمْ. وَكُتِبَ شَتِيرُنَ عَامَ ١٩٤٨مَ مَقَالَةٌ (٢) بَعْدَ عَثُورِهِ عَلَى مَخْطُوطٍ "عُدَّةُ
 الْجَلِيسِ" لِابْنِ بَشْرَى الْأَعْرَنَاطِيِّ. وَأَثَارَتِ مَقَالَتُهُ هَذِهِ ضَجَّةً كَبِيرَةً حِينَ أَعْلَنَ عَنْ اسْتِثْرَاكِ مُوشَّحَاتٍ عَرَبِيَّةٍ
 وَأُخْرَى عِبْرَانِيَّةٍ فِي خُرُجَاتٍ أَعْجَمِيَّةٍ. وَحِينَ دَرَسَ مُصْطَفَى الْغَدِيرِيُّ الْخُرُجَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ وَجَدَ أَنَّ عَدَدَ
 الْمُوشَّحَاتِ فِيمَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ فِي الْمَصَادِرِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ وَسِتِّمِائَةً مُوشَّحَةً، سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ مُوشَّحَةً مِنْهَا
 تَنْتَهِي بِخُرُجَاتٍ أَعْجَمِيَّةٍ؛ وَبِهَذَا تَكُونُ نَسَبَتُهَا إِلَى مَجْمُوعِ الْمُوشَّحَاتِ ٧.٣٧% (٣)، وَهَذِهِ نِسْبَةٌ لَيْسَتْ قَلِيلَةً
 فِي مَجَالِ التَّأَثُّرِ وَالتَّأْتِيرِ. وَلَمْ أَجِدْ بَيْنَ الدَّارِسِينَ الَّذِينَ قَرَأْتُ لَهُمْ فِي الْمَوْضُوعِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْمُوشَّحَاتِ
 الْعَرَبِيَّةَ مَأْخُودَةً مِنَ الْعِبْرِيَّةِ لِتَشَابُهِ الْخُرُجَاتِ، وَلَمْ أَجِدْ فِيمَا قَرَأْتُ فِي الْمَصَادِرِ مُوشَّحَاتٍ لِلْعَرَبِ اسْتَعَارُوا
 خُرُجَاتِهَا مِنَ الْيَهُودِ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، بَلْ رَكَّزَ مُعْظَمُ الدَّارِسِينَ أَبْحَاثَهُمْ حَوْلَ الْأَثَرِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْيَهُودِ
 فِيهَا؛ فَالْمُوشَّحَاتُ الْعِبْرِيَّةُ بِالْأَنْدَلُسِ بِرَأْيِهِمْ نَشَأَتْ مُحَاكَاةً لِلْمُوشَّحَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَقْلِيدًا لَهَا بَنَى وَمَوْضُوعًا (٤)

وَالْبَحْثُ فِي اسْتِعَارَةِ الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ لِأَجْزَاءٍ مِنَ الْمُوشَّحَاتِ يَطُولُ، وَيَصْنَعُ الْقَوْلُ إِنَّ أَحَدَهُمْ تَأَثَّرَ
 بِالْآخَرِ وَاسْتَعَارَ مِنْهُ أَوْ أَثَّرَ بِهِ، فَهَذَا بِحَاجَةٍ إِلَى بَحْثٍ مُسْتَقِلٍّ. لَكِنِّي أَمِيلُ إِلَى الرَّأْيِ الْقَائِلِ بِأَنَّ الْعَرَبَ
 وَالْيَهُودَ اسْتَعَارَوْهَا مِنَ اللُّغَةِ الرُّومَانِيَّةِ الْإِسْبَانِيَّةِ؛ فَهَذِهِ اللُّغَةُ كَانَتْ مُنْتَشِرَةً وَهَذَا

١ - جاءت في أبيات للْبَّاهِي مِنْهَا : [الطويل] أَعُوذُ مَنْ يُمَسِّي عَلَيْهِ مُعَلِّقًا حِجَابِي بِطَّةٍ أَوْ بِبَاسِينَ وَالْخَمْسِ

بَهْرُشَاهِيَا هَرْشَا هَيَا وَشَرَاهِيَا وَيَاسِمُ عَظِيمُ جَاءَ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ

ابن الخطيب الكَتِيبَةُ الْكَامِنَةُ ص ١٤٩ - ١٥٠ ، وانظر: عبد الحميد الهَرَامَةُ الْفَصِيذَةُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ ص ٢٦٨ .

٢ - انظر: مُصْطَفَى الْغَدِيرِيُّ الْمُوشَّحَاتُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ بَيْنَ الْإِبْدَاعِ وَالِاتِّبَاعِ مَجَلَّةُ دِرَاسَاتِ أَنْدَلُسِيَّةٍ، ع ١٣ ، ثُوُس: ١٩٩٥م، ص ٣٩ .

٣ - انظر: نَفْسُهُ ص ٤١ - ٤٢ ، وَكَانَ تَوَزِيعُ هَذِهِ الْخُرُجَاتِ كَالتَّالِي: تِسْعُ عَشْرَةَ مُوشَّحَةً مِنْهَا فِي جَيْشِ التَّوَشِيحِ ، وَالثَّلَاثَانِ وَثَلَاثُونَ فِي عُدَّةِ
 الْجَلِيسِ ، وَمُوشَّحَتَانِ فِي دِيْوَانِ الْأَعْمَى النُّطِيلِيِّ ، وَثَلَاثٌ فِي دِيْوَانِ الْجَزَارِ السَّرْقُسْطِيِّ .

٤ - وَالْقَائِلُونَ بِهَذَا يَسْتَنِدُونَ إِلَى أَنَّ أَقْدَمَ الْمُوشَّحَاتِ الْعِبْرِيَّةِ لَوْشَاحِينَ عَاشُوا فِي عَصْرِ الطَّوَائِفِ وَبَعْدَهُ، فَلَا تُوجَدُ مُوشَّحَةٌ عِبْرِيَّةٌ قَبْلَ الْمُوشَّحَاتِ
 الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا مِنْ عَصْرِ الْأُمَوِيِّينَ، وَأَقْدَمُ الْوَشَاحِينَ الْيَهُودِ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ نَعْرِيلَةَ (ت: ٤٨٠هـ)، وَبَعْدَهُ إِسْحَاقُ بْنُ غِيَاثٍ (ت: ٤٨٢هـ) وَيُوسُفُ
 بْنُ صِدِّيقٍ (ت: ٥٢٦هـ) وَمُوسَى بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَزْرَا משה בן יעקב (ت: ٥٣٣هـ) وَيَهُودَا هَلِيفِي יהודה הלוי (ت: ٥٤٠هـ) وَأَبْرَاهَامُ بْنُ
 عَزْرَا (ت: ٥٤٥هـ). وَيَسْتَنِدُونَ إِلَى نُصُوصٍ مِنْ عُدَّةِ الْجَلِيسِ مِنْهَا الْمُوشَّحَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ وَرَدَّ مَطْلَعُهَا خُرْجَةً فِي مُوشَّحَةِ يَهُودَا هَلِيفِي الْعِبْرِيَّةِ دُونَ
 تَغْيِيرٍ، وَالْمُوشَّحَةُ الْخَادِيَةُ وَالسَّبْعُونَ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ الْأَبْيَضِ، خُرْجَتُهَا فَصِيحَةٌ، وَرَدَّتْ فِي مُوشَّحَتَيْنِ عِبْرِيَّتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا لِمُوسَى بْنِ عَزْرَا وَالْأُخْرَى لِيَهُودَا
 هَلِيفِي، وَهُمَا مُعَاصِرَانِ لِابْنِ الْأَبْيَضِ، وَمَاتَا بَعْدَهُ، ثُمَّ الْمُوشَّحَةُ السَّادِسَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ لِابْنِ بَاجَةَ (ت: ٥٢٣هـ) مَطْلَعُهَا خُرْجَةٌ لِمُوشَّحَةِ يَهُودَا بْنِ غِيَاثِ
 יהודה בן גיאָת وَكَانَ مُعَاصِرًا لَهُ، وَعَارَضَهَا وَشَاحُونَ يَهُودٌ، بَعْدَ ذَلِكَ. انظر: عَلِيٌّ بْنُ بَشْرَى الْأَعْرَنَاطِيُّ عُدَّةُ الْجَلِيسِ ص ٢٦.

١١٠ ، ١٦٢؛ انظر: مُصْطَفَى الْغَدِيرِيُّ الْمُوشَّحَاتُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ بَيْنَ الْإِبْدَاعِ وَالِاتِّبَاعِ مَجَلَّةُ دِرَاسَاتِ أَنْدَلُسِيَّةٍ، ع ١٣ ، ثُوُس: ١٩٩٥م، ص ٤٣، ٤٦ .

وَاضِحٌ فِي قَتْوَى لَابِنْ رُشْدٍ عَنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ قَالَ: "أَنَا أَقْرَأُ سُورَةَ يُوسُفَ بِالْأَعْجَمِيَّةِ" (١). كَمَا أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ تَحَدَّثَ عَنْ قَبِيلَةِ عَرَبِيَّةٍ يَقُولُهُ: "وَدَارُ بَلَى بِالْأَنْدَلُسِ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِاسْمِهِمْ شِمَالِ قُرْطُبَةَ، ...، لَا يُحْسِنُونَ الْكَلَامَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَكِنْ بِالْعَرَبِيَّةِ فَقَطْ، نِسَاؤُهُمْ وَرِجَالُهُمْ" (٢)، وَهَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ كَانَتْ تُحْسِنُ اللُّغَةَ الْأَعْجَمِيَّةَ إِلَى جَانِبِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا أَنَّ وُجُودَ الْخُرْجَاتِ الْأَعْجَمِيَّةِ فِي مَخْطُوطَاتِ الْمُوشَّحَاتِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ دُونَ شَرْحٍ لِمَعْنَى أَلْفَظِهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ اللُّغَةَ الْأَعْجَمِيَّةَ كَانَتْ مَعْرُوفَةً لَدَى كَتَبَةِ وَقُرَّاءِ الْمُوشَّحَاتِ.

وَهَذِهِ الْخُرْجَاتُ الْمُسْتَعَارَةُ (٣) يَطُولُ بَعْضُهَا وَتَصْغُرُ فِيهَا الْفِقَرَاتُ وَتَكْثُرُ الْقَوَافِي، وَيَتَنَسِّمُ بَعْضُهَا الْآخَرُ بِسُهُولَةٍ التَّفْقِيَّةِ، وَازْدِوَاجِ الْفِقَرَاتِ، وَهِيَ عَلَى لِسَانِ قَتَاةٍ تَشْكُو هَوَاهَا (٤).

الْمَبْحَثُ الثَّانِي : أَعْلَامُ الْيَهُودِ وَقِصَصُهُمْ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ.

ظَهَرَ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ أَعْلَامٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَقِصَصٌ مَشْهُورَةٌ عَنْهُمْ، عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِ :

أَوَّلًا: - أَشْهُرُ أَعْلَامِ الْيَهُودِ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ

بَعِيدٌ عَنْ أَسْمَاءِ أَنْبِيَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ ذُكِرُوا كَثِيرًا فِي الْقُرْآنِ لَمْ تَكُنْ أَعْلَامُ الْيَهُودِ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ كَثِيرَةً؛ ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ مِنْهُمْ السَّامِرِيُّ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ كِيُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَبِلْعَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَاءَ مِنَ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ كَالسَّمُؤَالِ :

١ - السَّامِرِيُّ

وَكَانَ السَّامِرِيُّ (٥) مِنْ مَشَاهِيرِ الْيَهُودِ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَاتَّخَذَ السَّامِرِيُّ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ عِدَّةَ رُمُوزٍ وَمَعَانٍ؛ فَمَرَّةً هُوَ رَمَزٌ لِسِحْرِ سَاحِرٍ، وَمَرَّةً هُوَ رَمَزٌ لِفِتْنَةٍ وَعَلَى الْجَمِيعِ أَنَّ يَتَّبَعَدَ عَنْهُ وَلَا يَقْرَبَ مِنْهُ، وَفِي أُخْرَى هُوَ رَمَزٌ لِمُعْتَقِدٍ دِينِيٍّ وَلِطَائِفَةِ السَّامِرِيِّينَ الْيَهُودِ.

١ - عَبْدُ الْعَزِيزِ الْأَهْوَانِيُّ الرَّجُلُ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٤٧، نَقْلًا عَنْ مَخْطُوطٍ فِي الْمَكْتَبَةِ الْأَهْلِيَّةِ فِي بَارِيْسِ رَقْم ١٠٧٢، وَرَقَّة ١٦٣ .

٢ - انْظُرْ: ابْنُ حَزْمٍ جَمَهْرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ٤٤٢-٤٤٣ .

٣ - وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى هَذِهِ الْخُرْجَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعِبْرِيَّةِ مُوشَّحٌ شَوْقٍ لِلْوَطَنِ لَابِنْ بَقِي خَاتِمَتُهُ :

بَنَدُّ لَيْشِقَّةِ أَبُونِ شَيْدَلٍ حَصْرِيٍّ مُوَقَّرُجُونِ بَرْلٍ . الْمَعْنَى: أَقْبَلَ الْعِيدُ وَمَا أَزَالُ بِدُونِهِ يَبْكِي فُوَادِي أَسَى مِنْ أَجْلِهِ

وَهَذِهِ خُرْجَةٌ فِي مُوشَّحَةٍ عِبْرِيَّةٍ لِيَهُودَا هَلِيفِي (ت: ٥٥٤٠) وَهُوَ مُعَاصِرُ لَابِنْ بَقِي (ت: ٥٥٤٠) .

وَمِثَالُ ثَانٍ عَلَى الْخُرْجَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعِبْرِيَّةِ فِي مُوشَّحَةٍ لِمَجْهُولٍ مَوْجُودَةٍ فِي مُوشَّحَةٍ عِبْرِيَّةٍ لِيَهُودَا هَلِيفِي خَاتِمَتُهَا :

كَمْ مِنْ قَلْبُولِ الْبَيْتِ نُونِ مِشْ لِقَرْمِشْ مُو شَيْنِ مَعْنَى الْخُرْجَةِ: كَأَنَّكَ وَلَدِي بِالسَّبْيِ، فَمَا عُدْتَ تَنَامَ جَنْبِي .

انْظُرْ: عَلِيُّ بْنُ بَشْرَى الْأَعْرَبِيَّ عِدَّةُ الْجَلِيسِ ص ٢٥٤-٢٥٥ / مُوشَّحَةٌ رَقْم (١٦٧)، ص ٣٨٩-٣٩٠ / مُوشَّحَةٌ رَقْم (٢٦٠) .

٤ - انْظُرْ: عَبْدُ الْعَزِيزِ الْأَهْوَانِيُّ الرَّجُلُ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٥٠ .

٥ - انْظُرْ قِصَّةَ السَّامِرِيِّ فِي: ابْنِ كَثِيرٍ تَفْسِيرُهُ ١٥١/٣ - ١٥٢؛ التَّوْبِيرِيُّ تَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٢٣/١٣ - ٢٢٩ .

وَعِنْدَ مُحَمَّدٍ بْنِ هَانِيٍّ كَانَ السَّامِرِيُّ سَاحِرًا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ^(١): [تكامل]
اَقْبَلْ بِهَذَا السَّامِرِيِّ السَّاحِرِ وَأَذِقْهُ طَعْمَ الْمَشْرِفِيِّ الْبَاتِرِ

قَدْ تَكُونُ الْمَحْبُوبَةُ سَامِرِيَّةَ الْمُعْتَقِدِ أَيْ يَهُودِيَّةَ مِنْ فِرْقَةِ السَّامِرَةِ، وَقَدْ تَكُونُ مَحْبُوبَتُهُ ذَاتَ جَمَالٍ يَسْحَرُ، وَقَدْ تَكُونُ كَذَلِكَ كَلِمَةً سَامِرِيَّةً اخْتَمَلَتْ الْمَعْنَيْنِ مَعًا، وَقَدْ عَدَّ ابْنُ بَسَّامٍ ^(٢) هَذَا مِنْ مَلِيحِ الْكَلَامِ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ مَأْخُودٌ ^(٣) مِنْ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ (ت: ٣٧٤هـ) ^(٤) بِقَوْلِهِ ^(٥): [لمقارب]
وَبَارِزَةٌ بَيْنَ أَحْبَارِهَا بُرُوزَ الشُّمُوسِ لِإِسْفَارِهَا
وَقَدْ فَصَّلَتْ بَيْنَ ثِقَلِ الْكُثِيبِ وَلَيْنِ الْقَضِيبِ بِزُنَارِهَا

وَيَتَرَجَّحُ لَدَيَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ مَحْبُوبَةَ ابْنِ هَانِيٍّ مِنَ الْيَهُودِ لَذَا قَالَ إِنَّهَا سَامِرِيَّةٌ، فَأَبْيَاتُ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ تُشِيرُ بوضوحٍ إِلَى أَنَّ الْمَحْبُوبَةَ يَهُودِيَّةٌ بَرَزَتْ أَمَامَهُ تَلْبِسُ الزُّنَارَ بَيْنَ أَحْبَارِهَا، لَكِنْ تَرَكَ ابْنُ هَانِيٍّ الْإِشَارَةَ إِلَى الْأَخْبَارِ وَالزُّنَارِ لِيَقُولَ عَوْضًا عَنْ هَذَا إِنَّهَا سَامِرِيَّةٌ. وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَفِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْحَدِيثَ عَنْ نِسَاءِ الْيَهُودِ كَانَ عَادِيًّا فِي شِعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَلَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَهْجَأًا.

وَلَعَدِمَ غَرَابَةُ الْحَدِيثِ عَنِ السَّامِرِيِّ عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ عَقَّبَ ابْنُ بَسَّامٍ عَلَى نَظْمِ ^(٦) لِأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ حَزْمٍ (ت بعد: ٥٠٠هـ) ^(٧) بِقَوْلِهِ: "مِمَّا قُتِنَ فِيهِ أَبُو الْوَلِيدِ قِتْنَةً لَا يُحْسِنُهَا السَّامِرِيُّ، بَلْ سِحْرٌ سِحْرًا لَا تَتَعَاطَاهُ الْجِبَالُ وَلَا الْعِصِيُّ" ^(٨). فَجَمَعَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي السَّامِرِيِّ رَمَزَيْنِ: الْأَوَّلُ أَنَّهُ صَاحِبُ قِتْنَةٍ كَبِيرَةٍ، وَالثَّانِي أَنَّهُ سَاحِرٌ فَاقَ بِسِحْرِهِ سِحْرَ النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

^١ - ابن بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ١، ٧٧٥/٢، وَلَمْ تَرِدْ فِي دِيْوَانِ ابْنِ هَانِيٍّ .

^٢ - انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

^٣ - لَا أَعْرِفُ عَلَى مَاذَا اعْتَمَدَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي قَوْلِهِ هَذَا وَالشَّاعِرَانِ مُتَعَاَصِرَانِ؛ فَابْنُ هَانِيٍّ تَوَفَاهُ اللَّهُ عَامَ ٣٦٢هـ، بَيْنَمَا ابْنُ الْمُعِزِّ عَامَ ٣٧٤هـ، فَقَدْ يَكُونُ ابْنُ الْمُعِزِّ هُوَ الَّذِي بَنَى كَلَامَهُ عَلَى سَابِقِهِ وَلَيْسَ الْعَكْسُ وَهُوَ الَّذِي عَاشَرَ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةً بَعْدَهُ.

^٤ - هُوَ: تَمِيمٌ بْنُ الْمُعِزِّ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ الْقَائِمِ بْنِ الْمَهْدِيِّ الْفَاطِمِيِّ، يَكْنَى أَبَا عَلِيٍّ، وَلَدَ ٣٣٧هـ، وَكَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْقَاهِرَةَ الْمَعْرِیَّةَ، وَسَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ. وَكَانَ تَمِيمُ الْمَذْكُورُ فَاضِلًا شَاعِرًا مَاهِرًا لَطِيفًا ظَرِيفًا وَلَمْ يَلِ الْمَمْلَكَةَ لِأَنَّ وَلَايَةَ الْعَهْدِ كَانَتْ لِأَخِيهِ الْعَزِيزِ بَعْدَ أَبِيهِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمِصْرَ.

انْظُرْ: النَّعَالِيَّةُ يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ ١/٥٢٥ - ٥٣٤؛ ابْنُ خُلْكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَغْيَانِ ١/٣٠١ - ٣٠٣ .

^٥ - تَمِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ لِإِبْنِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ دِيْوَانُهُ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

^٦ - نَظْمُ ابْنِ حَزْمٍ هُوَ: [الطَّوِيلُ] أَطَارِحُهُ خُلُوَ الْعِتَابِ وَرُبَّمَا تَعَاَصَبَ فَاسْتَرْضَيْتُهُ بِكُثَايِ

وَفِي لَفْظِهِ مِنْ سُورَةِ الْكَاسِرِ قِتْرَةٌ تَمَتْ إِلَى الْخَاطِئِ بِوَلَاءِ

انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ٢، ٦٠٣/٢؛ الْكُتُبِيُّ قَوَاتُ الْوَفَيَاتِ ٢/٤٤٨ .

^٧ - هُوَ: أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَزْمٍ الْمُتَحَجِّجِيُّ، ابْنُ عَمِّ الْفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ، جَعَلَهُ ابْنُ بَسَّامٍ فِي النُّخْبَةِ أَحْلَى النَّاسِ شِعْرًا لَا سِيَّمَا إِذَا عَاتَبَ أَوْ عَتَبَ. وَفِي تَرْجَمَتِهِ فِي الْمَطْمَحِ أَنَّهُ وَاحِدٌ دُونَهُ الْجَمْعُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَشْتَهَرْ بِفَسَادٍ، مَعَ نَفْسٍ بَرِيَّةٍ مِنَ الْكِبَرِ، مَعَ عَفَافٍ تَحْفَ بِهِ بِرُودًا، وَأَمَّا شِعْرُهُ فَحَسَنٌ. انْظُرْ: ابْنُ خَاقَانَ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ ص ٢٧٩ - ٢٨٢؛ ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ٢، ٥٩٨/٢ - ٦١٥؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١/٢٤٤ - ٢٤٥؛ الْكُتُبِيُّ قَوَاتُ الْوَفَيَاتِ ٢/٤٤٧ - ٤٤٨؛ الْمُقَرِّي تَفْحُصُ الطَّيِّبِ ٩/٢٧١ - ٢٧٢ .

^٨ - ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ٢، ٦٠٣/٢ .

وَجَاءَتِ السَّامِرِيَّةُ فِي شَعْرِ ابْنِ الْحَدَّادِ، بِقَوْلِهِ فِي الْعَزْلِ^(١): [نطوي]
وَبَيْنَ الْمَسِيحِيَّاتِ لِي سَامِرِيَّةٌ
بَعِيدٌ عَلَى الصَّبِّ الْخَنيفِيِّ أَنْ تَذْنُو

وَذَكَرَ أَنَّ قَتَاةَ ابْنِ الْحَدَّادِ "رُومِيَّةً مَسِيحِيَّةً تُقِيمُ فِي دَيْرٍ لِلْمَسِيحِيِّينَ"^(٢) وَتُشِيرُ الْأَبْيَاتُ صَرَاحَةً إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "وَبَيْنَ الْمَسِيحِيَّاتِ"، فَالْقَوْلُ إِنَّ هَذِهِ الْقَتَاةَ نَصْرَانِيَّةً تَعْتَقُ مَذْهَبَ السَّامِرِيَّةِ اعْتِمَادًا عَلَى مَا جَاءَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ لَيْسَ دَقِيقًا، فَالسَّامِرِيَّةُ مُعْتَقِدٌ يَهُودِيٌّ لَا نَصْرَانِيٌّ. وَيَبْقَى احْتِمَالٌ آخَرُ لِقَوْلِ ابْنِ الْحَدَّادِ سَامِرِيَّةٌ وَهُوَ أَنَّ الْقَوْلَ مُجَرَّدُ تَشْبِيهِ كَمَا يَرَى هِنْرِي بِيرِسُ بِقَوْلِهِ: "وَقَدْ شَبَّهَ ابْنُ الْحَدَّادِ صَاحِبَتَهُ نُؤِيرَةَ بِأَنَّهَا سَامِرِيَّةٌ طَبَقًا لِلْأُسْطُورَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِسَبَبِ صُعُوبَةِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا"^(٣)، وَأَنَا مَعَ بِيرِسَ بِقَوْلِهِ إِنَّ السَّامِرِيَّةَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مُجَرَّدُ تَشْبِيهِ لِتَمَنُّعِهَا وَبُعْدِهَا^(٤)، وَآخُذُ بِهَذَا الرَّأْيِ لِعِدَّةِ قَرَّائِنٍ أَوْلَاهَا أَنَّ الْمَصَادِرَ أَشَارَتْ إِلَى أَنَّ دِيَانَةَ مَحْبُوبَتِهِ كَانَتْ النَّصْرَانِيَّةَ وَلَيْسَتْ الْيَهُودِيَّةَ، وَثَانِيًا أَنَّ عَجَزَ الْبَيْتِ يَكَادِي وَضَحَ الْمَقْصُودِ بِسَامِرِيَّةٍ؛ فَقَوْلُهُ: "بَعِيدٌ عَلَى الصَّبِّ الْخَنيفِيِّ أَنْ تَذْنُو" يُشِيرُ بِاعْتِقَادِي إِلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ لَيْسَتْ إِشَارَةً إِلَى مُعْتَقِدٍ دِينِيٍّ تَدِينُ بِهِ، لَكِنَّهَا رَمَزٌ لِلْفِتْنَةِ وَالسَّحْرِ وَخَطَرِ الْاِقْتِرَابِ، بِسَبَبِ تَدَلُّلِهَا عَلَى الشَّاعِرِ وَتَمَنُّعِهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ الْاِقْتِرَابُ مِنْهَا.

وَكَانَتْ قِصَّةُ "لَا مَسَاسَ"^(٥) مِنْ أَبْرَزِ مَعَانِي السَّامِرِيِّ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ؛ فابْنُ رَيْدُونٍ مَثَلًا يُرْسِلُ مِنْ سِجْنِهِ إِلَى صَدِيقِهِ أَبِي حَفْصِ بْنِ بُرْدٍ (ت: بعد ٤٨٠هـ)^(٦)، قَائِلًا^(٧): [مجزوء لرميل]

مَا تَرَى فِي مَعْشَرٍ حَا
وَرَأُونِي سَامِرِيًّا
أَذُوبٌ هَامَتْ بِلَحْمِي
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا
لُوا عَنْ الْعَهْدِ وَخَاسُوا^(٨)
يُتَّقَى مِنْهُ الْمَسَاسُ
قَالَتْ هَامٌ وَأَنْتِ هَاسُ^(٩)
لِي وَالذُّبُ اعْتَبَاسُ^(١٠)

^١ ابنُ الْحَدَّادِ الْأَنْدَلُسِيُّ دِيَوَانُهُ ص ٢٥٦؛ ابنُ بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ٧٠٨/٢ م ١.

^٢ - قال ابنُ سَعِيدٍ إِنَّ ابْنَ الْحَدَّادِ كَانَ يَهُودِيًّا رُومِيَّةً يُكْنِي عَنْهَا بِنُؤِيرَةَ، وَلَهُ فِيهَا شَعْرٌ كَثِيرٌ . وَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ إِنَّهُ مُنِيَ فِي صَبَاهُ بِصَبِيَّةٍ نَصْرَانِيَّةٍ، دَهَبَتْ بِلَبِّهِ كُلَّ مَذْهَبٍ، وَرَكِبَ إِلَيْهَا أَصْغَبَ مَرْكَبٍ... وَكَانَ يُسَمِّيَهَا نُؤِيرَةَ كَمَا فَعَلَهُ الشُّعْرَاءُ الظُّرَفَاءُ قَدِيمًا فِي الْكُنَايَةِ عَمَّنْ أَحْبَبُوهُ، وَتَغْيِيرَ اسْمٍ مِنْ عِلْقَتِهِ. وَكَذَلِكَ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْغُمَرِيُّ (ت: ٧٤٩هـ) ذَكَرَ أَنَّ النِّقَاحَ فِي دَيْرٍ رَيفَةٍ بِصَعِيدِ مِصْرَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مَرَّ بِهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ لِيَخُجَّ فِي الْبَحْرِ فَرَأَى دَيْرَانِيَّةً اسْمُهَا نُؤِيرَةُ. فَالْقَى جَنْدَهَا عَصَا سَفَرِهِ، وَتَرَكَ الْحَجَّ... وَأَعْلَمَهَا أَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى لِيَخُجَّ، فَتَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ. وَاحْتَجَبَتْ عَنْهُ . قَالَ فِيهَا: [مجزوء الوافر]

عَسَاكَ بِحَقِّ عَيْسَاكَ مَرْيَحَةُ قَلْبِي الشَّاكِي

انْظُرْ: ابنُ بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ٦٩٣/٢ م ١، ٧٠٧؛ ابنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٤٤/٢؛ ابنُ فَضْلِ اللَّهِ الْغُمَرِيُّ مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ١٢٧/١ .

^٣ - هِنْرِي بِيرِسُ الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي عَصْرِ الطُّوَانِفِ ص ٢٥٤

^٤ - لَا أُوَافِقُ هِنْرِي بِيرِسَ الْقَوْلَ إِنَّ السَّامِرِيَّ أُسْطُورَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ؛ فَالْأَسَاطِيرُ هِيَ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُشَبِّهُ الْبَاطِلَ، وَهِيَ تَسْطِيرُ مَا لَا أَصْلَ لَهُ. بَيِّنَمَا الْحَدِيثُ عَنْ السَّامِرِيِّ وَفَتَنَتِهِ وَرَدَّتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ وَبَيَّنَّ صَرِيحٌ كَمَا سَبَقَ وَذَكَرْتُ، فَهُوَ حَقِيقَةٌ وَتَارِيخٌ مَرْوِيٌّ .

^٥ - لَا مَسَاسَ: لَا تَخَالُطُ أَحَدًا، وَمَعْنَاهُ أَيْ لَا أَمْسُ وَلَا أَمْسُ. ابنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [مَسْ] ٢١٩/٦ .

وَذَكَرَ الْحَمِيرِيُّ فِي حَدِيثِهِ عَنْ جَزِيرَةِ السَّامِرِيِّ فِي بَحْرِ الْقَلَزَمِ أَنَّهُ يَسْكُنُهَا قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ السَّامِرِيَّةِ، وَعَلَامَتُهُمْ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ إِذَا لَاقَى إِنْسَانًا: لَا مَسَاسَ، وَبِهَذِهِ اللَّفْظَةِ يُعَرَّفُ أَنَّهُمْ مِنَ الْيَهُودِ الْمُنْسَوْبِينَ إِلَى السَّامِرِيِّ. انْظُرْ: الْجَمِيرِيُّ الرُّؤُوسُ الْمِغْطَارُ ص ١٦٥، ٤٩٢ .

^٦ - هُوَ: أَبُو حَفْصِ أَحْمَدُ الْأَصْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي حَفْصِ أَحْمَدَ الْأَكْبَرِ بْنِ بُرْدٍ، رَحَلَ مِنْ قُرْطُبَةٍ إِلَى الْمَرْيَةِ فَاسْتَوَزَّرَهُ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صُمَادِحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ (٤٤٤ - ٤٨٠هـ)، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مُجَاهِدٍ صَاحِبِ دَانِيَةِ قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ إِنَّهُ فَلَكِ الْبَلَاغَةُ الدَّائِرَ وَمِثْلُهَا السَّائِرَ، وَجَعَلَهُ الْحَجَارِيُّ فَوْقَ جَدِّهِ أَبِي حَفْصِ الْأَكْبَرِ فِي النَّثْرِ. انْظُرْ: الْخَمِيدِيُّ جَنْوَةُ الْمُفْتَبِّسِ ١٨٣/١ - ١٨٤؛ ابنُ خَاقَانَ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ ص ٢٠٧ - ٢٠٨؛ ابنُ بَسَّامِ

النُّخَيْرَةُ ق ٨٦/١ م ١، ٥٣٥؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَزِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ٢/٨٨؛ ابْنُ دِحْيَةَ الْمُطَرِّبِ ص ١٢٧؛ ابنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٨٦/١ - ٩١؛ زَلَّيَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ١٢٠ - ١٢١؛ الصَّفَدِيُّ الْوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ ٢٢٨/٧ - ٢٢٩ .

^٧ - ابْنُ رَيْدُونٍ دِيَوَانُهُ وَرَسَائِلُهُ ص ٢٧٥؛ ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعُقَيَّانِ ق ٢، ج ١/٢٣٢ .

^٨ - خَاسَ: أَتَى بِالْخَسِيسِ مِنَ الْأَفْعَالِ . ابنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [خَسَسَ] ٦٤/٦ .

^٩ - الْاِئْتِهَاسُ: الْقَبْضُ عَلَى اللَّحْمِ بِمَقْدَمِ الْأَسْنَانِ وَنَثْرُهُ . ابنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [نَهَسَ] ٢٤٤/٦ .

^{١٠} - الْعَوَابِسُ مِنَ الذَّنَابِ: الْعَاقِدَةُ أَذْنَابِهَا. ابنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [عَبَسَ] ١٢٩/٦ .

فَتَشَبَّهَ ابْنُ زَيْدُونَ خَالَهُ وَقَدْ ابْتَعَدَ النَّاسُ عَنْهُ وَخَذَلُوهُ بِالسَّامِرِيِّ الَّذِي يَتَجَنَّبُهُ النَّاسُ وَلَا يَقْتَرِبُونَ مِنْهُ^(١) وَلَمْ يُشَبَّهْ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ سَامِرِيًّا وَيَسْكُتُ، بَلْ شَرَحَ وَفَصَّلَ بِقَوْلِهِ: "يَنْتَقِي مِنْهُ الْمِسَاسُ".

وظَهَرَتْ صُورَةُ مُعَايِرَةِ تَمَامًا عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ الزُّبَيْدِيِّ (ت: ٣٨٠هـ)^(٢) حِينَ قَالَ^(٣): [مجزوء لرمذ]

أَشْعِرَنَّ قَلْبَكَ يَا سَا لَيْسَ هَذَا النَّاسُ نَاسَا

دَهَبَ الْإِبْرِيْزُ مِنْهُمْ فَبَقُوا بَعْدُ نَحَاسَا

سَامِرِيْنَ يَقُولُو نَ جَمِيعًا لَا مِسَاسَا

فَرُغِمَ تَشَابُهُ الْوَضْعِ عِنْدَ هَذَا الْإِسْبِيلِيِّ مَعَ سَابِقِهِ ابْنِ زَيْدُونَ؛ فَكِلَاهُمَا مَلَأَ الْيَأْسُ قَلْبَهُ، وَكِلَاهُمَا يَرَى النَّاسَ قَدْ تَحَوَّلَتْ عَنْ الْخَيْرِ وَالْمَنْفَعَةِ، وَكِلَاهُمَا يُبْصِرُ السُّوءَ وَالشَّرَّ فِي تَصَرُّفَاتِ كُلِّ مَنْ حَوْلَهُ، وَكِلَاهُمَا اتَّخَذَ صُورَةَ السَّامِرِيِّ لِیَعْبَرَ عَنْ خَالِهِ مَعَ النَّاسِ. لَكِنْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ جَاءَتْ الصُّورَةُ مَعْكُوسَةً عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ ابْنِ زَيْدُونَ؛ فَلَمْ يَكُنِ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ مُشَبَّهًا بِالسَّامِرِيِّ الَّذِي تَخَافُ النَّاسُ مِيسَاسَهُ أَوْ الْقُرْبَ مِنْهُ، بَلْ كَانَ الْمُحِيطُونَ بِهِ جَمِيعُهُمْ بِرَأْيِهِ، سَامِرِيْنَ، يَقُولُونَ لَهُ "لَا مِسَاسَ" وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الْبُعْدَ عَنْهُمْ. وَفِي الْحَالَتَيْنِ جَاءَتْ الصُّورَةُ مُعَبَّرَةً بِطَرِيقَةٍ رَمْزِيَّةٍ طَرِيقَةٍ.

وَذَكَرَ الْأَنْدَلُسِيُّونَ السَّامِرِيَّ فِي أَشْعَارِهِمْ غَالِبًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَذَلَّةِ. فَفِي أَبْيَاتٍ قِيلَتْ^(٤) فِي خُرُوجِ

الصَّقَالِبَةِ^(٥) مِنَ الْقَصْرِ مُهَانِينَ حِينَ طَرَدَهُمْ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ (ت: ٣٩٢هـ)، مِنْهَا^(٦): [سريع]

أَخْرَجَ مِنْ قَصْرِ إِمَامِ الْهُدَى كَلُّ قَتَى مُنْبَسِطٍ جَائِرٍ

فَمَنْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ قَال: لَا مَسَاسَ، فَعَلَّ النَّاسُ بِالسَّامِرِ

وَكَذَلِكَ ذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِبِيرِيَّ (ت: ٤٥٩هـ) قِصَّةَ السَّامِرِيِّ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ رُغِمَ قَلَّةُ انْتِاجِهِ الشَّعْرِيِّ الْمُتَمَثِّلِ فِي صِعْرِ حَجْمِ دِيَوَانِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ بَلَغَتْ مِائَةً وَاثْنَيْ عَشَرَ بَيْتًا بَدَأَ بِهَا دِيْوَانُهُ^(٧)، قَامَ بِإِسْدَاءِ عَدَدٍ مِنَ النَّصَائِحِ مِنَ الزَّاهِدِ الْعَابِدِ الَّذِي يَتَأَمَّلُ الدُّنْيَا وَصُرُوفَهَا مَعَ الْإِنْسَانِ، لِيُخْلَصَ إِلَى نَتِيجَةٍ بِأَبْيَاتٍ عَدِيدَةٍ بِهَا حِكْمَةٌ وَعُمْقٌ، مِنْهَا^(٨): [لوفر]

وَخَفَ أَبْنَاءَ جَنْسِكَ وَأَخْشَرَ مِنْهُمْ كَمَا تَخْشَى الضَّرَاعِمَ وَالسَّبَبَتَى^(٩)

وَحَالَطَهُمْ وَزَايَلَهُمْ جِذَارًا وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لَمَسْنَا

وَإِنْ جَهَلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ سَلَامًا لَعَلَّكَ سَوْفَ تُسَلِّمُ إِنْ فَعَلْنَا

^١ - ابن خاقان قَلَائِدُ الْعَفْيَانِ ق ٢، ج ١/٢٣٢ .

^٢ - هُوَ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الزُّبَيْدِيُّ الْإِسْبِيلِيُّ، سَكَنَ قُرْطُبَةَ، وَكَانَ إِمَامًا فِي النُّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالسِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ، وَكَانَ شَاعِرًا كَثِيرَ الشَّعْرِ. لَهُ الْوَاضِحُ فِي النُّحْوِ وَ الْمُخْتَصَرُ كِتَابُ الْعَيْنِ وَ طَبَقَاتُ النُّحَوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ وَغَيْرُهَا، وَاخْتَارَهُ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ لِتَأْدِيبِ وَلَدِهِ وَلِي عَهْدِهِ هِشَامَ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ، وَتَوَلَّى قِضَاءَ إِسْبِيلِيَّةٍ وَخُطَّةَ الشَّرْطَةِ، وَتَوَفَّى بِهَا قَرِيبًا مِنْ ٣٨٠هـ .

انْظُرْ: الثَّعَالِيُّ بَيِّنَةُ الدُّهْرِ ٨٠/٢ - ٨١؛ ابن خاقان مَطْمَحُ الْأَنْفُسِ ص ٥٢؛ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكِبِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٣٠، ٩٤؛ ابن خَلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَغْيَانِ ٣٧٢/٤ - ٣٧٤؛ ابن سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٢٥٥/١ - ٢٥٦؛ الْمُقَرِّي تَفْحُصُ الطُّيْبِ ٦٤/٤ - ٦٧، ٢٦٥/٩ - ٢٦٦ .

^٣ - الْمُقَرِّي تَفْحُصُ الطُّيْبِ ٢٥/٥ .

^٤ - الْقَائِلُ هُوَ: سَعِيدُ الشُّنْتَرِيْنِي، لَمْ أَعثر لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ.

^٥ - بَايَعِ الصَّقَالِبَةَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ سَنَةَ ٢٦٦هـ، فَطَرَدَهُمُ الْمَنْصُورُ مِنَ الْقَصْرِ. وَالصَّقَالِبَةُ مِنْ جَبَلٍ يُتَاخَمُ بِلَادَ الْخَزَرِّ. يُنْسَبُونَ إِلَى صَقْلَبٍ مِنْ أَبْنَاءِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ. انْظُرْ: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤١٦/٣؛ الْفَيْرُوزِ أَبَادِيُّ الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ [صَقْلَب] ٨٦ .

^٦ - ابن عِدَارِي الْمُرَّاكِبِيُّ الْبَيَانُ الْمُغْرِبِ ٢٦٣/٢ - ٢٦٤ .

^٧ - قَالَ فِي أَوَّلِهَا: [الوافر] تَفْتُتُ فُؤَادَكَ الْأَيَّامُ فَنَّا وَتَشَجَّتْ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْنًا وَتَدْعُوكَ الْمَوْتُ دُعَاءَ صِدْقٍ: أَلَا يَا صَاحِبَ، أَتَيْتَ أَرِيدُ، أَنَّنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْإِبِيرِيَّ دِيْوَانُهُ ص ٢٤ .

^٨ - أَبُو إِسْحَاقَ الْإِبِيرِيَّ دِيْوَانُهُ ص ٣٤ .

^٩ - السُّبَيْدِيُّ: الْجَرِيءُ الْمُقَدَّمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُمِّيَ بِهِ الثَّمَرُ وَالْأَسَدُ لَشِدَّتِهِمَا . ابن مَنْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [سَبَت] ٢٠٣/٣ .

وَلَمْ يَكْتَفِ الشَّاعِرُ بِذِكْرِ كَلِمَةِ السَّامِرِيِّ فَحَسَبُ، بَلْ أَضَافَ إِلَيْهَا مَا زَادَ الصُّورَةَ رَهْبَةً حِينَ قَالَ "إِذَا لَمَسْنَا"
 أَيَّ لَا يَقْتَرِبُ مِنْهُمْ وَلَا يَلَامِسُهُمْ حَتَّى يَنْجُو مِنْ شُرُورِهِمْ. وَلَمْ يَكْتَفِ الْإِلْبِيرِيُّ بِأَبْيَاتِهِ هَذِهِ، بَلْ كَرَّرَ اسْتِخْدَامَ
 قِصَّةِ السَّامِرِيِّ وَالْمَسِّ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى فَأَعْطَى صُورَةَ طَرِيقَةً وَتَعْبِيرًا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّجْدِيدِ حِينَ نَصَحَ
 أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ كَالسَّامِرِيِّ، يَقُولُهُ (١): [لَخَفِيف]

فَمِنْ الرَّأْيِ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا (٢) سَامِرِيًّا يَدِينُ بِالْأَنْزَوَاءِ

وَجَاءَ السَّامِرِيُّ كَذَلِكَ فِي مُوشِحِ لَابِنْ سَهْلٍ الْإِسْرَائِيلِيِّ يَقُولُ فِيهِ (٣):
 حَكَمَى يَوْسُفَ وَظَلَّ فِي الْبَحْرِ

كَالسَّامِرِيِّ

لَمَّا أَخْلَفَ غَنِيْتُ عَنْ جَهْرٍ

غِنَا شَجِي

يَرَى الشَّاعِرُ مَمْدُوحَهُ كَالنَّبِيِّ يَوْسُفَ فِي حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ، لَكِنَّهُ هَجَرَهُ وَابْتَعَدَ عَنْهُ كَمَا يَظْهَرُ فِي الْكَلَامِ، فَظَلَّ فِي
 الْبَحْرِ، وَلَمْ أَجِدْ تَعْلِيلًا مُنَاسِبًا لِقَوْلِهِ "الْبَحْرُ" إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ فِيهِ الْبُيْرَ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ وَكِلَاهُمَا
 مَحَلٌّ لِلْمَاءِ، وَأَرْجَحُ أَنْ يَكُونَ سَبَبَ التَّشْبِيهِ بِيُوسُفَ هُنَا بُعْدُهُ عَنِ الشَّاعِرِ وَهُجْرَانُهُ لَهُ، فَأَشْبَهَ يَوْسُفَ حِينَ
 رُمِيَ فِي الْبُيْرِ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ الْبَحْرَ إِشَارَةٌ إِلَى غَرَقِ السَّامِرِيِّ مَعَ

١ - أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ دِيوَانُهُ ص ٩٧ .

٢ - تَأَثَّرَا بَبَيْتِ الْمُتَنَبِّي : وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ فَمَنْ الْعَجْزُ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا الْمُتَنَبِّي شَرَحَ دِيوَانَهُ ٣٧٢/٤ .

٣ - انْظُرْ : ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ٣٣٠ .

فِرْعَوْنَ لِأَنَّهُ عَصَى مُوسَى، إِلَّا أَنِّي أَسْتَبْعِدُ هَذَا الرَّأْيَ لِأَنَّ قِصَّةَ السَّامِرِيِّ حَدَّثَتْ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ، وَبَعْدَ أَنْ اجْتَازُوا الْيَمَّ وَتَرَكَوا مِصْرَ وَبَعْدَ أَنْ أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ لَكِنَّ مَلَامِحَ هَذَا الْمُسْتَعْطَفِ لَمْ تَكُنْ قَبِيحَةً بَلْ كَانَ كَيُوسُفَ فِي الْحُسْنِ، قَالَهُدْفُ مِنْ ذِكْرِ السَّامِرِيِّ هُنَا قِصَّةُ الْبُعْدِ وَالْهَجْرَانِ دُونَ أَيِّ حَدَرٍ أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ قِصَّةِ "لَا مِسَاسَ".

وَأَحْيَانًا أَتَى الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ بِقِصَّةِ السَّامِرِيِّ بِطَرِيقٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ، كَمَا فَعَلَ ابْنُ هَائِي حِينَ خَاطَبَ مُعَارِضِي مَمْدُوحِهِ تَمِيمَ بْنِ الْمُعِزِّ بِقَوْلِهِ ^(١): [لرجز]

لِكِنِّكُمْ كُنْتُمْ كَأَهْلِ الْعِجْلِ لَمْ يُحْفَظْ لِمُوسَى فِيهِمْ هَارُونَ

فَذَكَرَ أَهْلَ الْعِجْلِ قَاصِدًا اتِّبَاعَ السَّامِرِيِّ، وَهَذِهِ لَمْ أَجِدْ لَهَا أَمْثَلَةً أُخْرَى فِي أَشْعَارِهِمْ.

٢ - يُوَشَّعُ بْنُ نُونٍ

وَجَدْتُ أَنَّ يُوَشَّعَ بْنَ نُونٍ مِنْ أَكْثَرِ الشَّخْصِيَّاتِ النَّوَرَاتِيَّةِ ذِكْرًا فِي الشُّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ، فَقِصَّةُ مُطَاوَعَةِ الشَّمْسِ لَهُ أَخْصَبَتْ خِيَالَ الشُّعْرَاءِ وَاخْتَلَّتْ مَسَاحَةٌ جَيِّدَةٌ فِي نَظْمِهِمْ، وَكَانَتْ الْمَغْنِيَّةُ حِينَ يُذَكِّرُ يُوَشَّعُ وَوُجُودُ يُوَشَّعٍ كَثِيرًا فِي أَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ لَا يَعْني أَنَّهُ غَابَ عَنِ أَدَبِ الْمَشَارِقَةِ؛ فَقِصَّتُهُ كَانَتْ مُلْهِمَةً لكَثِيرٍ مِنْهُمْ أَيْضًا ^(٢).

وَفِي الْأَنْدَلُسِ كَانَ ابْنُ مَرْجٍ الْكُحْلِ (ت: ٦٣٤هـ) ^(٣) مِمَّنْ تَأَثَّرُوا بِيُوَشَّعٍ بِمَكَانَيْنِ فِي شِعْرِهِ؛ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا فِي مَجْلِسِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى ^(٤) فِي بُسْتَانٍ لَهُ كَانَ يَجْتَمِعُ فِيهِ مَعَ أَصْدِقَائِهِ، وَحِينَ

^١ ابن هائي ديوانه ص ٣٥٥ .

^٢ - كَانَتْ قِصَّةُ يُوَشَّعٍ مُلْهِمَةً لِبَعْضِ مِنْ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ فِي الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ. مِنْهُمْ أَبُو تَمَّامِ الطَّائِي (ت: ٢٣١هـ) بِقَوْلِهِ: [الطويل]

فَرَدْتُ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبٍ خَيْرٌ نَرْتَلِّغُ

فَوَ اللَّهِ مَا أُنْزِي: أَلْخَلَامُ نَائِمٌ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يُوَشَّعُ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّي (ت: ٤٤٩هـ) عَنْ يُوَشَّعٍ أَنَّهُ رَدَّ بُوْحَا أَيَّ الشَّمْسِ: [الوافر]

وَيُوَشَّعُ رَدَّ بُوْحَا بَعْضَ يَوْمٍ وَأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ بُوْحَا

انظر: ابن خَلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢٢٨/٧؛ الشَّرِيفُ الْغُرْنَطَايِيُّ رَفَعَ الْحُجُبِ الْمَسْتُورَةِ ٢٥/١ .

وَكَذَلِكَ جَاءَتْ فِي شِعْرِ عَلِي الصُّنْعَانِيِّ بِقِصَّةِ طَوِيلَةٍ أُولَاهَا: [الكامل]

أَرِيَاضُ رَوْضٍ أَشْرَقَتْ أَرْهَازُهُ تَفَرَّتْ عَنْ بَشَرٍ وَعَنْ سَرَّاءِ

أَمْ يُوَشَّعُ فِي الْعَصْرِ قَدْ رُنْتُ لَهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِجِدِّ سِرِّ الظُّلَمَاءِ الشُّوْكَانِيِّ الْبَدْرُ الطَّالِعُ ٤٧٠/١ .

^٣ - هُوَ الشَّاعِرُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْقَاسِمِ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَيَعْرِفُ بِابْنِ مَرْجٍ الْكُحْلِ، مِنْ بَلَنَسِيَّةٍ وَسَكَنَ جَزِيرَةَ شَقْرِ، وَكَانَ مَبْتَدِلَ الْبِلاَسِ عَلَى هَيْئَةِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا، وَكَانَ شَاعِرًا غَزَلًا، بَارِعَ التَّوَلِيدِ، رَفِيقَ الْعَزْلِ. تُوُفِّيَ بِبَلَدِهِ سَنَةَ ٦٣٤هـ .

انظر: ابن خَمَيْسٍ الْمَالِقِيُّ أَدْبَاءُ مَالِقَةَ ص ١٥٤ - ١٦١؛ ابن سَعِيدٍ رَايَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ٢٢٠ - ٢٢١؛ ابن الْخَطِيبِ

الْإِحَاطَةُ ٣٤٣/٢ - ٣٤٨؛ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ١٥٩ - ١٦٢؛ الْمَقْرِي تَفْحُصُ الطَّيِّبِ ٤٧/٧ - ٥٧ .

^٤ - لَمْ تَذَكَرِ الْمَصَادِرُ مَنْ هُوَ، قَدْ يَكُونُ الْوَزِيرُ: أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ رِزْقٍ صَاحِبُ الشَّاعِرِ الرُّصَافِيِّ الْبَلَنْسِيِّ. قَالَ عَنْهُ ابْنُ خَمَيْسٍ إِنَّهُ كَانَ كَرِيمًا مَقْصُودًا جَمِيلَ الْعِشْرَةِ، وَكَانَ طَلَبَةً مَالِقَةً يَجْتَمِعُونَ فِي مَنْزِلِهِ لَا يَبْرَحُونَهُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَخْتَصُّ بِهِمْ لِجُلُوسِهِمْ وَمُنَاطَرَاتِهِمْ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الْبُسْتَانِ أَوْصَافٌ عَجِيبَةٌ وَمَعَانٍ مُخْتَرَعَةٌ، وَلَهُمْ فِيهِ أَمْدَاحٌ رَائِعَةٌ، وَمِنْهُمْ الرُّصَافِيُّ وَابْنُ مَرْجٍ الْكُحْلِ فِي أَبْيَاتٍ سَتَاتِي، وَبِمَا أَنَّ ابْنَ مَرْجٍ مُتَأَخَّرَ زَمَنِيًّا عَنِ الرُّصَافِيِّ يَكُونُ قَدْ قَالَهَا وَهُوَ صَغِيرُ السِّنِّ إِنْ كَانَتْ قِيلَتْ فِي مُوسَى الْمَمْدُوحِ نَفْسِهِ، لَكِنْ أَرْجَحُ أَنْ تَكُونَ قِيلَتْ فِي مَنْ اسْمُهُ مُوسَى أَبُو عِمْرَانَ وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ نَظْمًا أَبْيَاتَهُمَا فِي الشَّخْصِ نَفْسِهِ.

انظر: ابن خَمَيْسٍ الْمَالِقِيُّ أَدْبَاءُ مَالِقَةَ ص ٢٠٠ - ٢٠٢؛ ابن سَعِيدٍ رَايَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ٢١١ - ٢١٣ .

دَنَا الْغُرُوبُ لَمْ يَخْشَرِ ابْنُ مَرْجِ الْكُحْلِ الظَّلَامَ لِأَنَّ سَنًا مُوسَى عَمَّ الْمَكَانَ، فَقَالَ^(١): [لكامل]
 فَاِنْعَمَ أَبَا عِمْرَانَ وَالْهَ بِرَوْضَةٍ
 الشَّمْسُ يَغْرُبُ نُورُهَا وَلَرُبَّمَا
 إِنْ غَابَ نُورُ الشَّمْسِ بِشَا نَتَقِي
 أَقْلَتْ قَتَابَ سَنَّاكَ عَنْ إِشْرَاقِهَا
 قَامَنْتُ يَا مُوسَى الْغُرُوبَ وَلَمْ أَقْلُ
 حَسَنَ الْمَصِيفُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْبَعُ
 كَسِيفَتْ، وَنُورُكَ كُلَّ حِينٍ يَطْلُعُ
 بِسَنَّاكَ لَيْلٌ تَفَرِّقُ يَنْطَلِعُ
 وَجَلَا مِنَ الظَّلْمَاءِ مَا يَتَوَقَّعُ
 "قَوْدِدْتُ يَا مُوسَى لَوْ أَنَّكَ يَوْشَعُ"

وَكَانَ مُنَاسِبًا أَنْ يَأْتِيَ ابْنُ مَرْجِ الْكُحْلِ بِقِصَّةِ "يَوْشَعُ" فِي مَقَامٍ تَحَدَّثَ فِيهِ عَنْ نُورِ الْمَمْدُوحِ الْمُسَمَّى مُوسَى وَيُكْنَى بِأَبِي عِمْرَانَ، وَهَذَا يُذَكِّرُ بِالنَّبِيِّ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ. فَحَصَلَتِ التَّهْيِئَةُ بِالْأَسْمَاءِ مَعَ نُورِ الْمَمْدُوحِ الَّذِي يَطْلُعُ كُلَّ حِينٍ لِيَدْخُلَ الْقَارِئُ فِي أَجْوَاءِ قِصَّةِ "يَوْشَعُ" حَتَّى لَوْ لَمْ يَذْكُرْهَا الشَّاعِرُ.
 وَكَانَ الشَّاعِرُ، فِيمَا أَرَى، حَذِرًا مِنْ أَنْ تَطْعَى الصَّبْعَةُ التَّوَرَاتِيَّةُ عَلَى الْقِصَّةِ؛ لِذَا لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ مَمْدُوحَهُ "يَوْشَعُ"، وَلَعَدِمَ تَمَنَّى الشَّاعِرِ أَنْ يَكُونَ مَمْدُوحُهُ "يَوْشَعُ" ثَلَاثَةَ أَوْجُهُ مِنْ التَّأْوِيلِ عِنْدِي؛ أَوَّلُهَا أَنَّهُ يَرَى أَنَّ مَمْدُوحَهُ تَفَوَّقَ عَلَى "يَوْشَعُ" بِكَوْنِهِ يُضِيءُ حَتَّى حِينَ تَخْتَفِي الشَّمْسُ وَلَا يَأْفُلُ نُورُهُ أَبَدًا، وَقَدْ يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَكْثَرُ؛ فَيَوْشَعُ النَّبِيُّ أَحْتَاجُ أَنْ تَتَوَقَّفَ الشَّمْسُ لِيُكْمَلَ قِتَالُهُ، وَكَانَ هَذَا مُعْجَزَةً وَلَمَرَّةً وَاحِدَةً بَيْنَمَا الْمَمْدُوحُ يَنْشُرُ سَنَاهُ لَمَنْ حَوْلَهُ بِدَيْمُومَةٍ وَلَيْسَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَوْ حَادِثَةٍ وَاحِدَةٍ، وَفِي هَذَا مُبَالِغَةٌ وَاضِحَةٌ، وَالْمُبَالِغَةُ سِمَةٌ فِي مُعْظَمِ مَدَائِحِهِ كَمَا يَرَى صَلاَحُ جَرَّارٍ^(٢). وَالْوَجْهُ الثَّانِي هُوَ خَوْفُهُ أَنْ يُشَبَّهَ مَمْدُوحُهُ بِنَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ الْيَهُودِ لَمْ تَتَأَكَّدْ بُيُوتُهُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ.

وَتَالِثُ الْأَوْجُهُ، وَهُوَ الَّذِي أَرَجَّحُهُ، أَنَّهُ أَرَادَ مُخَالَفَةَ الرَّصَافِيِّ (ت ٥٧٢هـ)^(٣) بِقَوْلِهِ^(٤): [لكامل]
 مَا مِثْلُ مَوْضِعِكَ ابْنَ رِزْقٍ مَوْضِعُ
 رَوْضُ يَرْفُ وَجَدُولٌ يَتَدَقُّعُ
 وَعَشِيَّةٌ لَيْسَتْ رِدَاءَ شُحُوبِهَا
 وَالْجَوُّ بِالْعَيْمِ الرَّقِيقِ مُقْتَعُ
 بَلَعْتَ بِنَا أَمَدَ السُّرُورِ تَأَلَّفَا
 وَاللَّيْلُ نَحْوَ فِرَاقِ آيَاتِ طَلَعُ
 قَابِلُ بِهَا زَمَنَ الْغُبُوقِ فَقَدْ أَتَى
 مِنْ دُونِ قُرْصِ الشَّمْسِ مَا يَتَوَقَّعُ
 سَقَطَتْ وَلَمْ تَمْلِكْ يَمِينُكَ رَدَّهَا
 قَوْدِدْتُ يَا مُوسَى لَوْ أَنَّكَ يَوْشَعُ

فَقَلَّبَ ابْنُ مَرْجِ الْكُحْلِ الصُّورَةَ وَجَدَّدَ؛ فَجَعَلَ سَنًا مَمْدُوحَهُ مُوسَى بْنِ أَرْزَقٍ بَدِيلًا لَغِيَابِ الشَّمْسِ فِي ذَلِكَ الْبُسْتَانِ. فَلَمْ يَكُنْ مُقْلَدًا وَحَسَبَ، بَلْ أَتَى بِمَعْنَى جَدِيدٍ وَمَعَاكِسٍ لِلْمَعْنَى تَمَامًا. فَالرَّصَافِيُّ تَمَنَّى لَوْ أَنَّ مُوسَاهُ يَوْشَعُ، وَجَاءَتْ الْأُمْنِيَّةُ كَذَلِكَ فِي سِيَاقٍ مُنَاسِبٍ وَدَقِيقٍ وَمُنْسَجِمٍ مَعَ التَّفَاصِيلِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْإِبْنَاتِ السَّابِقَةِ، وَلَمْ تَأْتِ قِصَّةُ يَوْشَعُ هُنَا مُقَحَّمَةً أَوْ غَرِيبَةً عَنِ السِّيَاقِ؛ فَخَوْفُ الشَّاعِرِ مِنْ قُدُومِ اللَّيْلِ بَدَأَ يَظْهَرُ مِنْ

١ - انظر: صفوان ابن إدريس زائد المسافرين ص ٧٠-٧١؛ ابن خيمس الملقب أنباء مائة ص ٢٠١؛ عبد الواحد المراكشي المعجب ص ٢٢٢؛ الشريف العزناطي رفع الخجب المستورة ٢٥/١؛ ابن الخطيب الإحاطة ٣٤٦/٢-٣٤٧؛ أعمال الأعلام ص ٢٧٨؛ المقرئ تفتح الطيب ٥٠٠، ٥٣/٧؛ صلاح جرار مزج الكحل الأندلسي؛ سيرته وشعره ص ١٢٦-١٢٧.

٢ - انظر: صلاح جرار مزج الكحل الأندلسي؛ سيرته وشعره ص ٧٧.

٣ - هو الشاعر: أبو عبد الله محمد بن غالب البنسي المعروف بالرصافي بضم الراء، أصله من رصافة [بليدة بقرب بلنسية]، خرج صغيراً من وطنه فكان يكثر الحنين إليه، ثم استوطن مائة إلى أن توفي بها ٥٧٢هـ. ووصف بأنه رومي الأندلسي لحسن اختياره وتوليده، وامتاز شعره بالرقّة وسلاسة الطبع، وعابه بعضهم بالإفلال. وله ديوان شعر قال صاحب الشذرات أن كله ملح. انظر: ابن خيمس الملقب أنباء مائة ص ٦٨-٨٥؛ عبد الواحد المراكشي المعجب ص ٢٨٦-٢٩٢؛ ابن الأبار التكملة ٤٦/٢-٤٧؛ ابن الأبار المفتض من ثخفة القادم ص ٧٥-٧٩؛ ابن سعيّد المغرب ٣٤٢/٢-٣٥٣؛ رايات المبرزين ٢١١-٢١٣؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ١٢/٧٤؛ ابن الخطيب الإحاطة ٥٠٥، ٥٠٢/٧؛ المقرئ تفتح الطيب ٣٥/٥-٣٦؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٤٢/٢.

٤ - عبد الواحد المراكشي المعجب ص ٢٢٢؛ ابن الأبار المفتض من ثخفة القادم ص ٧٩؛ ابن سعيّد المغرب ٣٥٠/٢؛ الشريف العزناطي رفع الخجب المستورة ٢٥/١؛ المقرئ تفتح الطيب ٣٩٢/٤، ٥٣/٧.

الأبيات السابقة، وهذا هيّا القارئ للتوقع وقبول قصة يوشع. وأتوقع أن القارئ بدأ يتمنى لو يظهر يوشع
 فبؤخر لهم غروب الشمس قبل أن يذكر الشاعر هذه الأمنية.
 ولم يظهر التأثير بقصة يوشع بقلة في الشعر الأندلسي؛ فالرّصافي نفسه أشار إلى قصة يوشع
 حين وفد سنة ٥٥٦ هـ ولم تكمل له عشرون سنة^(١) على عبد المؤمن (ت: ٥٥٨ هـ)^(٢) في جبل طارق، فذكر
 يوشع "قَمَاعَ الْجَبَابِيرِ" بقوله^(٣): [بسيط]

إِذَا صَدَعْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ مُجْتَهِدًا ضَرَبْتَ وَحْدَكَ أَعْنَاقَ الْجَمَاهِيرِ
 فَالْبَحْرُ قَدْ عَادَ مِنْ ضَرْبِ الْعَصَا يَبَسًا وَالْأَرْضُ قَدْ غَرِقَتْ مِنْ فَوْرِ ثَنُورِ
 وَالشَّمْسُ إِنْ ذَكَرْتَ مُوسَى فَمَا نَسِيتُ فَتَاهُ يُوْشَعَ قَمَاعُ الْجَبَابِيرِ

وَالْقَصِيدَةُ تَمْتَلِي بِإِحْيَاءِ تَكْمِلِ خُطُوطِ صُورَةِ يُوْشَعَ، قَالَ فِي أَوَّلِهَا^(٤): [بسيط]
 لَوْ جِئْتُ نَارَ الْهُدَى مِنْ جَانِبِ الطُّورِ قَبَسْتُ مَا شِئْتُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ نُورِ

وملأ الشاعر القصيدة ألفاظاً تشعر بالنور والظلام، وهما المحوران اللذان قامت عليهما القصة منها: "نار
 الهدى، وجانب الطور، من نور النبوة، نور الهداية تجلو ظلمة الزور، والإيمان والكفر، ليلاً،
 ديجور، أضاعت، عن قبس نور، الشمس"، وبهذا نشر أجواء مناسبة مهيأة لقصة يوشع. إلا أنه يلاحظ

^١ - عبد الواحد المراكشي المفعج ص ٢٢١ .

^٢ - هو زعيم الموحدين: عبد المؤمن بن علي الكومي (٤٨٧ - ٥٥٨ هـ) أمره ابن تومرت على الجيش وقاتل المرابطين، إلى أن توفي ابن تومرت
 سنة ٥٢٤ هـ، فقام بعده عبد المؤمن. وصفه المراكشي بأنه كان مؤثراً لأهل العلم، محباً لهم، محسناً إليهم. وبعد وفاة زعيم المرابطين علي بن يوسف بن
 تاشفين سنة ٥٣٧ هـ دان لعبد المؤمن جميع أقطار المغرب الأقصى مما كان يملكه المرابطون.

انظر: عبد الواحد المراكشي المفعج ص ١٨٠-١٨٥، ١٩٢-٢٧٦ .

^٣ - عبد الواحد المراكشي المفعج ص ٢٢١؛ ابن سعييد المغرب ٢/ ٣٥٠ .

^٤ - عبد الواحد المراكشي المفعج ص ٢١٨ .

غَلَبَةُ الْمُؤَثَّرَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ أَكْثَرُ مِنَ التَّوَرَاتِيَّةِ فِي صَيَاغَةِ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ؛ فَيُوشَعُ "قَتَى مُوسَى" (١)، وَنَارُ الْهَدَى تَأْتِي "مِنْ جَانِبِ الطُّورِ" (٢).

وَالْمَوْقِعُ الثَّانِي لِابْنِ مَرْجٍ الْكَخْلِيِّ حِينَ مَدَحَ الْمُتَوَكِّلَ (ت: ٦٣٥هـ) (٣) بِقَوْلِهِ (٤): [لطويل]
فَقَحَّتْ بِلَادَ اللَّهِ دُونَ مَشَقَّةٍ
وَلَا بُدَّ مِنْ فَتْحِ الْبَقِيَّةِ عَاجِلًا
فَيُوشَعُ رَدَّ الشَّمْسِ فِي جَرَيَانِهَا
وَمَا بَعْدَتْ نُورًا وَلَا نَقَصَتْ قُدْرًا

فَيَأْمُلُ الشَّاعِرُ أَنْ يُكْمِلَ الْمَمْدُوحُ فَتَحَ بَقِيَّةَ بِلَادِ اللَّهِ بَعْدَ هَذَا الْفَتْحِ، وَيَشِيرُ إِلَى أَنَّ مَا تَأَخَّرَ مِنْ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ قَدْ يَتَفَوَّقُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَيُذَلِّلُ عَلَى هَذَا بِقِصَّةِ يُوشَعَ الَّذِي حَقَّقَ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِ آخِرَ الْيَوْمِ وَقَتَ الْغُرُوبِ، فَكَانَتْ الْقُضِيْلَةُ الَّتِي تَحَصَّلَتْ لِيُوشَعَ بَعْدَ الْعَصْرِ أَفْضَلَ مِمَّا حَقَّقَهُ فِي الْبِدَايَاتِ، ثُمَّ يَوْضَحُ ابْنُ مَرْجٍ الْكَخْلِيُّ كَلَامَهُ أَكْثَرَ فَيُفَسِّرُهُ بِالْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ، قَائِلًا (٥): [لطويل]

قَضَى رَبُّهُ أَنْ يَمْلِكَ الْأَرْضَ آخِرًا
وَكَمْ آخِرٍ قَدْ جَاءَ بِالْفَضْلِ أَوَّلًا
فَفِي رَمَضَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ كَوْنُهَا
وَهَلْ تُجَعَلُ الدُّنْيَا سَوَاءً مَعَ الْآخِرَى
وَمَا صَحَّحَتْ إِلَّا أَوَاخِرُ الْعَشْرَا

وَمِثْلُ الشَّاعِرَيْنِ ابْنِ مَرْجٍ الْكَخْلِيِّ وَالرُّصَافِيِّ وَظَفَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَّانِ (٦) قِصَّةَ يُوشَعَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ كَذَلِكَ، وَاحِدَةً مِنْهَا فِي مِدْحَةِ طَوِيلَةٍ، قَالَ فِيهَا (٧): [لكل]

لَهُ غُرَّةٌ لَوْ أَلْبَسَ اللَّيْلُ نَوْرَهَا
لَلَاخِ لَدَيْنَا فِيهِ بَرْهَانُ يُوشَعَا

وَلَمْ يَأْتِ تَطْوِيعُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَّانِ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ التَّوَرَاتِيَّةِ مُقَحَّمًا عَلَى جَوِّ الْقِصِيدَةِ، بَلْ أَضَاءَ الشَّاعِرُ سَمَاءَ أَبْيَاتِ الْقِصِيدَةِ الَّتِي نَاهَزَتْ السُّتُورَ بَيْتًا بَلِيْلًا وَنُجُومًا، وَسِرَاجَ يَطْلُعُ لِيَحْصُلَ انْسِجَامٌ وَتَأْلَفٌ بَيْنَ شَمْسِ يُوشَعَ وَبَقِيَّةِ الْإِشْرَاقَاتِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْأَبْيَاتِ لِيَتَنَاسَبَ مَعَ تَوْظِيْفِهِ لِلْقِصَّةِ.

١ - تَأَثَّرَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ سُورَةُ الْكَهْفِ، آيَةُ ٦٠.

٢ - تَأَثَّرَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَدِدُّهُ مَرْجَبُ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، آيَةُ ٥٢.

٣ - هُوَ السُّلْطَانُ: مُحَمَّدٌ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدٍ الْجَذَامِيِّ الْمُتَوَكِّلَ عَلَى اللَّهِ، ثَارَ بِمُرْسِيَّةٍ وَادَّعَى أَنَّهُ مِنْ مُلُوكِ سَرَغُسْطَةَ ثُمَّ مَلَكَ مُرْسِيَّةً. ثَارَتْ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْمَأْمُونِ وَانْقَادَتْ لِابْنِ هُوْدٍ سَنَةَ ٦٢٥هـ، حُطِّبَ لِلْعَبَّاسِيِّينَ وَاتَّخَذَ السَّوَادَ شِعَارًا، وَكَانَ عَامِيًّا جَاهِلًا مَشْهُومًا عَلَى الْأَنْدَلُسِيِّينَ، بَدَأَتْ تَسْقُطُ الْبِلَادُ بِأَيْدِي النَّصَارَى فِي عَصْرِهِ. إِلَى أَنْ قَتَلَهُ وَزِيرُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الرُّمَيْمِيِّ غِيلَةً سَنَةَ ٦٣٥هـ فِي الْمَرْيَةِ.

انظر: الْمُغْرِبُ ٢/٢٥١-٢٥٢؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكِشِيُّ الْمُفْعُجِبُ ص ٣٣٥-٣٣٦؛ ابْنُ الْأَبَّارِ التَّحْمِيْمَةُ ١٢٦/٤

٤٩٢، الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢/٣٠٣؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِخَاطَةُ ٢/١٢١-١٢٧؛ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ١٦٠-١٦٢.

٤ - ابْنُ الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ١٦٠-١٦٢.

٥ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٦ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشَّرَّانِ الْفَقِيهَ الْكَاتِبَ الشَّاعِرَ الْعَرَنَاطِيَّ، كَانَ حَيًّا سَنَةَ ٨٣٧هـ. لَهُ أَرْجُوزَةٌ فِي الْفَرَائِضِ وَشَرْحُهَا الْقَلْصَادِي. انظر: ابْنُ فَرْكُونٍ مُظْهَرُ النُّورِ ص ٢٩؛ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلُوفٍ شَجَرَةُ النُّورِ الزُّكِّيَّةُ ص

٢٤٨؛ الْمُقَرِّيُّ أَرْهَازُ الرِّيَاضِ ١/١١٦؛ أَحْمَدُ التَّبَكِّيُّ تَزِيلُ الْإِبْتِهَاجِ ٢/٢١٤-٢١٥.

٧ - ابْنُ فَرْكُونٍ مُظْهَرُ النُّورِ ص ٤٥.

وَكَرَّرَ الشَّرَّانُ تَوْظِيفَ الرُّمُوزِ السَّابِقَةِ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى لَهُ، قَالَ فِيهَا^(١): [لطويل]
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْعَجَاجِ بِمَعْرَكِ وَبَدَا، رَأَيْنَا مَا رَأَى يُوْشَعُ

وَفِي الْمَوْشَحَاتِ كَذَلِكَ جَاءَتْ قِصَّةُ يُوْشَعُ، وَمِنْهَا مَوْشَحُ لَابِنِ زُهْرٍ قَالَ فِيهِ^(٢):

مَنْ لَصَبٌ غَدَا مَشُوقٌ ظَلَّ فِي دَمْعِهِ غَرِيقٌ حِينَ أُمُوا حِمَى الْعَقِيقِ^(٣)

وَاسْتَقْلُوا بِذِي الْعَضَا^(٤) أَسَافِي يَوْمَ وَدَّعُوا

مَا تَرَى حِينَ أَظَعْنَا وَسَرَى الرَّكْبُ مَوْهِنًا^(٥) وَانْكَسَى اللَّيْلُ بِالسَّنَا

نُورُهُمْ ذَا الَّذِي أَضَا أَمَّ مَعَ الرَّكْبِ يُوْشَعُ

فَكَانَ يُوْشَعُ فِي الْمَوْشَحِ كَمَا كَانَ فِي الشَّعْرِ التَّقْلِيدِيَّ نُورًا شَدِيدًا يَأْتِي وَقْتُ اشْتِدَادِ الظَّلَامِ وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ، فَيُبْعَثُ النُّورَ وَيُعِيدُ الْأَمَلَ بِسُوءِغَاتٍ مِنَ اللُّهُوِّ وَالْمَرَحِ وَالسُّرُورِ.

٣ - بُلْعَامُ

كَانَتْ قِصَّةُ بُلْعَامَ^(٦) دَلِيلًا آخَرَ عَلَى تَأَثُّرِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ بِالْيَهُودِ. فَذُكِرَتْ مَثَلًا فِي أَبْيَاتٍ أَرْسَلَهَا لِسَانَ

الدِّينِ ابْنُ الْخَطِيبِ إِلَى ابْنِ مَرْزُوقِ التِّلْمَسَانِيِّ (ت: ٧٥٣هـ)^(٧) قَالَ فِيهَا^(٨): [لطويل]

تَعَلَّمَ طَيْفُورِي خِ لَالٍ سَمِيهِ وَإِنْ كَانَ مَنْسُوبًا إِلَى غَيْرِ

وَجَاءَ فَقِيرَ الْوَقْتِ لَا بِسَ خِرْقَةٍ فَلَيْسَ بِرَاضٍ غَيْرَ صُخْبَةٍ^(٩)

١٥

١ - ابن فُزْكَونَ مظهر النُّور ص ٤٧ .

٢ - المَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّب ١٩/٣ .

٣ - العَقِيقُ: وادٍ بالحجاز عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَقِيلَ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْهَا، مَاتَ بِهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ مَوَاضِعٌ كَثِيرَةٌ تَسْمَى الْعَقِيقُ؛ وَيُقَالُ لِكُلِّ مَا شَفَّهَ مَاءُ السَّيْلِ فِي الْأَرْضِ فَأَنْهَرَهُ وَوَسَّعَهُ عَقِيقٌ. انْظُرْ: ابْنُ خُلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ

٤/١٣٨-١٣٩؛ ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [عَقَق] ٢٥٥/١٠؛ الْحِمَيْرِيُّ الرُّؤُوسُ الْمِغْطَارُ ص ٤١٦-٤١٧ .

٤ - الْعَضَا: شَجَرٌ؛ وَهُوَ مِنْ نَبَاتِ الرَّمْلِ لَهُ هَذَبٌ . ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [عَضَا] ١٢٨/١٥ .

٥ - مَوْهِنًا: نَحْوُ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ أَوْ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنْهُ وَقِيلَ هُوَ حِينَ يَدْبُرُ اللَّيْلُ . ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [وَهَن] ٤٥٥/١٣ .

٦ - هُوَ: بُلْعَامُ أَوْ بُلْعَمٌ بِدُونِ أَلْفٍ رَابِعَةٍ، وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ بُلْعَمٌ لَكِنْ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً، وَقَدْ وَرَدَ الْأَسْمُ بَعْدَهُ أَشْكَالٌ لَيْسَ هَذَا مَجَالُ التَّدْقِيقِ فِيهَا فَقَالُوا ابْنُ بَاعُورَا أَوْ بَاعُورَاءُ أَوْ بَاعُورُ أَوْ بَاعِرُ . انْظُرْ قِصَّتَهُ فِي: ابْنِ كَثِيرٍ تَفْسِيرُهُ ٢٦٤/٢ - ٢٦٧؛

الْوُزَيْرِيُّ نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٦٧/١٣ - ٢٧١؛ ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [بُلْعَم] ٦٥/١٢ .

٧ - هُوَ الْخَطِيبُ: ابْنُ مَرْزُوقِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ التِّلْمَسَانِيِّ، عَمَلُ حَاجِبًا فِي الدَّوْلَةِ الْغَرْنَاطِيَّةِ، وَلَدَ فِي تِلْمَسَانَ عَامَ ٧١٠هـ . تَنَقَّلَ بَيْنَ كِتَابَةِ الرِّسَالَةِ وَوَلَايَةِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ. وَكَانَ الْمَقْرِي يُقْبَلُهُ بِعَالَمِ الدُّنْيَا. انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٢٣/٣-١٠٥؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢/٣٤٠-٣٤٣، ٣/٣١٩، ٤٣٠، ٤٣٢، ٧/٩٥، ١٣٧-١٤٤، ٣٦٥-٣٨٩، ٩/١٠٦-١٠٧، ١٣٦، ١٤٠، ١٩٨ .

٨ - ابْنُ الْخَطِيبِ السَّلْمَانِيُّ دِيْوَانُهُ ٥٥٤/٢؛ الْمَقْرِي أَرْهَازُ الرِّيَاضِ ٣٠١/١ .

٩ - بِسْطَامٌ: بِالْكَسْرِ ثُمَّ السَّكُونِ، لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ قَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ ابْنَهُ بِسْطَامًا بِاسْمِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ، كَمَا سَمَّوْا قَابُوسَ وَدَحْنُثُوسَ، فَعَرَّبُوهُ بِكَسْرِ الْبَاءِ. وَيَسْطَامُ بَلَدٌ كَبِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْمَالِ قَوْمِ قَوْمِسَ وَيُقَالُ إِنَّهَا أَوَّلُ بِلَادِ خُرَاسَانَ مِنْ جِهَةِ الْعِرَاقِ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى نَيْسَابُورَ بَعْدَ دَامَغَانَ، وَفِيهَا قَبْرُ أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ طَيْفُورَ . انْظُرْ: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/٤٢١ - ٤٢٢؛ ابْنُ

مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [بِسْطَم] ٥٠/١٢؛ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ [بِسْطَم] ٨١/٤ .

١٠ - الْمَقْرِي أَرْهَازُ الرِّيَاضِ ٣٠١/١ .

فَدَيْتَكَ لَا تَرُدُّهُ عَنْكَ مُحَيِّيًا

وَدَرَّسَهُ يَا مَوْلَايَ قِرَاصَةً

انظر كيف جمع ابن الخطيب بين الطيفورين؛ فالطيفور^(٢) ليس أبا زيد البسطامي^(٣) لأنه منسوب إلى غير بسطام، لكن في البيت الثاني يوصف هذا الطائر بأنه ضعيف الحجم قليل اللحم بقوله "فقير، لا بس خرقه"، فكأنه يريد تعلم الزهد من سميّه طيفور البسطامي العابد الذي تحل جسمه من شدة الصيام، ثم كان "فقير الوقت"، وقد يكون بهذا إشارة إلى أنه إن مرّ عليه وقت كبير سيفسد فيجب أكله على الحال لكونه مطبوخًا جاهزًا للأكل، كما أن مرسله غطاه بخرقة كخرق الصوفيين، إلى هنا قد يصبح معنى الأبيات مفهوماً لكن في البيت الأخير غموض؛ فما وجه المقاربة بين قصة بلعام وهذا الطائر؟ حين عيّرت في مناسبة الأبيات في "أزهار الرياض" وعكستها توصلت إلى شيء من التأويل قد يكون به مراد الشاعر، فالمقريّ كتب أمام الأبيات أن الطيفور هدية لابن الخطيب على طبق فيه طعام، وفي الديوان قدم للأبيات بقوله "أهديته" وقاعله مجهول.

لكنني أرى أن ابن الخطيب هو مرسل الهدية وليس العكس، وحصل تصحيف^(٤) للكلمة، فقلبت المناسبة وقوى هذا الرأي عندي كلمة "طيفوري"، وبإضافة الياء فيها يترجح عندي أن ابن الخطيب هو المهدي [بكر الدال] وليس المهدي إليه [يفتح الدال]. وبقلب المناسبة أتوقع أن هذا الطعام المطبوخ المرسل من قبل ابن الخطيب كان مرسلًا إلى شخص خاف الشاعر أن يردّ هذه الهدية لسبب ما، لذا طلب منه أن لا يحيب رجاءه برفض الهدية. وعلى هذا الفهم الجديد للأبيات سيكون "المولى" المخاطب حسب ما أرى ليس الشخص المخاطب في صدر البيت الذي تعود إليه الكاف

^١ - لعله يقصد: بلعام بن باعوراء، وفي حاشية الديوان أنه من بلع الطعام . انظر: ابن الخطيب السلمي ديوانه ٥٥٤/٢ [الحاشية].

^٢ - طيفور كلمة نادرة الاستعمال. ومذكورة في كتب محدودة جدًا، وجدت الطيفور في اثنين منها فقط بجانب المعاجم اللغوية، ففي النجوم الزاهرة ورحلة ابن بطوطة، وفي معجم دوزي أن الطيفور قد يكون طبقًا صغيرًا يشبه الصينية يوضع فيه الطعام أو أدوائه. وعليه جاء مع أن الأبيات تتحدث عن طعام إلا أن هذا المعنى برأي لا يستقيم مع الأبيات السابقة، فكيف يتعلم طيفوره خلال سميّه؟ فاستبعدته. وفي المعاجم اللغوية الطيفور طوينر صغير، كما أنه اسم البسطامي الصوفي وهذا يناسب الأبيات. انظر ابن بطوطة رخلته ص ٢٠٦، ٥٠٩ - ٥١٠؛ ابن تغري بزدي النجوم الزاهرة ٩٣/٤؛ ابن منظور لسان العرب [طفر] ٥٠٢/٤؛ الفيروز آبادي القاموس المحيط [طفر] ٨١/١؛ رينهارت دوزي تكملة المعاجم العربية ترجمة: محمد النعمي [طفر] ٥٦/٧ .

^٣ - سميّه هو: أبو يزيد طيفور بن عيسى ابن شروسان البسطامي، من أشياخ الصوفية، توفي ٢٦١ هـ .

انظر: السلمي طبقات الصوفية ص ٦٧ - ٧٤؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٤٢١/١؛ ابن خلكان وفیات الأعيان ٥٣١/٢؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٨٦/١٣ - ٨٩؛ ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار ٧١/٨؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٨٦/١٣؛ ابن تغري بزدي النجوم الزاهرة ٣٥/٣؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ١٤٣/١ - ١٤٤؛ البكري معجم ما استعجم ٢٥٠/١؛ ابن منظور لسان العرب [بسطم، طفر] ٥٠/١٢، ٥٠٢/٤؛ الفيروز آبادي القاموس المحيط [بسطم] ٨١/٣ .

^٤ - التصحيف: هو أن يقرأ الشيء بخلاف ما أراد كاتبه، وعلى غير ما اصطلاح عليه تسميته .

انظر: علي الجرجاني التعريفات ٨٢/١؛ محمد المناوي التعاريف ١٦٢/١؛ ابن منظور لسان العرب [صف] ١٨٧/٩؛ إنعام عكاوي المعجم المفصل في علوم البلاغة ص ٣٦٠ .

في "فديتك". ولأن "المولى" اسم يقع على جماعة كثيرة^(١) أرى معناه هنا هو العبد أو الخادم الذي أرسل ابن الخطيب هذه الهدية معه، أو صاه أن يقول للآخر أن لا يرد الهدية، لأن مرسلها حاله كحال بلعام الذي يأمل أن تكون دعوته مجابة.

فلجأ الشاعر إلى قصة بلعام الذي لا ترد دعوته كي تقبل هديته ولا ترد كما لم ترد دعوة بلعام أبداً. وبهذا قد يزول غموض الأبيات. ولم تكن دلالة بلعام في الأبيات متوقعة بل كانت مقحمة في الكلام. ولا يتوصل إلى المعنى إلا بعد عناء كبير وتحليل عميق للأبيات كافة، هذا إن لم يكن للأبيات معنى آخر لم يخطر على بالي بعد.

وفي حاشية الديوان^(٢) رأي أن بلعام هنا قد يكون اشتقاقاً من بلع الطعام وفي الكلام تورية، وأرى في هذا الرأي تكلفاً في النظم لم أر شيئاً له في شعر ابن الخطيب، لذا استبعدته.

فعلaque الانسجام بين المسلمين واليهود مهدت لهذا الجمع الكبير من الرموز الصوفية كطيفور البساطي وخرقة الصوفية وصحبة الصوام بجانب رمز من رموز العبادة عند اليهود ألا وهو العابد بلعام. فلا يمكن أن يلجأ شاعر كابن الخطيب صاحب المكانة السياسية والأدبية المعروفة إلى استعارة اسم عابد من الديانة اليهودية ويضعه في نظمه متجاوزاً مع عابد صوفي بهذا الهدوء إلا إن كان في المجتمع حوله من يقبل هذا التجاور والانسجام، وهذا لا ينبئ بأي حال من الأحوال عن عداء أو تصارع بين من يمثلهما خارج أبيات الشعر على أرض الواقع. لذا أقول في التبت أثر من آثار التلاقي الحاصل بين أهل الديانتين في تلك البلاد إضافة إلى أن الشاعر اشتغل عند أمراء بني الأحمر بعزناطة التي تجاورت فيها الديانتان بهدوء وسلام لفترة طويلة من الزمن.

كما أن الانسجام الحاصل بين رموز للتدين عند المسلمين واليهود لم يكن حالة نادرة في الشعر الأندلسي؛ فالمقرئ الجد^(٣) (ت ٧٥٩هـ) من شيوخ ابن الخطيب له أبيات يعارض فيها أليفة ابن الفارض:

وَعَدْتُ عَلَى حَلَاجِ شُكْرِي بِصَالِبِهِ وَأَلْقَيْتُ بِلُعَامِ النَّفَاقِي بِهُوَّةِ
ت ٦٣٢هـ) ^(٤) قَالَ فِيهَا ^(٥) : [لطويل]

^١ - المولى اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والتابع والجار وابن العم والخليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه.

انظر: ابن منظور لسان العرب [ولي] ٤٠٦/١٥ - ٤١٥.

^٢ - انظر: ابن الخطيب السلمي ديوانه ٥٥٤/٢ [الحاشية].

^٣ - هو: المقرئ الجد، محمد بن محمد بن أحمد القرشي يكنى أبا عبد الله، ولد ونشأ بلمسان وسكن فاس، جد المقرئ صاحب نفح الطيب. عمل قاضي الجماعة بفاس ولمسان، استعمل في الرسالة، وانتقل إلى الأندلس ٧٥٦هـ، توفي بعزناطة ونقل جثمانه إلى لمسان.

انظر: ابن الخطيب الإحاطة ١٩١/٢ - ٢٢٦؛ المقرئ نفح الطيب ١٩٥/٧ - ٢١٢، ٢٤٠ - ٢٦٦، ٣٠٦ - ٣١٧.

^٤ - هو: شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة والملقب بسُلطان المحبين والعشاق، عُرف بابن الفارض. ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ، سلك طريق الصوفية، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٣٢هـ. ودفن في المقطم. له ديوان شعر. انظر: ابن خلكان وفیات الأعيان ٤٥٤/٣ - ٤٥٦؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٣٦٨/٢٢؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ١٤٩/٣ - ١٥٣.

^٥ - ابن الخطيب الإحاطة ٢١٢/٢؛ المقرئ نفح الطيب ٣١٤/٧.

والأبيات طويلاً جداً، وقد قسمها إلى عدة فصول. فحتى يصل الشاعر إلى ما وصل إليه من القرب من الذات الإلهية كان عليه أن يسلك طريقاً شاقاً صعبة، وكان عليه أن يرفض جميع طرق السالكين في هذا الدرب قبله جملة وتفصيلاً. وحتى يتحقق الحال الذي يريده قام باستحضار قصة صلب الحلاج (ت: ٣٠٩هـ)^(١) الصوفي المشهور الذي اتهم فعلاً بدينه وصلب وقيل بعد أن ظهرت له كرامات كثيرة ذكرت في كتب الصوفية، كما قام الشاعر كذلك بإرسال بلعام إلى هوة لا يستطيع الخروج منها رغم تقاينه وصدق سيره إلى الله قبل ذلك؛ فالحلاج يمثل تطرفاً وانحرافاً في العبادة بعدما أعطاه الله الكثير من الكرامات، كذلك فإن بلعام يمثل في هذا البيت تطرفاً في العبادة بعد نعيم هائل عاشه فتحوّل عندهما النعمة إلى نقمة؛ فالحلاج ضرب نحو ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه ثم ضربت عنقه، وأخرقت جنته بالنار، ونصب رأسه على سور الجسر ببغداد وعلقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه^(٢)، وبلعام كذلك انحرف في طريق العبادة.

وأرى أن المقابلة الشعرية بين الحلاج وبلعام في الأبيات السابقة تمت بهدوء، وبلا حشد كبير للكلمات أو صخب في المعاني، وجاء الهدوء في البيت بعد استحضار سلسلة طويلة من أئمة الصوفية وكبار العارفين بالله سمّاهم واحداً واحداً، ورغم مكانتهم إلا أنه يرفضهم كلهم، بدءاً من الفارابي (ت: ٣٣٩هـ) إلى ابن سينا (ت: ٤٢٨هـ) إلى ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ)^(٣) إلى ابن طفيل^(٤) إلى

^١ - هو: أبو عبد الله الحسين بن منصور بن محمد الفارسي الحلاج، كان مجوسياً تصوف ثم قدم بغداد فصحب الجنيد ثم فتن، فسافر إلى الهند وتعلم السحر، ثم بنت منه كُفريات أبحاث دمه، قتل سنة ٣٠٩هـ. انظر: السلمي طبقات الصوفية ص ٣٠٧-٣١١ ابن الأثير الكامل ٤/٧ - ٥؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ١٤٠/٢ - ١٤٦؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٣١٣/١٤ - ٣٥٦؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٥٣/١ - ٢٥٧؛ ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار ١١٠/٨.

^٢ - انظر: ابن الأثير الكامل ٥/٧؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ١٤٥/٢؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٥٧/١.

^٣ - هو الفقيه الفيلسوف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد (٥٢٠ - ٥٩٥هـ) قاضي الجماعة بفزطبة، ماله إلى الفلسفة وبرع في الطب. ولما كان المنصور صاحب المغرب بفزطبة استدعاه وأخزّمه كثيراً، ثم نغم عليه حين اتهمه خصومه بالزندقة، فقاه إلى مراكش، وقيل إلى غيرها، وأخرق بعض كتبه. وبعد سنوات استدعاه المنصور من الأندلس للعفو عنه، فمرض بمراكش إلى أن توفي بها. له من النصائف بداية المجتهد ومختصر المستنقى، وله شرح أرجوزة ابن سينا والمقدمات وغيرها. انظر: أبو الحسن النباهي تاريخ فضاة الأندلس ص ٩٨، ١١١؛ عبد الواحد المراكشي المفجّب ص ٢٤٢ - ٢٤٣؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ١٣٥/٧؛ ابن عذاري المراكشي البيان المغرب - قسم الموحدي - ص ٢٢٦؛ ابن أبي أصيبعة غيوت الأنبياء ٥٣٠/١ - ٥٣٣؛ ابن سحيد المغرب ١٠٤/١ - ١٠٥؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٣٠٧/١٢ - ٣٠٩؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٢٨/٢ - ٢٣٠، ٦٢/٤.

^٤ - هو الطبيب الفيلسوف: أبو بكر محمد بن طفيل، كان فقيهاً شاعراً لغوياً مهتماً طبياً، وله نصائيف منها رسالة حي بن يقظان ورسالة في النفس، وكان يوسف بن عبد المؤمن شديد الشغف به، وكان يقيم في القصر عنده أياماً يجالسُه ويستفيد منه.

انظر: ابن بحية المطرب ص ٦٦؛ عبد الواحد المراكشي المفجّب ص ٢٣٩ - ٢٤٣؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ١٣٤/٧؛ ابن سحيد المغرب ٨٥/٢ - ٨٦؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٩٩/٢١.

الجُنَيْد (ت ٢٩٧هـ) ^(١) إلى ابن أدهم (ت ١٦٢هـ) ^(٢)، وهُنَا ظَهَرَتْ قُدْرَةُ الشَّاعِرِ عَلَى جَمْعِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَاهُمْ بِدِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سُجِنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ طُرِدَ ^(٣). وَحِينَ رَفَضَ الشَّاعِرُ طَرِيقَتَهُمْ فِي السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْيَهُودِيِّ مِنْهُمْ، فَكُلُّهُمْ مَرْفُوضُونَ عِنْدَهُ، بَدَأَ أَوَّلًا بِعُلَمَاءِ وَفَلَاسِفَةِ وَمُفَكِّرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ بِلُغَامِ الْعَابِدِ الْيَهُودِيِّ فِي نَهَايَةِ الْقَائِمَةِ، وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى تَأَثُّرِ الشَّاعِرِ بِالْيَهُودِ فَقَطْ، بَلْ يُشْعِرُ الْقَارِئَ أَنَّ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ فِي تِلْكَ الْأَوْقَاتِ لَمْ يَجِدُوا أَيَّ حَرَجٍ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ، وَلَمْ يَأْتِ بِلُغَامِ فِي صُورَةِ يَهُودِيَّةٍ خَاصَّةٍ، بَلْ يَحْسَبُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْهُ أَحَدَ عُلَمَاءِ الصُّوفِيَّةِ، وَلَمْ يَأْتِ بِهِ بِشَكْلِ عِدَائِي وَاضِحٍ، بَلْ جَاءَ مَعَ ابْنِ رُشْدٍ وَابْنِ طُقَيْلٍ دُونَ أَيِّ فَصْلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَرُغْمَ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ جَمِيعًا وَمِنْهُمْ بِلُغَامِ الْيَهُودِيِّ كَانُوا يُشَكِّلُونَ طَرُقًا لِلْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ، يَجْمَعُهُمُ الشَّاعِرُ نَفْسُهُ فِي بَدْءِ نَظْمِهِ حِينَ قَالَ ^(٤):

[لطويل]

عَلَى أَنَّنَا فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ وَاحِدٌ تَوَلَّفْنَا بِالْوَصْلِ عَيْنُ النَّشْتِ

فَالطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ وَاحِدٌ يُوَحِّدُ السَّالِكِينَ مَهْمَا تَعَدَّدَتْ مَذَاهِبُهُمْ. وَالشَّاعِرُ لَا يُنْكِرُهُمْ رَفَضَ عَدَاوَةَ وَصِرَاعَ، وَإِنَّمَا يَرْفُضُهُمْ رَفَضَ مَنْ يَرْغَبُ فِي التَّمَيُّزِ فِي عِلَاقَةِ مُبْتَكِرَةٍ مَعَ مَحْبُوبِهِ اللَّهِ.

وَهَذَا الْجَمْعُ الْعَرِيبُ بَيْنَ الْحَلَاكِ وَبِلُغَامِ لَيْسَ جَدِيدًا عَلَى مَجَالِسِ الشُّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ، فَفِي "النَّفْحِ" عَنِ الْمَقْرِي الْجَدِّ كَذَلِكَ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ شَاطِرٍ ^(٥) عَنْ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ الْفَارِضِ ^(٦): [لطويل]

فَلَمْ أَلَهُ بِاللَّاهُوتِ عَنْ حُكْمِ مَظْهَرِي وَلَمْ أَنْسَ بِالنَّاسُوتِ مَوْضِعَ حِكْمَتِي

فَقَالَ ابْنُ شَاطِرٍ: يَقُولُ مَا أَنَا بِالْحَلَاكِ وَلَا بِبِلُغَامِ ^(٧)، فَذَكَرَ بِلُغَامَ وَالْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدِ أَقْطَابِ الْعِبَادَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَجَالِسِ الْمَقْرِي الْجَدِّ مُشَابِهَةٌ لِلْأَجَوَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي شِعْرِ تَلْمِيذِهِ ابْنِ الْخَطِيبِ.

^١ - هُوَ: أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَوَارِيرِيُّ الْخَزَّازُ (٢٢٠ - ٢٩٧هـ) مِنْ تَهَاوَنَدَ وَنَشَأَ بِالْعِرَاقِ، وَكَانَ أَبُوهُ يَبِيعُ الزَّجَاجَ فَلِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لَهُ الْقَوَارِيرِيُّ. وَهُوَ مِنْ أَشْيَاخِ الصُّوفِيَّةِ.

٢٨٥/٣؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٦٦/١٤ - ٧٧؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيُّ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ٢٢٨/١ - ٢٣٠.

^٢ - هُوَ: أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ النَّبْخِيُّ مِنْ أَهْلِ بَلْخٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ. خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ وَصَحِبَ بِهَا سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ وَالْفَضِيلَ ابْنَ عِيَاضٍ. ثُمَّ دَخَلَ الشَّامَ فَكَانَ يَعْمَلُ وَيَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَبِهَا مَاتَ. انْظُرْ: السُّلَمِيُّ طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ص ٢٧ - ٣٨؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٣٨٧/٧ -

٣٩٦؛ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ خُلَيْةِ الْأَوَّلِيَاءِ ٣٦٧/٧ - ٣٩٤؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيُّ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ٣٥٥/١ - ٣٥٦.

^٣ - وَرَزَّ ابْنُ سَيِّئَاءَ بِهِمَذَانَ فَقَامَ عَلَيْهِ الْأَمْرَاءُ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، ثُمَّ سَجَنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَلَمَّا مَاتَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَتَاهُمْ ابْنُ طُقَيْلٍ بِأَنَّهُ سَمَهُ فَجَرَّتْ عَلَيْهِ مِخْلَةً وَخَلَدَ فِي مَنْزِلِهِ مَسْجُونًا، وَابْنُ رُشْدٍ قَضَى آخِرَ أَيَّامِهِ مَهْجُورًا فِي مَنْزِلِهِ، وَأَمَرَ كُلُّ مَنْ يَمُرُّ بِهِ أَنْ يَلْعَنَهُ وَيَبْصُقَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ كَانَ نَفْيُهُ إِلَى بَيْتَانَةِ مَدِينَةِ الْيَهُودِ، وَقَالَ آخَرُونَ إِلَى أَلَيْسَانَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْيَهُودِ. انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٠٥/١، ٨٥/٢؛ ابْنُ أَبِي أَصْبَغَةَ عَيُونُ

الْأَنْبَاءِ ٥٣٢/١؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٥٣٥/١٧؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيُّ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ٢٢٤/٢.

^٤ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٠٧/٧.

^٥ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَاطِرِ الْجَمْعِيِّ الْمَرَاكَشِيِّ، رَزَقَ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ خِلَافَةَ الْقُبُولِ فَلَا تَكَاذُ تَجِدُ مَنْ يَسْتَقْبَلُهُ، وَكَانَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ عَلَى فِقْهِهِ يُعَظِّمُهُ وَيَصِلُهُ، وَيَسَلِّمُ لَهُ. وَكَانَ يَدْخُلُ قَصْرَهُ، وَلَا تَحْتَجِبُ مِنْهُ الْجَوَارِي. ذَكَرَ الْمَقْرِي تَوَادِرَ وَعَجَائِبَ عَنْهُ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ. انْظُرْ: ابْنُ دِيحْيَةَ الْمُطَرِّبِ ص ٨٠؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٣٤/٧ - ٢٣٦، ٢٥٤ - ٢٥٦.

^٦ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٥٤/٧.

^٧ - انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٤ - السَّمَوَال .

إنَّ شَخْصِيَّةَ السَّمَوَالِ مِنْ أَشْهَرِ شَخْصِيَّاتِ الْيَهُودِ الَّتِي بَرَزَتْ فِي الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ. وَآتَى السَّمَوَالُ عَلَى الْأَغْلَبِ بِصُورَةٍ وَاحِدَةٍ تَقْرِيبًا، امْتَلَأَتْ بِمَعَانِي الْوَفَاءِ وَجِيرَةِ الضَّعِيفِ وَعَدَمِ الْخِيَانَةِ بِجَانِبِ الْقُوَّةِ لِنُصْرَةِ هَذَا الْمُسْتَجِيرِ مَهْمَا كَلَّفَ الْأَمْرُ. وَانْتَشَرَ السَّمَوَالُ فِي الْأَدَبِ فِي اتِّجَاهَيْنِ؛ فَتَارَةً كَانَ يُسْتَعْمَلُ كَرَمَزٍ لِلْوَفَاءِ وَالشَّجَاعَةِ فَقَطْ وَلَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْيَهُودِ أَوْ الْيَهُودِيَّةِ، وَتَارَةً أُخْرَى كَانَ رَمْزًا إِلَى الْيَهُودِيَّةِ. وَيَبِينُ هَذَا وَذَلِكَ تَارُجَحَ ذِكْرِ السَّمَوَالِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَخَارِجِهَا. لَكِنَّ الْأَغْلَبَ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ اسْتِخْدَامُهُ كَشَخْصِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ اشتهرت بِوَفَائِهَا وَشَجَاعَتِهَا، إِذَا أُوِّدَ فَايِزَةً حَازِي فِي قَوْلِهَا "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُذَكِّرُ السَّمَوَالُ كَاسِمَ يَخْطُرُ بِبَالِ الْقَارِي قِصَّةُ الْوَفَاءِ الْمَشْهُورَةُ عَنْهُ" (١).

وَكَثُرَ تَسْمِيَةُ أَبْنَاءِ الْيَهُودِ بِهَذَا الْاسْمِ فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ؛ مِنْهُمْ مَثَلُ السَّمَوَالِ بْنِ يَهُودَا الْمَغْرِبِيِّ (ت: حوالي ٥٧٠م) (٢) الْحَكِيمُ الْيَهُودِيُّ الْأَصْلُ الَّذِي اعتَبَرَهُ الْقَفْطِيُّ حِينَ تَرْجَمَ لَهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، وَمَعَ أَنَّهُ يَأْتِي بَيْنَ حُكَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنِّي أَتَوَقَّعُ أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ أَوَّلَ مَا يَتَبَادَرُ لِذَهْنِ مَنْ يَقْرَأُ اسْمَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ اسْمُ وَالِدِهِ مُثَبَّتًا وَرَاءَهُ.

وَكَمَا دَرَجَ الشُّعْرَاءُ الْمَشَارِقَةُ عَلَى التَّرْكِيزِ عَلَى وَفَاءِ السَّمَوَالِ فَعَلَّ شُعْرَاءُ الْأَنْدَلُسِ ذَلِكَ؛ فَأَبُو الْحَسَنِ ابْنُ سَابِقٍ (٣) كَانَ وَفِيًّا لِابْنِ لُبُونٍ (ت: بعد ٤٩٣هـ) (٤)، وَفِي وَفَائِهِ قَالَ (٥): [بسيط]

مَنْ كَانَ يَطْلُبُ مِنْ أَصْحَابِنَا صِلَةً عَلَى فِرَاقِ أَبِي عَيْسَى بْنِ لُبُونٍ
فَلَيْسَ يَقْنَعُنِي مِنْ بَعْدِهِ عِوَضٌ وَلَوْ جُعِلَتْ عَلَى أَمْوَالِ قَارُونَ

١ - فَايِزَةُ حَازِي أَهْلُ النَّمَةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ص ١٣٩ - ١٤٠ .

٢ - هُوَ: السَّمَوَالُ بْنُ يَهُودَا الْمَغْرِبِيِّ الْحَكِيمُ الْيَهُودِيُّ الْأَصْلُ وَبِظَنِّ الْقَفْطِيِّ حِينَ يَتَرَجَّمُ لَهُ أَنَّهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، كَانَ طَبِيبًا رِيَاضِيًّا، رَحَلَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ أَنْزَلَ بِلَادَ بَلَدِ الْمَرْاعَةِ حَيْثُ خَدَمَ بَعْضَ كِبَرَائِهَا، وَأُولَدَ أَوْلَادًا هُنَاكَ سَلَكَوا طَرِيقَتَهُ فِي الطَّبِّ. وَصَنَفَ كِتَابًا فِي الطَّبِّ وَالرِّيَاضِيَّاتِ، وَأَسْلَمَ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ وَصَنَفَ كِتَابًا فِي إِظْهَارِ مَعَانِي الْيَهُودِ، وَكَذَبَ دَعَاوِيَهُمْ فِي النُّزُورَةِ، وَمَاتَ بِالْمَرْاعَةِ.

انْظُرْ: الْقَفْطِيُّ إِبْرَاهِيمُ الْغُلَامِ بِأَخْبَارِ الْحُكَمَاءِ ص ١٤٢؛ مُصْطَفَى الْقُسْطَنْطِينِي كَشَفَ الظُّنُونِ ١٩٤٠/٢

٣ - هُوَ: أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ سَابِقٍ وَفِي الْمَغْرِبِ أَنَّهُ أَبُو الْحُسَيْنِ، مِنْ بَلَنْسِيَّةَ، جَاءَ فِي الْمُسَوِّبِ أَنَّهُ مِنَ الْجَبَاءِ الَّذِينَ أَطْلَعَهُمُ الْأَفَقُ الْبَلَنْسِيُّ. كَانَ فِي أَوَّلِ حَالِهِ مُسْتَجِدًّا بِالشَّعْرِ مُتَجَوِّلًا فِي الْأَفَاقِ إِلَى أَنْ تَرَفَّقَى إِلَى وَلايَةِ السُّوقِ بِبَلَنْسِيَّةَ، ثُمَّ وَلِيَ خُطَّةَ الْأَشْرَافِ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي نُبَهَاءِ الْكُتُبِ وَالشُّعْرَاءِ. انْظُرْ: ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعَفْيَانِ ق ١، ج ١/١٦٤؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٣١٣/٢ .

٤ - هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو عَيْسَى لُبُونُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ لُبُونٍ، كَانَ مِنْ أَصْحَابِ يَحْيَى بْنِ ذِي الثُّونِ، وَرَأْسَ بُمُرِيَّطَرٍ مِنْ أَعْمَالِ بَلَنْسِيَّةَ، ثُمَّ تَخَلَّى عَنْهَا لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ رَزِينَ جَارِهِ صَاحِبِ سَنَنْمَرِيَّةِ الشَّرِيقِ، ثُمَّ بَسَرَفُسْطَةَ. أَشَارَ حُسَيْنُ مَوْسَى فِي حَاشِيَةِ الْخُلَّةِ السَّيْرَاءِ إِلَى أَنَّ الصَّوَابَ فِي كِتَابَةِ لُبُونٍ بضم اللام وليس فتحها كما يفعل بعضهم، مِنَ الْاسْمِ الْإِسْبَانِيِّ الْمَغْرَبِ لُبُ مِنْ Lobo أي ذئب الجزيرة، وَهِيَ صِيغَةُ تَكْبِيرٍ أَخَذَتْهَا اللَّغَةُ الْإِسْبَانِيَّةُ عَنِ اللَّاتِينِيَّةِ، وَقَبَسَهَا الْعَرَبُ وَطَبَّقُوهَا عَلَى أَسْمَائِهِمْ، فَقَالُوا: أَحْمَدُونَ وَرَزْدُونَ وَفَرْخُونَ.

انْظُرْ: ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعَفْيَانِ ق ١، ج ١/١٦٤؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ٢/٣٣١-٣٣٦؛ ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءِ ١١٥/٢، ١٦٧، ١٥٠-١٧٢؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٣٧٦/٢، ٢٧٥؛ الْمُفَرِّجُ نَفْحُ الطَّيِّبِ ١٨٠/٢-١٨١، ٢٠٢، ٢٢٨/٤، ١٣٦/٥ .

٥ - ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعَفْيَانِ ق ١، ج ١/١٦٤؛ ابْنُ بَسَّامٍ النُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١٢٣/١ .

وَلَمْ يُذَكِّرْ اسْمَ السَّمَوَالِ فِي الْأَنْبِيَاءِ، لَكِنْ لَمَّا سَمِعَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ رَزِينَ (ت. ٤٩٦هـ) ^(١)، أَعْجَبَتْهُ، وَذَكَرَتْهُ بِوَفَاءِ السَّمَوَالِ وَكَانَ مِنَ الْأَوْفِيَاءِ لِلْخَلِيفَةِ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ، فَقَالَ فِيهِ ^(٢): [بسيط]

هَذَا السَّمَوَالُ فِي هَذِي السَّلَاطِينِ حَتَّى تَقُولَ اللَّيَالِي وَهِيَ صَادِقَةٌ

وَقَالَ أَبُو بَحْرٍ النَّجَبِيُّ يُرَاجِعُ أَبَا الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ ذَاكِرًا السَّمَوَالِ وَوَفَاءَهُ بِعَهْدِهِ بِقَوْلِهِ ^(٣): [لطويل]

وَأِنْ عَاهَدَتْ أَنْ لَا تُؤَلَّفَ بَيْنَنَا تَذَكَّرْتَ أَنْتَارَ السَّمَوَالِ فِي الْعَهْدِ

وَكَانَ السَّمَوَالُ صِفَةً لِابْنِ اللَّبَّانَةِ (ت. ٥٧٦هـ) ^(٤) فَقَالُوا إِنَّهُ: "سَمَوَالُ الشُّعْرَاءِ" ^(٥)، أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ لَوْفَائِهِ مَعَ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ وَتَفَجَّعِهِ عَلَيْهِ حِينَ خُلِعَ عَنْ مُلْكِهِ.

وَلَمْ يَكْتَفِ الشُّعْرَاءُ الْأَنْدَلُسِيُّونَ بِذِكْرِ السَّمَوَالِ رَمْزًا مُفْرَدًا مُنْقَصِلًا عَنْ بَقِيَّةِ الْحِكَايَةِ، بَلْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ تَفَاصِيلَ حِكَايَتِهِ؛ فِي كِتَابِ ^(٦) السُّلْطَانِ الْمَخْلُوعِ ابْنِ الْأَخْمَرِ (ت. ٩٤٠هـ) إِلَى سُلْطَانِ قَاسِ الْحَفْصِيِّ قَصِيدَةً طَوِيلَةً جِدًّا مَبْدُوءَةً بِالْإِسْتِجَارَةِ التَّالِيَةِ ^(٧): [بسيط]

مَوْلَى الْمُلُوكِ مَلُوكِ الْعُرْبِ رَعِيًا لِمَا مِثْلُهُ يَرْعَى مِنَ الدَّمِ
بِكَ اسْتَجَرْنَا وَنِعْمَ الْجَارُ أَنْتَ لِمَنْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ جَوْرَ مُنْتَقِمِ

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَهْلَ بِهَذِهِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَحَدِّثَةِ عَنْ مَمْدُوحِهِ بِوَصْفِهِ لَهُ بِأَنَّهُ يَرْعَى الدَّمِ، وَأَنَّهُ نِعْمَ الْجَارُ لِمَنْ يَسْتَجِيرُ. وَكَانَ يَكْفِي قَوْلُهُ "بِكَ اسْتَجَرْنَا وَنِعْمَ الْجَارُ أَنْتَ" لِيَعْرِفَ الْقَارِئُ فَوْرًا أَنَّهُ يُشَبِّهُهُ بِالسَّمَوَالِ، لَكِنْ الشَّاعِرُ لَمْ يَكْتَفِ بِهَذَا، بَلْ سَيَّطَرَتْ عَلَيْهِ قِصَّةُ السَّمَوَالِ بِكُلِّ رُمُوزٍ هَا فَتَكَاتَفَتْ هَذِهِ الرُّمُوزُ الْمَأْخُودَةُ عَنْ هَذَا الْيَهُودِيِّ الْوَفِيِّ، وَأَعَادَ تَلْخِيصَ قِصَّتِهِ قَائِلًا ^(٨): [بسيط]

كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ سَارَ الْهَمَامُ لَهُ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ مُرْتَكِمِ

١ - هُوَ: أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هُذَيْلِ بْنِ رَزِينَ الْمُلقَبُ بِحُسَامِ الدَّوْلَةِ وَالْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَصْلَعِ، وَلِيَ شَنْتَمِرِيَّةَ بَعْدَ أَبِيهِ، وَهُوَ أَطْوَلُ أُمَرَاءِ الطَّوَائِفِ عَهْدًا فَقَدْ حَكَّمَ حَوْلِي ٦٠ سَنَةً (٤٣٦ - ٤٩٦هـ). وَكَانَ مِنَ الْأَوْفِيَاءِ الْمُتَعَزِّزِينَ عَلَى الْمَخْلُوعِ هِشَامِ. انظر: ابن خاقان قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ ق ١، ج ١، ١٥٧/١ - ١٦٩؛ ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١٠٩/١ - ١٢٤؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ٢، ٣٠٨ - ٣١٢؛ ابن دُحْيَةِ الْمُطَرِّبِ ص ٣٩ - ٤١؛ ابن الْأَبَّارِ الْخُلَّةُ السِّيَرَاءُ ١٠٨/٢ - ١١٥؛ ابن عِدَارِي الْمَرَاكِشِيُّ الْبَيَانُ الْمُغْرِبُ ٣/٣٠٩؛ ابن سَعِيدِ الْمُغْرِبِ ٤٢٨/٢ - ٤٢٩؛ ابن الْخَطِيبِ أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ص ٢٣٨.

٢ - ابن خاقان قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ ق ١، ج ١، ١٦٤/١؛ ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١٢٤/١.

٣ - مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيفَةِ أَدِيبِ الْأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرٍ النَّجَبِيُّ ص ١٠٥، وَفِي نَثْرِ النَّجَبِيِّ ذَكَرَ السَّمَوَالُ كَذَلِكَ فِي رِسَالَةٍ لَهُ يَصِفُ أَحَدَهُمْ بِأَنَّهُ السَّمَوَالُ فِي وَفَائِهِ انظر: مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيفَةِ أَدِيبِ الْأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرٍ النَّجَبِيُّ ص ١٥٣.

٤ - هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى الْمَشْهُورُ بِابْنِ اللَّبَّانَةِ؛ مِنْ دَانِيَةِ وَاشْتَهَرَ بِأَبِي بَكْرٍ الدَّانِي، كَانَ شَاعِرًا يَتَصَرَّفُ وَقَائِدًا لَا يَتَكَلَّفُ، وَذَكَرَ أَنَّ أُمَّه كَانَتْ تَتَّبِعُ اللَّبْنَ، أَلَفَ كِتَابَيْنِ فِي أَخْبَارِ بَنِي عَبَّادٍ، أَحَدُهُمَا السُّلُوكُ فِي وَغْظِ الْمُلُوكِ تُؤَلَّفِي بِمَبِيقَةِ سَنَةِ ٥٠٧هـ.

انظر: ابن دُحْيَةِ الْمُطَرِّبِ ص ١٧٨ - ١٨٠؛ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَاكِشِيُّ الْمُفْجَبُ ص ١٤٧ - ١٦٠؛ ابن الْأَبَّارِ التَّكْمِيلَةُ ١/٣٣٣ - ٣٣٤؛ ابن سَعِيدِ الْمُغْرِبِ ٢/٤٠٩ - ٤١٤؛ رَايَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ٢١٥ - ٢١٦؛ الْكُنِّيُّ قَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ ٢/٤٢٧ - ٤٣١.

٥ - ابن سَعِيدِ الْمُغْرِبِ ٢/٤١١.

٦ - الْكِتَابُ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعُقَيْلِيِّ وَسَمَاءُ الرُّوضِ الْعَاطِرِ الْأَنْفَاسَ فِي التَّوَسُّلِ إِلَى الْمَوْلَى الْإِمَامِ سُلْطَانِ قَاسِ.

٧ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦/٢٨٣؛ أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ١/٧٢.

٨ - نَفْسُهُ ٦/٢٨٤؛ نَفْسُهُ ١/٧٩ - ٨٠.

فَلَمْ يُبَحْ أَذْرُعُ الْكِنْدِيِّ وَهُوَ يَرَى
أَنَّ ابْنَهُ الْبَرَّ قَدْ أَشْفَى عَلَى الرَّجَمِ^(١)

وَفِي هَذَا تَضْمِينٍ^(٢) وَاضِحٍ لِيَبْتِ الْأَعْشَى^(٣)، وَبَرَزَ فِي الْبَيْتَيْنِ تَأَثُّرُ الشَّاعِرِ بِبَقِيَّةِ تَفَاصِيلِ الْقِصَّةِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ ذَلِكَ السَّمْوَالِ الْيَهُودِيِّ، وَكَبُرَتْ مَسَاحَةُ التَّأَثُّرِ عِنْدَهُ لِتَشْمَلَ مُعْظَمَ رُمُوزِ الْقِصَّةِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْهُ؛ وَكَانَ الشَّاعِرُ تَوَقَّعَ أَنْ لَا يَسْتَجِيبَ لَهُ السُّلْطَانُ الْوُطَّاسِيُّ بِإِشَارَةٍ بَسِيطَةٍ تَأْتِي فِي الْقَصِيدَةِ إِلَى الْوَفَاءِ وَالْأَوْفِيَاءِ، فَاسْمُ السَّمْوَالِ مُفْرَدًا قَدْ لَا يُشْعِرُهُ بِمَدَى الْحَاجَةِ إِلَى نَجْدَتِهِ، فَاتَى بِتَفَاصِيلِ عَدِيدَةٍ تُوَضِّحُ الصُّورَةَ الْكَامِلَةَ لِقِصَّةِ النُّجْدَةِ هَذِهِ الَّتِي دَفَعَ السَّمْوَالُ مِنْ أَجْلِهَا أَغْلَى مَا يَمْلِكُ وَهُوَ ابْنُهُ، لِتَأْخُذَ الْمَعْنَى مُوقِفًا مُمَاتِلًا فَيَهْبُ لِنُجْدَةِ هَذَا السُّلْطَانِ الَّذِي تَكَالَبَتْ الْأَعْدَاءُ حَوْلَهُ تُحَاوِلُ أَخْذَ مَمْلَكَتِهِ وَالْقَضَاءُ عَلَى مَمْلَكَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ بِأَنْ يَكُونَ كَالسَّمْوَالِ إِذْ تَقَدَّمَتْ نَحْوُهُ جَحَافِلُ أَعْدَائِهِ وَاسْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ مِنْ سَيِّءٍ إِلَى أَسْوَأٍ؛ وَاسْوَدَّتْ الدُّنْيَا حَوْلَهُ وَمَعَ ذَلِكَ تَمَسَّكَ بِوَفَائِهِ وَهَبَ لِنُجْدَةِ مَنْ اسْتَجَارَ بِهِ مَهْمَا كَلَّفَهُ هَذَا مِنْ ثَمَنٍ وَلَمْ يَقِفِ الشَّاعِرُ عِنْدَ هَذَا التَّأَثُّرِ بَقِصَّةِ السَّمْوَالِ بَلْ تَجَاوَزَهُ حِينَ انْتَقَلَ إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ السَّلَالَةِ الْمُرَيْنِيَّةِ، فَقَالَ فِيهِمْ^(٤): [بسيط]

بَنُو مُرَيْنٍ لَيُوثٌ فِي عَرِينٍ أَبَوَا
رُؤْيَا قَرِينٍ لَهُمْ فِي الْبَاسِ وَالْكَرَمِ
النَّازِلِينَ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَسَطَ حِمَى
أَحْمَى مِنَ الْأَبْلَقِ السَّامِيِّ وَمِنْ إِرَمِ

فَنَسَبَهُ حِمَى بَنِي مُرَيْنٍ بِأَنَّهُ أَمْنَعُ مِنَ "الْأَبْلَقِ السَّامِيِّ" وَيَقْصِدُ بِهِ "الْأَبْلَقَ الْفَرْدَ" قَصْرَ السَّمْوَالِ. وَمِثْلُ هَذَا الْأَخْذِ لِتَفَاصِيلِ قِصَّةِ السَّمْوَالِ وَإِيرَادُهَا فِي الشَّعْرِ فِي أَبْيَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الطَّوِيلَةِ يُعْطِي انْطِبَاعًا أَنَّهُ كَانَ رَمْزًا خَصَبًا لِلْعَدِيدِ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَخَارِجَهَا. وَحَمَلَ كُلَّ صِفَاتِ السَّمْوَالِ الْقَدِيمِ دُونَ أَنْ تُشَكَلَ يَهُودِيَّتُهُ وَاخْتِلَافُ دِينِهِ عَائِقًا أَمَامَ اسْتِخْدَامِهِ كَرَمْزٍ قَوِيٍّ. وَتُظْهِرُ الْأَبْيَاتُ السَّابِقَةُ أَنَّ قِصَّةَ السَّمْوَالِ كَانَتْ لَهَا وَجْهَانِ؛ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا جِيرَةُ الضَّعِيفِ وَالْمُحْتَاجِ وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ مَهْمَا كَلَّفَ الْأَمْرُ، وَالثَّانِي شَجَاعَتُهُ وَبُطُولَتُهُ الْمُتَمَثِّلَةُ "بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ". وَ"الْأَبْلَقُ" قَصْرُ السَّمْوَالِ بِتَيْمَاءَ، وَاخْتَلَفَتْ الْآرَاءُ حَوْلَ بِنَاءِ هَذَا الْحِصْنِ^(٥)، إِلَّا أَنَّ الْاِخْتِلَافَ حَوْلَ بِنَاءِ "الْأَبْلَقِ" لَمْ يُؤَثِّرْ فِي حَدِيثِ الشُّعْرَاءِ، وَظَلَّ رَمْزًا لِلْعِزَّةِ وَالْمَنْعَةِ وَاسْتِحَالَةِ الْوُصُولِ.

١ - الرَّجَمُ: بِفَتْحِ الْجِيمِ هُوَ الْقَبْرُ نَفْسُهُ . ابن منظور لسان العرب [رجم] ٢٢٧ - ٢٢٨ .

٢ - التضمين: أن يضمّن الشاعر رُ في شعره شيئاً من شعر غيره مع التنبية عليه إن لم يكن مشهوراً عند النّـلّـعـاء .

انظر: الخطيب القرطبيّ الإيضاح في علوم البلاغة ص ٥٨٠ .

٣ - قَالَ الْأَعْشَى : [البسيط] كُنْ كَالسَّمْوَالِ إِذْ سَارَ الْهَمَامُ لَهُ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ

الأعشى ديوانه ص ٢٢٩؛ أبو الفرج الأصفهانيّ الأغاني ٢ ١٢٦؛ ياقوت الحمويّ معجم البلدان ٧٥/١ .

٤ - الْمُفَرِّقُ تَفْعُ الطَّيِّبِ 286/٦؛ أَرْهَارُ الرِّيَاضِ ٧٦/١ .

٥ - أشار السَّمْوَالُ إِلَى أَنَّ جَدَّهُ عَادِيَاءَ بَنَاءَ، لَكِنْ الْأَعْشَى يَرْغُمُ أَنَّ بِنَاءَهُ يَرْجِعُ إِلَى النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، قَالَ الْأَعْشَى: [الطويل]

وَلَا عَادِيَاءَ لَمْ يَمْنَعْ الْمَوْتَ حَالَهُ وَوَرَدَ بِتَيْمَاءَ الْيَهُودِيِّ أَلْبَقُ

بِنَاءُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ حُفْبَةً لَهُ أَرْجٌ عَالٍ وَطَيٌّ مُوْتَقُ

الأعشى ديوانه ص ٢٦٧؛ ياقوت الحمويّ معجم البلدان ٧٦/١ .

وَكَثُرَ الْحَدِيثُ عَنْهُ وَجَرَى مَجْرَى الْمَثَلِ، فَصَارَ "الْأَبْلَقُ" رَمْزًا لِكُلِّ مَا يَعِزُّ وَيَمْتَنِعُ عَلَى طَالِبِهِ^(١)، وَدَخَلَ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ بِهَذَا الرَّمْزِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ السَّمُؤَالُ فِي شِعْرِهِ^(٢)، وَالْأَعَشَى وَصَفَهُ وَتَحَدَّثَ عَنْ حَصَانَتِهِ^(٣)، وَذَكَرَهُ ابْنُ هَانِي الْأَنْدَلُسِيِّ حِينَ هَمَّ ابْنُ حَمْدُونِ^(٤) بِقِتْحِهِ، بِقَوْلِهِ^(٥): [لطويل]

بَلَى! هَذِهِ تَيْمَاءٌ وَالْأَبْلَقُ الْفَرْدُ
فَسَلَّ أَجَمَاتِ الْأَسَدِ مَا فَعَلَ الْأَسَدُ

وَذَكَرَهُ أَبُو بَحْرٍ التَّجِيبِيُّ لِلإِشَارَةِ عَلَى طَلَبِ مَا لَا يَكُونُ، بِقَوْلِهِ^(٦): [لطويل]

كَفَى زَلَالًا لِلدَّهْرِ أَنَّ التِّقَاءَنَا
كَأَبْلَقَ مَعْلُومِ الْوُجُودِ عَقُوقَ

وَحِينَ أُصْدِرَ أَحَدُ الْأَمْرَاءِ أَمْرًا بِكُسْرِ دِنَانِ الْخَمْرِ، مَدَحَهُ ابْنُ زَيْدُونٍ، فَقَالَ^(٧): [لطويل]

أَجَلْ، إِنَّ لَيْلَى حَيْثُ أَحْيَاؤُهَا الْأَسَدُ^(٨)
يَمَانِيَّةٌ تَذْنُو، وَيَنَاقِي مَزَارُهَا
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهَا تَمَرَّدَ مَارِدُ
وَعَزَّ فَلَمْ نَظْفُرْ بِهِ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ^(٩)

١ - قالوا: أشهر من الأبلق. وقال الميداني إن ماردًا والأبلق حصنان قصدتهما الزباء ملكة الجزيرة فلما لم تقدر عليهما قالت: تمرّد ماردٌ وعزّ الأبلق. انظر: الميداني مجمع الأمثال ١/١٧٣، ٥٢٨.

٢ - قال السَّمُؤَالُ: [المتقارب] بالأبلق الفرد بيتي به
ببلقة... أثبتت حفرة
ذراعين في أربع خيسق
فلا أدفع الضيف عن رزقه
وفي البيت ضخماء مملوءة
وجفت على همع... هذه ق
أبيث الذي قد أتى عاديا
وحيا م... الحلق... الأزوق
عزوة بن الورد والسَّمُؤَال ديوانهما ص ٨٨.

وقال السَّمُؤَالُ كذلك فيه: [الطويل]

لنا جبل يحمله من لجبره
رسا أصله تحت الثرى وسما به
منيع يرد الطرف وهو كليل
إلى النجم فرع لا ينال طويل
يعز على من رامه ويطول
هو الأبلق الفرد الذي سار ذكره

عزوة بن الورد والسَّمُؤَال ديوانهما ص ٩٠؛ ابن منظور لسان العرب [بلق] ٢٢١٧؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ١/٧٦.

٣ - قال الأعشى [البسيط]: بالأبلق الفرد من تيماء منزله
حصن حصين وجار غير عدار

الأعشى ديوانه ص ٢٢٩ - ٢٣١.

٤ - هو: أبو علي جعفر بن علي بن حمدون (أو حمدان) الأندلسي ملك الزاب والمسيلة بإفريقية. كان بابه معمورا بالشعراء، وكان سمحا كثير العطاء مؤثرا لأهل العلم، ولابن هاني فيه مدائح كثيرة. انظر: محمد ابن حماد أخبار ملوك بني غنيد وسيرتهم ص ٦٥؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٣/١٢٤؛ ابن سعيد المغرب ٢/٩٧؛ ابن خلكان وفیات الأعيان ١/٣٦٠.

٥ - ابن هاني ديوانه ص ١٠٥.

٦ - يقصد قلعة كثافة في الديوان، وقد تكون هي قلعة كيانة المطلة على قلعة حماد وقد استردها الممدوح من الأعداء. انظر: ابن هاني ديوانه ص ١٠٥؛ محمد ابن حماد أخبار ملوك بني غنيد وسيرتهم ص ٧١، ٦٥؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٣/١٢٤.

٧ - محمد بن شريفة أديب الأندلس أبو بحر التجيب ص ١١٨.

٨ - ابن زيدون ديوانه ورسائله ص ٣٥١ - ٣٥٢؛ ابن بسام الخيرة ق ١، ٣٨٩.

٩ - هو: الأسد أو الأزدي بن الغوث (والسين أفصح)، ومن أولاده الأنصار؛ يقصد أن هذه الفتاة التي تنتمي لأسد هي طيبة يحيط بها من قومها الأسود الكواسر. انظر: ابن منظور لسان العرب [أزد] ٢/١٧٥.

١٠ - مارد: حصن معروف بدومة الجندل. والأبلق الفرد: حصن بتيماء وهو قصر السَّمُؤَال بن عاديا اليهودي.

انظر: الميداني مجمع الأمثال ١/١٧٣؛ ابن منظور لسان العرب [مرد، بلق] ٣/٤٠٢، ١٠/٢٦؛ التويري نهاية الأرب ١/٣٨٥.

فَسَبَّهَ ابْنُ زَيْدُونَ عِزَّةَ مَحْبُوبَتِهِ كَعِزَّةَ "الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ". وَإِنْ أَغْفَلَ ابْنُ زَيْدُونَ الْإِشَارَةَ إِلَى السَّمْوَالِ فِي أَبِيَاتِهِ هَذِهِ فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي "رِسَالَتِهِ الْهَزْلِيَّةِ" إِلَى ابْنِ عَبْدِوَس (ت بعد ٤٧٠ هـ) ^(١) يَسْتَهْزِئُ بِهِ عَلَى لِسَانِ وَلَادَةٍ (ت بعد: ٥٠٠ هـ) ^(٢) بِقَوْلِهِ: "وَالسَّمْوَالُ إِنَّمَا وَفِي عَنْ عَهْدِكَ....." ^(٣).

وَأَقْتَرَنَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدَ بِالسَّمْوَالِ كَمَا مَرَّ، وَأَحْيَانًا يَأْتِي "الْأَبْلَقُ" مُجَرَّدًا مِنْ "الْفَرْدِ"، وَمِنْهُ أَحْمَدُ بْنُ سَفْيَانَ ابْنِ عِقَالٍ ^(٤) يُشِيرُ إِلَى حِصْنِ السَّمْوَالِ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَهُ مُبَاشَرَةً. بِقَوْلِهِ ^(٥): [مجزوء لمدل]
 إِنَّمَا الْأَبْلَقُ حِصْنِي ثُمَّ رُمِجِي وَحُسَامِي

وَمِنْ هَذَا أَرَى أَنَّ الْكُتَّابَ أَوْ الشُّعْرَاءَ حِينَ ذَكَرُوا السَّمْوَالِ لَمْ يَكُنْ بِتَأْثِيرِ الْيَهُودِ الْمُنتَشِرِينَ بَيْنَهُمْ، بَلْ لَأَنَّهُ عِلْمٌ مِنَ الْأَعْلَامِ الَّتِي تَتَرَدَّدُ بِكَثْرَةٍ فِي الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

ثَانِيًا :- مَصَادِرُ قِصَصِ الْيَهُودِ فِي الشُّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ.

أَخَذَ الْأَنْدَلُسِيُّ قِصَصَ الْيَهُودِ مِنْ "النُّورَةِ" وَشُرُوحِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَأَحْيَانًا مِنَ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ وَمَا تَلَاهَا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ مَصْدَرًا مُهِمًّا لِأَخْذِ قِصَصِهِمْ، وَكَانَ زَمَنُ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ أَكْثَرَ بُرُوزًا فِي شُعْرِهِمْ مِنَ التَّارِيخِ الْمَلْحَقِ لَهُمْ. وَإِيرَادُ هَذِهِ الْقِصَصِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا مَعْنَى التَّنْصِفِ بِمَا حَصَلَ لِلْيَهُودِ أَحْيَانًا كَعَدُوٍّ مَذْكُورٍ فِيهَا، لَكِنْ لَمْ أَرِ فِي شُعْرِهِمْ تَنْصِيفًا بِفِتْنَةِ الْيَهُودِ الْمُحِيطَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ الْمُحِيطِينَ أَثَرٌ وَاضِحٌ دَفَعَ الشَّاعِرَ لِقَوْلِ هَذِهِ الْقِصَصِ عَلَى الْأَغْلَبِ بَلْ جَاءَتْ تَأَثُّرًا بِمَوْرُوثِ تَارِيخِيٍّ دِينِيٍّ لَا غَيْرُ.

وَلَمْ يَكُنِ الْقَصْدُ مِنْ هَذِهِ الْإِشَارَاتِ التَّارِيخِيَّةِ، بَرَأْيِي، أَنْ يَقْرَأَهَا الْيَهُودُ الْمَوْجُودُونَ. لِذَا لَمْ يَكُنِ الشَّاعِرُ فِي الْغَالِبِ يُعَقِّبُ عَلَى غَلَامِهِ بِمَا يَدْعُو إِلَى قِتَالِ الْيَهُودِ أَوْ النُّورَةِ عَلَيْهِمْ ^(٦).

^١ - هُوَ الْأَدِيبُ الْكَاتِبُ: أَبُو عَامِرِ بْنِ جَهْوَرِ ابْنِ عَبْدِوَسٍ، مِنْ قُرْطُبَةٍ، مُنَافِسُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي حُبِّ وَلَادَةٍ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِالرِّسَالَةِ الْهَزْلِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا ابْنُ زَيْدُونَ عَلَى لِسَانِ وَلَادَةٍ يَهْرَأُ فِيهِ، كَانَ حَيًّا ٤٧٠ هـ.

انظر: ابْنُ زَيْدُونَ "دِيَوَانُهُ وَرِسَائِلُهُ" ص 640؛ ابْنُ الْأَبَّارِ "التَّكْمِيلَةُ" ٤، ٣٠؛ الْمُقَرِّي "تَفْحُ الطَّيِّبِ" ٣٤٣ ٥.

^٢ - هِيَ: وَلَادَةُ بِنْتُ الْمُسْتَكْفِيِّ بِاللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِيِّ، قَالُوا إِنَّهَا أَشْهَرُ شَاعِرَاتِ الْأَنْدَلُسِ، وَأَكْثَرُ شُعْرَهَا كَمَا يَقُولُ ابْنُ بَسَّامٍ فِي الْهَجَاءِ لِذَا لَمْ يَذْكُرْ، كَانَ لَهَا مَجْلِسٌ يَغْشَاهُ أَدْبَاءُ قُرْطُبَةٍ وَطَرَفَاوُهَا، وَاشْتَهَرَتْ بِالْغِنَاءِ وَبِقِلَّةِ مَبَالِغِهَا وَمُجَاهَرَّتِهَا بِلَذَائِهَا، أَحَبَّهَا ابْنُ زَيْدُونَ، وَبَسَبَهَا خَاطَبَ ابْنِ عَبْدِوَسٍ بِالرِّسَالَةِ الْهَزْلِيَّةِ. عَمَرَتْ طَوِيلًا.

انظر: ابْنُ بَسَّامٍ الدُّخَيْرَةُ ق ١/٢٩٤ - ٤٣٣؛ الضَّبِّيُّ بُغْيَةُ الْمُتَمَسِّسِ ٢/٧٣٣؛ ابْنُ دُحْيَةَ الْمُطَرِّبِ ص ٧ - ١٠؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ١/٦٥ - ٦٦؛ الْكُتَيْبِيُّ قَوَاتِ الْوَفَايَاتِ ٢/٥٨٦ - ٥٨٨؛ الصَّفْدِيُّ الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٢٧/٢٦٢ - ٢٦٤؛ الْمُقَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٥/٣٤٠ - ٣٤٦.

^٣ - ابْنُ زَيْدُونَ دِيَوَانُهُ وَرِسَائِلُهُ ص 640.

^٤ - هُوَ: أَحْمَدُ بْنُ سَفْيَانَ ابْنِ عِقَالٍ، وَلِيَ الرَّابِّ ثُمَّ طَرَابُلُسَ سِنِينَ عَدِيدَةً، وَلَهُ بِهَا أَخْبَارٌ وَوَقَائِعُ مَشْهُورَةٌ، وَهُوَ مِمَّنْ قَامَ بِنُصْرَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى أَخِيهِ أَحْمَدَ. انظر: ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ١/١٨٢ - ١٨٥.

^٥ - ابْنُ الْأَبَّارِ الْخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ١/١٨٤ - ١٨٥.

^٦ - حَتَّى قَصِيدَةُ الْإِلْبِيرِيِّ الَّتِي دَعَتْ إِلَى ثَوْرَةٍ لَمْ تَشِرْ إِلَى أَيِّ قِصَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ لِلْيَهُودِ. انظرُ الْقَصِيدَةَ فِي الْمَلْحَقِ.

فأبو الحسن بن الجيَّاب يذكُر اليهوديَّ مرحبًا ^(١) في قولِهِ مُهَنَّا بِمَوْلُودِ ^(٢): [لسريع]
مَرْحَبًا بِابْنِ الْإِمَامِ الَّذِي جَدَلَ يَوْمَ خَيْبَرَ مَرْحَبًا

وَكَذَلِكَ أَشَارَ ابْنُ الْجِيَّابِ فِي مَوْقِعٍ آخَرَ إِلَى حُكْمِ سَعْدٍ عَلَى الْيَهُودِ بِقَوْلِهِ ^(٣): [لخفيف]
جَاهِدِ النَّفْسَ جَاهِدًا فَإِذَا مَا قُنَيْتَ عَنْكَ فَهِيَ عَيْنُ الْوُجُودِ
وَلَيْكُنْ حُكْمُكَ الْمُسَدَّدُ فِيهَا حُكْمَ سَعْدٍ فِي قَتْلِهِ لِلْيَهُودِ

شَبَّ ابْنُ الْجِيَّابِ حَالَ مَنْ يُحْسِنُ السَّيْطَرَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَبُحْسِنُ مُجَاهَدَتِهَا بِقُوَّةٍ وَإِصْرَارٍ دُونَ رَافَةِ أَوْ تَهَاوُنٍ بِحَالِ الصَّحَابِيِّ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ حِينَ حَكَمَ بِقَتْلِ الْيَهُودِ دُونَ تَهَاوُنٍ فَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْحُكْمَ رَمْزًا لِكُلِّ مَنْ يَكُونُ حَازِمًا فِي حُكْمِهِ، قَاسِيًا فِي قَرَارٍ فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَتَمَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَى قِصَّةِ تَحْكِيمِ سَعْدٍ فِي مَوَاقِعَ عِدَّةٍ، مِنْهَا قَوْلُ عِيسَى الشَّرِيشِيِّ يُنْقَرُ مِنْ اسْتِكْتَابِ الْيَهُودِ فِي قَوْلِهِ ^(٤): [لوفير]
مَتَى نَصَحْتَ يَهُودَ الْعَرَبِ يَوْمًا أَحَقُّدُهُمْ لِأَوْسِكُمْ يَزُولُ

وَيُظْهَرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ تَأَثُّرُ بِحَالِ الْيَهُودِ حَوْلَ الشَّاعِرِ، فَيَرَى الشَّرِيشِيُّ أَنَّ الْيَهُودَ لَمْ يَنْسُوا مَا عَمِلَهُ الْأَوْسُ وَزَعِيمُهُمْ سَعْدٌ بِالْيَهُودِ قَدِيمًا، فَهُمْ يَحْقِدُونَ إِلَى الْآنَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ.
وَبِهَذَا أَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ الْأَنْدَلُسِيَّ حِينَ كَانَ يَسْتَشْهَدُ بِأَحْدَاثٍ أَوْ شَخْصِيَّاتٍ مِنَ التَّارِيخِ لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْيَهُودِ، كَانَ عَلَى الْأَغْلَبِ يَذْكُرُهَا عَامَّةً، وَلَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ الْيَهُودَ حَوْلَهُ بِهَا إِلَّا فِي الْقَلِيلِ مِنْهَا؛ كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهَا عَنْهُمْ فِي الْأَغْلَبِ، بَلْ كَانَ يُشِيرُ إِلَيْهَا لِيُبَيِّنَ قُدْرَتَهُ الشَّعْرِيَّةَ وَتَقَافَتَهُ الْمُتَوَعَّةَ الَّتِي مَكَتَتْهُ مِنْ وَضْعِ هَذِهِ الْمَعْلُومَةِ التَّارِيخِيَّةِ بِسُهُولَةٍ فِي شَعْرِهِ.
وَكَثُرَتْ رُمُوزُ النَّصَارَى كَالصَّلِيبِ وَالنَّاقُوسِ فِي الشَّعْرِ، لَكِنْ لَمْ أَجِدْ مَا يُشِيرُ إِلَى رُمُوزٍ وَاضِحَةٍ لِلْيَهُودِ، فَإِنَّ عَدَّ الْبُوقِ ^(٥) مَثَلًا وَالتَّفْخُخُ فِيهِ مِنْ رُمُوزِ الْيَهُودِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعِ شَأْنِهِمْ

١ - مَرْحَبًا : يَهُودِيٌّ بَارَزَهُ عَلَيْهِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَقَتْلَهُ

٢ - الشَّرِيفُ الْغَرْنَاطِيُّ رَفَعَ الْحُجُبَ الْمَسْتُورَةَ ١/١٤٤ .

٣ - أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَّابِ بَيَوَانُهُ ص ٥٧٢-٥٧٣؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِخَاطَةُ ٣/٤٦٠؛ الْمُقَرِّي تَفْخُخُ الطَّيِّبِ ٧/٤٣١؛

٤ - ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَرْكَشِيُّ الذَّلِيلُ وَالتَّكْمِلَةُ السَّفَرُ الْخَامِسُ ق ٢، ص ٤٩٨، أَيْ ذَكَرَ لِلأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ فِي الْبَحْثِ : ص ١٤٤ .

٥ - الْبُوقُ: شِبْهُ مَنْقَافٍ مُلْتَوِيٍّ الْخَرْقُ يُنْفَخُ فِيهِ وَيُزَمَّرُ، فَيَعْلُو صَوْتُهُ وَيُعْلَمُ الْمُرَادُ بِهِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [بوق] ١٠/٣١ .

وعن استخدامه عند اليهود يقول المسيحي إن كلمة البوق تقابلها في العبرية لفظة (شوفار) Shofar يصنع من قرن كبش، ويقال إن أول بوق صنع من قرن الكبش الذي ضحى به إبراهيم أفداه لابنه. ويبلغ طول البوق ما بين عشر بوصات واثنى عشرة بوصة. واستخدم العبرانيون البوق في المناسبات الدينية مثل إعلان السنة السبئية، وسنة اليوبيل، وتكريس الملك الجديد، كما يُنفخ فيه في عيد رأس السنة، وفي يوم الغفران بعد صلاة الختام. ويُنقَلَى الْمَرْمُورُ سَبْعَ مَرَّاتٍ رَمْزًا لِعَدَدِ الْمَرَّاتِ الَّتِي طَافَهَا أَغْضَاءُ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ حَوْلَ أَرِيحَا قَبْلَ أَنْ يَنْفَخُوا فِي الْبُوقِ، فَسَقَطَتْ أَسْوَارُهَا. وَلَكِنْ لَا يَصِحُّ النَّفْخُ فِيهِ إِذَا وَقَعَتْ رَأْسُ السَّنَةِ يَوْمَ سَبْتٍ. وَيَرَى بَعْضُ الْيَهُودِ الْمُتَدِينِينَ أَنَّ النَّفْخَ فِي الْبُوقِ يُزِيكُ الشَّيْطَانَ. وَأَعِيدَ بَعَثَ هَذَا التَّقْلِيدَ الدِّينِيَّ فِي دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ، فَيُنْفَخُ فِي الْبُوقِ حِينَ يُؤَدِّي رَئِيسُ الدَّوْلَةِ الَيَمِينَ، وَلَا يَزَالُ يُسْتَعْمَلُ هَذَا فِي الْمَعَابِدِ الْيَهُودِيَّةِ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَاءِ الْيَهُودِيَّةِ لِلإِعْلَانِ عَنْ مَقْدَمِ يَوْمِ السَّبْتِ. وَحِينَمَا احْتُلَّتِ الْقُدْسُ عَامَ ١٩٦٧م، ذَهَبَ الْحَاخَامُ الْجَنَرَالُ جُورِين، وَنَفَخَ فِي بُوقِهِ أَمَامَ حَائِطِ الْبُرَاقِ، وَهُوَ نَفْسُهُ الْبُوقُ الَّذِي نُفِخَ فِيهِ فَوْقَ جَبَلِ سَيْيَاءَ حِينَمَا احْتُلَّتْ إِسْرَائِيلُ سَنَاءَ عِدَّةِ شُهُورٍ عَامَ ١٩٥٦م. وَيُكْتَبُ عَلَى الْبُوقِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ عِبَارَةُ «السَّنَةُ الْقَادِمَةُ فِي الْقُدْسِ».

انظر: عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٥/٢٣٨-٢٣٩ .

وَتَمَكَّنِهِمْ، لَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِيمَا وَقَعَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ شِعْرِهِمْ. وَقَدْ يَكُونُ التَّعْلِيلُ أَنَّ هَذِهِ الْفِتَّةَ كَمَا قُلْتُ سَابِقًا دَأَبَتْ بَيْنَ فِئَاتِ الْمُجْتَمَعِ وَلَمْ تَتَصَارَعَ مُبَاشَرَةً مَعَ السُّلْطَةِ الْحَاكِمَةِ، وَلَمْ تَقِفْ مِنْهَا مَوْقِفَ الْعَدُوِّ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا جُيُوشٌ أَوْ كِيَانٌ سِيَاسِيٌّ خَاصٌّ تُقَاتِلُ بِاسْمِهِ، أَوْ تَتَخَذِي بِهِ وَكْلًا هَذَا جَعَلَهَا فِتَّةً مَغْمُورَةً، وَبِالتَّالِي غُمِرَتْ مُعْظَمُ طُقُوسِهَا وَرُمُوزِهَا، فَبُعْدُهَا عَنِ سَاحَاتِ السِّيَاسَةِ وَالسِّيَاسِيِّينَ أَوَّلًا، ثُمَّ عَزَلَتْهَا اجْتِمَاعِيًّا وَانْغَلَقَتْهَا عَلَى نَفْسِهَا ثَانِيًا، لَمْ يَدْعِ الشُّعْرَاءُ يُشَاهِدُونَ طُقُوسَهَا الدِّينِيَّةَ، فَلَمْ يَأْتِ الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ بِرُمُوزِهَا فِي شِعْرِهِ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِهَا، وَقَلَّةِ مُشَاهَدَتِهِ لَطُقُوسِهَا.

وَلَاخْتِفَاءِ تَفَاصِيلِ عِبَادَتِهِمْ وَطُقُوسِهِمْ سَبَبٌ آخَرُ بِرَأْيِي، وَهُوَ أَنَّ الشَّاعِرَ الْأَنْدَلُسِيَّ الْمُسْلِمَ عَلَى الْأَغْلَبِ يَكَادُ أَحْيَانًا لَا يُعْنِي بِشُعَائِرِ دِينِهِ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ، فَلَا يُعْقِلُ أَنْ يَدْخُلَ فِي تَفَاصِيلِ دِينِ الْيَهُودِ وَلَا أَنْ يُعَدِّدَ شُعَائِرَهُمْ، أَوْ يَصِفَ طُقُوسَهُمْ خُصُوصًا أَنَّهُمْ تَمَيَّزُوا بِالسَّرِّيَّةِ فِي أَدَائِهَا.

وَنَظَرَ الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ إِلَى "التَّوْرَةِ" بِاخْتِرَامٍ، وَكَانَتْ تُذَكِّرُ أَحْيَانًا فِي أَحَبِّ الْأَغْرَاضِ إِلَيْهِ أَلَا وَهُوَ الْعَزَلُ وَالْمَدْحُ أَحْيَانًا. أَمَّا "الرَّبُورُ" ^(١) فَقَلَّ ذِكْرُهُ؛ وَظَهَرَ فِي مَدْحِ ابْنِ هَانِي الْخَلِيفَةِ الْمُعَزَّ لِدِينِ اللَّهِ وَالصَّنَادِيدِ مَعَهُ، وَالْكَلَامُ فِيهِ إِعْجَابٌ بِدَاوُدَ وَمَرَامِيرِهِ وَ"الرَّبُورِ"، فِي قَوْلِهِ ^(٢): [بسيط]

كَأَنَّ أَرْمَاحَهُمْ تَتَلَوُّ إِذَا هُزِجَتْ ^(٣)
رَبُورَ دَاوُدَ فِي مِحْرَابِ دَاوُدَ

وَلَمْ يَأْتِ "الرَّبُورُ" دَلَالًا عَلَى كِتَابِ الْيَهُودِ دَائِمًا ^(٤)؛ أَمَّا كِتَابُ الْيَهُودِ "الرَّبُورُ" الْمُنَزَّلُ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَثَرٌ وَاضِحٌ فِي شِعْرِهِمْ ^(٥).

^١ - الرُّبُورُ: الْكِتَابُ الْمَرْبُورُ، وَالْجَمْعُ: رُبُرٌ. مَأْخُودٌ مِنْ رَبَّرْتُ الْكِتَابَ إِذَا أَتَقَفْتُ كِتَابَتَهُ. وَالرُّبُرُ: الْكِتَابُ، وَالْجَمْعُ رُبُورٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، آيَةٌ ١٠٥. وَقَدْ غَلَبَ الرُّبُورُ عَلَى مَا أُنْزِلَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنبَأَ دَاوُدَ رُبُورًا﴾ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، آيَةٌ ٥٥. انْظُرْ: ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [زير] ٣١٥/٤.

^٢ - ابْنُ هَانِيٍّ دِيوَانُهُ ص ٩٣. أَكْثَرَ ابْنِ هَانِيٍّ مِنْ رُمُوزِ الْيَهُودِ، وَلَجَأَ إِلَى قِصَصِ دَاوُدَ أَكْثَرَ مِنْ، فَأَشَارَ إِلَى قِصَّتِهِ مَعَ جَالُوتَ بِقَوْلِهِ: [البسيط] لَمْ يَلْقَ جَالُوتَ مِنْ دَاوُدَ مَا لَقِيتَ شَرَّائِهِ مِنْكَ فِي حَلٍّ وَفِي رَحْلٍ (الشَّرَاءُ هُمُ الْخَوَارِجُ)

انْظُرْ: ابْنُ هَانِيٍّ دِيوَانُهُ ص ٣٥٥، ٢٧٨. وَابْحَثْ: ص ١٧٦، ١٨٠.

^٣ - هَزَجَتِ الْقَوْسُ (الرُّمَحُ): إِذَا صَوَّتَتْ عِنْدَ جَذْبِهَا وَشَدَّهَا لِلرَّمِي عَنَّا. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [هزج] ٣٩١/٢.

^٤ - وَأَحْيَانًا جَاءَ لَفْظُ الرُّبُورِ لَا يُقْصَدُ بِهِ دِينُ الْيَهُودِ، بَلْ أَيْ كِتَابٌ. كَمَا فِي قَوْلِ ابْنِ الْمَرْحَلِ (ت: ٦٩٩هـ) فِي الْعَزَلِ: [الوافر] عَلَى صِدْغِيهِ مَرْقُومُ الْمَتَانِي وَفِي سَاقِيهِ مَرْقُومُ الرُّبُورِ ابْنُ الْمَرْحَلِ الْجَوَالِاتِ ص ١٠٢.

وَعِنْدَ أَبِي عَامِرٍ بْنِ شُهَيْدٍ، يَقْصَدُ بِهِ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسَ فَحَسَبُ، فِي قَوْلِهِ: [البسيط]

وَالْقَسْرُ مِمَّا شَاءَ طَوْلَ مُقَامِنَا يَدْعُو بِعَوْدِ حَوْلِنَا بِرَبُورِهِ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦٦/٢.

^٥ - هَذَا فِي الشُّعْرِ أَمَّا فِي النَّثْرِ فَقَدْ اسْتَشْهَدَ أَحْيَانًا بِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ وَالرَّبُورِ، انْظُرْ مَثَلًا: ابْنُ رِضْوَانَ الْمَالِقِي الشُّهُبُ اللَّامِعَةُ فِي السِّيَاسَةِ النَّافِعَةُ اسْتَشْهَدَ بِأَقْوَالٍ مِنَ الرُّبُورِ عَنِ الْعَدْلِ ص ٨٥، وَعَنْ ذِكْرِ اللَّهِ مِنَ التَّوْرَةِ ص ١١١.

المبحث الثالث: شعراء اليهود في الأندلس.

لم تذكر المصادر عددًا كبيرًا من الشعراء اليهود الذين نظموا بالعربية في الأندلس، والقلّة الذين ذكرتهم لم تترجم لهم كثيرًا ولم تثبت إلا القليل من شعرهم، وسيُفصلُ البحثُ الحديث عن اثنين من شعراء اليهود لإدراسته أثرهم على الشعر بالأندلس. وهما: أبو الفضل بن حسداي وإبراهيم ابن سهل. وسأقوم بدراسة شعرهما لأنّ لهما أكبر مساحة بين شعراء اليهود في صفحات كتب التراث، فقد كتبَا شعرهما باللغة العربية. ولئن أُسْطِيعَ دراسة شعرهما في مختلف الأغراض، فهذا ما لا يستوعبه البحث، لكن سأطبق دراستي على تخميس لابن سهل الإسرائيلي في مدح النبي ﷺ، ثم على قصيدة مدح لأبي الفضل ابن حسداي. ثم سأجمع ما قيل في غيرهم من شعراء اليهود الأندلسيين الذين كتبوا شعرًا بالعربية أو ذكرتهم مصادر الأدب الأندلسي.

أولاً :- ابن سهل الإسرائيلي

١- مولده ونشأته :

هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي^(١)، ولد بإشبيلية سنة ٦٠٩ هـ ونشأ بها وقرأ كتب النحو على إمام النحو بزمانه أبي عليّ الشلوّيين (ت: ٦٤٥ هـ)^(٢)، هاجر من إشبيلية لما أخذها الإفرنج إلى سبتة حباً في المسلمين وبغضاً في النصاري^(٣)، كما يرى الراعي^(٤)، ورغم إسلامه إلا أنّه غالباً ما يوضع مع أعلام اليهود؛ ففي "نفح الطيب" تراجم لِسنة شعراء من اليهود أخذهم ابن سهل^(٥). وغلب إتياع اسمه بالإسرائيلي أو الإسلامي أو اليهودي إشارة إلى دين أسلافه، ففي "شذرات الذهب" ورد ذكره مرتين أتبع اسمه في الأولى بالإسرائيلي، وفي الإسلامية، وفي الثانية بالإشبيلي.

١ - انظر ترجمته في: ابن الأبار تحفة القادِم ص ٢٤٣؛ المُقتَضَب من تحفة القادِم ص ٢٤٣؛ ابن سَعِيد المَغْرِب ١/٢٦٩ - ٢٧٠؛ زَيَّات المُبَرِّزين ص ٧٦ - ٧٧؛ ابن خَلْدُون المُقَدِّمَة ص ٥٨٦؛ الرَّاعِي المُمْتَع السَّهْل في تَرْجَمَة وشعر ابن سهل، حَوَالِيَات الجامعة التَّوْنِسِيَّة، ع ٢٩، ١٩٨٠ م، ص ٤٠ - ٥٢؛ الصَّفْدِي الوَافِي بِالنُّوْفِيَّات ٦/٥ - ١٠؛ الكُتُبِي فَوَات النُّوْفِيَّات ١/٦٧ - ٧٥؛ المَقْرِي نَفْح الطَّيِّب ٣/٧٠، ٥/٦٩ - ٧٤، ٩/٢٣٧، ١٠/٢٨٨ - ٢٩١؛ ابن عماد الحَنْبَلِي شَذَرَات الذَّهَب ٣/٢٤٤، ٢٩٧؛ مُحَمَّد الإفراني المَسْنُوك السَّهْل في شَرْح تَوْشِيح ابن سهل ص ٦٢ - ٧٤؛ مُصْطَفَى القُسْطَنْطِينِي كَشَف الظُّنُون ١/٧٦٣.

٢ - هو النحوي: أبو عليّ الشلوّيين عُمَر بن الأُرْدِي الأَنْدَلُسِي الإِشْبِيلِي (٥٦٢ - ٦٤٥ هـ) قِيلَ إِنَّهُ كَانَ فِي الْعَرَبِيَّة بَحْرًا لَا يُجَارَى. وَالشُّلُوبِيْنَ بفتح الشين المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية ونون لَقَبْ بلغة الأَنْدَلُس تَغْنِي الأَبْيَض الأشقر.

انظر: الذَّهَبِي سِير أَعْلَام النُّبَلَاء ٢ ٣/٢٠٧ - ٢٠٨؛ ابن عماد الحَنْبَلِي شَذَرَات الذَّهَب ٣/٢٣٢ - ٢٣٣.

٣ - انظر: الرَّاعِي المُمْتَع السَّهْل في تَرْجَمَة وشعر ابن سهل، حَوَالِيَات الجامعة التَّوْنِسِيَّة، ع ٢٩، ١٩٨٠ م، ص ٤١.

٤ - هو: أبو عبد الله شمس الدين مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل الأَنْدَلُسِي الْغَرْنَاطِي الرَّاعِي (٧٨٢ - ٨٥٣ هـ) نَشَأَ بِغَرْنَاطَة وتعلم فيها الفقه والأصول والعربية ومهرَ فيها، وَدَخَلَ الْقَاهِرَة سنة ٨٢٥ هـ فَحَجَّ وَاسْتَوَظَّهَا، وَتَصَدَّى لِلانْتِشَاعِ فَانْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ لَا سِوَمَا فِي الْعَرَبِيَّة، وَكَانَ حَادًّا لِللسان وَالْخُلُقِ. انظر: المَقْرِي نَفْح الطَّيِّب ٣/٤٣٢ - ٤٣٦؛ ابن عماد الحَنْبَلِي شَذَرَات الذَّهَب ٤/٢٧٩.

٥ - المَقْرِي نَفْح الطَّيِّب ٥/٦٨ - ٧٧.

اليهودي^(١). ويقول الراعي إن كثيراً من أهل الأندلس يطلقون عليه الإسرائيلي ولا يطلقون عليه اليهودي بسبب إسلامه، إلا أن كثيراً منهم يطلق عليه اليهودي أيضاً^(٢). ونعتة البلوي في رحلته بالإسلامي^(٣) لأنه من القائلين بحسن إسلامه كما سيأتي.

وشهد له كثيرون بالبراعة والمقدرة الشعرية؛ فقد كان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم^(٤)، فقال ابن سَعِيد: "إنه قرأ معه في إشبيلية، وأنه كان من عجائب الزمان في ذكائه على صغر سنه يحفظ الأبيات الكثيرة من سمعة"^(٥)، وأثنى عليه ابن سَعِيد ثناء عظيمًا، فقال: "لم يشتهر بإشبيلية بعد ابن الصائوني (ت: ٦٣٨ هـ)^(٦) شاعرٌ كاشتهاره، ولا حاز انطباعة في الشعر واقتداره، هذا وما بلغ عشرين سنة"^(٧). وقال ابن الأَبار: "إنه من الأدباء الأذكياء الشعراء"^(٨). وهو شاعرُ زمانه في "شذرات الذهب"^(٩). وهو شاعرُ إشبيلية وسبته عند ابن خلدون^(١٠) وعند المقرئ مرةً، وفي ثانية قال المقرئ: "إنه شاعرُ إشبيلية وشأحها"^(١١). ولما سمع المستنصر^(١٢) وفاة ابن سهل قال: "عاد الدرُّ إلى معدنه"^(١٣). وكان الراعي مُعجَبًا بشعره يُقِيده ويحفظه ويسمع طلبته شيئاً منه، وذلك، كما يقول، لِفَصاحته وظرفه وكثرة نكته واقتباساته وغير ذلك مما هو مشهور عنه بين الناس. ووصفه بالأديب البارِع، وقال: "إنه نُخبَةُ زمانه وتُحفَةُ أوانه، ووَاسِطَةُ عقدِ مكانه"، وترجم له لأن صغار الطلبة وكبارهم عنده أعجبوا بما سمعوه منه من شعره، فرغبوا من الراعي أن يُملي عليهم مما بقي من محفوظه منه لينثثوه في ورقاتٍ لئلا يضيع^(١٤).

- ١ - انظر: ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٩٧، ٢٤٤/٣.
- ٢ - انظر: الراعي الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، حوَلِيَّاتِ الجامِعةِ التُّوسِيَّةِ، ع ٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٨.
- ٣ - انظر: البلوي تاج المفرق في تخلية علماء المشرق ٩٧/١.
- ٤ - انظر: المقرئ تفتح الطيب ٧٣/٥.
- ٥ - ابن سَعِيد المغربي ٢٦٩/١ - ٢٧٠.
- ٦ - هو الشاعِرُ: أَبُو بكر مُحَمَّد بنُ أَحْمَد الصَّائُونِي (ت: ٦٣٨ هـ) شاعرُ إشبيلية بعصره، رَحَلَ إلى ثُوُس ثُمَّ مِصرَ، ومَاتَ بالإسْكَندَرِيَّةِ. أظهره مأمونُ بني عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (٦٢٤ - ٦٢٩ هـ) ولَهُ مَوْشَحَاتٌ مشهُورَةٌ. قال ابنُ سَعِيد: إِنَّهُ كَانَ يُلقَّبُ بِالْحِمَارِ. انظر: ابن الأَبار الخلة السيزام ٣٠٩/٢؛ ابن سَعِيد المغربي ٢٦٨/١، ١٣٠/٢؛ المقرئ تفتح الطيب ٢٣٦/٩؛ الصَّغَدِي الوافي بالوفيات ٧٢-٧١/٢.
- ٧ - الراعي الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، حوَلِيَّاتِ الجامِعةِ التُّوسِيَّةِ، ع ٢٩، ثُوُس: ١٩٨٠م، ص ٥١.
- ٨ - ابن الأَبار المُقْتَضَبُ مِنْ تُحْفَةِ القَادِمِ ص ٢٤٣؛ ابن سَعِيد المغربي ٢٦٩/١ - ٢٧٠.
- ٩ - انظر: ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٩٧/٣.
- ١٠ - انظر: ابن خلدون المُقَدِّمَةُ ص ٥٨٦.
- ١١ - المقرئ تفتح الطيب ٢٣٧/٩، ٦٩/٥.
- ١٢ - هو: المُسْتَنْصِرُ علي بن خلاص صاحبُ سبته.
- ١٣ - الراعي الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، حوَلِيَّاتِ الجامِعةِ التُّوسِيَّةِ، ع ٢٩، ثُوُس: ١٩٨٠م، ص ٤٩؛ المقرئ تفتح الطيب ٦٩/٥؛ مُحَمَّدُ الإفراني المسلك السهل في شرح تَوْشِيحِ ابن سهل ص ٧٢؛ البلوي تاج المفرق في تخلية علماء المشرق ٩٨/١.
- ١٤ - انظر: الراعي الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، حوَلِيَّاتِ الجامِعةِ التُّوسِيَّةِ، ع ٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٠.

٢ - تَعْلِيمُهُ وَتَقَاتُّهُ وَأَعْمَالُهُ :

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: "إِنَّهُ قَرَأَ مَعَ ابْنِ سَهْلٍ عَلَى الدَّبَّاجِ (ت: ٦٤٦هـ) ^(١) وَغَيْرِهِ ^(٢)، وَقَالَ الْمَقْرِي: "إِنَّهُ قَرَأَ كَذَلِكَ عَلَى الشَّلُوبِينَ" ^(٣)، وَقَالَ الرَّاعِي: "إِنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْعَافِقِيِّ (ت: ٧١٦هـ) ^(٤) شَارِحَ الْجُمَلِ" ^(٥) وَيَبْدُو مِنْ شَهَادَةِ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ تَعَلَّمَ كَأَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ تَمَامًا وَمَعَهُمْ، فَأَتَقَّنَ الْعَرَبِيَّةَ وَنَظَّمَ بِهَا، فَقَالَ ابْنُ الْمَرْحَلِ إِنَّهُ "لَازِمَ الْقِرَاءَةِ وَاشْتَغَلَ بِهَا، وَنَظَرَ فِي الْأَدَبِ فَتَبَعَ فِي الشَّعْرِ" ^(٦)، وَيَبْدُو مِنْ أَشْعَارِهِ أَطْلَاعٌ وَاسِعٌ عَلَى فُنُونِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ قَدِيمِهِ وَحَدِيثِهِ وَتَمَكَّنُ مِنَ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا يَبْدُو أَطْلَاعُهُ عَلَى الْمَوْرُوثِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَمِنْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَتَأَثَّرَهُ بِهِ، وَهَذَا بَدَأَ جَلِيًّا فِي تَحْمِيْسِهِ فِي مَذْحِ النَّبِيِّ ﷺ. وَاسْتَدَلَّ الْمَقْرِيُّ مِنْ أَشْعَارِ ابْنِ سَهْلٍ الَّتِي قَالَهَا قَبْلَ إِسْلَامِهِ عَلَى أَنَّ يَهُودَ الْأَنْدَلُسِ كَانُوا يَسْتَنْغِلُونَ بِعِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ ^(٧). وَإِنْ صَدَقَتْ رَوَايَةُ الرَّاعِي مِنْ أَنَّ ابْنَ سَهْلٍ عَاشَرَ أَيَّامًا قَلِيلًا فَقَطْ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ ^(٨) يَكُونُ شِعْرُ ابْنِ سَهْلٍ وَثِيقَةً بِاللُّغَةِ الْأَهْمِيَّةِ ذَالَّةً عَلَى مَدَى انْدِمَاجِ يَهُودِ الْأَنْدَلُسِ بِالثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَقَدْ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يَنْظُمَ يَهُودِيٌّ شِعْرًا مَمْلُوءًا بِالْمَوْرُوثِ الْإِسْلَامِيِّ لَا تَظْهَرُ فِيهِ مُعْطِيَاتٌ عَنِ الطَّائِفَةِ الْيَهُودِيَّةِ، رُغْمَ قِصَرِ عَهْدِهِ بِالْإِسْلَامِ. وَرَوَى الرَّاعِي عَنْ بَعْضِ الشُّيُوخِ أَنَّ ابْنَ سَهْلٍ كَانَ يَحْضُرُ فِي سِبْتَةِ دَرْسًا، وَلَمْ يُؤَكِّدِ الرَّاعِي إِنْ كَانَتْ الْحِكَايَةُ حَصَلَتْ مَعَ الشَّلُوبِينَ أَوْ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْعَافِقِيِّ، لِإِسْمَاعِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَقْعُدُ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ عَلَى نِعَالِ الطَّلَبَةِ وَيُبَاحِثُ الشَّيْخَ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْثِ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ، فَيُجَاوِبُهُ الشَّيْخُ فِي كُلِّ بَحْثٍ بِقَوْلِهِ: "يَا مَلْعُونُ، الْأَمْرُ عَلَى كَذَا..." فَيَسْبُهُ فِي كُلِّ بَحْثٍ ^(٩). وَلِي عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ مُمْلَحَاتٌ: الْأُولَى أَنَّ ابْنَ سَهْلٍ كَانَ مُتَمَكِّنًا فِي عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ مُحِبًّا لَهَا حَرِيصًا عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ رُغْمَ جُلُوسِهِ "عِنْدَ" بَابِ

١ - هُوَ: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ جَابِرٍ الدَّبَّاجِ (٥٦٦-٦٤٦هـ) شَيْخُ الْفُرَّاءِ وَالْحَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ، مَصْنَعٌ لِلْعُلَمَاءِ خَمْسِينَ عَامًا، وَاشْتَهَرَ بِإِقْرَاءِ كُتُبِ الْأَدَابِ كَالْكَامِلِ وَنَوَادِرِ الْقَالِي، وَكَانَ مَعَ زَهْدِهِ فِيهِ لَوَدَّعِيَّةً، فَاشْتَهَرَ بِاللِّطَافَةِ وَالْمَدَاحَةِ لِلْعُلَمَاءِ وَالتَّنْذِرِ فِي شَأْنِهِمْ، قِيلَ إِنَّهُ تُوْفِّيَ بِإِشْبِيلِيَّةٍ أَسْفًا عَلَيْهَا يَوْمَ اسْتِيلَاءِ الرُّومِ عَلَيْهَا.

انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٢٦٠/١-٢٦١؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢/٣٠٩؛ ابْنُ عِمَادٍ الْحَنْبَلِيُّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣/٢٣٥-٢٣٦.

٢ - ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٢٦٩/١.

٣ - الْمَقْرِيُّ تَفْحِ الطَّيِّبِ ٥/٦٩.

٤ - هُوَ: أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عِيْسَى الْعَافِقِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ السَّبْتِيُّ (ت: ٧١٦هـ) مَقْرٍ، فقيه، نحوي، مِنْ مُؤَلِّفَاتِهِ شَرْحُ عَلَى كِتَابِ الْجُمَلِ فِي النَّحْوِ لِلزَّجَّاجِ. انْظُرْ: ابْنُ عِمَادٍ الْحَنْبَلِيُّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣/٣٨.

٥ - الرَّاعِي الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوَالِيَّاتُ الْجَامِعَةِ التُّونُسِيَّةِ، ع ٢٩، تُونِس: ١٩٨٠م، ص ٤٥.

٦ - الْبَلَوِيُّ تَأْجُ الْمَفْرُقِ فِي تَخْلِيَةِ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ ١/٩٧.

٧ - الْمَقْرِيُّ تَفْحِ الطَّيِّبِ ٥/٧٠.

٨ - انْظُرْ: الرَّاعِي الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوَالِيَّاتُ الْجَامِعَةِ التُّونُسِيَّةِ، ع ٢٩، تُونِس: ١٩٨٠م، ص ٤٥-٤٦.

٩ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٤١.

المسجد على نعال الطلبة " لأنه ذمي يهودي أو لأنه صغير لا يُسمح له بالجلوس في صدر مجالس العلم، ورغم تكرار الإهانة له، كما يبدو، من قبل معلم غير مبال بنجاسته والملاحظة الثانية أن أبناء اليهود تعلموا على مشايخ العرب، وكان يُسمح لهم بالمناقشة والمساءلة والمجادلة والملاحظة الأخيرة أن العرب لم يكونوا يتسبون انتماءه الديني رغم نجاسته وحرقه على التعلم، فتعرض للسب والإهانة واللغة حتى في مجالس العلم، إلا أن هذا لم يمنعه من مواصلة الاشتغال بالعلم.

ولم تذكر المصادر شيئاً عن الأعمال التي وليها ابن سهل إلا ما قيل عن أنه ولي الكتابة عند ابن خلاص عامل سبتة بعد إسلامه، ومدحه بأمداح عظيمة^(١). وقد يكون ولي الكتابة لغير ابن خلاص بالأندلس، لكنه لم يقتنع فسافر إلى المغرب بحثاً عما يرضيه، فكانت نهايته هناك.

٣- شك الناس في إسلامه :

حصل خلاف كبير حول إسلام ابن سهل؛ ولم يظهر الخلاف عند المتأخرين من الدارسين فحسب، بل بدأ هذا الخلاف يظهر في حياته وعند المعاصرين، وهذا يشير إلى أن الناس لم تبعد عنه دل اليهودية رغم إسلامه، مع أن المتوقع أن يقدّر له إسلامه كما هي العادة في المجتمع الإسلامي. ولاحق الذين شكوا في إسلامه أشعاره وحملوها تأويلات وفلسفات فيها مبالغة وغلو، فقالوا مثلاً إن يهوديته واضحة في قوله "النبي" ولم يقل "الرسل"، في قوله^(٢): [لطويل]

تكماد مناجاة النبي محمد
تنم بها مسكاً على الشم ذائعا

فالرسل أخص وأبلغ في المدح، فكانه ممن يثبت النبوة وينكر الرسالة^(٣). واستغل ابن سهل هذا الشك بإسلامه لينظم محاورة غزلية جميلة تترك القارئ في حيرة، وذلك في قوله^(٤): [لطويل]

يسألني من أي دين مداعباً
فؤادي حنفي ولكن مقلتي
وشمل اعتقادي في هواه مبدد
مجوسية من خده النار تعبد

وكتب ابن سعيد إلى ابن سهل يستدعيه إلى الأندلس بثلاثة أبيات، فأجابه بأبيات آخرها^(٥): [لطويل]

سألفها ألف العتيق كتابه
ولا أثنى ورداً سواها إلى الحشر

يقول ابن سعيد: "قلما وصل، أظهرت استحسان خطابه مع سرعة جوابه، ثم أنكرت بيته الأخير، ولدعته من الملام بيسير، فقال: أليس في الجنة نهر الخمر؟! قلت: بحرمة ما بيننا، ألا أزلت عني

١ - انظر: ابن الأبار المفتض من تحفة القادِم ص ٢٤٣؛ الراعي الممنوع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، حواريات الجامعة التونسية، ع ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٤٨-٤٩؛ البلوي تاج المشرق في تلبية علماء المشرق ٩٧/١.

٢ - انظر: الراعي الممنوع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، حواريات الجامعة التونسية، ع ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٥١.

٣ - ابن سهل ديوانه ص ٢٣٣.

٤ - ابن سهل ديوانه ص ١١٤؛ المقرئ تفتح الطيب ٦٩/٥.

٥ - ابن سهل ديوانه ص ١٦٦؛ ابن سَعِيد اختصار القذح المعلى ص ٧٧.

شَكَ النَّاسَ فِيكَ، وَصَدَّقْتَنِي، هَلْ أَنْتَ عَلَى دِينِ أَسْلَافِكَ بَاقٍ، أَمْ عَلَى دِينِ الْمُسْلِمِينَ حَقِيقٌ، فَقَالَ: اعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ لِلنَّاسِ مَا ظَهَرَ وَلِلَّهِ مَا خَفِيَ" ^(١)، وَهُنَاكَ رَوَايَاتٌ أُخْرَى لِمَا دَارَ بَيْنَهُمَا ^(٢).

وَظَلَّ ابْنُ سَعِيدٍ يَشْكُ فِي إِسْلَامِ ابْنِ سَهْلٍ صَدِيقِهِ رُغْمَ مَحَبَّتِهِ لَهُ، فَقَالَ فِيهِ ^(٣): [لطوي]
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَقَاتُهُ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ كَيْمَا يُسَلِّمَا

وَأَلْقَاهُ فِي جَنَاتٍ عَذْبٍ مُخَلَّدَا فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يَحُلَّ جَهَنَّمَا

وَيُعَقَّبُ الرَّاعِي (ت: ٨٥٣هـ) عَلَى الْآيَاتِ بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ هَذَا لِمَا رَأَاهُ مِنْ حِفْظِهِ لِلْقُرْآنِ الْعَزِيزِ أَوْ لَأَكْثَرِهِ، وَلِجَوْدَةِ شِعْرِهِ وَفَهْمِهِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ، فَشَبَّهَهُ بِابْنِ الصَّابُونِيِّ وَضَرَبَ بِهِ الْمَثَلَ لِكِبَرِهِ فِي عَيْنِهِ وَهَذَا مِمَّا قَوَّى جَانِبَ إِسْلَامِهِ عِنْدَ الرَّاعِي ^(٤)، وَلَا أُدْرِي كَيْفَ عَرَفَ الرَّاعِي أَنَّ ابْنَ سَعِيدٍ رَأَى حِفْظَ ابْنِ سَهْلٍ لِلْقُرْآنِ الْعَزِيزِ أَوْ لَأَكْثَرِهِ، فَابْنُ سَعِيدٍ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِذَا، وَالرَّاعِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُمَا حَوَالِي قَرْنَيْنِ، وَأَسْتَغْرِبُ كَيْفَ يَرَى جَوْدَةَ شِعْرِهِ وَفَهْمَهُ لِكَلَامِ الْعَرَبِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ إِسْلَامِهِ.

وَظَلَّتْ مَسْأَلَةُ إِسْلَامِ ابْنِ سَهْلٍ بَاطِنًا تُشْغِلُ بَالًا كَثِيرِينَ، وَكَانَ يَتَعَمَّدُ إِيقَاعَهَا غَامِضَةً وَهَذَا مَا زَادَ مِنْ شَكِّ النَّاسِ فِيهَا، وَلَمْ يُحَاوِلْ أَنْ يُزِيلَ شُكُّوهُمْ. فَقِيلَ عَنِ الْعِزِّ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ (ت: ٦٥٩هـ) قَوْلُهُ: "إِنَّ ابْنَ سَهْلٍ كَانَ يَنْظَاهِرُ بِالْإِسْلَامِ، وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يَخْلُو مِنْ قَذْحٍ وَاتِّهَامٍ" ^(٥)، وَمَنْ شَكَّ فِي إِسْلَامِهِ تَأَثَّرَ بِقَوْلِ ابْنِ سُمْعَةَ الْغُرْنَاطِيِّ ^(٦): "شَيْنَانٍ لَمْ يَقَعَا فِي الْوُجُودِ وَلَا أُصَدِّقُهُمَا أَبَدًا: أَحَدُهُمَا تَوْبَةُ الزَّمْخَشَرِيِّ ^(٧) مِنَ الْإِعْتِرَالِ، وَالثَّانِيَةُ إِسْلَامُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَهْلٍ" ^(٨).

١ - الرَّاعِي الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوَالِيَاتُ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٥٣؛ مُحَمَّدُ الْإِفْرَانِيُّ الْمَسْنَدُ السَّهْلُ فِي شَرْحِ تَوْشِيحِ ابْنِ سَهْلٍ ص ٦٧.

٢ - نَفْسُهُ ٧٠/٥.

٣ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٥١.

٤ - انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٥ - الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦٩/٥؛ مُحَمَّدُ الْإِفْرَانِيُّ الْمَسْنَدُ السَّهْلُ فِي شَرْحِ تَوْشِيحِ ابْنِ سَهْلٍ ص ٦٧.

٦ - الْقَائِلُ هُوَ: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُمْعَةَ الْغُرْنَاطِيِّ، شَيْخُ الرَّاعِي وَفِي التَّفْحِ ثُرَى بِشَكْلِ آخَرٍ: شَيْنَانٌ لَا يَصْحَانُ إِسْلَامَ ابْنِ سَهْلٍ وَتَوْبَةَ الزَّمْخَشَرِيِّ مِنَ الْإِعْتِرَالِ. انْظُرْ: الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٠/٥.

٧ - هُوَ: الزَّمْخَشَرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ جَارِ اللَّهِ أَبُو الْقِسْمِ (٤٦٧-٥٣٨هـ) النُّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ وَكَانَ مُتَقَنًّا فِي كُلِّ عِلْمٍ، وَكَانَ رَأْسًا فِي الْبَلَاغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَلَهُ نَظْمٌ جَيِّدٌ، وَمِنْ تَصَانِيفِهِ الْكَشَافُ فِي التَّفْسِيرِ وَ الْمُفَصَّلُ فِي النُّحْوِ.

انْظُرْ: الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٥١/٢٠-١٥٦هـ؛ ابْنُ عِمَادٍ الْحَنْبَلِيُّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ١١٨/٢-١٢١.

٨ - الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٠/٥؛ الرَّاعِي الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشِعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوَالِيَاتُ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٤٩؛ مُحَمَّدُ الْإِفْرَانِيُّ الْمَسْنَدُ السَّهْلُ فِي شَرْحِ تَوْشِيحِ ابْنِ سَهْلٍ ص ٦٨.

وَمِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَى صِحَّةِ إِسْلَامِ ابْنِ سَهْلٍ مَا نَقَلَهُ الْمُقَرِّيُّ عَنْ ابْنِ رُشَيْدٍ الْفَهْرِيِّ (ت: ٧٢١هـ) فِي "مِلَّةِ الْعَبِيَّةِ" فَقَدْ كَتَبَ أَنَّ هُنَاكَ خِلَافًا فِي إِسْلَامِ ابْنِ سَهْلٍ بَاطِنًا، إِلَّا أَنَّ ابْنَ مَرْزُوقٍ (ت: ٧٨١هـ) ^(١) كَتَبَ عَلَى هَامِشٍ هَذَا الْكَلَامِ مَا نَصَّهُ "صَحَّحْنَا مَنْ أَدْرَكْتَاهُ مِنْ أَشْيَاخِنَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ مَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَمْدَاحٍ تَدُلُّ عَلَى مُقَارَفَتِهِ دِينِ أَسْلَافِهِ" ^(٢).

وَيُؤَكِّدُ الرَّاعِي صِدْقَ إِسْلَامِ ابْنِ سَهْلٍ بِأَنَّهُ يَنْظُرُ فِي أَمَانَةٍ مَنْ رَوَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ: "وَأَمَّا إِسْلَامُ ابْنِ سَهْلٍ، فَحَدَّثَنِي بِهِ صَاحِبِي فِي اللَّهِ تَعَالَى الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْوَزِيرُ الْحَسِبُ الْأَصْلُ الْمُجَاهِدُ أَبُو الْبَقَاءِ خَالِدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ الْبُرْسَانِيُّ" ^(٣) الْبَلَوِيُّ (ت: بعد ٧٥٧هـ) ^(٤) الشَّهِيرُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعِلْمِ، وَحَدَّثَنِي بِهِ عَنْ عَمَّتِهِ شَقِيقَةِ أَبِيهِ، وَكَانَتْ صَالِحَةً مَشْهُورَةً بِالرَّئَاسَةِ وَالْأَصَالَةِ بِبَلَدِهَا، لَمْ أَسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهَا، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ بِإِسْلَامِهِ عَنْ جَدِّهِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الرَّئِيسِ صَاحِبِ الْقَلَمِ بِمَدِينَةِ تُونِسَ أَبُو الْبَقَاءِ خَالِدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ الْعَلَمُ رَئِيسُ الْكِتَابِ بِتُونِسَ، وَخَالِدٌ هَذَا كَانَ رَجُلًا عَالِمًا شَاعِرًا كَاتِبًا.

وَحَدَّثَ بِإِسْلَامِهِ خَالِدٌ عَنِ الرَّصَافِيِّ (ت: ٧٤٥هـ) ^(٥) عَنْ مَالِكِ بْنِ الْمَرْحَلِ (ت: ٦٩٩هـ) ^(٦) الشَّاعِرَيْنِ الْفَخْلَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْأَنْدَلُسِ: أَنَّ ابْنَ سَهْلٍ أَسْلَمَ وَعَاشَ مُسْلِمًا أَيَّامًا قَلِيلًا وَمَاتَ غَرِيقًا فِي الْبَحْرِ الْمَالِحِ، وَهَذَا السَّنَدُ لَا مَطْعَنَ فِيهِ لَأَنَّهُمْ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَكِبَارِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ الْمَشْهُورِينَ، فَلَا يَتَّهَمُونَ عَلَى الْإِحْسَانِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَهْلٍ بِالْحَاقَةِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ بِشَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ مَعَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ النَّظَرَاءُ الْمُعَاصِرُونَ مِنَ الْحَسَدِ" ^(٧). وَيُكْمِلُ تَدْقِيقَهُ فِي أَمَانَةِ الرُّوَاةِ بِإِعَادَةِ الشَّهَادَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً، يَقُولُهُ: "وَأَمَّا الرَّصَافِيُّ وَابْنُ الْمَرْحَلِ فَمَشْهُورَانِ بِالْمَغْرِبِ

١ - هُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَرْزُوقٍ الْعُجَيْنِيِّ الْخَطِيبِ (ت: ٧٨١هـ) فقيه أصولي محدث، نحوي، مفسر، وُلِدَ بِتِلْمَسَانَ ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَأَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ إِلَى وَفَاتِهِ، لَهُ كِتَابُ الشَّفَا فِي التَّعْرِيفِ بِحَقُوقِ الْمُصْطَفَى وَإِضَاحِ الْمَسَالِكِ إِلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ.

انظر: عمر رضا كحالة معجم المؤلفين ١٦/٩ - ١٧.

٢ - الْمُقَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٠/٥؛ مُحَمَّدُ الْإِفْرَانِيُّ الْمَسْنُوكُ السَّهْلُ فِي شَرْحِ تَوْشِيحِ ابْنِ سَهْلٍ ص ٦٧.

٣ - الْبُرْسَانِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَى بُرْسَانَ مِنْ قَرْيَ سَمَرْقَنْدَ. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٣٨٣/١.

٤ - هُوَ الْقَاضِي: أَبُو الْبَقَاءِ خَالِدُ بْنُ عَيْسَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ الْبَلَوِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَهُوَ صَاحِبُ الرَّحْلَةِ الْمُسَمَّاةِ تَاجِ الْمَفْرُقِ فِي تَخْلِيَةِ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ الْمَوْضُوعَةِ عَامَ ٧٥٧هـ. انظر: الْمُقَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٧٧/٣ - ٢٧٩.

٥ - هُوَ: أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ الْمَعْرُوفُ بِالرَّصَافِيِّ، مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَيَّانٍ الْغُرْنَطَايِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٥هـ. قَالَ عَنْهُ الْبَلَوِيُّ إِنَّهُ شَيْخٌ صَالِحٌ غَادٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، لَا يُخَالِطُ أَحَدًا وَلَا تَرَاهُ إِلَّا مُفْرَدًا مُشْتَغَلًا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.

انظر: الْمُقَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٥٥/٥؛ الْبَلَوِيُّ تَاجِ الْمَفْرُقِ فِي تَخْلِيَةِ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ ٩٧/١.

٦ - هُوَ: أَبُو الْحَكَمِ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَرْحَلِ (ت: ٦٩٩هـ) شاعر، أديب نحوي لغوي، وُلِدَ بِمَالَقَةَ، مِنْ آثَارِهِ: اللَّامِيَّةُ، نَظْمٌ فِيهَا التفسير، ومنظومة فصيح ثعلب المسماة بالموطأة، قَالَ الْمُقَرِّيُّ إِنَّهُ مِنْ مُشَاهِيرِ الْأَدَبَاءِ.

انظر: جلال الدين السيوطي بغية الوعاة ٢/٢٧١؛ الْمُقَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٩٧/٣؛ الْبَلَوِيُّ تَاجِ الْمَفْرُقِ فِي تَخْلِيَةِ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ ٩٧/١.

٧ - الرَّاعِي الْمُفْتَعُ السَّهْلُ فِي تَرْجُمَةِ وَشَفْرِ ابْنِ سَهْلٍ. حَوَلِيَّاتُ الْجَامِعَةِ التَّوْنِسِيَّةِ، ع ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٤٥ - ٤٦.

وَالْأَنْدَلُسُ بِالْعِلْمِ وَالشَّعْرِ وَالْأَدَبِ وَاللِّطَافَةِ وَالرَّئَاسَةِ" (١). وَيُضِيفُ: "وَإِنَّ مَا حَمَلَنِي عَلَى أَنْ أُعَرِّفَكَ بِهِؤُلَاءِ الرُّوَاةِ لِأَنَّ بِمَعْرِفَتِهِمْ تَنْقَوِي صِحَّةَ إِسْلَامِهِ". وَجَاءَتْ شَهَادَةُ الْبَلَوِيِّ كَذَلِكَ فِي "تَاجِ الْمَفْرُقِ فِي تَحْلِيلَةِ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ" عَنْ شَيْخِهِ ابْنِ الْمَرْحَلِ فَقَالَ: "قَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ وَلَا زَمَتِ الْجَمَاعَاتُ صَلَوَاتِهِ، وَلَا زَمَ الْقِرَاءَةُ وَاشْتَغَلَ بِهَا، وَنَظَرَ فِي الْأَدَبِ فَنَبَغَ فِي الشَّعْرِ" (٢). إِلَّا أَنَّ الرَّاجِي يَقَعُ فِي تَنَاقُضٍ بِقَوْلِهِ: "وَلَأَجْلِ هَذَا يُطْلَقُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَهْلٍ الْإِسْرَائِيلِيِّ وَلَا يُطْلَقُونَ عَلَيْهِ الْيَهُودِيَّ لِقُوَّةِ هَذَا الْخَبَرِ عِنْدَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْيَهُودِيَّ" (٣). فَكَيْفَ يُطْلَقُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِ الْيَهُودِيَّ أَوْ حَتَّى الْإِسْرَائِيلِيَّ وَيَكُونُ هَذَا دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ إِسْلَامِهِ؟! .

وَقَالَ صَاحِبُ "كَشْفِ الظُّنُونِ" (ت: ١٠١٧هـ): "إِنَّ أَهْلَ إِفْرِيقِيَّةٍ يَقُولُونَ مَاتَ مُسْلِمًا وَيَسْتَدِلُّونَ بِشَعْرِهِ، وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يَقُولُونَ بَلْ مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ" (٤). وَقَالَ الْمَقْرِي (ت: ١٠٤١هـ) إِنَّ بَعْضَ الْمَغَارِبَةِ سَأَلَ عَنِ السَّبَبِ فِي رِقَّةِ نَظْمِ ابْنِ سَهْلٍ فَقَالَ: "لَأَنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهِ دَلَالِنُ دُلِّ الْعِشْقِ وَدُلِّ الْيَهُودِيَّةِ" (٥). وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ النَّاسَ لَمْ تَبْعُدْ عَنْهُ دُلُّ الْيَهُودِيَّةِ رُغْمَ إِسْلَامِهِ.

إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ اسْتَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ إِسْلَامِ ابْنِ سَهْلٍ كَذَلِكَ مِنْ شَعْرِهِ، وَمِنْ قَوْلِهِ (٦): [لطويك]
تَسَلَّيْتُ عَنْ مُوسَى بِحُبِّ مُحَمَّدٍ
هُدَيْتُ وَلَوْ لَا اللَّهُ مَا كُنْتُ أَهْتَدِي
وَمَا عَنْ قَلِي قَدْ كَانَ ذَاكَ وَإِنَّمَا
شَرِيعَةُ مُوسَى عَطَلَتْ بِمُحَمَّدٍ

وَيَقُولُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ: "إِنَّ هَذَا اسْتِنْتَاجٌ ضَعِيفٌ لَا يُؤَيِّدُ شَيْئًا وَلَا يَنْفِيهِ" (٧). وَمِثْلُهُ الرَّاجِي الَّذِي لَا يَرَى فِي الْبَيِّنَتَيْنِ دَلِيلًا عَلَى إِسْلَامِهِ، لِأَنَّهُ قَالَ: "عَطَلَتْ" وَلَمْ يَقُلْ: "نَسَخَتْ"، مَعَ أَنَّهُ مَسْبُوقٌ لِمَعْنَاهُمَا، فَيُرْجَّحُ أَنْ يَكُونَ انْتَقَلَ مِنَ التَّعْزُّلِ فِيمَنْ اسْمُهُ مُوسَى لِمَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ لَا غَيْرَ (٨).

وَبِدِرَاسَةِ هَذِهِ الْأَرَاءِ الَّتِي قِيلَتْ فِي صِحَّةِ إِسْلَامِ ابْنِ سَهْلٍ يَتَوَصَّلُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ إِلَى أَنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ: الْأُولَى أَيَّامَ إِقَامَتِهِ فِي إِسْبِيلِيَّةٍ، كَانَ فِيهَا شَابًّا يَتَرَدَّدُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَيَدْرُسُ الْقُرْآنَ وَالْعُلُومَ الْإِسْلَامِيَّةَ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الطَّلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنَّهُ لَا يَهْتَمُّ كَثِيرًا بِإِدَاءِ الْفُرُوضِ الَّتِي تَجَعِّلُ النَّاسَ يَعُدُّونَهُ مُسْلِمًا، كَالصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَالظُّهْرِ، وَالْمَرَحَلَةُ الثَّانِيَّةُ هِيَ الْفَتْرَةُ السَّبْتِيَّةُ كَانَ يُلَازِمُ

١ - الرَّاجِي الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشَعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوْلَاتِ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، ع ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٤٦ .

٢ - الْبَلَوِيُّ تَاجُ الْمَفْرُقِ فِي تَحْلِيلَةِ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ ٩٧/١ .

٣ - الرَّاجِي الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشَعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوْلَاتِ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، ع ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٤٨ .

٤ - انْظُرْ: مُصْطَفَى الْفُسْطَاطِيِّ كَشْفُ الظُّنُونِ ٧٦٣/١ .

٥ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦٩/٥ .

٦ - ابْنُ سَهْلٍ دِيَوَانُهُ ص ١١٦؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢٢٠/١؛ الرَّاجِي الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشَعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوْلَاتِ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، ع ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٥٠؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٠/٥؛ مُحَمَّدُ الْإِفْرَانِي الْمَسْنُوكُ السَّهْلُ فِي شَرْحِ تَوْشِيحِ ابْنِ سَهْلٍ ص ٦٦ .

٧ - ابْنُ سَهْلٍ دِيَوَانُهُ ص ٣٤ [الْمُقَدِّمَةُ] .

٨ - انْظُرْ: الرَّاجِي الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشَعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوْلَاتِ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، ع ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٥٠ .

صَلَوَاتِ الْجَمَاعَةِ وَيَشْتَغِلُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَهَذَا مَا أَكَّدهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ عَلَى حَاشِيَةِ "مِلءِ الْعَيْبَةِ" حَيْثُ كَتَبَ أَنَّ هُنَاكَ خِلَافًا فِي إِسْلَامِ ابْنِ سَهْلٍ بِاطْنًا^(١).

وَأَرَى أَنَّ إِحْسَانَ عَبَّاسٍ أَصَابَ فِي تَقْسِيمِ حَيَاةِ ابْنِ سَهْلٍ إِلَى مَرَحَلَتَيْنِ؛ فَهَذِهِ الْخِلَافَاتُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ابْنَ سَهْلٍ لَمْ يَكُنْ يَقُومُ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَلَا يُعْنَى بِهَا فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ، وَحَدِيثُهُ مَعَ ابْنِ سَعِيدٍ يُشِيرُ بوضوحٍ إِلَى هَذَا، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ مُبَالِيًا بِإِعَادِ هَذِهِ التُّهْمَةِ عَنْهُ، وَلَوْ كَانَ إِسْلَامُهُ حَقًّا لَتَأَثَّرَ بِمَا يُقَالُ عَنْهُ وَلَحَاوَلَ الدِّفَاعَ عَنْ دِينِهِ وَمُعْتَقَدِهِ بِنَظْمِهِ أَوْ بِمُحَاوَرَاتِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ وَهَذَا يَقْوَى عِنْدِي الْإِعْتِقَادُ بِأَنَّهُ كَانَ يَنْظَاهِرُ بِالْإِسْلَامِ كَمَا قَالَ مَعَاصِرُونَ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٤- وَفَاتُهُ :

تَقُولُ الْمَصَادِرُ إِنَّ ابْنَ سَهْلٍ مَاتَ غَرِيقًا مَعَ ابْنِ وَالِي سِبْتَةَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى ثُونَسَ لِتَقْدِيمِ هَدِيَّةٍ إِلَى رَئِيسِهَا أَبِي زَكْرِيَّا الْحَفْصِيِّ^(٢). وَكَانَ سِنُّهُ حِينَ غَرِقَ نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً^(٣). وَاخْتَلَفَتِ الْمَصَادِرُ حَوْلَ سَنَةِ وَفَاتِهِ؛ فَبِ"تُحْفَةِ الْقَادِمِ" أَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ سَنَةِ ٦٤٦ هـ^(٤)، وَيَقُولُ ابْنُ عِدَارِي إِنَّهَا سَنَةُ ٦٤٣ هـ^(٥)، بَيْنَمَا "قَوَاتِ الْوَفَيَّاتِ" يَقُولُ إِنَّهَا سَنَةُ ٦٤٩ هـ^(٦)، وَفِي "تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونِ" هِيَ ٦٤٦ هـ^(٧)، وَفِي "نَفْحِ الطَّيِّبِ" هِيَ سَنَةُ ٦٤٩ هـ كَذَلِكَ^(٨)، وَصَاحِبُ "الْمَسَلِّكَ السَّهْلِ" يَقُولُ إِنَّهَا سَنَةُ ٦٥٩ هـ^(٩)، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي "شَدَرَاتِ الذَّهَبِ" مَرَّتَيْنِ: وَاحِدَةً تَقُولُ سَنَةُ ٦٤٩ هـ وَالثَّانِيَةَ ٦٥٩ هـ^(١٠). وَبِمَا أَنَّ وَلادَتَهُ كَانَتْ سَنَةَ ٦٠٩ هـ، وَعَاشَرَ نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً أَرْجَحُ أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ قَرِيبَةً مِنْ سَنَةِ ٦٤٦ هـ، وَأَسْتَبْعِدُ أَنْ تَكُونَ سَنَةَ ٦٤٩ هـ أَوْ ٦٥٩ هـ لِأَنَّ دَوْلَةَ ابْنِ خَلَّاصٍ فِي سِبْتَةَ انْتَهَتْ سَنَةَ ٦٤٧ هـ^(١١)، وَبِمَا أَنَّ أَقْرَبَ الْمَصَادِرِ إِلَيْهِ كَانَتْ "التُّحْفَةُ" وَ"الْبَيَانُ" يَتَّقَوْنَ لَدَيَّ الْإِعْتِقَادَ بِأَنَّ سَنَةَ وَفَاتِهِ كَانَتْ بَيْنَ ٦٤٣ وَ ٦٤٦ هـ.

١ - انظر: ابن سهل ديوانه ص ٣٥-٣٦ [المقدمة].

٢ - انظر: ابن الأبار المقتضب من تحفة القادِم ص ٢٤٣؛ ابن سعيد المغرب ٢٦٩/١ - ٢٧٠.

٣ - انظر: المقرئ نفح الطيب ٧٣/٥.

٤ - انظر: ابن الأبار المقتضب من تحفة القادِم ص ٢٤٣؛

٥ - انظر: ابن عِدَارِي المَرَاكِشِي الْبَيَانُ الْمَغْرِب - قسم المُوَحِّدِينَ - ص ٣٧٨.

٦ - انظر: الكُتُبِي قَوَاتِ الْوَفَيَّاتِ ٦٧/١.

٧ - انظر: ابن خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٣٩٥/٦، ٢٤٦/٧.

٨ - انظر: المقرئ نفح الطيب ٧٣/٥.

٩ - انظر: مُحَمَّدُ الْإِفْرَانِي الْمَسَلِّكَ السَّهْلِ فِي شَرْحِ تَوْشِيحِ ابْنِ سَهْلٍ ص ٧١.

١٠ - انظر: ابن عماد الْخَبْرِيُّ شَدَرَاتِ الذَّهَبِ ٢٤٤/٣، ٢٩٧.

١١ - انظر: ابن خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٢٤٦/٧.

٥- أَهْمُ سِمَاتِ شِعْرِهِ :

تَرَكَ ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانًا كَبِيرًا وَصَفَهُ الْمُقَرِّي بِأَنَّهُ حَازَ بِهِ قَصَبَ السَّبْقِ بِالنَّظْمِ وَالتَّوْشِيحِ^(١)، وَعُرِفَ بِالِارْتِجَالِ وَبِسُرْعَةِ الْقَوْلِ. وَنَظَّمَ شِعْرَهُ فِي الْمَدْحِ وَالْعَزْلِ وَالرِّثَاءِ وَوَصَفِ الطَّبِيعَةِ وَالْمُرَاسَلَاتِ الْإِخْوَانِيَّةِ. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُجَسِّدِ الْمَآسِي الْاجْتِمَاعِيَّةَ الَّتِي كَانَ يُعَانِيهَا وَطَنُهُ، فَظَلَّ بَعِيدًا عَنْهَا فِي شِعْرِهِ؛ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ بُكَاءٌ عَلَى قُرْطَبَةٍ وَلَا رِثَاءٌ لِمَسْقُطِ رَأْسِهِ إِشْبِيلِيَّةً، وَلَا تَفَجُّعٌ عَمِيقٌ عَلَى الْمَصِيرِ الَّذِي كَانَ يُوَاجِهُ الْمُدِينَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ، وَمَرَدُّ هَذَا بِرَأْيِ إِحْسَانَ عَبَّاسٍ انْتِمَاؤُهُ إِلَى فِتَّةِ الْأَقْلِيَّاتِ^(٢). وَكَانَ أَكْثَرَ شِعْرِهِ فِي غَرَضَيْنِ هُمَا الْمَدْحُ وَالْعَزْلُ.

وَبِالنَّسَبَةِ إِلَى مَدْحِهِ فَقَدْ تَعَدَّدَتْ أَسْمَاءُ الْمَمْدُوحِينَ فِي دِيْوَانِهِ؛ فَمَدَحَ ابْنَ عَمِيرَةَ^(٣) بِقَصِيدَتَيْنِ حِينَ وَصَلَ إِشْبِيلِيَّةَ عَامَ ٦٤١ هـ. وَفِي إِشْبِيلِيَّةَ مَدَحَ أَبَا عَمْرٍو يَحْيَى بْنَ الْجَدِّ (ت: ٦٤٤ هـ)^(٤) بِأَرْبَعِ قَصَائِدَ وَمُوشِحٍ، وَمِنْ الْمُتَوَقَّعِ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَيَّامَ حُكْمِهِ (٦٣٥-٦٤٥ هـ)، وَفِي دِيْوَانِهِ قَصِيدَةٌ يَمْدَحُ بِهَا أَبَا فَارِسٍ الْفَتْحَ بْنَ فَارِسِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ^(٥) وَالِي إِشْبِيلِيَّةَ ٦٤٣ هـ بَعْدَ أَنْ خَلَعَتْ إِشْبِيلِيَّةَ وَسِبْئَةَ طَاعَةَ الْمُوَحِّدِينَ عَامَ ٦٤٠ هـ وَتَحَوَّلَتْ إِلَى مُبَايَعَةِ أَبِي زَكَرِيَّا الْحَفْصِيِّ صَاحِبِ تُونُسَ، وَيَتَوَقَّعُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ أَنَّ ابْنَ سَهْلٍ لَمْ يَكْمَلْ عَامَ ٦٤١ هـ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، بَلْ ارْتَحَلَ إِلَى مَنُورِقَةَ نَازِلًا كَمَا يَبْدُو أَنْ يَهَاجِرَ إِلَى تُونُسَ، فَظَهَرَ اسْمُهُ فِي بِلَاطِ الْأَمِيرِ أَبِي عُثْمَانَ سَعِيدِ بْنِ الْحَكَمِ (ت: ٦٨٠ هـ) أَمِيرِ مَنُورِقَةَ، وَفِي دِيْوَانِهِ ثَلَاثُ قَصَائِدَ وَمُوشِحَةٌ فِي مَدْحِهِ^(٦). وَيُعَادِرُ مَنُورِقَةَ إِلَى سِبْئَةَ عَامَ ٦٤٢ هـ عِنْدَ وَالِيهَا أَبِي الْعَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ خَلَّاصٍ (ت: ٦٤٦ هـ)^(٧). وَيَرَى إِحْسَانُ عَبَّاسٍ أَنَّ أَيَّامَهُ فِي سِبْئَةَ الَّتِي امْتَدَّتْ حَتَّى عَامَ ٦٤٥ هـ كَانَتْ مِنْ أَخْصَبِ الْفَتَرَاتِ فِي حَيَاةِ ابْنِ سَهْلٍ، وَفِيهَا نَظَّمَ إِحْدَى عَشْرَةَ قَصِيدَةً مِمَّا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِهِ، مِنْهَا ثَمَانِي

١ - الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّبِيبِ ٧٠/٥ .

٢ - انْظُرْ: ابْنُ سَهْلٍ دِيْوَانُهُ ص ٤٤ [الْمُقَدِّمَةُ] .

٣ - هُوَ : أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَمِيرَةَ ، أَمِيرُ عَرَبِ الْمَعْقِلِ ، وَصَلَ إِشْبِيلِيَّةَ ٦٤١ هـ . انْظُرْ: ابْنُ سَهْلٍ دِيْوَانُهُ ص ١٤٠ .

٤ - هُوَ : أَبُو عَمْرٍو يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْجَدِّ، نَارَ وَتَمَلَّكَ السُّلْطَانَةُ فِي إِشْبِيلِيَّةَ بَعْدَ مَقْتَلِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ هُوْدٍ سَنَةَ ٦٣٥ هـ، وَحِينَ دَخَلَ إِشْبِيلِيَّةَ فِي الْعَهْدِ الْحَفْصِيِّ سَنَةَ ٦٤٣ هـ قَامَتْ فِيهَا فِتْنَةٌ قَتَلَ فِيهَا ابْنَ الْجَدِّ عَامَ ٦٤٤ هـ وَقَدْ كَانَ مُصَافِيًا لِأَلْفُونَسُ .

انْظُرْ: ابْنُ خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٢١٩/٤، ٣٤٤/٦، ٣٩٣ .

٥ - هُوَ: أَبُو فَارِسِ الْفَتْحِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَبِي حَفْصٍ، أَرْسَلَهُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكَرِيَّا الْحَفْصِيُّ وَالِيًا إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ ٦٤٤ هـ، كَرِهَهُ الْإِشْبِيلِيُّونَ وَأَخْرَجُوهُ وَجَمَاعَتُهُ مِنْ مَدِينَتِهِمْ . انْظُرْ: ابْنُ خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٣٩٣/٦ - ٣٩٤ .

٦ - انْظُرْ: مَجْهُولُ أَلْبَابِ الْأَلْبَابِ مِنْ نَظْمِ الشُّعْرَاءِ وَتَبَرُّ الْكُتَّابِ ص ١٥٢-١٦٣ .

٧ - هُوَ: أَبُو الْعَلِيِّ الْحَسَنُ بْنُ خَلَّاصِ الْبَلَنْسِيِّ، وَلِيَ سِبْئَةَ عَامَ ٦٣٧ هـ وَبَايَعَ أَبَا زَكَرِيَّا الْحَفْصِيَّ سَنَةَ ٦٤١ هـ، تُوفِّيَ عَرِيقًا مَعَ ابْنِ سَهْلٍ . انْظُرْ: ابْنُ الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ ١٥١/٢؛ ابْنُ خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٣٤٥/٦ - ٣٤٧، ٣٩٥، ٢٤٦/٧؛ ابْنُ سَعِيدٍ اخْتِصَارُ الْقَدَحِ الْمُعْلَى ص ٩٨ .

قَصَائِدَ فِي مَذْحِ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ خَلَّاصٍ. وَظَهَرَ اسْمُ ابْنِ الرُّمَيْمِيِّ^(١) الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ عِنْدَ ابْنِ هُودٍ فِي الْمَرْيَةِ، وَاسْمُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْيَنَاشْتِيِّ^(٢) (ت بعد: ٦٣٥ هـ)، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ فِي الْقَصَائِدِ وَلَا فِي الْمَصَادِرِ إِنْ كَانَ عَمِلَ لَدَيْهِمَا أَوْ التَّقَاهُمَا أَوْ أَنَّهُ اكْتَفَى بِإِرْسَالِ الْقَصَائِدِ لَهُ. وَيَرَى إِحْسَانُ عَبَّاسُ أَنَّ "الْقَصِيدَةَ الْمَذْحِيَّةَ لَدَيْهِ بَاهِتَةٌ ضَعِيفَةٌ الْحَرَارَةُ حَتَّى كَأَنَّهُ يُكَلِّفُهَا تَكْلِيفًا"^(٣)، فَكَانَ مَذْحُهُ تَقْلِيدِيًّا فِي مَعَانِيهِ مُتَأَثِّرًا بِتَقَافَةِ عَرَبِيَّةٍ وَاضِحَةٍ عَلَى رَأْسِهَا الْقُرْآنُ، فَقَالَ^(٤): [تكملة]

وَكَانَ بِابْنِكَ كُغْبَةً يَمْحُو بِهَا زَلَاتِهِ مَنْ قَدْ أَتَاهَا مُذْنِبًا

وَبَدَا تَأَثَّرُ ابْنُ سَهْلٍ بِالْمَوْرُوثَاتِ الْقَدِيمَةِ فِي مَذْحِهِ التَّالِي^(٥): [تكملة]
وَالدَّهْرُ أَجْمَعُ فِي زَمَانِكَ عَيْدُ
وَالْأَرْضُ حَيْثُ خَلَّتْ قَدْسُ كُلِّهَا

فَطَهَارَةُ الْأَرْضِ وَقُدْسِيَّتُهَا حَيْثُ حَلَّ، وَتَحَوُّلُ الْأَيَّامِ عَيْدًا مِنَ الْمَعَانِي الْمَكْرُورَةِ فِي الشُّعْرِ.
أَمَّا بِالنَّسَبِ إِلَى الْعَزْلِ عِنْدَ ابْنِ سَهْلٍ فَقَدْ اقْتَصَرَ عَزْلُهُ عَلَى قَتَى يُدْعَى مُوسَى، وَذَكَرَ اسْمَهُ "مُوسَى" ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً فِي قَصَائِدِهِ، وَأَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْمَوْشَحَاتِ. وَطَعَتِ التَّشْكِيلَاتُ الْبَيَانِيَّةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهِ الْعَزَلِيَّةِ فَقَاضَتْ أَشْعَارُهُ بِفَوَائِدَ كَثِيرَةٍ مِنْ تَفَاصِيلِ قِصَّةِ مُوسَى، فَكَانَ مِنْهَا مَرَاضِعُهُ وَعَصَاهُ وَالسَّحَرَةُ وَالنَّعَابِينَ وَشَقُّ الْبَحْرِ وَفِرْعَوْنُ وَهَارُونُ وَبَنَاتُ شُعَيْبٍ وَالْقَبَسُ وَالطُّورُ وَغَيْرُهَا. وَاسْتَحْسَنَ الْمَقْرِيُّ لِابْنِ سَهْلٍ فِي مُوسَى قَوْلَهُ^(٦): [تطوير]

تَأْمَلْ لَطَى شَوْقِي وَمُوسَى يَتَشَبَّهُ
تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

وَأَبْطَلَ ابْنُ سَهْلٍ سِحْرَ السَّحَرَةِ أَمَامَ وَجْهِ مُوسَى بِقَوْلِهِ^(٧): [تطوير]
إِذَا فِتْنَةُ الْعُدَالِ جَاءَتْ بِسِحْرِهَا
فَفِي وَجْهِ مُوسَى آيَةٌ تُبْطِلُ السَّحْرَا

وَأَحْيَانًا جَاءَ عَزْلُ ابْنِ سَهْلٍ بِمُوسَاهُ عَادِيًّا غُذْرِيًّا بِدَوِيًّا كَقَوْلِهِ^(٨): [تطوير]
كَسَانِي مُوسَى مِنْ سِقَامِ جُفُونِهِ
رِدَاءٌ وَسَقَانِي مِنَ الْحَبِّ أَكُوسَا

١ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَوْ أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ ابْنُ الرُّمَيْمِيِّ، نَسَبَهُ إِلَى رُمَيْمَةَ مِنْ أَعْمَالِ قُرْطُبَةَ، وَلِيَ عَلَى الْمَرْيَةِ، وَدَخَلَ فِي طَاعَةِ ابْنِ هُودٍ وَرَفَضَ مُوَالَاةَ الْمُوحِدِينَ، وَحِينَ هَلَكَ ابْنُ هُودٍ بِالْمَرْيَةِ سَنَةَ ٦٣٥ هـ، اسْتَبَدَّ بِهَا، وَحِينَ هَاجَمَ الرُّومُ الْمَرْيَةَ قَرَّ إِلَى فَاسٍ. انْظُرْ: عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَكَشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٢١٠؛ ابْنُ سَعِيدِ الْمُغْرِبِ ١٩٨/٢؛ ابْنُ خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٦/٤، ٣٩٥/٢١٩؛ الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّبِيبِ ٧٩/٥ - ٨٠.

٢ - هُوَ: أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْيَنَاشْتِيِّ أَوْ الْيَنَشْتِيِّ تَسْمَى بِالْمَوْفِقِيِّ، أَحَدُ وَلَدِ بَنِي هُودٍ تَمَلَّكَ سِبْنَةَ (٦٣٠ - ٦٣٥ هـ). انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدِ الْمُغْرِبِ ٣٦٤/٢؛ ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٢٣٨/١؛ ابْنُ خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٤/٢١٧، ٣٩٤/٦؛ الْحَمِيرِيُّ الرُّفُضُ الْمِغْطَارُ ص ١٠٣، ٦٢٢؛ الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّبِيبِ ٣٠/٣، ٢٧٦/٤.

٣ - ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ٤٣ [الْمُقَدِّمَةُ].

٤ - نَفْسُهُ ص ٦٩.

٥ - نَفْسُهُ ص ٤٣ [الْمُقَدِّمَةُ].

٦ - ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ٩٩؛ الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّبِيبِ ٦٩/٥.

٧ - ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ١٥٩.

٨ - ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ٢٦١؛ الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّبِيبِ ٧٣/٥.

وَبَدَا تَأْتِرُهُ الْكَبِيرُ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالْمَوْرُوثِ الدِّينِيِّ، مِنْهُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ إِنْطَالُ مُوسَى السَّحَرِ، وَحُسْنُ
يُوسُفَ، وَالسَّامِرِيِّ، وَأَمَّا مُوسَى مِنَ الْعَرَقِ فِي ثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ قَالَ فِيهَا ^(١): [سريع]

أَبْطَلَ مُوسَى السَّحَرِ فِيمَا مَضَى وَجَاءَ مُوسَى الْيَوْمَ بِالسَّحَرِ
يَا يُوسُفَ الْحُسْنِ وَيَا سَامِرِيَّ يِ الْهَجْرِ أَشْفِقْ لِلْهَوَى الْعُذْرِي
أَنْتَ عَلَى التَّحْقِيقِ مُوسَى فَقَدْ أَمِنْتَ أَنْ تَغْرَقَ فِي الْبَحْرِ

وَتَكَرَّرَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى السَّامِرِيِّ عِنْدَ ابْنِ سَهْلٍ مِنْهَا فِي مُوَشَّحٍ سَابِقٍ يُعَاتَبُ فِيهِ ^(٢) دُونَ تَفْصِيلٍ، وَفِي آخَرٍ
يُخَاطَبُ مَنْ يُسَمَّى أَبَا طَاهِرٍ بِقَوْلِهِ ^(٣):

هُوَ أَبَا الطَّاهِرِ قَدْ صَحَّ نَصًّا وَقِيَّاسًا
أَفْدِيهِ مِنْ سَامِرِي خِطَابُهُ بِلَا مِثَاسٍ

وَلِكَثْرَةِ اخْتِارِ ابْنِ سَهْلٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَا أَرَى السَّامِرِيَّ تَأْتِرًا بِالْيَهُودِ وَإِنْ أَتَى بِكَثْرَةِ عِنْدَهُ .
وَكَانَتِ الرَّقَّةُ سِمَةً بَارِزَةً فِي شِعْرِهِ . وَبِجَانِبِ الرَّقَّةِ كَانَ الْإِكْتَارُ مِنَ الْمُحَسَّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ سِمَةً عَامَّةً
فِي شِعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ^(٤): [لطويل]

تَنَازَ عَنِي الْأَمَالُ كَهَلًا وَيَافِعًا وَيُسْعِدُنِي التَّغْلِيلُ لَوْ كَانَ
وَمَا اعْتَنَقَ الْعُلَيَّا سِوَى مُفَرِّدٍ سَرَى لِهَوْلِ الْفَلَا وَالشُّوقِ وَالسُّوقِ رَابِعًا

وَلِكَثْرَةِ اقْتِحَامِهِ الْمُحَسَّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ عِنْدَهُ مِقْدَادُ رَحِيمٍ رَائِدًا لِلْبَدِيعِيَّاتِ ^(٥) فِي الْأَنْدَلُسِ ^(٦). وَقَالَ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ
إِنَّهُ أَكْثَرَ مِنْ فُنُونِ التَّفَنُّنِ الشَّائِعَةِ كَالْأَلْعَازِ أَوْ النَّظْمِ بِقَوَافٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَتَكَرَّرِ الْمَعَانِي الْمَاسُوشِيَّةِ ^(٧) الَّتِي تَلَدُّ
بِالْأَسَى ^(٨)، فَقَالَ مُلْغِزًا عَنْ فَوَاتِحِ سُورِ الْقُرْآنِ ^(٩) بِقَوْلِهِ ^(١٠): [لطويل]

لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُوَاصِلِي فَأَسْقِيْتَنِي بِالْبُعْدِ فَاتِحَةَ الرَّعْدِ
فَبِاللَّهِ بَرْدٌ مَا بَقَلْبِي مِنَ الْجَوَى بِفَاتِحَةِ الْأَعْرَافِ مِنْ رَيْقِكَ الشَّهْدِ

١ - ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ١٥٠ - ١٥٠ .

٢ - نَفْسُهُ ص ٣٣٠ ، وَانْظُرْ فِي الْبَحْثِ : ص ١٧٩ .

٣ - نَفْسُهُ ص ٣٢٧ .

٤ - ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ٢٣٢ .

٥ - الْبَدِيعِيَّةُ: قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ - وَكَادِرًا غَيْرُهُ - يَتَضَمَّنُ كُلُّ بَيْتٍ مِنْ أَبْيَاتِهَا نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ، أَغْلِبُهَا مِيمِيَّةٌ عَلَى بَحْرِ الْبَسِيطِ.
انْظُرْ: ابْنُ جَبَّةَ الْحَمَوِيُّ خَزَائِنُ الْأَدَبِ ١/١٧؛ مُحَمَّدُ التَّوْنُجِيُّ الْمُفْجَمُ الْمُفَصَّلُ فِي الْأَدَبِ ١/١٧٦ - ١٧٧ .

٦ - انْظُرْ: مِقْدَادُ رَحِيمٍ اتِّجَاهَاتُ نَفْدِ الشُّعْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٢٢٩ .

٧ - الْمَاسُوشِيَّةُ Masochism: وَهَذِهِ التَّرْعَةُ تُعَدُّ عَكْسَ السَّادِيَّةِ لِأَنَّ الشَّخْصَ الْمَاسُوشِيَّ يَشْعُرُ بِاللَّذَّةِ عَنْ طَرِيقِ إِحْسَاسِهِ بِالْأَلَمِ وَالْأَذَى الصَّادِرِ مِنْ
شَخْصٍ آخَرَ . انْظُرْ: مَوْقِعُ حُلُولِ: <http://www.holol.net/files/disturbances/index.htm>

٨ - ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ٥٠ [الْمُقَدِّمَةُ] .

٩ - يَقْصِدُ أَنَّهُ أَسْقَاهُ الْمَرْءَ وَحُرُوفَهَا فَوَاتِحَ سُورَةِ الرَّعْدِ ، مَعَ أَنَّهُ يَتَمَنَّى مِنْهُ الْمَرْءَ وَحُرُوفَهَا فَوَاتِحَ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

١٠ - الْمُقَرِّي تَفْخُحُ الطَّيِّبِ ٥/٧٠ .

كَمَا أَكْثَرَ ابْنُ سَهْلٍ مِنَ التَّوْجِيهِ^(١) بِاصْطِلَاحِ النَّحَاةِ فِي عَزْلِهِ فَقَالَ^(٢): [لطويل]
 أُمُوسَى أَيَا بَعْضِي وَكُلِّي حَقِيقَةً
 حَقَّقْتَ مَكَانِي إِذْ جَزَمْتَ وَسَائِلِي
 فَكَيْفَ جَمَعْتَ الْجَزْمَ عِنْدِي وَالْحَقُّضَا

وَلَهُ كَذَلِكَ فِي التَّوْجِيهِ^(٣): [تكامل]
 تَنَأَى وَتَذَنُو وَالتَّفَانُكُ وَاجِدٌ
 كَالْفِعْلِ يَعْمَلُ ظَاهِرًا وَمُقَدَّرًا

وَاشْتَهَرَ ابْنُ سَهْلٍ بِالتَّوْشِيحِ؛ فَبِإِيَّانِهِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مُوشَّحًا، قَالَ الْمُقَرِّيُّ إِنَّ مِنْ مَخَاسِنِهَا
 "هَلْ دَرَى ظَنِّي الْجَمِي" ^(٤). وَيَرَى إِحْسَانُ عَبَّاسٍ أَنَّ مُوشَّحَاتِهِ بَرَاعَةٌ فِي التَّقْنِ الْقَائِمِ عَلَى تَنْوِيعِ النَّعْمَاتِ
 الْمُتَبَاعِدَةِ وَالتَّخْلُصِ بِقُدْرَةٍ فَائِقَةٍ بَيْنَ مَزَاحِمَةِ التَّقْسِيمَاتِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنْ جُرْأَةٍ عَلَى الْبِنَاءِ الْمُرَكَّبِ، هَذَا إِلَى
 خُرْجَاتِ هَزَازَةٍ سَحَّارَةٍ بِاللَّهْجَةِ الْعَامِيَّةِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الصَّنْعَةِ الدَّقِيقَةِ وَالسُّهُولَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ فِي مُوشَّحَاتِهِ يَجْعَلُهُ
 فِي فَنِّ الْمُوشَّحِ غَيْرَ مُتَخَلِّفٍ عَنْ أَعْلَامِهِ الْكِبَارِ^(٥).
 وَكَانَ ابْنُ سَهْلٍ فِي شِعْرِهِ مُتَأَثِّرًا وَمُؤَثِّرًا؛ فَتَأَثَّرَ بِشُعْرَاءِ الْعَرَبِ وَقَلَدَهُمْ، بَلْ عَارَضَ أَشْعَارَهُمْ،
 فَعَارَضَ ابْنَ الْجَنَانِ فِي تَخْمِيصِهِ فِي الْمَدْحِ النَّبَوِيِّ كَمَا سَيَأْتِي لَاحِقًا^(٦). وَعَارَضَ أَشْعَارَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ
 مَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ، فَمَا شَقُّوا لَهُ غُبَارًا كَمَا يَرَى الْمُقَرِّيُّ^(٧). فَأَخَذَ أَحْمَدُ الْحَمِيرِيُّ الْوَرَعِيَّ^(٨) أَبْيَاتَهُ الَّتِي مِنْهَا
 "شَرِيعَةُ مُوسَى عَطَّلَتْ بِمُحَمَّدٍ"^(٩) وَعَارَضَهَا حِينَ عَشِقَ غُلَامًا اسْمُهُ عَيْسَى فَقَرَأَ

١ - التَّوْجِيهِ: أَنْ يَحْتَمِلَ الْكَلَامُ وَجْهَيْنِ مِنَ الْمَعْنَى اخْتِمَالًا مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ .

انظر: مُحَمَّدُ الْمِنَاوِيُّ التَّغَارِيفُ ٢١٣/١؛ ابن حَجَّةَ الْحَمَوِيُّ خَزَائِنُ الْأَدَبِ ٣٠٢/١ .

٢ - الْمُقَرِّيُّ تَفْجِ الطَّيِّبِ ٧١/٥ .

٣ - نَفْسُهُ ٧٠/٥ .

٤ - انظر: نَفْسُهُ ٢٣٧/٩ .

٥ - ابن سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ٥٠ - ٥١ [المقدمة] .

٦ - انظر: الْمُقَرِّيُّ تَفْجِ الطَّيِّبِ ٢٨٨/١٠ - ٢٩٠ .

٧ - نَفْسُهُ ٧٣/٥ .

٨ - هُوَ: أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحَمِيرِيُّ الْوَرَعِيُّ، يُنسَبُ إِلَى وَرْعَةٍ مِنْ قُرَى قُرْطُبَةٍ، كَانَ خَطِيبَ جَامِعِ قُرْطُبَةٍ فِي الْمِائَةِ السَّابِعَةِ، جَلَسَ فِي
 الْمَسْجِدِ لِإِقْرَاءِ النُّحُوِّ وَفَنُونِ الْأَدَبِ الْمَشْهُورِ بِالظَّرْفِ وَاللِّطَافَةِ، وَأَكْثَرَ مِنَ التَّغَزُّلِ بِالْغُلَّامَانِ وَالْجَوَارِي فِي شِعْرِهِ .

انظر: ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١٤١/١، ٢٢٠، الدَّهْبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢٧/٢٢ .

٩ - ابن سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ١١٦؛ ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢٢٠/١؛ الرَّاعِي الْمُفْتَعُ السَّهْلُ فِي تَرْجُمَةِ وَشِعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، حَوْلِيَّاتِ الْجَامِعَةِ
 التُّوسِيَّةِ، ع ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٥٠؛ الْمُقَرِّيُّ تَفْجِ الطَّيِّبِ ٧٠/٥ .

عَلَيْهِ غُلَامٌ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فَمَالَ إِلَيْهِ، فَقَالَ ^(١): [لطويك]
تَبَدَّلْتُ مِنْ عِيسَى بِحُبِّ مُحَمَّدٍ
وَمَا عَنْ مَلَالٍ كَانَ ذَاكَ وَإِنَّمَا
وَعَارِضَ ابْنِ زَمْرَكٍ ^(٢) مُوشَّحَةَ ابْنِ سَهْلٍ الَّتِي أَوْلَاهَا ^(٣):
لَيْلُ الْهَوَى يَقْطُرُ
وَالصَّبْرُ لِي خَوَّانٌ
وَالْحُبُّ تَرْبُ السَّهْرِ
وَالنُّومُ عَنْ عَيْنِي بَرِي

٦- دِرَاسَةُ مِثَالٍ عَلَى شِعْرِهِ "تَخْمِيسُهُ فِي مَذْحِ النَّبِيِّ ﷺ":

اخْتَرْتُ تَخْمِيسًا فِي الْمَذْحِ النَّبَوِيِّ لَابْنِ سَهْلٍ الْإِسْرَائِيلِيِّ ^(٤) لِلْبَحْثِ عَنْ أَثَرِ الْيَهُودِ فِي شِعْرِ
الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَسَبَبِ الْاِخْتِيَارِ أَنَّ الْقَصِيدَةَ قِيلَتْ فِي بَدَايَةِ إِسْلَامِهِ، وَلَقَرَّبَ دُخُولِ قَائِلِهَا بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ أَثَرَ الْيَهُودِ
عَلَيْهِ- إِنْ كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ- سَيَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ عَلَى غَيْرِهِ، فَقَدْ تَرَعَّرَ وَسَطُ بَيْتَةٍ يَهُودِيَّةٍ فَتَأَثَّرَ بِهَا وَانْتَرَتْ عَلَيْهِ، فَإِنْ
كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ عَلَى الشُّعْرَاءِ الْعَرَبِ وَشِعْرِهِمْ فَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّأَثُّرُ مُتَمَثِّلًا وَوَاضِحًا فِيمَنْ عَاشَ
بَيْنَهُمْ وَكَانَ مِنْهُمْ إِلَى فَنَرَةٍ قَرِيبَةٍ. فَهِيَ مِثَالٌ وَاضِحٌ عَلَى أَثَرِ الْيَهُودِ فِي الشُّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ، كَمَا أَنَّهَا شَاهِدٌ عَلَى
شِعْرِ الْيَهُودِ الَّذِي نُظِمَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلَآئِذَا مِنْ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ اتَّوَقَّعُ أَنَّهَا وَصَلَتْ إِلَيْنَا شِبْهَ تَامَّةٍ، وَالْوَحْدَةُ
وَالْتَسْلُسُ فِي الْأَفْكَارِ فِيهَا دَلِيلَانِ عَلَى ذَلِكَ، حَيْثُ بَدَأَتْ بِالْحَدِيثِ عَنْ مَكَانَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَوْلِدِهِ ثُمَّ صِفَاتِهِ
وَمُعْجَزَاتِهِ وَأَهْمُهَا الْإِسْرَاءُ لِيَصِلَ فِي الْأَخِيرِ إِلَى شَوْقِ الشَّاعِرِ لِلثَّمِ مَثَوَاهُ الطَّاهِرِ. وَبِالإِضَافَةِ إِلَى هَذَا فَهِيَ
مِنْ حَيْثُ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ مِنْ أَطْوَلِ قَصَائِدِ جَمَاعَةِ الْيَهُودِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ.
وَيَقُودُ هَذَا الْمَدِيحُ النَّبَوِيُّ إِلَى مُمَاحِظَاتٍ عَدِيدَةٍ بِالنَّسْبَةِ لِأَثَرِ الْيَهُودِ فِي الشُّعْرِ؛ أَوَّلُهَا الْخَطُّ مِنْ تَقْدِيمِ
صَاحِبِ "النَّفْحِ" لِلْقَصِيدَةِ حِينَ قَالَ "إِنَّهَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ سَهْلٍ لَمَّا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ" ^(٥)، فَإِنْ كَانَ ابْنُ سَهْلٍ قَدْ
قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي بَدَايَةِ إِسْلَامِهِ كَمَا يُشِيرُ "النَّفْحُ" فَهَذَا يَدُلُّ بِوُضُوحٍ عَلَى

١ - ابن سَعِيدٍ الْمُغَرَّبِ ١/١٤١؛ الصَّفْدِيُّ الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٨/١٩٠. وَنَسَبَهَا ابْنُ الْأَبَّارِ فِي تَحْفَةِ الْقَادِمِ إِلَى السَّالِمِيِّ، وَهُوَ: أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ
الرَّحْمَنِ السَّالِمِيُّ مِنْ أَهْلِ أَسْتَجَةٍ. وَقَالَ: إِنَّ أَحَدَهُمْ لَقِيَ السَّالِمِيَّ بِفَرْطَبَةٍ فَأَنشَدَهُ لِنَفْسِهِ وَقَدْ صَحِبَ فَتَى اسْمُهُ عِيسَى، ثُمَّ تَرَكَ صَدَاقَتَهُ وَانْتَقَلَ إِلَى
صَدَاقَةِ آخَرٍ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ. انْظُرْ: ابْنُ الْأَبَّارِ الْمُفْتَضِّلُ مِنَ تَحْفَةِ الْقَادِمِ ص ٨٠؛ الصَّفْدِيُّ الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٨/١٩٠.

٢ - انْظُرْ: الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ١٠/١٠٢-١٠٤.

٣ - ابْنُ سَهْلٍ دِيوَانُهُ ص ٢٩٦؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٥/٧٣.

٤ - انْظُرْ: الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ١٠/٢٨٨؛ انْظُرْ مَلَا حَقَّ الْبَحْثِ.

٥ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

وجود شعر كثير وجيد له بالعربية قبل أن يسلم، وهذا يدل على أن ابن سهل تفقحت شاعريته، وانطلق لسانه بإنشاد الشعر وتمكّن فيه قبل أن يسلم؛ فلا يمكن بأي حال من الأحوال القول بأن إبداعه الشعري ظهر فجأة وحين أعلن إسلامه فقط وأنه لم يكن يفهم شيئاً في الشعر ولم يقل الشعر من قبل. وإن كانت هذه القصيدة من أوائل ما قيل بعد إسلامه، فإن القدرة الشعرية والتميز الواضح فيها يدلان على أنه قد نظم الكثير قبل أن يسلم، ولا بد أن يكون ابن سهل قد قام بمحاولات كثيرة قبلها وهو يهودي، وهذا مؤشر واضح على وجود شعر منظم بالعربية لليهود لم يسلموا اختفى كما اختفى شعر ابن سهل الذي نظمته قبل إسلامه. وهذا يقود إلى الدائرة الأولى التي بدأت بها بحثي وهي اعتقادي أن لهم شعراً كثيراً لم يصل إلينا إلى الآن، لا بد أن يكون فيه كثير من الجيد، لكنه اختفى لأن اليهود هم من نظموه. فأرى أن شعر ابن سهل ظهر وانتشر، فأخرجته إسلامه من عزلة ظل بها غيره من اليهود، وأتوقع أنه لو بقي على يهوديته لم يكن شيء كبير من شعره يصل إلينا مهما كان جيّداً، وبالأخص أنه انتقل بين البلاطات السياسية.

وأسجل ملاحظات حول الأسلوب والشاعرية في القصيدة، فأرى في القصيدة مقدرّة على قول الشعر الجيد تبادت عند ابن سهل وميزته عن غيره من الشعراء في الأندلس ورفعت قدره. إلا أن ابن سهل كان تقليدياً، ولم يخرج عما تعودنا رؤيته في المدائح النبوية، فبدأ متأثراً بما قيل في هذا الموضوع وليس مؤثراً فيه. وقد يكون هذا إشارة إلى أن اليهود في مجال الشعر كانوا متأثرين بما لدى العرب وليس العكس. والبحث في خصوصيات القصيدة سيؤكد هذا الكلام أكثر.

وأول ما تبادى به المدائح النبوية عادة هو الحديث عن علاقة النبي ﷺ بالرسول والرسالات السابقة؛ فهذه جاء متمماً لهذه من قبله في مطلع القصيدة عند ابن سهل حين قال^(١): [لكل]

جَعَلَ الْمُهِيمُ حُبَّ أَحْمَدَ شَيْمَةً وَأَتَى بِهِ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيمَةً

فَعَدَا هَوَاهُ عَلَى الْقُلُوبِ تَمِيمَةً وَعَدَا هُدَاهُ لَهُذِهِمْ تَنَمِيمَةً

ورغم كثرة الجنس البادي في البيت الثاني في "هواه وهده، تميمة وتنميما" إلا أن هذا ساعد في إيجاد إيقاع موسيقي داخلي بدا واضحاً بانسجام هذه الكلمات المختارة بعناية وانسحب على معظم الأبيات. كما أن تكرار كلمة "عدا" في البيت نفسه زاد المحسنات البديعية في البيت فأظهر شيئاً من التكلف. ولم يكن الاكثار من المحسنات البديعية غريباً عن العصر الذي قيلت فيه؛ فقد عرفت المدائح النبوية فيها سواء في الأندلس والمشرق العربي. فكان مقلداً مسبوقاً متأثراً.

ولأن النبي ﷺ متمم لهذه من قبله تحدثت الكهان عن ظهوره بقول ابن سهل^(٢): [لكل]
أَبْدَى جَبِينُ أَبِيهِ شَاهِدُ نوره سَجَعَتْ بِهِ الْكُهَّانُ قَبْلَ ظُهُورِهِ

١ - المقرئ تفتح الطيب ١٠ / ٢٨٨ .

٢ - نفسه والصفحة نفسها .

وَمِنْ الْمُلَاحَظِ أَنَّ قَوْلَهُ "سَجَعْتُ بِهِ الْكُهَّانَ" فِيهِ مِنَ الدَّقَّةِ فِي التَّعْبِيرِ مَا يَدُلُّ عَلَى حَذَرٍ وَاضِحٍ فِي اخْتِيَارِ مَا يَقُولُ؛ فَمَعَ أَنَّ الْكَلَامَ عَنِ النَّبِيِّ بِقُدُومِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَعَ أَنَّ الَّذِي قَامَ بِالنَّبِّيشِيرِ هُوَ الْكُهَّانُ وَهُمْ رِجَالُ الدِّينِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، إِلَّا أَنَّ الْعَلَاقَةَ الْخَاصَّةَ لَهُ مَعَ الْكُهَّانِ لِكُونِهِ وَاحِدًا مِنْهُمْ جَعَلَتْهُ يَقُومُ بِهِذَا الْاخْتِيَارِ الدَّقِيقَ لِكَلِمَاتِهِ حِينَ رَأَى أَنَّ تَبَشِيرَهُمْ بِقُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَرَّدُ كَلَامٍ مَسْجُوعٍ دُونَ أَيِّ قُدْسِيَّةٍ، فَرُغِمَ عَنَايَةِ الشَّاعِرِ بِالْفِكْرَةِ وَهِيَ التَّبَشِيرُ إِلَّا أَنَّ قَوْلَ هَؤُلَاءِ الْكُهَّانِ الَّذِي كَانَ ابْنُ سَهْلٍ إِلَى قَتْرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ زُمْرَتِهِمْ مُجَرَّدُ سَجْعٍ لَيْسَ إِلَّا وَلِلرَّسُولِ ﷺ مَعَ السَّجْعِ (١) مَوْقِفُ اسْتِهْجَانٍ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ عَلَى اطِّلاعٍ عَلَيْهِ وَمُتَأَثِّرٌ بِهِ.

وَكَعَادَةِ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ بَعْدَ التَّمْهِيدِ تَحَدَّثَ ابْنُ سَهْلٍ عَنْ مَوْلِدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ (٢): [تكملة]
وَاقَى وَظَهَرَ الْأَرْضَ دَاجٍ مُمَجِلٍ
فَجَلَا الْبَهِيمَ (٣) بِهِ وَأَرَوَى الْهَيْمَ (٤)

فَظَهَرَ الضِّيَاءُ بِمِيلَادِهِ مُنِيرًا لِلْبَشَرِيَّةِ دُرُوبَهَا، وَجَلَا الظَّلَامَ الْمُحِيطَ بِالْبَشَرِيَّةِ. وَكَثُرَ الْقَوْلُ عَنْ نُورِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَكَثُرَ تَشْبِيهُهُ بِالْبَدْرِ، وَكَثُرَ تَشْبِيهُهُ الْأَرْضَ مُظْلِمَةً قَبْلَ سَطُوعِ نُورِهِ. وَبَعْدَ هَذَا مَرَّ ابْنُ سَهْلٍ عَلَى صِفَاتِهِ، وَامْتَلَأَتِ الْمَدَائِحُ النَّبَوِيَّةُ بِالْحَدِيثِ عَنْ صِفَاتِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ ابْنُ سَهْلٍ بِهِذَا حَامِلًا الْجَدِيدَ أَوْ الْغَرِيبَ مِمَّا يُعَدُّ أَثَرًا لِلْيَهُودِ بِأَدْيَا عَلَى شِعْرِهِ، فَكُلُّ مَا جَاءَ بِهِ كَانَ مَطْرُوقًا، لَكِنْ بَرَزَتْ عِنْدَهُ قُدْرَةٌ عَلَى كِتَابَةِ شِعْرِ جَيِّدٍ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ. وَمَعَ أَنَّ الشَّاعِرَ نَشَأَ بَيْنَ الْيَهُودِ إِلَّا أَنَّ الْقَصِيدَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الثَّقَافَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْإِسْلَامِيَّةَ تَمَكَّنَتْ مِنْهُ وَسَيَّطَرَتْ عَلَيْهِ، فَكَانَتْ عَرَبِيَّةً بِأَسْلُوبِهَا وَصُورِهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَمْ يَظْهَرْ أَثَرٌ وَاضِحٌ لِلْيَهُودِ فِيهَا.

وَقَدْ ظَهَرَتْ عِنْدَ ابْنِ سَهْلٍ قُدْرَةٌ عَلَى اسْتِخْدَامِ التَّشْبِيهَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُنَاسِبَةِ، وَجَاءَتْ مُتَنَوِّعَةٌ مُبْتَكِرَةٌ فِي مُعْظَمِهَا؛ فَكَانَتْ صَوْتِيَّةً فِي "سَجْعِ الْكُهَّانِ" وَفِي "تَغْرِيدِ الطَّيْرِ بِصَفِيرِهِ" وَيَكَادُ الْقَارِئُ يَسْمَعُ "خَنِينَ الْجَذَعِ"، أَوْ يَتَخَيَّلُ مُحَاوَرَةً صَوْتِيَّةً سَمَاقِيَّةً فِي قَوْلِهِ "يَا مُحَمَّدُ مَرْحَبًا". وَكَانَتْ لَوْنِيَّةً بَرَّاقَةً فِي "النُّورِ عَلَى جَبِينِ أَبِيهِ" وَمِثْلُهُ فِي "وَجْهِ الْإِصْبَاحِ" الْمَشْرِقِ الْمُنِيرِ، وَبَدَتْ الْأَرْضُ "بِلَيْلِهَا الدَّاجِي الْبَهِيمِ" وَقَدْ جَلَاهَا هَذَا النُّورُ الْقَادِمُ. وَلَمْ تَغِبِ الْحَرَكَةُ عَنِ الْأَبْيَاتِ: فَقَدْ "تَرَنَّنَ الْجَذَعُ" وَ"فَاضَ الْمَاءُ كَالْعَيْنِ الْفَوَّارَةِ" مِنْ كَفِّهِ الْكَرِيمَةِ فِي الْبَيْتِ نَفْسِهِ، وَتَوَالَتْ الْحَرَكَاتُ مَا بَيْنَ سَرِيعَةٍ وَبَطِيئَةٍ فِي الْإِسْرَاءِ فِي "اِحْتِنَاتِ الْبُرَاقِ" وَ"اِقْتِعَادِهِ لِيَنْزِلَ" وَ"جَرَى الزَّمَانُ"، وَ"وُجُومُ الْأَرْضِ"، وَاسْتَمَرَّ التَّعَاكُصُ فِي الْحَرَكَاتِ وَاتَّجَاهَاتِهَا "بِصُعُودِهِ النُّجُودَ وَسَبْرٍ الْأَغْوَارِ". وَخَرَجَتْ الرَّائِحَةُ الْعَطِرَةُ الزَّكِيَّةُ

١ - وَرَدَ هَذَا الْمَوْقِفُ فِي حَدِيثٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ مُلَخَّصُهُ أَنَّ امْرَأَةً ضَرَبَتْ ضَرْبَتَهَا بِعَمُودٍ وَهِيَ حُبْلَى فَفَقَلَتْهَا، فَجَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ الدِّيَةَ الْمَقُولَةَ عَلَى عُصْبَةِ الْقَاتِلَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عُصْبَةِ الْقَاتِلَةِ: أَنْ عُرِمَ دِيَّةٌ مَنْ لَا أَكْلَ وَلَا شَرِبَ وَلَا اسْتَهْلَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: أَسَجْعُ كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ الدِّيَةَ. انظر: صحيح مسلم ١١٠/٤ - ١١١.

٢ - الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّبِيبِ ٢٩٠/١٠.

٣ - الْبَهِيمُ: الْأَسْوَدُ الَّذِي لَا يَخَالِطُهُ لَوْنٌ آخَرُ، وَيَقْصِدُ هُنَا اللَّيْلَ.

٤ - الْهَيْمُ: جَمْعُ أَهْيَمٍ وَهُوَ الشَّدِيدُ الْعَطَشِ.

ابن منظور لسان العرب [بهم] ٥٩/١٢.

ابن منظور لسان العرب [هيم] ٦٢٧/١٢.

"فَاشْتَمَّ رِيحَانَ الْقُلُوبِ الطَّيِّبَا"، وَكَانَتْ "الْأَرَائِجُ تَفْتِقُ" بِلَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، وَ"مِسْكُ اللَّيْلِ يَعْبِقُ" فِيهَا، فَقَاضَتْ الصُّورُ بِصَوْتٍ وَلَوْنٍ وَحَرَكَةٍ وَرَائِحَةٍ وَلَشِدَّةٍ اِغْتَاءِ ابْنِ سَهْلٍ بِصُورِهِ تَدَاخَلَتْ أَبْعَادُ هَذِهِ الصُّورِ فَاجْتَمَعَ بُعْدَانِ وَأَحْيَانًا أَكْثَرُ لِلصُّورَةِ الْوَاحِدَةِ؛ فَجَاءَتْ بِأَبْعَادٍ ثَلَاثَةٍ: صَوْتِيَّةٌ لَوْنِيَّةٌ حَرَكِيَّةٌ فِي صَفِيرِ الطَّيْرِ وَضِيَاءِ الصُّبْحِ مَعَ هُبُوبِ النَّسِيمِ، فِي قَوْلِهِ (١): [لكامل]

كَالطَّيْرِ غَرَّدَ مُغْرَبًا بِصَفِيرِهِ عَنْ وَجْهِهِ إِصْبَاحٍ يُطِلُّ نَسِيمًا

وَاجْتَمَعَ الصَّوْتُ وَالْحَرَكَةُ فِي تَرْنُحِ الْجَذْعِ وَخَنِينِهِ (٢) حِينَ لَمَسَتْهُ الْيَدَانِ الطَّاهِرَتَانِ، تَدْخُلُ مَعَهَا صُورَةٌ رَائِعَةٌ لَانْهَمَارِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ الْكَرِيمَةِ (٣) كَالْعَيْنِ الْفَوَّارَةِ بِقَوْلِهِ (٤): [لكامل]

وَالْجَذْعُ حَنْ هَوَى لَهُ قَتَرْنَا وَالْمَاءُ قَاضٍ بِكَفِّهِ تَسْنِيْمًا

وَكُلُّ هَذِهِ الْعَنَايَةِ بِصُورِهِ أَخَذَهَا عَنْ مِيرَاثِ شِعْرِي كَبِيرٍ تَأَثَّرَ بِهِ، وَلَمْ يَظْهَرْ تَأَثُّرٌ وَاضِحٌ لِلْيَهُودِ فِي قَصِيدَتِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ عَدَدْنَا الْحَدِيثَ عَنِ النُّجُومِ وَالتَّنْجِيمِ حِكْمًا عَلَى الْيَهُودِ بِالْأَنْدَلُسِ، وَبَدَأَ فِي قَوْلِهِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ: "أَوْصَافُهُ عُلُويَّةٌ فَلَكِيَّةٌ" (٥)، وَسَوَى هَذَا لَمْ يَظْهَرْ بَرَأْيِي - أَيُّ أَثَرٍ لِلْيَهُودِ، بَلْ كَانَتْ الْقَصِيدَةُ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْيَهُودَ قَدْ صَقَلَتْهُمْ الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ.

وَإِنْ كَانَ ابْنُ سَهْلٍ لَمْ يَبْتَدِعْ وَلَمْ يَأْتِ بِجَدِيدٍ مِنْ قَوْمِهِ الْيَهُودِ فِي الْقَصِيدَةِ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَأَثِّرًا وَهَذَا مَا أَرَاهُ وَتَأَثَّرَهُ لَهُ وَجْهَانِ: الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَوَّلًا ثُمَّ الْمَوْرُوثُ الدِّينِيُّ الْإِسْلَامِيُّ وَأَحَدُهُ بِالْإِسْلَامِيِّ حَيْثُ سَبَقَ الْقَوْلُ بِاسْتِنْعَادِ الْمَوْرُوثِ مِنَ الْيَهُودِ.

وَبِالنِّسْبَةِ لِتَأَثُّرِ ابْنِ سَهْلٍ بِالثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَهَذَا وَاضِحٌ فِي النَّظْمِ الْجَيِّدِ لِلْقَصِيدَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ، وَبِالْأَسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ، وَبِالْبُحُورِ الْعَرَبِيَّةِ، فَلَمْ يَأْتِ بِغَرِيبٍ أَوْ جَدِيدٍ أَوْ مُسْتَحْدَثٍ غَيْرِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْقَوْلِ، فَأَتَى بِمَا نَتَوَقَّعُ مِنْ أَيِّ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ مُسْلِمٍ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

أَمَّا تَأَثُّرُ ابْنِ سَهْلٍ بِالْمَوْرُوثِ الدِّينِيِّ فَقَدْ بَدَأَ وَأَضْحَا بِالْقُرْآنِ أَوَّلًا، ثُمَّ الْحَدِيثَ وَتَلْتَهُمَا السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ. وَبَرَزَ بِوُضُوحٍ تَأَثُّرُ ابْنِ سَهْلٍ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْقَصِيدَةِ؛ فَأَشَارَتْ الْآيَاتُ إِلَى اِطِّلَاعٍ وَاضِحٍ

١ - الْمُقَرِّي "تَفْحُ الطَّيِّبِ" ١٠ / ٢٨٨ .

٢ - فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى جَنْبِ خَشَبَةٍ يُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ، قَالَ: ابْنُوا لِي مُنْبَرًا، فَبَنُوا لَهُ مُنْبَرًا لَهُ عَتَبَتَانِ، فَلَمَّا قَامَ عَلَى الْمُنْبَرِ لِيَخْطُبَ حُتَّتِ الْخَشَبَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحَتْ صِيَاحَ الْوَلَدِ، فَمَا زَالَتْ تَحْنُ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَتَتْ .

٣ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَالْتَمَسَ الْوُضُوءَ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِوُضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّأُوا مِنْهُ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّأُوا وَكَانُوا سَبْعِينَ أَوْ نَحْوَهُ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فَجَعَلَ الْمَاءَ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا... وَلَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا وَلَوْ كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً .

انظر: الْبُخَارِيُّ صَحِيحُهُ ٢٣٣/٤ - ٢٣٤ [باب علامات النبوة] .

٤ - الْمُقَرِّي "تَفْحُ الطَّيِّبِ" ١٠ / ٢٨٨ .

٥ - نَفْسُهُ ١٠ / ٢٨٩ .

عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَعْرِفَةٍ بِآيَاتِهِ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَعْرِفَةٍ بِأَسْمَاءِ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَبِمَضْمُونِهَا؛ فَاخْتَارَ "الْمُدَّثِّرُ وَالْمُزَّمِّلُ" مِنْ أَسْمَاءِ سُورِ الْقُرْآنِ، بِقَوْلِهِ ^(١): [تكملة]
الشَّافِعُ الْمُتَوَسِّلُ الْمُتَقَبِّلُ الْقَائِمُ الْمُدَّثِّرُ الْمُزَّمِّلُ

وَجَاءَ بِأَسْمَاءِ "الْمُدَّثِّرِ الْمُزَّمِّلِ" مُتَتَالِيَيْنِ دُونَ فَاصِلٍ بَيْنَهُمَا كَمَا هُمَا مُتَجَاوِرَتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَحِينَ
ذَكَرَ سُورَةَ "نُونٍ" لَمْ يَكْتَفِ بِأَوَّلِ آيَةٍ "نُونٍ وَالْقَلَمُ"، بَلْ أَضَافَ فِي عَجْرِ الْبَيْتِ مَا يُشِيرُ إِلَى إِطْلَاعِهِ
وَمَعْرِفَتِهِ بِمَضْمُونِهَا وَبِآيَةٍ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ^(٢)، بِقَوْلِهِ ^(٣): [تكملة]
وَعَزَّتْ لَهُ آيَاتُ نُونٍ وَالْقَلَمِ خُلُقًا بِهِ شَهِدَ إِلَهُ عَظِيمًا

وَفِي قَوْلِهِ "وَاللَّهُ بَيِّنٌ حُبَّهُ فِي وَالضُّحَى" إِشَارَةً إِلَى سُورَةِ الضُّحَى وَالآيَةِ (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) ^(٤)
وَأَشَارَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَضْمُونِ السُّورَةِ نَفْسِهَا فِي قَوْلِهِ: "يَا رَاحِلًا وَدَّعْتَهُ لَا عَنْ قَلَى". وَفِي الْآيَاتِ إِشَارَاتٌ
أُخْرَى تُظْهِرُ مَعْرِفَتَهُ الْجَيِّدَةَ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، مِنْهَا "اِحْتَثَّ فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ بُرَاقُهُ" ^(٥)، وَقَوْلُهُ "سَمَكَ السَّمَاءِ
طَوْرًا وَبَطْنِ الْعَارِ" ^(٦)، وَكَانَ الْمَاءُ الْمُنْبَجِسُ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ "تَسْنِيمًا" ^(٧)، وَمِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ
"سُبْحَانَ مَنْ أَدْنَى سِرَاهُ فَسَاقَهُ" ^(٨)، وَتَكْلِيمِ اللَّهِ لِمُوسَى ^(٩) بِقَوْلِهِ ^(١٠): [تكملة]
إِنِّي جَعَلْتُكَ جَارَ عَرْشِي الْأَقْرَبِ إِن كُنْتَ قَبْلَكَ قَدْ جَعَلْتُ كَلِيمًا

وَكُلُّ هَذَا الْأَخْذِ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ الشَّاعِرِ بِالْقُرْآنِ لَمْ تَكُنْ مَعْرِفَةً سَطْحِيَّةً، بَلْ كَانَتْ
مَعْرِفَةً وَاسِعَةً دَقِيقَةً عَمِيقَةً أَمَكْنَتُهُ أَنْ يَخْتَارَ مَا اخْتَارَهُ فِي الْقَصِيدَةِ بِدَقَّةٍ وَاضِحَةٍ.
إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْإِشَارَاتِ الْمَوْجُودَةَ فِي الْقَصِيدَةِ تَكَادُ تُشِيرُ بِأَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَعْرِفَةٍ دَقِيقَةٍ بِكُلِّ
سُورِ الْقُرْآنِ، وَهَذَا لَيْسَ غَرِيبًا؛ حَيْثُ إِنَّهُ فِي بَدَايَةِ مِشْوَارِهِ مَعَ الْإِسْلَامِ كَمَا سَبَقَ الْقَوْلُ، فَلَا حَظَّ أَنْ
الْإِشَارَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْقَصِيدَةِ، إِنْ اسْتَنْتَبَيْتُ مِنْهَا الْإِشَارَةَ إِلَى كَلِيمِ اللَّهِ مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ وَمَا أَخَذَهُ مِنْ افْتِتَاحِيَّةِ
سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، مَاخُودَةً مِنَ الْجُزْأَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُمَا الْجُزْأَانِ

١ - الْمُقَرَّرِي تَفْخُ الطَّيِّبِ ٢٩٠/١٠ .

٢ - سُورَةُ الْقَلَمِ، آيَةُ ٤ .

٣ - الْمُقَرَّرِي تَفْخُ الطَّيِّبِ ٢٩٠/١٠ .

٤ - سُورَةُ الضُّحَى، آيَةُ ٣ - ٥ .

٥ - مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ سُورَةُ نُوحٍ، آيَةُ ١٥ .

أَوْ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿الَّذِينَ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ سُورَةُ الْمُلْكِ، آيَةُ ٣ .

٦ - مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءَ بِدَهْرٍ رَفَعَ سَمَكًا فَسَوَّاهُ﴾ سُورَةُ النَّازِعَاتِ، آيَةُ ٢٧ - ٢٨ .

٧ - مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَمَرَّاجُهُمْ تَسْنِيمًا عِنْدَ يَشْرَبِ الْمَكْرُورِ﴾ سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ، آيَةُ ٢٧ - ٢٨ .

٨ - مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَدْنِهِ﴾ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، آيَةُ ١ .

٩ - مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ سُورَةُ النَّسَاءِ، آيَةُ ١٦٤ .

١٠ - الْمُقَرَّرِي تَفْخُ الطَّيِّبِ ٢٨٩/١٠ .

التاسع والعشرون والثلاثون فقط. ولهذا تعليقات عديدة عندي لا يمكن ترجيح أحدها؛ فقد يكون الشاعر لم يطلع بعد على سواهما، ومن اطلاعه عليهما أعلن إسلامه، ثم قال هذه القصيدة متأثراً بمعانيهما، وهذا معقول بالنسبة لابن سهل لأنه كان في بداية إسلامه.

وقد يكون هناك تحليل آخر لم أجد ما يؤيده أو ينفيه يتعلّق بتعليم العربية أو القرآن لليهود ببلاد الأندلس، وهذا الأمر لم تبد المراجع التي وصلت إليها عناية به. فقد يكون في هذا إشارة إلى نوع التعليم الذي كان يتلقاه طالب علوم العربية في الأندلس، حتى لو كان يهودياً؛ فهذه الأجزاء يبدأ بها عادة في تعليم المبتدئين، فيبدأ التعليم بحفظ الجزئين الأخيرين من القرآن أو دراستهما لمن يتعلم العربية، سواء كان من اليهود أم من غيرهم، تماماً كما كان يحصل في تعليم الصغار في الكتاتيب؛ حيث يبدأ الشيخ بتلقين الصغير الجزء الأخير من القرآن ليعرف منه أحكام القراءة ويتعلم مبادئ العربية، ثم الجزء الذي قبله وهكذا إلى أن يتقن المبادئ الأولية للقراءة، بعدها ينتقل وفق خطة الشيخ إلى السور الطوال من القرآن. فالاختيارات المتعددة للشاعر من الجزئين الأخيرين لا يمكن أن تكون وليدة اطلاع سريع أو مفاجئ لما جاء بهما، بل أرى أنها تدل على تعمق وإدراك واضح لمعانيها ليصوغ منها ابن سهل هذا النسيج الشعري العربي المتميز.

أما بالنسبة لتأثر ابن سهل بالحديث النبوي الشريف فلم أر منه سوى قوله^(١): [لكمل]
مُحِبِّي النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى عَنْ قُتْرَةِ فَكَأَنَّمَا كَفَّلَ الرَّشَادَ يَتِيمًا

وفي هذا إشارة إلى كفاية اليتيم التي جاءت في أحاديث كثيرة^(٢)، ولم أجد في القصيدة إشارات أخرى يتضح فيها تأثر كبير بالأحاديث النبوية. وقد يشير هذا إلى أنهم لم يكونوا يركزون كثيراً على الأحاديث النبوية في تعليمهم العربية لأبناء اليهود، واعتقد أنه لو كان عند ابن سهل حصيلة كبيرة من الأحاديث كما كان حاله مع القرآن مثلاً لبذت هذه المعرفة في الأبيات، ولتعمد الشاعر إظهارها كما تعمّد إظهار ما أخذه من القرآن.

والحديث عن السيرة كان مغايراً؛ فتأثر ابن سهل بالسيرة كان أوضح من تأثره بالحديث فأظهرت الأبيات معرفة واسعة دقيقة بتفاصيل كثيرة من سيرة النبي محمد ﷺ، ولم تكن المعرفة سطحية، فظهر في القصيدة ما يدل على سعة اطلاع الشاعر على السيرة؛ فذكر والده، وقول الكهان قبل ميلاده، وأشار إلى محاولة أبرهة الحبشي تدمير الكعبة، وذكر بعض صفاته، فكان المنزلة حين حكموه لإعادة الحجر الأسود إليها، في قوله^(٣): [لكمل]

دَفَعَتْ كَرَامَتُهُ الزُّنُوجَ^(٤) عَنْ الْحَرَمِ وَدَعَاهُ جَبْرِيلُ الْمُنَزَّةِ فِي الْحَرَمِ

١ - المقرئ تَفْحُ الطَّيِّب ٢٨٨/١٠ .

٢ - منها عن أبي هريرة: أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى . انظر: مسلم صحيحه ٢٢١/٨ .

٣ - المقرئ تَفْحُ الطَّيِّب ٢٩٠/١٠ .

٤ - يقصد بالزُّنُوج جنود أبرهة الحبشي حين عزم على تخريب الكعبة وأرسل الله عليهم طيراً أبابيل .

وَلَا بَدَّ أَنَّ الشَّاعِرَ عَرَفَ كَثِيرًا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَمُعْجَزَاتِهِ حَتَّى تَرَكَ دِينَ آبَائِهِ وَاعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ، وَمِنْهَا حِكَايَةُ حَنِينِ الْجِدْعِ لَهُ وَخُرُوجِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ الْكَرِيمَةِ، سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِمَا. وَانْظُرْ كَيْفَ تَمَّتْ صِيَاغَةُ هَذِهِ الْمُعْطِيَّاتِ مِنَ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِحَيْثُ اسْتَوْعَبَهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ مِنَ الشَّعْرِ بِوُضُوحٍ وَبِصِيَاغَةٍ دَقِيقَةٍ أَعْطَتْ الْمَعْنَى دُونَ حَشْوٍ أَوْ تَطْوِيلٍ؛ مُسْتَخْدِمًا صُورَةً فَنِّيَّةً جَمِيلَةً جَعَلَتْ الْجِدْعَ يَتَرَنِّحُ حِينَ لَا مَسَ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ الطَّاهِرَةِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ أَنْ قَاضَ الْحَنِينُ لَدَيْهِ، كَمَا أَنَّ الشَّاعِرَ دَمَجَ الْوَارِدَ فِي السَّنَةِ مَعَ عُيُونِ الْقُرْآنِ فِي الْبَيْتِ، فَجَعَلَ الْمَاءَ الَّذِي رَأَاهُ الصَّحَابَةُ كَالنَّبْعِ يَفِيضُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ مُشَابِهًا الْمَاءَ الْخَارِجَ مِنْ تَسْنِيمِ الْجَنَّةِ فِي قُدْسِيَّةٍ وَعَظَمَةٍ وَأَنْسَجَامٍ. وَهَذِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى الصِّيَاغَةِ يُمَكِّنُ مِلَاحَظَتَهَا كَذَلِكَ فِي اخْتِصَارِ ابْنِ سَهْلٍ لِلْحِكَايَةِ النَّبَوِيَّةِ الطَّوِيلَةِ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ كَقَوْلِهِ "طَاوٍ يَفِيضُ الزَّادُ فِي أَصْحَابِهِ" (١). وَاخْتَصَرَ حِكَايَةَ الْبَرَاقِ وَحَادِثَةَ الْإِسْرَاءِ بِقَوْلِهِ "اِحْتَثَّ فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ بُرَاقَهُ" (٢) دُونَ زِيَادَاتٍ أَوْ شَرْحٍ أَوْ تَعْقِيبٍ لِمَا جَاءَ فِي السَّيْرَةِ حَوْلَ زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ أَوْ كَيْفِيَّةٍ حَدُوثِ الْإِسْرَاءِ. بَيْنَمَا اخْتَارَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مَا أَطَالَ الْحَدِيثَ عَنْهُ فِي حَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ، فَكَانَ يَنْتَقِي مَا يَرْغَبُ فَيَخْتَصِرُ الْمُطَوَّلَ حِينًا، وَيَزِيدُ فِي الْمُخْتَصَرِ حِينًا لِيُوَافِقَ مَعْنَى شِعْرِيًّا يُرِيدُهُ. وَالتَّأَثُّرُ سَوَاءٌ جَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ الْحَدِيثِ أَوْ السَّيْرَةِ تَمَّتْ صِيَاغَتُهُ بِطَرِيقَةٍ فَنِّيَّةٍ خَاصَّةٍ تَدُلُّ عَلَى تَمَكُّنٍ وَاضِحٍ مِنَ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِجَانِبِ الْإِلْمَامِ بِعُلُومِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَدْ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ. وَهَذَا جَعَلَهُ قَادِرًا عَلَى تَطْوِيلِ كَلِمَاتِ اللُّغَةِ لِيَخْتَارَ الْمُنَاسِبَ مِنْهَا، وَعَلَى إِعْطَاءِ الْمَعَانِي بِقُدْرَةٍ وَشَاعِرِيَّةٍ وَاضِحَةٍ فِي الْأَبْيَاتِ مَعَ تَجْدِيدٍ فِي الصِّيَاغَةِ وَالتَّشْبِيهِ، وَكُلُّ هَذَا دُونَ أَيِّ اعْتِبَارٍ لِيَهُودِيَّةِ السَّابِقَةِ، حَتَّى إِنَّ النُّقْطَةَ الْيَهُودَ عَابُوا عَلَيْهِ أَنْ دِيَوَانَهُ لَا يَتَضَمَّنُ آيَةً قَصِيدَةً صَهْيُونِيَّةً وَلَا يَخْتَلِفُ شِعْرُهُ عَنْ شِعْرِ أَيِّ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ غَيْرِ يَهُودِيٍّ (٣).

وَمِنْ كُلِّ مَا مَرَّ أَرَى أَنَّ الْيَهُودَ فِي شِعْرِ الْمَدْحِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَثَرٌ وَاضِحٌ مُمَيَّزٌ؛ فَالشَّعْرُ الَّذِي قِيلَ فِي مَدْحِهِمْ قَلِيلٌ جَدًّا، لِقَلَّةِ بَلِّ نُذْرَةِ الْمَمْدُوحِينَ مِنْهُمْ. أَمَّا الشَّعْرُ الَّذِي قِيلَ فِي مَدْحِ الْعَرَبِ فَقَدْ كَادَ يَخْتَفِي ذِكْرُ الْيَهُودِ فِيهِ، وَقَدْ مَرَّتِ الْإِشَارَةُ فِيهِ إِلَى الْيَهُودِ عَلَى عَجَلٍ. أَمَّا بِالنَّسَبَةِ لِلْمَعَانِي وَالصُّورِ الْمَطْرُوقَةِ فِي تِلْكَ الْمَدَائِحِ فِي الْإِتِّجَاهَيْنِ فَلَمْ تَكُنْ مُبْتَكِرَةً جَدِيدَةً، بَلْ كَانَتْ أَغْلَبُهَا مَطْرُوقَةً، وَمُتَكَرَّرَةً. وَمَعَ أَنَّ قَصَائِدَ مَدْحِ الْيَهُودِ كَانَتْ قَلِيلَةً، وَمُدَاخِ الْيَهُودِ كَانُوا قَلَّةً كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ الْمَعَانِي فِي فِيهَا كَانَتْ تَتَكَرَّرُ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ وَحَتَّى عِنْدَ الشَّاعِرِ نَفْسِهِ فِي قَصَائِدِهِ.

ثَانِيًا :- أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ

١- مَوْلَدُهُ وَنَشَأَتُهُ :

هُوَ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ بْنُ يُونُسَ بْنِ حَسْدَايَ الْإِسْرَائِيلِيَّ (٤)، وَلِدَ بِسَرَفُوسْطَةِ Sarragosa حَوَالِي سَنَةِ ٤٣٦ هـ (١)، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ إِنَّهُ مِنْ بَيْتِ شَرَفٍ لِلْيَهُودِ بِالْأَنْدَلُسِ (٢)، وَقِيلَ إِنَّهُمْ مِنْ

١ - اخْتَصَرَ بِهَا الْحَدِيثَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حِينَ اشْتَدَّ الْجُوعُ عَلَى الصَّحَابَةِ وَمَنْ فِي الْمَدِينَةِ، فَأَرْسَلَتْهُ وَالِدَتُهُ أُمُّ سُلَيْمٍ وَزَوْجُهَا أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوَانِهِ وَحْدَهُ إِلَى طَعَامٍ قَلِيلٍ وَجَدَ عِنْدَهُمَا فِي وَقْتِ ضَيْقٍ وَشَدَّةٍ وَجُوعٍ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ، فَمَا كَانَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا أَنْ نَادَى جَمِيعَ الصَّحَابَةِ حَوْلَهُ وَدَعَاهُمْ، وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ عَلَى الطَّعَامِ، فَدَخَلَ الصَّحَابَةُ عَشْرَةَ عَشْرَةَ يَأْكُلُونَ حَتَّى شَبِعُوا كُلُّهُمْ، وَزَادَ عَلَيْهِمْ، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا .

انْظُرَ الْبُخَارِيُّ صَحِيحُهُ ٢٣٤/٤ - ٢٣٥ [باب علامات النبوة]، ١٣٧/٥ - ١٤٤ . [باب غزوة الخندق] .

٢ - انْظُرَ: الْبُخَارِيُّ صَحِيحُهُ ٦٧/٥ [باب حديث الإسراء] .

٣ - انْظُرَ: فَارُوقُ مُحَمَّدٍ جُودِي الصَّهْيُونِيَّةُ وَاللُّغَةُ ص ١١٧ .

٤ - انْظُرَ تَرْجُمَتَهُ فِي : انْظُرَ: الْجَزَارُ السَّرَقُسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَخَاسِنِ وَعُمْدَةُ الْمَخَاسِنِ ص ١٥٦؛ صَاعِدُ طَبَقَاتِ الْأُمَمِ ص ١١٢؛ ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدِ الْعَفْيَانِ ق ٢، ج ١/٣١٥، ٣١٨، ق ٢، ج ٢/٥٤٥ - ٥٥١؛ ابْنُ بَسَّامٍ الْمَدِينَةُ ق ٣، م ١/٤٥٧ - ٤٩٨، ق ٣، م ١/٤٩٢، ق ٣، م ٢/٩١٢؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ٢/٤٨٠ - ٤٨٤؛ ابْنُ دِحْيَةَ الْمُطَرِّبِ ص ١٩٦؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/٤٤١؛ ابْنُ أَبِي أَصِيبَةَ عُيُونُ الْأَنْبَاءِ ١/٤٨٥، ٤٩٩؛ الْمُفَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢/٧٤ - ٧٥، ١٧٢ - ١٧٤، ٢٣٦ - ٢٣٥/٤، ٣٥٩ - ٣٦٠؛ شَاكِرُ مُصْطَفَى مَوْسُوعَةُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَرِجَالُهَا ١/٦٤٦؛ مونتغمري وات أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا ص ١٢٨ .

وَلِدِ مُوسَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣)، وَكَانَتْ عَائِلَةُ حَسْدَايَ ذَاتَ شُهْرَةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ وَخَارِجَهَا؛ وَتَمَيَّزَ مِنْهُمْ فِي الْمَصَادِرِ ثَلَاثَةُ أَعْلَامٍ غَيْرُ أَبِي الْفَضْلِ ابْنِ حَسْدَايَ، وَهُمْ:

١- جَدُّهُ : حَسْدَايَ بْنُ شَبْرُوطَ (٣٠٢-٣٥٩هـ)^(٤) كَانَ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ^(٥) وَعِنْدَ ابْنِهِ الْحَكَمِ بَعْدَهُ، وَسَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى عَمَلِهِ سَفِيرًا^(٦). وَتَرَجَمَ كِتَابَ دِيَسْقُورِيدِسَ عَنِ الْحَشَائِشِ وَالْعَقَاقِيرِ لِلنَّاصِرِ سَنَةَ ٣٤٠هـ بِقُرْطُبَةَ^(٧). وَكَانَ مُتَقَدِّمًا فِي عِلْمِ شَرِيعَةِ الْيَهُودِ "فَلَمَّا اتَّصَلَ حَسْدَايَ بِالْحَكَمِ وَنَالَ عِنْدَهُ نِهَايَةَ الْخَطْوَةِ تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى اسْتِجْلَابِ مَا شَاءَ مِنْ تَأْلِيفِ الْيَهُودِ بِالْمَشْرِقِ فَعَلِمَ حِينَئِذٍ يَهُودَ الْأَنْدَلُسِ مَا كَانُوا قَبْلُ يَجْهَلُونَهُ، وَاسْتَعْنُوا عَمَّا كَانُوا يَتَجَشَّمُونَ الْكُلْفَةَ فِيهِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْهُمْ بَابَ عِلْمِهِمْ مِنَ الْفِقْهِ وَالتَّارِيخِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانُوا قَبْلُ يَضْطَرُّونَ فِي فِقْهِ دِينِهِمْ وَسِنِّي تَارِيخِهِمْ وَمَوَاقِيتِ أَعْيَادِهِمْ إِلَى يَهُودِ بَغْدَادَ فَيَسْتَجْلِبُونَ مِنْ عِنْدِهِمْ

: Maxi Margolis and Alexander Marx. "A History of the Jewish people" p 308 – 312 ; Louis Franklin "The Jews ;their history" p 232 ; Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 437 .

١ - انْظُرْ: خَوَانُ فَيْرَازِيهِ الْعُلُومِ الْفَيْرَازَاوِيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ وَالتَّقْنِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ تَرْجَمَةُ: أَكْرَمُ ذِي التُّونِ، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجَبُوسِي ٢/ ١٣٠٧ .

٢ - انْظُرْ: ابْنُ بَسَامٍ النُّخَيْرَةُ ٣، م ٤٥٧/١ .

٣ - انْظُرْ: ابْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ١/ ٤٩٩ .

٤ - هُوَ: أَبُو يُوسُفَ حَسْدَايَ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ عِزْرَا بْنِ شَبْرُوطَ . انْظُرْ مَا كُتِبَ عَنْهُ فِي: صَاعِدَ طَبَقَاتِ الْأُمَمِ ص ١١٠-١١١ ؛ ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكُشِيِّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ٢/ ٢٢١؛ ابْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ١/ ٤٩٤، ٤٩٨-٥٠٠ ؛ أَنْخَلُ جُنَالْتِ بِالنَّشَا تَارِيخُ الْفُكْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ٤٨٨-٤٨٩؛ وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ١٤/ ٥١ .

٥ - انْظُرْ: ابْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ١/ ٤٩٤، ٤٩٨ .

٦ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكُشِيِّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ٢/ ٢٢١ انْظُرْ فِي الْبَحْثِ: ص ٣٠-٣١ .

٧ - انْظُرْ: ابْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ١/ ٤٩٤ .

حَسَابَ عِدَّةٍ مِنَ السَّنِينَ يَتَعَرَّفُونَ بِهِ مَذَاحِلَ تَارِيخِهِمْ وَمَبَادِي سِنِيهِمْ" (١). وَكَانَ حَسَدَايَ ذَا نَفُوذٍ وَتَأْثِيرٍ عَلَى يَهُودِ الْأَنْدَلُسِ، تَوَصَّلَ رِيْمُونْدُ شَايَنْدَلِينَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ شَخْصِيَّةً مَرْكَزِيَّةً عِنْدَ الْيَهُودِ، اسْتَعْلَى مَرْكَزَهُ الرَّسْمِيُّ فِي رِعَايَةِ مَصَالِحِ الْمُجْتَمَعِ الْيَهُودِيِّ عَامَّةً وَلَيْسَ الْأَنْدَلُسِيِّ فَحَسْبُ. وَمِثَالٌ عَلَى هَذَا رِسَالَتُهُ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَى هِيلِيَا رُوحَةِ الْإِمْبَرَاطُورِ الْبِيزَنْطِيِّ قُسْطَنْطِينَ السَّابِعِ، يَطْلُبُ مِنْهَا حِمَايَةَ يَهُودِ بِيزَنْطَةِ مِنَ الْاضْطِهَادِ (٢). وَالتَّفَّ حَوْلَهُ عِدَّةٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَعَمِلَ مَنَاحِمُ بْنُ سُرُوقَ (٢٩٧-٣٤٨هـ) الْيَهُودِيَّ سِكْرَتِيرًا عِنْدَهُ وَسَاعَدَهُ حَسَدَايَ فِي وَضْعِ مُؤَلَّفَاتِهِ هَامَّةٍ لِلْيَهُودِ (٣).

٢- وَالِدُهُ : يَوْسُفَ ، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ: إِنَّهُ مِنْ بَيْتِ شَرَفِ الْيَهُودِ، وَإِنَّهُ اشْتَهَرَ فِي سَرَاقُسْطَةِ عِنْدَ دَوْلَةِ ابْنِ هُودَ وَكَانَ لَهُ فِي تِلْكَ الدَّوْلَةِ اسْتِقْلَالٌ وَاضْطِلَاعٌ، وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّ لَهُ فِي الْأَدَبِ بَاعٌ (٤).

٣- الطَّبِيبُ : أَبُو جَعْفَرٍ يَوْسُفُ بْنُ أَحْمَدَ (ت: ٥٣٣هـ) (٥) هَاجَرَ أَيَّامَ الْمُؤْتَمِنِ (٤٧٣هـ-٤٧٧هـ) إِلَى مِصْرَ، وَعَمِلَ فِي وَزَارَةِ الْمَأْمُونِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ الْأَمْرِيِّ (ت: ٥٢٠هـ) الَّذِي كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ وَرَغْبَةٌ فِي الْعُلُومِ، فَأَمَرَ ابْنَ حَسَدَايَ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ كِتَابَ "الْإِيمَانِ" فِي الطَّبِّ لِابْقِرَاطِ فَفَعَلَ وَشَرَحَهُ بِعُنْوَانِ "شَرْحِ الْفُصُولِ". وَكَانَ صَدِيقًا وَتَلْمِيزًا لِابْنِ بَاجَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ فَكَانَ يُرَاسِلُهُ مِنَ الْقَاهِرَةِ (٦)، وَكَانَ يَوْسُفُ مُدْمِنًا لِلشَّرَابِ وَعِنْدَهُ دَعَابَةٌ وَثَوَائِدُ، وَكَتَبَ عِدَّةَ مُؤَلَّفَاتٍ (٧). وَافَاهُ الْأَجَلُ قَبْلَ سَنَةِ ٥١٥هـ (٨)، وَمَدَحَهُ الْفَقِيهُ الْمَعْرُوفُ بِالْفُسْتَنْسَاسِ بِقَوْلِهِ (٩): [مُقَرَّب]

وَكَانَ يَهُودِيَّ غَرَابٌ قَطَارًا	خَلَعْتُ رِدَاءَ التَّصَابِي الْمَعَارَا
إِلَى أَنْ أَرَانِي الْمَشِيبُ النَّهَارَا	وَكَمْ خُضْتُ بِاللَّهُو لَيْلَ الشَّبَابِ
وَبَاتَ بَرَّغْمِي دِيَارًا دِيَارَا	لَنْ كَدَّرَ الشَّيْبُ صَفْوَ الشَّبَابِ
فَإِنْ لِكُلِّ مَسِيلٍ قَرَارَا	فَلَا بَأْسَ إِنْ مُدَّ لِحْجُ الْبِعَادِ

١ - انظر: صَاعِدِ طَبَقَاتِ الْأُمَمِ ص ١١٠-١١١؛ ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ غُيُوثُ الْأَنْبَاءِ ٤٩٨/١ .

٢ - انظر: رِيْمُونْدُ شَايَنْدَلِينَ الْيَهُودِ فِي إِسْبَانِيَا الْمُسْلِمَةِ تَرْجَمَةً: مَرْيَمُ عَبْدِ الْبَاقِي، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجَبُوسِي ٣٠٤/١ .

٣ - انظر: إِبْرَاهِيمُ هِنْدَاوِي الْأَثَرُ الْعَرَبِيَّ فِي الْفِكْرِ الْيَهُودِيِّ ص ١٠ .

٤ - انظر: ابْنُ بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ٣، ١/٥٧ - ٤٥٨؛ ابْنُ سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٤٤١/٢ صَاعِدِ طَبَقَاتِ الْأُمَمِ ص ١١٢ .

٥ - انظر: تَرْجَمَتُهُ فِي: ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ غُيُوثُ الْأَنْبَاءِ ٤٩٩/١ - ٥٠٠، ٥١٦؛ تَجِيبُ الْعَقِيقِيِّ الْمُسْتَشْرِقُونَ ٩٦/١؛ رِيَّاضُ قُرَيْحَةِ الْفَكَاهَةِ فِي الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ١١٤؛ ابْنُ بَاجَةَ وَآخِرُونَ رَسَائِلُ فُلْسُفِيَّةٍ ص ١١٨ .

٦ - انظر: ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ غُيُوثُ الْأَنْبَاءِ ٤٩٩/١، ٥١٦ .

٧ - انظر: ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ غُيُوثُ الْأَنْبَاءِ ٤٩٩/١؛ خَوَانُ فِيزْنِيهِ الْعُلُومِ الْفِيزِيَاوِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَرْجَمَةً: أَكْرَمُ ذِي النُّونِ، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجَبُوسِي ١٣٠٧/٢ .

٨ - انظر: خَوَانُ فِيزْنِيهِ الْعُلُومِ الْفِيزِيَاوِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَرْجَمَةً: أَكْرَمُ ذِي النُّونِ، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَحْرِير: سَلْمَى الْجَبُوسِي ١٣٠٧/٢ .

٩ - انظر: الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ٤، ج ٢/٨٢٥ .

٢ - تَعْلِيمُهُ وَتَقَاتُّهُ وَأَعْمَالُهُ :

تَنَقَّفَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ بِالْوَانِ النَّقَافَةَ الْمُتَاحَةَ فِي عَصْرِهِ، فَقَدْ أَنْشَأَهُ أَبُوهُ يُوسُفُ عَلَى حُبِّ الْعِلْمِ وَالْاهْتِمَامِ بِمُخْتَلَفِ الْوَانِ الْفُنُونِ، وَنَالَ حِظًّا وَافِرًا مِنَ الشُّعْرِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْعُلُومِ، وَبَرَعَ فِي عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ وَالنُّجُومِ وَالْمُوسِيقَا، وَأَنْقَنَ عِلْمَ الْمَنْطِقِ وَعِلْمَ الطَّبِيعَةِ وَكَانَ لَهُ بَاعٌ فِي الطَّبِّ بِدَأْ بِكِتَابِ "الْكَيَانِ" لِأَرْسُطُو طَالِيَسَ حَتَّى أَحْكَمَهُ، ثُمَّ شَرَعَ فِي كِتَابِ "السَّمَاءِ وَالْعَالَمِ"، وَتَوَقَّعَ صَاعِدًا إِنْ امْتَدَّ بِهِ الْأَجَلُ وَاتَّصَلَتْ بِهِ الْعِنَايَةُ أَنْ يَدْرُسَ الْفَلَسَفَةَ جَيِّدًا وَتُكْتَمَلَ لَدَيْهِ فُنُونُ الْحِكْمَةِ لِمَا رَأَى مِنْ شِدَّةِ شَغْفِهِ بِفُنُونِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَهُوَ قَتَّى يَافِعٌ لَمْ يَبْلُغْ الْأَشَدَّ حِينَ تَرَكَهُ صَاعِدًا^(١).

وَكَانَ ابْنُ حَسْدَايَ كَاتِبًا شَاعِرًا، فَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ إِنَّهُ أَحْكَمَ عِلْمَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَبَلَغَ الرُّتْبَةَ الْعُلْيَا مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي الشُّعْرِ وَالْأَدَبِ، لَكِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عِنَايَةٌ كَبِيرَةٌ بِالشُّعْرِ، وَأَنَّ لَهُ شِعْرًا لَكِنْ لَمْ يَرَوْهُ فَلَمْ يَضَعْهُ فِي كِتَابِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَجِدْهُ فَأَهْمَلَهُ وَلَمْ يَبْحَثْ عَنْهُ^(٢). وَذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ نَشَأَ هَضْبَةً عَلَاءٍ وَجَدُوهُ دُكَاءً، وَأَنَّهُ عُنِيَ بِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَصَرَ عَلَيْهِ الْإِبْدَاعَ طَوْرًا فِي النَّدَى بِبَرَاغَةِ خَطِيبٍ وَبَلَاغَةِ كَاتِبٍ وَطَوْرًا فِي الْوَعَى بِبِدْيَةِ طَاعِنٍ وَرَوِيَّةٍ ضَارِبٍ"^(٣). وَأَثْنَى عَلَيْهِ ابْنُ طَاهِرٍ (ت: ٥٠٧ هـ)^(٤) بِقَوْلِهِ إِنَّهُ: "وَحِيدُ الْفَضْلِ وَيَنْبُوغُ النَّبْلِ، وَمَا عَدَاهُ قَوْلُ الْقَائِلِ"^(٥): [لسريع]

إِنَّ أَبَا الْفَضْلِ لَهُ فَضْلُهُ وَأَيُّنَ فِي النَّاسِ قَتَّى مِثْلُهُ

جَمَعَ الْخِلَالَ الزَّكِيَّةَ فَاحْتَوَاهَا، وَرَأَى تِلْكَ الْجَلَالََةَ فَاحْتَدَاهَا، وَحَقَّ لِمَنْ رُبِّيَ فِي حَجَرِهَا، وَارْتَضَعَ بِدَرَهَا، أَنْ يَتَّبِعَ فِيهِ رُجَحَاتُهَا، وَيَتَنَسَّمَ عَلَيْهِ رِيحَاتُهَا، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ الشُّفُوفُ وَالتَّبَرِيزُ"^(٦).

وَكَانَتْ الْعُلَمَاءُ تَأْخُذُ بِرَأْيِهِ؛ فَقَالَ ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ إِنَّ الْكُرْمَانِيَّ (ت ٤٨٥ هـ)^(٧) لَمْ يَكُنْ بِصِيرًا يَعْلَمُ النُّجُومَ التَّعْلِيمِيَّ وَلَا الْمَنْطِقَ، وَالَّذِي أَخْبَرَهُ عَنْهُ بِذَلِكَ هُوَ ابْنُ حَسْدَايَ فَقَدْ كَانَ خَبِيرًا بِهِ^(٨).

١ - انظر: صَاعِدُ طَبَقَاتِ الْأُمَمِ ص ١١٢.

٢ - انظر: ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ٣، م ٤٥٧/١ - ٤٥٨؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٤٤١/٢ صَاعِدُ طَبَقَاتِ الْأُمَمِ ص ١١٢.

٣ - ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٤٤١/٢.

٤ - هُوَ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ، وَصَارَتْ مُزِيَّةً بِيَدِهِ إِلَى أَنْ أَخَذَهَا ابْنُ عَمَّارٍ مِنْهُ، فَلَجَأَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بِبَلَنْسِيَّةَ إِلَى أَنْ تُؤْفَى بِهَا سَنَةٌ ٥٠٧ هـ وَقَدْ نِيفَ عَلَى التَّسْعِينَ.

انظر: عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكَشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ١٢١ - ١٢٢؛ ابْنُ الْأَبَارِ التَّكْمِلَةُ ٣٦/٤؛ ابْنُ سَعِيدٍ الْمُغْرِبِ ٢٤٧/٢، ٢٧٢، ٣٠٤.

٥ - ابْنُ بَسَّامٍ النُّخْبَةُ ق ٣ م ٤٥٩/١.

٦ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

٧ - هُوَ: أَبُو الْحَكَمِ عَمْرُو بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْكُرْمَانِيُّ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ أَحَدِ الرَّاكِبِينَ فِي عِلْمِ الْعَدَدِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالطَّبِّ، وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَاسْتَوَطَنَ مَدِينَةَ سَرَفُسْطَةَ وَتُوفِيَ بِهَا سَنَةَ ٤٥٨ هـ وَقَدْ بَلَغَ تِسْعِينَ سَنَةً.

انظر: ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ غَيُوثُ الْأَنْبَاءِ ٤٨٤/١ - ٤٨٥.

٨ - انظر: ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ غَيُوثُ الْأَنْبَاءِ ٤٨٥/١.

عَمِلَ ابْنُ حَسْدَايَ وَزِيرًا (٤٣٣-٤٥٨هـ) عِنْدَ أَمْرَاءِ بَنِي هُودٍ: الْمُقْتَدِرِ (٤٣٨-٤٧٣هـ) وَالْمُؤْتَمِنِ (٤٧٣-٤٧٧هـ) وَالْمُسْتَعِينِ (٤٧٧-٥٠٣هـ) ^(١) فِي سَرَاقِصْطَةِ، وَتَتَّصِلُ أَخْبَارُهُ كَثِيرًا بِالْمُسْتَعِينِ، وَكَانَ ابْنُ حَسْدَايَ مُدَبِّرَ حَفَلَاتٍ فِي بِلَاطِ بَنِي هُودٍ، وَوَصِفَتْ "الدَّخِيرَةُ" مَا وَقَّرَهُ لِلْمَدْعُوعِينَ لَمَّا أَعْرَسَ الْمُسْتَعِينُ ^(٢). وَزَعَمَ خَوَانُ فِيرْنِيهِ أَنَّهُ هَاجَرَ إِلَى مِصْرَ وَأَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لِابْنِ بَاجَةَ وَبِهَذَا يَكُونُ لَدَيْهِ خَلْطٌ مَعَ شَخْصِيَّةِ صَدِيقِ ابْنِ بَاجَةَ الَّذِي سَافَرَ إِلَى مِصْرَ ^(٣)، وَلَمْ أَجِدْ هَذَا عِنْدَ غَيْرِهِ.

٣- إِسْلَامُ ابْنِ حَسْدَايَ:

قَالَ ابْنُ دِخْيَةَ إِنَّ الدِّمَّةَ كَانَتْ تُقْعِدُ أَبَا الْفَضْلِ عَنْ مَرَاتِبِ أَكْفَائِهِ، فَتَطَهَّرَ، وَأَسْلَمَ، وَفِي إِسْلَامِهِ قِيلَ إِنَّهُ عَشِيقُ جَارِيَةٍ دَهَبَتْ بِلَبِّهِ وَغَلَبَتْ عَلَى قَلْبِهِ فَجُنَّ بِهَا جُنُونُهُ وَخَلَعَ عَلَيْهَا دِينَهُ، وَعَلِمَ بِذَلِكَ صَاحِبُهَا، فَرَفَّهَا إِلَيْهِ وَجَعَلَ زِمَامَهَا فِي يَدَيْهِ، فَتَحَامَى عَنْ مَوْضِعِهِ مِنْ وَصْلِهَا أَنْفَةً مِنْ أَنْ يَظُنَّ النَّاسُ أَنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ مِنْ أَجْلِهَا، فَحَسَنَ ذِكْرَهُ، وَخَفِيَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَمْرُهُ ^(٤).

وَرُغِمَ إِسْلَامُهُ إِلَّا أَنَّ دِينَ أَسْلَافِهِ كَانَ مَجَالًا لِلتَّنَدُّرِ بِهِ؛ فَكَانَ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْمُقْتَدِرِ ابْنِ هُودٍ (ت: ٤٧٥هـ) يَنْظُرُ فِي مُجَلَّدٍ، فَدَخَلَ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الدَّبَّاعِ ^(٥)، وَأَرَادَ أَنْ يُنَدِّرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ: يَا أَبَا الْفَضْلِ مَا الَّذِي تَنْظُرُ فِيهِ مِنَ الْكُتُبِ لَعَلَّهُ التَّوْرَةُ، فَقَالَ: نَعَمْ وَجِلْدُهَا مِنْ جِلْدِ دَبَّعَةٍ مَنْ تَعْلَمُ، فَمَاتَ خَجَلًا، وَضَحِكَ الْمُقْتَدِرُ ^(٦).

١ - انظر: ابن بسام الدخيرة ق ٣، م ٤٥٨/١ - ٤٥٩؛ المقرئ تفتح الطيب ٣٥٩/٤.

٢ - انظر: الأصفهاني خريدة القصر ق ٤، ج ٤٨٣/٢؛ تفتح الطيب ١٧٣/٢.

٣ - انظر: خوان فيرنيه العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس ترجمة: أكرم ذي النون، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١٣٠٧/٢.

٤ - انظر: ابن بسام الدخيرة ق ٣ م ٤٥٨/١؛ المقرئ تفتح الطيب ٣٥٩/٤.

٥ - هو: أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدبّاع، وأرى أن المقرئ أخطأ أو أنه حصل تحريف في الاسم حين قال إنه أبو الفضل بن الدبّاع، من ورزاء المقتدر بن هود، فقد اختلف مع أميره المقتدر وفر إلى المعتد بن عباد فأجزل له العطاء، لكنه اختلف مع المعتد وكذلك مع المتوكل بن الأفطس، ورجع إلى سرقسطة، وتبيح في بستان من بساتينها. أشهر بحلاوة قلمه، وقيل إنه لم يفلح في كل مكان توجه إليه لسوء خلقه وكثرة ضجره، وشعره ونثره مملوء من شكوى الزمان وتنازع الحرمان كأن المصائب لم تخلق لأحد سواه.

انظر: ابن خاقان قلاند العفيان ق ٢، ج ٣١٤ - ٣٢١؛ ابن بسام الدخيرة ق ٣، م ٢٥١ - ٣١٧؛ الأصفهاني خريدة القصر ق ٤، ج ٣٤٩ - ٣٥٦؛ ابن سعيّد المغرب ٤٤٠/٢.

٦ - المقرئ تفتح الطيب ٣٦٠/٤.

٤- وفاته :

قال ابن أبي أصيبعة إنه كان على قيد الحياة سنة ٤٥٨ هـ وهو في سن الشبيبة^(١) ثم سكنت المصادر العربية عنه، لكن وردت إشارة إلى أنه سافر إلى مصر حيث وافاه الأجل قبل سنة ٥١٥ هـ، وعمره فوق السبعين^(٢).

٥- أهم سمات شعره :

نظم أبو الفضل ابن حسداي في الأغراض التي نظم بها شعراء عصره ولم يأت بجديد فيها أيضاً إلا أن وصف الطبيعة والخمر وشعر الإخوانيات من أكثر ما وصل إلينا عنه ولم يظهر في شعره أي تجديد في الألفاظ أو الأسلوب أو المعاني أو الصور عما جاء في شعر العرب؛ بل ظهر التقليد واضحاً في شعره.

وبدت السهولة واضحة في كثير من شعر ابن حسداي، ومنه قوله معاني^(٣): [لكامل]

قَابَلْتُ بِالْعُتْبَى عِتَابَكَ جَاهِداً للعهد حفظ العين للأجفان

أَسْقَيْكَ عَذْباً بَارِداً وَسَقَيْتَنِي إِذْ جَاشَ حَمِيكَ مِنْ حَمِيمِ أَنْ^(٤)

أَغْضَبْتَ جَهْلًا أَنْ نُسِبْتَ إِلَى الصَّبَا فَاْمَرَحْ، فَإِنَّكَ مِنْهُ فِي رِيْعَانِ

ويظهر فيها تأثره بسورة الرحمن، ومن السورة نفسها اقتبس لأبيات أخرى قوله^(٥): [لسيط]

رَأَى الْعَمَائِمَ فِي عُسْرِ قَافِرَضَهَا إِنَّ الْجَزَاءَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِحْسَانُ^(٦)

ولم يظهر اقتباس آخر من القرآن أو الحديث فيما وصل إلينا من شعر ابن حسداي. وبدت صورته تقليدية، لم تتعد كثيراً عن التشبيهات البيانية التقليدية؛ فالشمس تبدو وتختفي بين السحاب، والسماء مملوءة بالغيوم المنتثرة كالقطن الأبيض المندوف في قوله^(٧): [لطويل]

وَأَطْرَبْنَا غَيْمٌ يُمَارِجُ شَمْسَهُ فَيَسْتُرُ طَوْرًا بِالسَّحَابِ وَيَكْشِفُ

تَرَى قَرْحًا فِي الْجَوِّ يَفْتَحُ قَوْسَهُ مُكْبًا عَلَى قُطْنٍ مِنَ التَّلَجِ يَنْدِفُ

١ - ابن أبي أصيبعة غيون الأنبا ٤٩٩/١ .

٢ - أنظر: خوان فيرنيه العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس ترجمة: أكرم ذي النون، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١٣٠٧ .

٣ - ابن خاقان قلائد العقيان ٣، ج ٢/٥٤٨؛ ابن بسام الأخيرة ٣، م ١/٤٩٢-٤٩٣ .

٤ - من قوله سبحانه وتعالى: ﴿طُوفُوا بِبَنِيكُمْ وَسُحُومِ﴾ سورة الرحمن، آية ٤٤ .

٥ - ابن بسام الأخيرة ٣، م ١/٤٨٨ .

٦ - من قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ سورة الرحمن، آية ٦٠ .

٧ - ابن بسام الأخيرة ٣، م ١/٤٩٠؛ ابن سَعِيد المَغْرِب ٢/٤٤١؛ المَقْرِي تَفْخُ الطَّيِّب ٤/٣٥٩-٣٦٠ .

وَوَصَفَ الطَّبِيعَةَ يَحْتَلُّ مَكَانَهُ مَعْقُولَةً فِي شِعْرِهِ الْقَلِيلِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا، وَمِنْهُ وَصَفُ لِنَهْرٍ سَرَقُسْطَةَ
 فِي رِحْلَةٍ بِمَرْكَبٍ مَعَ الْمُسْتَعِينِ ابْنِ هُودَ يَوْمًا، فَقَالَ ابْنُ حَسْدَايَ أَبْيَاتًا مِنْهَا^(١): [لبسيط]
 اللَّهُ يَوْمٌ أَنْبَقُ وَأَضِحُ الْغُرَرُ مِنْ جَانِبَيْهِ لِمَنْظُومٍ^(٢) وَمُنْتَهَرٍ
 نَسِيرُ فِي زُورَقٍ حَفَّ السَّيْفُ^(٣) بِهِ صَيْدًا كَمَا ظَفَرَ الْغَوَاصُ بِالْذَّرَرِ
 تُثَارُ مِنْ قَعْرِهِ النَّيَّانُ^(٤) مُصْعِدَةً كَالرَّيْقِ يَغْدُبُ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ
 وَلِلنَّدَامَى بِهِ عَبٌّ وَمُرْتَشَفٌ
 وَقَدْ عَبَّرَ ابْنُ حَسْدَايَ عَنْ نَفْسِهِ وَطُمُوحَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ فِي مَدْحِهِ لِأَحَدِهِمْ^(٥): [لرمل]
 جُمْلَةٌ مِنِّي وَلَا حَاجَةٌ لِي فِي حَدِيثِي أَنْ أَطِيلَ الْقَصَصَا
 أَبَدًا تَقْنُصُ أَطْيَارَ الْعُلَا مُسْتَفِيدًا فَاتَّخِذْنِي قَتَصَا
 وَانْتَرِ الْحَبَّ فَإِنِّي طَائِرٌ غَرْدٌ لَا أَتَعَدَّى الْقَفَصَا
 وَلَمْ تَأْتِ الْمَصَادِرُ بِكَثِيرٍ عَنْهُ وَعَنْ أَخْلَاقِهِ لَكِنْ تَظْهَرُ فِي الْأَبْيَاتِ صِفَةُ الْوَلَاءِ، وَحِفْظُ الْجَمِيلِ.
 وَلَمْ تَغِبِ الْحِكْمَةُ مِنْ شِعْرِ ابْنِ حَسْدَايَ لَكِنَّهَا جَاءَتْ بِقَلَّةٍ، وَمِنْهَا^(٦): [نوفر]
 خَضَعْتُ وَلَمْ أَهِنْ ضَعْفًا وَعَجْزًا وَصَحَّ الرَّأْيُ حِينَ فَهِمْتُ مَعْزَا
 وَلَمْ أَظْعَنْ عَنِ الْأَوْطَانِ حَتَّى عَدَوْتُ الْمُسْتَضَامَ بِهَا الْمُرْزَا
 فَأَلْقَيْتُ الْعَصَا فِي خَيْرِ أَرْضٍ وَلَدْتُ بِخَيْرِ مَنْ فِي الْمَجْدِ يُعْزَا
 غَدَانِي وَإِلَّ فَاَصَابَ طَلٌّ أَلَا إِلَّا يَكُنْ إِبِلٌ فَمَعْزَا
 فَخَفَضُ الْعَيْشِ فِي دَعَا وَأَمْنٍ نِهَائِيَّةٌ مَا يُفِيدُ غَنَى وَعِزَا
 وَنَظَّمَ فِي الشَّعْرِ الرَّمْزِيَّ وَمِنْهُ أَبْيَاتٌ عَلَى لِسَانِ النَّزَّاجِسِ فِي رِسَالَةٍ، مِنْهَا^(٧): [لطويل]
 وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا فُرْصَةٌ يَسْتَدِيمُهَا الـ أَبْيَبُ بِأَثَمَارِ السُّرُورِ فَيُمْتَعُ
 فَبَادِرُ زَمَانِ الْأَنْسِ وَأَعْمُرُ جَنَابُهُ فَرَاهِرُهُ رَبَّانٍ بِالْحُسْنِ يُنْزَعُ
 وَلَا تَمُطِلِ اللَّذَاتِ عُمْرَكَ مِثْلَمَا يُسَوِّفُ بِالذَّيْنِ الْعَرِيمِ وَيُدْفَعُ

١ - انظر: ابن خاقان قلائد العقيان ٣، ج ٢، ٥٥٠-٥٥١؛ الأصفهاني خريدة القصر ٤، ج ٢، ٤٨٢؛ ابن بسام النخيرة ٣، م ١، ٤٩٣-٤٩٤؛
 المقرئ تفتح الطيب ١٧٤/٢، ٢٣٦-٢٣٥.
 ٢ - حَفَّ السُّرُورُ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .
 ٣ - بِمَنْظُومٍ فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَانِ وَتَفْحِ الطَّيِّبِ .
 ٤ - صَادَ مِنْ قَعْرِهِ فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَانِ وَثُصَادُ مِنْ قَعْرِهِ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .
 ٥ - ابن بسام النخيرة ٣، م ١، ٤٨٧-٤٨٨.
 ٦ - ابن خاقان قلائد العقيان ٣، ج ٢، ٥٤٧.
 ٧ - ابن بسام النخيرة ٣، م ١، ٤٨٦.

٦- إخوانيَّاته ومعارضاته :

كان لأبي الفضل بن حسداي أثرٌ واضحٌ في نظم إخوانيَّاتٍ أو معارضاتٍ، فجرت معارضاتٌ ومراسلاتٌ بينه وبين بعض الشعراء منها حين كان في ضيافة بعض إخوانه أيام عيد الأضحى بحصن روضة، وارتفع الطعام ولم تحضر المدام، فنظم أبياتاً لرب المنزل ابن المرشاني يطلبها، فلما وصل إلى منزله بعث إليه ابن المرشاني بما طلب ومعه أبيات يعارضها^(١). ومر في البحث ذكر لأبيات نظمها، فردَّ عليها ابن الفخار ببيتين، ثم كتب بعدهما أبياتاً يدعوها فيها إلى الإسلام^(٢)، وقد كانت بينه وبين أبي عامر بن الفرج مراسلات، فكتب له أبياتاً يطلب منه دواءً ليعالج به خراجاً عنده^(٣)، فأجابته أبو الفضل بأبياتٍ شعريَّة^(٤). وجرت مراسلاتٌ بينه وبين أبي عامر بن الفرج، وله أبيات في العتاب للوزير أبي محمد بن سفيان^(٥).

كانت السهولة واضحة في إخوانيَّات ابن حسداي سواءً أكانت منه أو إليه. ولم يظهر فيها اهتمامٌ بتخيير الألفاظ أو العناية بالصُّور. كما يلاحظ في ما وُجِّه إليه منها أنها كانت تخاطب مركزه ونفوده كثيراً، وتطلب عونه، وأحياناً علمه ومعرفةً بالطب. فلم تكن معارضةً فنيَّةً بقدر ما كانت حوماً في دائرة الوزير للاستفادة من سلطته.

وابن حسداي أشهر اليهود الذين عورضت أشعارهم، فعارضوا قصيدته التي أولها^(٦): [لسيط]
عهدُ اللبنى تقاضته الأمانياتُ باتت وما قضيت منها لبانات^(٧)

عارضها أبو طاهر الأشكركي^(٨)، بقوله^(٩): [لسيط]

- ١ - انظر: ابن بسام النخيرة ق ٣، م ١/٤٨٩ .
- ٢ - انظر: ابن خميس الملقى أدباء مائة ص ٢٨١ .
- ٣ - انظر: ابن بسام النخيرة ق ٣، م ١/٤٨٦ - ٤٨٧ .
- ٤ - نفسه والصفحة نفسها .
- ٥ - انظر: ابن خاقان قلاند العفاني ق ٢، ج ٢/ص ٢٥٤؛ ابن بسام النخيرة ق ٣، م ١/٤٩٢ - ٤٩٣ .
- ٦ - ابن خاقان قلاند العفاني ق ٣، ج ٢/ص ٥٤٦ - ٥٤٧؛ ابن بسام النخيرة ق ٣، م ١/٤٩٢؛ ابن دحية المطرِب ص ١٩٦؛ المقرئ تفتح الطبيب ١٧٢/٢ . قال ابن خاقان عن الأبيات: إنها مما لا يرجى له لحاقٌ ولا يغنى ثَمَامَةٌ محاقٌ، وأنه أطلعها نيرةً، وترك الألباب منها متخيرةً .
- ٧ - اللبانات: الحاجات من غير فاقة . ابن منظور لسان العرب [لبن] ٣٧٧/١٣ .
- ٨ - هو: أبو طاهر محمد بن يوسف الأشكركي الاشركوي؛ إمام في علم اللغة، صحبه عمى، كان له مكانة عند بني هود وغيرهم من ملوك الطوائف، وأكثر أمداً في المعتصم بن صمادح ملك المريَّة، توفي ٥٢٠ هـ. يرى شوقي ضيف أنه هو المذكور في البغية للسيوطي تحت اسم يوسف بن محمد السراقسطي الضرير . انظر: ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٢/٩١٢؛ ابن سَعِيد المغرب ٤٤٧/٢ - ٤٤٨؛ جلال الدين السيوطي بغية الوعاة ٢٧٩/١؛ ابن بسكوال الصلة ص ٦٢١ .
- ٩ - ابن خاقان قلاند العفاني ق ٣، ج ٢/ص ٥٤٦ - ٥٤٧؛ ابن بسام النخيرة ق ٣، م ١/٤٩٢، ق ٣، م ٢/٩١٢ .

وَعَدُّ لِعَلْوَةٍ أَنْ تَقْضِيَ لِبَنَاتٍ
 أَلَوْتُ^(١) بِهَا يَوْمَ وَشَكِّ الْبَيْنِ
 وَالْأَشْكَورِ كَيْ كَانَ مُلَازِمًا لِمُلُوكِ بَنِي هُودٍ إِذَا أَرَى أَنَّ الْمُعَارَضَتَهُ جَاءَتْ لِلدَّوَرَانِ فِي فَلَكَ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ
 أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهَا تَأْتِرًا بِشِعْرِ الْوَزِيرِ، وَقَدْ يَضَعُهَا الْبَعْضُ مَعَ الْإِخْوَانِيَّاتِ، فَالْمُعَارَضَةُ -حَسَبَ مَا أَرَى- سِيَاسِيَّةٌ
 تَهْدِفُ إِلَى الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ سُلْطَةِ الْيَهُودِيِّ لَيْسَ إِلَّا، وَالْقَصِيدَةُ الْمُعَارَضَةُ عَادِيَّةٌ وَلَيْسَتْ تُمَوِّدُجًا مُتَقَوِّيًا أَوْ
 مُتَمَيِّزًا، وَتَمْتَنِزُ بِسُهُولَةِ التَّعْبِيرِ وَهَذَا وَاضِحٌ مَثَلًا فِي الْبَيْتَيْنِ الْآخِرَيْنِ^(٢): [بسيط]
 لَعَلَّ عَثَبَ اللَّيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَيَّ
 عَثْبِي، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ أَوْطَارُ وَلَدَاتِ
 حَتَّى نَفُوزَ بِمَا جَادَ الْخَيَالُ لَنَا
 قُرْبَمَا صَدَقَتْ تِلْكَ الْمَنَامَاتُ
 وَسَمِعَ ابْنُ حَسْدَايَ قَصِيدَةَ الْحَكِيمِ الْمِصْرِيِّ "تَوْرِيدُ خَدِّكَ لِلْأَحْدَاقِ لَدَاتُ" فَعَارَضَهَا^(٣): [بسيط]
 تَوْرِيدُ خَدِّكَ لِلْأَحْدَاقِ لَدَاتُ
 عَلَيْهِ مِنْ عَثَبِ الْأَصْدَاغِ لَامَاتُ
 وَقَالَ ابْنُ دِحْيَةَ إِنَّهُ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ إِدْرِيسَ بْنِ الْيَمَّانِ (ت: ٤٧٠ هـ)^(٤)، مِنْ جَزِيرَةِ
 يَابِسَةَ، مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَمْدَحُ بِهَا إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ مُجَاهِدًا (ت: ٤٧٤ هـ)^(٥) بِقَوْلِهِ^(٦): [تكميل]
 ثَقُلْتُ زَجَاجَاتُ أَتْنَتَا فَرَّغَا
 حَتَّى إِذَا مَلِئْتُ بِصَرْفِ الرَّاحِ
 خَفَّتْ فَكَادَتْ تَسْتَطِيرُ بِمَا حَوَتْ
 وَكَذَا الْجُسُومُ تَخِفُ بِالْأَرْوَاحِ
 وَتَخَلَّ الشَّاعِرُ الْجَزَارُ السَّرَقَسْطِيُّ (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ)^(٧) قَصْرَ سَرَقَسْطَةَ يَوْمًا مَعَ الْجَزَارِيِّينَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِمْ،
 فَأَبْصَرَهُ الْوَزِيرُ ابْنُ حَسْدَايَ وَاعْتَرَضَهُ، وَقِيلَ إِنَّ ابْنَ هُودٍ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ أَنْ يُوَبِّخَ

- ١ - أَلَوْتُ: اشْتَدَّتْ خُصُومَتُهَا . ابن منظور لسان العرب [لوي] ٢٦٦/١٥ .
- ٢ - ابن خاقان قَلَانِدُ الْعَفْيَانِ ق ٣، ج ٢/ص ٥٤٧؛ ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٩٢، ق ٣، م ٢/٩١٢ .
- ٣ - ابن خاقان قَلَانِدُ الْعَفْيَانِ ق ٣، ج ٢/ص ٥٤٧؛ الْأَصْفَهَانِيُّ خَرِيدَةُ الْقَصْرِ ق ٤، ج ٢/٤٨٠ - ٤٨١؛ ابن دِحْيَةَ الْمُطَرِّبِ ص ١٩٦؛ الْمُقَرِّي تَفْخُ الطَّيْبِ ١٧٢/٢، ٢٦٢/٤ .
- ٤ - هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو عَلِيٍّ إِدْرِيسُ بْنُ الْيَمَّانِ الْعَبْدِيُّ الْيَابِسِيُّ أَطَالَ الْإِقَامَةَ فِي جَزِيرَةِ يَابِسَةَ مِنَ الْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ حَتَّى عُرِفَ بِهَا، وَلَهُ أَمْدَاخٌ كَثِيرَةٌ فِي مُلُوكِ الطَّوَائِفِ، وَكَانَ لَا يَمْدَحُ أَحَدًا إِلَّا بِشَرِطٍ أَنْ يَدْفَعَ لَهُ مِائَةَ دِينَارٍ عَلَى الْقَصِيدَةِ. وَفَاتَهُ سَنَةَ ٤٧٠ هـ، وَقَالَ ابْنُ الْأَبَّارِ سَنَةَ ٤٥٠ هـ .
- انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٣٣٦ - ٣٦٠؛ ابن دِحْيَةَ الْمُطَرِّبِ ص ١٣٠، ١٩٦ - ١٩٧؛ ابن الْأَبَّارِ التُّكْمَلَةُ ١/١٦٣؛ ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٤٠٠/١؛ زَلَيَاتُ الْمُبَرِّزِينَ ٢٢٩ - ٢٣٠؛ الْمُقَرِّي تَفْخُ الطَّيْبِ ٢٢٢/٥ - ٢٢٣ .
- ٥ - هُوَ: عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ بْنُ يُونُسَ بْنِ عَلِيٍّ الْعَامِرِيُّ، صَاحِبُ دَانِيَّةٍ، وَالِدُهُ مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ فِي دَانِيَّةٍ وَمَيُورَقَّةٍ وَأَطْرَافِهِمَا، وَفِي الْأَصْلِ وَلَدَ بِفَرْطَبَةِ وَكَانَ مَوْلَى رُومِيًّا رَآهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَعَلَّمَهُ مَعَ مَوَالِيهِ فَتَسَبَّبَ إِلَيْهِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٣٦ هـ، فَقَوْلِي ابْنَهُ عَلِيٌّ هَذَا وَتَسَمَّى إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ وَأَصْهَرَ إِلَى الْمُقَتَّدِرِ بْنِ هُودٍ، وَتَلَقَّبَ بِالْوَائِقِ، اشتهر بِحُبِّهِ لِلْعِلْمِ وَلِأَهْلِ الْعِلْمِ . انْظُرْ: عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَرَّاكُشِيُّ الْمُعْجَبُ ص ٧٤؛ ابن عِدَارِي الْمَرَّاكُشِيُّ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ٣/١٥٥ - ١٥٨؛ ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/٤٠١ - ٤٠٢؛ ابن خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٢١١/٤ .
- ٦ - ابن دِحْيَةَ الْمُطَرِّبِ ص ١٩٦ .
- ٧ - هُوَ: أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَزَارِيُّ السَّرَقَسْطِيُّ، تَارَةً يُقَلَّبُ بِالْجَزَارِ، وَأُخْرَى بِابْنِ الْجَزَارِ، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ إِنَّ أَبَاهُ كَانَ فَلَاحًا مَعْمُورًا فَقَبِرَ الْخَالِ وَالزَّاجِحُ أَنْ يَكُونَ اللَّقَبُ لَهُ لَا لِأَبِيهِ لِمَا صَحَّ مِنْ أَنَّهُ كَانَتْ مِهْنَتُهُ الْجَزَارَةَ فَانْتَسَبَ لَهَا. لَمْ أَعُثِرْ عَلَى مَعْلُومَاتٍ عَنْ حَيَاتِهِ الْأُولَى وَنَشَأَتِهِ وَأَسْرَتِهِ، وَجُهِلَ تَارِيخُ وَفَاتِهِ، فَضْلًا عَنْ وَلَدِيَّتِهِ، اِكْتَفَى ابْنُ سَعِيدٍ بِأَنْ جَعَلَهُ مِنْ شُعْرَاءِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ لِلْهَجْرَةِ. وَلَا يُعْرَفُ مَتَى عَمَلَ بِالْجَزَارَةِ وَمَتَى عَدَلَ عَنْهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا ثَانِيَةً . انْظُرْ: ابن الْأَبَّارِ التُّكْمَلَةُ ٢/٢٥، ٩٥؛ ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ٢/٩٠٥ - ٩٠٨؛ ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/٤٤٥، الْمُقَرِّي تَفْخُ الطَّيْبِ ٢٩١/٥ - ٢٩٢ .

الْجَزَارَ عَلَى تَرْكِهِ الشَّعْرَ إِلَى الْجَزَارَةِ فَقَالَ لَهُ^(١) : [لوفر]
تَرَكْتَ الشَّعْرَ مِنْ ضَعْفِ الْإِصَابَةِ^(٢) وَعُدْتَ إِلَى التَّحَرُّفِ بِالْقِصَابَةِ^(٣)

فَأَجَابَهُ الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ عَنْ مِهْنَةِ الْجَزَارَةِ مِنْهَا^(٤) : [لوفر]
تَعِيبُ عَلَيَّ مَالُوفُ الْقِصَابَةِ وَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدْرَ الشَّيْءِ عَابَهُ

وَلَمْ يَقِفْ أَثَرُ حَسْدَايَ عِنْدَ هَذِهِ، فَبَعْدَ قَصِيدَةِ الْقِصَابَةِ كَتَبَ الْجَزَارُ إِلَيْهِ أُخْرَى مِنْهَا^(٥) : [لطويل]
أَبَا الْفَضْلِ لَا تَرْتَبْ بِفَضْلِكَ إِنِّي حَفَزْتُكَ وَالْمُضْطَرُّ يُعْذِرُ فِي الْحَفَزِ^(٦)

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا^(٧) : [لطويل]
لَعَمْرِي لَقَدْ طَبَّقْتَ فِي الشَّعْرِ مِفْصَلًا أَتَيْتَ بِهِ عَفْوًا وَأَقْلَلْتَ فِي الْحَزِّ^(٨)

فَرَا جَعَهُ الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ قَائِلًا^(٩) : [لطويل]
وَإِنِّي لَذُو بَزٍّ مِنَ الْحَمْدِ طَرَزُهُ فَمَالِي أَرَاكَ الْيَوْمَ تَزْهَدُ فِي بَزِّي

وَقَدْ عَلَّقَ ابْنُ مَطْرُوحٍ السَّرْقَسْطِيُّ (ت: ٦٠٦هـ) مُصَنَّفُ دِيوَانِ الْجَزَارِ السَّرْقَسْطِيِّ عَلَى الْقَصِيدَةِ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ أَبَا بَكْرَ الْجَزَارَ اخْتَلَفَ فِي قَصِيدَتِهِ فِي الْقِصَابَةِ وَأَبْلَغَ، وَوَصَلَ بِهَا الْعَايَةَ الْقُصْوَى مِنَ الْقِصَابَةِ وَبَلَغَ، وَنَزَعَ فِيهَا مَنَزَعًا رَشِيقًا نَبِيلًا، وَسَلَكَ مِنَ الْجَدِّ وَالْهَزْلِ سَبِيلًا، وَوَصَفَ فِيهَا قِصَابَتَهُ، وَمَدَحَ جَمَاعَتَهُ وَعِصَابَتَهُ، وَنَعَتَهُمْ بِالْبَسَالَةِ وَالنَّجَابَةِ، وَفَضَّلَ صِنَاعَتَهُمْ عَلَى الْجَبَابَةِ، فَطَوَّرًا يَمْدَحُهُمْ وَيَذُمُّهُمْ تَارَةً، وَائِنَّةً تُصْرِيحًا، وَائِنَّةً إِشَارَةً، فَفِي بَيْتٍ يَصِفُهُمْ بِطَهَارَةِ الْجَلْبَابِ، وَفِي آخَرٍ يَجْعَلُهُمْ مَقْرَأًا لِلدُّبَابِ، وَفِي ثَالِثٍ يَنْشُرُ لَهُمْ مَحَاسِنَ فِي النَّاسِ، وَيَصِفُهُمْ بِالْقُدَارَةِ وَالْأَدْنَسِ. وَهَذِهِ نِهَايَةُ الْبَلِيغِ الْمَشْحُودِ الْفِكْرِ، وَغَايَةُ الْأَدِيبِ الْكَثِيرِ الذِّكْرِ، أَنْ يَمْدَحَ وَيَذِمَّ مَعًا إِذَا شَاءَ، وَيُجِيدُ السَّبْكَ وَالْإِنْشَاءَ، وَيُنْشِئُ لِلْكَامِلِ مِنَ النِّقْصَانِ صُورَةً، وَيَدْعُ الْمَحَاسِنَ عَلَى الْخَسْبِ مَوْفُوقَةً مَقْصُورَةً، وَهَذَا أَمْرٌ عَسِيرُ الْأَطْرَادِ إِلَّا عَلَى الْمَهَرَّةِ الْأَفْرَادِ"^(١٠). وفي تعليق ابن مَطْرُوحٍ هَذَا اخْتِصَارٌ لِمَوْضُوعِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي طَعَتْ عَلَيْهَا

١ - الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَحَاسِنِ وَغَمْدَةُ الْمَحَاسِنِ ص ١٥٦؛ ابن بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٩٠٥/٢؛ ابن سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٤٤٥/٢؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٩١/٥.

٢ - قِلَّةٌ بِغَيْرِ تَضْعِيفٍ لِيَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ فِي الدِّيْوَانِ. وَمِنْ ضَعْفٍ فِي الدُّخَيْرَةِ وَالْمَغْرِبِ، وَمِنْ عَدَمٍ فِي زَادِ الْمُسَافِرِ وَ تَفْحُ الطَّيِّبِ.

٣ - إِلَى الدَّعَاةِ وَالْقِصَابَةِ فِي الدُّخَيْرَةِ وَالْمَغْرِبِ، وَمِلَتْ فِي زَادِ الْمُسَافِرِ، وَ إِلَى التَّجَارَةِ فِي تَفْحُ الطَّيِّبِ.

٤ - الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَحَاسِنِ وَغَمْدَةُ الْمَحَاسِنِ ص ١٥٧؛ ابن بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٩٠٥/٢؛ صفوان ابن إدريس زَادِ الْمُسَافِرِ ص ١٤٠؛ ابن سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٤٤٥/٢. الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٩١/٥. وَالْقَصِيدَةُ مُثَبَّتَةٌ فِي الْمَلْحَقِ.

٥ - الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَحَاسِنِ وَغَمْدَةُ الْمَحَاسِنِ ص ١٦٣.

٦ - الْحَفَزُ: الْحَثُّ وَالِاسْتِعْجَالُ. ابن مَنْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [حَفَزَ] ٣٣٧/٥.

٧ - الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَحَاسِنِ وَغَمْدَةُ الْمَحَاسِنِ ص ١٦٣.

٨ - الْحَزُّ: الْقَطْعُ فِي عِلَاجٍ، وَقِيلَ: هُوَ فِي اللَّحْمِ مَا كَانَ غَيْرَ بَائِنٍ. ابن مَنْظُور لِسَانُ الْعَرَبِ [حَزَزَ] ٣٣٤/٥.

٩ - الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَحَاسِنِ وَغَمْدَةُ الْمَحَاسِنِ ص ١٦٤.

١٠ - نَفْسُهُ ص ١٦٤-١٦٥.

الْفَاظُ الْجَزَارِيْنَ، وَمِنْهَا: "الْقِصَابَةُ، كَلْبٌ، هَزْبَرٌ، الْأَوْضَامُ" (١)، وَهَرٌ، كَاسِرٌ نَابَةٌ، بَنِي الْعَنْزِيَّ، جَمَلٌ،
بِالشَّقَارِ، قَفَاهُ، قَرِيْبَاهُ (٢) وَمَزَقْنَا إِهَابَهُ، الثَّوْرِيَّ، لَعَابَهُ، نُزِيْقُ دَمًا، وَمَنْ نَقْتُلُهُ، سَوَاطِرِنَا (٣)، قِصَابَتِهِ، وَأَنْشَبَ
ظُفْرَهُ فِيهِ وَنَابَهُ، مُفْتَرِسًا ذِنَابَهُ، نَصَبْتُ لِلْوَمِ شِرْكَ، لَهَا، صُ نَابَةٌ (٤)، هَرَقْتُ....".

وَلَمْ يَظْهَرْ أَثَرٌ لِلْيَهُودِ عَلَى الشَّاعِرِ فِيهَا بِمَقْدَارِ مَا ظَهَرَ تَأَثُّرُهُ بِمِهْنَتِهِ، أَوْ بِمَقْدَارِ تَأَثُّرِهِ بِالشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ
الْقَدِيمِ كَتَأَثُّرِهِ بِشِعْرِ عَمْرُو بْنِ كُلْثُومٍ مَثَلًا فِي قَوْلِهِ (٥): [لوفر]

إِذَا طَلَعَ الْوَلِيدُ لَنَا رَضِيْعًا رَأَيْتَ بِوَجْهِهِ سَيِّمًا النَّجَابَةَ
وَإِنْ بَلَغَ الْفِطَامَ فَذَاكَ لَيْثٌ هَزْبَرٌ كَاسِرٌ لِلْحَرْبِ نَابَةٌ

وَبَدَا تَأَثُّرُهُ بِأَبِي تَمَّامٍ بِقَوْلِهِ: "وَجِدُّ السَّيْفِ لَا جِدُّ الْكِتَابَةِ"، وَأَشْبَهَ أَبَا ذُوَيْبٍ الْهُذَلِيَّ فِي: "وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ
أَظْفَارَهَا" (٦) بِقَوْلِهِ: إِنَّ الدَّهْرُ "أَنْشَبَ ظُفْرَهُ فِيهِ وَنَابَهُ". إِلَّا أَنَّ هَذَا التَّقْلِيدَ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَبْيَاتِ كَافَّةً، وَلَمْ يُلْغِ قُدْرَةً
عَلَى نَظْمِ الشَّعْرِ، سَاعَدَتْهُ عَلَى صِيَاغَةِ أَمْنِيَّتِهِ بِصُورَةٍ جَمِيلَةٍ جَعَلَتْ رَحْمَ التَّأْدِبِ يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْكَاتِبِ
بِقَوْلِهِ (٧): [لوفر]

وَصِلَ رَحْمَ التَّأْدِبِ بِالْأَمَانِي فَإِنَّ ذِمَّامَهُ أَدْنَى قَرَابَةٍ
تَأَلَّفْنَا عَلَى نَسَبٍ كَرِيمٍ قَبَابُ الشَّعْرِ مِنْ بَابِ الْكِتَابَةِ

وَإِنْ بَدَا تَأَثُّرٌ بِالْيَهُودِ فِي الْجُوءِ إِلَى هَذَا الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ صَاحِبِ السُّلْطَةِ بِقَوْلِهِ (٨): [لوفر]
"أَبَا الْفَضْلِ" الْوَزِيرَ أَجَبَ فَفَضْلُكَ ضَامِنٌ عَنْكَ الْإِجَابَةِ

وَبَدَا تَأَثُّرُهُ مِنَ هَذِهِ الْمَعَارِضَةِ بِقَوْلِ الْجَزَارِيِّ السَّرْقَسْطِيِّ طَامِعًا فِي عَطَائِهِ (٩): [لوفر]
مَتَى أَمْدَحُ أَشِدَّ مَجْدًا أَثِيْلًا يَدُ الْأَيَّامِ لَا تَمْضِي خَرَابَةً
فَأَنْتَ أَحَقُّ مَسْئُؤُولٍ بِقُصْدِي وَأَفْضَلُ مَنْ قَرَعْتَ عَلَيْهِ بَابَهُ
وَقَدْ صَيَّرْتَ مَا أَشْكُو كِتَابًا فَصَيَّرَ مَا تَجُودُ بِهِ جَوَابَهُ
وَالْإِلَّا فُرْصَةً مِنْكُمْ عَسَى أَنْ يُقَالَ: لَقَدْ مَلَأَ يَحْيَى جَرَابَهُ
دَعَاكَ دُعَاءَ مُضْطَرٍّ غَرِيْقٍ وَيَرْجُو أَنْ دَعْوَتُهُ مُجَابَةً
إِذَا انْتَخَبَ الْعَظِيمُ لِكُشْفِ جُلَى وَتَبْلِيغِ الْمَتَى كُنْتَ انْتِخَابَهُ

- ١ - الْأَوْضَامُ : جَمْعُ الْوَضْمِ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ يُوَضَعُ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنْ خَشَبٍ وَنَحْوِهِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [وضم] ٦٤٠/١٢ .
- ٢ - فَرَى الشَّيْءَ : شَقَّه وَأَفْسَدَهُ . ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [فرا] ١٥٢/١٥ .
- ٣ - سَوَاطِرِنَا : جَمْعُ سَاطُورٍ وَهُوَ سَيْفُ الْقِصَابِ . ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [سطر] ٣٦٣/٤ .
- ٤ - الصَّنَابِيءُ مِنَ الْإِبِلِ: الَّذِي لَوْنُهُ مِنَ الْحُمْرَةِ وَالصُّفْرِ، مَعَ كَثْرَةِ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ . ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [صنب] ٥٣١/١ .
- ٥ - الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَخَاسِنِ وَغُنْدَةُ الْمَخَاسِنِ ص ١٥٧ .
- ٦ - انْظُرْ: الْمُفَضَّلُ الضُّبِّيُّ الْمُفَضَّلِيَّاتُ ص ٤٢٢؛ الْقُرَشِيُّ جَمْهَرَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ص ٣١٤؛ يَأْقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٨٨/١١ .
- ٧ - نَفْسُهُ ص ١٦٢ .
- ٨ - الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَخَاسِنِ وَغُنْدَةُ الْمَخَاسِنِ ص ١٥٩؛ الْمُقَرِّيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٩٢/٥ .
- ٩ - الْجَزَارُ السَّرْقَسْطِيُّ رَوْضَةُ الْمَخَاسِنِ وَغُنْدَةُ الْمَخَاسِنِ ص ١٦١-١٦٢ .

وَمَنْ تَكُ سَهْمُهُ الْمَاضِي وَيَأْمَلُ بِكَ الْغَرَضَ الَّذِي يَهْوَى، أَصَابَهُ

فَالْمُعَارَضَةُ لَمْ تَكُنْ مُعَارَضَةً أَدَبِيَّةً بِمِقْدَارِ مَا كَانَتْ تَكْسِبُهَا وَاضِحًا وَطَمَعًا فِي عَطَائِهِ.
كَمَا أَنَّ اهْتِمَامَ أَبِي الْفَضْلِ بِالشَّعْرِ جَعَلَ الشُّعْرَاءَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ كَأَبِي الْحَسَنِ الْحَصْرِيِّ
الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهِ شَاكِيًا بِخُلِّ صِهْرِهِ ابْنِ عِيَّاشٍ الْيَهُودِيِّ^(١). وَحِينَ اعْتُقِلَ ابْنُ عَمَّارٍ فِي شَقُورَةٍ، كَتَبَ إِلَى ابْنِ
حَسَدَايَ رِسَالَةً يَصِفُ فِيهَا مَوْقِعَ اعْتِقَالِهِ، وَيَطْلُبُ نَجْدَتَهُ لِفَكَ اسْرِهِ^(٢).
وَلَمْ يَظْهَرْ أَيُّ أَثَرٍ لِيَهُودِيَّةِ أَبِي الْفَضْلِ ابْنِ حَسَدَايَ فِي كُلِّ هَذِهِ الْإِخْوَانِيَّاتِ وَالْمُعَارَضَاتِ سِوَاءِ فِيهَا
مَا كَانَ مِنْهُ أَوْ إِلَيْهِ. بَلْ بَدَأَ تَقْلِيدُ لِلنَّمُودَجِ الْعَرَبِيِّ وَاضِحًا.

٧- دِرَاسَةُ مِثَالٍ مِنْ شِعْرِهِ :

لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا كَثِيرٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسَدَايَ رُغْمَ اعْتِرَافِ ابْنِ بَسَّامٍ وَغَيْرِهِ بِوُجُودِ شِعْرِ
كَثِيرٍ جَيِّدٍ لَهُ، وَمُعْظَمُ مَا أَنْبَأَتْهُ الْمَصَادِرُ لَهُ قَلِيلٌ، هُوَ مُقْطَعَاتٌ أَوْ أَبْيَاتٌ قَلِيلَةٌ مِنْ قَصَائِدِهِ مِمَّا صَعَّبَ أَمْرَ
اخْتِيارِ قَصِيدَةٍ لِدِرَاسَتِهَا لِتَكُونَ مِثَالًا عَلَى شِعْرِهِ. وَاخْتَرْتُ أَطْوَلَ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي "الدَّخِيرَةِ" وَهِيَ فِي مَذْحِ
مَنْ كُنَيْتُهُ أَبُو عَيْسَى يَبْدُوها بِقَوْلِهِ^(٣): [لبسيط]

يَا صَاحِبِي سَلَا هَلْ سَأَلَ نَعْمَانُ^(٤) بَعْدِي وَأُورِقَ فِيهِ الْطَّلَحُ^(٥)

فَبَدَأَهَا بِمُخَاطَبَةِ صَاحِبِيهِ وَالسُّؤَالِ عَنِ الدِّيَارِ كَعَادَةِ الْجَاهِلِيِّينَ، وَذَكَرَ الطَّلَحَ وَالْبَانَ وَحَيَّا الْخِيَامَ، وَطَوَى
الْمَرَاحِلَ، وَذَكَرَ الْحُدَاةَ بِالْفَافِ تَكَرَّرَتْ فِي شِعْرِ الْقُدَمَاءِ فَقَالَ^(٦): [لبسيط]

حَيَّ الْخِيَامَ فَلِي فِي الْحَيِّ انِسَةٌ وَافَرَ السَّلَامَ فَلِي بِالْجُرْعِ^(٧) إِخْوَانُ
تَسِيرُ نَفْسِي إِلَيْهِمْ وَالْحُدَاةَ بِهَا هَوَى وَشَوْقٌ وَتَأْمِيلٌ وَإِدْعَانُ

١ - ابن بَسَّامِ الدَّخِيرَةُ ق ٤، ٢٥٤/١ م، وَسَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي الْبَحْثِ : ص ١٦٤ .

٢ - انْظُرْ: ابن خَاقَانَ قَلَالَةُ الْعُقَيَّانِ ق ٢، ج ١/ص ٢٧٤ ، وَسَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي الْبَحْثِ : ص ١٦٣ .

٣ - ابن بَسَّامِ الدَّخِيرَةُ ق ٣، ٤٨٨/١ م .

٤ - نَعْمَانُ : بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ، وَهُوَ نَعْمَانُ الْأَرَاكِ وَادٍ يَبْنُوهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَفِيهِ قَالَ مَجْلُونٌ لَيْلَى: [الطويل]

نُسَائِلُكُمْ هَلْ سَأَلَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا وَحُبُّ الْيَنَّا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا

انْظُرْ: أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ الْأَغَانِي ٧١/٢، يَأْفُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٩٣/٥ .

٥ - الطَّلَحُ: شَجَرَةٌ حَازِيَّةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ يَسْتَقِلُّ بِهَا النَّاسُ وَالْإِبِلُ. ابن مَنْظُورُ لِسَانُ الْعَرَبِ [طلح] ٥٣٢/٢ .

٦ - ابن بَسَّامِ الدَّخِيرَةُ ق ٣، ٤٨٨/١ م .

٧ - الْجُرْعُ : مَكَانٌ يَسْتَدِيرُ وَيَتَسَعُّ مِنَ الْوَادِي وَيَكُونُ فِيهِ شَجَرٌ، وَجُرْعُ الْقَوْمِ: مَحَلُّهُمْ . ابن مَنْظُورُ لِسَانُ الْعَرَبِ [جرع] ٤٨/٨ .

وَقَدْ يَكُونُ الْجُرْعُ مَكَانًا لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْيَهُودِ؛ فَفِي شِعْرِ يُنسَبُ إِلَى الْأَخْطَلِ يَقُولُ: [الكامل]

فَبَحَّ الْإِلَهِ مِنَ الْيَهُودِ عَصَابَةً بِالْجُرْعِ بَيْنَ حُلَيْجِلٍ وَصَحَارِ

لَعَنَ الْإِلَهِ مِنَ الْيَهُودِ عَصَابَةً بِالْجُرْعِ بَيْنَ صُلَيْصِلٍ وَصَدَارِ

وَعِنْدَ الْمَعْرِيِّ: [البسيط]: يَا سَاهَرَ الْبَرْقِ أَيْقِظْ رَافِدَ السُّمْرِ لَعْلَ بِالْجُرْعِ أَعْوَانًا عَلَى السَّهْرِ انْظُرْ: أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ الْأَغَانِي

١٥/١٠٤، ١٦/٤٣؛ يَأْفُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٩٠/٢؛ ابن حُجَّةُ الْحَمَوِيُّ خَزَانَةُ الْأَدَبِ ٢٠/١، ٢/٣١٩ .

أَطْرَى الْمَرَّاجِلَ لَا أَلْوِي عَلَى وَطَرٍ يُشْجِي وَلَوْ ذُكِّرَتْ بِالْعَهْدِ أَوْطَانُ
وَضَهَرَتْ أَسْمَاءُ أَمَاكِنَ تَكَرَّرَتْ عِنْدَ الْقَدَمَاءِ كَنَعَمَانَ وَجُلُقَ وَالنَّهْرَيْنِ ۝ وَتَيْمَاءَ وَمِنْهَا ^(١) : [لَبْسِي]
أَرْضُ بَ ۝ جُلُقَ وَالنَّهْرَيْنِ ۝ مُونِقَةً أَرْضُ نَضَّةً كُلَّهَا قَصْرٌ وَبُسْتَانُ
حَتَّى يَمَهِّدَنِي قَطْرُ قَرَارَتِهِ تَيْمَاءَ وَالْهَضْبَةَ الْعَلْيَاءَ عُمَرَانُ
وَالْدِّيَارُ أُمَسَتْ خَلَاءَ فِي مَعَاهِدِهَا وَخَلَّتْهَا الْحَيَوَانَاتُ مِنْ قَصَائِدِ الْقَدَمَاءِ، بِقَوْلِهِ ^(٢) : [لَبْسِي]
أُمَسَتْ دِيَارِي خَلَاءَ فِي مَعَاهِدِهَا وَحَلَّهَا دَيْسَمٌ ^(٣) بَعْدِي وَسَرَحَانُ
وَالصُّورُ تَقْلِيدِيَّةٌ فِي مُعْظَمِ شِعْرِ ابْنِ حَسْدَايَ وَظَهَرَتْ فِي الْأَبْيَاتِ بِقَوْلِهِ ^(٤) : [لَبْسِي]
أَنَّى وَلَمْ يَسِرْ طَيْفٌ لِلْسَّحَابِ بِهِ وَلَا تَنَدَّتْ بِدَمْعٍ مِنْهُ أَجْقَانُ
وَكَانَ التَّضْمِينُ وَاضِحًا ^(٥) وَذَالًا عَلَى تَأَثُّرِ ابْنِ حَسْدَايَ بِالشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ فِي قَوْلِهِ ^(٦) : [لَبْسِي]
وَفِي جَنَابِ أَبِي عَيْسَى لَنَا بَدَلٌ إِذْ قُطِعَتْ مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانُ

وَأَقْتَبَسَ مِنَ الْقُرْآنِ "إِنَّ الْجَزَاءَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِحْسَانٌ"، وَنَادَى إِخْوَانَ الْمَعَرِّي (ت: ٤٩٠هـ) ^(٧)
بِالْجَزْعِ، وَأَظْهَرَ حَيَوَانَاتِ الْقَدَمَاءِ وَكَرَّرَ أَلْفَاظَ الشُّعْرَاءِ السَّابِقِينَ نَفْسَهَا، وَأَقْتَرَبَ مِنْ صُورِهِمْ، إِذَا أَرَى أَنَّ
تَقْلِيدَ الشُّعْرَاءِ الْعَرَبِ كَانَ سِمَةً عَامَّةً فِي شِعْرِهِ وَفِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ وَلَمْ يَكُنْ مُؤَثَّرًا وَلَمْ يَأْتِ بِجَدِيدٍ عَلَى
الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَنْدَلُسِ، وَلَمْ يَظْهَرْ لِلْيَهُودِ أَيُّ أَثَرٍ فِي شِعْرِهِ .

ثَالِثًا :- آخَرُونَ :

بَدَأْتُ بِالْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ سَهْلٍ وَابْنِ حَسْدَايَ مِنْ شُعْرَاءِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ لَوْجُودِ حَدِيثِ طَوِيلٍ
عَنْهُمَا فِي الْمَصَادِرِ، إِلَّا أَنَّ الْمَصَادِرَ الْعَرَبِيَّةَ لَمْ تُعْنِ بِغَيْرِهِمَا مِنْ شُعْرَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ نَظَّمُوا بِالْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ
يُشَارُ إِلَى اسْمِهِمْ فَحَسَبُ، أَوْ يُذَكَّرُ شَيْءٌ قَلِيلٌ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، فَكَانَ مِنْهُمْ :

- ١ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٨٨ .
- ٢ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .
- ٣ - الدَّيْسَمُ: وَلَدُ الثَّعْلَبِ مِنَ الْكَلْبَةِ أَوْ وَلَدُ الذُّئْبِ مِنَ الْكَلْبَةِ .
السَّرْحَانُ : الذُّئْبُ .
- ٤ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٨٨ .
- ٥ - جرير [البسيط] : بَانَ الْأَخْ لَا وَمَا وَدَّعْتُ مَنْ بَانَا وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَرْكَانَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصَفَهَانِيُّ الْأَغَانِي ٣٢٥/٧
مَعْبِد [البسيط] : بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طَوَّعْتُ مَا بَانَا وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصَفَهَانِيُّ الْأَغَانِي ٣٠٥/١٩
- ٦ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٨٨ .
- ٧ - هُوَ الشَّاعِرُ: أَبُو الْعَلَاءِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعَرِّي. وَلَانْتَه سَنَةُ ٣٦٣ هـ بِمَعَرَّةِ الثُّعْمَانِ قَرِبَ حَلَبَ، عَمِي مِنَ الْجَدْرِ وَهُوَ صَغِيرٌ. وَلَزِمَ مَنْزِلَهُ
بِالْمَعَرَّةِ وَشَرَعَ فِي التَّصْنِيفِ، وَسَمَّى نَفْسَهُ رَهِيْنَ الْمَحْبَسَيْنِ لِلرُّومِ مَنْزِلَهُ وَلَذَهَابِ عَيْنَيْهِ. سَارَ إِلَيْهِ الطَّلِبَةُ مِنَ الْأَفَاقِ وَكَاتَبَهُ الْعُلَمَاءُ وَالْوُزَرَاءُ. وَنَظَّمَ
الشَّعْرَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةٍ. وَلَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ وَرَسَائِلٌ، مِنْهَا لِرُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ فِي خَمْسَةِ أَجْزَاءَ، وَلَهُ سَفْطُ الرُّزْدِ كَذَلِكَ وَشَرَحَهُ بِنَفْسِهِ
وَسَمَّاهُ ضَوْءَ السَّفْطِ، وَتُوفِّيَ ٤٤٩ هـ بِالْمَعَرَّةِ .
انْظُرْ: ابن خُلَكَانَ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١١٣/١ - ١١٦؛ الصَّفْدِيُّ الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٦٢٧/٧ - ٧٤؛
ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٢٨٠/٢ - ٢٨٢ .

١- إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَخَّارِ: يُكْنَى أَبَا إِسْحَاقَ، وَصِفَ بِالتَّفَقُّهِ فِي الشَّعْرِ وَمَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ وَالْمَنْطِقِ^(١)، وَتُذَكَّرُ لَهُ مَزْدَوَجَةٌ مِنَ الشَّعْرِ يُخَاطَبُ بِهَا الْفُونُسُ^(٢)، فَقَدْ سَادَ فِي طَلِيطِلَةَ، وَصَارَ رَسُولًا عِنْدَ مَلِكِهَا الْفُونُسُ الْعَاشِرِ إِلَى مُلُوكِ الْعَرَبِ، وَمَدَحَ الْفَخَّارُ الْفُونُسُ بِقَوْلِهِ^(٣): [لمديد]

حَضَرَةُ الْأَذْفَنْشُ لَا بَرِحَتْ
فَاخْلَعَ النَّعْلَيْنِ تَكْرِمَةً
عَضَّةً أَيَّامَهَا عُرْسُ
فِي تَرَاهَا إِنَّهَا قُدْسُ

رُوِيَ أَنَّهَا قَالَتْ لَهَا قَالَهَا فِيمَنْ كَانَ يُعَامِلُهُ بِإِذْلَالٍ فَضَاقَ ذِرْعُ ابْنِ الْفَخَّارِ بِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ^(٤): [لطويك]

أَيَا جَاعِلًا أَمْرَيْنِ شِبْهَيْنِ مَالَهُ
جَعَلْتَ الْغِنَى وَالْفَقْرَ وَالذَّلَّ وَالْعُلَا
وَهَلْ يَسْتَوِي فِي الْأَرْضِ نَجْدٌ وَتَلْعَةٌ^(٥)
وَمَا كُنْتُ دَا مَيَزٍ لِمَنْ كُنْتُ طَالِيَا
وَقَدْ حَالَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَاغِلٌ
فَلِنْ كُنْتُ تَأْبَى غَيْرَ إِقْدَامِ جَاهِلٍ
أَلَا قَاتٍ فِي أَبْوَابِهِ كُلِّ مَسَالِكٍ

مِنْ الْعَقْلِ إِحْسَاسٌ بِهِ يَتَّقَدُ
سَوَاءً فَمَا تَنَفَّكَ تَشْقَى وَتَجْهَدُ
فَطَلَبَ تَسْهِيلًا وَسَيْرُكَ مُصْعِدُ
بِمَا كُنْتَ فِي حَالِ الْفَرَاغِ تَعَوَّدُ
فَلَا تَطْلُبْنِي بِالذِّي كُنْتَ تَعْهَدُ
فَأَيْكَ لَا تَنَفَّكَ تُلْحَى وَتُطْرَدُ
وَلَا تَكُ مَخْلًا حَيْثُمَا قُمْتَ تَقْعُدُ

وَمَرَّ فِي الْعَزْلِ بَيْتَانِ لَهُ فِي غِلَامٍ^(٦)، كَمَا تَرَوَى عَنْهُ طُرْفَةٌ حِينَ دَخَلَ بُسْتَانَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ قَالَ: "فَوَجَدْتُهُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ كَأَنَّهُ الْجَنَّةُ، وَرَأَيْتُ عَلَى بَابِهِ بَوَابًا فِي غَايَةِ الْقُبْحِ. فَلَمَّا سَأَلَنِي الْوَزِيرُ عَنْ حَالِ فُرْجَتِي، قُلْتُ: رَأَيْتُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ أَنَّ الْجَنَّةَ يَكُونُ عَلَى بَابِهَا رِضْوَانٌ وَهَذِهِ عَلَى بَابِهَا مَالِكٌ، فَضَجَّكَ وَأَخْبَرَ الْخَلِيفَةَ بِمَا جَرَى، فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُ إِنَّا قَصَدْنَا ذَلِكَ، فَلَوْ كَانَ رِضْوَانٌ عَلَيْهَا بَوَابًا لَحَشِينَا أَنْ يَرُدَّهُ عَنْهَا وَيَقُولَ لَهُ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُكَ، وَلَمَّا كَانَ هُنَاكَ مَالِكٌ أَدْخَلَهُ فِيهَا وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا وَرَاءَهُ وَيُحِيلُ أَنَّهَا جَهَنَّمُ. قَالَ فَلَمَّا أَعْلَمَنِي الْوَزِيرُ بِذَلِكَ قُلْتُ لَهُ: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتِهِ"^(٧). وَيُلَاحِظُ فِي الْعِبَارَةِ الْأَخِيرَةِ تَأَثُّرَهُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ^(٨).

١ - انظر: ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢٣/٢؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٤/٥.

٢ - انظر: ريموند شابندلين اليهود في إسبانيا المسلمة ترجمة: مريم عبد الباقي، بحث في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تحرير: سلمى الجبوسي ١/ ٣١٤.

٣ - ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢٣/٢؛ الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٤/٥.

٤ - الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٤/٥.

٥ - التَّلْعَةُ: أَرْضٌ مُرْتَفَعَةٌ غَلِيظَةٌ يَتَرَدَّدُ فِيهَا السَّيْلُ ثُمَّ يَنْدَفِعُ إِلَى أَسْفَلٍ. ابن منظور لسان العرب [تلع] ٣٦/٨.

٦ - انظر: الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٤/٥، وانظر في البحث: ص ١١٦.

٧ - انظر: نفسه ٧٥/٥.

٨ - من قوله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ سورة الأنعام، آية ١٢٤.

٢- **إلياس بن المدور الرندي** ^(١): ذكر ابن سعيّد أنّ اسمه إلياس بن صدود ^(٢)، وأنّه كان في صدر المائة السادسة ^(٣)، ولم تتعرّض المصادر لِنشأته. لكنّ هناك آخر يحمل اسماً مشابهاً عند ابن أبي أصيبعة وهو اليهودي أبو البيان بن المدور، خدّم صلاح الدّين، وكان مقرّباً إليه، وتوفّي سنة ٥٨٠ هـ بالقاهرة ^(٤)، قد يكون هو؛ وهاجر من الأندلس إلى مصر كما فعل ابن حسداي مثلاً في تلك الفترة، بالإضافة إلى أنّه يهودي وطبيب، ومن أعلام المائة السادسة أيضاً. كتب شعراً بالعربيّة، منه ما وجهه إلى طبيب آخر في رنّة كان يحسده لاشتراكهما في الصنعة، أصلح الناس بينهما مراراً، فقال له ^(٥): [تكمّل]

لا تخذعنّ فما تكون مودّة
ما بين مشتركين أمراً واحداً
انظر إلى القمرين حين تشاركا
بسناهما كان التلاقي قاسداً

قال المقرّي أنّه "يعني أنّهما معاً لما اشتركا في الضياء وجب التّحاسدُ بينهما والتّفريق: هذا يطلّع ليلاً وهذه تطلّع نهاراً واعتراضهما يوجب الكسوف" ^(٦). ولم يردّ عنه في المصادر له غير هذا.

٣- **بسّام بن شمعون القرطبي** ^(٧): ذكره ابن سعيّد والمقرّي، قال ابن سعيّد أنّه كان له نظم رائع وإنّه لازم ابن باجة (ت: ٥٢٣ هـ)، وأنّه كان من علماء الموسيقى ومن عجائب الزّمان في الاقتدار على الألحان، وأنّه أحسن الغناء بلسانه ويده ^(٨)، لكنّ لم تُذكر له إلا بضعة أبيات في الحرّ، فقد كان كثير المقام على شرب المدام ^(٩).

٤- **قسّمونة بنت إسماعيل** ^(١٠): أغفلت معظم المصادر ذكرها، ولم يذكُرها إلا المقرّي، ولم يُشير المقرّي إلى العصر الذي عاشت فيه، وجعلها محمّد الرّيسوني ضمن شاعرات عصر الطوائف

١ - انظر ترجمته في: ابن أبي أصيبعة غيون الأنباء ١/ ٥٨٠؛ ابن سعيّد المغرب ١/ ٣٣٦؛ المقرّي تفح الطّيب ٧٥/٥؛ محمّد الإفرائي المسنك السهل في شرح توشيح ابن سهل ص ٩٥-٩٦.

٢ - انظر: ابن سعيّد المغرب ١/ ٣٣٦. وأرى أنّه حصل تصحيف في الاسم عوضاً عن مدور كتبوا صدود أو العكس.

٣ - انظر نفسه والصفحة نفسها.

٤ - انظر: ابن أبي أصيبعة غيون الأنباء ١/ ٥٨٠.

٥ - ابن سعيّد المغرب ١/ ٣٣٦؛ المقرّي تفح الطّيب ٧٥/٥.

٦ - المقرّي تفح الطّيب ٧٥/٥.

٧ - هو: بسّام أو إسحاق بن شمعون اليهودي الوشقي، ذكره المقرّي والإفرائي. انظر: ابن سعيّد المغرب ١/ ١٢٧-١٢٨.

٨/ ١١٩؛ المقرّي تفح الطّيب ٧٦/٥؛ محمّد الإفرائي المسنك السهل في شرح توشيح ابن سهل ص ٩٦؛ خوليو سامسو العلوم الدقيقة في الأندلس ترجمّة: عمر الشّيح، بحث في: الحضارة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس تحرير: سلّمي الجبّوسي ١٣٠٧/٢.

٨ - انظر: ابن سعيّد المغرب ١/ ١٢٧.

٩ - انظر: نفسه ١/ ١٢٨، ووردت أبياته في البحث سابقاً: ص ١٦٠.

١٠ - انظر ترجمتها في: جلال الدّين السيوطي نزهة الجلساء في أشعار النّساء ص ٦٥ - ٦٦؛ المقرّي تفح الطّيب ٧٥/٥؛ محمّد الإفرائي المسنك السهل في شرح توشيح ابن سهل ص ٩٧؛ محمّد المنتصر الرّيسوني الشّعر النّسوي في الأندلس ص ١٠٤.

لأنَّ هذا العصرَ تميَّزَ بازدهارِ المؤشَّحاتِ، وقسمونةٍ كانتَ وشاحاً^(١) قالَ المقرِّي إنَّ أباهَا كانَ شاعِراً
واعتنى بتأديبِها، وربَّما صنَّعَ مِنَ المؤشَّحةِ قِسْماً فأتمَّتها هي بِقِسْمٍ آخَرَ^(٢).

قالَ لها أبوها يوماً أجيْزي^(٣): [كامل]
لِي صَاحِبٌ ذُو بَهْجَةٍ قَدْ قَابَلْتُ
نُعْمَى بِظَلَمٍ وَاسْتَحَلَّتْ جُرْمَهَا

فَفَكَّرْتُ قَسْمُونَةً غَيْرَ كَثِيرٍ وَقَالَتْ^(٤): [كامل]
كَالشَّمْسِ مِنْهَا الْبَذَرُ يَقْبِسُ نُورَهُ
أَبَدًا وَيُكْسِفُ بَعْدَ ذَلِكَ جُرْمَهَا

فَقَامَ أَبُوهَا كَالْمُخْتَبِلِ وَضَمَّهَا إِلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقْبَلُ رَأْسَهَا، وَيَقُولُ "أَنْتِ وَالْعَشْرُ كَلِمَاتٍ أَشْعُرُ مِنْي".
وَنَظَرَتْ قَسْمُونَةً فِي الْمَرَاةِ فَرَأَتْ جَمَالَهَا وَقَدْ بَلَغَتْ أَوَانَ التَّرْجُوجِ وَلَمْ تَتَرَوَّجْ، فَقَالَتْ^(٥): [لطويل]

أَرَى رَوْضَةً قَدْ حَانَ مِنْهَا قِطَافُهَا
وَلَسْتُ أَرَى جَانٍ^(٦) يَمُدُّ لَهَا يَدًا
فَوَأَسَفًا يَمْضِي الشَّبَابُ مُضِيْعًا
وَيَبْقَى الَّذِي مَا إِنْ أَسْمِيهِ مُفْرَدًا

وَقَالَتْ قَسْمُونَةُ فِي ظَبْيَةٍ عِنْدَهَا^(٧): [كامل]
يَا ظَبْيَةُ تَرْعَى بِرَوْضٍ دَائِمًا
إِنِّي حَكِيْتُكَ فِي التَّوْحُشِ وَالْحَوَرِ
أَمْسَى كِلَانَا مُفْرَدًا عَنْ صَاحِبٍ
فَلَنُصْطَبِرَ أَبَدًا عَلَى حُكْمِ الْقَدَرِ

٤- مانير أبو العافية: حاخام شهير في طليطلة، قال ريموند شايندلين إنَّه كَتَبَ شِعْرًا دُنْيَوِيًّا بِصِيغِ عَرَبِيَّةٍ
وَقَدَّمَ أَشْعَارَهُ بِشُرُوحٍ عَرَبِيَّةٍ أَثْبَتَهَا فَوْقَ النَّصِّ الْعَرَبِيِّ، حَتَّى إِنَّهُ تَرَجَّمَ قَصِيدَةً قَصِيرَةً لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ إِلَى
العِبْرِيَّةِ^(٨).

٥- نسيم الإسرائيلي^(٩): شاعرٌ وشاحٌ مِنْ أَهْلِ إِسْبِيلِيَّةٍ ذَكَرَ فِي "المُسْتَهْبِ"، لَهُ^(١٠): [مجت]
يَا لِيَتَنِي كُنْتُ طَيْرًا
أَطِيرُ حَتَّى أَرَاكَ
بِمَنْ تَبَدَّلْتَ غَيْرِي
أَوْ لَمْ تَحُلْ عَنْ هَوَاكَ

١ - انظر: مُحَمَّدُ الْمُتَصِّرُ الرَّيْسُونِي الشُّعْرُ النَّسَوِي فِي الْأَنْدَلُسِ ص ١٠٤ .

٢ - جَلال الدِّين السَّيُوطِي تَزْهَةُ الْجُلَسَاءِ فِي أَشْغَارِ النَّسَاءِ ص ٦٥ - ٦٦؛ الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٥/٥ .

٣ - الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٦/٥ .

٤ - نَفْسُهُ ٧٦/٥ .

٥ - نَفْسُهُ ٧٧/٥ .

٦ - تقصد جَانِيَا لَكِنْ جَاءَتْ جَان لَضَرُورَةِ الْوِزْنِ .

٧ - الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٧٧/٥ .

٨ - انظر: ريموند شايندلين الْيَهُودُ فِي إِسْبَانِيَا الْمُسْلِمَةِ تَرْجَمَةٌ: مَرْيَمُ عَبْدِ الْبَاقِي، بَحْثٌ فِي: الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ
تَحْرِير: سَلْمَى الْجَبُوسِي ١/ ٣١٣ - ٣١٤ .

٩ - انظر ترجمته في: الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦٨/٥؛ مُحَمَّدُ الْإِفْرَانِي الْمَسْنُوكُ السَّهْلُ فِي شَرْحِ تَوْشِيحِ ابْنِ سَهْلٍ ص ٩٨ .

١٠ - الْمُقَرِّي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٦٨/٥ .

الفصل الثالث : حُضُورُ الْيَهُودِ فِي النَّشْرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْأَنْدَلُسِ.

المَبْحَثُ الأولُ : **الفُنُونُ النَّثْرِيَّةُ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ.**
ظَهَرَ الْيَهُودُ كَثِيرًا فِي الرَّسَائِلِ وَبِقَلَّةٍ فِي غَيْرِهَا مِنْ فُنُونِ النَّثْرِ عَلَى النُّحْوِ النَّثَلِيِّ:

أولاً:- الرِّسَائِلُ .

كَانَتْ الرِّسَائِلُ بِالنِّسْبَةِ لِمَوْضُوعِ الْبَحْثِ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ: الأولُ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى الْيَهُودِ، وَالثَّانِي مِنَ الْيَهُودِ إِلَى الْعَرَبِ، وَالثَّالِثُ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى الْعَرَبِ :

القِسْمُ الأولُ : رَسَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى الْيَهُودِ.

كَانَتْ رَسَائِلُ الْعَرَبِ إِلَى الْيَهُودِ فِي الْمَصَادِرِ قَلِيلَةً جَدًّا، بَلْ مَعْدُودَةٌ، فَهِيَ سِتٌّ؛ وَاحِدَةٌ مِنْ أَيُّوبَ الْمَرْوَانِيِّ إِلَى ابْنِ شَمْعُونِ الْيَهُودِيِّ، وَالثَّانِيَّةُ مِنْ ابْنِ الدَّبَّاحِ إِلَى ابْنِ حَسْدَايَ، وَالثَّالِثَةُ مِنَ الْمُفْتَلِ إِلَى ابْنِ نَغْرِيْلَةَ، وَالرَّابِعَةُ جَوَابُ ابْنِ هُودَ لابْنِ حَسْدَايَ عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ، وَالخَامِسَةُ مِنْ أَبِي الرَّبِيعِ الْقُضَاعِيِّ إِلَى يَوْسُفَ الْإِسْلَامِيِّ مُعَاتِبًا، وَالْأَخِيرَةُ هِيَ رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ إِلَى ابْنِ نَغْرِيْلَةَ.
يُلاحَظُ أَنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ وَجَّهَتْ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الرِّسَائِلُ أَغْلِبُهُمْ وَزُرَّاءُ؛ فَقَالَ الْوَزِيرُ الْيَهُودِيُّ ابْنُ نَغْرِيْلَةَ النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنْهَا، وَأَثْبَتَ الْأَرْبَعَةَ الْأُولَى كَامِلَةً لِقَصْرِهَا، أَمَّا رِسَالَتِي يَوْسُفَ الْإِسْلَامِيِّ وَابْنِ حَزْمٍ إِلَى ابْنِ نَغْرِيْلَةَ فَأَثْبَتَ جُزْءًا مِنْهُمَا فِي الدِّرَاسَةِ، وَأَضْعُهُمَا كَامِلَتَيْنِ فِي الْمَلَاحِقِ، وَحَتَّى لَا يَتَكَرَّرَ الْكَلَامُ سَأَتَحَدَّثُ عَنْ سِمَاتٍ عَامَّةٍ لِهَذِهِ الرِّسَائِلِ مُجْتَمِعَةً .

أولاً :- الرِّسَائِلُ

١ - رِسَالَةُ مِنْ أَيُّوبَ الْمَرْوَانِيِّ إِلَى ابْنِ شَمْعُونِ الْيَهُودِيِّ .

كَتَبَ أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَرْوَانِيُّ^(١) إِلَى بَسَّامِ بْنِ شَمْعُونِ الْيَهُودِيِّ^(٢) يَدْعُوهُ إِلَى مُشَارَكَتِهِ الْخَمْرِ، يَقُولُ فِيهَا: "لَمَّا كُنْتُ -وَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِخَاءَكَ وَحَفِظَكَ- مَطْمَحَ نَفْسِي وَمُنْتَزَعَ اخْتِيَارِي مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِي عَلَى جَوَانِبِكَ أَمِيلٌ، وَأَرْتَعُ فِي رِيَاضِ خُلُقِكَ الْجَمِيلِ، هَزَّتْنِي خَوَاطِرُ الطَّرَبِ وَالْارْتِيَاكِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَطِيرِ الدَّاعِي بِكَأُوهُ إِلَى ابْتِسَامِ الْأَقْدَاحِ وَاسْتِنْطَاقِ الْبَمِّ^(٣) وَالزَّرِيرِ^(٤) فَلَمْ أَرِ مُعِينًا عَلَى ذَلِكَ وَمُبْلَغًا إِلَى مَا هُنَالِكَ إِلَّا حُسْنَ نَظْرِكَ وَتَجَشُّمَكَ مِنَ الْمَكَارِمِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُكَ. وَهَذَا يَوْمٌ حَرَمَ الطَّرْفُ فِيهِ الْحَرَكَةَ وَجَعَلَ فِي تَرْكِهَا الْخَيْرُ وَالْبَرَكَهَ، فَهَلْ تَوْصِلُ مَكْرُمَتَكَ أَحَاكَ إِلَى التَّخْلِي

١ - هُوَ: أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ السُّهَيْلِيِّ الْمَرْوَانِيِّ مِنْ ذُرِّيَّةِ سُهَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَانَ بِقُرْبَى يَخْدُمُ ابْنَ الْحَاجِّ وَوَزِيرَهُ ابْنَ بَاجَةَ، تُوُفِّيَ فِي الْمَبَايَةِ الْخَامِسَةِ فِي سَرَفُسْطَةَ . انْظُرْ: ابْنِ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٦٠/١ - ٦٢؛ الْمُقَرِّي تَفْجِ الطَّيِّبِ ٧٦/٥ .

٢ - هُوَ: بَسَّامُ بْنُ شَمْعُونِ الْيَهُودِيِّ الْوَسْقِيُّ، لَمْ أَعِثْ لَهُ عَلَى تَرْجَمَةٍ. انْظُرْ: الْمُقَرِّي تَفْجِ الطَّيِّبِ ٧٦/٥ .

٣ - الْبَمُّ: كَلِمَةٌ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً، وَهِيَ أَحَدُ أَوْتَارِ الْعُودِ. الزَّرِيرُ: الدَّقُّ . ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [يَمَم، زِير] ٥٦/١٢، ٣٣٩/٤ .

مَعَكَ فِي زَاوِيَةٍ مُتَّكِئًا عَلَى دَنْ مُسْتَنِدًّا إِلَى خَابِيَةٍ وَنَحْنُ خِلَالِ ذَلِكَ نَتَجَادَبُ أَهْدَابَ الْحَدِيثِ الَّتِي لَمْ يَبْقَ مِنَ
الذَّاتِ إِلَّا هِيَ، وَنُجِِّلُ الْأَحَاطَ فِيمَا تَعَوَّدَتْ عِنْدَكَ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْأَسْمَاعِ فِي أَصْنَافِ الْمَلَاهِي وَأَنْتَ عَلَى
ذَلِكَ قَدِيرٌ وَكَرْمُكَ بِتَكْلُفِهِ جَدِيرٌ^(١): [لسريع]

وَلَا يُعِينُ الْمَرْءَ يَوْمًا عَلَى
وَهَا أَنَا وَالسَّمْعُ مِنِّي إِلَى الْـ
فَإِنْ أَتَى دَاعٍ بِنَيْلِ الْمُنَى
وَإِنْ أَشْجَانِي وَنِعْمَ الْوَدَاعُ^(٢)

لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الرَّسَالَةَ إِلَّا فِي "تَفْحِ الطَّيِّبِ"، وَلَمْ أَجِدْ تَرْجَمَةً لِلْيَهُودِيِّ الْمُرْسَلَةِ إِلَيْهِ فِي الْمَصَادِرِ، وَاكْتَفَى النَّفْحُ
بِالْقَوْلِ إِنَّهَا مُرْسَلَةٌ إِلَى بَسَّامِ بْنِ شَمْعُونِ الْيَهُودِيِّ وَلَمْ يُضِفْ أَيَّ مَعْلُومَةٍ عَنْهُ لَكِنْ تَوَجَّدَ فِي "الْمَغْرِبِ"
تَرْجَمَةٌ لِإِسْحَاقَ بْنِ شَمْعُونِ الْيَهُودِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، أَرْجَحُ أَنَّهُ بَسَّامُ نَفْسُهُ لِأَنَّ مَعْنَى إِسْحَاقَ אִשְׁחָק فِي الْعِبْرِيَّةِ
الْمُبْتَسِمُ أَوْ الضَّاحِكُ^(٣)، فَرُبَّمَا عَرَّبُوهُ فَقَالُوا بَسَّامًا كَمَا فَعَلُوا بِصَمُونِيلَ فَقَالُوا إِسْمَاعِيلَ، وَيَهُودَا قَالُوا يَحْيَى^(٤)
وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ "الْمُسْنَدِ" أَنَّ إِسْحَاقَ أَخَذَ عَجَائِبَ الزَّمَانِ فِي الْاِقْتِدَارِ عَلَى الْأَلْحَانِ، وَكَانَ قَدْ لَازَمَ ابْنَ
بَاجَةَ^(٥) (ت: ٥٢٣هـ) وَأَحْسَنَ الْغِنَاءَ بِلِسَانِهِ وَبِدِهِ، وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ رَائِقٌ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَقَامِ عَلَى شَرْبِ الْمُدَامِ^(٦)
وَالْيَهُودِيُّ الْمَقْصُودُ هُنَا كَانَ كَذَلِكَ مَشْهُورًا بِشَرْبِ الْمُدَامِ كَمَا يَظْهَرُ فِي الرَّسَالَةِ. وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ تُوْفِّيَ
فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ لَكِنْ الْمَقَرِّي قَالَ إِنَّهُ مِنْ شَعْرَاءِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ، لِذَا يَرَى شَوْقِي ضَيْفَ أَنَّ ابْنَ سَعِيدٍ سَهَا
بِهَذَا^(٦)، وَإِنْ كَانَ إِسْحَاقُ مِنَ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ يَتَقَوَّى الْقَوْلُ لَدَيْ بَاجَةَ بِسَّامٍ أَحَدُ عُلَمَاءِ الْمَوْسِقِيِّ وَصَدِيقُ ابْنِ
بَاجَةَ^(٧). وَأَيُّوبُ الْمَرْوَانِيُّ اتَّصَلَ بِإِبْرَاهِيمَ ابْنِ تَيْفُلُوَيْتِ^(٨) حِينَ رَحَلَ إِلَى سَرَقُوسْطَةَ، وَكَانَ وَزِيرُهُ ابْنُ بَاجَةَ^(٩)
فِيكَونُ إِسْحَاقُ قَدْ عَاشَرَ فِي الْفَتْرَةِ نَفْسَهَا وَاجْتَمَعَ مَعَ ابْنِ بَاجَةَ عِنْدَ ابْنِ تَيْفُلُوَيْتِ كَمَا يَبْدُو، وَعِنْدَ الْمَقَرِّي
ذِكْرٌ لِمَجْلِسٍ اجْتَمَعَ فِيهِ أَيُّوبُ الْمَرْوَانِيُّ صَدِيقُ ابْنِ شَمْعُونِ هَذَا مَعَ ابْنِ بَاجَةَ^(١٠)، فَيَكُونُ

١ - الْمَقَرِّي تَفْحِ الطَّيِّبِ ٧٦/٥ .

٢ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٣ - انْظُرْ: ي. قَوْجَمَان قَامُوسُهُ ص ٧٦٢ .

٤ - انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامِ الذُّخَيْرَةُ ق ١، م ٧٦٦/٢ . [الْحَاشِيَّة]؛ هنري بيرس الشُّعْرُ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي عَصْرِ الطُّوَانِفِ ص ٢٤٣ .

٥ - انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ١٢٧/١ - ١٢٨ .

٦ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٦٠/١ [الْحَاشِيَّة] .

٧ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٢٧/١ .

٨ - هُوَ: أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَيْفُلُوَيْتِ، وَلَاهُ عَلِيُّ بْنُ يُونُسَ بْنِ تَاشْفِينِ عَلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، كَانَ وَزِيرُهُ ابْنُ بَاجَةَ، قِيلَ إِنَّهُ طَرِبَ مَرَّةً مِنْ لَحْنِ لَابِنِ
بَاجَةَ وَخَلَّفَ الْأَيْمَانَ الْمُعْلَظَةَ أَنْ لَا يَمْسِيَ ابْنُ بَاجَةَ لِذَارِهِ إِلَّا عَلَى الذَّهَبِ، فَاحْتَالَ ابْنُ بَاجَةَ بِأَنْ جَعَلَ ذَهَبًا فِي نَعْلِهِ وَمَشَى عَلَيْهِ .

انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٦١/١، ١١٩/٢؛ الْمَقَرِّي تَفْحِ الطَّيِّبِ ٢٣٣/٩ .

٩ - انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٦١/١، ١١٩/٢ .

١٠ - الْمَقَرِّي تَفْحِ الطَّيِّبِ ٢٩٩/٤ - ٣٠٠ .

ابن بَاجَةَ صَدِيقًا لِلْمَرْوَانِيِّ وَابْنِ شَمْعُونِ الْيَهُودِيِّ أَيَّ بَسَّامٍ وَهُمَا أَطْرَافُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ. وَبِسَبَبِ هَذِهِ الصَّدَاقَةِ بَيَّنَّ الثَّلَاثَةُ لَمْ يَكُنْ مُصَادَفَةً أَنْ يُذَكَّرَ الْيَهُودُ فِي تَرْجَمَةِ كُلِّ مِنْ ابْنِ بَاجَةَ وَأَيُّوبَ الْمَرْوَانِيِّ؛ فَقَالَ لِبُيُونَ الْإِفْرِيقِيِّ إِنَّ ابْنَ بَاجَةَ يَنْحَدِرُ مِنْ أَصْلِ يَهُودِي. أَمَّا أَيُّوبُ الْمَرْوَانِيُّ فَقَدْ اتَّفَقَ حِينَ كَانَ فِي طَرِيقِهِ أَنْ أَكْرَمَهُ بَدَوِي نَزَلَ عِنْدَهُ وَقَدْ تَخَيَّلَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ بَعْضِ مُلُوكِ الْمُتَمِيمِينَ أَوْ مِمَّنْ يَلُودُ بِهِمْ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُ غَلَامُهُ أَنَّهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ هَاجَ، وَأَخَذَ رُمَحَهُ وَحَلَفَ أَنْ لَا يَبْقَى لَهُ فِي مَنْزِلٍ. فَقَالَ الْمَرْوَانِيُّ لِغَلَامِهِ إِذَا سُلِّتَ عَنِّي فَقُلْ إِنَّهُ مِنَ الْيَهُودِ، فَإِنَّهُ أَمْسَى لِحَالِنَا^(١).

٢ - رِسَالَةٌ مِنْ ابْنِ الدَّبَّاعِ إِلَى ابْنِ حَسْدَايَ .

خَاطَبَ الْوَزِيرُ أَبُو الْمُطَرِّفِ ابْنَ الدَّبَّاعِ^(٢) جَمَاعَةً مِنْ إِخْوَانِهِ بِرِسَالَةٍ مِنْ وَادِي الرِّثْيُونِ^(٣) وَصَفَ جَمَالَ الْمَكَانِ الَّذِي يَكْتُبُ مِنْهُ، بِقَوْلِهِ: "كِتَابِي هَذَا مِنْ وَادِي الرِّثْيُونِ، وَتَحَنُّ فِيهِ مُحْتَلُونَ، بِبُقْعَةٍ اكْتَسَتْ مِنَ السُّنْدُسِ الْأَخْضَرِ، وَتَجَلَّتْ بِأَنْوَاعِ الزَّهْرِ، وَتَخَالَيْتْ بِأَنْهَارٍ تَتَخَلَّلُهَا، وَأَشْجَارٌ تُظَلِّلُهَا، تَحْجُبُ أَدْوَاهَا الشَّمْسَ لَا لَتَقَافِهَا، وَتَأْدُنُ لِلنَّسِيمِ فَيَمِيلُ مِنْ أَعْطَافِهَا، وَمَا شِئْتُمْ مِنْ مَحَاسِنِ ثَرَوْقٍ وَتَعْجَبُ، وَأَطْيَارٍ تَتَجَاوَبُ بِالْحَنِّ تُلْهِي وَتُطْرِبُ، فِي مِثْلِهِ يَعُودُ الزَّمَانُ كُلُّهُ صَبَاً، وَتَجْرِي الْحَيَاةُ عَلَى الْأَمَلِ وَالْمُنَى"^(٤)، ثُمَّ أَعْلَنَ ابْنُ الدَّبَّاعِ أَنَّهُ تَوَقَّفَ عَنْ شَرْبِ الْخَمْرِ، فَقَالَ: "وَأَنَا أَبْقَاكُمْ اللهُ - فِيهَا بِحَالٍ مِنْ طَابِ غَدَاؤُهُ، وَحَسُنَ اسْتِمْرَاؤُهُ، وَصَحَا مِنْ جُنُونِ الْعُقَارِ، وَاسْتَرَّاحَ مِنْ مَضَضِ الْخُمَارِ"^(٥) وَزَايَلَتْهُ وَسَاوِسُهُ، وَخَلَصَتْ مِنَ الْخُبَاطِ^(٦) هُوَ أَجْسُهُ، لَا أَبَيْتُ بَلِيلَةَ الشَّيْثِ^(٧) وَلَا أَقُومُ كَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، بَلْ أَنَامُ مِلءَ جُفُونِي^(٨) نَوْمَ مَسْرُورٍ، وَأَنْتَبَهُ إِذَا انْتَبَهْتُ غَيْرَ مَذْغُورٍ، فَلَنْبَتَعِدَ بَعْدَهَا عَنِ الْخَمْرِ، مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، فَقَدْ طَلَّقْتُهَا ثَلَاثًا، وَتَرَكْتُ الْأَسْبَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا رِثَاً، وَاللَّهِ الْحَمْدُ عَلَى أَنْ خَلَّصَ مِنْ حَبَائِلِهَا، وَنَجَّى مِنْ غَوَائِلِهَا، وَسَلَّى مِنْ حَيْثُ كَانَ يَتَوَقَّعُ الْكَرْبُ، وَلَقِيَ الْمَحْبُوبَ مِنْ حَيْثُ كَانَ يُخْشَى الْمَكْرُوهَ وَالْخَطْبُ"^(٩)، ثُمَّ خَاطَبَ أَصْدِقَاءَهُ وَوَصَفَ شِدَّةَ تَعَلُّقِهِمْ بِالْخَمْرِ قَائِلًا: "وَأَنْتُمْ سَادَتِي

١ - انظر: ابن سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٦٢/١ .

٢ - سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ .

٣ - وَادِي الرِّثْيُونِ: لَمْ أَجِدْ تَعْرِيفًا لَهُ فِي مَعَاجِمِ الْبُلْدَانِ، وَوَرَدَ هَذَا الْأِسْمُ مَرَّتَيْنِ فِي تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونٍ وَفِي الْاِسْتِقْصَا فِي الْخَبَرِ عَنْ أَخْبَارِ السُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ، لَكِنْ جَاءَ فِي الرُّوضِ الْمِغْطَارِ فِي الْكَلَامِ عَنْ مَدِينَةِ إِفْرَاغَةَ غَرْبِي لَارِدَةً فِي الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا عَلَى نَهْرِ الرِّثْيُونِ، فَقَدْ يَكُونُ وَادِي الرِّثْيُونِ عَلَى هَذَا النَّهْرِ أَوْ قَرِيبِهِ .

انظر: ابن خَلْدُونٍ تَارِيخُهُ ٣٦٩/٧؛ الْجَمْعِيُّ الرُّوضِ الْمِغْطَارِ ص ٤٨؛ أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ الْاِسْتِقْصَا ١٦٥/٣ .

٤ - ابْنُ بَسَّامٍ النُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٢٨٢/١ .

٥ - الْخُمَارُ: بَقِيَّةُ السُّكَّرِ .

٦ - الْخُبَاطُ: دَاءٌ كَالْجُنُونِ .

٧ - الشَّيْثُ: الْفُلُقُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ غَمٍ .

٨ - مُتَأَنِّرٌ بِالْمُتَنَبِّيِّ [الْبَسِيطُ]: أَنَامُ مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ . الْمُتَنَبِّيُّ شَرْحُ دِيْوَانِهِ ٣٦٧/٣ .

٩ - ابْنُ بَسَّامٍ النُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٢٨٢/١ - ٢٨٣ .

أَخْلَاءُ النَّبِيِّ، بَرِئْتُ مِنْكُمْ كَمَا بَرِئَ الْمَسِيحُ مِنَ الْيَهُودِ، فَهَيِّبًا لَكُمْ تَنْفُسُ أَنْفُسِهَا، وَتَعَاظِي أَكْوَاسِهَا، فَلَسْتُ أَزَاجِكُمْ عَلَيْهَا بِمَنْكِبٍ، وَلَا أَوَافِكُمْ فِيهَا عَلَى مَذْهَبٍ، فَاطْلُبُوا لِحْثَهَا الْأَلْحَانَ، وَاخْلَعُوا فِيهَا الْعُذْرَ وَالْأَرْسَانَ^(١)، وَتَعَرَّوْا فِي ثِيَابِ الْوَقَارِ، وَارْكَبُوا رُؤُوسَكُمْ فِي هَتَكِ الْأُسْتَارِ، وَمُوتُوا سُكْرًا، وَلَا تَعْصُوا لِشَارِبِهَا أَمْرًا، وَاتَّخِذُوا الْحَسَنَ^(٢) فِي دِينِهَا نَبِيًّا، وَاعْتَقِدُوهُ إِمَامًا مَرْضِيًّا، وَقُولُوا عَيْشُ الْخَلَاعَةِ عَيْشُ رَقِيقٍ، وَلَذَّةُ النَّفُوسِ صَبُوحٌ وَغُبُوقٌ، فَلَيْسَ لِقَوْلِكُمْ رَدٌّ، وَلَا فِي غَيْرِ رَأْيِكُمْ رُشْدٌ، وَلَا أَقْصَى اللَّهِ إِلَّا مَنْ تَعَسَّفَ، وَلَا أَبْعَدَ إِلَّا مَنْ لَامَ وَعَنَّفَ^(٣)، ثُمَّ تَخَيَّلَ ابْنُ الدَّبَّاحِ حَالَهُمْ حِينَ يَعْلَمُونَ قَرَارَهُ بِشَأْنِ الْخَمْرِ وَتَوَقَّعَ مَاذَا سَيَفْعَلُونَ لِيَعُودَ عَنْهُ، فَقَالَ: "وَكَاثِي بِكُمْ - أَبْقَاكُمْ اللَّهُ - إِذَا قَرَأْتُمْ أَحْرُفِي هَذِهِ تَسْتَذَكِرُونَ عَلَيْهَا عَهْدِي، وَتَشْرَبُونَ مِنْهَا كَأْسًا فِي وَدِّي، وَتَقُولُونَ: سَتَنفُثُ فِي الْعَقْدِ، وَتَنْصَرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ الْمُعْتَقِدِ. فَلَا تَعْتَقِدُوا ذَلِكَ وَلَا تَتَوَهَّمُوا أَنْ تَكِيدُونِي بِكَيْدٍ، وَلَوْ تَأَيَّدْتُمْ عَلَيْهِ بِأَشَدِّ أَيْدٍ، فَقَدْ اسْتَدْفَعْتُ بِرَبِّ النَّاسِ غَامِضَ شَرِّكُمْ، وَتَعَوَّدْتُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ نَافِثِ عَقْدِكُمْ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْكِفَايَةِ بِفَضْلِهِ شَارَكُكُمْ يَا سَادَتِي - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ - نِعْمَةً اللَّهِ الْمُتَجَدِّدَةِ قَبْلِي، وَأَعْلَمْتُكُمْ بِمَبْلَغِ سُرُورِي وَجَدَلِي، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ خَصَّكُمْ مِنْهُ - جَلَّ وَعَزَّ - بِمِثْلِهَا عَرَفْتُمُونِي [بِهَا] لِنَسَاوِي فِي الشُّكْرِ، وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَرَكْتُمْ عَلَيْهَا مِنَ الْبَطَالَةِ، وَالتَّمَادِي فِي الضَّلَالَةِ، فَأَعْفُونِي مِنْ جَوَابِ بِصِفَتِهَا، فَلَسْتُ أَنْتَلِعُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، وَأَنْتُمْ أَوْلِيَاؤُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"^(٤).

لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ مُرْسَلَةً إِلَى شَخْصٍ مُحَدَّدٍ، بَلْ وَجَّهَ ابْنُ الدَّبَّاحِ خِطَابَهُ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ أَصْدِقَائِهِ وَلَمْ يُسَمِّهِمْ، وَنَادَاهُمْ بِصِيعَةِ الْجَمْعِ بِقَوْلِهِ: "أَبْقَاكُمْ اللَّهُ ... وَأَنْتُمْ سَادَتِي ... وَكَاثِي بِكُمْ - أَبْقَاكُمْ اللَّهُ - إِذَا قَرَأْتُمْ أَحْرُفِي ... شَارَكُكُمْ يَا سَادَتِي - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ - ... وَأَنْتُمْ أَوْلِيَاؤُنَا" لَكِنْ تَلَاهَا فِي "الدَّخِيرَةِ" جَوَابٌ مِنَ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسْدَايَ إِذَا اتَّوَقَّعَ أَنَّ ابْنَ الدَّبَّاحِ خَاطَبَ فِيهَا ابْنَ حَسْدَايَ، أَوْ أَنَّهُ أَهَمُّ الْمُخَاطَبِينَ فِيهَا، إِلَّا أَنَّهُ خَاطَبَهُ بِصِيعَةِ الْجَمْعِ مَزِيدًا فِي التَّقْدِيرِ وَالتَّبْجِيلِ. وَيُظْهَرُ فِي الرِّسَالَةِ وَفِي رَدِّ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ عَلَيْهَا دَوْرٌ كَبِيرٌ لِلْيَهُودِ فِي تَرْوِيجِ الْخَمْرِ وَتَهْيِئَةِ مَجَالِسِهَا. كَمَا تَظْهَرُ فِي الرِّسَالَةِ قُوَّةُ شَخْصِيَّةِ هَذَا الْيَهُودِيِّ الَّذِي يُشَجَّعُ شَرْبَ الْخَمْرِ، وَيَسْتَهْزِئُ بِمَنْ يَتْرُكُهَا، وَيُصِرُّ عَلَى إِرْجَاعِهِ لِمَجَالِسِهَا عَلَنًا دُونَ أَنْ يَخْشَى أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَرَدَّ ابْنُ حَسْدَايَ فِعْلًا، وَكَمَا تَوَقَّعَ ابْنُ الدَّبَّاحِ حَاوَلَ الْيَهُودِيُّ أَنْ يُرْجِعَهُ عَنْ قَرَارِهِ بِشَأْنِ الْخَمْرِ، وَحَاوَلَ إِغْرَاءَهُ لَارْتِيَادِ مَجَالِسِ الشَّرَابِ مُسْتَخْفًا بِقَرَارِ الطَّلَاقِ، وَمُسْتَهْزِئًا بِهِ^(٥).

١ - اخلعوا الأرسان: خلوا سبيلكم فلا أحد يمنعكم مما تريدون . ابن منظور لسان العرب [رسن] ١٨٠/١٣ .

٢ - الحسن: هو الحسن بن هاني أبو نواس .

٣ - ابن بسام الدخيرة ق ٣، م ١/٢٨٣ .

٤ - نفسه ق ٣، م ١/٢٨٣ - ٢٨٤ .

٥ - انظر: نفسه ق ٣، م ١/٢٨٤ - ٢٨٩ .

٣ - رسالة من المنقّل إلى ابن نغريّة .

خاطب ابن خيرة القرطبي المنقّل إسماعيل ابن نغريّة برسالة يعلمه فيها بعزمه على الرحيل، ويصف سوء حاله وحال مجموعة نسوة رآهن في سفره، قال فيها: "من فهم عن الزمان وخلقه، ورقل في جديده وخلقه، وعلم أنه يستأصل ريتما يواصل، ويقسم غب^(١) ما يقسم، لم يبال بوقع سلاحه، ولا استعدّ لوقت استصلاحه، ولما أعصني بالريق، وحفّرتني بالمضيّق، ولم يترك همّا إلا سنّى^(٢) عقده، ولا نظماً إلا نثر عقده؛ ورأيت الاستحالة في الحال والعيلة^(٣) في العيال، وجدّاً قد جدّ، فجاء من المصلين، وساهم فكان من المذخّين، هيأت راحلةً وأثاثاً، وطلّقت ابنة الوطن ثلاثاً، وقلتُ إمّا أن أجدّ فأظهر، أو أموت فأعذر^(٤)"؛ فكم من حرة سافرة القناع، تندبني موقت الوداع، وباكية يوم الرحيل، بكاء الحما على الهديل؛ فقد فقت عين السرى، بأربع كقداح السرا^(٥)، يتشبّثون الآكام، تشبّث الخصوم بالأحكام؛ ويتعلّقون بالمطىّ تعلق الأيتام بالوصيّ، إلى أن أخضلت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر، وجعلت أعودهنّ بالمثاني، وأبسط لهنّ الأمانى " تأثّر الكاتب لحال النسوة، وقرّر مساعدتهنّ، فنصحهنّ الاتصال بابن نغريّة، بقوله: "وأقول: ستسنين هذا الموقف، إذا اتّصلتُ بإسماعيل بن يوسف، فتي كرم خالاً وعمّاً، وشرّح من المجد ما كان معي، فسأ^(٦) فصاحة، وكعباً سماحة، ولقمان علماً، والأخنف جلماً، أكرم همّة من همّام، وأعظم بسطة من بسطام؛ إن خاطب أوجز، وإن غالب أعجز، أو جاد أجاد، أو وعد أعاد، يأمر ويُمير^(٧) ويأجر ويجير، مأوى السّماح والضيّف ورحلة الشّئاء والصّيْف؛ حامى الذّمار، بعيد المضمار؛ لا يظلم فقيراً، ولا يخيب فقيراً، يحافظ على صلاته حفظه لصلاته، ويجنّ إلى البذل، حنين الغريب إلى الأهل^(٨) ". [مجزوء لكلل]

١ - يقسم: يهلك ؛ غب الأمر: عاقبه وأخيره .

٢ - سنّى: رفع وراد .

٣ - العيلة: الفقر .

٤ - متأثّر بامرؤ القيس [الطريد]: بكى صاحبي لما رأى الدّرب دونه وأيقن أنّا لاجفان بفحصنا

فقلت له لا تترك عيّنك إمّا نحاول ملّكاً أو نموت فنعذراً
امرؤ القيس ديوانه ص ٩٥؛ الرّوزني شرح المعقّات
السّبع ص ١٠٧؛ أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ١٤٨/١٨؛ العباسي معاهد التنصيص ١٢/١ .

٥ - السّراء: من كبار الشجر ينبت في الجبال وتُخذ القسي .

وهذا مأخوذ من زهير [الطريد]: ثلاث كأقواس السّراء ومسحل قد اخضرّ من لس الغمير جافله .

زهير بن أبي سلمي ديوانه ص ٢٧ .

٦ - هو: فس بن ساعدة الإيادي، من حكماء العرب ومن المشهورين بالبلاغة، وهو أول من علا على شرف وخطب عليه وأول من انكأ في خطبته على سيف أو عصا، وهو أول من كتب: من فلان إلى فلان، وأول من قال: أمّا بعد . وعمر كثيراً .

انظر: الميداني مجمع الأمثال ١٥٢/١؛ الصّديّ الوافي بالوفيات ١٨٠/٢٤ .

٧ - يُمير: يجلب الطعام .

٨ - ابن بسّام الدّخيرة ٧٦٢/٢م - ٧٦٣ .

فَشَأَى الْأَوَّخِرَ وَالْأَوَّيْلَ
وَرِثَ الْفَضَائِلَ عَنْ فَوَاضِلَ

قَرَنَ الْفَضَائِلَ وَالْفَوَاضِلَ
هَذَا ابْنُ يُوسُفَ الَّذِي

...وَأَكْمَلَ لِقَصِيدَهُ^(١)... فَحِينَ سَمِعُوا بِوَصْفِهِ الَّذِي هُوَ طَلِيعَةُ عُرْفِهِ، وَثَقُّوا بِمَجْدِهِ، وَوَدَّعُونِي مُسْتَبْشِرِينَ، وَتَرَكَهُمْ مُنْتَظِرِينَ^(٢)

تُظْهِرُ الرِّسَالَةُ سِعَةَ نَفْوِذِ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ وَكَرَمَهُ فَكَانَ مَلَادًا لِلْمُحْتَاجِينَ، كَمَا تُظْهِرُ الرِّسَالَةُ دَوْرَانَ الْمُنْقَلَبِ فِي قَلْبِكَ هَذَا الْوَزِيرِ بِحَيْثُ يَبْدُو بِوَقْفٍ إِعْلَامِيًّا يُرَدِّدُ صِفَاتِهِ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ يَطْمَعُ أَنْ يَنَالَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْمَذْكُورِ حِينَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرْسِلُ إِلَيْهِ الْمُحْتَاجِينَ، فَلَمْ تَكُنِ الرِّسَالَةُ رِسَالَةً إِخْوَانِيَّةً عَادِيَّةً بِقَدْرِ مَا كَانَتْ مَذْحًا وَاضِحًا مِنْ طَامِعٍ بِعَطَاءِ الْيَهُودِيِّ، وَالْأَبْيَاتُ فِيهَا تُؤَكِّدُ هَذَا .

٤ - جَوَابُ ابْنِ هُودَ لابْنِ حَسْدَايَ عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ.

أَرْسَلَ بَنُو هُودَ إِلَى ابْنِ حَسْدَايَ عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ الْجَوَابَ التَّالِيَّ: "سَيِّدِي وَأَجَلَ عُدْدِي، وَأَسْنَى الذَّخَائِرِ عِنْدِي، وَأَزْكَى الْفَوَائِدِ بِيَدِي، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي أُنْتُمْ نِعْمَةً، وَأَعَمَّ حُرْمَةً؛ وَرَدَّنِي كِتَابُكَ بِمَا أَوْدَعْتَهُ مِنْ صُورَةٍ وَجْهِكَ وَمَمَرِّكَ، وَصِفَةِ مُسْتَوْطِنِكَ وَمُسْتَقَرِّكَ، وَعَرَفْتُ حَقِيقَةَ مَنْزَعِكَ^(٣)، فِي تَعَجُّلِكَ وَتَسْرُعِكَ، وَمَا عَلِمْتُكَ - عَلَى مَعْلُومِ ذِكَايِكَ - يَذْهَبُ عَلَيْكَ السَّدَادُ فِي أَرَائِكَ، وَلَكِنْ لَا تَمْلِكُ عَنَّاكَ فِي اعْتِسَافٍ^(٤) طُرُقِكَ، وَخَالِقُ خُلُقِكَ خَالِقُ خُلُقِكَ، وَكَانَ الْأَشْبَهُ بِالْجَمِيلِ أَنْ تُشْعِرَ بِإِزْمَاعِ الرَّحِيلِ، فَتُوصَلَ وَتُشَيَّعَ، وَلَا تُصَدَّ عَنْ غَرْضِكَ وَلَا تُمْنَعُ، مُهَدَّتْ بِكَ الْحَالُ هُنَالِكَ فَلَمْ تَبْرَحْ مَوْضِعَكَ، وَلَا فَارَقْتَ مَأْلَفَكَ وَمَجْمَعَكَ، بِمَا يَقْتَضِيهِ انْتِظَامُ الْجَانِبِينَ، وَالتِّقَافُ الْإِقْفِي، وَكَيْفَمَا تَصَرَّفْتَ فَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيمُ، لَا يُنْكَرُ وَدُّكَ، وَلَا يُخْفَرُ عَهْدُكَ، وَاللَّهُ يُلْقِيكَ كُلَّ خَيْرٍ، وَيُجْنِيكَ ثَمَرَ الْغِبْطَةِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَسَيْرٍ^(٥) .

٥ - رِسَالَةُ أَبِي الرَّبِيعِ الْقُضَاعِيِّ إِلَى يُوسُفَ الْإِسْلَامِيِّ مُعَاتِبًا.

جَاءَ فِي "الذَّخِيرَةِ" فَصْلٌ مِنْ رُقْعَةٍ لِأَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ الْقُضَاعِيِّ خَاطِبَ بَهَا يُوسُفَ الْإِسْلَامِيِّ، وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ آلَةُ نَجَّارٍ خَدَمَ عِنْدَهُ، فَوَجَّهَ بِهَا حَاشَا الْمُنْشَارَ^(٦)، مِنْهَا: "مَنْ دَخَلَ فِي مِلَّةِ التَّزَمُّهَاءِ، وَلَيْسَ مِنْ شَرِيعَةِ هَذَا الدِّينِ مَنْعُ الْمَاعُونِ، وَمِنْ تَمَامِ الْإِسْلَامِ حِفْظُ الْجَوَارِ وَرِعَايَةُ الدَّمَامِ، وَمِنْ

١ - ابن بَسَّامِ الذَّخِيرَةُ ق ١، م ٧٦٢/٢، وَالْقَصِيدَةُ سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي الْمَذْحِ، وَهِيَ مُثَبَّتَةٌ فِي الْمَلَحِقِ .

٢ - نَفْسُهُ ق ١، م ٧٦١/٢ - ٧٦٢ .

٣ - مَنْزَعَكَ: رَأْيُكَ وَتَنْبِيرُكَ .

٤ - اعْتَسَفَ الطَّرِيقَ: إِذَا قَطَعَهُ دُونَ صَوْبِ نَوَّحَاهُ فَأَصَابَهُ .

٥ - ابن بَسَّامِ الذَّخِيرَةُ ق ٣، م ٤٩٤/١ .

٦ - الْمُنْشَارُ: هُوَ الْمُنْشَارُ .

ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [نَزَعَ] ٨/ ٣٥٢ .

ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [عَسَفَ] ٩/ ٢٤٥ .

ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [أَشَرَ] ٤/ ٢١ .

أَحْسَنَ الْإِحْسَانِ قَضَاءَ لِبَاتَاتِ الْإِخْوَانِ،... وَمَا تُعْزَى إِلَى بُخْلِ وَأَنْتَ أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةٍ^(١)، وَلَا تُبْصِرُ مِنْ جَهْلٍ وَأَنْتَ قُطْبُ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ، وَقَدْ أَنْكَرْتَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ بُخْلَكَ بِالْمِنْشَارِ، وَأَعْمَلْتَ الْفِكْرَةَ فِي النَّظَرِ إِلَى بَعْدِ مَرَامِيكَ، وَالْبَحْثِ عَنْ غُمُوضِ مَعَانِيكَ، فَلَا حَتَّ لِي دَرِيئَةٌ^(٢) مَرَمَاكَ، وَأَشْرَفْتُ مُطْلَأًا عَلَى مَغْرَاكَ، وَحَدَسْتُ بَعْدَ تَسْدِيدِ سِهَامِ التَّوَهُّمِ، وَرَمَيْتُ عَنْ قِسِيِّ النَّفْهِمِ أَنَّ عِلَّةَ ضَنَائِكَ بِهِ مِنْ أَجْلِ مَا مَرَّ بِبَالِكَ ذِكْرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَشْرَتْ وَفِيهَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَخَرَّجْتَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ حَرِيمِكَ آلَةٌ كَانَتْ فِيهَا مَضَى سَبَبًا إِلَى حَدَثٍ مَشْنُومٍ بِسَفْكَ دَمِ نَبِيِّ كَرِيمٍ، وَلَوْ لَمَحْتَ وَجْهَ مَطْلَبِي بِنَاطِرٍ تَأْمُلُكَ لَعَلِمْتَ، وَمَا أَظُنُّكَ جَهَلْتَ أَنَّ الْخَشَبَةَ الَّتِي أَحْبَبْتَ أَنْ تُؤَشَرَ عِنْدِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا حَيَوَانٌ غَيْرُ الْأَرْضَةِ الَّتِي أَكَلَتْ مِنْسَاءَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ....^(٣)

ذَكَرَ رِيَاضُ قُرَيْحَةَ أَنَّ يُوْسُفَ الْإِسْلَامِيِّ ابْنَ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسْدَايَ^(٤) وَأَشَارَ قُرَيْحَةَ إِلَى أَنَّ الْقَضَاعِيَّ اتَّخَذَ مِنْ عَدَمِ إِزْسَالِ الْمِنْشَارِ لَهُ دَرِيئَةً لِيَكْتُوبَ لِلْيَهُودِيِّ تِلْكَ الرُّفْعَةَ الَّتِي تَبْدُو كَأَنَّهَا مُدَاعَبَةٌ صَدِيقٍ لِصَدِيقِهِ، وَأَضَافَ أَنَّ أَيَّ قِرَاءَةٍ مُتَأَنِّيةً لَهَا تُبْدِي أُمُورًا خَطِيرَةً وَصِرَاعًا خَفِيًّا وَتَنَاقُضًا اجْتِمَاعِيًّا، فَالْكَاتِبُ يُشِيرُ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ إِلَى اعْتِنَاقِ صَاحِبِهِ الْإِسْلَامَ، وَعَدَمِ التَّزَامِهِ بِالشَّرِيعَةِ الَّتِي ارْتَضَاهَا، فَكَأَنَّهُ يُشَكِّكُ فِي صِحَّةِ إِسْلَامِهِ، وَلَا يَكْتَفِي بِذَلِكَ بَلْ يُلَمِّحُ إِلَى مَا فَعَلَهُ الْيَهُودُ بِالنَّبِيِّ زَكَرِيَّا، إِذْ قَتَلُوهُ نَشْرًا بِالْمِنْشَارِ وَهُوَ مُثَبَّتٌ عَلَى شَجَرَةٍ، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِدَانَةٌ لَهُمْ بِقَتْلِهِمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ، ثُمَّ يَنْهِي كَلَامَهُ فِيهَا بِتَهْكُمٍ آخَرَ فَيُؤَكِّدُ لِصَاحِبِهِ أَنَّهُ كَانَ يَرُغَبُ فِي تَنْشِيرِ خَشَبَةٍ فِيهَا الْأَرْضَةُ الَّتِي أَكَلَتْ عَصَا النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنْبِيَائِهِمْ^(٥).

٦ - رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ إِلَى ابْنِ نَعْرِيلَةَ .

كَتَبَ ابْنُ حَزْمٍ رِسَالَةً طَوِيلَةً يَرُدُّ فِيهَا عَلَى الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ ابْنِ نَعْرِيلَةَ، سَأَتَحَدَّثُ عَنْهَا لَاحِقًا فِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ حَزْمٍ وَهِيَ مُثَبَّتَةٌ فِي الْمَلَاحِقِ كَذَلِكَ^(٦).

ثَانِيًا: - سِمَاتُ عَامَّةِ لِرَسَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ.

لَمْ أَجِدْ فِي الرِّسَائِلِ السَّابِقَةِ شَيْئًا جَدِيدًا خَاصًّا بِالْيَهُودِ، وَمَوَاضِعُهَا مَطْرُوقَةٌ؛ فَالرِّسَالَةُ الْأُولَى مِنْ أَيُّوبَ الْمَرْوَانِيِّ إِلَى ابْنِ شَمْعُونِ الْيَهُودِيِّ كَانَتْ قَصِيرَةً تَلَطَّفَ كَاتِبُهَا كَثِيرًا فِي دَعْوَةِ الْيَهُودِيِّ

١ - مِنَ الْمَثَلِ: أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةٍ ، وَاللَّافِظَةُ: هِيَ الرَّحَى سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَلْفُظُ مَا تَطْحَنُهُ .

انْظُرْ: أَبُو هَالِلَ الْعَسْكَرِيُّ جَمْعُ الْأَمْثَالِ ٥٣١/١؛ ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [لفظ] ٤٦١/٧ .

٢ - الدَّرِيئَةُ: كُلُّ مَا اسْتَنْتَرَ .

٣ - انْظُرْ الرِّسَالَةَ فِي: ابْنِ بَسَّامٍ النُّخَيْرَةِ ق ٣، ٤٩٩ - ٥٠٥ ، وَهِيَ مُثَبَّتَةٌ فِي مَلَاحِقِ الْبَحْثِ .

٤ - انْظُرْ: رِيَاضُ قُرَيْحَةَ الْفَكَاهَةُ فِي الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ ص ١١٤ .

٥ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ١١٥ .

٦ - انْظُرْ: ابْنُ حَزْمٍ رِسَالَتُهُ: رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النَّعْرِيلَةَ الْيَهُودِيِّ ٤١/٣ - ٧٠ ، وَهِيَ مُثَبَّتَةٌ فِي الْمَلَاحِقِ .

إلى مُشارَكته الخمر دون إطالة في التّقديم أو الخاتمة، بل دارت حول الدّعوة فحسب وأثر الصّدّاقة، مُضمّنًا الرّسالة ثلاثة أبيات من الشّعْر. وفي الثّانية: خاطب ابن الدّبّاغ ابن حَسّداي وجماعة من إخوانه، قدّم لها بمُقدّمة طويلة وصَفَ فيها جمال المكان الذي يُقيم به، ثمّ أعلن ابن الدّبّاغ أنّه توقّف عن شرب الخمر، فأخاطب أصدقاؤه ووصَفَ شدّة تعلّقهم بالخمر، وتخيّل حالهم حين يعلمون قراره بشأن الخمر وتوقّف ماذا سيفعلون ليعود عن قراره ترك الخمر، وأنّهاها بِجُملة دُعاء لهم. وفي الثّالثة: يُخاطب المُنفِق إسماعيل ابن نَغريّة ويعلّمه فيها بعزمه على الرّحيل، بدّأها بالحديث عن سوء حاله لينتقل إلى الحديث عن مجموعة نسوة رآهن في سفره، وتألّز بسوء حالهن، وقرّر مُساعَدتهنّ، فتصحّهنّ الاتّصال بابن نَغريّة وعدّد لهنّ صِفات هذا الوزير، وأنّهاها بِقَصيدة طويلة من نظمه يمدّح هذا الوزير. والرّسالة الرّابعة: جواب ابن هود لابن حَسّداي عن قراره عنه، جاءت قصيرة بلا مُقدّمة طويلة أو خاتمة، ركّزت الرّسالة حول موضوع سفره، وأنّهاها بِجُملة دُعاء للمُخاطب، والخامسة: كانت مُداعبة بين صديقين وإن حمّلت معنى التّهمم باليهود.

أمّا رسالة ابن حَزْم إلى ابن نَغريّة، وهي أطول هذه الرّسائل، فتتضمّن أربعًا وستين فقرة، يردّ فيها ابن حَزْم على مزاعم ابن نَغريّة الذي ألف كتابًا قصّد فيه، بزعمه، إلى إيّانة تنافض كلام الله عزّ وجلّ في القرآن، بدّأها ابن حَزْم بِحمد الله والدّعاء، ومهدّد لموضوعها بأبيات شِعْريّة تُشير إلى ضرورة الاهتمام بصغار الأمور مهمّا كانت، ليتحدّث عن هذا الوزير المُخاطب الذي ثقل قلبه للعداوة للإسلام وأهله، ودوّبت كِبْدُه ببُغضه الرّسول ﷺ فتطاوّل على الإسلام، وتنقسم الرّسالة إلى قسمين، الأوّل منهما يتحدّث عن المُشكلات التي أثارها ابن نَغريّة وردّ ابن حَزْم على كلّ منها، وهذه قسمها ابن حَزْم إلى ثمانية فصول جاءت في ثلاث وثلاثين فقرة، والقسم الثّاني من الرّسالة ناقش فيه ابن حَزْم ما أسماه "الطّوام" وهي السّخافات أو التّناقضات التي وردت في كتب اليهود، وأطال ابن حَزْم التّفصيل والردّ واستدلّ على أقواله بكثير من الآيات والأحاديث، وفقرات من التّوراة، وفي الختام اعتدّر ابن حَزْم عن إيراد شنعهم التي تفشع منها الجلود، وذكر أنّه استجاز ذكرها اقتداءً بكتاب الله عزّ وجلّ في بيان كفرهم.

ومُخاطبة اليهود في هذه الرّسائل أشبهت مُخاطبة العرب؛ فعلى سبيل المِثال في رسالة ابن الدّبّاغ لابن حَسّداي ركّز في مدّحه على ما يتّمتّع به المُخاطب من الصّفات الحميدة والأخلاق الفاضلة التي تعود الأدباء التّركيز عليها في رسائلهم، وافتتح رسالته بالإشادة بفضائل المُخاطب، وتغنّى بمحاسنِهِ، وبألغ في ذلك مُبالغة كبيرة، ولم يكتف الشّاعر بما جاء في نشره الذي كان فيما يبدو موجّهًا لجماعة من النسوة كنّ بحاجة للمُعونة في أمر ما، بل ضمّن رسالته مجموعة كبيرة من الأبيات دارت حول المعاني نفسها، وهذا ليس جديداً، والجديد أنّ المُخاطب يهودي.

أَمَّا بِالنَّسَبَةِ لِأَهَمِّ سِمَاتِ هَذِهِ الرَّسَائِلِ فَأَسْجِلُ الْمُلَاحَظَاتِ التَّالِيَةَ :

أَوَّلُ الْمُلَاحَظَاتِ قِصَرُهَا بِالنَّسَبَةِ إِلَى مُعْظَمِ الرَّسَائِلِ الَّتِي كَانَتْ تَدُورُ مِنْ وَإِلَى الْعَرَبِ فِي الْأَنْدَلُسِ؛ مِنْهَا مَثَلًا رَسَائِلُ ابْنِ شَهِيدٍ^(١) أَوْ ابْنِ زَيْدُونَ^(٢) الْمُعَاصِرِينَ لِلْمَذْكُورِينَ، وَكَذَلِكَ رَسَائِلُ الْمُتَأَخِّرِينَ كَابْنِ الْخَطِيبِ وَغَيْرِهِ^(٣) بِاسْتِثْنَاءِ الرِّسَالَةِ الْمُطَوَّلَةِ لِابْنِ حَزْمٍ.

وَالْمُلَاحَظَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ اللَّطْفُ الشَّدِيدُ وَالتَّادِبُ فِي مُخَاطَبَةِ الْيَهُودِ وَاحْتِرَامُهُمْ وَالسَّعْيُ إِلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ، فَلَا يُوَجِّدُ فَرْقًا وَاضِحًا بَيْنَ أَيِّ رِسَالَةٍ مُوجَّهَةٍ لِلْعَرَبِ وَهَذِهِ الْمَوْجَّهَةِ إِلَى الْيَهُودِ؛ بِاسْتِثْنَاءِ رِسَالَةِ ابْنِ حَزْمٍ وَالْقُضَاعِيِّ؛ فَالْمَرْوَانِيُّ يَبْدَأُ رِسَالَتَهُ بِالْقَوْلِ إِنَّ ابْنَ شَمْعُونَ الْيَهُودِيَّ مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ، وَفِي هَذَا تَقْدِيرٌ لَهُ وَلُطْفٌ فِي مُخَاطَبَتِهِ، وَيَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَصِلَ إِخَاءَهُ وَيَحْفَظَهُ، وَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَزِ مُعِينًا لَهُ عَلَى خَالِهِ إِلَّا حُسْنَ نَظَرٍ هَذَا الْيَهُودِيَّ^(٤). وَيَتَادَّبُ ابْنُ الدَّبَّاحِ فِي مُخَاطَبَةِ الْيَهُودِيِّ بِالذِّعَابِ لَهُ وَلَأَصْحَابِهِ، وَبِاسْتِخْدَامِ صِيغَةِ الْجَمْعِ زِيَادَةً فِي الْأَدَبِ مَعَ الْيَهُودِيِّ بِقَوْلِهِ "أَبْقَاكُمْ اللَّهُ وَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ"، وَيَقُولُ: "وَأَنْتُمْ سَادَتِي أَخْلَاءُ النَّبِيِّ"، وَ"شَارَكْتُكُمْ يَا سَادَتِي"، وَاعْتَبَرَهُ كَذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ حِينَ خَتَمَ النِّصَّ الْمُخْتَارَ بِقَوْلِهِ: وَأَنْتُمْ أَوْلِيَاؤُنَا^(٥).

وَالْمُنْفَتِلُ يَرَى ابْنَ نَغْرِيَّةَ، نُمُودَجًا مِثَالِيًا تَتَرَكَّزُ فِيهِ طُمُوحَاتُ أَيِّ عَرَبِيٍّ؛ فَقَدْ "شَرَحَ مِنَ الْمَجْدِ مَا كَانَ مُعَمًى، قُسًا فَصَاحَةً، وَكُغْبًا سَمَاحَةً، وَلَقَمَانِ عِلْمًا، وَالْأَخْنَفَ حِلْمًا، أَكْرَمَ هِمَّةً مِنْ هِمَامٍ"^(٦). وَحَتَّى فِي رِسَالَةِ الْعِتَابِ مِنْ أَبِي الرَّبِيعِ الْقُضَاعِيِّ إِلَى يُوسُفَ الْإِسْلَامِيِّ كَانَتْ الْمُخَاطَبَةُ هَادِنَةً وَالِاسْتِهْزَاءُ وَاللَّمْزُ بِالْيَهُودِ فِيهَا جَاءَ مُبْطِنًا تَحْتَ مُعَانَبَةِ أَخَوِيَّةِ الْهَدَفِ مِنْهَا مُدَاعَبَةً صَدِيقًا.

وَالْمُلَاحَظَةُ الثَّلَاثَةُ هِيَ الْأَهْتِمَامُ بِتَضَمُّنِ الشَّعْرِ فِيهَا أَوْ ظُهُورِ أَثَرٍ وَاضِحٍ لِلشَّعْرِ فِيهَا كَعَادَةِ كُتَّابِ الرَّسَائِلِ الْعَرَبِ؛ فَمُعْظَمُهَا اخْتَوَتْ أَبْيَاتًا لَيْسَتْ قَلِيلَةً مِنَ الشَّعْرِ، أَسْتَنْبِي مِنْهَا رِسَالَةُ ابْنِ الدَّبَّاحِ الَّتِي لَمْ تَتَضَمَّنْ شِعْرًا لَكِنْ ظَهَرَ أَثَرُهُ فِيهَا، فَتَأَثَّرَ بِأَمْرِ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ "أَوْ أَمُوتَ فَأَعْدَرَ"، وَفِي الْمُتَنَبِّيِّ بِقَوْلِهِ "بَلْ أَنَا مِلَّةٌ جُفُونِي"، وَعَنَى أَبَا نُوَّاسٍ بِقَوْلِهِ "وَاتَّخَذُوا الْحَسَنَ فِي دِينِهَا نَبِيًّا". وَكَذَلِكَ ظَهَرَ تَأَثُّرُهُم بِالْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي رِسَالَةِ الْقُضَاعِيِّ بِكَثْرَةِ الْأَمْثَالِ فِيهَا.

وَالْمُلَاحَظَةُ الرَّابِعَةُ التَّأَثُّرُ الْوَاضِحُ بِالْمَوْرُوثِ الدِّينِيِّ وَبِالْأَخْصِ الْقُرْآنِ؛ فَابْنُ الدَّبَّاحِ لَا يَقُومُ "كَالَّذِي يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسْرِ"^(٧)، وَأَصْدَقَاؤُهُ سَيَكِيدُونَ لَهُ وَسَيَقُولُونَ "سَنَنْفُثُ فِي

١ - انظر على سبيل المثال رِسَالَتَهُ إِلَى الْمُؤْتَمِنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (ت: ٥٢٠هـ): ابنِ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ١، ١٩٣/١ - ١٩٧.

٢ - انظر على سبيل المثال رِسَالَتَهُ إِلَى ابْنِ جَهْوَرٍ: نَفْسُهُ ق ١، ١٩٠/١ - ٣٤٧.

٣ - انظر: الْمُقَرِّي تَفْجِ الطَّيْبِ ١٠١/٩ - ١٤٣.

٤ - انظر: نَفْسُهُ ٧٦/٥.

٥ - انظر: ابنِ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، ٢٨٢/١ - ٢٨٤.

٦ - نَفْسُهُ ق ١، ٧٦٢/٢ - ٧٦٣.

٧ - مُتَأَثِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخِطُّهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ سورة البقرة، آية ٢٧٥.

العقد^(١)، و"وَتَعَوَّذْتُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"^(٢) مِنْ نَافِثِ عُقْدِكُمْ"^(٣)، وَالْمُنْقِلُ "سَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُنْحَضِينَ"^(٤)، و"بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ"^(٥) وَذَكَرَ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ"^(٦)؛ وَالْقُضَاعِيُّ ذَكَرَ شَجَرَةَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَذَكَّرَ كَيْفَ اقْتَبَسَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَارًا فَأَقْبَسَ أَنْوَارًا، وَاقْتَبَسَ قَوْلَ الصَّدِّيقِ "لَوْ مَنَعُونِي عَقْلًا لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ"، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمِنْ أَصْوَافِهَا

وَجَاءَتْ رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ رَدًّا عَلَى مَنْ تَطَاوَلَ عَلَى الْمَوْرُوثِ الدِّينِيِّ فَأَلَفَ كِتَابًا قَصَدَ فِيهِ بَرَعِمَهُ - إِيَّانَةَ تَنَاقُضِ الْقُرْآنِ، فَمَلَأَتْ الرِّسَالَةُ بِكَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ يَقُولُ: "فَكَانَ أَوَّلُ مَا اعْتَرَضَ بِهِ هَذَا الزُّنْدِيقُ الْمُسْتَنِيرُ بِالْيَهُودِيَّةِ عَلَى الْقُرْآنِ بَرَعِمَهُ أَنْ ذَكَرَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ)^(٧) قَالَ هَذَا الْمَانِقُ الْجَاهِلُ: فَأَنْكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَقْسِيمَ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَهُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ قَالَ: ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)^(٨) قَالَ هَذَا الزُّنْدِيقُ الْجَاهِلُ: فَعَادَ مُصَوِّبًا لِقَوْلِهِمْ وَمُضَادًّا لِمَا قَدَّمَ"^(٩).

وَالْمَلَاخِظَةُ الْأَخِيرَةُ أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ كَانُوا عَلَى مُسْتَوَى عَالٍ فِي فَهْمِ الْأَدَبِ؛ فَالْوَاضِحُ أَنَّهُمْ كَانُوا يُتَّقَنُونَ الْعَرَبِيَّةَ، لَيْسَ هَذَا فَحَسَبُ بَلْ كَانُوا عَلَى مُسْتَوَى عَالٍ فِي فَهْمِ الْأَدَبِ وَتَذَوُّقِهِ. فَالْاهْتِمَامُ الْوَاضِحُ بِاللُّغَةِ وَالْأَسْلُوبِ عِنْدَ كَاتِبِي هَذِهِ الرِّسَائِلِ الْمُتَمَثِّلِ فِي إِحْكَامِ الصِّيَاغَةِ وَتَحْيِيرِ الْأَلْفَافِ الْجَزَلَةِ الْقَوِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى هَذَا، كَمَا أَنَّ رُدُودَ الْمُخَاطَبِينَ الْيَهُودِ عَلَيْهَا تَوَكَّدَ هَذَا.

١ - مُتَأَنَّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ الدَّهَاتِ فِي الْعُقْدِ﴾ سُورَةُ الْفَلَقِ، آيَةُ ٤.

٢ - مُتَأَنَّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ سُورَةُ الْفَلَقِ، آيَةُ ١.

٣ - ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخِيرَةُ ق ٣، م ٢٨٢/١ - ٢٨٤.

٤ - مُتَأَنَّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُنْحَضِينَ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، آيَةُ ١٤١.

٥ - مُتَأَنَّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا زَاغَتِ الْبَصَرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَدَجَ وَتَظُنُّونَ لِلَّهِ الظُّنُونُ﴾ سُورَةُ الْأَحْزَابِ، آيَةُ ١٠.

٦ - مُتَأَنَّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيَدْفِ قُرَيْشٌ * لِيَدْفِ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ سُورَةُ قُرَيْشٍ، آيَةُ ١-٢.

٧ - سُورَةُ النَّسَاءِ، آيَةُ ٧٨.

٨ - سُورَةُ النَّسَاءِ، آيَةُ ٧٩.

٩ - ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ التَّغْرِبَلَةِ الْيَهُودِيِّ ٤٣/٣.

القِسْمُ الثَّانِي : رَسَائِلُ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى الْعَرَبِ.

لَمْ تَأْتِ فِي الْمَصَادِرِ إِشَارَةٌ إِلَى رَسَائِلَ لِلْيَهُودِ سِوَى مَا جَاءَ مِنْ مُخْتَارَاتٍ مِنْ فُصُولِ عَدِيدَةٍ مِنْ رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَايَ، لِذَا سَأَتَحَدَّثُ عَنْ رَسَائِلِهِ لِتَكُونَ مِثَالاً عَلَى رَسَائِلِ الْيَهُودِ.

١- رَسَائِلُ ابْنِ حَسْدَايَ .

انْتَخَبَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي "الدَّخِيرَةِ" خَمْسَ عَشْرَةَ رِسَالَةً أَوْ فَصلاً مِنْ رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَايَ، سَأَضَعُهَا كَامِلَةً فِي الْمَلَا حَقِّ، وَجَاءَ فَصْلٌ صَغِيرٌ مِنْ رِسَالَةٍ لَهُ فِي "الْمَغْرِبِ".
وَرَسَائِلُ ابْنِ حَسْدَايَ نَوْعَانِ: الْأَوَّلُ مِنْهَا كَتَبَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَالثَّانِي كَتَبَهُ عَنْ أَحَدِهِمْ أَوْ بِلِسَانِهِ.
وَعَلَى النُّوعِ الْأَوَّلِ جَاءَتْ سَبْعُ مُنْتَخَبَاتٍ فِي "الدَّخِيرَةِ"؛ الْأُولَى إِلَى ابْنِ رَزِينٍ: بِشَأْنِ عَبْدِ أَبَقَ عَنْهُ. وَالثَّانِيَةِ إِلَى الْمُسْتَعِينِ: يَغْتَذِرُ عَنْ خُرُوجِهِ عَنْهُ وَيَطْلُبُ الصَّفْحَ. وَالثَّلَاثَةَ إِلَى أَحَدِهِمْ: يَطْلُبُ السَّمَاخَ لَهُ بِالْإِقَامَةِ عِنْدَهُ وَأَنْ يُمَهِّدَ مَنْزِلاً لَهُ. وَالرَّابِعَةَ إِلَى أَحَدِهِمْ: يَثْنِي عَلَيْهِ رُغْمَ بُعْدِهِ. وَالخَامِسَةَ إِلَى أَحَدِهِمْ: يَخْبِرُهُ أَنَّهُ مُزْمِعٌ عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ مَرْسِيَّةٍ. وَالسَّادِسَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَمَّارٍ: عِنَايَةً بِابْنِ الْحَدَّادِ. وَالسَّابِعَةَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ: عَلَى لِسَانِ النَّزْجِسِ يُلَاخِظُ عَلَى هَذِهِ الرِّسَائِلِ أَنَّهَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسَمًّى الرِّسَائِلِ الدِّيَوَانِيَّةِ حَتَّى الْأَخِيرَةِ الَّتِي كَتَبَهَا عَلَى لِسَانِ النَّزْجِسِ؛ فَهِيَ مُوجَّهَةٌ إِلَى مَنْ اسْتَحْدَمَهُ، فَجَمَعَتْ بَيْنَ الرِّسَالَةِ الدِّيَوَانِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ الْأَدَبِيَّةِ إِنْ جَازَ الْقَوْلُ بِأَنَّهَا مِنَ الرِّسَائِلِ الْأَدَبِيَّةِ.

وَالنُّوعُ الثَّانِي الَّذِي كَتَبَهُ عَنْ أَحَدِهِمْ أَوْ بِلِسَانِهِ ثَمَانِي رَسَائِلَ، الْأُولَى عَنْ الْمُؤْتَمِنِ إِلَى ابْنِ طَاهِرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ مُقَابَلَتَهُ. وَالثَّانِيَةَ عَنْ الْمُؤْتَمِنِ يَرُدُّ عَلَى كِتَابٍ وَرَدَ مِنْ أَحَدِهِمْ. وَالثَّلَاثَةَ عَنْ الْمُؤْتَمِنِ إِلَى أَحَدِهِمْ يَخْبِرُهُ عَنْ وَقَائِهِ لَهُ رُغْمَ بُعْدِهِ عَنْهُ. وَالرَّابِعَةَ عَنْ الْمُقْتَدِرِ إِلَى أَخِيهِ صَاحِبِ لَارْدَةِ يَشْكُرُهُ عَلَى هَدِيَّةِ اسِرٍ وَخَمْرٍ. وَالخَامِسَةَ عَنْ الْمُقْتَدِرِ إِلَى الْمُظْفَرِ أَخِيهِ لَوْفَاةَ ابْنِهِ، وَيَسْتَعِظِفُهُ فِي شَخْصٍ. وَالسَّادِسَةَ عَلَى لِسَانِ الْمُنَجِّمِ بَلَارْدَةَ إِلَى الطَّبِيبِ الْبُرْدُقُونِ يُوَاسِيهِ فِي مَرَضِهِ. وَالسَّابِعَةَ عَلَى لِسَانِ الْبُرْدُقُونِ يَرُدُّ عَلَى الرِّسَالَةِ السَّابِقَةِ. وَالثَّمَانِيَةَ عَنْ الْمُقْتَدِرِ إِلَى أَحَدِهِمْ عِنَايَةً بِالْحَصْرِيِّ.

٢- مِثَالٌ عَلَى رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَايَ .

سَأَخْتَارُ وَاحِدَةً مِنْ رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَايَ لِتَكُونَ مِثَالاً عَلَى رَسَائِلِهِ وَعَلَى رَسَائِلِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَلَنْ أَثْبِتَ جَمِيعَ رَسَائِلِهِ لِكَثْرَتِهَا، وَلِتَشَابَهِ أَسْلُوبِهِ فِيهَا. وَفِي دِرَاسَةِ سِمَاتِ رَسَائِلِهِ سَأَثْبِتُ نُصُوصاً مُتَعَدِّدَةً مِنْ رَسَائِلِهِ الْأُخْرَى. وَالرِّسَالَةُ إِلَى ابْنِ رَزِينٍ يَتَحَدَّثُ فِيهَا عَنْ عَبْدِ أَبَقَ، جَاءَ فِيهَا:

"كُنْتُ أَرْتَاخُ إِذَا وَمَضَ مِنْ أَفْقِهِ الْبَسَامُ بَارِقٌ، أَوْ ذَرٌّ^(١) مِنْ سَمْتِهِ الْوَضَّاحُ شَارِقٌ، فَأَقْصِرُ مِنْ تَلْقَائِهِ عَلَى اسْتِنْشَاقِ نَسِيمٍ، وَأَتَى لِي مِنْ عَرَارٍ نَجْدٍ بِشَمِيمٍ، حَتَّى وَرَدَ مَا أَمْتَعَ بِوَابِلٍ بَعْدَ طَلٍّ،

^١ - ذَرٌّ : نَشْرٌ أَوْ بُدْدٌ ، وَالشَّارِقُ : الشَّمْسُ.

ابن منظور لسان العرب [نزر] ٣٠٣/٤، [شرق] ١٧٤/١٠.

وَسَقَى نَهْلًا وَوَالَى بَعْلًا^(١)، وَاسْتَرْهَبَ بِمُعْجَزِي سِحْرِ حَرَامٍ وَحِلٍّ، قَدْ قَصَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْإِبْدَاعَ: طَوْرًا فِي النَّدَى بِبِرَاعَةِ حَاطِبٍ وَبَلَاغَةِ كَاتِبٍ، وَطَوْرًا فِي الْوَعَى بِبِدِيهَةِ طَاعِنٍ وَرَوِيَّةِ ضَارِبٍ، وَالرَّبُّ يُدِيمُ إِمْتِنَاعَ أَشْيَاعِهِ بِبَارِعِ جَلَالِهِ، وَيَبْصُرُ عُيُونَ الْحَوَادِثِ عَنْ كَمَالِهِ بِمَنْه.

وَاسْتَوْضَحْتُ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ مِنْ نَشِيدِ الْعَبْدِ الْأَبْقَى^(٢) عَلَى النُّهْدِ السَّابِقِ^(٣)، وَقَدْ أَعْمَلْتُ فِي بَقَائِهِ الْمَكَايِدَ، وَبَنَيْتُ فِي اقْتِنَاصِهِ الْحَبَائِلَ وَالْمَرَاصِدَ، فَكَأَنَّ الرِّيَّاحَ تَحَطَّقَتْهُ، وَالْبَحَارَ عَمَرَتْهُ، وَالْبِلَادَ أَخَفَّتْهُ وَأَضْمَرَتْهُ، وَكَيْفَ يُظْفَرُ بِعَبْدٍ حَوْشِ الْفُؤَادِ، شَكِسِ الْقِيَادِ، رَغِبَ عَنْ خُضُوعِ الْمَمَالِكِ، وَلَحِقَ بِدُؤْبَانِ الصَّعَالِيكِ، يَغْتَسِفُ شَتَّى الْمَسَالِكِ، وَيَعْرُورِي^(٤) ظُهُورَ الْمَهَالِكِ^(٥)، فَاتَّحَ كَاسِمِهِ سَائِحٌ عَلَى أَجْرَدِ سَابِحٍ "كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثُوبَ مَاتِحٍ"^(٦). وَعَسَى أَنْ يَعُودَ هَذَا الدَّاهِبُ وَشَيْكًا إِلَى مُلْكِهِ، وَيَنْتَظِمَ الْمُتَبَدِّدُ مِنْ سِلْكِهِ، وَإِنْ نَدَّ^(٧) هَذَا الشَّارِدُ، فَمَا يَأْسَى لَهُ الْفَاقِدُ، فَلَا حَظَّ فِي ارْتِبَاطِ عَادِرٍ، وَلَوْ أَرَبَى فِي الْبَاسِ عَلَى أَسَدٍ خَادِرٍ^(٨)، وَمَا أَوْلَاهُ -أَيَّدَهُ اللَّهُ- أَنْ يَرْتَادَ لِصَنِيْعِهِ طَرِيقَ الْمَصْنَعِ^(٩)، وَيُودِعَهَا خَيْرَ الْمُسْتَوْدَعِ، وَأَنْ يَرْتَابَ بِالنِّقَاتِ، وَيُسِيءَ ظَنًّا بِالْحَدَمِ تَفْرُسًا فِي السَّمَاتِ، وَقَدْ عَرِي عَنِ الْخَيْرِ مَنْ جَمَعَ تِلْكَ الصِّفَاتِ: مِنْ زُرْقَةٍ مُقْلَةٍ، وَصُفْرَةٍ بَشْرَةٍ، وَحُمْرَةٍ شَعْرَةٍ، لَا جَرَمَ أَنَّهُ نَزَعَ بِدَنَاءَةِ الْأُرُومِ، إِلَى أَشْبَاهِهِ الرُّومِ، فَلْيَتَعُدَّ مِثْلَهُ، فَسَيَنَالُهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ، وَيُوبِقُهُ غِيَّهُ وَجَهْلُهُ"^(١٠).

٣- مِزَاتُ رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَايَ .

لَمْ تَخْتَلِفْ رَسَائِلُ ابْنِ حَسْدَايَ فِي أَغْرَاضِهَا وَسِمَاتِهَا عَنْ رَسَائِلِ مُعَاصِرِيهِ مِنَ الْكُتَّابِ الْعَرَبِ، إِلَّا أَنَّهَا اِمْتَارَتْ بِسِمَاتٍ مِنْهَا :

أَوَّلًا : كَثْرَةُ الْاِقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ .

بَدَأَ عَلَى رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَايَ تَأَثُّرُهُ الْوَاضِحُ بِالْمَوْرُوثِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ الْمُتَمَثِّلُ بِكَثْرَةِ الْاِقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ مِنَ الْمَوْرُوثِ حَتَّى كَادَتْ شَخْصِيَّتُهُ تَخْتَفِي وَرَاءَ مَا اسْتَجْلَبَهُ مِنْ أَسَالِيبِ غَيْرِهِ

- ١ - النَّهْلُ: أَوَّلُ الشَّرْبِ، وَالْعَلَّ: الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ تَبَاعًا.
- ٢ - الْعَبْدُ الْأَبْقَى: الْعَبْدُ الْهَارِبُ مِنْ سَيِّدِهِ .
- ٣ - نَهْدَ الْقَوْمِ لَعْدَوْهُمْ: صَمَدُوا لَهُ وَشَرَعُوا فِي قِتَالِهِ .
- ٤ - يَعْرُورِي فَرَسَهُ: يَرْكَبُهُ عَزِيًّا .
- ٥ - مِنْ قَوْلِ تَابُطٍ شَرًّا: [الطَّرِيلُ] يَظَلُّ بِمَوْمَاءٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جُحَيْشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ أَبُو تَمَّامٍ دِيوَانَ الْخَمَّاسَةِ ص ١٩.
- ٦ - مَاتِحٌ: مُمْتَدٌّ .
- ٧ - نَدَّ: شَرَّدَ وَدَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ .
- ٨ - أَسَدٌ خَادِرٌ: مُقِيمٌ فِي عَرِينِهِ دَاخِلٌ فِي الْخَيْرِ .
- ٩ - الْمَصْنَعُ: الرِّشْوَةُ أَوْ الْخَدِيعَةُ .
- ١٠ - ابْنُ بَسَّامٍ النَّخِيزَةُ ق ٣، م ١/ ٤٥٩ - ٤٦٠، وَأُورِدَ الْفَقْرَةُ الْأُولَى مِنْهَا ابْنُ سَعْدٍ يَدُ الْمُغْرِبِ ٢/ ٤٤١ .

سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الْمَجْلُوبُ آيَاتٍ أَوْ أَحَادِيثٍ أَوْ أَشْعَارًا أَوْ أَمْثَالًا، فَفِي رِسَالَتِهِ ^(١) عَلَى لِسَانِ الْمُتَجَمِّ بِلَارْدَةِ إِلَى الطَّبِيبِ الْبُرْدُقُونِ ^(٢) مَثَلًا، رُغِمَ قِصَرُ الرِّسَالَةِ نِسْبَةً إِلَى مَا كَتَبَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، أُوْرِدَ فِيهَا سَبْعَةُ آيَاتٍ كَامِلَةٍ؛ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا مِنْ نَظْمِهِ، وَثَلَاثَةٌ لِغَيْرِهِ دُونَ أَنْ يَذْكَرَ نِسْبَتَهَا لِصَاحِبِهَا، وَضَمَّنَ كَلَامَهُ أَشْطَارَ آيَاتٍ ثَلَاثَةٍ، وَمَثَلَيْنِ، وَنَصًّا لِلجَاحِظِ. وَفِي جَوَابِهَا ^(٣) مِنْ إِنْشَائِهِ هُوَ كَذَلِكَ تَأَثَّرَ وَاضِحٌ بِآيَةٍ قُرْآنِيَّةٍ وَحَدِيثٍ نَبَوِيٍّ، وَضَمَّنَهَا مَثَلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَفِيهَا بَيِّنَاتٌ لَهُ وَأَرْبَعَةٌ نَقَلَهَا عَنْ غَيْرِهِ، وَأَخَذَ أَشْطَارَ آيَاتٍ وَأَدْرَجَهَا فِي ثَنَائِهَا كَلَامِهِ فِي مَرَّتَيْنِ.

١- مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ .

ظَهَرَ بوضوح تأثر ابن حَسْدَايَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ فَفِي رِسَالَةِ الْإِعْتِذَارِ لِلْمُسْتَعِينِ ^(٤) تَحَدَّثَ عَنْ لُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ مَعَهُ بِالِاسْتِشْهَادِ بِالْآيَةِ: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) ^(٥)، وَكَانَ التَّأَثُّرُ بِالْقُرْآنِ نَسْخًا مُبَاشِرًا بِالِاقْتِبَاسِ الْمُبَاشِرِ لِنَصِّ الْآيَةِ دُونَ أَيِّ تَغْيِيرٍ، وَأَحْيَانًا كَانَ هَذَا يَحْصُلُ بِتَغْيِيرٍ قَلِيلٍ مَعَ الْحَذَرِ الشَّدِيدِ فِي الْأَخْذِ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، وَهَذَا وَاضِحٌ عَلَى لِسَانِ الْمُتَجَمِّ بِلَارْدَةِ لَهُ: "قَدَفَ بِكَ فِي قَرَارِ الْيَمِّ الْعَظِيمِ، وَالتَّقَمُّكَ الْحَوْتُ وَأَنْتَ مُلِيمٌ، إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ" ^(٦).

إِلَّا أَنْ تَأَثَّرَهُ بِالْقُرْآنِ كَانَ قَلِيلًا فِي رِسَائِلِهِ، وَلَمْ يَأْخُذْ مَسَاحَةً كَتَلِكَ الْمَسَاحَةِ الَّتِي بَدَا فِيهَا تَأَثُّرُهُ بِالْحَدِيثِ مَثَلًا رُغِمَ قَلَّتِيهِ كَذَلِكَ. انْظُرْ إِلَى الْمَسَاحَةِ الَّتِي اخْتَلَهَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ فِي الرِّسَالَةِ نَفْسِهَا عَلَى لِسَانِ بِلَارْدَةِ: "لَكِنَّهُمْ لَمْ يَشْعُرُوا أَنَّكَ الدَّجَالُ الْمُنْتَظَرُ، وَقَدْ خَرَجْتَ عَلَيْهِمْ بِخُرُوجِ عَيْنَيْكَ، وَبَرَزْتَ إِلَيْهِمْ بِبُرُوزِهَا عَنْكَ. فَإِنْ اعْتَرَضَ مُعْتَرِضٌ وَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ، يَقْدُمُهُ خُرُوجُ الدَّابَّةِ، فَإِنْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الدَّجَالُ فَأَيُّ الدَّابَّةِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّكَ كُنْتَ الدَّابَّةَ ثُمَّ صِرْتَ بِِ الْعَوْرِ دَجَالًا" ^(٧)، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أُسْطُرٍ قَلِيلَةٍ فَقَالَ: "فَأَنْتَ حَقًّا الدَّجَالُ الْأَعُورُ، وَالْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ، الَّذِي نَبَأْنَا بِهِ الْأَثَرُ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِزَّنَا بِأَعْلَامِكَ، وَيَنْصُرَنَا فِي أَيَّامِكَ، وَنَبْتَهِلُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَكْفِينَا أَشْرَاطَكَ" ^(٨)، فَذَكَرَ ابْنُ حَسْدَايَ تَفَاصِيلَ كَثِيرَةً عَنْهُ؛ فَهُوَ دَجَالٌ، وَلَمْ يَظْهَرْ بَلْ مُنْتَظَرٌ، كَمَا أَنَّه أَعُورٌ مِثْلُهُ خَرَجَتْ عَنْهُ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، وَتَرَفَّقَهُ الدَّابَّةُ، وَتَرَفَّقَهُ أَشْرَاطُ قِنْتَةٍ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكْفِيَهُ إِيَّاهَا. وَقَدْ غَيَّرَ وَبَدَّلَ فِي نَقْلِ مَا يُرَوَى عَنِ الدَّجَالِ فَأَعْطَى صِفَتَهُ لِلْمُخَاطَبِ فِي الرِّسَالَةِ لِمُشَابَهَتِهِ لِهَذَا الدَّجَالِ بِعَوْرِهِ .

وَرُغِمَ أَنَّ ابْنَ حَسْدَايَ كَانَ حَذِرًا فِي تَنَاوُلِ نُصُوصِ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّهُ تَنَاوَلَ قِصَّةَ الدَّجَالِ الْأَعُورِ بِقَرِّ وَتَجْدِيدٍ فِي الْفِكْرَةِ وَالتَّصْوِيرِ وَتَوْسُّعٍ، وَمَرَّةً ثَانِيَةً أَخَذَ مِنَ الْحَدِيثِ لَكِنْ كَانَ أَخَذَهُ نَسْخًا مُبَاشِرًا فِي كَلَامِهِ إِلَى الطَّبِيبِ الْبُرْدُقُونِ عَنِ الثُّخْمَةِ فِي قَوْلِهِ "وَكُلُّ دَاءٍ أَصْلُهُ الْبَرْدَةُ" ^(٩) ... ^(١٠)، وَسِوَى هَذَيْنِ الْمَوْقِعَيْنِ لَمْ أَجِدْ أَثَرًا لِلْحَدِيثِ فِي رِسَائِلِهِ، لِأَنَّ أَخْذَهُ عَنِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ قَلِيلٌ.

٢- مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ :

كَانَ تَعَامُلُ ابْنِ حَسْدَايَ مَعَ الْمَوْرُوثِ الشَّعْرِيِّ كَثِيرًا، وَعَلَى شَكْلَيْنِ:

الشَّكْلُ الْأَوَّلُ : ذَكَرَ فِيهِ أَشْطَارَ الْآيَاتِ فَحَسَبَ.

١ - انْظُرِ الرِّسَالَةَ : ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٧٤ - ٤٨٠، وَهِيَ مُثَبَّتَةٌ فِي الْمَلْحَقِ .

٢ - الْبُرْدُقُونُ: الْفَتَى أَوْ الشَّابُّ . رِيْنَهَارْت دُوزِي تَكْمِلَةُ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ تَرْجَمَةُ: مُحَمَّدُ النُّعْمِي [بِرْدُقُون] ٢٨٣/١ .

٣ - انْظُرِ الرِّسَالَةَ : ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٨١ - ٤٨٤ .

٤ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٦١ .

٥ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، آيَةُ ١٥٩ .

٦ - ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٨٤ .

٧ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٨٣ - ٤٨٤ .

٨ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٨٤ .

٩ - الْبَرْدَةُ: الثُّخْمَةُ، وَالْكَلَامُ مِنْ حَدِيثٍ: كُلُّ دَاءٍ أَصْلُهُ الْبَرْدَةُ . انْظُرْ: الرَّازِي مُخْتَارُ الصَّحَاحِ ١٩/١ ؛ نَاصِرُ الدِّينِ

الْأَلْبَانِي سُلْسَلَةُ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ ٤٠٩/٥ ؛ ابْنُ مَطْطُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [بِرْد] ٨٣/٣ .

١٠ - ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/٤٨١ .

ضَمَّنَ ابْنُ حَسْدَايَ رِسَالَتَهُ أَشْطَارَ الْأَبْيَاتِ قَبَدَتْ وَكَانَتْهَا مِنْ كَلَامِهِ هُوَ، فَبَيَّنَمَا هُوَ يَسْتَنْشِقُ النَّسِيمَ مِنْ رُقْعَةٍ إِلَى ابْنِ رَزِينِ السَّابِقَةِ، يَتَذَكَّرُ شَمِيمَ عَرَارٍ نَجْدٍ^(١) وَ"شَمِيمُ عَرَارٍ نَجْدٍ" مَأْخُودٌ مِنْ بَيْتِ الصَّمَّةِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ^(٢)، وَفِي الرِّسَالَةِ نَفْسَهَا قَالَ فِي أَحَدِ الْمُنْخَلَعِينَ عَنْ ابْنِ رَزِينِ بِأَنَّهُ: "يَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ"، وَفِي هَذَا أَخَذَ مِنْ بَيْتٍ لَتَلَبَّطَ شَرًّا. وَفِي أُخْرَى لَهُ إِلَى الْمُسْتَعِينِ يَعْنِدُ عَنْ خُرُوجِهِ عَنْهُ، قَالَ فِيهَا: "...، وَإِنَّمَا النَّاسُ نَفُوسُ الدِّيَارِ"^(٣)، مِنْ عَلَيَّ الْإِيَادِي^(٤). وَكَذَلِكَ أَخَذَ مِنْ شِعْرِ الْجَاهِلِيِّينَ فِي رِسَالَتِهِ عَلَى لِسَانِ الْمُتَجَمِّ بِلَارْدَةِ، الْمُلقَّبِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَدْ أُصِيبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، إِلَى الطَّبِيبِ الْبُرْدُقُونِ، وَقَدْ أُصِيبَتْ إِحْدَى خُصْيِيهِ، جَاءَ فِيهَا: "وَإِنْ تَكُنْ جُعِلَتْ فِدَاكَ قَدْ أَصَابَكَ عَوْرٌ، وَنَالَكَ مِنْهُ ضَعْفٌ وَخَوْرٌ،، فَقَدْ حُبِيتَ بِاجْتِمَاعِ نُورِ الْبَصَرِ وَكَانَ مُتَقَرِّقًا، وَاتَّحَادَهُ وَكَانَ

^١ - انظر: ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٤٥٩/١؛ ابن سعيدي المغرب ٤٤١/٢ .

والعرار: ثبت طبيب الرياح؛ وقيل هو الرزجس البري.

والكلام من قول مجنون ليلي أو الصمة القشيري: [الوافر]

تمنع من شميم عرار نجد فما بعد العشي من عرار

انظر البيت في: قيس بن الملوخ ديوان مجنون ليلي ص ١٥٠؛ أبو تمام ديوان الحماسة ص ٢٣٤؛ ياقوت الحموي

معجم البلدان ٤٦٢/٣ ، ٩٣/٤ ، ٢١٨/٥؛ ابن خلكان وفیات الأعيان ٢٠٤/٧؛ ابن منظور لسان العرب [عرر] ٥٦٠/٤ .

^٢ - هو: الصمة بن عبد الله بن الطفيل القشيري، شاعر بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية، ولجده قره بن هبيرة صحبة بالنبي ﷺ.

انظر: أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ١٣-٥/٦؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ٤٢٧/١ - ٤٢٨؛ ابن خلكان وفیات الأعيان ٣٧١/٦ - ٣٧٢.

^٣ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٤٦١ .

^٤ - هو: علي بن محمد الإيادي النوسني، ورد اسمه في الحلة والنفح، ولم أعثر على ترجمة له، والكلام من بيت له يقول: [السريع]

بأثوا فماتت أسفا دارهم وإنما الناس نفوس الديار ابن الأثير الخلة السيرة ٢٨٥/١؛ المقري تفتح الطبيب ١٤٤/٥ .

مُبَدَّدًا،...، كَالْحَالِ فِي الْقَمَرِ... فَقَدَتْهُ النُّجُومُ، فَاعْتَرَاهَا الْوُجُومُ، وَلَفَّهَا اللَّيْلُ فِي مَلَاءَةٍ دِيَاجِيهِ، وَأَرْدَفَ أَعْجَازَهُ
وَنَأَى بِهِوَادِيهِ^(١)...^(٢) فَيُظْهِرُ فِيهِ تَأَثُّرَهُ بِأَمْرِ الْقَيْسِ.
وَأَتَى بِالتَّضْمِينَاتِ أحيانًا مُتتاليةً كَمَا فِي قَوْلِهِ: "النَّاسُ -أَيَّدَ اللَّهُ مَوْلَايَ- أَطْوَارٌ، وَلِلْبَصَائِرِ ظَلَمٌ
وَأَنْوَارٌ، وَأَكْثَرُهُمْ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَا يُدْرِكُهُ"^(٣)، مُرَاعٍ لِرَأْيِ لَا يَمْلِكُهُ، وَالْحَقُّ مُسْتَبْهَمٌ عَلَى مَنْ يَتَعَسَّفُ الْمَجْهَلُ فِيمَا
يَسْلُكُهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ رُشْدَهُ، وَاسْتَوْضَحَ قُصْدَهُ، أَمْضَى عَزَمَهُ مُجَدًّا فِي سَعْيِهِ، وَلَمْ يَسْتَشِرْ غَيْرَ نَفْسِهِ فِي
رَأْيِهِ^(٤)،...^(٥). وَأحيانًا لَا تَأْتِي مُتتاليةً بَلْ تَكُونُ بِالْفِقْرِ نَفْسِهَا مَعَ فَاصِلٍ بِجُمْلَةٍ أَوْ شِبْهِ جُمْلَةٍ كَقَوْلِهِ: "وَلَا
قَنَاءَ عَرُوبٍ"^(٦) إِلَّا وَهِيَ تَسْتَعْشِي مَنْ غَيْرِ نَعْسَةٍ رَجَاءً فِي لِقَاءِ خَيَالِكَ^(٧) وَلَا مَحْجُوبَةً مَصُونَةً إِلَّا وَهِيَ تُرْفَعُ
الْكُوى بِالْمَحَاجِرِ^(٨) لِمَمَرِّكَ"^(٩). فَقَدْ نَقَلَ عَنِ الْمَجْنُونِ أَوَّلًا وَثَلَاثَةَ مُبَاشَرَةٍ أَخَذَهُ عَنْ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ دُونَ أَنْ
يَكُونَ الْفَاصِلُ طَوِيلًا بَيْنَهُمَا. وَفَصَّلَ أحيانًا بَيْنَ هَذِهِ التَّضْمِينَاتِ بِجُمْلٍ عَدِيدَةٍ كَمَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ النَّزَّاجِ^(١٠)
؛ فَقَدْ أَخَذَ مِنْ أَبِي نُوَّاسٍ: "مِنْ حَصْبَاءٍ دُرٍّ فِي أَرْضٍ ذَهَبٍ"^(١١)، لِيَكْتُبَ بَعْدَ جُمْلٍ عِدَّةٍ الْمَثَلُ: "فَالْعَصَا
قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ"^(١٢)
وَبَدَأَ تَأَثُّرَهُ بِالشُّعْرَاءِ الْمَشَارِقَةِ بِأَخْذِهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ عَنْهُمْ فِي رَسَائِلِهِ، وَأحيانًا فِي الْفِقْرِ نَفْسِهَا مِنْ
الرِّسَالَةِ. فَعَنِ الْمُتَنَبِّي أَخَذَ مَرَّتَيْنِ؛ الْأُولَى مِنْهُمَا حِينَ قَالَ: "فَكَمْ تَمْنَى الْأَزْهَارُ أَنْ تُضَامَ لَدَيْكَ

١ - هُوَادِي اللَّيْلِ: أَوَّاءُ لَهُ . ابن منظور لسان العرب [هـدي] ٣٥٧/١٥ ، والكلام من قول امرئ القيس: [الطويل]

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّهِ
المُعَلَّقات السَّبْع ص ٣٨؛ الْفُرَشِيُّ جَمْهَرَةُ اشْعَارِ الْعَرَبِ ص ١٣٠؛ الْعَبَّاسِيُّ مَعَاهِدُ التَّنْصِيفِ ٢٦٤/١ .

٢ - ابن بسام الدُّخَيْرَةُ ق، م ١/ ٤٨١ - ٤٨٢ .

٣ - مِنْ قَوْلِ عَبْدِ بْنِ الطَّبِيبِ: [البيط] والمرء ساعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ والعيشُ شَحٌّ وإشفاقٌ وَ تَأْمِيلُ الجاحِظِ الْحَيَوَانِ ٤١٥/١ .

٤ - مِنْ قَوْلِ سَعْدِ بْنِ نَاشِبٍ مِنْ تَمِيمٍ (ت: ١١٠هـ): [الطويل]

و لَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السِّيفِ صَاحِبًا
- ابن بسام الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/ ٤٦٤ .

٥ - الْعَرُوبُ: الْمَرْأَةُ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى رُوحِهَا، الْمُظْهِرَةُ لَهُ ذَلِكَ . ابن منظور لسان العرب [عرب] ٥٩١/١ .

٦ - مِنْ قَوْلِ الْمَجْنُونِ: [الطويل] وَإِلَيَّ لِأَسْتَعْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ
لَعَلَّ خَيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا
قيس بن الملوح ديوان مجنون ليلى ص ٢٩٦ .

٨ - الْكُوى: جَمْعُ لِلْكُوةِ وَهِيَ الْخَرْقُ فِي الْحَائِطِ وَالثَّقْبُ فِي الْبَيْتِ وَنَحْوَهُ، الْكَلَامُ مِنْ بَيْتِ لَعْمَرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: [الطويل]
وَكُنْ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي سَعَيْنَ فَرَقَعَنَ الْكُوى بِالْمَحَاجِرِ

عَمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ديوانه ص ١٥٨؛ ابن منظور لسان العرب [رقع، كوى] ١٣١/٨، ٢٣٦/١٥ .

٩ - ابن بسام الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/ ٤٧٨ .

١٠ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ق ٣، م ١/ ٤٧٢ .

١١ - مِنْ أَبِي نُوَّاسٍ: [البيط] كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فِقَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ أَبُو نُوَّاسٍ ديوانه ص ٧٤ .

١٢ - مِنْ قَوْلِ الْخَارِثِ بْنِ وَغْلَةَ (فارسي جاهلي من عبس): [الكامل]

و رَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ

أَبُو تَمَّامٍ ديوان الخماسة ص ٣٦؛ الميذانيّ مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ٦٤٢/١ - ٦٤٣ .

مطالبي،...، فَأَزَلْ عَنِّي حَسَدَهُمْ بِكِبَتِهِمْ^(١)، فَقَدْ شَجَّاهُمْ تَقَدُّمِي قَبْلَ وَفْتِهِمْ^(٢)، وَالثَّانِيَةُ بِقَوْلِهِ: "فَكُلُّ عَرَضٍ ذَاهِبٌ مَعَ جِسْمِهِ الْفَانِي، وَ"ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الثَّانِي"^(٣)، وَإِنْ اسْتَحِلَّ حَرَامٌ، مِنْ دَارٍ أَوْرَثَهَا كِرَامٌ، فَالْعَفَاءُ عَلَى الْجَفْنِ^(٤) إِذَا سَلِمَ الْحُسَامُ، وَقَدْ صَانَهُ وَأَغَمَّهُ مَنْ رَأَاهُ إِذَا تَقَلَّدَهُ، وَإِنْ تَعَدَّى إِلَى تَغْيِيرِ الرُّسُومِ، قَرُبَمَا لَيْسَ عَلَى الْإِقْوَاءِ ثَوْبُ النَّعِيمِ^(٥)، وَقَدْ قَالَ سُفْرَاطُ....^(٦) وَفِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ لَمْ يَكْتَفِ بِأَخْذِهِ عَنِ الْمُتَنَبِّي "ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الثَّانِي" بَلْ تَعَدَّاهُ إِلَى الْمَعَرِّي بِقَوْلِهِ: "فَالْعَفَاءُ عَلَى الْجَفْنِ"، ثُمَّ بِأَبِي نُوَاسٍ بِقَوْلِهِ: "قَرُبَمَا لَيْسَ عَلَى الْإِقْوَاءِ ثَوْبُ النَّعِيمِ"، لِيُكْمِلَ تَضْمِينَاتِهِ هَذِهِ بِقَوْلٍ لِسُفْرَاطٍ، فَبَدَتْ الْفَقْرَةُ مَمْلُوءَةً بِالتَّضْمِينَاتِ مِنَ الشُّعْرِ وَغَيْرِهِ .
وَقَدْ وَاعَمَ ابْنُ حَسَدَايَ بَيْنَ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَجَلِبَةِ فَبَدَتْ كَأَنَّهَا تَسِيحُ وَاحِدٌ مُتَلَئِمٌ مَعَ مَا كَتَبَهُ حَتَّى يَظُنُّهَا مَنْ لَا يَعْرِفُهَا أَنَّهَا مِنْ صِيَاغَةِ الْكَاتِبِ نَفْسِهِ لِمَا يَبْدُو عَلَيْهَا مِنْ انْسِجَامِ .
الشُّكْلُ الثَّانِي : ذَكَرَ فِيهِ الْبَيْتُ أَوْ الْآيَاتُ كَامِلَةً .

أَخَذَ ابْنُ حَسَدَايَ كَثِيرًا عَنْ غَيْرِهِ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّضْمِينَاتِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْسِبْ أَيًّا مِنْهَا لِصَاحِبِهِ. وَقَدْ يَكُونُ تَجَاهُلُهُ لِأَنَّ الْبَيْتَ لَا يُعْرَفُ لَهُ قَائِلٌ، كَقَوْلِهِ^(٧): [لطويل]
وَكَمْ مِنْ غُرَابٍ رَامَ مِشْيَةَ قُبْجَةٍ فَأَنْسِي مَمْشَاهُ وَلَمْ يَمْشِ كَالْحَجَلِ

وَبَعْدَهُ مُبَاشَرَةٌ أَتَى بِبَيْتٍ آخَرَ اخْتَلَفَتْ كُتُبُ الثَّرَاثِ فِي نِسْبَتِهِ لِشَاعِرٍ مُعَيَّنٍ، وَهُوَ^(٨): [لرجز]
وَهَلْ عَلِمْتَ يَا قَفِي وَمَرْسِنُ^(٩) الْعِجْلِ وَسَاقُ الْحَجَلَةِ

وَفِي الرِّسَالَةِ نَفْسِهَا أَنْشَدَ ابْنُ حَسَدَايَ شِعْرًا لِلْمَجْنُونِ دُونَ أَنْ يُسَمِّيَهُ، وَهُوَ^(١٠): [لطويل]
أَيَا شَبْهَ لَيْلَى لَا تُرَاعِي فَلَيْتِي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَخْشِيَّةٍ

١ - مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي: [الطويل] أَزَلْ حَسَدَ الْحُسَادِ عَنِّي بِكِبَتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَا الْمُتَنَبِّي شَرْحُ دِيْوَانِهِ ٢٨٩/١

٢ - ابْنُ بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ٣، م ٤٧٢/١ .

٣ - مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي: [البسيط] ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا فَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ الْمُتَنَبِّي شَرْحُ دِيْوَانِهِ ٢٨٨/٣ .

٤ - الْجَفْنُ: عِمْدُ السَّيْفِ . ابْنُ مَنظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [جفن] ٨٩/١٣ .

وقوله: فالعفء على الجفن من قول المعري في رثاء أبيه: [الطويل]

وَإِجْلَالُ مَعْنَاكَ اجْتِهَادُ مَقْصَرٍ إِذَا النُّصْلُ أَوْدَى فَالْعَفَاءُ عَلَى الْجَفْنِ الْمَعَرِّي شُرُوحُ سَفْطِ الزُّنْدِ ٩٣٠/٢ .

٥ - مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ: لِمَنْ دِمْنٌ تَزْدَادُ طَيْبَ نَسِيمٍ عَلَى طَوْلِ مَا أَقَوْتُ وَحُسْنَ رُسُومٍ

تَجَافَى الْبَلَى عَنْهُمْ حَتَّى كَأَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى الْإِقْوَاءِ ثَوْبُ نَسِيمٍ أَبُو نُوَاسٍ دِيْوَانُهُ ص ٢١٦ .

٦ - ابْنُ بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ٣، م ٤٦٢/١ .

٧ - ابْنُ بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ٣، م ٤٨٠/١ ، وَالْبَيْتُ فِي: الثَّعَالِبِيِّ ثِمَارُ الْقُلُوبِ ٤٨٩/١ قال: القبح تشبه بها كل مشية ظريفة.

٨ - ابْنُ بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ٣، م ٤٨٠/١ ؛ الْأَصْمَعِيَّاتُ ص ١٢٨ ؛ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي الْأَمَالِيُّ ٢٨٨/٢ .

٩ - قُفَيٌّ: قَفَا، التَّنْفُلَةُ: الْأَنْثَى مِنْ وَلَدِ الثَّعْلَبِ . ابْنُ مَنظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [قفاء، ثقل] ١٩٤/١٥ ، ٧٨/١١ .

١٠ - مَرْسَنٌ : مَوْضِعُ الرَّسَنِ مِنْ أَنْفِ الْفَرَسِ أَوْ غَيْرِهِ . ابْنُ مَنظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [رسن] ١٨٠/١٣ .

١١ - قَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ دِيْوَانُ مَجْنُونٍ لَيْلَى ص ٢٠٦ ؛ ابْنُ بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ٣، م ٤٨١/١ .

وَأَحْيَانًا يَذْكُرُ أَنَّ الْبَيْتَ مَشْهُورٌ، مِنْهُ: "وَأَوْمِي فِي ذَلِكَ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُعْرِفُ وَيُرَوِّي"^(١): [نطويك]

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتُ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذَرِ أُنِّي لِلْمَقَامِ أَطْوَفُ
وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ تَضْمِينِهِ، كَمَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ عَنْ مَجْنُونٍ لَيْلَى. وَأَمَامَ بَيْتِ
لِلنَّابِغَةِ الذَّبْيَانِيِّ قَالَ: "وَأُنْشِدُ قَبْلَ أَنْ أُنْشِدُ"^(٢): [لكامل]

سَقَطَ النَّصِيفُ^(٣) وَلَمْ تُرَدِّ إِسْقَاطُهُ فَتَنَاولَتْهُ وَاتَّقَنَّا بِالْيَدِ

وَأَحْيَانًا كَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْأَبْيَاتَ لَيْسَتْ لَهُ بِقَوْلِهِ مَثَلًا: "قَالَ الْقَائِلُ"^(٤) إِذَا رَجَّحْتُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَظَّمَ الْأَبْيَاتَ
الْمَذْكُورَةَ دُونَ إِشَارَةِ تَذُلٍّ عَلَى أَخْذِهَا، مِنْهَا الثَّلَاثَةُ عَلَى لِسَانِ الْمُجَمِّ بِلَارْدَةِ^(٥)، وَكَذَلِكَ الْبَيْتَانِ الْوَارِدَانِ فِي
الرَّدِّ عَلَى لِسَانِ الْبُرْدُقُونِ^(٦)، وَلَمْ أَجِدْ سِوَى هَذِهِ الْخَمْسَةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْاِثْنَيْنِ عَشَرَ بَيْتًا عَلَى لِسَانِ
النَّرْجِسِ^(٧)، وَهَذِهِ قَلِيلَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَنْقُولَةِ عَنْ غَيْرِهِ.

٣- مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

رُغِمَ سِعَةً أَطْلَاعِ ابْنِ حَسْدَايَ وَثِقَافَتِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ الَّتِي بَدَتْ فِي فُصُولِ رَسَائِلِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الْكُتُبَ
الَّتِي نَقَلَ عَنْهَا تَضْمِينَاتِهِ، بِاسْتِثْنَاءِ مَوْقِعٍ وَاحِدٍ اسْتَشْهَدَ فِيهِ بِقَوْلٍ لِلْجَاحِظِ ذَكَرَ أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ كِتَابِ "الْحَيَوَانِ"
فَقَالَ: "ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْحَيَوَانِ أَنَّ إِبْنَةَ الْقُبْجِ تَسْتَقْبِلُ الذُّكُورَةَ، فَتَنْتَسِمُ الرِّيحَ تَهْبُ مِنْ تِلْقَائِهَا فَتَحْبِلُ"^(٨)
وَلَمْ أَجِدْ آيَةً إِشَارَةً سِوَى هَذِهِ إِلَى الْمُؤَلَّفَاتِ الَّتِي قَرَأَهَا وَظَهَرَ تَأَثُّرُهُ بِأَسْلُوبِ الْجَاحِظِ فِي كَثْرَةِ
اسْتِطْرَافَاتِهِ، وَفِي فُكَاهَتِهِ وَسُخْرِيَّتِهِ، وَفِي كَثْرَةِ الْأَمْثَلَةِ عِنْدَهُ.

٤- مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ :

ضَمَّنَ ابْنُ حَسْدَايَ رَسَائِلَهُ كَثِيرًا مِنَ الْحِكَمِ وَالْأَمْثَالِ الْمَأْثُورَةِ؛ وَأَحْيَانًا كَانَتْ تَأْتِي مُتَنَالِيَةً، مِنْهَا
قَوْلُهُ: "وَمَا يَضُرُّ الْقَمَرَ أَنْ يَتَّبَحَهُ كَلْبٌ"^(٩) بَعْدَ قَوْلِهِ فِي الرِّسَالَةِ نَفْسِهَا "فَالْحُسْنُ أَحْمَرُ"^(١٠)

١ - الْبَيْتُ فِي : ابْنِ قُتَيْبَةَ غُلُوبُ الْأَخْبَارِ ٢٣٤/١؛ ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْزَةِ ٣، م١/٤٦٧ .

٢ - النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِيَّةُ شَرْحُ دِيوَانِهِ ص ٢٩؛ ابْنِ سَلَامِ الْجَمْعِيَّ طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ ٦٨/١؛ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ الْأَغَانِي ١١/١٤-١٥؛ ابْنِ بَسَّامِ
النُّخَيْزَةِ ٣، م١/٤٦٧ .

٣ - النَّصِيفُ: الْخِمَارُ .
ابْنُ مَنظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [نصف] ٩/٣٣٢ .

٤ - انْظُرْ: ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْزَةِ ٣، م١/٤٨٢ .

٥ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٣، م١/٤٧٥ .

٦ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٣، م١/٤٨١ .

٧ - نَفْسُهُ ٣، م١/٤٦٦-٤٦٧ .

٨ - نَفْسُهُ ٣، م١/٤٧٨-٤٧٩ .

٩ - ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْزَةِ ٣، م١/٤٨٠، مِثْلُهُ لَا يَضُرُّ السَّحَابَ ثُبَاخُ الْكِلَابِ ، وَ أَهْوَنُ مِنَ الثُّبَاخِ عَلَى السَّحَابِ

انْظُرْ: الْمِيدَانِيُّ مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ٢/٢١٥-٢١٦ .

١٠ - الْحُسْنُ أَحْمَرُ: مِثْلُ أَخَذَ مَعْنَاهُ مِنْ قَوْلِهِمْ، مَوْتُ أَحْمَرَ أَيْ شَدِيدٌ. وَمَعْنَاهُ : مَنْ طَلَبَ الْجَمَالَ احْتَمَلَ الْمَشَقَّةَ.

انْظُرْ: الْمِيدَانِيُّ مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ١/٢٧٦-٢٧٧ .

في: "وَحَسُنَ لِمَاكَ بِفَضْلِ الْحُمْرَةِ، فَالْحُسْنُ أَحْمَرُ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يُنْكَرُ" (١). وَتَمَثَّلَ بِزَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ مَثَلًا فِي حِدَّةِ الْبَصَرِ وَبُعْدِ النَّظَرِ فِي مُحَاطَبَتِهِ الْمُنْجِمِ بِلَارْدَةَ مُوضَّحًا أَبْعَادَ الْمَثَلِ بِمَثَلِ آخَرَ حِينَ قَالَ: "وَقَدْ أُرَيْتَ بِزَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ، وَمَا يَبْعُدُ أَنْ تَحْسِبَ فِي لَحْظَةِ أَلْفِ حَمَامَةٍ، وَتَرَى حَضَنًا (٢) مِنْ أَقْصَى تَهَامَةٍ" (٣). كَمَا صَاغَ كَثِيرًا مِنْ عِبَارَاتِهِ حِكْمًا انْسَجَمَتْ مَعَ مَا جَاءَ بِجَانِبِهَا مِنَ الثَّرَاثِ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْقَارِئُ أَحْيَانًا الْحُكْمَ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْعِبَارَاتُ حِكْمًا مَأْثُورَةً أَمْ مِنْ فِلْسَفَةِ الْكَاتِبِ نَفْسِهِ: "فَالْحَازِمُ الَّذِي يُسَدِّدُ إِلَى الْغَرَضِ قَبْلَ إِرْسَالِ سَهْمِهِ" (٤)، وَفِي أُخْرَى: "وَالْعَاقِلُ لَا يَتَنَكَّدُ بِمَا تَرَاهُ الْعَوَامُّ قَبِيحًا مُسْتَحِيلًا، إِذَا كَانَ فِي حُكْمِ الْخَوَاصِّ حَسَنًا جَمِيلًا" (٥). وَمِثْلُهَا: "وَإِنَّمَا يُوصَفُ الشَّيْءُ بِالْأَغْلَبِ عَلَيْهِ، فَيُذَكَّرُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ" (٦). وَأَحْيَانًا كَانَ ابْنُ حَسْدَايَ يَأْتِي بِالْحِكْمَةِ مَنْسُوبَةً إِلَى فِيلْسُوفٍ أَوْ حَكِيمٍ دُونَ أَنْ يُسَمِّيَهُ كَقَوْلِهِ: "فَقَدْ قَالَ الْفِيلْسُوفُ: إِنَّ الْبَيْضَتَيْنِ (٧) كَالْمِعْلَقَتَيْنِ" (٨)، وَفِي رِسَالَتِهِ لِلْمُسْتَعِينِ أوردَ عِدَّةَ حِكْمٍ؛ نَسَبَ الْأُولَى مِنْهَا لِحَكِيمٍ وَتَرَكَ الْآخِرَاتِ مَعْطُوفَةً عَلَى هَذِهِ دُونَ نَسَبِهَا لِأَحَدٍ، فَلَمْ يَعْذِ سَهْلًا عَلَى الْقَارِئِ أَنْ يُمَيِّزَ الْمَأْثُورَ مِنْهَا عَنْ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ بِحُنُكَّتِهِ وَخَبَرَتِهِ فِي الْحَيَاةِ، قَالَ فِيهَا: "وَقَالَ الْحَكِيمُ: (مَنْ لَانَ تَأَلَّفَ، وَمَنْ شَدَّ تَفَرَّ)، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ رَجَالٌ، وَفِي كُلِّ مَضِيْقٍ مَجَالٌ، وَقَلَمًا اطَّرَدَتِ الْحَظُوفَةُ فِي الدُّوَلِ، لِمَنْ اخْتَصَّ بِالْأَسْلَافِ الْأَوَّلِ، وَمَنْ خَدَمَ الْآبَاءَ لَمْ يَخْدِمِ الْأَوْلَادَ" (٩). وَإِنْ نَسَبَ ابْنُ حَسْدَايَ الْحِكْمَةَ إِلَى الْحَكِيمِ مَرَّةً إِلَّا أَنَّهُ سَمَّاهُ فِي الرِّسَالَةِ نَفْسِهَا، فَقَالَ: "قَالَ سُقْرَاطُ: إِذَا انْكَسَرَ الْحُبُّ لَمْ يَنْكَسِرِ الْمَكَانُ، وَلَا يَتَّسِعَ فِي تَغْيِيرِهِ الْإِمْكَانُ، وَلَكَ فِي مَا تَرَاهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَفِي مَا تَتَوَخَّاهُ الشَّرَفُ الْأَزْكَى" (١٠). وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْحِكْمَةُ مَأْلُوفَةً لَا يُمَكِّنُ الْفَصْلُ بَيْنَ قَوْلِ سُقْرَاطِ مَثَلًا فِي النَّصْرِ السَّابِقِ وَحِكْمَةِ ابْنِ حَسْدَايَ فَتَدْخُلُ هَذِهِ بَيْنَكَ وَيَصْعُبُ التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا.

١ - ابن بسام الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/٤٧٩ .

٢ - حَضَنٌ: اسْمُ جَبَلٍ فِي أَعَالِي نَجْدٍ. وَفِي الْمَثَلِ: أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حَضَنًا، أَيْ مَنْ عَايَنَ هَذَا الْجَبَلَ فَقَدْ دَخَلَ فِي نَاحِيَةِ نَجْدٍ. وَمَنْ فِي تَهَامَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ رُؤْيَتَهُ . انظر: ابن خَلَّكَانَ وَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ ٥/٢٤٨؛ ابن مَنْظُورُ لِسَانُ الْعَرَبِ [حَضَن] ١٣/١٢٤ .

٣ - ابن بسام الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/٤٨٣ .

٤ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٦٧ .

٥ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٧٦ .

٦ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٨٠ .

٧ - الْمِعْلَقَتَانِ: الْخَشَبَتَانِ اللَّتَانِ تَنْصَبَانِ عَلَى رَأْسِ الْبَيْتِ . ابن مَنْظُورُ لِسَانُ الْعَرَبِ [عَلَق] ١٠/٢٦٦ .

٨ - ابن بسام الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/٤٧٦ .

٩ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٦١ .

١٠ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٦٢ .

ثانيًا : ظهور ثقافته الواسعة .

تظهر في رسائل ابن حسداي ثقافة واسعة وإطلاع شامل على جميع المعارف والفنون والعلوم الشائعة في عصره، استثنى منها العلوم الدينية الإسلامية، فرغم أخذه عن القرآن والحديث إلا أنه لم تنضح لديه في رسائله معرفة واضحة مثلًا بعلوم الفقه والسيرة وغيرها من العلوم الدينية. وظهر بوضوح تميزه بعلوم الطب والفلك بجانب قدرته على الكتابة في هذه الرسائل. وهذا يدل على أن بعض يهود الأندلس كان على مستوى كبير من العلم والثقافة، وظهرت ثقافته المتنوعة في ذكره لعدد من الأعلام المشهورة، ولكنه لم يسهب في ذكرها إسهابًا مملًا كما بدا في رسائل غيره كابن زيدون مثلًا^(١)؛ فجاءت الأعلام معقولة متناثرة في الرسائل أو في فصول الرسالة الواحدة، وقلما جمع عددًا كبيرًا من الأعلام في فقرة واحدة. ولم يعن ابن حسداي بالتركيز على ما امتازت به هذه الأعلام من صفات، ولم يشير كثيرًا إلى ما رافقها من أحداث تاريخية، كما أنه لم يميز جنسياتها أو دينها أو مذهبها الذي امتازت به أثناء الحديث عنها؛ فخلط مشاهير العرب بالعجم، والقدماء بالمحدثين، والمغروفين بالمجهولين، وأعلام فن بأعلام فن آخر في الرسالة الواحدة، ويغفر له هذا الخلط أن الأعلام جاءت متباعدة في الرسالة ولم تكن متجاورة. ففي رسالته على لسان بلاردة ذكر بقراط وموسى في الصفحة نفسها متباعدين؛ ففي أول الرسالة وفي بدء الأبيات الشعرية: "فوقيت بقراط^(٢) الطيور تطببًا" ثم ذكر حوت موسى بقوله: "كأني شق^(٣) في قفر، أو حوت موسى في بحر"^(٤) دون أي علاقة بين بقراط وموسى أو حوته. ومثل هذا ظهر كذلك في الرد على لسان البرذقون فأشار إلى بعض الأماكن التاريخية وأعلام القصاص الدينية بقوله: "فأنت عندهم من أكرم البرية، وأجدى من منار الإسكندرية، لكنهم لم يشعروا أنك الدجال المنتظر، وقد خرجت عليهم بخروج عينيك، وبرزت إليهم ببروزها عنك فإن اعترض معترض وقال: إن الدجال يقدمه خروج الدابة، فإن يكن هذا هو الدجال فأين الدابة؟"^(٥) ثم أضاف سلسلة من قدماء الحكماء كقيطوس وجالينوس، قبل أن يعود مرة ثانية للدجال بقوله: "فالجواب: أنك كنت الدابة ثم صرت بـ العور دجالاً. وقد جال الصدق في ذلك مجالاً؛ وأنت قيطوس^(٦) دابة

البحر

تقوم

١ - انظر الرسالة الهلزية والرسالة الجدوية لابن زيدون، ابن زيدون ديوانه ورسائله ص ٦٣٤ - ٧١٧ .

٢ - هو: بقراط أو أبقرط الحكيم اليوناني، تلميذ لقمان الحكيم، وفي عيون الأنبياء أنه أول من وضع صناعة الطب وأول من دوتها.

انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ١٩٨/٣، ابن أبي أصيبعة غيوت الأنبياء ٢٧/١، ابن خلدون المقدمة ص ٤٨٠ .

٣ - الشق: الصدع البائن . ابن منظور لسان العرب [شق] ١٨١/١٠ .

٤ - ابن بسام الأخيرة ق ٣، ٤٧٥/١ .

٥ - نفسه ق ٣، ٤٨٣/١ .

٦ - قيطوس وتكتب أحيانًا قيطس Cetus : لفظة يونانية تعني الحوت أو سبع البحر .

فِي حُبِّكَ الْمَاءِ، وَتَسْبَحُ مِثَالَهَا فِي فَلَكِ السَّمَاءِ، فَإِنَّ صُورَةَ قَيْطُوسَ الَّتِي أَثْبَتَهَا جَالِينُوسُ جَمَاعَةً كَوَاكِبَ تُعْرَفُ بِدَابَّةِ الْبَحْرِ، وَبَطْنُهَا غَائِصٌ فِي كَوَاكِبِ النَّهْرِ.... فَأَنْتَ حَقًّا الدَّجَالُ الْأَعْوَرُ، وَالْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ، الَّذِي نَبَأْنَا بِهِ الْأَثَرُ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِزَّنَا بِأَعْلَامِكَ" (١)، وَكَانَ بِهَذَا يُجِيبُ عَلَى رِسَالَةِ الْمُنَجِّمِ بِلَارْدَةَ الَّتِي احْتَوَتْ سُلْسِلَةً أُخْرَى مِنَ الْحُكَمَاءِ وَمِمَّنْ لَهُمْ عِلَاقَةٌ بِالْفَلَكِ وَالتَّنْجِيمِ مِنْهُمْ كَذَلِكَ جَالِينُوسُ الْمَذْكُورُ فِي رَدِّ الْبُرْدُقُونِ هُنَا، فَفِيهَا: "إِذْ كُنْتَ تَهْزِلُ بِجَالِينُوسَ، تَلْهُو بِلَحْيَةِ اسْقَلِيْبِيُوسَ" (٢)، فَإِنَّكَ مِنْ فِرْقَةِ أَصْحَابِ الْحَيْلِ،...، فَتَصَرَّتْ تَأْسِلَاسَ (٣) عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ" (٤).

وَيُلَاحِظُ كَثْرَةَ اسْتِغْلَالِ ابْنِ حَسْدَايَ لِأَعْلَامِ وَمُصْطَلَحَاتِ الطَّبِّ وَالْفَلَكِ اسْتِغْلَالًا وَاسِعًا لِلتَّوْرِيَّةِ عَنْ مَعَانِيهِ وَصُورِهِ، فَجَاءَتْ تَعْبِيرَاتُهُ حَافِلَةً بِهَا وَجَاءَتْ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتُ بِهَدْوٍ وَنَاسَبَتْ أَحْيَانًا الْمَعْنَى أَوْ الصُّورَةَ الَّتِي كَانَتْ بِهَا أَنْظَرُ كَيْفَ جَمَعَ مَا لَهُ عِلَاقَةٌ بِالطَّبِّ بِغَيْرِهِ بِقَوْلِهِ: "وَقَبَّحَ اللَّهُ النَّهْمَ فَعَنْهُ تَكُونُ الْعِلَلُ الْمُتَوَلِّدَةُ، وَكُلُّ دَاءٍ أَصْلُهُ الْبَرْدَةُ، وَمَعَ مَا رُكِّبَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّهِ إِلَى الْمَأْكَلِ، فَإِنِّي مُتَطَقِّلٌ عَلَى اسْتِجَارَةِ أَكْلِ الْحَجَلِ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ نَفْسِي، يَوْمَ أَرُومُ أَكْلَ أَبْنَاءِ جَنْسِي، إِذِنْ أَكُونُ كَالزَّنَجِ الْأَنْجَاسِ، الَّذِينَ يَسْتَجِيزُونَ أَكْلَ لُحُومِ النَّاسِ" لِيَنْتَقِلَ بَعْدَهَا لِلْحَدِيثِ عَمَّا لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْحَجَلِ وَالطَّيْرِ بِقَوْلِهِ: "بَلْ إِنِّي أَطْلُبُهَا مِنْ مَظَانِّهَا، وَأَرْتَادُهَا، وَأَنْصُبُ لَهَا الْحَبَائِلَ وَأَصْطَادُهَا، ثُمَّ أُرْسِلُهَا أَسْرَابًا وَأَفْوَاجًا، وَأُسَرِّحُهَا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا" (٥). وَبِمُصْطَلَحَاتِ الطَّبِّ نَاسَبَتْ مِهْنَةَ مُرْسِلِهَا الطَّبِيبِ الْبُرْدُقُونِ الَّذِي كَتَبَ ابْنُ حَسْدَايَ الرِّسَالَةَ عَلَى لِسَانِهِ بَيْنَمَا امْتَلَأَتِ الرِّسَالَةُ الْمَكْتُوبَةُ عَلَى لِسَانِ الْمُنَجِّمِ بِلَارْدَةَ بِمُصْطَلَحَاتِ الْفَلَكِ وَبِعُلَمَاءِ الْفَلَكِ، فَالرِّسَالَةُ مُوجَّهَةٌ إِلَى مَنْ يَشْكُو ضَعْفًا فِي عَيْنِهِ؛ فَذَكَرَ حَالِ النُّجُومِ حِينَ تَفْقَدُ الْقَمَرَ بِحَالِهِ حِينَ فَقَدَ بَعْضَ الرُّؤْيَا، وَذَكَرَ الْخَفَافِشَ وَزُرْقَاءَ الْيَمَامَةِ لِتَنَاسِبِ قُوَّةِ الرُّؤْيَا وَعَدَمِهَا، ثُمَّ تَذَكَرَ عَوَرَ الدَّجَالِ وَدَابَّتَهُ فَذَكَرَ كَمَا أَشْرَتْ سَابِقًا: "دَابَّةُ الْبَحْرِ، فَلَكِ السَّمَاءِ، قَيْطُوسَ، جَالِينُوسَ، جَمَاعَةَ كَوَاكِبَ تُعْرَفُ بِدَابَّةِ الْبَحْرِ، كَوَاكِبِ النَّهْرِ، دَنْبَهَا مِمَّا يَلِي الدَّلْوُ، فَمِ الْحُوتِ الْجَنُوبِيَّةِ، كَوَاكِبِ الْحُوتِ مِنْ فَلَكِ الْبُرُوجِ، بَرْجُ الْحَمَلِ" (٦)، وَلَمْ يَكْتَفِ ابْنُ حَسْدَايَ بِهَذَا فِي رِسَالَتِهِ

بَلْ

أَتَى

١ - ابن بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/٤٨٣ - ٤٨٤ .

٢ - جَالِينُوسُ: قَالُوا إِنَّهُ خَاتِمُ الْأَطِبَّاءِ الْكِبَارِ الْمُعَلِّمِينَ وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ يُدَانِيهِ أَحَدٌ فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ.

انْظُرْ: ابن النَّدِيمِ الْفَهْرِسْت ١/٤٠١ - ٤٠٣؛ ابن أَبِي أُصَيْبَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ١/١٠٩ - ١٥٠ .

اسْقَلِيْبِيُوسُ: مِنْ أَشْرَافِ الْيُونَانِيِّينَ قَبْلَ أَبُقْرَاطَ وَمِمَّنْ اشتهروا بصِنَاعَةِ الطَّبِّ. انْظُرْ: ابن أَبِي أُصَيْبَةَ غُيُونُ الْأَنْبَاءِ ١/٤٤، ٨٠ .

٣ - تَأْسِلَاسَ أَوْ ثَاسِلُوسَ: هُوَ أَحَدُ أَبْنَاءِ أَبُقْرَاطَ الْكَبِيرِ وَتَلَامِيذِهِ مِنْ آلِ اسْقَلِيْبِيُوسَ. أَمَّا أَوْلَادُهُ فَهُمْ أَرْبَعَةٌ: تَاسِلُوسَ، وَدِرَاقِنَ، وَابْنَاهُمَا: أَبُقْرَاطُ بْنُ ثَاسِلُوسَ، وَأَبُقْرَاطُ بْنُ دِرَاقِنَ. فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ وَلَدَيْهِ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَمَّاهُ أَبُقْرَاطَ بِاسْمِ جَدِّهِ. انْظُرْ: ابن النَّدِيمِ الْفَهْرِسْت ١/٤٠٠ .

٤ - ابن بَسَّامِ الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/٤٧٩ .

٥ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٨١ .

٦ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٨٣ - ٤٨٤، وَأُثْبِتَ النَّصْرُ كَامِلًا فِي الْمَلَا حَقِّهِ.

قبلها بمجموعة كبيرة من مصطلحات الفلك يستهزئ به قائلا: "فحدثنا عن هقعة الجوزاء^(١) أو نثرة السرطان^(٢): هل هي كواكب صغار منتظمة، أو لطح^(٣) سحابية مظلمة؟ فإن بصرك يدرك حقيقة ذلك ولا يكفل عن نيل مداه، وبلوغ أقصاه؛ وأما رؤيتك الثريا^(٤) سبعة أنجم فهو ما لا يفخر به مثلك، وإنما يقاس به الحديد البصر، وأنت في ذلك أقوى البشر. وحدثنا عن كلف القمر^(٥) ما هو؟ وأشرح لنا الحال في قطر السحاب كيف هو؟ فإنك تبصره مجتمعا قبل أن يصير بددا، وتلاحظه دائما قبل أن يجمد بردا، وهذا كله مما تراه عيانا^(٦)". ويلاحظ أن استخدام مصطلحات الفلك أتى كثيفا متلاحقا مصطنعا، وتتابعت بدرجة مملّة يگاد لا يفهمها إلا متخصص أو عارف بهذا العلم فقط، بينما كانت مصطلحاته الطبیّة أقلّ عددا وأوضح معنى.

ثالثا : سمات موضوعية وفنية أخرى.

لم تكن رسائل ابن حسداي كاملة حتى يتم استخراج سمات الكتابة عنده بدقة، لكن من هذه المنتخبات التي وصلت إلينا يمكن التوقف عند ما يلي :

١ - الموضوعات :

رسائل ابن حسداي نوعان: الأول منها كتبه عن نفسه، والثاني كتبه عن أحدهم أو بلسانه. وكتب ابن حسداي ستة من الرسائل عن اثنين من ملوك الأندلس وهما المؤمن والمقتدر حيث كان يعمل عندهما، فهي من الرسائل الديوانية. ووصله إلى هذه المكانة عند أصحاب السلطة والنفوذ يدل على أنه كان يتمتع بملكة أدبية واضحة وشخصية مميزة أهله هذه المكانة.

ورسائل ابن حسداي غير الشخصية نوعان: الرسائل الديوانية والرسائل الهزلية، وسواء أكانت الرسائل ديوانية أم هزلية أم أدبية - إن اعتبرنا رسالته على لسان الترجم منها - فإن معظم الرسائل التي كتبها ابن حسداي امتازت بالجديّة باستثناء رسالته الهزلية التي كتبها على لسان المنجم بلاردة إلى الطبيب الملقب بالبرذقون والردّ عليها. وجاءت الجديّة من كون معظمها صادرة عن ديوان الرسائل، وممن يعمل فيه. وحدثت الجديّة أغراض رسائله قليلا، فلم يظهر فيها تنوع في

١ - الهقعة: ثلاثة كواكب نيرة قريب بعضها من بعض فوق مكعب الجوزاء. ابن منظور لسان العرب [هقع] ٣٧٣/٨ .

٢ - النثرة: كوكبان بينهما مقدار شبر، وفيهما لطح بياض كأنه قطعة سحاب من بروج السرطان. أو هي ثلاثة كواكب خفيفة

مقاربة، أو أربعة . ابن منظور لسان العرب [نثر] ١٩٢/٥ .

٣ - اللطح: كل شيء لطح بغير لونه، وفي السماء لطح من سحاب أي قليل . ابن منظور لسان العرب [لطح] ٥١/٣ .

٤ - الثريا: من الكواكب، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها . ابن منظور لسان العرب [ثرا] ١١٢/١٤ .

٥ - كلف القمر: تغييره، والمقصود هنا منازلها . ابن منظور لسان العرب [كلف] ٣٠٧/٩ .

٦ - ابن بسام الأخيرة ق ٣م ٤٨٣ .

الأغراض، وحوّت الرسائل عن المؤتمن أو المُقَدِّر أموراً تتعلّق بالأسرة أو الصداقة أو التعزية لوفاة قريب للمُخاطَب، أو طلب مُقابلة، أو الحديث عن الوفاء، أو التوسُّط لأحدهم عند من يُخاطبهم وما أشبه ذلك؛ ودارت أغراض ما كتبه عن نفسه حول الشكر والامتنان والثناء على أولياء نعمته على معروف سابق أو رسالة سابقة، أو الاعتذار وطلب الصفح، أو طلب السماح له بالمُكث في ديار المُخاطَب أو الرحيل عنها في أخرى. ولم تتعدّ الرسائل التي كتبتها عن نفسه هذه الأغراض إلا رسالته التي كتبها على لسان النرجس .

والفصول التي اختارها ابن بسام لابن حسداي بعضها قدّم له تقديمًا واضحًا فقال: كتبتها عن فلان أو فلان، لكن بعضها قدّم له بقوله: وله من أخرى، وهذه لا يظهر فيها إن كانت منه أو أنها عن غيره. ويظهر في رسائله أنه كان صاحب قوة ونفوذ وسيطرة تقارب ما حصل عليه الوزراء العرب المسلمون المُقربون بل فاق ما حصل عليه بعضهم، انظر إلى قوله: "ومن أولئك الأعيان الأكابر، بل المُبرِّ^(١) عليهم بخصائص المائر، فلان، فأني ما أفوضك في وصف مناقبه، وأعلمك بكرام ضرائبه، واعتلائه في مراقبي العلم وتسميه، وشُفُوفه^(٢) بالبراعة في الإبداع وتقدمه، ومفاوضة من يسم لَدَيْكَ غُفلاً، ويَبُّه خاملاً، ويُدْكَرُ ناسياً، فأنتك أعلى ملحظاً، وأزكى تيقظاً، من أن يغيب عليك مكان مثله، ولا يتقرّر لَدَيْكَ سمو محلّه، في إحسانه وفضله، وحسبك به جملة تُغني عن التفصيل، مع عالي نظرك الجليل، أني ما عاشرت أكبر منه في البر والصلة، ولا أقوم بحقيقة الود والخلة^(٣)، ولا ناسمت أطيّب منه نفساً، ولا أمتع أنساً، نقاسة خيم^(٤) صادرة عن شرف أروم^(٥)، وأنت خليق بالاستكثار من جانيه، والإجمال في معونة مطالبيه^(٦) .

وهذه القوة والنفوذ جعلته يُعاني ممّا يُعاني منه عادة كبار الساسة من الملوك والوزراء من الغيرة والحسد والمؤامرات والدسائس. فأظهرت رسائله البيئة النفسية له، وأشار إلى المنغصات هذه بطريقة رمزية على لسان النرجس: "قلبت الرياض تعلم بمكاني فتدبّل كمدًا، وتدوى^(٧) حسداً، وتراني وقد أنرت في أفقك البهيج، وزهرت في روضك الأرج، فكم تمنى الأزهار أن تضام لَدَيْكَ مطالبي، وتتكدر في ذراك مشاربي، فأزل عني حسدهم بكبتهم، فقد شجّاهم تقدّمي قبل وقته^(٨) .

١ - المُبرِّ: الغالب .

٢ - شُفُوفه: رقيقه .

٣ - الخلة: الصداقة المُختصة التي ليس فيها خلل .

٤ - خيم: أصل .

٥ - أروم: أصل .

٦ - ابن بسام الدخيرة ٣، م ١/٤٦٨ .

٧ - تدوى: تهلك .

٨ - ابن بسام الدخيرة ٣، م ١/٤٧١ - ٤٧٢ .

ابن منظور لسان العرب [يرر] ٥٥/٤ .

ابن منظور لسان العرب [شفف] ١٨١/٩ .

ابن منظور لسان العرب [خلل] ٢١٦/١١ .

ابن منظور لسان العرب [خيم] ١٩٤/١٢ .

ابن منظور لسان العرب [أرم] ١٥/١٢ .

ابن منظور لسان العرب [ودى] ٣٨٦/١٥ .

وَأَظْهَرَتْ رَسَائِلُ ابْنِ حَسْدَايَ كَذَلِكَ الْبَيْئَةَ الْمَادِّيَّةَ حَوْلَهُ؛ فَبَدَّتْ الطَّبِيعَةُ الْخَلَابَةَ بَيْنَ أُسْطُرِ رَسَائِلِهِ بِمَا فِيهَا مِنْ أَزْهَارٍ وَنَوَائِرٍ جَمِيلَةٍ بِقَوْلِهِ عَنِ الْمُقْتَدِرِ لِأَخِيهِ: "وَصَلَّتِ الْهَدِيَّةُ الَّتِي أَصْدَرْتُهَا سَاحَةَ الْقُضْلِ، وَتَضَمَّنَتْهَا رَاحَةُ النَّبْلِ، وَزَفَّهَا الْمَجْدُ زَقَافَ الْهَدْيِ تَرْفُلٌ فِي الْحِلْيِ وَالْحُلَلِ، وَتَقَدَّمَ سَفِيرُ الْأَسْ^(١)، فَأَذَاعَ مَا حَمَلَ مِنْ طِيبِ الْأَنْفَاسِ، وَتَلَقَّيْتُهُ بِمَا يَتَلَقَّى مِثْلُهُ مِنْ كِرَامِ الزُّوَارِ، إِذْ كَانَ بِحُكْمِ الْإِجْمَاعِ سَيِّدَ الزَّهْرِ وَالنَّوَارِ، بِدَوَامِ عُهُدَتِهِ، وَبَقَاءِ جَدَّتِهِ وَتَمَادِي نَضْرَتِهِ، وَتَنَاوَلَتْ الظَّرْفَ الظَّرِيفَ الْوَاصِلَ مَعَهُ، فَقَضَضْتُ خِتَامَهُ وَتَرَشَّفْتُ مُسْتَوْدَعَهُ، وَتَسَوَّغْتُ مِنْهُ شُمُولًا^(٢) مُعْتَقَةً، لَذَّةً عَيْقَةً، وَوَصَلَ مُبَكِّرُ الْبَهَارِ^(٣) الْجَنِيِّ، مُمْتَعًا بِمَنْظَرِهِ الْبَهِيِّ، وَعَرَفَنِي^(٤) الذَّكِيَّ" (٥).

وَأَظْهَرَتْ الْبَيْئَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ كَذَلِكَ فِي هَذِهِ الرِّسَائِلِ، فَبَدَّتْ كَانَتْهَا وَثِيقَةً اجْتِمَاعِيَّةً وَاضِحَةً، فَأَظْهَرَتْ بَعْضَ الْعَادَاتِ كَالْتِهَادِي بَيْنَ النَّاسِ فِي الرِّسَالَةِ السَّابِقَةِ، وَمِثْلُهُ كَذَلِكَ فِي رِسَالَتِهِ عَنِ الْمُقْتَدِرِ إِلَى أَخِيهِ الْمُظَفَّرِ لَوْفَاةِ ابْنِهِ، فِيهَا إِنَّهُ: "قَرَنَ بِالرُّقْعَةِ ظَرْفَ بُلُورٍ أَحْمَرَ مَمْلُوءًا خَمْرًا مَعَ بَاقَةِ آسٍ، يُسَلِّيهِ عَنْ ابْنِ تَوْفِي لَهُ، وَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ" (٦).

وَأَظْهَرَتْ طَبِيعَةُ الْإِلَهِيَّةِ الْمُسْتَهْتَرَةِ بِالْقِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ دُونَ خَوْفٍ فِي رِسَالَتِهِ الَّتِي أَصَرَ فِيهَا عَلَى مُلَاحَقَةِ ابْنِ الدَّبَّاحِ لِيَعُودَ إِلَى الْخَمْرِ وَالْإِلَى مَجَالِسِهِمْ، فَبَيَّنَهَا: "وَنَعَمْ، سَنَأْدُبُكَ إِلَى مَادِبِ أَنْسِنَا، وَنُنْذِرُكَ^(٧) إِلَى مَحَاضِرِ لَهُونَا، فَمَا نَبِّئُ إِلَّا بِكَ، وَلَا نَلْذُ إِلَّا بِأَقْرَابِكَ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَلَذُّ وَأَمْتَعُ مِنْ أَنْ نَتَعَاطَى عَنْكَ وَأَنْتَ فِي مَجْرَاهَا، وَنُحَلِّقَ بِهَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاهَا، وَلَا تَعْلَلُ مِنْهَا بِنَسِيمٍ، وَلَا تَنْفُخَ لَكَ مِنْ رِيَاهَا بِشَمِيمٍ، حَتَّى إِذَا دَبَّتْ فِيْنَا حُمَيَّا الْخَمْرِ، وَقَهَرْتَنَا سُورَةُ السُّكْرِ^(٨)، تَمَاطِلُنَا عَلَيْكَ مُعْرِبِينَ، وَتَمَسَّحُنَا بِأَثْوَابِكَ رَاكِعِينَ وَسَاجِدِينَ" (٩)، وَأَضَافَ: "وَأَمَّا صِفَةُ خَالَتِنَا الَّتِي سَأَلْتَ عَنْهَا، فَسَنَزِيدُكَ جُنُونًا بِالْحَدِيثِ عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّاقِيدُ الْتِهَاءِ وَارْتِيَاكِ، وَرَهْنُ اغْتِيَاكِ وَاصْطِبَاحِ، تَصْرَعُنَا الْقَهْوَةُ، فَتَنَادَاوَى مِنْهَا بِهَا، وَتَنْدَرُّعُ النَّشْوَةِ، فَلَانَعْرِى مِنْ إِهَابِهَا، فَتَخْرُجُ مِنْ سَكْرَةٍ إِلَى سَكْرَةٍ، وَنَعْبِرُ مِنْ غَمْرَةٍ فِي غَمْرَةٍ^(١٠)... وَتَسْتَرِدُّ فَتَعْلَمُ، وَتَلْقَى خِلَافَ مَا تَظُنُّ وَتَتَوَهَّمُ، وَاللَّهُ يَمْتَعُنَا بِمَقْدَمِكَ، وَيُؤْنِسُنَا بِلِقَائِكَ، وَيَنْفَعُنَا بِصَلَاحِكَ وَبِرَكَّةِ

١ - الْأَسْ: ضَرْبٌ مِنَ الرِّيَاحِينَ .

٢ - الشُّمُولُ: الْخَمْرُ .

٣ - الْبَهَارُ: نَبْتُ طَيْبِ الرَّائِحَةِ .

ابن منظور لسان العرب [أوس] ١٩/٦ .

ابن منظور لسان العرب [شمل] ٣٦٩/١١ .

ابن منظور لسان العرب [بهر] ٨٤/٤ .

وجاء في نفح الطيب: أَنَّ الزُّجَسَّ وَيُسَمَّى الْعَبْهُزُّ هُوَ الْبَهَارُ عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ .

المَقْرِي نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢٦١/٤ .

ابن منظور لسان العرب [عرف] ٢٤٠/٩ .

٤ - عَرَفَنِي: رَأَيْتُهُ .

٥ - ابْنُ بَسَامٍ الذُّخَيْرَةُ ٣، م ١/٤٦٩ .

٦ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٣، م ١/٤٧٣ .

٧ - نُنْذِرُكَ: نَدْعُوكَ وَنُحْنِكُكَ لِشُرْعٍ .

ابن منظور لسان العرب [ندب] ٧٥٥/١ .

ابن منظور لسان العرب [سور] ٣٨٤/٤ .

٨ - سُورَةُ الْخَمْرِ: حَدُّهَا .

٩ - ابْنُ بَسَامٍ الذُّخَيْرَةُ ٣، م ١/٢٨٨ .

ابن منظور لسان العرب [غمر] ٢٩/٥ .

١٠ - الْعَمْرَةُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ .

دُعَانِكَ" (١). وإن دلت الرسالة على شيء فإنما تدل على مقدار النفوذ الذي تمتع به هذا اليهودي حتى يعلن بمجاهرتيه هذه واستهتاره وسط بيئة عربية إسلامية.

وكان الاستعطاف أكثر غرض باد في رسائل ابن حسداي، رافقه أحياناً تدلل ولين في الخطاب، ومنه قوله: "وأنا آية" (٢) تصرفت، وحيث تقلبت، العبد القن، فليحسن بي الظن، فإني لا أتم بنقض ولا تلم، ولا أهم بنقض ولا وصم (٣). ومن أملي أن ألقى مولاي يوماً من الدهر، بوجه يسفر عن أساريه الزهر (٤)، صافي الفرند (٥) من صدا يعيب، نقي الأديم من حجل يريب، وله علي من كرم العهد كالي (٦) ورقيب وإن أضمرتني من جوائح البلاد حجب وغيوب (٧). [نطويك]

فلو كنت بالعنقاء أرباً سؤمها (٨) لخلت لك إلا أن تصد تراني

وقد خاطبت من وثقت بوده، وأنست إلى جده، فإن جاد مولاي بالصّفح، وعاد بالخلق السّمح، فهو الذي يضطره إليه عالي منصبه، وسامي رتبته، وإن صرم الحبل، وجدّم (٩) الأصل، فهو حكم الزمان القاسد، ولا نغى للشامت الحاسد، فليس بالباقي ولا الخالد.. (١٠)، ومثل هذا بدا كذلك في قوله: "وقد فتننا غربة النوى، حين هوت بي حيث الإلف والهوى، وله الطول في الإذن والقبول، والتوطئة للحلول، بتمهيد منزل ينبؤ، وبمديد ظل يتفيا، لا زال فتاؤه للقصاد مألفاً أهلاً، وحرماً آمناً" (١١). فبدا الأسلوب ليّناً والعبارة رقيقة، وهذا أسلوب موفق في مخاطبة الحكام لينال مزيداً من العطاء والمكانة التي كان بحاجة إليها في مجتمع لا يؤمن بديانته.

٢- الأسلوب :

لم تتعدّد أساليب ابن حسداي كثيراً في رسائله؛ وقد يرجع هذا إلى تقارب معاني الفصول المختارة إلا أن هذا لم يمنع ظهور شخصية أسلوبية واضحة؛ فمن سهولة وتكرار وترادف إلى

١ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٢٨٩/١ .

٢ - آية تصرفت : يقصد آية طريقة تصرفت .

٣ - الوصم : العيب في الحساب .

٤ - أساريه الزهر : وجهه الأبيض الحسن .

٥ - الفرند : السيف .

٦ - كالي : حافظ .

٧ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٤٦١/١ .

٨ - العنقاء : أكمة فوق جبل مشرف .

أرباً : أنظر للقوم لئلا يذهبهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه . ابن منظور لسان العرب [رباً] ٨٢/١ .

سؤمها : ملازمها فلا أبرح منها . ابن منظور لسان العرب [سوم] ٣١١/١٢ .

٩ - جدّم : أسرع القطع . ابن منظور لسان العرب [جذم] ٨٧/١٢ .

١٠ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٤٦١/١ - ٤٦٢ .

١١ - نفسه ق ٣، م ٤٦٤/١ .

مُبَالَغَةٍ وَإِيحَاءٍ وَغُمُوضٍ وَتَوْرِيَةٍ، وَمِنْ الْأَلْفَافِ الْجَزَلَةِ إِلَى الْمَأْنُوسَةِ، وَمِنْ اللَّيْنِ وَالرَّقَّةِ إِلَى الْإِقْدَاعِ، وَمِنْ الْغَيْبَةِ إِلَى الْمُخَاطَبَةِ، وَمِنْ الْاهْتِمَامِ الزَّائِدِ بِالْمَحْسَنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ إِلَى سَهُولَةٍ فِي التَّعْبِيرِ، وَمِنْ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ إِلَى الْاسْتِشْهَادِ بِمَأْنُورٍ عَلَى التَّفْصِيلِ التَّالِيِ .

وَظَهَرَ عِنْدَ ابْنِ حَسْدَايَ اهْتِمَامٌ وَاضِحٌ بِالْأَلْفَافِ الْجَزَلَةِ الْقَوِيَّةِ، كَقَوْلِهِ "يَعْتَسِفُ شَتَّى الْمَسَالِكِ وَيَعْرِوْرِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ، فَاتَحَ كَاسِمِهِ سَائِحٌ عَلَى أَجْرَدَ سَابِحٍ كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثَوْبَ مَاتِحٍ.." (١) وَمِثْلَهَا فِي قَوْلِهِ مِنْ رُفْعَةٍ إِلَى ابْنِ رَزِينٍ: "إِذَا وَمَضَ مِنْ أَفْقِهِ الْبَسَامُ بَارِقٌ، أَوْ دَرَّ (٢) مِنْ سَمْتِهِ الْوَضَاحُ شَارِقٌ" (٣)... حَتَّى وَرَدَ مَا أَمْتَعَ بِوَابِلٍ بَعْدَ طَلٍّ، وَسَقَى نَهْلًا، وَوَالَى بَعْلٌ، وَاسْتَرْهَبَ بِمُعْجَزِي سِحْرِ حَرَامٍ وَحِلٍّ" (٤). وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى عَمَلِهِ فِي دِيْوَانِ الرِّسَائِلِ فِيمَا أَرَى.

كَمَا أَنَّهُ اسْتَخْدَمَ الْأَلْفَافَ السَّهْلَةَ الْمَأْنُوسَةَ كَثِيرًا كَقَوْلِهِ: "فَأَنْتَ حَقًّا الدَّجَالُ الْأَعْوَرُ، وَالْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ، الَّذِي نَبَأْنَا بِهِ الْأَثَرُ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِزَّنَا بِأَعْلَامِكَ، وَيَنْصُرَنَا فِي أَيَّامِكَ، وَتُبْتَهِلُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَكْفِيَنَا أَشْرَاطُكَ، وَيَزُوِي عَنَّا تَعْدِيكَ وَإِفْرَاطُكَ، حَتَّى إِذَا ظَلَمْتَ وَجُرْتَ، وَغَيَّرْتَ وَبَدَّلْتَ، قَدَفَ بِكَ فِي قَرَارِ الْيَمِّ الْعَظِيمِ، وَالتَّقَمَّكَ الْحَوْتُ وَأَنْتَ مُلِيمٌ، إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ" (٥).

وَجَاءَتِ الْأَلْفَافُ مُنَاسِبَةً لِلْمَوْقِفِ؛ فَبَدَتْ حَزِينَةً دَامِعَةً فِي قَوْلِهِ عَنِ الْمُقَدَّرِ لِأَخِيهِ الْمُظْفَرِ لَوْفَةِ ابْنِهِ: "وَعَايَةُ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ، وَبِهِ الْمَتَاعُ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّعِيمُ فِي الْآخِرَةِ، وَنَقِيضُهُ الْحُزْنُ، وَهُوَ أَلَمٌ مِنَ الْأَمِّهَا يَطْمِسُ نُورَهَا، وَيُكَدِّرُ صَفَاءَهَا، وَيُنْغِصُ نِعْمَتَهَا وَهَنَاءَهَا، فَإِذَا انْجَذَبَتْ مُجِيبَةً لِدَوَاعِي الْهَمِّ مُنْقَادَةً فِي زَمَامِهِ، وَلَمْ تَدَافِعْهُ عِنْدَ اعْتِرَاضِهِ وَالْمَامِيهِ، اسْتَمَلَتْ عَلَى الْمَضْضِ وَالنَّكَدِ، وَحَصَلَتْ فِي عَمْرَةِ الرُّكُودِ وَالتَّبَلُّدِ، وَبِحُكْمِ ذَلِكَ يَحِقُّ عَلَى الْحَازِمِ اللَّيِّبِ أَنْ لَا يَنْتَنِي عَنِ الْأَخْذِ مِنْ أَقْسَامِ الْمَسَرَّةِ بِأَوْفَى النَّصِيبِ، فَيَسْتَمْتِعَ بِالْمَوَاهِبِ أَيَّامَ مُصَاحَبَتِهَا، وَلَا يَجْزَعُ عِنْدَ ارْتِحَالِهَا وَمُقَارَقَتِهَا، وَيَسْتَشْعِرُ أَنَّهَا مُعَارَةٌ لَتُوْدِي، مُودَعَةٌ لِنَقْضِي، فَلَا يَأْسَفُ عِنْدَ اقْتِضَائِهَا وَارْتِجَاعِهَا، وَلَا يَأْسَى عِنْدَ بَيْنِهَا وَوَدَاعِهَا، وَيَجَاهِدُ الْهَمَّ إِذَا اعْتَلَجَ فِي صَدْرِهِ، بِمَضَاءِ عَزَمِهِ وَقُوَّةِ صَبْرِهِ" (٦). وَبَدَتْ مُبْتَهَجَةً رَاقِصَةً تَتَحَرَّكُ فِي رُفْعَتِهِ إِلَى ابْنِ رَزِينِ الْمَذْكُورَةِ سَابِقًا.

وَلَا أَنَّ ابْنَ حَسْدَايَ نَاسَبَ بَيْنَ الْمَوْقِفِ وَالْأَلْفَافِ ظَهَرَتْ الْأَلْفَافُ الْمُقْدَعَةُ بِكَثْرَةِ فِي رِسَالَتَيْهِ عَلَى لِسَانِ الْمُنْجَمِ بِلَارْدَةِ وَالطَّبِيبِ الْبُرْدُقُونِ وَانْدَفَعَ فِي إِقْدَاعِهِ لِيُنَاسِبَ السُّخْرِيَّةَ وَالْاسْتِهْزَاءَ غَرَضُهُمَا.

١ - ابن بسام الذخيرة ق ٣، م ١/ ٤٦٠ .

٢ - دَرَّ : نثر أو بَدَدَ .

٣ - الشَّارِقُ : الشَّمْسُ .

٤ - ابن بسام الذخيرة ق ٣، م ١/ ٤٥٩؛ ابن سحيد المغرب ٤٤١/ ٢ .

٥ - ابن بسام الذخيرة ق ٣، م ١/ ٤٧٤ - ٤٨٣ .

٦ - نفسه ق ٣، م ١/ ٤٧٣ - ٤٧٤ .

وَيُلَاحِظُ عَلَى رَسَائِلِهِ أَنَّ مَعَانِيهَا سَطَحِيَّةٌ مَعَ ظِلَالٍ قَلِيلَةٍ مِنَ التَّلْمِيحَاتِ الذِّكِّيَّةِ أَكْسَبَتْهَا حَيَوِيَّةً طَبِيعِيَّةً؛ فَوُضُوحُ الْفِكْرَةِ وَالْقَصْدُ إِلَيْهَا دُونَ مُقَدِّمَاتٍ يَطْعَى عَلَى مُعْظَمِ رَسَائِلِهِ، أَسْتَنْتَنِي مِنْ هَذَا رِسَالَتُهُ عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ؛ فَحِينَ كَتَبَ إِلَى الْمُسْتَعِينِ يَعْتَذِرُ عَنْ خُرُوجِهِ عَنْهُ قَالَ: "الدَّهْرُ - أَيْدِ اللَّهِ مَوْلَايَ - مُنْتَقِلٌ مُتَقَلِّبٌ، وَالْدُّنْيَا دُولٌ وَعُقُبٌ، وَمَقَامُ الْفُطَّانِ^(١) فِي الْأَوْطَانِ كَمَقَامِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ، تَصَحَّبُهَا إِلَى آجَالٍ مُوَفَّاةٍ، عِنْدَ أَمَادٍ مُسْتَوْفَاةٍ، فَمَدَّدَ الْأَحْوَالِ مُنَاسِبَةً لِلْأَعْمَارِ" ^(٢) ثُمَّ قَالَ بَعْدَهَا طَالِبًا الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ بِخِطَابٍ فِيهِ لِينٌ وَذِكَاةٌ فِي التَّلْمِيحِ: "قَدْ خَاطَبْتُ مَنْ وَثِقَتْ بِوُدِّهِ، وَأَنِسْتُ إِلَى جَدِّهِ، فَإِنْ جَادَ مَوْلَايَ بِالصَّفْحِ، وَعَادَ بِالْخُلُقِ السَّمْحِ، فَهُوَ الَّذِي يَضْطَرُّهُ إِلَيْهِ عَالِي مَنْصِبِهِ، وَسَامِي رُتْبِهِ، وَإِنْ صَرَّمَ الْحَبْلَ، وَجَدَّمَ^(٣) الْأَصْلَ، فَهُوَ حُكْمُ الزَّمَانِ الْفَاسِدِ، وَلَا نُعْمَى لِلشَّامِتِ الْحَاسِدِ، فَلَيْسَ بِالْبَاقِي وَلَا الْخَالِدِ، فَكُلُّ عَرَضٍ ذَاهِبٌ مَعَ جِسْمِهِ الْفَانِي،.... فَقَدْ قَالَ سُقْرَاطُ: "إِذَا انْكَسَرَ الْحُبُّ لَمْ يَنْكَسِرِ الْمَكَانُ، وَلَا يَتَّسِعُ فِي تَغْيِيرِهِ الْإِمْكَانُ، وَلَئِنْ كَانَ فِي مَا تَرَاهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَفِي مَا تَتَوَخَّاهُ الشَّرَفُ الْأَزْكَى" ^(٤).

وَأَحْيَانًا كَانَ يَأْتِي بِمُقَدِّمَاتٍ قَصِيرَةٍ مُمَهِّدَةٍ لِلْمَوْضُوعِ كَقَوْلِهِ وَهُوَ مُزْمِعٌ عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ مُرْسِيَّةٍ: "الْمُقَدِّمَاتُ تَوَطَّيْتُ فِي الْكَلَامِ لِإِيضَاحِ النَّتَائِجِ، وَإِمْرَارِ الْكَلَامِ عَلَى أَطْرَادِ الْمَنَاجِجِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمَطْلُوبُ جَلِيًّا مُتَبَيِّنًا، وَالْوِدَادُ الْمُرتَادُ فِي النُّفُوسِ زَكِيًّا مُتَمَكِّنًا، فَتَكَلَّفُ مَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ عِيًّا^(٥) لَا سِيَّمَا إِذَا خُوطِبَ ذَكِيٌّ أَلْمَعِي، وَمِثْلُكَ الْحَمِيمُ الْكَرِيمُ الَّذِي يَنْتَقِضُ صَفَاؤُهُ، وَيُدْخَرُ وَقَاؤُهُ؛ وَكَأَنَّ قَدْ خَاطَبْتُكَ مُشْعِرًا نَبِيَّتِي فِي التَّحَوُّلِ، وَعَزَمِي فِي التَّجَوُّلِ، حَتَّى تُلْقَى الْعَصَا... " ^(٦).

وَرُغْمَ سَهُولَةِ الْعِبَارَاتِ فِي رَسَائِلِ ابْنِ حَسْدَايَ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ التَّلْمِيحَاتِ دَلَّتْ عَلَى وَضْعِهِ وَنَفْسِيَّةِ دُونِ أَنْ يَطْعَى عَلَيْهَا غُمُوضٌ أَوْ تَعْقِيدٌ فِي الْمَعْنَى، فَكَانَتْ التَّلْمِيحَاتُ وَاضِحَةً لِلْمُخَاطَبِ أَوْ مَنْ رَافَقَ الْفَتْرَةَ الَّتِي كُتِبَتْ فِيهَا، وَكَانَتْ بَعْضُ التَّلْمِيحَاتِ خَاصَّةً بِالطَّبِّ وَالْفَلَاحِ الَّذِينَ بَرَعَا فِيهِمَا الْكَاتِبُ كَمَا سَبَقَ وَأَشْرَفَتْ، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي قَوْلِهِ: "وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ الْأَيَّامَ أَعْطَتْنِي مَا مَحَتْكَ زِيَادَةٌ عَلَى مَا نَقَصْتَنِي فَكَانَتْ تُكْمِلُ صِنَاعَتِي، وَتَنْفِقُ بِضَاعَتِي، وَلَا سَتَغْنِيْتُ عَنْ اسْطِرْلَابِ كُرِّي^(٧)، وَكَرَّةٍ ذَاتِ كُرْسِيِّ، إِذْ كُنْتُ أَعُوذُ مِنَ الْأُدْرَةِ^(٨) إِلَى أَصَحِّ كُرَّةٍ قَدْ مَاسَّهَا جُرْمٌ أَسْطَوَانِي، وَمَخْرُوطٌ عَصْبَانِي،

١ - الْفُطَّانُ : الْمُقِيمُونَ .

٢ - ابْنُ بَسَّامٍ الدُّخَيْرَةُ ٣، م ٤٦١/١ .

٣ - جَدَّمَ : أَسْرَعَ الْقَطْعَ .

٤ - ابْنُ بَسَّامٍ الدُّخَيْرَةُ ٣، م ٤٦٢/١ .

٥ - عِيًّا : جَهْلًا .

٦ - ابْنُ بَسَّامٍ الدُّخَيْرَةُ ٣، م ٤٦٦-٤٦٧ .

٧ - ابْنُ خَلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٦/٧٠ .

٨ - الْأُسْطِرْلَابُ كُرِّيٌّ : مِنْ آلَاتِ الرِّصْدِ .

ابْنُ مَنظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [أدب] ٤/١٥ .

٨ - الْأُنْدَرَةُ : نَفْخَةٌ فِي الْخُصْبَةِ .

يَكُونُ تَارَةً عَضَادَةً^(١) اسْطِرْلَابٍ، وَتَارَةً مِقْيَاسَ بَابٍ^(٢). إِلَّا أَنَّ تَلْمِيحَاتِهِ لَمْ تَصِلْ إِلَى عُمَقٍ فِي الْمَعَانِي وَفَلْسَفَةٍ؛ فَحَوَتْ مَعَانِي خَاصَّةً يَسْنَهُلُ مَعْرِفَتُهَا إِنْ عُرِفَتْ مُنَاسِبَتُهَا، مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ قَوْلُهُ: "وَلَكَّ فَضْلُ الْإِجْمَالِ، فِي الْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْأَمَالِ، وَالْإِعْدَاءِ عَلَى الْأَيَّامِ بِقَضَاءِ دَيْنٍ مَمْطُولٍ، وَإِنْجَازِ مَوْعُودٍ لَمْ أَحُلْ مِنْهُ بِغَيْرِ تَسْوِيفٍ وَتَعْلِيلٍ"^(٣).

وَبِسَبَبِ السُّهُولَةِ فِي رِسَائِلِ ابْنِ حَسْدَايَ طَغَتِ الْعَاطِفَةُ عَلَى الْأَفْكَارِ الْمُنْطَقِيَّةِ، وَخَلَّتْ مِنَ الْغُمُوضِ وَلَمْ يَظْهَرْ فِيهَا الرَّمْزُ كَثِيرًا. وَأَكْثَرُ مَا ظَهَرَ الرَّمْزُ فِي كَلَامِهِ^(٤) عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ، بِدَأْهِ بِقَوْلِهِ: "أَنَا وَصَلَ اللَّهُ بِهَجَةٍ سُلْطَانِكَ، وَنَضْرَةٍ أَوْطَانِكَ - إِذَا لَحَظْتَنِي بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ، قَائِدُ النُّوَارِ، وَوَافِدُ الْأَزْهَارِ، وَأَنَا لَهَا جَالِبٌ وَهِيَ طَارِدَةٌ، وَمُبَشِّرٌ بِوُرُودِهَا وَهِيَ مُؤَيَّسَةٌ مُتَبَاعِدَةٌ، فَإِنِّي غَلَبْتُ بِمَا فِي طَبْعِي مِنَ التَّيَقُّظِ وَالذِّكَاغِ، خُلِدَ الثَّرَابُ وَصَرَدَ^(٥) الْهَوَاءُ، فَفَقْتُ عَنْ إِسَاءَةِ الْفَصْلِ عُدْرًا، وَنَحَلْتُ الشِّتَاءَ عَلَى الرَّبِيعِ فَخَرًّا، وَفَضَلْتُ الْوَرْدَ سَيِّدَ الْأَزْهَارِ طُرًّا، وَتَوَرَّدُهُ شَاهِدُ خَجَلِهِ، تَسْتُرُهُ مِنَ الْحَيَاءِ فِي أَكْمَتِهِ وَكَلَلِهِ^(٦) فَلِي عَلَيْهِ فَضْلُ الْعُيُونِ عَلَى الْخُدُودِ، وَشَرَفُ السَّيِّدِ عَلَى الْمَسُودِ..."^(٧)، وَسَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى سَطُورٍ مِنَ الرِّسَالَةِ فِي الْبَحْثِ^(٨).

وَرُغِمَ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالََةَ عَلَى لِسَانِ النَّرْجِسِ رَمْزِيَّةٌ إِلَّا أَنَّ انْتِقَالَهُ بَيْنَ الْخَوَاطِرِ وَالْأَفْكَارِ كَانَ طَبِيعِيًّا لَا فَجَوَاتَ فِيهِ، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي غَيْرِهَا كَذَلِكَ، فَهُوَ سِلْسِلَةٌ مُتَرَابِطَةٌ الْحَلَقَاتِ أَقْرَبُ إِلَى الطَّبَعِ وَأَبْعَدُ عَنِ التَّكَلُّفِ؛ فَالرِّسَالََةُ صَدَى لِحَالَةِ هَذَا الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ، أَبَانَتْ طُمُوحَ هَذَا الْيَهُودِيِّ وَسَطَ مَنْ يَكِيدُونَ لَهُ وَيَعَارُونَ مِنْهُ وَيَحْسِدُونَهُ، وَيَرَى فَايزَ الْقَيْسِيَّ أَنَّ الرِّسَالََةَ جَاءَتْ صَدَى عَمِيقًا لِلْحَالَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِمُلُوكِ الطُّوَائِفِ؛ فَالْمُدَاهَنَةُ وَالتَّمَلُّقُ إِلَى الْمُلُوكِ دَفَعَتْ بَعْضَ الْكُتَّابِ إِلَى تَفْضِيلِ مَلِكٍ بَعْينِهِ عَلَى غَيْرِهِ، فَيَتَّخِذُ مِنْ وَرْدَةٍ أَوْ زَهْرٍ مُعَيَّنٍ رَمْزًا لِأَمِيرِهِ وَوَلِيِّ نِعْمَتِهِ، وَجَعَلَ مِنْ تَقَرُّدِهِ بَيْنَ الْوُرُودِ وَالْأَزْهَارِ نَظِيرًا لِتَقَرُّدِ أَمِيرِهِ بَيْنَ الْأَمْرَاءِ. وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الرِّسَائِلُ كَذَلِكَ صَدَى لِلتَّنَافُسِ وَالْحَسَدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ الْكُتَّابِ فِي بَلَاطَاتِ الْأَمْرَاءِ، حَيْثُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكُتَّابِ يَرْجُو التَّمَيُّزَ عَلَى أَقْرَانِهِ، وَيُوضِحُ فَضْلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كُتَّابِ الْقَصْرِ^(٩).

١ - عَضَادَةٌ: نَاحِيَةٌ أَوْ جَانِبٌ .

٢ - ابْنُ بَسَّامٍ الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/٤٧٨ .

٣ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٦٥ .

٤ - انْظُرْ الرِّسَالََةَ: نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٧٠ - ٤٧٣ .

٥ - صَرَدَ: بَرَدَ .

٦ - أَكْمَةٌ: رَوَابِي؛ الْكَلَلُ: هِيَ الصَّوَامِعُ وَالْقِيَابُ .

٧ - ابْنُ بَسَّامٍ الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/٤٧٠ - ٤٧١ .

٨ - انْظُرْ مَلَاْحِقَ الْبَحْثِ .

٩ - انْظُرْ: فَايزَ الْقَيْسِيَّ أَدَبُ الرِّسَائِلِ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [عَضُد] ٣/٢٩٣ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [صَرَد] ٣/٢٤٨ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [أَكْمٌ؛ كَلَل] ١٢/٢١؛ ١١/٥٩٥ .

وَالسُّهُولَةُ فِي رِسَالَتِهِ جَعَلَتْهُ يَلْجَأً إِلَى التَّكْرَارِ وَالتَّرَادُفِ كَثِيرًا، مِنْهَا قَوْلُهُ: "وَاسْتَوْضَحْتُ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ مِنْ تَشْدِيدِ الْعَبْدِ الْأَبْقَى" (١) عَلَى النَّهْدِ السَّابِقِ (٢)، وَقَدْ أَعْمَلْتُ فِي بَقَائِهِ الْمَكَايِدَ، وَبَيَّنْتُ فِي اقْتِنَاصِهِ الْحَبَائِلَ وَالْمَرَاصِدَ، فَكَأَنَّ الرِّيَّاحَ تَحَطَّقَتْهُ، وَالْبَحَارَ عَمَرَتْهُ، وَالْبِلَادَ أَحَقَّتْهُ وَأَضْمَرَتْهُ، وَكَيْفَ يُظْفَرُ بِعِيدِ حَوْشِ الْفُؤَادِ، شَكِسَ الْقِيَادَ، رَغِبَ عَنْ خُضُوعِ الْمَمَالِيكَ" (٣)، وَمِنْهَا قَوْلُهُ: "وَوَجَدْتُهُ قَدْ نَعَى بَصَرَهُ، وَشَا عَوْرَهُ، وَإِنْ تَكُنْ قَدْ أَصَابَكَ عَوْرٌ، وَنَالَكَ مِنْهُ ضَعْفٌ وَخَوْرٌ، وَهُوَ نَقْصٌ فِي الظَّاهِرِ، فَبَصْرُكَ الْآنَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَجْمَعُ نُورًا، وَأَضْوَاءً شُعَاعًا، وَأَنْفَقَ نَظْرًا وَأَبْعَدَ أَطْلَاعًا" (٤). وَمِثْلَهَا قَوْلُهُ: "فَأَنَا الْآنَ أَهْجَرُهُ وَأَقْصِيهِ، فَلَقِي مِنِّي انْزَوَاءً عَنْهُ وَانْقِبَاضًا، وَشَا مِنِّي جَفَاءً وَإِعْرَاضًا" (٥). لَكِنَّهُ لَمْ يُبَالِغْ فِي اسْتِعْمَالِ الْمُتَرَادِفَاتِ وَالتَّكْرَارِ مُبَالِغَةً خَرَجَتْ عَنِ الْمَأْلُوفِ، بَلْ كَانَتْ مَعْفُودَةً مَقْبُولَةً.

وَكَانَ الاسْتِطْرَافُ قَلِيلًا فِي رِسَالَتِهِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْ أَنْ يَأْتِيَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَمْثَلَةِ أحيانًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا يُرِيدُ؛ فَاتَى بِالْبِنَاءِ وَالْمُهَنْدِسِ مِثَالَيْنِ فِي قَوْلِهِ: "فَإِنَّ الْبِنَاءَ إِنَّمَا يَزِنُ بِرِصَاصِهِ" (٦)، وَالْمُهَنْدِسُ يَرْصُدُ بِشَاقُولٍ (٧) ...، وَكَثُرَتِ الْأَمْثَلَةُ أحيانًا؛ فَكَانَتِ الْغَانِيَةُ وَالْمُخَدَّرَةُ وَالْخَوْدُ وَالْعَرُوبُ وَالْمَحْجُوبَةُ الْمَصُونَةُ فِي الرِّسَالَةِ نَفْسِهَا وَفِي نَهَايَةِ الصَّفْحَةِ نَفْسِهَا بِقَوْلِهِ: "وَكَيفَ تَفْرُكُكَ غَانِيَةً، أَوْ تَعْتَصِمُ مِنْكَ مُخَدَّرَةً" (٨)، وَمَا عَلَى ظَهْرِهَا خَوْدٌ (٩) إِلَّا وَهِيَ إِذَا عَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا (١٠) أُعِيدَتْ بِاسْمِكَ، وَلَا فَنَاءَ عَرُوبٌ إِلَّا وَهِيَ تَسْتَعْشِي مِنْ غَيْرِ نَعْسَةٍ رَجَاءً فِي لِقَاءِ خِيَالِكَ، وَلَا مَحْجُوبَةٌ مَصُونَةٌ إِلَّا وَهِيَ تُرَقِّعُ الْكُوى بِالْمَحَاجِرِ لِمَمَرِّكَ" (١١). وَلَمْ تَكُنْ أَمْثَلَةُ ابْنِ حَسْدَايَ فِي رِسَالَتِهِ مِنَ الْبَشَرِ فَحَسَبُ، بَلْ ذَكَرَ أَمْثَلَةً عَدِيدَةً مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالطَّيُورِ؛ فَجَاءَ بِالْعَزَالِ وَالطَّلَاوُوسِ بِقَوْلِهِ: "وَهَذَا

١ - الْعَبْدُ الْأَبْقَى: الْعَبْدُ الْهَارِبُ مِنْ سَيِّدِهِ .

٢ - ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [أَبْق] ٣/١٠ .

٣ - ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [نَهْد] ٤٣٠/٣ .

٤ - ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/٤٥٩ - ٤٦٠ .

٥ - نَفْسُهُ ق ٣، م ١/٤٨١ - ٤٨٢ .

٦ - الرِّصَاصَةُ: الْحَجَارَةُ .

٧ - الشَّاقُولُ: خَشَبَةٌ قَدْرُ ذِرَاعَيْنِ فِي رَأْسِهَا رُجٌّ يُجْعَلُ فِيهَا رَأْسُ الْحَبْلِ ثُمَّ يَرْزُهَا فِي الْأَرْضِ وَيَنْصَبُّطُهَا حَتَّى يَمْدُوا الْحَبْلَ .

٨ - ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [خَدْر] ٢٣٠/٤ .

٩ - خَوْدٌ: فَنَاءٌ حَسَنَةُ الْخَلْقِ شَابَّةٌ .

١٠ - مِرْطٌ: بَفْتَحُ الْمِيمِ أَوْ كَسْرُهَا. كَسَاءٌ مِنْ خَرٍّ أَوْ صُوفٍ أَوْ كَتَانٍ .

١١ - ابْنُ بَسَّامٍ الذُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/٤٧٧ - ٤٧٨ ، وَأَنْظُرْ: مَلَا حَقَّ الْبَحْثِ .

وَبَدَأَ فِي رِسَالِهِ ابْتِكَارَ فِي الْمَعَانِي أحيانًا بِسَبَبِ اهْتِمَامِهِ بِالْفَلَسَفَةِ وَبِالْأُفْسَةِ الْمَنْطِقِيَّةِ إِلَّا أَنَّ هَذَا كَانَ قَلِيلًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ السَّابِقُ إِلَى الْبُرْدُقُونِ بِهِ تَوَصَّلَ إِلَى أَنَّ بَصَرَ الْبُرْدُقُونِ الْآنَ أَفْضَلُ، حَيْثُ اجْتَمَعَ نُورُ الْبَصَرِ بِفَقْدِ إِحْدَى عَيْنَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَقَرِّفًا بَيْنَ الْاِثْنَتَيْنِ، فَالْقَمَرُ فِي لَيَالِيهِ الْبَيْضِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الَّتِي تَحْوِي مِنَ الضِّيَاءِ أَضْعَافَ الْبَدْرِ لَكِنَّهَا مُتَنَاطِرَةٌ تُفَرِّقُ الضَّوْءَ ^(٨)، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْاِبْتِكَارَ لَمْ يَكُنْ سِمَةً بَارِزَةً فِي رِسَالِهِ.

وَبَدَتْ الصُّورُ فِي رَسُولِ ابْنِ حَسْدَايَ تَقْلِيدِيَّةً لَا ابْتِكَارَ فِيهَا، وَمِنْهَا: "وَرَدَنِي كِتَابُكَ الَّذِي تَفْتَرُ عَنْ
وَاضِحِ الْوُدِّ مَبَاسِمُهُ، وَتَنْشِقُ عَنْ نَاصِرِ الْعَهْدِ كَمَائِمُهُ، تَنْهَلُ بِوَاقِفِ الْبِرِّ عَمَائِمُهُ" ^(١٠)، وَمِثْلُهُ: "وَعَسَى أَنْ
يَعُودَ هَذَا الدَّاهِبُ وَشَيْكًا إِلَى مُلْكِهِ، وَيَنْتَظِمُ الْمُتَبَدَّدُ مِنْ سِلْكِهِ" ^(١١). إِلَّا أَنَّ هَذَا لَمْ يَمْتَعِ أَنْ يَأْتِيَ بِبَعْضِ الصُّورِ
الْمُبْتَكِرَةِ، مِنْهَا: "وَعَهْدِي بِكَ تَمَجُّجُ الْأَنْوَاءِ" ^(١٢) رِيقَتَهَا فِي ثُغُورِكَ فَتُصْبِحَ

- 259

خَافِلَةً، وَتَرْضَعُ الْأَنْدَاءَ أَفْنَانَكَ فَتَغْدُو حَامِلَةً، فَتَنُوءُ بِجِيدِكِ مُنْتَنِيًّا، يَا، كَأَنَّكَ أَصْبَحْتَ مُنْتَشِيًّا" (١)؛ فَلَا أَنْدَاءَ تَرْضَعُ أَفْنَانُ الْمُقْتَدِرِ فَتُصْبِحُ حُبْلَى بِهَذَا الْخَيْرِ الْعَمِيمِ، فَيَنُوءُ بِجِيدِهِ مُنْتَنِيًّا كَالْمُنْتَشِي مِنَ الْخَمْرِ.

وَسَارَ ابْنُ حَسْدَايَ فِي رَسَائِلِهِ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ الْعَمِيدِ (٢) الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الْكَلَامِ الْمُرْصَعِ الْمَصْقُولِ الْمَزِينِ بِالْمُقْتَبَسَاتِ الْفَرَانِيَّةِ، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَالْأَشْعَارِ الْمَثُورَةِ أَوْ شَطُورِهَا دُونَ إِشَارَةٍ إِلَى قَائِلِيهَا، وَالْحِكْمِ الْمَشْهُورَةِ، وَالْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ مَعَ التَّرَامِ السَّجْعِ فِي الْأَغْلَبِ وَالشَّغْفِ بِالْمُحَسِّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ وَالصُّورِ الْبَيَانِيَّةِ. وَلَمْ يَتَحَلَّلْ ابْنُ حَسْدَايَ مِنَ الْاهْتِمَامِ بِالْمُحَسِّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ؛ فَهَكَذَا بَدَتْ الرِّسَائِلُ فِي عَصْرِهِ، حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ سِمَةً بَارِزَةً فِي خِطَابِ مَنْ يُرَاسِلُهُ، مِنْهُ جَوَابُ ابْنِ هُوْدَ لَهُ عِنْدَ فِرَارِهِ عَنْهُ: "وَرَدَنِي كِتَابُكَ بِمَا أَوْدَعْتَهُ مِنْ صُورَةٍ وَجْهَتِكَ وَمَمَرِّكَ، وَصِفَةٍ مُسْتَوْطِنِكَ وَمُسْتَقَرِّكَ، وَعَرَفْتُ حَقِيقَةَ مَنَزَعِكَ" (٣)، فِي تَعَجُّلِكَ وَتَسْرُعِكَ، وَمَا عَلِمْتُكَ عَلَى مَعْلُومِ دَكَايِكَ يَذْهَبُ عَلَيْكَ السَّدَادُ فِي آرَائِكَ، وَلَكِنْ لَا تَمْلِكُ عَنَّاكَ فِي اعْتِسَافٍ (٤) طُرُقِكَ، وَخَالِقُ خَلْقِكَ خَالِقُ خُلُقِكَ" (٥)؛ فَلَا هَتِمَامَ بِالْمُحَسِّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ عِنْدَ ابْنِ هُوْدَ أَكْثَرَ وَأَوْضَحَ.

وَأُظْهِرَتْ رَسَائِلُ ابْنِ حَسْدَايَ اهْتِمَامًا وَاضِحًا بِالسَّجْعِ؛ فَكَانَ أَكْثَرَ مَا ظَهَرَ مِنْ فُنُونِ الْبَدِيعِ فِي رَسَائِلِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: "وَقَدْ قُنْنَا غُرْبَةَ النَّوَى، حِينَ هَوَتْ بِي حَيْثُ الْإِلْفُ وَالْهَوَى، وَلَهُ الطُّولُ فِي الْإِدْنِ وَالْقَبُولِ، وَالتَّوْطِئَةِ لِلْحُلُولِ، بِتَمْهِيدٍ مَنَزَلٍ يَنْبَوُّ، وَبِمَدِيدٍ ظِلٍّ يَنْقِيَا" (٦). وَمِثْلُهُ: "فَأَنَّكَ مِنْ فِرْقَةٍ أَصْحَابِ الْحَيْلِ، وَهَذَا رَأْيُ أَتَاكَ مِنْ جِهَةٍ مِزَاجِ الْحَجَلِ، فَصَرْتَ تَسْلَسِلَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَغَنَيْتَ بِجِنْسِ الْإِسْتِرْسَالِ وَالْإِحْتِيَّاسِ، عَنْ هَذِيانِ أَصْحَابِ الْقِيَاسِ" (٧)، وَمِثْلُهُ: "حَتَّى وَرَدَ مَا أَمْتَعَ بِوَابِلٍ بَعْدَ طَلٍّ، وَسَقَى نَهْلًا، وَوَالَى بَعْلًا" (٨)، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الصَّفَةُ مَطْلُوبَةً عِنْدَ كُتَّابِ عَصْرِهِ مَا تَقَيَّدَ بِهَا فِي كِتَابَاتِهِ عَنْ السَّلَاطِينِ بِذَلِكَ الْوَقْتِ؛ فَبِمَا كَتَبَهُ عَنِ الْمُقْتَدِرِ إِلَى أَخِيهِ الْمُظَفَّرِ قَوْلُهُ: "وَقَدْ تَعَرَّضَ لِي إِلْفٌ أَصْلُهُ وَأُذْنِيهِ، فَأَنَا الْآنَ أَهْجَرُهُ وَأَقْصِيهِ، فَلَقِيَ مِنِّي انْزِوَاءً عَنْهُ وَانْقِبَاضًا، وَشَكَا مِنِّي جَفَاءً وَإِعْرَاضًا، فَتَصَدَّى ضَارِعًا مُلْحَفًا، فِي أَنْ أُرْسِلَهُ نَحْوَكَ مُسْتَعْطِفًا" (٩). وَبِهَذَا يَظْهَرُ أَنَّ ابْنَ حَسْدَايَ كَانَ مُتَأَثِّرًا بِالْعَرَبِ مُقَلِّدًا لَهُمْ، وَلَمْ يَظْهَرْ أَيُّ أَثَرٍ لَهُ عَلَى كِتَابَةِ الرِّسَائِلِ عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ.

١ - ابن بسام الذخيرة ق ٣، م ٤٧١/١ .

٢ - هو الكاتب: أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد، والعميد لقب والد له لقبه بذلك على عادة أهل خراسان في النعظيم. كان وزير ركن الدولة بن بويه. انظر: ياقوت الحموي معجم الأندباء ٧٦/٨؛ ابن خلكان وفیات الأعيان ١٠٣/٥ .

٣ - منزعك: رأيك وتبصيرك . ابن منظور لسان العرب [نزع] ٣٥٢/٨ .

٤ - اعتسف الطريق: إذا قطعته دون صوب توخاه فأصابه . ابن منظور لسان العرب [عسف] ٢٤٥/٩ .

٥ - ابن بسام الذخيرة ق ٣، م ٤٩٤/١ .

٦ - نفسه والصفحة نفسها .

٧ - نفسه ق ٣، م ٤٧٤/١ .

٨ - نفسه ق ٣، م ٤٥٩/١ .

٩ - نفسه ق ٣، م ٤٧٤/١ .

القِسْمُ الثَّالِثُ : أَثَرُ الْيَهُودِ فِي رَسَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى الْعَرَبِ .

أتى ذكرُ اليهودِ في رَسَائِلِ الْعَرَبِ تَلْمِيحًا وَلَيْسَ صَرَاحَةً؛ ففِي رُقْعَةٍ لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَبَّاسٍ خَاطَبَ بِهَا أَبَا الْمُغِيرَةِ بْنِ حَزْمٍ (ت: ٣٨٠هـ) ^(١)، جَاءَ مُعْظَمُ الْكَلَامِ فِي الْفَصْلِ الْمُخْتَارِ مِنَ الرَّسَالَةِ عَنِ الرَّسُولِ حَامِلِ الرَّسَالَةِ مِنْ أَبِي الْمُغِيرَةِ قَوْصَفَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ: "رَجُلٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ، فِي مَنْطِقِهِ لُكْنَةٌ صَعْبَةٌ" ^(٢) ثُمَّ أَعَادَ الْإِشَارَةَ إِلَى غَرَابَةِ لُغَتِهِ بِقَوْلِهِ "لَقِيتُ الرَّجُلَ وَقَدْ أَحَاطَ بِي جَمْعٌ، وَالتَّفَّ عَلَيَّ قَوْمٌ، فَوَقَفْتُ مَعَهُ مَوْقِفًا كَمَاكَ اللَّهُ خَزِيَّةً، وَلَا وَقَفَاكَ مِثْلُهُ. وَقَدْ عَهَدْتُكَ تَجْرِي بَيْنَ الْفُكَاهَةِ، وَتَتَخَرَّطُ فِي سِلَاكِ الدَّعَابَةِ؛ فَمَا أَسْلَمَ إِلَيَّ الْكِتَابَ وَلَحِظْتُ عَنْوَانَهُ، وَحَيَاتِي بِنَفْظٍ لَمْ أَفْهَمْ لِسَانَهُ، قُلْتُ: خَبَّأَهَا أَبُو الْمُغِيرَةِ وَرَبُّ الْكُفَّةِ، وَأَهْدَى إِلَيْكَ بِهَذَا الْإِنْسَانِ لُغْبَةً.... فَتَمَسَّكَتُ وَمَا كِدْتُ، ثُمَّ تَجَلَّدْتُ؛ وَلَجَّاتُ إِلَى قَضِ الْكِتَابِ... وَصَعَّدْتُ فِي الْكِتَابِ، حَتَّى رَأَيْتُ النَّسَبَ وَسَمِعْتُ اللَّقَبَ، فَقُلْتُ: الرَّجُلُ - لَا مَحَالَةَ - عِبْرِي الْمُنْتَمِي... فَوَحَقَّ الطَّرَبُ، وَحُرْمَةُ الْأَدَبِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوْفِيَ الشُّطْرَةَ حَقَّهَا، وَأَسِمَ الْخَلَاعَةَ وَسَمَهَا، فَأَجْعَلَ فِي يَدِهِ عُكَّازَ قَصَبَةٍ خَضْرَاءَ، وَفِي رَأْسِهِ قَلَنْسُوَّةً بَيْضَاءَ، وَأَضَعُ عَلَى عَاتِقِهِ خُرْجًا بِنَخَالَةٍ، وَأَقِيمُ مِنْ نَفْسِي وَمَنْ خَضَرَ عَرَافَةً وَآلَةً، وَأَخْذُ بِهِ مِنْ طُرُقِ بَنِي مَرْدَحَايَ عَلَى قَارِعَةِ الْمِحْجَةِ بَيْنَ النَّاسِ" ^(٣). أَرَى أَنَّ الرَّسُولَ حَامِلَ الرَّسَالَةِ يَهُودِيٌّ يَتَكَلَّمُ الْعِبْرِيَّةَ، وَكَانَ مَوْضِعَ اسْتِهْزَاءٍ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ فَالْكُنَّةُ الصَّعْبَةُ هِيَ لُغَتُهُ الْعِبْرِيَّةُ، أَوِ الْعَرَبِيَّةُ غَيْرُ الْفَصِيحَةِ، وَفِي الرَّسَالَةِ أَنَّهُ "عِبْرِيٌّ الْمُنْتَمِي"، أَيِ يَنْتَمِي لِلْعِبْرَانِيِّينَ، لَيْسَ هَذَا فَحَسَبَ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ "بِطُرُقِ بَنِي مَرْدَحَايَ" وَهُمْ الْيَهُودُ. وَآتَى ذِكْرُ سَرِيحٍ لِلْيَهُودِ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى ^(٤) وَجَّهَهَا إِلَى أَهْلِ قُرْطُبَةَ تَحَدَّثَ فِيهَا عَنْ قَسْوَةِ زُهَيْرِ الْفَتَى مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالَ: "فَتَارَةً يَأْخُذُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ بِذَنْبِ التَّوَرَةِ وَالْإِنْجِيلِ" ^(٥).

وَكَتَبَ أَبُو الْمُغِيرَةِ بْنُ حَزْمٍ الَّذِي أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ رِسَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ السَّابِقَةُ بِإِشَارَاتٍ أَكْبَرَ عَنْ الْيَهُودِ فِي رِسَالَةٍ لِأَحَدِهِمْ، جَاءَ فِيهَا: "أَبْدَأُ بِحَدِيثِ الْيَهُودِيِّ مُوَصِّلِ كِتَابِكَ: دَخَلَ الْحَضْرَةُ عَقَبَ جَوْلَةٍ كَانَتْ لِي مَعَ ابْنِ مُخَامِسٍ - حَشَرَ اللَّهُ كِلَيْهِمَا مَعَ صَاحِبِهِ - وَاللَّهُ لَا أَعْلَمُ حَالَ مَنْ مِنْهُمَا أَضْعَفَ وَأَظْلَمَ، أَحَالَ الْيَهُودِيُّ بِمُضَادَّةِ الدِّينِ، أَمْ حَالَ هَذَا الْمُسْلِمِ؟ فَوَافَى وَقَدْ كَشَفَتْ عَوْرَاتِهِ، وَمَا

١ - هُوَ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ: أَبُو الْمُغِيرَةِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ حَزْمٍ (ت: ٣٨٠هـ) اشتهر في النُّظْمِ وَالنُّثْرِ، وَكَتَبَ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ وَنَالَ حَظًّا مِنْ دَنِيَاهُمْ. لَهُ عِدَّةُ مُؤَلَّفَاتٍ. انظر: ابن بسام النُّخْبَةُ ق ١، ١٣٢/١ - ١٩٠، ابن سَعِيدٍ الْمُغْرِب ٣٥٧/١، الْمُقَرِّي تَفْحُصُ الطَّيِّب ١٥٣ - ١٥٠/٢.

٢ - ابن بسام النُّخْبَةُ ق ١، ٦٤٥/٢.

٣ - نَفْسُهُ ق ١، ٦٤٦/٢ - ٦٤٧.

٤ - انظر: نَفْسُهُ ق ١، ٦٥٠/٢ - ٦٥٢.

٥ - نَفْسُهُ ق ١، ٦٥٢/٢.

زَالَتْ مَكْشُوفَةٌ، وَعَرَفَتْ سَوَاتِ هـ، وَمَا زَالَتْ مَعْرُوفَةٌ، إِبْخَارًا عَنْهُ، وَتَحْذِيرًا مِنْهُ، وَإِعْلَامًا بِمَا يَسْتُرُهُ دَبْلُهُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ لَيْلُهُ، مِنْ قَبَائِحٍ" (١). يُظْهِرُ الرِّسَالَةُ أَنَّ الرَّسُولَ الَّذِي أَتَى بِالرِّسَالَةِ لِابْنِ حَزْمٍ يَهُودِيٌّ، وَيُلَاحِظُ عَلَى هَذَا النَّصِّ الْمُخْتَارِ مِنْهَا الدُّعَاءُ عَلَى الْيَهُودِ أَنِّي ذُكِرُوا، كَمَا يُلَاحِظُ فِيهَا الاسْتِهْزَاءُ بِهِ بِالْقَوْلِ إِنَّ لَهُ دَيْلًا كَالْحَيَوَانِ وَأَنَّ عَوْرَاتِهِ مَكْشُوفَةٌ وَسَوَاتِ هـ مَعْرُوفَةٌ.

وَفِي فَصْلِ مِنْ رِسَالَةٍ أُخْرَى لِأَبِي الْمُغِيرَةِ بْنِ حَزْمٍ يُخَاطِبُ بِهَا ابْنَ عَمِّهِ الْفَقِيهَ أَبَا مُحَمَّدٍ الَّذِي كَانَ عَلَى خِلَافٍ مَعَهُ، وَعَابَ عَلَيْهِ دِرَاسَتَهُ لِدِينِ الْيَهُودِ وَالْإِهْتِمَامَ بِهِمْ وَحَدِيثَهُ عَنْ قَصَصِهِمْ، يَقُولُ: "فَاسْتَقْصَرْتُ مَنْ دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ لِي بِمِثْلِ عَاشِيَتِكَ" (٢) مِنْ هَذِهِ الْعِصَابَةِ، وَبِاسْتِثْنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ تِلْكَ الْبَابَةِ" (٣)، وَنَسِيتُ أَبَا مُحَمَّدٍ حَاشِيَتَكَ وَشَيْعَتَكَ، الَّتِي صِرْتُ رَئِيسَ مَدْرَاسِهِمْ، وَكَبِيرَ أَحْرَاسِهِمْ، تُحَدِّثُهُمْ عَمَّا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْعَبَرِ، وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا تَعَاقَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الصِّفَا وَالْكَدْرِ؛ فَتَارَةً عَنِ السَّامِرِيِّ وَالْعَجَلِ، وَتَارَةً عَنِ الْقَمَلِ وَالنَّمْلِ، وَطَوْرًا تُبْكِيهِمْ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ، وَطَوْرًا تُضْحِكُهُمْ بِقَوْمٍ جَالُوتٍ وَدَوِيهِ؛ حَتَّى كَأَنَّ التَّوْرَةَ مُصْحَفُكَ... (٤) ، وَمَعَ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ "السَّامِرِيُّ وَالْعَجَلُ، وَالْقَمَلُ وَالنَّمْلُ، وَالنَّبِيُّ، وَقَوْمُ جَالُوتٍ" مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ أَبَا الْمُغِيرَةِ عَابَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ جُلُوسَهُ مَعَ الْيَهُودِ وَمُجَادَلَتِهِمْ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ، وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ كَانَ كَثِيرَ الْجُلُوسِ مَعَهُمْ، فَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي تَرْجُمَتِهِ: "وَلِهَذَا الشَّيْخُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَعَ يَهُودٍ -لَعَنَهُمُ اللَّهُ- وَمَعَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَوْلِي الْمَذَاهِبِ الْمَرْفُوضَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مَجَالِسُ مَحْفُوظَةٌ وَأَخْبَارٌ مَكْتُوبَةٌ وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ" (٥).

وظَهَرَتْ إِشَارَةٌ إِلَى حَالِ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ بِوَاحِدَةٍ مِنَ الزَّرْزِيرِيَّاتِ (٦) خَاطَبَ فِيهَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْغَفُورِ (ت ٥٣٩هـ) (٧) أَحَدَهُمْ، وَوَصَفَ فِيهَا سُوءَ حَالِهِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ قَوْلُهُ: "وَحَسْبُكَ مِنْ نُهْودِيهَا" (٨) لِيَهُودِيهَا" (٩) أَرَى الْكَاتِبَ يَرْمِزُ بِهِذَا إِلَى اسْتِشْرَافِ الْيَهُودِ وَارْتِفَاعِ شَأْنِهِمْ، بَيْنَمَا الْكَاتِبُ وَأَمَثَالُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَالٍ مِنَ الْهَوَانِ وَالْمَدَلَّةِ يَظْهَرُ فِي الرِّسَالَةِ وَيَبْدُو أَنَّ الرِّسَالَةَ مَبْعُوثَةٌ مَعَ

١ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ١م ١٦١ .

٢ - الْعَاشِيَّةُ : الْقَوْمُ الْخُضُورُ عِنْدَهُ الَّذِينَ يَعْشَوْنَهُ لِلْخِدْمَةِ وَالزِّيَارَةِ . ابن مَنْظُورِ لِسَانِ الْعَرَبِ [غشي] ١٢٨/١٥ .

٣ - الْبَابَةُ : الْغَايَةُ . ابن مَنْظُورِ لِسَانِ الْعَرَبِ [باب] ٢٢٤/١ .

٤ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ١م ١٦٣ .

٥ - نَفْسُهُ ق ١م ١٧٠ .

٦ - الزَّرْزِيرِيَّاتُ : هِيَ رِسَائِلُ بِدَائِهَا الْوَزِيرُ أَبُو الْخُسَيْنِ بْنُ سَرَّاجٍ خَاطِبُ بَعْضِ أَهْلِ الْعَصْرِ بِرُقْعَةٍ يَشْفَعُ لِرَجُلٍ يُعْرِفُ بِالزَّرْزِيرِ، وَالزَّرْزِيرُ نَوْعٌ مِنَ الطُّيُورِ، وَقَدْ عَارَضَ رِسَالَةَ ابْنِ سَرَّاجٍ أَبَاءَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ ابْنَ الْحَدَّ . انْظُرْ : ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ٢م ٣٤٧ .

٧ - هُوَ : أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْغَفُورِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيُّ، مِنْ أَهْلِ مُرْسِيَّةَ، ابْنُ ذِي الْوَرَارَتَيْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، نَشَأَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ فِي دَوْلَةِ الْمُحَمَّدِ، ذَمَّهُ صَاحِبُ الْقَلَائِدِ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ نَوَيْتُ أَلَّا أُجْرِيَ لَهُ ذِكْرًا وَلَا أَعْمَلَ فِيهِ فِكْرًا لِيَهْوَرَهُ وَكَثْرَةَ تَقَعُّرِهِ، وَتَوَفِّيَ بِقَرْطَبَةِ سَنَةِ ٥٣٩هـ .

انْظُرْ : ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ٢م ٣٢٥-٣٦٨ ؛ ابن الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ ٤/٢ ، ١٣١/٣ ؛ ابن سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٢٤١/١ - ٢٤٢ .

٨ - النُّهْدُ : جَمْعُ النَّهْدِ هُوَ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ الْمُشْرِفُ . ابن مَنْظُورِ لِسَانِ الْعَرَبِ [نهد] ٤٢٩/٣ .

٩ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ٢م ٣٥٣ .

طبيب يهودي يشير إليه بقوله: "وأنفذته من كتاب وحملتته المتطبيب أبا فلان، النابة الذكر في أعلام سبطه، زعيم يهود، المسود فيهم المسود" (١)، وقد يكون هذا الطبيب اليهودي أحد القائمين على أعمال هذا المخاطب وممن لهم مكانة عنده، تظهر مكانته بقوله "زعيم يهود، المسود فيهم المسود"، فأرسل ابن عبد الغفور رسالته عن طريقه لقربه من هذا المأمول عطاؤه .

وأحياناً جاء ذكر اليهود في الرسائل غامضاً، ففي فصل لابن شهيد يتحدث عن أبي القاسم ابن الأفيلي (ت: ٤١٠هـ) (٢) الذي قال عنه بعض الصبيان: "ليست مشيئة أديب، ولا وجهه وجه أريب، ولا جلسته جلسة عالم، ولا أنفه أنف كاتب، ولا نغمته نغمة شاعر"، وأضافوا: "إنه أحق الناس في إخراج لغة اليهودي، فألقوه بما يسمع" (٣)، فجاء الحديث عن لغة اليهودي غامضاً ولم يأت في الفصل المختار من الرسالة ما يوضحه.

وتظهر هذه الرسائل على قلتها أن كثيراً من اليهود كانوا رؤساء (٤) بين الكتاب ودوي السلطة. وأن اليهود لم يكونوا موضوعاً رئيساً فيما وصل إلينا من الرسائل بين العرب أبداً .

ثانياً :- موضوعات نثرية أخرى .

لم يظهر أثر كبير لليهود خارج الرسائل، فظهر أثر قليل لهم في الأمثال والمقامات والمذكرات:

١- الأمثال .

قد تظهر الأمثال ما لا تظهره أدبيات البلاط أو غيرها، وفي أمثال الزجاجي (ت: ٦٩٤هـ) جاءت أمثال عشرة كان اليهود موضوعاً لها. وسنة مثلها عند ابن عاصم الغرناطي (ت: ٨٢٩هـ).

واحتمل التاجر اليهودي أكبر مساحة في هذه الأمثال فجاءت فيه أمثال خمسة يظهر فيها صاحب سلع وتجارة؛ الأول منها: "من فتح حانوت للتجارة، يبيع من يهود ونصاري" (٥)، في هذا المثل تأكيد نوع من التعامل التجاري بين العرب واليهود، سبقت الإشارة إليه في الفصل الأول. والثاني: "إذا ريت اليهودي يذم السلع، ادرك أنه يشتريه" (٦)، يبدو اليهودي فيه جشعاً يذم السلع حتى لا يشتريها غيره، فيأخذها هو بأرخص الأسعار. والثالث: "إذا أفلس يهودي، يفتش دفاتر

١ - ابن بسام النخيرة ق ٢، م ١/٣٦٤ .

٢ - هو الكاتب: أبو القاسم ابن الأفيلي، قال ابن الأبار أنه كان بفزطبة، وتعب ابن بسام من أمر هذا الكاتب الذي كتب للسلطين، ومع ذلك لا ثروى أشعاره ولا رسائله . انظر: ابن بسام النخيرة ق ١، م ١/٢٤١ - ٢٤٢؛ ابن الأبار التكملة ٢٩٨/١ .

٣ - ابن بسام النخيرة ق ١، م ١/٢٤١ - ٢٤٢ .

٤ - سبقت الإشارة أن معرفة اليهود لعدة لغات وتقريبهم من ذوي السلطة ساعدهم في هذه الوظيفة .

٥ - الزجاجي أمثال الغوام في الأندلس ٢٩٣/٢ - رقم ١٢٦٤ .

٦ - نفسه ١١/٢ - رقم ٣١ .

وُلِدَ" (١)، يُظْهِرُ هَذَا الْمَثَلُ حِرْصَ الْيَهُودِ الشَّدِيدَ عَلَى الْمَالِ وَمُتَابَعَتَهُمْ لِحُقُوقِهِمْ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ. وَالرَّابِعُ: "حَاجَ بِقِطَاعٍ يَهُودٍ يَقْضِيهَا" (٢)، يُشِيرُ هَذَا إِلَى نَشَاطِ الْيَهُودِ فِي الْأَعْمَالِ التِّجَارِيَّةِ، وَيُوجِي الْمَثَلُ أَنَّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِأَيِّ تَوَعٍّ مِنَ الْخَدَمَاتِ التِّجَارِيَّةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا مِنْهُمْ الْأَنْدَلُسِيُّونَ مُقَابِلَ الْقِطَاعِ وَهُوَ الدَّرَاهِمُ (٣). وَالْخَامِسُ: "مُسْلِمٌ صَاعٌ، يَهُودِيٌّ أَحْسَنُ مِنْ" (٤)، يَقُولُ الْمَثَلُ إِنَّ جُلَّ الصَّاعَةِ أَوْ كُلُّهُمْ كَانُوا مِنَ الْيَهُودِ، وَإِذَا احْتَرَفَهَا مُسْلِمٌ احْتَقَرَهُ النَّاسُ. وَبِجَانِبِ التِّجَارَةِ اشْتَهَرَ الْيَهُودُ بِعَمَلِهِمْ جُبَاءً لِلضَّرَائِبِ وَمَحْصَلِينَ لِلْأَمْوَالِ مِنْ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِمْ وَمِنْ الْمُسْلِمِينَ كَذَلِكَ، فَفِي قَوْلِهِمْ: "عَرَبُ الْبِطَاحِ يَغْرُمُ الْجِزْيَةَ لِلْيَهُودِ" (٥) إِمَارَةٌ إِلَى حَالَةِ سَبَقِ الْحَدِيثِ عَنْهَا فِي الشَّعْرِ وَهِيَ تَوَلَّى كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ الْأُمُورَ الْمَالِيَّةَ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَسَخَطُ الْعَامَّةِ مِنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَفِي الْمَثَلِ إِمَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْأَذِلَاءَ هُمْ مَنْ كَانُوا يُغْرَمُونَ أَيْ يُؤْثَرُونَ وَيَدْفَعُونَ الْجِزْيَةَ لِلْيَهُودِ؛ فَالْبِطَاحُ هِيَ السُّهُولُ وَالْبَسَائِطُ وَالْوُدَيَانِ (٦)، فَالْأَذِلَاءُ يُقِيمُونَ فِي أَمَاكِنَ يَسْهُلُ اقْتِحَامُهَا مِنْ قِبَلِ الْيَهُودِ فَيَحْصِلُونَ الْجِزْيَةَ مِنْهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ أَهْلُ الْجِبَالِ الْأَقْوِيَاءُ. وَأَبَانَتْ الْأَمْثَالُ عَنْ بَعْضِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي أُلْصِقَتْ لِلْيَهُودِ الْأَنْدَلُسِ، مِنْهَا اللَّوْمُ فِي قَوْلِهِمْ: "خَنَافٌ يَجْلِسُ فَوْقَ أَضْيَافٍ" (٧)، وَخَنَافٌ فِيهِ اسْمُ شَخْصٍ وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْيَهُودِ كَمَا يَرَى مُحَقِّقُ الْمَثَلِ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ الْمَثَلَ يُقَالُ لِلشَّخْصِ اللَّئِيمِ فِي التَّخَاصُمِ وَالتَّعَارُكِ، وَأَتَوَقَّعُ أَنَّ "أَضْيَافُ" فِيهِ تَعْنِي ضِيُوفَهُ، فَمِنْ لَوْمِهِ يَتَخَاصَمُ حَتَّى مَعَ ضِيُوفِهِ. وَمِنْ صِفَاتِهِمُ الْجُبْنُ فِي قَوْلِهِمْ: "لَيْسَ يَفْرَعُ فَرَسٌ طَبَالَ بِيَهُودٍ رَأَاهُ" (٨) قَالِيَهُودِيٌّ جَبَانٌ لَا يُخِيفُ حَتَّى فَرَسَ الطَّبَالَ. وَذَكَرَتْ الْأَمْثَالُ أَعْيَادَهُمْ، فَقَالُوا: "خُرُوجُكَ مِنْ يَنْبَرٍ، أَخِيرُ مِنْ خُرُوجِكَ مِنَ الْعَنْصَرِ" (٩). وَيَنْبَرٌ هُوَ يَنْبَرٌ أَوْ رَأْسُ السَّنَةِ عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَالْعَنْصَرُ هُوَ عِيدُ الْعَنْصَرَةِ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ يُونِيَّةِ، فَالْخُرُوجُ مِنْ يَنْبَرٍ أَفْضَلُ لَأَنَّ الْمَرْءَ يَسْتَقْبِلُ فِيهِ الرَّبِيعَ وَالصَّيْفَ وَهُمَا أَجْمَلُ الْفُصُولِ، أَمَّا الْخُرُوجُ مِنَ الْعَنْصَرَةِ فَمَعْنَاهُ اسْتِقْبَالُ الْخَرِيفِ وَالشِّتَاءِ.

١ - الرَّجَالِيُّ أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ١٧/٢ - رقم ٥٧ .

٢ - نَفْسُهُ ١٨٢/٢ - رقم ٨٠٥ - عِنْدَ ابْنِ عَاصِمٍ - رقم ٣٦٧ ، وَفِي رِوَايَةٍ مَغْرِبِيَّةٍ لِلْمَثَلِ حَاجَةٌ بِالْدَّرَاهِمِ يَهُودِيٍّ يَقْضِيهَا .

٣ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٧٩/٢ [الْحَاشِيَّةُ] .

٤ - نَفْسُهُ ٢١٦/١ - عِنْدَ ابْنِ عَاصِمٍ - رقم ٧٥٨ .

٥ - نَفْسُهُ ٣٨٧/٢ - رقم ١٦٩٢ ، وَمِثْلُهُ عِنْدَ ابْنِ عَاصِمٍ - رقم ٣ : أَذَلُّ مِنْ قِطِّ ابْنِ أَحْمَدَ الَّذِي يَغْرُمُ الْجِزْيَةَ لِلْفَرِينِ أَيْ الْفِيرَانِ .

٦ - انْظُرْ: ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [يَطْح] ٤١٣/٢ .

٧ - الرَّجَالِيُّ أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ٢٠٢/٢ - رقم ٨٩٩ .

٨ - نَفْسُهُ ٢٧١/٢ - رقم ١١٧٠ .

٩ - نَفْسُهُ ٢٠٥/٢ - رقم ٩١٤ . وَشَطَّ فِيهَا يَعْنِي طَوِيلٌ .

وظهرت بعض العادات والطُّقوس الخاصة باليهود في الأمثال، فقَبِرُ هُمْ طَوِيلٌ ضَيِّقٌ فِي: "قبر يهودي شط ضيق" (١)، وهذه تُخَالِفُ سُنَنَ الإسلام، ومُلْخَصُهَا عَدَمُ الضَّيْقِ وَعَدَمُ الشَّقِّ (٢). وَسَخِرَ الأندلسيون مِنْ عَادَاتِهِمْ فِي الْجَنَازَةِ، فَقَالُوا: "جَنِيزَتِ يَهُود: الجري والسَّكَاث" (٣)، وَقَدْ يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ عَادَةَ الأندلسيين المسلمين البطء فيها، والإسراع عادة اليهود عكس المشاركة (٤).

وفي الصراع بين الطوائف أظهرت العامة في أمثالها شيئاً من هذا، فقالوا: "بَحَلَّ رَبِّ فِي شُوع: يتحرك ويترك" (٥). والرَّبِّيُّ أَوْ الرَّابِّيُّ هُوَ حَبْرُ الْيَهُودِ، وَالشُّوعَةُ مَعْبَدُ الْيَهُودِ، فَيُصَوِّرُ الْمَثَلُ قَلَّةَ عِنَايَةِ الْيَهُودِ بِنِظَافَةِ مَعَابِدِهِمْ وَقَدَارَتِهِمْ، حَتَّى كَانُوا يُدْعَوْنَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِالْخَنَازِيرِ كَمَا يَرَى مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيفَةَ، وَسَبَقَتْ الْإِشَارَةُ فِي الْبَحْثِ إِلَى فَسَادِ هَذَا الْأَدْعَاءِ الَّذِي قَالَ بِهِ بَعْضُ الْمُسْتَشْرِقِينَ (٦). وَجَاءَتْ عَكْسُ هَذِهِ الْحَالَةِ فِي مَثَلٍ آخَرَ قَالَ بِنِظَافَتِهِمْ وَهُوَ: "كُلَّ مَعَ يَهُودِي، وَارْقُدْ مَعَ نَصْرَانِي" (٧)، الَّذِي يَنْصَحُ بِتَوَخُّي الْحَلَالِ وَالنِّظَافَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ فِي مَأْكَلِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ لَا أَمَانَ لَهُمْ فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ غَدْرِهِمْ وَيُؤَمِّنُ لِلنَّصَارَى أَكْثَرَ. وَلَمْ يَنْسَ الأندلسيون الْإِشَارَةَ إِلَى مَلَابِسِ الْيَهُودِ الصَّفْرَاءِ، فَقَالُوا: "عَوْدُ أَصْفَرِ الْيَهُودِي" (٨)، وَالْعَوْدُ هُوَ الْفَرَسُ.

وَاسْتَحْدَمَ الأندلسيون الْأَفَاطَ الْقُرْآنِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَاللَّعْنَةِ وَالشَّقَاءِ وَغَضَبِ اللَّهِ، فَهَمْ أَشَقِيَاءُ مَلْعُونُونَ فِي قَوْلِهِمْ: "خَادِمُ شُوع: شَاقِي مَلْعُون" (٩). وَيَشْمَلُهُمْ غَضَبُ اللَّهِ فِي قَوْلِهِمْ: "بَحَلَّ يَهُودِي فِي غَضَبِ اللَّهِ" (١٠). كَمَا أَنَّ دِينَهُمْ رَقِيقٌ بِقَوْلِهِمْ: "أَرْقَ مِنْ دِينِ يَهُودِي" (١١)، أَيْ أَنَّهُمْ لَا يَلْتَزِمُونَ بِشَعَائِرِ دِينِهِمْ، أَوْ أَنَّهُمْ يَتَنَازَلُونَ عَنْ تَعَالِيمِ دِينِهِمْ بِسُهُولَةٍ.

١ - الرَّجَالِي أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ٢١٧/١ جَدَّ ابْنِ عَاصِمٍ - رَقْم ٥٧١ .

٢ - قَالَ الرَّسُولُ ﷺ : «لَا تَخَالِفُوا لَنَا وَالشَّقَّ لَعْنَتَنَا» . التِّرْمِذِيُّ الْجَامِعُ الصَّحِيحُ ٣/٣٦٣؛ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْكَلَانِيُّ فَتْحُ الْبَارِي ٣/٢٢٣، ٢١٨ .

٣ - الرَّجَالِي أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ٢١٦/١ جَدَّ ابْنِ عَاصِمٍ - رَقْم ٣٦٤ .

٤ - وَرَدَتْ مَأْثُورَاتٌ كَثِيرَةٌ تُخَالِفُ هَذَا وَتَدْعُو الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْإِسْرَاعِ فِي الْجَنَازَةِ مِنْهَا أَنَّ الْحَسَنَ أَوْصَى عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ: إِذَا أَنَا مِتُّ، فَأَسْرِعُوا، وَلَا تُهَوِّدُوا نَهْودَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .

٥٨٠/٢؛ الشُّوكَانِيُّ تَبْلِغُ الْأَوْطَارِ ٤/١١٤ .

٥ - الرَّجَالِي أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ١٤٤/٢ - رَقْم ٦٤٢ .

٦ - انْظُرْ فِي الْبَحْثِ: ص ١٥٠ .

٧ - الرَّجَالِي أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ٢٠٦/٢ - رَقْم ١١١٦ .

٨ - نَفْسُهُ ٥٥١/٢ - رَقْم ١١٧٠ .

٩ - نَفْسُهُ ٢١٦/١ جَدَّ ابْنِ عَاصِمٍ - رَقْم ٣٩٦ .

١٠ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا جَدَّ ابْنِ عَاصِمٍ - رَقْم ٢٩٦ .

١١ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا جَدَّ ابْنِ عَاصِمٍ - رَقْم ١٣ .

وَجَاءَ فِي أَمْثَالِهِمْ: "أَيْنَ مَعْمَرٍ، مِنْ سُكَّانِ خَيْبَرَ" (١)، وَأَهْلُ خَيْبَرَ تَطَلَّقُوا فِي الْعَالِبِ عَلَى الْيَهُودِ وَقَالَ مُحَقِّقُ الْمَثَلِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيفٍ إِنَّهُ يُشَبِّهُ قَوْلَهُمْ: "أَيْنَ الْوَادِي مِنَ الْجُرْفِ" (٢)، وَيُقَالُ لِلْمُقَاضَلَةِ بَيْنَ شَخْصَيْنِ، وَاحِدٌ مِنْهُمَا "مَعْمَرٌ" فَقِيرٌ أَوْ مُهَانٌ وَالْخَيْبَرِيُّ صَاحِبُ الْاِمْتِيَّازِ مِنْهُمَا؛ وَيَعْتَمِدُ الْمُحَقِّقُ فِي هَذَا عَلَى قَوْلِ دُوزِي إِنَّهُ كَانَ لِلْخَيْبَرَةِ بَعْضُ الْاِمْتِيَّازِ، إِذْ كَانُوا يُؤَلِّفُونَ طَبَقَةً خَاصَّةً، وَلَوْ تَجَاهَلْتُ إِشَارَةَ الْمُحَقِّقِ وَقَرَأْتُ الْمَثَلَ بِكُسْرِ مِيمٍ "مَعْمَرٌ" يَكُونُ مَعْنَاهُ طَالِبُ الْعِمْرَانِ وَالرِّقَاقِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ، وَيُظْهِرُ فِيهِ دَعْوَةٌ إِلَى الزُّهْدِ وَتَذَكِيرٌ بِمَا حَصَلَ لِأَهْلِ خَيْبَرَ الَّذِينَ كَانُوا مُتَمَكِّنِينَ فِي الْمَدِينَةِ ثُمَّ صَارَ مَا صَارَ فَهَجَرُوا وَتَرَكَوْا مَا عَمَرُوا فَجَاءَتْ فَلَا يَكُونُ فِيهِ كَمَا يَرَى دُوزِي اِمْتِيَّازٌ لِلْخَيْبَرِيِّ، بَلْ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَعَرَّضَ لَهُ الْخَيْبَرَةُ مِنْ إِهَانَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَفَقْدٍ لِمَا عَمَرُوهُ.

وَمِنْ الْإِضَافَاتِ الَّتِي جَرَتْ مَجْرَى الْمَثَلِ عِنْدَهُمْ قَوْلُهُمْ: عَرْنَاطَةُ الْيَهُودِ وَالْيَسَانَةُ الْيَهُودِ وَرُوطَةُ الْيَهُودِ (٣). لِكثْرَةِ الْيَهُودِ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ .

٢ - الْمَقَامَاتُ .

فِي الْمَقَامَاتِ ذُكِرَ الْعَابِدُ الْيَهُودِيُّ بَرَصِيصٌ (٤) فِي الْمَقَامَةِ السَّاسَانِيَّةِ النَّوْنِيَّةِ لِلْفَقِيهِ عُمَرَ (٥) وَجَّهَهَا إِلَى أَحَدِهِمْ طَامِعًا فِي نَجْدَتِهِ، وَصَفَ يَأْسَهُ بِقَوْلِهِ: "إِنْ حَلَّ زَاوِيَةٌ أَوْ نَزَلَ رَبَاطًا؛ أَقْصَى عَنْ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالتَّخْصِيصِ، وَابْتَلَى بِمَثَلِ حَالَةِ بَرَصِيصٍ؛ فَأَجِيلَ عَلَيْكَ، وَتَوَقَّفْتُ إِقَالَتَهُ عَلَى تَوْبَةٍ بَيْنَ يَدَيْكَ" (٦)؛ فَشَبَّهَ الْكَاتِبُ حَالَةَ الْيَأْسِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا حِينَ سُدَّتْ أَمَامَهُ السُّبُلُ بِحَالِ الْعَابِدِ بَرَصِيصٍ حِينَ أَوْقَعَ بِهِ الشَّيْطَانُ فَوَصَلَ إِلَى حَالَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْيَأْسِ .

١ - الرَّجَالِيُّ أَمْثَالُ الْعَوَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ ٨٠/٢ - رقم ٣٤٣ .

٢ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا - رقم ٣٤٣ .

٣ - نَفْسُهُ ٢١٧/١ .

٤ - انْظُرْ: الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٧/٧؛ الْمَقْرِيُّ أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ١١٧/١ .

هُوَ الرَّاهِبُ: بَرَصِيصًا، أَوْ بَرَصِيصٍ وَيُقَالُ فِيهِ بَرَصِيصًا، أَخَذَ عَبْدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قِيلَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْبَادِ أَهْلِ زَمَانِهِ تَعَبَّدَ فِي صَوْمَعَتِهِ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ يَعْصِ اللَّهَ فِيهَا طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى أَصْبَحَ إِبْلِيسَ، بَقِيَ إِبْلِيسُ يَحْتَالُ عَلَيْهِ حَتَّى جَعَلَهُ يُوَاقِعُ امْرَأَةً جَمِيلَةً، فَحَبَلَتْ مِنْهُ، فَوَسَّوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَهَا، ثُمَّ أَنْ يَقْتُلَهَا هِيَ خَوْفَ أَنْ تُخْبِرَ أَخَوَتَهَا. جَاءَ الْحَدِيثُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿كَمَلِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ سُورَةُ الْحَشْرِ، آيَةٌ ١٦ . انْظُرْ: الْقُرْطُبِيُّ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٣٧/١٨ - ٤١؛ ابْنُ كَثِيرٍ تَفْسِيرُهُ ٣٤٢/٤ .

٥ - هُوَ الْفَقِيهُ: عُمَرُ الْمَالِقِيُّ، اشتهر بالأزجال والمقامات، منها المقامة السَّاسَانِيَّةُ الَّتِي سَمَّاها تَسْرِيحَ النَّصَالِ إِلَى مَقَابِلِ النَّصَالِ، فِيهَا ذَكَرَ بَرَصِيصًا . انْظُرْ: الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٧/٧؛ أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ١١٧/١ .

٦ - انْظُرْ: الْمَقْرِيُّ تَفْحُ الطَّيِّبِ ٣٧/٧؛ أَزْهَارُ الرِّيَاضِ ١١٧/١ .

٣ - المذكرات .

ظهرت مساحة كبيرة لليهود في مذكرات الأمير عبد الله المسماة "التبيان"، وبخاصة في الحديث عن ابن تغريلة الأب والابن من توليتهما الوزارة حتى وفاتيهما، ولم تكن المذكرات مجرد سرد لحوادث وقصص حدثت مع الأمير الكاتب أو حوله، بل امتازت في أسلوبها فكانت على مستوى عال في الكتابة، فحوت من العبارات ما يدل على مقدرة أدبية جيدة للكاتب، مع تميزه بالابتعاد عن المحسنات البديعية؛ انظر مثلاً هذه الفقرة حين جمع المظفر الناس يشاورهم في أمر وادي آش، فقال لهم: "مثلي ومثلي ابن صمادح كمثل القبة" (١) التي كان بإزائها عش إوزة؛ فأعجبها بيضها، فقالت: لأخضن هذا البيض، يكون خيراً من متاعي فلما رامت ذلك عجزت وقصرت جناحها عن التخضين؛ فلما رجعت إلى متاعها، وجدت قد فسدت. وكذلك ابن صمادح: تعدى على بلدي، وسيخرج عنه وعن كثير مما كان قديماً بيده فقويت نفوس الناس، وأدرع الحزم والعزم؛ وتأهب للمسير، واجتمعت إليه الأجناد، وفرق فيهم العطايا. وتازل وادي آش حتى حاصرها وأرسل ابن صمادح بعد ذلك، يسأله العفو والإغضاء على ما كان منه، وأنه لا يتعرض من ذلك شيء لولا اليهودي وخوفاً إن أهمل البلد أن يتعدى عليه من لا يخشى داخلته" (٢).

وحين جاء ذكر اليهود في المذكرات كانت لغة العبارات عادية تسجيلية ومعانيها سهلة واضحة سطحية، وظهر هذا حين تحدث عن الأب أبي إبراهيم إسماعيل، بقوله مثلاً: "وكان أبو إبراهيم اليهودي كاتباً بين يدي أبي العباس كاتب حبوس.... فمكر به أبو إبراهيم اليهودي، ولزم خدمة الرئيس، وصار، متى غاب ولد أبي العباس، يحضر أبو إبراهيم فيسأل عنه حبوس؛ فيقول، معتذراً في الظاهر ومطالباً له في لحن القول: ولد أبي العباس، كما ترى، صبي يؤثر الراحة؛ وأنت جدير بالإغضاء عليه وإقامة عذره. وأنا عبده، أنوب منابه؛ فمرني بما شئت: يتهياً ذلك فلم يزل على هذا أبداً حتى تمكن، وظهرت خدمته وسعيه في ضم الأموال. وكان مع هذا قد ميز عن باديس سعادته ودهاءه؛ فافترض السعي له والتخدم لإرادته ما دام أمكنه ذلك،... فلما اتفق أعداؤه مع يدير (٣)، ووعدهم على الاجتماع عنده وتقدم إلى باديس، وأخبره الخبر، وأتى معه إلى المنزل، وقال له: ليس الخبر كالعيان! اسمع بأذنك وع بقلبك! وهو بموضع مرتفع على البيت الذي يرومون فيه عملهم؛ وأبو إبراهيم في ذلك كله يقول عند محاورتهم كالمخاطب للبارئ: يا من يرى ولا يرى

١ - القبة: طوبى صغير مثل العصفور يكون عند جحره الجردان، فإذا فرغ أو رُمي بحجر قبع فيها أي دخلها .

ابن منظور لسان العرب [قبع] ٢٥٨/٨ .

٢ - الأمير عبد الله التبيان ص ٥٦ - ٥٧ .

٣ - هو: يدير بن خباسة بن ماكسن، سبقت ترجمته .

بِذَلِكَ بَادِيسَ جَدَّنَا الَّذِي يَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ فَشَكَرَ ذَلِكَ بَادِيسُ لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَأَيَّقَنَ بِثِقَتِهِ وَأَمَانَتِهِ. وَصَارَ لَهُ خَادِمًا مِنْ ذَلِكَ النَّهَارِ، وَشَاوَرَهُ فِي أَكْثَرِ رَأْيِهِ مَعَ بَنِي عَمِّهِ" (١).

وَيُعْطِي هَذَا النَّصُّ مِنَ الْمَذْكُورَاتِ فِكْرَةً عَنْ صُورَةِ الْيَهُودِ وَأَثَرِهِمْ بِهَا؛ فَأَبُو إِبْرَاهِيمَ فِيهَا لَا يُذَكَّرُ بِاسْمِهِ إِسْمَاعِيلَ أَبَدًا وَلَا اسْمُ عَائِلَتِهِ، وَاكْتَفَى غَالِبًا بِكُنْيَتِهِ أَوْ قَوْلِ الْيَهُودِيِّ فَحَسِبُ، وَحِينَ مَاتَ وَجَاءَ ابْنُهُ يَوْسُفُ عَلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَهُ، وَصَفَهُ الْأَمِيرُ بِصِفَةِ اللَّعِينِ أَوْ الْمَاكِرِ أَوْ الْخَنْزِيرِ مُفْرَدَةً أَوْ صِفَةً لِكَلِمَةِ الْيَهُودِيِّ، وَأَحْيَانًا كَثِيرَةً مَثَلُوهَ بِعِبَارَةٍ لَعْنَةٍ عَلَيْهِ، مِنْهَا: "وَإِنَّ الْخَنْزِيرَ - لَعْنَهُ اللَّهُ - لَمَّا رَأَى طُغْيَانَ النِّسَاءِ..." (٢).

(٢) وَفِي قِصَّةٍ عَنْهُ يَرَوِيهَا مُقَرَّبٌ مِنَ الْمُعْتَصِمِ: "فَاتَّهَمَنِي الْخَنْزِيرُ، وَخَاطَبَ بِأَمْرِي الْمُعْتَصِمَ" وَفِي الْفِقْرَةِ نَفْسِهَا قَالَ: "فَرَأَى الْخَنْزِيرُ مِنْ رَأْيِهِ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ الْبِلَادِ كُلَّ مَنْ يَتَوَقَّعُ قِيَامَهُ" (٣). وَفِي غَيْرِهَا: "فَلَمَّا تَوَفَّى أَبُو إِبْرَاهِيمَ، وَتَرَكَ ابْنَهُ وَزِيرَ جَدَّنَا، وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَوَصَّاهُ بِأَنْ يَسْعَى فِي طَلَبِ الْوُزَرَاءِ عِنْدَ اسْتِقَامَةِ الدَّوْلَةِ لِلرَّئِيسِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ الَّتِي مِنْهَا

يَكُونُ حَتْفُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، لَمَّا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْبِلَادِ وَاسْتِنْتَارَهُمْ بِالْجَبَايَاتِ فَجَعَلَ الْخَنْزِيرُ نَفْسَهُ لِذَلِكَ" (٤)، وَفِي غَيْرِهَا: "فَعَمِلَ الْخَنْزِيرُ رَأْيَهُ مَعَ مَشِيخَةِ الْيَهُودِ" (٥).

وَيُظْهِرُ النَّصُّ صِفَاتَ لِهَذَا الْوَزِيرِ وَابْنِهِ مُعْظَمُهَا كَانَتْ يَهُودِيَّةً سَبَبًا فِي وَصْفِهِ بِهَا، فَقَدْ أَكْثَرَ الْأَمِيرُ مِنْ وَصْفِ الْيَهُودِيِّينَ الْمَذْكُورِينَ بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى مُبْتَغَاهُمْ، فَمَرَّةً قَالَ: "وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ، إِلَّا عَنْ تَحِيلٍ وَمَكْرِ" (٦)، وَفِي أُخْرَى يُعَمِّمُ صِفَةَ الْمَكْرِ هَذِهِ عَلَى كُلِّ الْيَهُودِ بِقَوْلِهِ: "وَكَانَ الْيَهُودِيُّ مُتَنَقِّلًا مِنْ دَارِهِ عَلَى الْقَصَبَةِ حَدَرًا مِنَ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَتِمَّ مَا أَمَّلَ؛ فَاتَّكَرَ ذَلِكَ النَّاسُ، مَعَ بُنْيَانِهِ لِجِصْنِ الْحَمْرَاءِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ ابْنُ صُمَادِحِ الْبَلَدِ، صَارَ هُوَ بِأَهْلِهِ إِلَيْهَا، إِلَى أَنْ تَتَوَطَّدَ الْحَالُ، فَاتَّقَتِ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ لِمَكْرِ الْيَهُودِ وَمَا اشْتَهَرُوا بِهِ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ" (٧). وَلِكثَرَةِ مَكْرِ الْوَزِيرِ وَخِدَاعِهِ لِلسُّلْطَانِ حَتَّى يَصِلَ مُبْتَغَاهُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ أَعْطَاهُمُ الْأَمِيرُ صِفَةَ الْبِرَامِكَةِ، فَقَالَ: "وَتَبَرَّمَكَ عَلَى عَلِيٍّ [بَنَ لُقُورِي] وَغَيْرِهِ، وَاسْتَوْتَقَّ مِنْ جَانِبِ الرَّئِيسِ مَا لَمْ يَسْأَلْ بِهِ عَنْ عَلِيٍّ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ" (٨)، وَفِي أُخْرَى قَالَ: "وَتَبَرَّمَكَ الْيَهُودِيُّ بَعْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ" (٩).

١ - الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ النَّبَّيَّانِ ص ٣٠ - ٣١ .

٢ - نَفْسُهُ ص ٥٠ .

٣ - نَفْسُهُ ص ٥٢ .

٤ - نَفْسُهُ ص ٣٨ .

٥ - نَفْسُهُ ص ٤٠ .

٦ - نَفْسُهُ ص ٣٧ .

٧ - نَفْسُهُ ص ٥٤ .

٨ - نَفْسُهُ ص ٣٧ .

٩ - نَفْسُهُ ص ٤٢ .

وباختصار فقد أرجع الأمير فساد أمور البلاد إلى نفاق اليهودي بقوله بعد الحديث عن أخذه مالقة: "فَتَهَدَّنتِ الحال، وتأنَّتِ السَّعَادَاتُ، وامتَلأتْ بيوتُ الأموالِ سِنِينَ لا يُسْمَعُ فيها بِقِتَّةٍ، ولا يُرى معها تشغيِبٌ، إلى أن اختلَّتِ الأحوالُ بعد ذلك بما كان من نفاقِ اليهودي لَعَنَهُ اللهُ" (١).

وأحياناً كان الأمير يصفُ اليهوديِّ بواحدةٍ من الصفاتِ الإيجابية التي تمتع بها، كوصفه بالكيس والمداورة للناس، بقوله: "وكان اليهوديُّ من الكيس والمداورة للناس ما طابق الزمان الذي كانوا فيه والقوم الذين يرومونه" (٢). كما وصفه وابنه بالحكمة والقُدرة على إسداء النصائح للسلطان، فقال: "وأظهر ولدُ أبي إبراهيم للسلطان نصائح كثيرة حظي بها عنده" (٣)، وذكر بغضاً من حكمهم كقول أبي إبراهيم للمظفر يوماً: "ما قطع الشر إلا سياسة!" (٤).

وأشار أكثر من مرّة إلى أن ميزات اليهوديِّ مع فساد حاشية السلطان والأمراء كان سبباً في علو مكانة اليهوديِّ، فاعترف أن قلة خبرة والده سيف الدولة بالناس سهلت الأمر على اليهوديِّ لقتله؛ فقد كان يتحدّث بذلك، ويفشي سرّه إلى الوزراء الرافعين إليه؛ فلا هو يعزّم على قتله، ولا هو يتكتم بالأمر، إلى أن صحّ ذلك عند اليهوديِّ، واعتزّم رأيهُ على أن يسبقه بالأمر، ورأى عياناً تغييره عليه. وكان أبونا، لما هم بقتله، وأعدّ لذلك عبيده، فكّر في سطوة أبيه؛ فكفّ" (٥).

المبحث الثاني : المؤثرات على صورة اليهود في النثر الأندلسي.

كانت صورة اليهود في نثر الأندلسيين على الأغلب سيئة، والخطوط الرئيسية لها يشكّلها "النموذج التامري" (٦)؛ فاليهودي سيئ، ويوصف باليهوديِّ من كان بزعمهم سيئاً، فاتهم بعض المسلمين عبد العزيز بن موسى بن نصير (ت ٩٩ هـ) عندما رأوه يضع التاج، وأدركوا ما رمى إليه من اتّخاذ الباب الصغير الذي يجبر داخله على الانحناء، اتهموه بالتّنصّر، ونعتة بعضهم باليهوديِّ وكان هذا سبباً في قتله (٧). والفقيه ابن حزم قال عن ابن نغريلة برسالته: "ها هنا انتهى كل ما ظن المائق أنه اعترض به، قد بان فيه كله زوره وجهله واعتزّاره"، وانطلق مباشرة لتعميم القول على اليهود بقوله: "ثم نحن إن شاء الله تعالى ذاكرون بحول الله تعالى وقوته قليلاً من كثير من

١ - الأمير عبد الله التّيبّان ص ٤٤ .

٢ - نفسه ص 31 .

٣ - نفسه ص ٣٧ .

٤ - نفسه والصفحة نفسه.

٥ - نفسه ص ٤٠ .

٦ - انظر: عبد الوهاب المسيري مؤسوعة اليهود واليهودية والصّهيونية ١/١٥٠، وسبقت الإشارة إليه في البحث: ص ٥٧ - ٥٨ .

٧ - انظر: الرقيق القيرواني تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦١؛ النويري نهاية الأرب ٥٥/٢٤ [الحاشية] .

قَبَائِحِهِمْ يُدِيرُونَهَا وَيَتَسَبُّونَهَا إِلَى الْبَارِي تَعَالَى فِي كُتُبِهِمِ الَّتِي طَالَمَا وَقَفْنَا عَلَيْهَا" (١).

وَحِينَ يُذَكَّرُ الْيَهُودُ وَأَهْلُ الذِّمَّةِ بِالنَّثْرِ يَكُونُ ذِكْرُهُمْ فِي نِهَآيَةِ قَائِمَةِ الْأَسْمَاءِ الْمَذْكُورِينَ، حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَرُوا بَعْدَ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْحَدِيثِ عَنِ اسْتِسْقَاءِ دَعَا إِلَيْهِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، حِينَ دَخَلَ إفْرِيقِيَّةً، وَكَانَ بِهَا قَحْطٌ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالصِّيَامِ وَالْخُرُوجِ إِلَى الْمُصَلَّى لِلْإِسْتِسْقَاءِ، يَقُولُ ابْنُ عِدَّارِي: "وَبَكَى، وَبَكَوْا، وَبَكَى الصَّبِيَّانُ وَالنِّسَاءُ، وَصَاحَتِ الْبَقَرُ وَالْعُجُلُ وَالْغَنَمُ وَالْخِرْقَانُ وَأَهْلُ الذِّمَّةِ" (٢).

وَنُعِتَ الْيَهُودُ بِالْفَظِ كَثِيرَةٍ فِي النَّثْرِ، مَغْظَمُهَا تُؤَكِّدُ "النَّمُودَجَ التَّامَرِيَّ"، وَكَانَ لَفْظُ "قِرْدٍ" مِنْ أَكْثَرِ مَا قِيلَ فِي الْيَهُودِ مِنَ الْأَلْفَافِ فِي النَّثْرِ، وَأَخْيَانًا يَقُولُونَ "الْخَنَزِيرَ"، وَأَخْيَانًا يَصِفُونَهُمْ "بِالْأَنْدَالِ، وَالْعُلُوجِ"، لَيْسَ هَذَا فَحَسَبُ، بَلْ كَانُوا يَغْسِلُونَ بِالمَاءِ نَجَسَ قُبُلَتِهِمْ أَوْ مُصَافَحَتِهِمْ، فَيَذْكُرُ ابْنُ الْخَطِيبِ أَنَّ ابْنَ الْفُونْسِ كَانَ قَدْ اسْتَنْصَرَ عَلَى أَبِيهِ بِالسُّلْطَانِ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ الْمُرِينِيِّ، وَلَاذِيهِ، وَرَهْنٌ عِنْدَهُ تَاجَةٌ وَبَعْدَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ طَلَبَ بِلِسَانِ زَنَآةٍ المَاءَ، لِيَغْسِلَ يَدَهُ بِهِ مِنْ قُبْلَةِ الْفُونْسِ، أَوْ مُصَافَحَتِهِ. وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ ظَلَّتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ فِي ذِكْرِي ابْنِ الْخَطِيبِ، وَعَايَرَ بِهَا ابْنُ زَرْزَارٍ الْيَهُودِيَّ رَسُولَ حَفِيدِ الْفُونْسِ، وَكَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَى غَرْنَاطَةِ فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ، وَدَخَلَ عَلَى ابْنِ الْخَطِيبِ وَبِيَدِهِ كِتَابٌ مِنْ سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ مُحَمَّدٍ (٣)، وَكَانَ مُحَمَّدٌ هَذَا قَدْ فَرَّ إِلَى صَاحِبِ قُسْطَلَةَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ لِابْنِ الْخَطِيبِ: "مَوْلَايَ دُونَ بَطْرِهِ [حَفِيدُ الْفُونْسِ] يُسَلِّمُ عَلَيْكَ، وَيَقُولُ لَكَ: انْظُرْ فِي مُحَاطَبَةِ هَذَا الشَّخْصِ، وَكَانَ بِالْأَمْسِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ بَابِهِ، حَتَّى تَرَى خَسَارَةَ الْكَرَامَةِ فِيهِ" (٤). فَأَخَذَ ابْنُ الْخَطِيبِ الْكِتَابَ مِنْ يَدِهِ، وَقَرَأَهُ، وَقَالَ لَهُ: "أَبْلَغُهُ عَنِّي أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا جَرَّكَ إِلَيْهِ إِلَّا خُلُوءُ بَابِكَ مِنَ الشُّيُوخِ، الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكَ بِالْكِلاِبِ وَبِالْأَسُودِ، وَبِمَنْ تُغْسِلُ الْأَيْدِي مِنْهُمْ إِذَا قَبَّلُوها، فَتَعْلَمُ مِنَ الْكَلْبِ الَّذِي تُغْسِلُ يَدَهُ مِنْهُ، وَمَنْ لَا، وَأَنَّ جَدَّ هَذَا الْوَلَدِ هُوَ الَّذِي قَبَّلَ جَدَّكَ يَدَهُ، وَاسْتَدْعَى المَاءَ لِيَغْسِلَ يَدَهُ مِنْهُ بِمَحْضَرِ النَّصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ؛ وَنِسْبَةُ الْجَدِّ إِلَى الْجَدِّ كُنُسْبَةُ الْحَفِيدِ إِلَى الْحَفِيدِ؛ وَكَوْنُهُ لَجَأً إِلَى بِلَادِكَ لَيْسَ بِعَارٍ عَلَيْهِ، وَأَنْتَ مُعَرَّضٌ إِلَى اللِّجَا إِلَيْهِ، فَيُكَافِئُكَ بِأَضْعَافٍ مَا عَامَلْتَهُ بِهِ" (٥).

١ - انْظُرْ: ابْنُ حَرْمٍ رَسَائِلُهُ ٥٦/٣؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النُّعْرِيَّةِ الْيَهُودِيَّ .

٢ - ابْنُ عِدَّارِي الْمَرَاكِشِيُّ الْبَيَّانُ الْمَغْرِبُ ١٩/٢ .

٣ - هُوَ سُلْطَانُ الْمَغْرِبِ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ .

٤ - انْظُرْ: الْمُقَرِّي أَرْهَازُ الرِّيَاضِ ٦٢/١ .

٥ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٦٢/١ - ٦٣ .

وَكَذَلِكَ نَعَتْ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ الْيَهُودِيَّ فِي مُذَكَّرَاتِهِ "بِالْخَنَزِيرِ وَالْأَحْمَقِ" بَعْدَ حَدِيثٍ عَنْ مَجْلِسِ خَمْرٍ لِلنَّائِيَةِ^(١) مَعَ الْمُظْفَرِ وَحَدُّهُمَا، فَأَخَذَ النَّائِيَةُ يُجَرِّحُ الْوَزِيرَ الْيَهُودِيَّ ابْنَ نَغْرِيْلَةَ، يَقُولُهُ: "قَدْ أَكَلَ مَالَكَ، وَتَمَلَّكَ بِأَعْظَمَ مِنْ مُلْكِكَ، وَبَنَى خَيْرًا مِنْ قَصْرِكَ! فَاللَّهُ اللَّهُ فِي إِزَاحَتِهِ وَالتَّحَبُّبِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ بِفَقْدِهِ! وَالْمُظْفَرُ فِي هَذَا كُلِّهِ يَعِدُهُ وَيَقُولُ لَهُ: لَا بُدَّ لِي مِنْ ذَلِكَ، وَأَوَكَّلَكَ عَلَى قَتْلِهِ إِفْرَبَمَا لَقَطَ بِذَلِكَ بِمَسْمَعٍ مَنْ لَا يُؤْبَهُ لَهُ مِنْ عَبِيدِهِ وَالْمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَنْقُلُونَ ذَلِكَ عَلَى الْمَقَامِ إِلَى الْيَهُودِيَّ لِيَصِرَ لَهُمْ عَلَيْهَا. فَلَا تَزْدَادُ نَفْسُ الْخَنَزِيرِ إِلَّا حِمَاقَةً وَمُنَافَرَةً، وَبِكَادُ أَنْ يَمُوتَ هَمًّا وَحَنَقًا، مَعَ حَسَدِهِ لَهُ عَلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي خُصَّ بِهَا دُونَهُ"^(٢)، وَمَرَّةً أُخْرَى اتَّبَعَ "الْخَنَزِيرَ" بِقَوْلِهِ: "الْخَنَزِيرَ - لَعَنَهُ اللَّهُ -"^(٣) وَغَيْرُهَا عِنْدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ كَثِيرٌ، حَتَّى إِنَّهُ أَخْيَانًا كَرَّرَ هَذَا النَّعْتَ مَرَّتَيْنِ فِي الصَّفْحَةِ نَفْسِهَا^(٤). وَلَمْ يَكُنْ "الْخَنَزِيرُ" خَاصًّا بِالْيَهُودِ عِنْدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِهِ، كَمَا سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ؛ فَنُعِتَ بِهِ النَّصَارَى كَذَلِكَ كَالْبِرْهَانِ^(٥) أَحَدِ الرُّعَمَاءِ عِنْدَ الْفُونُسِ^(٦).
أَمَّا ابْنُ حَزْمٍ فَقَدْ وَصَفَ ابْنَ نَغْرِيْلَةَ بِعِدَّةِ أَلْفَاظٍ تُرَكِّزُ فِيهِ الْخِسَّةَ وَالنَّدَالَةَ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَهُ بِالسُّكْرِ أَكْمَلَ بِأَنَّهُ: "الْخَسِيسُ إِذَا أَشْبَرَ، وَالذَّلِيلُ الْجَائِعُ إِذَا عَزَّ وَشَبِعَ، وَالسُّفْلِيُّ إِذَا أَمَرَ وَشَطَّ، وَالْكَلْبُ إِذَا دُلَّ وَنَشِيطٌ، فَإِنَّ لِهَذِهِ الْمَعَانِي مَسَالِكَ خَفِيَّةً فِي إِفْسَادِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تُقَرِّبُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ، وَكَيْفَ بِخُلُقٍ سُوءٍ مُتَكَرِّرٍ فِي الْخَسَاسَةِ وَالْهُجْنَةِ وَالرَّدَالَةِ وَالنَّدَالَةِ وَاللُّعْنَةِ وَالْمَهَانَةِ؟"^(٧).
وَمِمَّا اشتهر به اليهود في مَصَادِرِ الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ كَثْرَةُ جِدَالِهِمْ، فَذَكَرَ الْمُقَرِّيُّ عِدَّةً أَمْثَلَةً عَلَى هَذَا فِي نَفْحِهِ^(٨)، مِنْهَا أَنَّ يَهُودِيًّا سَمِعَ بِحَدِيثٍ: "نِعَمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ"^(٩)، فَانْكَرَ ذَلِكَ حَتَّى كَادَ يُصْرِّحُ بِالْقَدَحِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ، فَأَشَارَ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَقْطَعَ عَنِ الْيَهُودِ الْخَلَّ وَأَسْبَابَهُ سَنَةً، فَمَا تَمَّتْ حَتَّى ظَهَرَ فِيهِمْ الْجِدَامُ"^(١٠).

١ - هُوَ: النَّائِيَةُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ اتَّفَقَ عَلَى غَدْرِهِ مَعَ ابْنِهِ، اعْتَنَى بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَبِيدِ، وَنَوَسَطُوا لَهُ عِنْدَ الْمُظْفَرِ وَأَنْخَلَوْهُ غَرْنَاتَةً، وَصَارَ قَائِدًا عِنْدَهُ. وَزَادَ جِدُّهُ، وَنَمَّا خَبْرُهُ، وَتَضَاعَفَ إِحْسَانُ الْمُظْفَرِ إِلَيْهِ. وَكَانَ الْمُظْفَرُ مَتَى مَا أَتَى مَالِقَةً، نَزَلَ فِي دَارِهِ، وَشَرِبَ مَعَهُ. انْظُرْ: الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ التَّبَّيَّانُ ص ٤٦ - ٤٧.

٢ - الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ التَّبَّيَّانُ ص ٤٧.

٣ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٥٠.

٤ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ص ٥٢.

٥ - هُوَ: الْبِرْهَانِش، أَوَكَلَ الْفُونُسُ إِلَيْهِ أَمْرَ غَرْنَاتَةِ وَالْمَرِيَّةِ؛ فَصَارَ زَعِيمًا فِي الْجِهَتَيْنِ. انْظُرْ: الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ التَّبَّيَّانُ ص ٤٧.

٦ - انْظُرْ: الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ التَّبَّيَّانُ ص ١٢٤.

٧ - ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ التُّغْرِيْلَةَ الْيَهُودِيَّ ٤٥/٣.

٨ - انْظُرْ: الْمُقَرِّيُّ تَفْجِ الطَّيِّبِ ٢٨٣/٧ - ٢٨٤، ١٣٠/١٠.

٩ - مُحَمَّدٌ أَبَا بَدِي عَوْنُ الْمُغْبُودِ ٢١٤/١٠؛ الْفَرْطَبِيُّ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ١١/١٢؛ الْمُبَارَكُفُورِيُّ تَحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ٣٩٩/٤، ٤٦٦/٥.

١٠ - الْمُقَرِّيُّ تَفْجِ الطَّيِّبِ ٢٤١/٧.

وبهذا أرى أنه لم يكن لليهود وجودٌ كبيرٌ واضحٌ في النثر الأندلسي، وظَهَرَت صورة اليهود في النثر مبنورةً مُبَعَثَرَةً، ويمكنُ تجميعُ ملامح هذه الصورة بمعرفة أهم المؤثرات التي أثَّرت عليها فجعلت الكتاب يكتبون بشكل مباشر أحياناً، وأحياناً أخرى برُموزٍ أو إشاراتٍ، ويمكنُ حصرُ المؤثرات على صورة اليهود في النثر الأندلسي بما يلي:

أولاً:- الموروث في التاريخ العربي عنهم .

ظَهَرَت في النثر الأندلسي أحياناً صورة لليهود عن طريق رُموزٍ لأحداث مأخوذة من التاريخ: التاريخ العربي القديم، أو تاريخهم القريب لوجودهم في الأندلس.

١- من التاريخ القديم :

ما وردَ في كتب الأديب بتأثير تاريخ اليهود القديم قسمان: قسمٌ منه أخذ من تاريخهم بعد الإسلام والآخر قبل الإسلام، فَمَّا أخذ من التاريخ الإسلامي كان من السيرة النبوية في معظمه ويتمثل بأحداث كثيرة تتعلق باليهود ذكرت في النثر الأندلسي، لكن يصعبُ أحياناً على الباحث الجزم إن كان لليهود في الأندلس أثرٌ واضحٌ لقول هذه الأحداث؛ فعلى سبيل المثال في "الرسالة البكرية" التي كتبها ابن زيدون إلى صديقه أبي بكر^(١) عائباً وآملاً، جاء فيها: "وشهد ابن العطار العشار^(٢) العاري عن الثقة والأمانة، البعيد من الرعاية والصيانة، الناشر لأذنيه طمعاً، الأكل بيديه جشعاً،... ولم يقتصر على أن الحق بالشهود، وهو وأو عمرو فيهم، وتون الجمع المضاف معهم^(٣)، دون أن يلحق بخزيمة ذي الشهادتين^(٤)، ويتوب منقرداً عن اثنين^(٥)" في هذه الأسطر يُخبر ابن زيدون صديقه فيها أنه ألقى في السجن دون تأنٍ أو تثبُّت، فجاء أمرُ سجنه بتقصيرٍ ممن سجنه، وساعد على سجنه كذلك شهادة ابن العطار العشاري الذي أميل إلى القول فيه كما

قال

^١ - سُميت الرسالة البكرية نسبة إلى أبي بكر مسلم بن أحمد بن أفلح النخوي أستاذ ابن زيدون وصديقه.

انظر الرسالة البكرية: ابن زيدون ديوانه ورسائله ص ٧١٨ - ٧٥٣ .

^٢ - يرى علي عبد العظيم في شرحه لديوان ابن زيدون أن ابن العطار العشار هذا قد يكون جابياً للركاة ويستدل على هذا بكلمة العشار التي من معانيها جابي الركاة . والكلام التالي كله حول ابن العطار . ابن زيدون ديوانه ورسائله ص ٧٢٤ [الحاشية].

^٣ - تون الجمع تحذف عند الإضافة، مثل: معلّمو المدينة، ومهندسوها حاضرون .

^٤ - هو: خزيمة بن ثابت الأنصاري، كان من كبار جيش علي واستشهد معه يوم صفين، سمّاه الرسول ﷺ ذا الشهادتين وذلك أن يهودياً أتى الرسول ﷺ فقال: يا محمد أفضني ديني، فقال عليه السلام لأصحابه: أيكم يشهد ألي قضيت اليهودي ماله؟ فأمسكوا جميعاً، فقال خزيمة: أنا يا رسول الله أشهد أنك قضيت، قال: وكيف تشهد بذلك ولم تحضره ولم تعلمه؟ فقال: يا رسول الله نحن نصدقك على الوحي من السماء، فكيف لا نصدقك على أنك قضيت؟ فأنفذ عليه السلام شهادته وسمّاه ذا الشهادتين .

انظر: فتح الباري ٢٣٨/٥؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ٤٨٥/٢ - ٤٨٧؛ المذهب ٣٢٣/٢ .

^٥ - ابن زيدون ديوانه ورسائله ص ٧٢٣ - ٧٢٥ .

عَنْدَ الْعَظِيمِ بَأْتُهُ جَابِي الزَّكَاةِ فِي بَلَدِهِ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهُ عَشَارٌ^(١)، وَلِيُؤَكِّدَ ابْنُ زَيْدُونَ عَلَى عَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ لِلشَّهَادَةِ قَالَ إِنَّ هَذَا الْمَذْكُورَ لَمْ يَكُنْ أَبَدًا كَحَزِيمَةَ صَاحِبِ الشَّهَادَتَيْنِ وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى حَادِثَةٍ تَارِيخِيَّةٍ لَهَا عَلاَقَةٌ بِالْيَهُودِ. وَلَا اسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ الْعَطَّارِ هَذَا يَهُودِيًّا جَعَلَ ابْنُ زَيْدُونَ يَتَذَكَّرُ قِصَّةَ الْيَهُودِيِّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ عَشْرِيٌّ وَهَذِهِ مِهْنَةٌ اشْتَهَرَ الْيَهُودُ بِهَا فِي الْأَنْدَلُسِ، وَفِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ لِيَهُودِيٍّ تَقَاضَى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْإِشَارَةِ لَمْ يَكُنِ الْيَهُودِيَّ بَلْ دَا الشَّهَادَتَيْنِ حَزِيمَةَ الَّذِي نَطَقَ بِالْحَقِّ حَتَّى عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَرَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ بَيْنَمَا ابْنُ الْعَطَّارِ عَكْسُهُ؛ فَقَدْ شَهِدَ بِمَا يُخَالِفُ الْحَقَّ مَعَ أَنَّ الْحَقَّ وَاضِحٌ بِالنَّسَبَةِ إِلَيْهِ كَمَا يَدَّعِي ابْنُ زَيْدُونَ.

وَوَصَفَ لِسَانَ الدِّينِ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي رِسَالَةٍ لَهُ اثْنَيْنِ^(٢): "كَانَهُمَا مِنْ أَذْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ وَمُهَنْتَضِمِي خَيْبَرَ"^(٣) مُشِيرًا بِهِذَا إِلَى مَذَلَّةِ الدِّينِ يَتَحَدَّثُ عَنْهُمَا. وَآرَى أَنَّ أَثَرَ الْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ كَانَ ضَعِيفًا حِينَ تَذَكَّرُ هَذِهِ الْحَوَادِثُ التَّارِيخِيَّةُ الْمَأْخُودَةُ مِنَ السَّيَرَةِ أَوْ مِنَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، وَالْإِشَارَاتُ مِنْهُ تَكَادُ تَكُونُ مِنَ التَّأَثُّرِ بِالْمُورُوثِ الدِّينِيِّ فَقَطْ. أَمَّا تَارِيخُ الْيَهُودِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فَيُخْتَفِي تَأْثِيرُهُ فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ نَشْرِ لِلْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَلَا تَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا شَخْصِيَّةُ يَهُودِيَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ السَّمْوَالُ، وَمَكَانٌ تَارِيخِيٌّ وَاحِدٌ هُوَ قَصْرُهُ "الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ"، وَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهُمَا فِي الشَّعْرِ. وَكَمَا ذَكَرَ ابْنُ زَيْدُونَ السَّمْوَالُ مِرَارًا فِي شِعْرِهِ^(٤) ذَكَرَهُ وَسَمَّاهُ فِي نَثْرِهِ كَذَلِكَ فِي "رِسَالَتِهِ الْهَزْلِيَّةِ"^(٥) يَقُولُ: "أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا الْمَصَابُ بِعَقْلِهِ، الْمُورِطُ بِجَهْلِهِ، الْبَيِّنُ سَقَطُهُ، الْفَاجِسُ غَلَطُهُ...، وَالسَّمْوَالُ إِنَّمَا وَفِي عَنْ عَهْدِكَ"^(٦)، وَضَرَبَ ابْنُ زَيْدُونَ لِابْنِ عَبْدِوسَ (ت: ٧٠هـ) أَمَثَلَةً عَدِيدَةً، وَالْأَمَثَلَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ تَارِيخِ الْعَرَبِ، وَجَعَلَهُ الْهَدَفَ فِيهَا مِنْ بَابِ الْاسْتَهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَّةِ؛ فَقَدْ أَخْفَى الطَّرْفَ الْمُهِمَّ الَّذِي كَانَتْ الْقِصَّةُ أَوْ الْحَادِثَةُ تَدُورُ حَوْلَهُ، وَوَضَعَ الْمُسْتَهْزَأَ بِهِ ابْنَ عَبْدِوسَ بَدَلًا مِنْهُ وَكَانَتْ الْأَمَثَلَةُ فِي الرِّسَالَةِ كَثِيرَةً، حَاوَلَ ابْنُ زَيْدُونَ فِيهَا اسْتِعْرَاضَ مَهَارَتِهِ الثَّقَافِيَّةِ: اللَّغَوِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ مِنْهَا عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ. وَلَمْ يَكُنْ ذِكْرُهُ لِلْسَّمْوَالِ فِي هَذَا الْمَجَالِ مِنْ بَابِ التَّأَثُّرِ بِالْيَهُودِ حَوْلَهُ، بَلْ لَأَنَّهُ عِلْمٌ مَشْهُورٌ فِي التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ.

وَاحْتَلَّ السَّمْوَالُ فِي رِسَالَةِ ابْنِ زَيْدُونَ هَذِهِ مَكَانًا مُهِمًّا بِحَيْثُ كَانَ كَالِإِسْكَانْدَرِ الْمَقْدُونِيِّ مَلِكَِ الْإِغْرِيقِ الَّذِي قَتَلَ دَارًا مَلِكََ الْفَرَسِ، وَقَتَلَهُ وَاحْتَلَّ مَمْلَكَتَهُ وَضَمَّهَا إِلَيْهِ، كَمَا كَانَ كَكَلْبِ بْنِ رَبِيعَةَ

١ - الْعَشَارُ: الْمَاكِسُ الَّذِي يَجْبِي الْأَعْشَارَ مِنْ أَهْلِ الدُّمَّةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَشُورٌ إِنَّمَا الْعَشُورُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

انْظُرْ: التَّرْمِذِيُّ الْجَامِعُ الصَّحِيحُ ٢٧/٣؛ أَبُو شَيْبَةَ الْمُصَنَّفُ ٤١٦/٢؛ ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [عَشْر، مَكْس] ٥٧٠/٤، ٢٢٠/٦.

٢ - هُمَا: إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ الْأَصْلَعِ اللَّغَوِيَّ وَزَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْأَحْمَرِ وَابْنُ عَمِّهِ مُحَمَّدٌ.

٣ - انْظُرْ: الْمَقَرِّيُّ تَفْجِ الْطَيْبِ ١٢٢/٧.

٤ - ابْنُ زَيْدُونَ دِيوَانُهُ وَرِسَالَتُهُ ص ٣٥١ - ٣٥٢؛ ابْنُ بَسَّامٍ النُّخَيْرَةُ ق ١، ٣٨٩/١، وَفِي الْبَحْثِ: ص ١٩٢ - ١٩٣.

٥ - انْظُرْ الرِّسَالَةَ فِي: ابْنِ زَيْدُونَ دِيوَانُهُ وَرِسَالَتُهُ ص ٦٣٤ - ٦٧٩؛ التَّوَيْرِيُّ نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٩٠/٧.

٦ - ابْنُ زَيْدُونَ دِيوَانُهُ وَرِسَالَتُهُ ص ٦٤٠، وَسَبَقَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي الْبَحْثِ ص ١٩٣.

ز عيم قبيلتي بكر وتغلب، وكصهره جساس بن مرة الذي قتل كليباً بسبب ناقة خالته السوس، وكالمهلهل أخو كليب الذي ظل يطلب ناز أخيه كليب سنوات عديدة تخللتها حروب طاحنة بين قبيلتي بكر وتغلب، وكالأخنف الذي يضرب به المثل في الحلم والسيادة، وكحاتم الطائي الذي يضرب به المثل في السخاء، وكغيرهم ممن امتلأت بهم الرسالة ولا مجال هنا لذكرهم جميعاً لكثرتهم، وأدعى ابن زيدون أن كل هؤلاء قاموا بما قاموا به من أعمال خلدتهم مدى الأيام من أجله هو من باب السخرية به، وأعمال السموأل كانت من أجل ابن عبدوس كذلك، وجاء السموأل وسط هذه القائمة الطويلة من المشهورين والعظماء للدلالة على المكانة التي نالها هذا اليهودي بعمله الذي خلده، فجبرته لمن يطلبه ووقاؤه وشجاعته جعلته يذكر بين هؤلاء العظماء في مثل هذه الرسالة، ولم يكن ليهوديته أي اعتبار فيها.

واقترن السموأل في النثر كثيراً بقصره "الأبلق الفرد" كما كان في الشعر، فقال الأديب أبو عبد الله محمد بن شرف^(١) في شهرة أحدهم إنه: "أشهر من الأبلق الفرد عند السموأل"^(٢).

وذكر أبو الخطّاب بن دحية^(٣) "الأبلق الفرد" في كتابه "النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس"، في حديثه عن غربته الطويلة وثقله من بلد إلى بلد، فتساءل عن أخبار الماضين من الأنبياء ثم مشاهير الملوك وأصحاب القصور في القرون الماضية، فكان من تساؤلاته الكثيرة قوله: "أين أولو الأبلق الفرد؟"^(٤). فوضع الكاتب "الأبلق الفرد" في هذه الكلمات بين قائمة قصور عظيمة مشهورة بمنعتها كهمدان^(٥) وغمدان^(٦)، ثم جاءت إشارة خفية إلى صاحب القصر الذي باد وأهلك ومرّت عليه الأزمان كما مرّت على قبائل عظيمة بادت وهلكت كجديس^(٧) وعاد، وكما انتهى آدم وبقيّة الأنبياء والرسل والعظماء المذكورون في الرسالة انتهى صاحب "الأبلق الفرد".

١ - هو الأديب: أبو عبد الله محمد بن شرف الجذامي، عاش فترة عند المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون، لقبه المقرئ أديب إفريقية، وقال ابن بسام أنه أديب القيروان، له أعلام الكلام وأبكار الأفكار، وابنه أبو الفضل جعفر شاعر مشهور بالأندلس.

انظر: ابن بسام النخبة ق ٤، م ١٦٩/١ - ٢٣٨؛ ابن سعيّد المغرب ١٢/٢، ٢٣٠؛ المقرئ تفتح الطيب ٣٥٤/٤.

٢ - ابن بسام "الدخيرة" ق ٤، م ١٨٣.

٣ - هو: ابن دحية أبو الخطّاب غمر بن الحسن بن علي الكلابي الأندلسي البلنسي. له عدة تصانيف، من أشهرها المطرب من أشعار أهل المغرب. وكانت ولادته سنة ٥٤٤ هـ وتوفي بالقاهرة.

خلكان وفيات الأعيان ٤٤٨/٣ - ٤٥٠؛ المقرئ تفتح الطيب ٣١٣/٢ - ٣١٨.

٤ - المقرئ تفتح الطيب ١١٠/٧ - ١١١.

٥ - همدان: قصر عظيم، يقال إن دارا بن دارا لما حاصره الإسكندر أمر ببنائه بمنطقة همدان يحيط به حصن، وجعل في القصر ألف مخابأ لخزائنه وأمواله. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٤١١/٥؛ التويري نهاية الأرب ١٥/١٦٤.

٦ - غمدان: قصر من قصور ملوك اليمن، قيل إن الذي بنى غمدان سليمان بن داود عليه السلام أمر الشياطين فبنوا ليقيس ثلاثة قصور بصنعاء غمدان وسلحين وبيئون. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٢١٠/٤؛ التويري نهاية الأرب ١/٣٤٨ - ٣٨٥.

٧ - جديس: قبيلة من العرب، كانوا يناسبون عاداً الأولى وكانت منازلهم اليمامة؛ وهم إخوة طسم كانت في الدهر الأول فأنقرضت.

ابن منظور لسان العرب [جس] ٣٥/٦.

وَكَمَا جَاءَ السَّمَوَالُ عِنْدَ ابْنِ زَيْدُونَ بَيْنَ قَائِمَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْمَشَاهِيرِ كَذَلِكَ أَتَى "الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ" هُنَا بَيْنَ قَائِمَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ قُصُورِ مَنِيَعَةٍ بَادَتْ وَانْدَثَرَتْ.

وَقَالَ الْأَدِيبُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ أَحْمَدَ مِنْ رُقْعَةٍ أَنْشَأَهَا عَلَى لِسَانِ الْقَصْرِ الْمُسَمَّى بِالْمُبَارَكِ حِينَ انْتَقَلَ عَنْهُ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ إِلَى الْقَصْرِ الْمُكْرَمِ مِنْ قُصُورِ إِشْبِيلِيَّةَ، فَقَالَ: "أَحْسَنْتَ أَيُّهَا الْقَصْرُ الْمُبَارَكُ، أَحْسَنْتَ، شَدَّ مَا بَيَّنْتَ، ... فَأَيْنَ مِنْكَ الْجَوَازَاءُ، وَقَلِيلٌ لَكَ أَنْ أَقُولَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ وَتَيْمَاءُ؟" (١).

وَأَتَى كُلُّ مَنْ السَّمَوَالُ وَ"الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ" فِي النَّثْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ لِأَخْذِ الْعِظَةِ وَالْإِعْتِبَارِ بِمَا حَصَلَ لِمَشَاهِيرَ وَعُظَمَاءَ، وَحِينَ ذَكَرَهُمَا الْكُتَّابُ لَمْ يَكُنْ هَذَا بِتَأْثِيرِ الْيَهُودِ بَيْنَهُمْ، بَلْ بِتَأْثِيرِ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَكَالشَّعْرِ لَمْ يَكُنْ فِي النَّثْرِ أَيْ إِعْتِبَارٍ أَوْ تَرْكِيزٍ عَلَى يَهُودِيَّةِ السَّمَوَالِ أَوْ دِينِهِ.

٢ - مِنَ التَّارِيخِ الْقَرِيبِ لِلْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ.

لَا حِظُّ أَنْ التَّارِيخَ الْقَرِيبَ لِلْيَهُودِ قَبْلَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ لِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مُهْمَلٌ فِي مُعْظَمِ الْكُتُبِ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْأَدَبِ وَالْأَدْبَاءِ كُتِبَ التَّارِيخُ وَالتَّرَاجِمُ؛ فَتَّارِيخُ الْيَهُودِ لِهَذِهِ الْفَتْرَةِ عَزِيزٌ فِيهَا، وَيَعُودُ ذَلِكَ بِرَأْيِي إِلَى أَنَّهُمْ دَابُّوا فِي تَارِيخِ الْمَدَنِ وَالْأَدْوَلِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كَيَانٌ سِيَاسِيٌّ مُنْفَصِلٌ لِيَكُونَ لَهُمْ ذِكْرٌ وَاضِحٌ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ، وَإِنْ وَرَدَ شَيْءٌ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ، فَيَمُرُّ مُرُورًا عَابِرًا، وَيَكُونُ غَيْرُهُمْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَا وَلَيْسُوا هُمْ. وَمِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ مَا قِيلَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ فِي نَسَبِ عُبَيْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ الْمُلَقَّبِ بِالْمَهْدِيِّ (ت: ٣٢٢هـ)؛ يُذَكِّرُ أَنَّ أَحَدَ أَجْدَادِهِ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ غَشِيَهَا رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، دَفَعَتْ لَهُ مَالًا؛ فَكَانَ يَهْوَاهَا وَتَهْوَاهُ، فَتَلَّتْ مَوْلَاهَا، فَوَلَدَتْ جَدَّ عُبَيْدِ اللَّهِ (٢).

وَالْأَغْلَبُ فِي هَذِهِ الْقِصَصِ أَوْ الرِّوَايَاتِ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ الْيَهُودِ عَامًّا دُونَ تَحْدِيدِ أَوْ تَعْيِينِ أَوْ تَسْمِيَةِ؛ فَكَثِيرًا مَا يُقَالُ وَاحِدٌ مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ أَحَدُ الْيَهُودِ، أَوْ يَهُودِيٌّ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّسْمِيَّاتِ الْعَامَّةِ. فَإِنْ كَانَتْ كُتُبُ التَّارِيخِ قَدْ نَسَبَتْ تَسْمِيَتَهُمْ، أَوْ تَفْصِيلَ أَحْدَاثٍ حَصَلَتْ لَهُمْ، فَمِنْ بَابِ أَوَّلَى أَنْ يُغْفَلَهُمُ الْأَدِيبُ الْأَنْدَلُسِيُّ. وَهَذَا التَّنْكِيرُ أَوْ التَّعْمِيمُ اسْتَمَرَ حَتَّى فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْأَنْدَلُسِ أحيانًا، كَمَا فِي كِتَابِ "النَّبِيَّانِ"؛ فَيَقُولُ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ "الْيَهُودِيَّ" مَرَارًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى وَزِيرِ جَدِّهِ، وَلَمْ يُسَمِّهِ بَلْ اكْتَفَى بِقَوْلِ الْيَهُودِيَّ مُفْرَدًا وَأحيانًا مَوْصُوفًا بِأَحَدِ الْحَيَوَانَاتِ وَأحيانًا كَانَ يَكْنِيهِ رُغْمَ كَثْرَةِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي فَصَّلَ الْأَمِيرُ ذِكْرَهَا وَكَانَ الْيَهُودِيَّ بَطْلَهَا، بِخَاصَّةٍ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْفِتْنَةِ الَّتِي حَصَلَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّهِ الْمُظْفَرِ وَأَدَّتْ إِلَى قَتْلِ هَذَا الْيَهُودِيَّ (٣). فَلَمْ تَظْهَرْ صُورَةٌ وَاضِحَةٌ لِلْيَهُودِ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي الْفَتْرَةِ الَّتِي سَبَقَتْ الْفَتْحَ الْإِسْلَامِيَّ لِلْأَنْدَلُسِ.

١ - ابن بَسَّامِ الذُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٢/ ٧٦٢.

٢ - انْظُرْ: ابن عَدَارِي الْمَرَاكُشِي الْبَيَّانُ الْمُغْرِبَ ١/ ١٥٨ - ١٥٩، وَسَبَقَتْ التَّرْجَمَةُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ وَذِكْرُ الرِّوَايَةِ فِي الْبَحْثِ: ص ٥٩ - ٦٠.

٣ - الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ النَّبِيَّانُ ص ٤٤٠.

ثانيًا: - الموروث من الآيات والأحاديث النبوية عنهم .

ظهر اليهود في الأدب الأندلسي أحيانًا باستشهاد آيات وأحاديث نبوية، فنشرت الآيات والأحاديث التي تتحدث عنهم في كتب الأدب، واعتمدت هذه المصادر على الآيات والأحاديث مباشرة أحيانًا، وكثيرًا ما جاءت على شكل إشارات ورؤوس مأخوذة من هذا الموروث.

وهذا الموروث لم يكن لليهود الأندلس علاقة به على الأغلب؛ فمثلاً حين كتب ابن الخطيب رسالة^(١) على لسان السلطان الغني بالله (ت بعد ٧٩٣ هـ)^(٢)، تحدث فيها عما حققه المسلمون من نصر على الأعداء رغم قلة عددهم، ووصف هجومهم على إحدى القلاع بقوله: "وأرسل الله عليها رجلاً إسرائيلياً من جراد السهام تشد أياؤه عن الأفهام"^(٣)؛ فشبه هجومهم على الأعداء بالرجز الذي أرسله الله على بني إسرائيل لوصف شدة الهجوم وليس الحديث عن اليهود.

وأحيانًا جاء الحديث عن بني إسرائيل واليهود في كتب الأدب لذكر الأقوام والتواريخ، ففي "نفح الطيب" مثلاً استشهد المؤلف بإيتين من القرآن تتحدثان عن اليهود^(٤) ليبدل على أن الملك ليس في شريعة المسلمين، وأنه كان في شرع من قبلنا من بني إسرائيل، واستشهد بحديث للنبي ﷺ عن افتراق الأمة على أكثر مما افترقت عليه بنو إسرائيل^(٥). ولم يكن نقل الكتاب والأدباء لهذا الموروث نسخاً له فحسب، بل صاغه بعضهم صياغة أدبية جديدة؛ فالمقري نفسه يثبت تشكيلاً جديداً له في أكثر من موقع، منه ما جاء في ذكر فوائد جده، منها قوله: "كانت سكينه بني إسرائيل في التابوت فغلبوا عليها وسكينه هذه الأمة في القلوب فغلبوا بها"^(٦).

والكاتب أبو بكر بن القبطرنة يذكر بقرة بني إسرائيل في حديثه عن ماثر صديق له فيقول: "... ويستنفذني من أنياب قد قتلنتي بعضها، وعساه يذبح لي بقرة من علمه فيضرب نفسي

^١ - انظر الرسالة : المقري نفح الطيب ٨١/٩ - ٩٩ .

^٢ - هو السلطان: الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر، وهو ابن أبي الحجاج الذي كان ابن الخطيب وزيره وكاتبه، ولما قتل أبو الحجاج سنة ٧٥٥ هـ قام بالأمر بعده ابنه هذا الغني بالله الذي ألقى مقاليد لابن الخطيب كوالده. ومده كل من ابن الخطيب وابن زمرك في قصائد عديدة .

انظر: ابن الخطيب الإحاطة ١٤٣/١؛ اللوحة البذرية ص ١١٣ - ١٢٦؛ ابن خلدون تاريخه ٥٩٢/٧، ٥٧٦؛ أحمد التنبكي تيل الابتهاج ١٤٦/٢ - ١٤٨؛ المقري نفح الطيب ٣١٠/١ - ٣١١، ٥٠/٢، ٥٥، ٨٦/٤، ١٨٦/٦، ١٦٠/٧، ٦٠/٩ - ٦١ .

^٣ - المقري نفح الطيب ٨٩/٩ .

^٤ - انظر: المقري نفح الطيب ٢٦٤/٧ - ٢٦٥ . والآية الأولى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ سورة المائدة، آية ٢٠، والثانية: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ سورة البقرة، ٢٤٧ .

^٥ - الحديث هو: لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ويزاعاً بيزاع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه خلفهم، قيل: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ انظر: البخاري صحيحه ١٢٧٤/٣؛ مسلم صحيحه ٢٠٥٤/٤؛ المقري نفح الطيب ٢٦٠/٧ .

^٦ - المقري نفح الطيب ٢٨٨/٧ .

بِبَعْضِهَا، وَيَرُدُّهَا" (١)، انظر كيف استفاد هنا من القصة القرآنية (٢) فرسم من خطوطها تشبيهاً جميلاً بأن جعل نفسه فاقدة لمعنى الحياة دون الاستفادة من علم صديقه المذكور، فكان علم هذا الفقيه الحافظ البقرة المقدسة التي تحيي روح الكاتب.

وتطرق كُتُبُ الأدب إلى قصة المسيح مع اليهود، فعلق المقرئ على قول أهل التثليث "إن اليهود قتلته مصلوباً، وأدركته مظلوماً، وقهرته مغلوباً، وأنه جزع من الموت، وخاف..." بقوله إن هذا من الأقاويل السخاف (٣)، وهذا ينسجم مع الحقيقة القرآنية التي تقول إنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه (٤)، وهذا لم يخالف ما قيل في شعرهم كذلك تأثراً بالقرآن: (٥) [لخيف]

والمسيح ابن مريم وهو روح الـ
له كادت تقضي عليه اليهود

وجاءت في نثر الأندلسيين إشارة إلى علاقة اليهود بدم المسيح؛ فالكاتب أبو المطرف ابن الدبّاغ له من رفعة خاطب بها جماعة من إخوانه يعلمهم أنه طلق الخمر بقوله: "وأنتم سادتي أخلاء النبيذ، برئت منكم كما برئ المسيح من اليهود" (٦).

أما بالنسبة للموروث من التوراة والإسرائيليات عنهم فلم يظهر هذا إلا في رسالة ابن حزم بخاصة في القسم الثاني حين ناقش بعضاً مما يسميه "الطوام" التي وردت في كتب اليهود. ومرة في البحث سابقاً كيف تندر الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدبّاغ بابي الفضل ابن حسداي حين دخل وراه يتنظر في مجلد، فسأله مستهزئاً: ما الذي تنظر فيه من الكتب لعله التوراة (٧) يقصد بهذا اللمز بدين أسلافه.

١ - ابن بسام الدخيرة ق ٢، م ٧٦٣/٢.

٢ - أخذ تشبيهه من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَذَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْمُرُونَ﴾. فقلد اضربه بعضه كذلك يحيي الموتى ويرىكم آياته لعنكم لعنوا سورة البقرة، الآيات ٧٢-٧٣.

٣ - انظر: المقرئ تفتح الطيب ٢٦٥/٦.

٤ - من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّوهُ...﴾ سورة النساء، آية ١٥٧.

٥ - المقرئ تفتح الطيب ١٤٦/٧، والبيت من مزيّة ابن صابر المصنفي (ت: ١٢٦٦هـ).

٦ - ابن بسام الدخيرة ق ٣، م ٢٨٣/١.

٧ - المقرئ تفتح الطيب ٣٦٠/٤، وسبقت الإشارة إلى الحادثة في البحث: ص ٢١٨.

المبحث الثالث: أعلام أظهروا اليهود في النثر الأندلسي .

لم يظهر اليهود في النثر الأندلسي كثيرًا لذا كان الأدباء الذين أظهروهم بالكتابة عنهم قلة، منهم يهود وهم أبناء نغريلة، ومسلم وهو الفقيه ابن حزم .

أولاً :- أبناء نغريلة الوزراء اليهود بغرناطة .

أطلق "ابن نغريلة" على اثنين مشهورين توليا الوزارة لإبديس بن حبوس، وظهرًا في النثر وكان لهم مساهمة في الشعر الذي قيل كذلك؛ الأول منهما هو الأب إسماعيل بن يوسف [صموئيل أو إسموأل] والثاني ابنه يوسف الذي خلقه وتارت عليه العامة وقتلته لكن حدث خلط في الكتب في تهجئة اللقب أو العائلة، وفي تعيين الاسم الأول للمقصود ببعض النصوص الأدبية؛ ونشأت الصعوبة لأن الكتب توارثت الحديث عنهما بلقب واحد في معظم الأحيان وهو "ابن نغريلة"، مع اختلاف في التهجئة؛ فهو النغريلي^(١) في "الدخيرة"، وابن نغزالة^(٢) في "البيان المغرب"، وابن نغزلة^(٣) في "المغرب"، وابن نغزالة^(٤) عند ابن الخطيب في "الإحاطة" و"أعلام الأعلام"، وفي "الممتع السهل" للراعي قال إنه ابن نغريلة^(٥)، وفي تاريخ ابن خلدون هو ابن نغزلة^(٦). وفي "النفع" لقبه ابن نغذلة^(٧)، ومن الغريب أن التهجئة اختلفت حتى في المصادر التي كان أصحابها معاصرين له أو قريبي العهد به؛ فهو ابن النغزال^(٨) في "طبقات الأمم" لصاعد (ت ٤٦٢هـ) المعاصر له. ومع أن ابن حزم التقى بابن نغريلة وكان معجبًا به، كما أنه كتب في أواخر حياته رسالة يرُد فيها على مزاعم من يدعي بابن نغريلة، إلا أنه لم يكن دقيقًا في تهجئة اللقب، وقد يعود هذا لتسحيب حصل، فقد ذكره في مناقشة نصر من توراتهم فقال: "وقد وقفت على هذا الكلام من بعض من شاهدناه منهم وهو إسماعيل بن يوسف المعروف بابن النغزالي"^(٩) وفي الكتاب نفسه ذكره تارة أخرى بقوله: "وقد قررت على هذا الفصل أعلمهم وأجذلهم وهو أشموأل بن يوسف اللالوي الكاتب

١ - انظر: ابن بسام الدخيرة ق ١، م ٧٦١/٢ .

٢ - انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٣/٢٦٤، ٢٧٥، ٢٧٦ .

٣ - انظر: ابن سعييد المغرب ٢/١١٤، ١٣٢، ١٨٢ .

٤ - انظر: ابن الخطيب الإحاطة ١/٤٣٩، أعمال الأعلام، ص ٢٣٠ .

٥ - انظر: ابن الخطيب الإحاطة ١/٤٣٨، ٤٣٤؛ الراعي الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، بحث: حوليات الجامعة التونسية، ع ٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٢ .

٦ - انظر: ابن خلدون تاريخه ٤/٢٠٦ .

٧ - انظر: المقرئ نفع الطيب ٦/٩٣ .

٨ - صاعد طبقات الأمم ص ١١٢، ويشير محقق الكتاب د. حسين مؤنس في الحاشية أن الأصل "الغزال" وأنه صوبه من مخطوطة أخرى، دون أن يسمي المخطوطة، ولا أرى هذا تصويبًا مناسبًا لبعد اسم الغزال عما جاء في المصادر الأخرى عنه .

٩ - انظر: ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١٣٥ .

المعروف بابن النفرال في سنة أربع وأربعين سنة^(١)، فهو ابن النفرالي عند ابن حزم تارة، وتارة أخرى هو ابن النفرال مع أنه التقاه وتحدث معه وناقشه، واعترف بسعة علمه. ويبدو من كلام "المغرب" أن الذي استهزأ بالمسلمين وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغني بها هو الذي قتلته صنهاجة^(٢) وهو الذي رد عليه ابن حزم، إلا أن ابن حزم نفسه قال في بدء رسالته واصفا الشخص الذي وجه إليه الرسالة بأنه: "ألف كتابا قصدا فيه، بزعمه، إلى إيالة تنافض كلام الله عز وجل... ولعمري إن اعتراضه الذي اعترض به ليذل على ضيق بآعه في العلم، وقلة اتساعه في الفهم على ما عهدناه عليه قديما"^(٣)، قد يعود معظم هذا الكلام على الأب وليس الابن؛ فالأب إسماعيل هو من اشتهر بالعلم والمجادلة كما أقر ابن حزم، والأب هو الذي كان عالما وشاعرا وتابعة ألف عدة مجلدات في الشعر والفلسفة ومقدمة للتلمود ومجموعة من الأدب العبري^(٤)، فلا يستبعد أن يكون أطلع على ما جاء في "الفصل" عن الثورة، وأن يكون إسماعيل هو الذي ألف كتابا في الرد على ابن حزم كما يذكر ابن بسام^(٥).

بالإضافة إلى هذا فإن قول ابن حزم: "على ما عهدناه عليه قديما" في رده يَحْتَمِلُ أمرين: الأول منهما أن هذا الابن المسمى يوسف تغير عما كان حاله قديما، وقد يكون لابن حزم سابق معرفة به، ورأى أنه تغير، وهذا غير واضح في كتابات ابن حزم ولا في غيرها. والاحتمال الثاني أن صاحب الرسالة والمزاعم لم يكن الابن الوزير بل كان الأب إسماعيل لكن ابن حزم عثر على مزاعمه ورسالته متأخرا فترة ولاية ابنه، ورد عليه مباشرة، فتارت العامة على الابن حين قرأت الرد إلا أنني أستبعد أن يكون إسماعيل مؤلف كتاب في تنافض القرآن، فالذي جاء في المصادر أن الذي قامت ثورة العامة عليه هو من كان يتمدح بالطعن على الملل وجاهر في الطعن على ملّة الإسلام^(٦)، وهو الذي أقسم أن ينظم القرآن في أشعار وموشحات يغني بها^(٧). وبذا يكون قوله: "ما عهدناه عليه قديما" إشارة إلى معرفة سابقة به لا نعرفها.

ولم يكتب ابن حزم بلهجة واحدة عن ابن نغريلة، فظهر تقدير واخترام له في "الفصل"، بينما في رسالته الأخيرة نعتة بأقبح الألفاظ كالجاهل والزنديق والأنوك^(٨) والمجنون والخسيس

١ - ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ١٥٢ .

٢ - انظر: ابن سعيّد المغرب ١١٤/٢ .

٣ - ابن حزم رسائله ؛ رسالة في الرد على ابن نغريلة اليهودي ٤٢/٣ - ٤٣ .

٤ - انظر شيئا من شعره : ابن حزم رسائله ١٠/٣ - ١١ .

٥ - انظر: ابن بسام النخبة ١، ٧٦٦/٢ .

٦ - انظر: نفسه والصفحة نفسها.

٧ - انظر: ابن سعيّد المغرب ١١٤/٢ .

٨ - ابن منظور لسان العرب [نوك] ٥٠١/١٠

٨ - الأنوك: الأحمق .

وَالْأَحْمَقَ وَغَيْرِ هَذِهِ مِنَ الْأَلْفَافِ^(١)؛ فإِذَا أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ فِي الْحَالَتَيْنِ وَاحِدًا، رَأَاهُ ابْنُ حَزْمٍ قَبْلَ فِتْرَةِ طَوِيلَةٍ وَلَمْ يَتَعَرَّفْ إِلَيْهِ جَيِّدًا، أَوْ لَمْ تَكُنْ شَخْصِيَّتُهُ اتَّضَحَتْ بَعْدَ لَابِنِ حَزْمٍ حَيْثُ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا عَادِيًّا لَا يَمْلِكُ أَيَّ سُلْطَةٍ حِينَ رَأَاهُ عَامَ ٤٠٤ هـ، لَكِنْ حِينَ اعْتَلَى كُرْسِيَّ الْوِزَارَةِ ظَهَرَ عَلَى حَقِيقَةِ تَخَالُفِ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَابِقًا، فَظَهَرَ مِنْهُ الطَّغْنُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَقَوُّهُ بِالْمَزَايِمِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي نَاقَشَهَا ابْنُ حَزْمٍ، وَيَسِيرُ مَعَ هَذَا الْقَوْلِ ابْنُ بَسَامٍ الَّذِي يَرَى أَنَّ وَزِيرًا يَهُودِيًّا وَاحِدًا تَوَلَّى لِبَادِيَسَ وَلَأَبِيهِ قَبْلَهُ حَبُوسَ بَعْرَنَاطَةَ جَبَايَةَ الْمَالِ، وَتَذْبِيرَ أَكْثَرِ الْأَعْمَالِ، وَكَانَ أَبُوهُ [يُوسُفَ] رَجُلًا مِنْ عَامَّةِ الْيَهُودِ، حَسَنَ السَّيَرَةِ فِيهِمْ^(٢)، وَابْنُ خَلْدُونِ فِي تَارِيخِهِ يَذْكُرُ كَذَلِكَ يَهُودِيًّا وَاحِدًا، فَقَالَ: "وَلِيَ لِبَادِيَسَ سَنَةَ ٤٢٩ هـ وَاسْتَوَلَى عَلَى سُلْطَانِهِ كَاتِبُهُ وَكَاتِبُ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نَعَزَلَةَ الدَّمِيِّ. ثُمَّ نَكَبَهُ وَقَتْلَهُ سَنَةَ ٤٥٩ هـ، وَقَتْلَ مَعَهُ خَلْقًا مِنَ الْيَهُودِ"^(٣). وَالتَّغْلِيلُ الْآخَرُ عِنْدِي أَنَّ الْيَهُودِيَّ الْمَقْصُودَ بِقَوْلِ ابْنِ حَزْمٍ فِي "الْفَصْلِ" غَيْرُ الْيَهُودِيِّ الْمُخَاطَبِ فِي الرِّسَالَةِ الْمَكْتُوبَةِ فِي أَوَاخِرِ حَيَاةِ ابْنِ حَزْمٍ، فَالْأَوَّلُ مِنْهُمَا وَاسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ، كَمَا ذَكَرَهُ صَرِيحًا، لَقِيَهُ ابْنُ حَزْمٍ قَدِيمًا وَتَحَدَّثَ بِاحْتِرَامٍ وَإِعْجَابٍ عَنْهُ، وَهُوَ الْأَبُ، وَتَكَادُ تُجْمَعُ الرِّوَايَاتُ عَلَى حُسْنِ سِيرَةِ وَسُلُوكِ الْأَبِ وَسِعَةِ عِلْمِهِ وَاطِّلَاعِهِ، وَكَانَ بَعِيدَ النَّظَرِ حَسَنَ الْمُدَارَاةِ، لَا يَتَوَرَّطُ فِيمَا يُوغِرُ عَلَيْهِ الصَّدُورُ، وَهَذِهِ صِفَاتُ افْتَقَرِ إِلَيْهَا الثَّانِي، وَهُوَ ابْنُهُ يُوسُفُ الْمُسَمَّى عَلَى اسْمِ جَدِّهِ، وَلَمْ يُسَمِّهِ ابْنُ حَزْمٍ فِي رِسَالَةِ الرَّدِّ عَلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي هَذَا تَصْغِيرٌ لِشَأْنِهِ وَاحْتِقَارٌ لَهُ لَا سِتْهْزَائِهِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلِكثْرَةِ مَزَايِمِهِ عَنِ الْقُرْآنِ. وَالتَّغْلِيلَانِ مَقْبُولَانِ، إِلَّا أَنَّنِي أَعْتَقِدُ أَنَّهُمَا اثْنَانِ، اخْتَلَفَتْ شَخْصِيَّةُ الْأَبِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ ابْنِهِ يُوسُفَ الَّذِي رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ حَزْمٍ بِالرِّسَالَةِ الْآخِرَةِ، وَيَقْوِي اعْتِقَادِي هَذَا مَا جَاءَ عِنْدَ صَاعِدٍ وَالْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُمَا.

وَتَحَدَّثَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ كَثِيرًا عَنِ الْوَزِيرَيْنِ الْيَهُودِيَّيْنِ حَامِلِي اللَّقَبِ وَزِيرِي جَدِّهِ بَادِيَسَ الْمُظْفَرِ، وَذَكَرَهُمَا فِي صَفَحَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي مُذَكَّرَاتِهِ؛ فَذَكَرَ الْأَوَّلَ مِنْهُمَا بِكُنْيَتِهِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، بَيْنَمَا الثَّانِي كَانَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِلَفْظَةِ الْيَهُودِيِّ فَقَطْ، وَفِي هَذَا اخْتِصَارٌ لِكَلَامٍ كَثِيرٍ قَدْ يُفْهَمُ مِنْ مُذَكَّرَاتِ الْأَمِيرِ؛ فَالْأَبُ مِنْهُمَا كَانَ مَحَلَّ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ مِنَ الْأَمِيرِ فَكَانَ يَذْكُرُهُ بِكُنْيَتِهِ كَالْخَاصَّةِ وَعَلِيَّةِ الْقَوْمِ فِي مَجَالِسِ جَدِّهِ، أَمَّا الْإِبْنُ فَلَمْ يَكُنِ الْأَمِيرُ يَسْتَلْطِفُهُ وَهَذَا وَاضِحٌ مِنْ تَسْمِيَّتِهِ بِالْيَهُودِيِّ مَثْبُوعًا بِالْأَلْفَافِ بِذِيَّةٍ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَمِيرُ أَيَّ مُسَمَّى لَهُ أَوْ لِعَائِلَتِهِ فِي أَيِّ صَفْحَةٍ مِنْ صَفَحَاتِ الْمَذَكَّرَاتِ الَّتِي تَحَدَّثْتُ بِتَفْصِيلٍ كَبِيرٍ عَمَّا قَامَ بِهِ مَعَ جَدِّهِ وَعَمَّا كَانَ سَبَبَ قَتْلِهِ. فَتَجَاهَلَ الْأَمِيرُ لِقَبْهُمَا، كَمَا تَجَاهَلُهُ كَذَلِكَ ابْنُ حَزْمٍ فِي رِسَالَةِ الرَّدِّ عَلَى أَحَدِهِمَا، إِذَا أَرَى أَنََّّهُمَا لَمْ يَشْتَهَرَا بِحَيَاتِهِمَا بِلَقَبِ ابْنِ نَغْرِيلَةَ،

١ - انْظُرْ: ابْنُ حَزْمٍ رِسَالَتُهُ: رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ نَغْرِيلَةَ الْيَهُودِيِّ ٤٣/٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٠، ٦٥، ٦٧، ٧٠.

٢ - انْظُرْ: ابْنُ بَسَامٍ النُّخْبَةُ ١/٢٠٦.

٣ - ابْنُ خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٢/٢٠٦.

فَلَمْ يَذْكُرْهُمَا بِهَذَا اللَّقَبِ الْمُعَاصِرُونَ لَهُمَا الَّذِي أَرَاهُ ثَقِيلًا عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ، وَاتَّوَقَّعُ أَنَّ الدَّارِجَ كَانَ مُنَادَاتُهُمَا بِكُنْيَتَيْهِمَا الْعَرَبِيَّةِ أَوْ بِوَصْفٍ لَهُمَا، فَاسْتُشْهِرَ الْأَبُ بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ مَثَلًا لِأَنَّهُ أَسْهَلُ نَطْقًا، بَيْنَمَا الْابْنُ غَلَبَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ بِالْيَهُودِيِّ أَوْ اللَّعِينِ أَوْ الْمَاكِرِ لِسُوءِ أَفْعَالِهِ .

وَحَصَلَ اخْتِلَافٌ فِي تَحْدِيدِ أَيُّهُمَا كَانَ الْأَبُ وَأَيُّهُمَا الْابْنُ؛ فَسَمَّى صَاعِدُ الْأَبِ إِسْمَاعِيلَ ابْنَ يُوسُفَ الْمُكْنَى بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ بَيْنَ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ إِنَّهُ كَاتِبٌ مَعْرُوفٌ، وَأَنَّهُ خَادِمُ الْأَمِيرِ بَادِيَسَ بْنِ حَبُوسَ الصَّنَهَاجِيِّ مَلِكِ غُرْنَاطَةَ وَأَعْمَالِهَا وَمُدَبِّرُ الدَّوْلَةِ، وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِشَرِيعَةِ الْيَهُودِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْاِتِّصَارِ بِهَا وَالذَّبِّ عَنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ قَبْلَهُ، وَحَدَّدَ تَارِيخَ وَفَاتِهِ عَامَ ٤٤٨ هـ^(١)

وَتَارِيخَ وَفَاةِ إِسْمَاعِيلَ بِهَذِهِ السَّنَةِ يُزِيلُ الشَّكَّ بِأَنَّ نَغْرِيْلَةَ رَجُلٌ وَاحِدٌ كَانَ فِي وَزَارَةِ حَبُوسَ قُتْرَةً طَوِيلَةً وَاخْتَلَفَتْ شَخْصِيَّتُهُ فِي نِهَآيَةِ حَيَاتِهِ مِمَّا أَدَّى إِلَى قَتْلِهِ عَامَ ٤٥٩ هـ. وَوَفَاةِ إِسْمَاعِيلَ بِهَذِهِ السَّنَةِ عِنْدَ صَاعِدٍ أَكْذَتُ مَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ مِنْ إِعْجَابٍ بِإِسْمَاعِيلَ الَّذِي لَقِيَهُ فِي بَدْءِ حَيَاتِهِ، وَتَوَجَّهَ إِهَانَاتٍ عَدِيدَةٍ إِلَى الْآخِرِ الَّذِي رَدَّ عَلَيْهِ بِرِسَالَةٍ فِي نِهَآيَةِ حَيَاتِهِ. كَمَا أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَا يَتَعَارَضُ مَعَ مَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ السَّابِقِ عَنْ

إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمَا بَأَنَّهُ أَعْلَمُ الْيَهُودِ وَأَجْدَلُهُمْ^(٢) . بَيْنَمَا فِي رِسَالَتِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُسَمَّى ابْنَ نَغْرِيْلَةَ لَمْ يَذْكُرْ ابْنَ حَزْمٍ ابْنَ نَغْرِيْلَةَ نَصًّا فِي الرِّسَالَةِ وَإِنَّمَا أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ: "رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ يَغْمَلُ فِي ظِلِّ مَلِكٍ ضَعِيفٍ وَأَنَّهُ

اسْتَشْعَرَ الْبَطَرَ وَشَمَخَتْ نَفْسُهُ لِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ، وَأَنَّهُ قَلِيلُ الْعِلْمِ سَيِّءُ الْفَهْمِ"^(٣)، وَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ تَلَصَّقَ بِيُوسُفَ لَا بِأَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ. أَمَّا الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ فِي مُذَكَّرَاتِهِ فَقَدْ ذَكَرَ الْأَبَ كَذَلِكَ بِكُنْيَتِهِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يُسَمِّ الْأَبَ وَلَا الْابْنَ، إِلَّا أَنَّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ يُوَكِّدُ أَنَّ وَزَرَيْنِ اثْنَيْنِ وَاحِدًا لَقَّبَا بِلَقَبِ (ابْنِ نَغْرِيْلَةَ)، فَيَكُونُ اسْمُ الْأَبِ مِنْهُمَا إِسْمَاعِيلَ (ت: ٤٤٨ هـ) وَكَانَ حَسَنَ السَّيَرَةِ، بَيْنَمَا ابْنُهُ يُوسُفَ (ت: ٤٥٩ هـ) كَرِهَتْهُ

الْعَامَّةُ وَقَتَلَتْهُ^(٤) . وَهَذَا يُخَالِفُ قَوْلَ ابْنِ بَسَّامٍ فِي "الذَّخِيرَةِ"، وَابْنِ سَعِيدٍ فِي "الْمَغْرِبِ"، وَابْنِ خَلْدُونٍ فِي

تَارِيخِهِ^(٥) . حَيْثُ يَقُولُونَ إِنَّ الْمَقْتُولَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَيَذْكُرُ ابْنُ سَعِيدٍ أَنَّ لِلْمَقْتُولِ إِسْمَاعِيلَ ابْنًا اسْمُهُ يُوسُفُ

كَانَ صَغِيرًا حِينَ قُتِلَ أَبُوهُ وَصَلِبَ^(٦) . وَارَى أَنَّ الْأَصُوبَ الْقَوْلُ

١ - انظر: صَاعِدُ طَبَقَاتِ الْأُمَمِ ص ١١٢ .

٢ - انظر: ابْنُ حَزْمِ الْفِصَلِ فِي الْمِلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالتَّحْلِيلِ ١/ ١٥٢ .

٣ - ابْنُ حَزْمِ رِسَالَتُهُ ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ نَغْرِيْلَةَ الْيَهُودِيِّ ٤٢/٣ .

٤ - سَارَ عَلَى هَذَا صَاعِدُ فِي طَبَقَاتِ الْأُمَمِ وَابْنُ عَدَارِي فِي الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ ، وَابْنُ الْخَطِيبِ فِي أَعْمَالِ الْأَغْلَامِ يَجْعَلُونَ الْأَبَ إِسْمَاعِيلَ وَيُوسُفَ هُوَ الْابْنُ الْمَقْتُولُ .

٥ - انظر: ابْنُ خَلْدُونِ تَارِيخُهُ ٤/ ٢٠٦ .

٦ - انظر: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ٢/ ١١٤-١١٥، ابْنُ عَدَارِي الْمَرَاكِشِيِّ الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ ٣/ ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٧٥ .

إِبْنُ إِسْمَاعِيلَ هُوَ الْأَبُ وَهُوَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ لِבَادِيسَ، ثُمَّ وَلِيَ الْوِزَارَةَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يُوسُفُ الَّذِي قَامَتْ عَلَيْهِ ثَوْرَةٌ فَقُتِلَ وَصَلِبَ، وَتَرَكَ وَرَاءَهُ الْحَفِيدَ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي هَرَبَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ حِينَ قُتِلَ أَبُوهُ .

١- الْأَبُ: إِسْمَاعِيلُ [٣٨٣ - ٤٤٨ هـ]

أَقَامَ حَبُوسُ بْنُ مَاحْسَنٍ مُلْكًا عَلَى جَمَاعَتِهِ، وَانْحَازُوا إِلَى غَرْنَاطَةِ، ثُمَّ تَوَسَّعَ مُلْكُهُ، وَدَامَتْ رِيَاسَتُهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ ٤٢٨ هـ، فَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ بَادِيسُ، فَأَمَضَى بَادِيسُ وَزِيرًا لَهُ وَكَاتِبًا وَزِيرَ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ نَغْرَالَةَ [نَغْرِيْلَةَ] الْيَهُودِيَّ عَلَى وَزَارَتِهِ وَكَتَابَتِهِ وَسَائِرِ أَعْمَالِهِ، لِأَنَّهُ سَاعَدَهُ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْحُكْمِ^(١)، وَرَفَعَهُ فَوْقَ كُلِّ مَنْزِلَةٍ. وَاتَّخَذَ هَذَا الْيَهُودِيُّ عُمَلَاءَ وَمُتَصَرِّفِينَ فِي الْأَشْغَالِ وَاكْتَسَبُوا الْجَاهَ وَالْمَالَ فِي أَيَّامِهِ وَاسْتَطَالُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ^(٢).

وُلِدَ إِسْمَاعِيلُ سَنَةَ ٣٨٣ هـ بِقُرْطُبَةٍ، وَدَرَسَ بِهَا التَّلْمُودَ عَلَى يَدِ هَانُوخ Rabbi Hanokh الرَّئِيسِ الرُّوحِيِّ لِلْجَالِيَةِ الْيَهُودِيَّةِ، وَتَتَقَفَّ بِأَكْثَرِ الْعُلُومِ الَّتِي كَانَتْ مَعْرُوفَةً آنَ ذَاكَ^(٣)، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى دِرَاسَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا حَتَّى أَصْبَحَ يُتَقَنَّ الْكِتَابَةَ الْبَلِيغَةَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَتَعَلَّمَ سَبْعَ لُغَاتٍ^(٤). قَالَ عَنْهُ الرَّاعِي بَعْدَ أَنْ وَصَفَهُ بِالْمَلْعُونِ بَأَنَّهُ قَدْ بَرَعَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالتَّارِيخِ وَأَخْبَارِ النَّاسِ وَعِلْمِ الطَّبِّ وَالنُّجُومِ وَتَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الْعَظِيمَةِ، وَأَضَافَ بَأَنَّهُ قَدْ بَرَعَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ فِي الْعُلُومِ الْمَذْكُورَةِ وَمَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنَ اللُّغَاتِ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ، وَذَكَرَ الرَّاعِي أَنَّهُ حَفِظَ لَهُ فِي صِغَرِهِ قِطْعَةً نَظْمٍ عَلَى تَرْتِيبِ التَّوْشِيحِ سَبْعَةَ أَبْيَاتٍ بِسَبْعَةِ أَلْسِنٍ، أَوَّلُ بَيْتٍ مِنْهَا تَوْشِيحٌ بِالْعَرَبِيِّ، وَكُلُّ بَيْتٍ بَعْدَهُ بِلِسَانٍ لَا يُشَبِّهُ الْآخَرَ^(٥). وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِ الْجَيِّدَةِ بِعِدَّةِ لُغَاتٍ، وَعَلَى سِعَةِ اطِّلَاعِهِ عَلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ وَالتَّوْشِيحِ وَعَلَى مَقْدِرَتِهِ عَلَى التَّقْلِيدِ وَالتَّائُرِ بِالشُّعْرَاءِ فِي الْأَنْدَلُسِ.

عَمِلَ قُتْرَةً طَوِيلَةً عَطَّارًا بِقُرْطُبَةٍ أَوَّلًا ثُمَّ فِي مَالَقَةٍ^(٦) وَهَاجَرَ مِنْهَا إِلَى غَرْنَاطَةِ، بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا أَبُوهُ قَادِمًا مِنْ مَارِدَةٍ. عَمِلَ فِي تِجَارَةِ الْعِمْلَةِ كَبْدَالٍ صَغِيرٍ مُدَّةً طَوِيلَةً ثُمَّ أَقَامَ فِيهَا حَانُوتًا لِلْعِطَارَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ قُصْرِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الْعَرِيفِ وَزِيرِ الْمَلِكِ بَادِيسَ بْنِ حَبُوسَ، وَكَانَ يَقُومُ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ بِكِتَابَةِ الرِّسَائِلِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي خِدْمَةِ الْقُصْرِ^(٧)، فَأَعْجَبَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ بِكِتَابَتِهِ

1 - See : Maxi Margolis and Alexander Marx. "A History of the Jewish people" p 316 .

٢ - انْظُرْ: ابْنُ عِدَارِي الْمَرَاكُشِيِّ "الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ" ٣ ٢٦٤ .

3 - See : Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 609 .

4 - See : Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 609 ; Maxi Margolis and Alexander Marx. "A History of the Jewish people" p 315 .

٥ - انْظُرْ: الرَّاعِي الْمُتَمَتِّعُ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشَعْرِ ابْنِ سَهْلٍ ، حَوَالِيَّاتِ الْجَامِعَةِ التُّونِسِيَّةِ، ع ٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤٢ .

6 - See : Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 609 ; Maxi Margolis and Alexander Marx. "A History of the Jewish people" p 315; Cecill Roth & Others. "The New Standard Jewish Encyclopedia" p 1651 .

7 - See : Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 609 .

وَأَسْلُوبِهِ، فَقَرَّبَهُ وَعَمِلَ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَيْتَهُ كَاتِبًا وَمُسْتَشَارًا، فَدَخَلَ إِسْمَاعِيلُ بِذَلِكَ فِي خِدْمَةِ الْبَلَاطِ الْغَرْنَاطِيِّ، وَلَمَّا مَرَضَ ابْنُ الْعَرِيفِ وَأَخْسَرَ بِدُنُوِّ الْأَجْلِ نَصَحَ أَمِيرَهُ بَادِيَسَ بْنَ حَبُوسَ أَنْ يَبْقِيَ إِسْمَاعِيلَ فِي الْخِدْمَةِ مَعَ أَوْلَادِهِ، فَعَمِلَ الْأَمِيرُ بِنَصِيحَتِهِ، "وَلَمَّا تُوَفِّي أَبُو الْعَبَّاسِ، وَتَرَكَ بَنِينَ، أَقَامَ حَبُوسُ أَكْبَرَهُمْ عَوَضًا مِنْ أَبِيهِ، وَاسْتَعْمَلَهُ مَكَانَهُ. وَكَانَ فِي الْإِبْنِ صَبَوَةٌ لَا يَرْتَبِطُ مَعَهَا إِلَى خِدْمَةِ الرِّيَاسَةِ؛ فَمَكَرَ بِهِ أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْيَهُودِيُّ، وَلَزِمَ خِدْمَةَ الرَّئِيسِ، وَصَارَ مَتَى غَابَ وَلَدُ أَبِي الْعَبَّاسِ يَحْضُرُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ؛ فَيَسْأَلُ عَنْهُ حَبُوسُ، فَيَقُولُ مُعْتَذِرًا فِي الظَّاهِرِ وَمُطَالِبًا لَهُ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ: "وَلَدُ أَبِي الْعَبَّاسِ، كَمَا تَرَى، صَبِيٌّ يُوَثِّرُ الرَّاحَةَ، وَأَنْتَ جَدِيرٌ بِالْإِغْضَاءِ عَلَيْهِ وَإِقَامَةِ عُدْرِهِ، وَأَنَا عَبْدُهُ أَتُوبُ مَنَابَهُ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ: يَنْتَهِيَا ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى هَذَا أَبَدًا حَتَّى تَمُكِّنَ، وَظَهَرَتْ خِدْمَتُهُ وَسَعْيُهُ فِي ضَمِّ الْأَمْوَالِ" (١). وَبِذَا أَحَلَّ إِسْمَاعِيلُ بِقُصْرِهِ مَحَلَّ ابْنِ الْعَرِيفِ، وَاتَّخَذَهُ كَاتِبَهُ وَنَاصِحَهُ وَمُسْتَشَارَهُ وَالْوَزِيرَ الْأَوَّلَ لِمَمْلَكَتِهِ. وَيَذْكُرُ وَلِ دِيُورَانْتِ أَنَّ صَمُوِيلَ [إِسْمَاعِيلَ] كَانَ الْيَهُودِيَّ الْوَحِيدَ الَّذِي شَغَلَ مَنْصِبَ وَزِيرٍ فِي دَوْلَةِ إِسْلَامِيَّةٍ (٢).

وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ عَامَّةِ الْيَهُودِ، حَسَنُ السَّيَرَةِ فِيهِمْ، مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ عَنْهُمْ (٣) نَالَ بَيْنَهُمْ لَقَبَ هَنِيغِد ٦٨٦٦ أَيُّ الْأَمِيرِ أَوْ الْمُدَبِّرِ بِالْعَرَبِيَّةِ (٤). وَعَظَّمُوهُ حَتَّى قِيلَ "عِنْدَمَا يُعْطَى إِسْمَاعِيلُ نَصِيحَةً فَإِنَّ صَوْتَ اللَّهِ يُسْمَعُ فِي الْأَرْضِ" (٥). وَقَالَ ابْنُ حَيَّانَ إِنَّهُ "مِنْ أَكْمَلِ الرِّجَالِ عِلْمًا وَحِلْمًا وَفَهْمًا وَدَكَاةً وَدَمَانَةً وَرَكَاةً وَدَهَاءً وَمُكْرًا، وَمُلْكًا لِنَفْسِهِ، وَبَسْطًا مِنْ خَلْقِهِ، وَمَعْرِفَةً بِزَمَانِهِ، وَمَذَارَاةً لِعَدُوِّهِ، وَاسْتِغْلَالًا لِحَقُودِهِمْ بِحِلْمِهِ، نَاهِيًا مِنْ رَجُلٍ كَتَبَ بِالْقَلَمَيْنِ، وَاعْتَنَى بِالْعِلْمَيْنِ، وَشَغِفَ بِالسَّانِ الْعَرَبِيِّ، وَنَظَرَ فِيهِ، وَقَرَأَ كُتُبَهُ، وَطَالَعَ أَصُولَهُ، فَانْطَلَقَتْ يَدُهُ وَلِسَانُهُ، وَصَارَ يَكْتُبُ عَنْهُ وَعَنْ صَاحِبِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ، فِيمَا احْتِاجَ إِلَيْهِ مِنْ فُصُولِ التَّحْمِيدِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَالتَّزْكِيَةِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَذِكْرِ فَضَائِلِهِ، مَا يُرِيدُهُ، وَلَا يَقْصُرُ فِيمَا يُنْشِئُهُ عَنْ أَوْسَطِ كُتَابِ الْإِسْلَامِ" (٦)، وَكَانَ قَلِيلَ الْكَلَامِ مَعَ ذِكَايِهِ، مَاقِفًا لِلْسَّبَابِ، دَائِمَ التَّفَكُّرِ، جَمَاعَةً لِلْكَتَبِ (٧).

١ - الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ التَّبَّيَّانُ ص ٣٠ - ٣١ .

٢ - انْظُرْ: وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْخَضَارَةِ ٥٢/١٤ .

٣ - ابْنُ بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ١، م ٧٦٦/٢ .

٤ - انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ١، م ٧٦٧/٢؛ وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْخَضَارَةِ ٥٣/١٤ .

See : Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 610 .

٥ - انْظُرْ: وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْخَضَارَةِ ٥٢/١٤ ؛ Reinhart Dozy "Spanish Islam" p 60 .

٦ - ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٤٣٩/١ .

٧ - انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

وَأَمَّا مَا بَلَغَ مِنَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ صَاحِبِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَيْهِ فَمِمَّا لَا شَيْءَ فَوْقَهُ وَقَدْ نَافَسَ ابْنُ حَسْدَايَ ابْنَ شَبْرُوطَ فِي سُلْطَانِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَفَاقَهُ فِي عِلْمِهِ ^(١)، قَالَ عَنْهُ مَنْ رَأَاهُ يُسَاطِرُ صَاحِبَهُ بِسَاحَةِ قُرْطَبَةِ: "فَرَأَيْتُهُ مَعَ بَادِيسَ، فَلَمْ أَفْرُقْ بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْمَرْوُوسِ، فَأَنْشَدْتُ: "تَشَابَهَتِ الْمَنَاقِبُ وَالرُّؤُوسُ" ^(٢) وَقَالَ آخَرُ: "لَا بَأْسَ يَا إِسْمَاعِيلُ لَوْلَا أَنَّهُ نَسِيَ الْيَهُودِيَّةَ" ^(٣).

وَكَانَ هَذَا الْوَزِيرُ الْيَهُودِيُّ مَوْضِعَ ثِقَةٍ عِنْدَ بَادِيسَ يَسْتَشِيرُهُ فِي أَدَقِّ الْأُمُورِ، وَلَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ ^(٤)؛ فَحِينَ وَقَعَتْ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، بَيْدَ بَادِيسَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنْ عِنْدَ صِنَاهَا إِلَى عَدُوِّهِ وَمُنَافِسِهِ يَدِيرُ يُخَاطِبُونَهُ، تَضَمَّنَتْ أَزِيدَ مِنْ مَائَتِي رَجُلٍ مِنَ الْأَكَابِرِ، غَضِبَ لِذَلِكَ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِمْ. وَشَاوَرَ وَزِيرَهُ الْيَهُودِيَّ فِي الْأَمْرِ فَتَصَحَّهَ إِلَّا تَوَنَّبَ أَحَدًا، فَفَعَلَ ^(٥). وَامْتَارَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بِالْحُنْكَةِ وَالذَّهَاءِ وَالسِّيَاسَةِ، وَفِي مُذْكَرَاتِ حَفِيدِ بَادِيسَ كَثِيرٌ مِنَ الرِّوَايَاتِ عَنْ ذَهَائِهِ وَمَا فَعَلَ حَتَّى أَيْقَنَ بَادِيسَ بِثِقَتِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَأَصْبَحَ يَطْلُبُ رَأْيَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ ^(٦).

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ^(٧)، وَكَانَ ذَا ثِقَافَةٍ وَاسِعَةٍ شَمَلَتْ مُعْظَمَ الْمَعَارِفِ فِي عَصْرِهِ، وَشَارَكَ فِي الْهَنْدَسَةِ وَالْمَنْطِقِ وَالْفَلَكِ ^(٨). قَالَ الرَّاعِي إِنَّهُ "بَرَعَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ فِي النُّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالتَّارِيخِ وَأَخْبَارِ النَّاسِ وَعِلْمِ الطَّبِّ وَالنُّجُومِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الْعَظِيمَةِ" ^(٩)، وَكَانَ يَفُوقُ فِي الْجَدَلِ كُلَّ مُسْتَوِلٍ مِنْهُ عَلَى غَايَةٍ ^(١٠)، كَمَا كَانَ جَمَاعَةً لِلْكَتُبِ ^(١١) مُؤَلِّفًا لَهَا، وَلَهُ "السَّجِيحُ" ^(١٢) فِي عُلُومِ الْأَوَائِلِ الرَّيَاضِيَّةِ وَتَقَدَّمَ مُنْتَحِلِيهَا بِالتَّدْقِيقِ لِلْمَعْرِفَةِ النُّجُومِيَّةِ، وَلَهُ قَامُوسٌ شَامِلٌ لِأَلْفَاظِ التَّوْرَةِ ^(١٣)، كَمَا لَهُ دِرَاسَاتٌ تَلْمُودِيَّةٌ وَشِعْرِيَّةٌ ^(١٤).

كَمَا كَانَ إِسْمَاعِيلُ شَاعِرًا مَرْمُوقًا بَيْنَ أَهْلِ مِلَّتِهِ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شِعْرٍ، يُقَالُ إِنَّهُ نَظَّمَ مَا يَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةٍ بَيْنَ مَقْطُوعَةٍ وَقَصِيدَةٍ، وَقَدْ جَمَعَ ابْنُهُ يَوْسُفُ مُعْظَمَ أَشْعَارِ وَالِدِهِ الْعِبْرِيَّةِ فِي دِيْوَانٍ قَسَّمَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ سَمَّى كُلَّ قِسْمٍ بِعُنْوَانٍ أَقْتَبَسَهُ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فَسَمَّى الْقِسْمَ الْأَوَّلَ "الْمَزَامِيرَ الصَّغِيرَةَ"، وَالثَّانِي "الْأَمْثَالَ الصَّغِيرَةَ"، وَالثَّالِثَ "سِفَرَ الْجَامِعَةِ الصَّغِيرِ". وَكَانَ يَكْتُبُ مُقَدِّمَةً صَغِيرَةً بِالْعَرَبِيَّةِ قَبْلَ كُلِّ قَصِيدَةٍ يَذْكُرُ فِيهَا الْمُنَاسَبَةَ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا. وَيَشْتَمِلُ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ عَلَى صَلَوَاتٍ وَأَدْعِيَةٍ، وَالثَّانِي عَلَى قَصَائِدٍ مَدْحٍ لِلْبَارِزِينَ مِنَ الْيَهُودِ فِي عَصْرِهِ، وَالثَّالِثُ عَلَى أَشْعَارٍ يَتَنَبَّأُ فِيهَا بِزَوَالِ الْوُجُودِ وَخَرَابِ الدُّنْيَا ^(١٥).

١ - انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ٥٢/١٤.

٢ - من قول أعرابي يهجو [الوافر]: إِذَا مَا قُلْتَ أَيُّهُمْ لَأَيٍّ تَشَابَهَتِ الْمَنَاقِبُ وَالرُّؤُوسُ

وَقَالُوا هَذَا مِنْ أَفْجَحِ الْهَجَاءِ . انظر: البكري فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ١٩٧/١؛ ابن بسام النخبة ١م، ٧٦٧/٢.

٣ - انظر: ابن بسام النخبة ١م، ٧٦٧/٢.

٤ - انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٤٣٧/١.

٥ - الأمير عبد الله التتبان ص ٣٣.

٦ - انظر: نفسه ص ٣١.

٧ - انظر: ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ٢٦٤/٣.

٨ - انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٤٣٩/١.

٩ - الراعي الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، حواريات الجامعة التأسيسية، ٢٩٤، ١٩٨٠م، ص ٤٢.

١٠ - انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٤٣٧/١.

١١ - انظر نفسه والصفحة نفسها.

١٢ - السجيج: لم أجد لها معنى، قد تكون بالحاء في آخرها أي السجيج وهو السهل . ابن منظور لسان العرب [سجج] ٣٤٢/٢.

١٣ - انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٤٣٨/١.

. See : Maxi Margolis and Alexander Marx. "A History of the Jewish people" p 317

١٤ - انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٤٣٩/١.

See : Cecill Roth & Others "The New Standard Jewish Encyclopedia" p 1652 .

١٥ - انظر: محمد بحر عبد المجيد اليهود في الأندلس ص ٤٨.

تَنَاولَ فِي شِعْرِهِ بِالْعِبْرِيَّةِ بَعْضَ الْمَوْضُوعَاتِ الدِّينِيَّةِ، فَكَانَ لَهُ فِي الشَّعْرِ الْعِبْرِي النَّقْلِيَّةِ، الْبَيُوطِيمِ وَالْأَدْعِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ يُعَدُّ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ تَجَاوَزُوا تِلْكَ الْمَوْضُوعَاتِ إِلَى مَوْضُوعَاتٍ دُنْيَوِيَّةٍ؛ فَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبَ بِالْعِبْرِيَّةِ فِي الْخَمْرِيَّاتِ، وَنَظَّمَ فِي الْعَزْلِ وَوَصَفِ الطَّبِيعَةِ وَمَنَاطِرِ الْحَرْبِ وَالْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ، وَالرِّثَاءِ وَالشَّعْرِ الْقَصَصِيِّ (١).

وَعُنِيَ ابْنُ تَغْرِيَّةَ كَثِيرًا بِأَبْنَاءِ مِلَّتِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَقْتَسِمُ مَالَهُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، وَأَنْجَدَ الشَّاعِرَ سُلَيْمَانَ بْنَ جَبْرِوَل (ت: ٤٥٠ هـ أو ٤٦٢ هـ). وَأَمَدَّ بِالْمَالِ طَائِفَةً مِنْ شَبَابِ الطَّلَابِ وَأَعَانَ الْجَمَاعَاتِ الْيَهُودِيَّةَ فِي قَارَاتِ ثَلَاثٍ (٢). وَفِي مُذَكَّرَاتِ عَبْدِ اللَّهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى صِلَةٍ مَعَ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِ وَمَشَايِخِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَشِيرُهُمْ وَيَأْخُذُ بِرَأْيِهِمْ (٣). وَكَانَ وَهُوَ وَزِيرُ الْمَلِكِ خَالِحًا لِلْيَهُودِ يَحَاضِرُ عَنْ التَّلْمُودِ، أَنْجَبَ مِنَ الْأَبْنَاءِ أَرْبَعَةً وَهُمْ: يُوسُفُ وَالْيَاسَافَا وَيَهُودَا وَأَبُو نَصْرِ بْنِ عِزْرَا. وَلَمَّا تُوُفِّيَ خَلَفَهُ فِي الْوِزَارَةِ وَالنَّجَادَةِ ابْنُهُ يُوسُفُ (٤). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَامَ ٤٥٠ هـ (٥). يَكَاهُ الْيَهُودُ كَثِيرًا، فَقَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ: "جَلَّ الْيَهُودُ نَعْشَهُ، وَنَكَّسُوا لَهَا أَعْنَاقَهُمْ خَاضِعِينَ، وَتَعَاقَدُوهُ جَارِعِينَ، وَبَكَوْهُ مُعْلِنِينَ" (٦).

١ - انظر: مُحَمَّدُ بَحْرُ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٤٥؛ إميلو غَرْسِيه غُومِتْ الشَّعْرُ الْأَنْدَلُسِيُّ ص ٩٦.

٢ - انظر: وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ٥٢/١٤.

٣ - انظر: الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ التَّبَّيَّانُ ص ٥٠ - ٥١.

٤ - انظر: انظر: مُحَمَّدُ بَحْرُ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْيَهُودُ فِي الْأَنْدَلُسِ ص ٤٩؛ وَلِ دِيُورَانْتِ قِصَّةُ الْحَضَارَةِ ٥٢/١٤.

٥ - انظر: ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٤٣٩/١.

٦ - انظر: نَفْسُهُ ٤٣٧/١.

٢- الابن: يوسف [... - ٥٩ هـ]

لَمَّا تُوُفِّيَ الْوَزِيرُ إِسْمَاعِيلُ تَرَكَ ابْنًا لَهُ اسْمُهُ يُوسُفُ الْمُكْنَى بِأَبِي حُسَيْنٍ ^(١) لَمْ يَعْرِفْ ذِلَّةَ الدَّمَةِ وَلَا قَدَرَ الْيَهُودِيَّةِ ^(٢)، وَرِثَ عَنْ أَبِيهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ^(٣)، وَكَانَ جَمِيلَ الْوَجْهِ حَادِّ الدَّهْنِ ^(٤)، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ قَبِيحَ الْأَفْعَالِ، قَالَ فِيهِ ابْنُ بَسَّامٍ "وَنَجَّمَ ابْنُهُ بَعْدَ غُلَامًا وَضِيًّا وَمَرْكَبًا زَعَمُوا - وَطِيًّا، مُهَوَّنًا فِيهِ مَأْثُورُ الْقَبِيحِ" ^(٥)، وَكَانَ يَتَمَدَّحُ بِالطَّعْنِ عَلَى الْمَلِكِ ^(٦)، فَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَأَقْسَمَ أَنْ يَنْظُمَ جَمِيعَ الْقُرْآنِ فِي أَشْعَارٍ وَمَوْشَحَاتٍ يُعْنَى بِهَا ^(٧)، وَأَلَّفَ كِتَابًا يَطْعَنُ فِيهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَكِتَابِهِ الْكَرِيمِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ حَزْمٍ وَكَانَ مَكْرُوهًا حَتَّى عِنْدَ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ: "إِنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ تَنْشَأُ بِاسْمِهِ، وَتَنْظِلُهُ مِنْ جُورِ حُكْمِهِ، عَلَى مَا كَانَ قَدْ رَضَخَ لَهُمْ مِنَ الْحُطَامِ، وَوَطَأَ لَهُمْ مِنْ مَرَائِبِ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُتَمَادٍ فِي غُلَوَائِهِ، غَافِلٌ عَنْ عَادَةِ اللَّهِ فِي نُظْرَائِهِ، فَعَصَبَ يَهُودٌ أَحْكَامَهَا، وَذَلَّلَ أَعْلَامَهَا" ^(٨).

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ قَدْ حَمَلَ وَلَدَهُ يُوسُفَ عَلَى مُطَالَعَةِ الْكُتُبِ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْأَدَبَاءَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَعْلَقَهُ بِصِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ^(٩). فَنَظَرَ فِي الْكُتُبِ، وَشَدَا أَشْيَاءَ مِنْ عِلْمِ الْعَرَبِ ^(١٠). وَذَكَرَ ابْنُ عِدَارِي أَنَّهُ وَجَدَتْ لَابْنِ نَغْرَالَةَ [نَغْرِيْلَةَ] فِيمَا وَجَدَ لَهُ، بَعْدَ الْمَذْبَحَةِ، خَزَانَةً جَلِيلَةً مِنْ كُتُبِ أَشْتَاتِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَانَ لَهُ وَرَاقُونَ يَنْسَخُونَ لَهُ الْكُتُبَ بِالنَّفَقَاتِ وَالْمَرْتَبَاتِ ^(١١).

وَرَشَّحَهُ إِسْمَاعِيلُ فِي بَدْءِ حَيَاتِهِ لِلْكِتَابَةِ عِنْدَ بُلْقَيْنِ ابْنِ بَادِيَسٍ ^(١٢)، وَوَصَّاهُ بِأَنْ يَسْعَى فِي طَلَبِ الْوُزَرَاءِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ الَّتِي مِنْهَا يَكُونُ حَتْفُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، لِمَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْبِلَادِ وَاسْتِنْتَارِهِمْ بِالْجَبَايَاتِ ^(١٣). وَعِنْدَمَا هَلَكَ إِسْمَاعِيلُ، كَانَ يُوسُفُ فِي سِنِّ الصَّبَا، كَرِهَ بَادِيَسُ تَوَلِيَّتَهُ، وَوَلَّى مَكَاتَهُ عَلِيًّا ابْنَ الْقُرَوِيِّ، فَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ يُوسُفُ بِالْأَمْوَالِ الْجَسِيمَةِ لِيُظَلَّ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ،

-
- ١ - انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٤٣٧/١ .
 - ٢ - انظر: ابن عِدَارِي المَرَائِشِي البَيَانُ الْمُغْرِبُ ٢٦٤/٣ .
 - ٣ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّانُ ص ٣٧ .
 - ٤ - انظر: ابن عِدَارِي المَرَائِشِي البَيَانُ الْمُغْرِبُ ٢٦٤/٣ .
 - ٥ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ١، م ٧٦٦/٢ .
 - ٦ - انظر: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .
 - ٧ - انظر: ابن سَعِيدِ الْمُغْرِبِ ١١٤/٢ .
 - ٨ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ١، م ٧٦٦-٧٦٧ .
 - ٩ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّانُ ص ٣٧ .
 - ١٠ - انظر: ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ١، م ٧٦٧/٢ .
 - ١١ - انظر: ابن عِدَارِي المَرَائِشِي البَيَانُ الْمُغْرِبُ ٢٦٤/٣ .
 - ١٢ - انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٤٣٧/١ .
 - ١٣ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّانُ ص ٣٧ .

مُقَابِلَ أَنْ يَقُومَ الْيَهُودِيُّ بِنَقْفَتِهِ كُلِّهَا، وَلَوْ كَانَ أَهْلُهُ عَدَدَ الْحَصَى. فَطَمَعَ عَلَيَّ فِي قَوْلِهِ، وَكَلَّمَ بَادِيسَ لِيُبْقِيَهُ تَحْتَ إِشْرَافِهِ، فَقَعَلَ وَقَدَّمَهُ عَلَى الْعَمَالِ وَالْحَبَّاتِ. وَأَظْهَرَ يُوسُفُ لِلسُّلْطَانِ نَصَائِحَ كَثِيرَةً حَظِيَ بِهَا عِنْدَهُ؛ وَتَبَرَّمَكَ عَلَى عَلَيَّ وَغَيْرِهِ، وَاسْتَوْتَقَ مِنْ جَانِبِ بَادِيسَ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ رَجُلٌ ذِمِّيٌّ لَا هِمَّةَ لَهُ إِلَّا خِدْمَةُ السُّلْطَانِ وَجَمْعُ الدَّرَاهِمِ لِبَيْتِ الْمَالِ، فَوْتَقَ بَادِيسُ بِقَوْلِهِ، فَأَذْنَاهُ إِلَيْهِ، وَأَظْهَرَ الْاِغْتِيَاظَ بِهِ، وَالِاسْتِعَاضَةَ بِخِدْمَتِهِ عَنْ عَلَيَّ وَجَمِيعِ النَّاسِ^(١). فَأَخَذَ يُوسُفُ نَفْسَهُ بِالْاجْتِهَادِ فِي الْأَحْوَالِ وَاسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ، وَاسْتَعْمَلَ الْيَهُودَ إِخْوَانَهُ عَلَى الْأَعْمَالِ فَزَادَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ أَمِيرِهِ بَادِيسَ^(٢).

وَكَانَتْ لَهُ عُيُونٌ عَلَيْهِ فِي قَصْرِهِ مِنْ نِسَاءٍ وَفَتَيَانٍ شَغَلَهُمُ الْمَلْعُونُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ بَادِيسَ مِنْ كُلِّ مَا يَجْرِي فِي مَنْزِلِهِ مِنْ شَرَابٍ وَلَهْوٍ وَجَدٍّ وَهَزَلٍ إِلَّا وَيَعْلَمُهُ وَيُعْلِمُ الْيَهُودَ بِهِ، فَلَا يَكَاذُ بَادِيسُ يَتَنَفَّسُ إِلَّا وَيَعْلَمُ الْيَهُودِيُّ ذَلِكَ^(٣). فَلَمْ يَكُنِ الْيَهُودِيُّ يَعْمَلُ مَنْفَرَدًا؛ بَلْ كَانَ بَعْضُ خُدَّامِ الدَّوْلَةِ مُتَفَقِّينَ مَعَهُ، لِأَنَّهُ وَزِيرُ السُّلْطَانِ وَصَاحِبُ سِرِّهِ: فَمِنْهُمْ صَنِيعَةٌ لَهُ قَدْ اسْتَعْنَى مَعَهُ، وَمِنْهُمْ عَدُوٌّ لَهُ، مُؤَاوِرٌ فِي الظَّاهِرِ اسْتِدْقَاعًا لَشَرِّهِ. فَأَعَانُوهُ عَلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ، وَأَنَسُوا إِلَى تَفْتِهِ بِهِمْ^(٤). وَكَانَتْ مُوَامِرَاتُ الْيَهُودِيِّ وَاضِحَةً مَعْلُومَةً مَكْشُوفَةً لِلْمُحِيطِينَ بِبَادِيسَ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَغَيْرِهِمْ، حَتَّى إِنَّ صَاحِبَ الْمَذْكُرَاتِ يَذْكُرُ أَنَّ عَمَّهُ مَاحْسَنَ قَالَ لِلْيَهُودِيِّ ذَاتَ يَوْمٍ مُوَاجَهَةً: "أَتُرِيدُ أَنْ تُقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ أَخِي؟" (٥).

وَرُغِمَ ثِقَّةُ بَادِيسَ بِهِ وَأَطْمِئْنَانِهِ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ حَذِرًا؛ وَفِي هَذَا الشَّانِ قِيلَ إِنَّهُ بَنَى حِصْنَ الْحَمْرَاءِ حَذَرًا مِنَ الْعَامَّةِ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ ابْنُ صُمَادِحِ الْبَلَدِ، صَارَ هُوَ بِأَهْلِهِ إِلَيْهَا تَنْقَلُ مِنْ دَارِهِ إِلَى الْقَصَبَةِ إِلَى أَنْ تَتَوَطَّدَ الْحَالُ؛ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَأَنْفَقَتِ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ لِمَكْرِ الْيَهُودِ^(٦). وَكَانَ آخِرَ

أَمْرِهِ قَدْ حَجَبَ بَادِيسَ عَنِ النَّاسِ، وَسَجَّنَهُ بَيْنَ الدَّنِّ وَالْكَاسِ^(٧). وَوَعَدَ جَارَهُ ابْنَ صُمَادِحِ بِالْمَرِيَّةِ أَنْ يُقْعِدَهُ مَكَانَهُ^(٨). فَكَانَتْهُ كَمَا قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ أَرَادَ أَنْ يَنْتَلَّ عَرْشَ الْبَادِيسِيِّ بِالصُّمَادِحِيِّ، وَقَدْ عَزَمَ

١ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّان ص ٣٨ .

٢ - انظر: ابن الخطيب الإخاطة ٤٣٧/١ .

٣ - انظر: ابن عَدَارِي المَرَاكُشِي "البَيَانُ الْمُغْرِب" ٣ ٢٦٥ .

٤ - انظر: الأمير عبد الله التَّيَّان ص ٤٥ .

٥ - نفسه ص ٤٨ .

٦ - انظر: نفسه ص ٥١ - 54 .

٧ - انظر: ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةُ ق ١ م ٧٦٧/٢ .

٨ - انظر: نفسه ق ١ م ٧٦٩/٢ .

سَاعَةً يَخْلُو لَهُ وَجْهُ ابْنِ صُمَادِحَ بَعْدَ بَادِيَسَ أَنْ يَتَمَرَّسَ بِجَانِبِهِ، وَيُلْحِقَهُ بِصَاحِبِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَذِرَكَ عَلَى ابْنِ ظَبْيَانَ^(١)، بِقَتْلِ رَئِيسَيْنِ مِنْ رُؤَسَاءِ ذَلِكَ الزَّمَانِ^(٢).

وَبِسَبَبِ الْمَكَاثَةِ الَّتِي تَرَقَّى إِلَيْهَا يُوسُفُ ابْنُ تُغْرِبَلَةَ جَعَلَهُ ابْنُ بَسَّامٍ "مِنْ عَجَائِبِ ذَلِكَ الزَّمَانِ الْوَاهِي النُّظَامِ، اللَّاعِبِ بِالْأَنَامِ"^(٣). وَقَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ إِنَّ لَهُ مَكَانَةً مَعْرُوفَةً فِي الظُّرْفِ وَالْأَدَبِ، إِلَّا أَنَّ كُتُبَ النَّرَاجِمِ أَتَتْ بِبَعْضِ أَخْبَارِهِ رُغْمَ أَنَّهُ مِنْ أَعْلَامِ الْأَدْبَاءِ وَالْأَفْرَادِ لِكُونِهِ انْتَحَلَ الْيَهُودِيَّةَ^(٤). وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّهُ اسْتَهْزَأَ بِالْمُسْلِمِينَ وَبِدِينِهِمْ، قَالَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ صَنْهَاجَةُ أَصْحَابُ الدَّوْلَةِ، بِغَيْرِ أَمْرِ الْمَلِكِ، وَنَهَبُوا دُورَ الْيَهُودِ وَقَتَلُوهُمْ. وَذَكَرَ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ^(٥)، أَمَّا الْمَقْرِي فَرَأَى أَنَّ اللَّهَ أَرَاخَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ بِقَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ أَعْضَلَ دَاوُودَ الْمُسْلِمِينَ^(٦)، وَذَلِكَ بِبَرَكَاتِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ وَقَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ^(٧).

وَاسْتَهْدَفَ ابْنُ تُغْرِبَلَةَ لِلنَّاسِ فَشَغِلَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِهِ فِي عَصْرِهِ، وَمَلَأَتْ غَيْظًا عَلَيْهِ صُدُورُهُمْ، وَدَاعَتْ قَصِيدَةُ الزَّاهِدِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ، فِي الْإِغْرَاءِ بِهِمْ^(٨)، وَقَبْلَهَا كَانَتْ رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى مَرَاغِمِهِ عَنِ الْقُرْآنِ فَكَانَتْ الْمَذْبَحَةُ الْمَذْكُورَةُ سَابِقًا عَامَ ٤٥٩ هـ. وَلَكِنَّ الْيَهُودَ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ وَيَدَّعُونَ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ سَنَةَ ٤٤٦ هـ. وَقَبْرُهُ وَقَبْرُ أَبِيهِ تَعْرِفُهُ الْيَهُودُ وَيَنْقُلُونَهُ بِتَوَاتُرٍ عِنْدَهُمْ، أَمَامَ بَابِ الْبِيرَةِ، يَحْتَرِضُ الطَّرِيقَ، عَلَى لَحْدِهِ حِجَارَةٌ قَوِيَّةٌ عَظِيمَةٌ^(٩).

٣- الْحَفِيدُ بِإِفْرِيقِيَّةٍ.

سَمَّاهُ ابْنُ سَعِيدٍ فِي "الْمَغْرِبِ" يُوسُفَ، لِأَنَّ أَبَاهُ عِنْدَ ابْنِ سَعِيدٍ هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَقَالَ إِنَّهُ كَانَ صَغِيرًا لَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ بِغَرْنَاطَةِ، وَصَلِبَ فِي نَهْرِ سَنَجِلٍ، فَهَرَبَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ، وَكَتَبَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَهْلِ غَرْنَاطَةِ شِعْرَهُ الْمَشْهُورَ الَّذِي مِنْهُ^(١٠): [لَخِيفَ]

١ - هُوَ: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ، قَتَلَ مُصْعَبَ أَخَاهُ، فَذَرَعَ عُبَيْدُ اللَّهِ لِيُقْتَلَ بِهِ مِائَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَتَلَ ثَمَانِينَ ثُمَّ قَتَلَ مُصْعَبًا، وَجَاءَ بِرَأْسِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ سَجَدَ، فَهَمَّ عُبَيْدُ اللَّهِ أَنْ يَقْتُلَ بِهِ أَيْضًا، فَازْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقَالَ هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ .
انْظُرْ: يَأْفُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمَ الْبُلْدَانِ ١٢٧/٥ .

٢ - انْظُرْ: ابْنُ بَسَّامٍ النُّخَيْرَةُ ق ١، م ٧٦٨/٢ .

٣ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ق ١، م ٧٦٦/٢ .

٤ - انْظُرْ: ابْنُ الْخَطِيبِ الْإِحَاطَةُ ٤٣٩/١ .

٥ - انْظُرْ: ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١١٤/٢ .

٦ - انْظُرْ: الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيِّبِ ٩٤/٦ .

٧ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٩٤/٦ .

٨ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٤٤٠/١ .

٩ - انْظُرْ: نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

١٠ - ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِ ١١٥/٢ .

حَشَرَ جِسْمٍ وَقَدْ سَمِعْتَ النَّصِيحَا
وَعَدَا الرُّوحُ فِي الْبَسِيطَةِ رِيحَا
وَقَدَيْتُمْ شِبْهَ الذَّبِيحِ الذَّبِيحَا
قَدْ قَتَلْنَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ الْمَسِيحَا
حَرًّا مِنْ أَكَلَةِ الذَّرَاعِ طَرِيحَا

أَقْتَبِلَا بَسَانِجِلٍ لَيْسَ تَخْشَى
غَوْدِرَ الْجِسْمِ فِي التَّرَابِ طَرِيحَا
أَيُّهَا الْغَادِرُونَ هَلَا وَفَيْتُمْ
إِنْ يَكُنْ قَتَلَكُمْ لَهُ دُونَ ذَنْبِ
وَنَبِيٍّ مِنْ هَاشِمٍ قَدْ سَمَمْنَا

ثَانِيًا :- أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ .

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ حَزْمٍ بْنِ غَالِبِ الْأَمْوِيِّ (ت: ٤٥٦هـ) ^(١) الْفَارِسِيُّ الْأَصْلُ ثُمَّ الْأَنْدَلُسِيُّ ^(٢)، وَلِدَ بِقُرْطُبَةَ سَنَةِ ٣٨٤هـ ^(٣)، كَانَ وَالِدُهُ مِنْ كُبَرَاءِ قُرْطُبَةَ وَعَمِلَ فِي الْوِزَارَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ وَزَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي شَبَابِهِ لِلْمُسْتَظْهِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِشَامٍ ثُمَّ تَرَكَ الْوِزَارَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْعُلُومِ ^(٤)، نَشَأَ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي تَنْعِيمٍ وَرَفَاهِيَّةٍ وَرُزِقَ ذِكَاءً مُفْرِطًا وَذِهْنًا سَيَّالًا وَكُنُتَا نَفِيسَةً كَثِيرَةً ^(٥)، تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ عَصَرِهِ ^(٦)، وَمَهَرَ أَوَّلًا فِي الْأَدَبِ وَالْأَخْبَارِ وَالشَّعْرِ وَفِي الْمَنْطِقِ وَالْفَلَسَفَةِ، وَأَثَرَتْ فِيهِ الْفَلَسَفَةُ تَأْثِيرًا كَبِيرًا ^(٧)، وَكَانَ رَاوِيَةً لِلأَدَبِ وَالطَّرْفِ ^(٨)، قَالَ ابْنُ حَيَّانٍ إِنَّهُ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي الذِّكَاءِ وَجِدَّةِ الذَّهْنِ وَسِعَةِ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْمَذَاهِبِ وَالْمِلَلِ وَالنَّحْلِ وَالْمَنْطِقِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَابِ، وَكَانَ لَهُ فِي الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ نَفْسٌ وَاسِعٌ وَبَاعٌ طَوِيلٌ، وَشِعْرُهُ الْمَجْمُوعُ كَثِيرٌ، كَمَا كَانَ مِنْ أَسْرَعَ مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ عَلَى الْبِدِيهِةِ ^(٩)، وَكَانَ حَافِظًا لِلْحَدِيثِ وَفَقِيهًا، فَقِيلَ إِنَّهُ أَجْمَعُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ قَاطِبَةً لِعُلُومِ الْإِسْلَامِ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ ^(١٠)، وَنَاضَرَ عَلَى مَا عِنْدَهُ وَبَسَطَ لِسَانَهُ وَقَلَمَهُ وَلَمْ يَتَأَدَّبْ مَعَ الْأَيِّمَةِ

- ١ - انْظُرْ تَرْجَمَةَ ابْنِ حَزْمٍ فِي: ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ١، م ١٦٧-١٨٠؛ الضَّبِّيُّ بُغْيَةُ الْمُتَمَسِّ ٥٤٣/٢-٥٤٥؛ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُرَّاكِبِيُّ الْمُفْجَبُ ص ٤٦-٤٩؛ ابْنُ الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ ٢٨٦/١-٢٨٧؛ ابْنُ خَلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَغْيَانِ ٣٢٥/٣-٣٣٠؛ الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٨٤/١٨-٢١١؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٩٩/٢-٣٠٠؛ الْمُقَرِّيُّ نَفْحُ الطُّيْبِ ٢٩٢/٢-٣٠٠.
- ٢ - انْظُرْ: الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٨٤/١٨؛ ابْنُ خَلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَغْيَانِ ٣٢٥/٣.
- ٣ - انْظُرْ: الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٨٥/١٨.
- ٤ - انْظُرْ: ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ١، م ١٦٧؛ الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٨٨/١٨.
- ٥ - انْظُرْ: الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٨٦/١٨.
- ٦ - انْظُرْ: ابْنِ الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ ٢٨٧/١.
- ٧ - انْظُرْ: الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٨٦/١٨.
- ٨ - انْظُرْ: ابْنِ الْأَبَّارِ التَّكْمِلَةُ ٢٨٧/١.
- ٩ - انْظُرْ: ابْنِ بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ١، م ١٧٢؛ الذَّهَبِيُّ سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٨٨/١٨.
- ١٠ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ق ١، م ١٦٧-١٦٨؛ نَفْسُهُ ١٨٦/١٨.

في الخطاب، وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يگاد أحد يسلم من لسانه^(١)، وجرت بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرات ومناقرات^(٢)، وقالوا: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقتين^(٣). فنقرت عنه القلوب، وبغضه فقهاء وقته وردوا قوله وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه، فأقصته الملوك وشردته عن بلاده، فمات سنة ٤٥٦ هـ عن واحدة وسبعين سنة مشرداً عن بلده ببادية لبلة، وأحرقت مجلدات من كتبه بإشبيلية، ومزقت علانية^(٤)، وتصابفه كثيرة في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب والأدب والرد على المخالفين. وعن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه نحو أربع مائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، منها "الفصل في الملل والنحل" في مجلدين كبيرين، و"الرد على من اعترض على الفصل" و"المحلى" في ثمانية مجلدات و"جمهرة أنساب العرب" و"رسالة في الرد على ابن تغريelle اليهودي"^(٥).

١ - علاقة ابن حزم باليهود :

لم يكن ابن حزم يعرف اللغة العبرية، أو أن معرفته بها قليلة، ودليل ذلك في "الفصل" حيث قال: "ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية"^(٦)، لكنه كان يجالس اليهود وينظرهم، وأشير في الكتب إلى صداقات له مع اليهود، فكان له صديق يهودي يتردد على دكانه بالمريّة ذكره في "طوق الحمامة" وهو إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي، وقال إنه كان بصيراً بالفراصة محسناً لها^(٧)، وفي "الفصل" كذلك ذكره ووصفه بالأعور مرةً وأخرى بأنه ابن القراد ولعلها القراء، وكان يحاوره في أمور الديانات كما يظهر في قوله: "وكان إسماعيل بن يونس الأعور الطبيب اليهودي تدل أقواله ومناظراته دلالة صحيحة على وكان إسماعيل بن القراد

١ - انظر: ابن بسام النخيرة ق ١، م ١٦٧/١؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ١٨٦/١٨ - ١٨٧.

٢ - انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء ١٩٨/١٨.

٣ - انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء ١٩٩/١٨؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ٣٠٠/٢.

٤ - انظر: ابن بسام النخيرة ق ١، م ١٦٨/١؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ١٩٨/١٨، وليلة (يفتح اللامتين والباء) مدينة قديمة في الجنوب الغربي من الأندلس. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٥٠٧-٥٠٨.

٥ - قالوا إن هذا شيء ما كان لأحد في مدة الإسلام قبله إلا ابن جرير الطبري؛ فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً.

انظر: عبد الواحد المراكشي المعجب ص ٤٧؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ١٨٧/١٨.

٦ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٤٢/١.

٧ - انظر: ابن حزم طوق الحمامة ص ١٩. رسائله ١١٤/١.

الطَّبِيبُ الْيَهُودِيُّ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ يَقِينًا، وَقَدْ نَظَرْنَا عَلَيْهِ مُصَرِّحًا بِهِ" ^(١). وَيَقُولُ ابْنُ حَيَّانَ إِنَّهُ كَثُرَتْ مُنَاطَرَاتُهُ مَعَ الْيَهُودِ، وَتَعَدَّدَتْ حَتَّى كَانَ لَهُ مَعَ الْيَهُودِ مَجَالِسُ مَحْفُوظَةٌ ^(٢). وَأَحْيَانًا كَانَ ابْنُ حَزْمٍ يُنَاطِرُ الْيَهُودَ دُونَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى التَّوْرَةِ، لِقَوْلِهِ "وَكَمْ عَرَضَ لَنَا هَذَا مَعَ عُلَمَائِهِمْ فِي مُنَاطَرَاتِنَا لَهُمْ قَبْلَ أَنْ نَقِفَ عَلَى نُصُوصِ التَّوْرَةِ" ^(٣)، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى التَّوْرَةِ مُتَأَخِّرًا عَنْ مُنَاطَرَاتِهِ تِلْكَ. وَيَبْدُو مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ كَانَ مِنْهَا نُسْخٌ مُتَرْجِمَةٌ وَتَرْجَمَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَلَمْ تَكُنْ تَرْجَمَةٌ وَاحِدَةٌ مُعْتَمَدَةٌ لِقَوْلِهِ: "وَرَأَيْتُ فِي نُسْخَةٍ أُخْرَى مِنْهَا" ^(٤)، فَذَكَرَ نَصًّا مُغَايِرًا لِأَخَرٍ وَجَدَهُ أَوْ سَمِعَ عَنْهُ فِي إِحْدَى النُّسَخِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى نُسْخَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ التَّوْرَةِ عَلَى الْأَقْلَ وَصَفُ ابْنِ حَزْمٍ لَهَا بِدِقَّةٍ بِقَوْلِهِ: "وَإِنَّمَا هِيَ مِقْدَارُ مِائَةِ وَرَقَةٍ وَعَشْرَةِ أَوْ رَاقٍ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ سَطْرًا إِلَى نَحْوِ ذَلِكَ بِحَظٍّ هُوَ إِلَى الْإِنْفِسَاحِ أَقْرَبُ، يَكُونُ فِي السَّطْرِ بَضْعُ عَشْرَةِ كَلِمَةٍ" ^(٥). وَحِينَ تَحَدَّثُ ابْنُ حَزْمٍ عَنْ أَسْفَارِ التَّوْرَةِ اسْتَعْمَلَ أَسْمَاءَ مُعَرَّبَةً مِثْلَ سِفْرِ التَّكْوِينِ ^(٦)، كَمَا أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ الْأَسْمَاءَ الْعِبْرِيَّةَ، وَهَذَا قَدْ يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةٍ قَلِيلَةٍ بِهَا، فَهُوَ يَقُولُ: وَأَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي يُضَيِّفُونَهَا إِلَى سُلَيْمَانَ فَهِيَ ثَلَاثَةٌ وَاحِدُهَا يُسَمَّى [شِير هَشِيرِيم שיר השירים] وَمَعْنَاهُ شَجَرُ الْأَشْعَارِ، وَالثَّانِي يُسَمَّى [مَثَلَا מَثלים] مَعْنَاهُ الْأَمْثَالُ، وَالثَّلَاثُ يُسَمَّى [قَوَهْلَت קהלת] أَيِ الْجَوَامِعِ ^(٧)، وَلَمْ تَكُنْ كِتَابَةُ الْأَسْمَاءِ الْعِبْرِيَّةِ دَقِيقَةً، وَيُرْجَعُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ التَّحْرِيفَ فِي كِتَابَتِهَا لِجَهْلِ النَّسَاحِ وَأَنَّ ابْنَ حَزْمٍ كَانَ يَعْرِفُ الْوَجْهَ الصَّحِيحَ لَهَا ^(٨)، إِلَّا أَنَّنِي أَرَجُّحُ أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ أَخْطَأَ بِهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْعِبْرِيَّةَ. وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ قَدْ أَطْلَعَ كَذَلِكَ عَلَى كُتُبِ وَشُرُوحِ الْيَهُودِ لِلتَّوْرَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُسَمِّهَا بَلْ اِكْتَفَى بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: "وَفِي بَعْضِ كُتُبِهِمْ" أَوْ "وَفِي بَعْضِ كُتُبِهِمُ الْمُعْظَمَةِ" ^(٩)، وَأَشَارَ كَذَلِكَ إِلَى أَخْذِهِ مِنْ أَسْفَارِ التَّلْمُودِ، الَّذِي عَرَفَهُ بِقَوْلِهِ أَنَّهُ مِعُولُهُمْ وَعُمْدَتُهُمْ فِي فِقْهِهِمْ وَأَحْكَامِ دِينِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ وَهُوَ مِنْ أَقْوَالِ أَحْبَارِهِمْ بِلاَ خِلَافٍ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ سَمَّى اثْنَيْنِ مِنْ كُتُبِ التَّلْمُودِ، كَمَا كَانَ يُسَمِّيهِ،

١ - انظر: ابن حزم الفصل في المثل والأهواء والتحل ١/ ٦٣٢.

٢ - انظر: ابن بسام النخبة ١، م ١٧٠.

٣ - الفصل في المثل والأهواء والتحل ١/ ٢١٣.

٤ - نفسه ١/ ١٢١.

٥ - نفسه ١/ ١٨٧.

٦ - انظر: نفسه ١/ ١٩٨.

٧ - انظر: ٢٠٧/١ - ٢٠٨.

٨ - انظر: ابن حزم رسائله ٣/ ١٦.

٩ - انظر: الفصل في المثل والأهواء والتحل ١/ ٢١٧ - ٢١٩.

وَهُمَا شَعْرٌ ثَوَمًا وَسَادِرٌ نَاشِئٌ^(١)، وَظَهَرَ فِي "الفصل" أَنَّهُ قَرَأَ كَذَلِكَ تَارِيخَ يَوْسِفُوسَ الَّذِي كَانَ يُسَمِّيهِ تَارِيخَ يَوْسُفَ بْنِ هَارُونَ الْهَارُونِيِّ^(٢)، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ عَرَفَ شَيْئًا عَنِ عُلُومِ الْيَهُودِ وَأَحْوَالِهِم بِالِاخْتِلَاطِ وَالْمَجَاوَرَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ.

وَمِنْ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ مُطَالَعَتَهُ لَكُتُبِ الْيَهُودِ كَانَتْ فِي الثَّوَرَةِ وَشَرِيعَةِ الْيَهُودِ، فَكَّرَسَ كَثِيرًا مِنْ جُهودِهِ لِإثْبَاتِ التَّحْرِيفِ وَالتَّنَاقُضِ عَلَى الثَّوَرَةِ بَعْدَ أَنْ دَرَسَهَا دِرَاسَةً مُسْتَنَائِيَةً مِمَّا جَعَلَ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ يَعُدُّهُ رَائِدَ ابْنِ خَلْدُونٍ فِي الْمَنْهَجِ الَّذِي اتَّبَعَهُ فِي نَقْدِ الْخَبَرِ التَّارِيخِيِّ^(٣).

٢- دَوْرُ ابْنِ حَزْمٍ فِي التَّحْرِيفِ عَلَى مَقْتَلِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ .

بَحَثَ إِحْسَانُ عَبَّاسٌ عَنْ دَوْرِ ابْنِ حَزْمٍ فِي التَّحْرِيفِ عَلَى مَقْتَلِ الْوَزِيرِ؛ فَرَأَى أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي صَدَرَ عَنْ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ كَانَ أَسَاسَ الثَّوَرَةِ عَلَيْهِ بِالإِضَافَةِ إِلَى إِسَاءَاتِهِ الْآخَرَى، وَرُبَّمَا كَانَ لِشُيُوعِ رَدِّ ابْنِ حَزْمٍ وَرَدِّ عَالِمٍ آخَرَ قَبْلَهُ بَيْنَ النَّاسِ دَوْرٌ آخَرٌ فِي تَحْرِيفِ النُّفُوسِ ضِدَّهُ، ثُمَّ تَوَجَّتِ الصَّيْحَةُ التَّحْرِيفِيَّةُ مِنَ الْإِلْبِيرِيِّ هَذَا التَّفَاعُلِ الَّذِي حَرَّكَ مَشَاعِرَ النَّاسِ. وَلِيُؤَكِّدَ إِحْسَانُ عَبَّاسٌ هَذَا قَامَ بِحِسَابَاتِ تَارِيخِيَّةٍ تُؤَكِّدُ هَذَا؛ فَبِمَا أَنَّ يَوْسُفَ خَلَفَ أَبَاهُ عَلَى الْوِزَارَةِ سَنَةَ ٤٥٠ هـ أَوْ الَّتِي بَعْدَهَا، فَقَدْ يَقْتَرِنُ تَطَاوُلُهُ عَلَى الْقُرْآنِ، كَمَا يَرَى عَبَّاسٌ، بِشُمُوحِ نَفْسِهِ فِي ارْتِقَائِهِ إِلَى خُطَّةِ الْوِزَارَةِ؛ أَيُّ أَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ بَيْنَ عَامَي ٤٥٠-٤٥٥ هـ، وَأَنَّ رِسَالَتَهُ كَانَتْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ سَنَةِ ٤٥٦ هـ وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي تُوَفِّيَ فِيهَا ابْنُ حَزْمٍ. وَابْنُ حَزْمٍ لَمْ يَظْفَرْ بِرِسَالَةِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ وَإِنَّمَا ظَفَرَ بِرَدِّ عَلَيْهَا، وَهَذَا رُبَّمَا دَلٌّ عَلَى أَنَّ الزَّمَانَ بَيْنَ كِتَابَتِهِ تِلْكَ الرِّسَالَةَ وَصُدُورِ رِسَالَةِ ابْنِ حَزْمٍ قَدْ تَطَاوَلَ. وَلَعَلَّ تَارِيخَ رَدِّ ابْنِ حَزْمٍ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ بَيْنَ سَنَتَي ٤٥٣-٤٥٥ هـ، وَبَدَأَ يَكُونُ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي صَدَرَ عَنْ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ أَسَاسَ الثَّوَرَةِ عَلَيْهِ^(٤).

٣- رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ نَغْرِيْلَةَ .

كَتَبَ ابْنُ حَزْمٍ رِسَالَةً طَوِيلَةً يَرُدُّ فِيهَا عَلَى مَزَايِمِ الْوَزِيرِ الْيَهُودِيِّ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ، بَدَأَهَا ابْنُ حَزْمٍ بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ بِمُخَاطَبَةِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ، شَكَا إِلَى اللَّهِ حَالَ حُكَامِ الْمُسْلِمِينَ حَوْلَهُ لِأَنَّهُمْ مَكَّنُوا الْيَهُودَ وَأَهْلَ الذِّمَّةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بِضَعْفِهِمْ وَانْشِغَالِهِمْ بِالتَّرَفِ وَاللَّهُوِ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ تَشَاغُلَ أَهْلِ الْمَمَالِكِ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا بِدُنْيَاهُمْ عَنْ إِقَامَةِ دِينِهِمْ، وَبِعِمَارَةِ قُصُورِ يَتْرُكُونَهَا عَمَّا قَرِيبٍ عَنْ عِمَارَةِ شَرِيعَتِهِمُ الْإِلَازِمَةِ لَهُمْ فِي مَعَادِهِمْ وَدَارِ قَرَارِهِمْ،

١ - انْظُرْ: الْفَصْلُ فِي الْمَلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالتَّخَلُّ ٢١٨/١ .

٢ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٩٩/١ .

٣ - ابْنُ حَزْمٍ رِسَالَتُهُ: رِسَالَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النُّغْرِيْلَةِ الْيَهُودِيِّ ١٧/٣ [الْمُقَدِّمَةُ] .

٤ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ١٩/٣ .

وَبَجَمْعِ أَمْوَالٍ رُبَّمَا كَانَتْ سَبَبًا إِلَى انْقِرَاضِ أَعْمَارِهِمْ وَعَوْنًا لِأَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَعَنْ حِيَاظَةٍ (١) مِلَّتِهِمْ الَّتِي بِهَا عَزَوْا فِي عَاجِلَتِهِمْ وَبِهَا يَرْجُونَ الْقَوْنَ فِي أَجَلَتِهِمْ حَتَّى اسْتَشْرَفَ لِذَلِكَ أَهْلُ الْقَلَّةِ وَالذَّمَّةِ، وَأَنْطَلَقَتْ أَلْسِنَةُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ بِمَا لَوْ حَقَّقَ النَّظَرَ أَرْبَابُ الدُّنْيَا لَاهْتَمُّوا بِذَلِكَ ضِعْفَ هَمِّنا، لِأَنَّهُمْ مُشَارِكُونَ لَنَا فِيْمَا يَلْزِمُ الْجَمِيعَ مِنَ الْامْتِعَاضِ لِلدِّيَانَةِ الزَّهْرَاءِ وَالْحَمِيَّةِ لِلْمِلَّةِ الْغَرَاءِ، ثُمَّ هُمْ مُتَرَدُّونَ بِمَا يُوَوِّلُ إِلَيْهِ إِهْمَالُ هَذَا الْحَالِ مِنْ فُسَادِ سِيَاسَتِهِمْ وَالْقَدَحِ فِي رِيَاسَتِهِمْ، فَلِلْأَسْبَابِ أَسْبَابٌ، وَلِلْمَدَاحِلِ إِلَى الْبَلَاءِ أَبْوَابٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ" (٢)

(٢) وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ فِتْنَةَ الْيَهُودِ هَذِهِ قَلِيلَةٌ الْعَدَدِ إِلَّا أَنَّهَا عِصَابَةٌ خَبِيثَةٌ خَطِرَةٌ تَكِيدُ لِلْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِبَيِّنَتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى خُطُورَةِ الصَّغِيرِ أَحْيَانًا، فَقَالَ: "وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ (ت: ٢٨٣هـ) (٣): [لمجت] لَا تَحْقِرَنَّ سُبُيْنًا كَمْ جَرَّ أَمْرًا سُبُيْبُ

وَقَالَ أَبُو نَصْرِ بْنِ نُبَاتَةَ (ت: ٤٠٤هـ) (٤): [لمقرب] وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدِيهِ قِصْرٌ فَلَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ فَإِنَّ السُّيُوفَ تَجِدُ الرِّقَابَ وَتَعْجُزُ عَمَّا تَلَّ الْإِبْرَ

لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْعَدُوُّ مِنْ عِصَابَةٍ لَا تُحْسِنُ إِلَّا الْخُبْتَ مَعَ مَهَانَةِ الظَّاهِرِ فَيَأْتِسُ الْمُغْتَرُّ إِلَى الضَّعْفِ الْمَادِي، وَتَحْتَ ذَلِكَ الْخَتْلُ وَالْخَتْرُ (٥) وَالْكَيْدُ وَالْمَكْرُ، كَالْيَهُودِ الَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ شَيْئًا مِنَ الْحِيلِ وَلَا آتَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَإِنَّمَا شَأْنُهُمُ الْغِشُّ وَالتَّخَابُثُ وَالسَّرِيقَةُ، عَلَى التَّطَاوُلِ وَالْخُضُوعِ، مَعَ شِدَّةِ الْعَدَاوَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ " (٦)، ثُمَّ أَبْدَى رَأْيَهُ فِي ابْنِ نَغْرِيَّةَ، فَقَالَ: "وَبَعْدُ، فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ تَقَلَّى قَلْبُهُ لِلْعَدَاوَةِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَذُوَّبَتْ كِبْدُهُ بِبَعْضِهِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ مُتَدَهَّرَةٍ (٧) الزَّنَادِقَةِ الْمُتَسَتِّرِينَ بِأَدَلِّ الْمَلَلِ وَأَرْذَلِ النَّحْلِ مِنَ الْيَهُودِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْمُرْتَسِمِينَ بِهَا، وَاسْتَقَرَّ غَضَبُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمُتَمَتِّينَ إِلَيْهَا، أَطْلَقَ الْأَشْرَ (٨) لِسَانَهُ، وَأَرْخَى الْبَطْرُ عِنَانَهُ (٩)،

١ - حِيَاظَةٌ: حَفَظَ وَتَعَهُدَ . ابن منظور لسان العرب [حوط] ٢٧٩/٧

٢ - ابن حَرَمٍ رَسَائِلُهُ ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ التُّغْرِيَّةِ الْيَهُودِيِّ ٤١/٣ .

٣ - يَقْصِدُ ابْنَ الرُّومِيِّ عَلِيَّ بْنَ الْعَبَّاسِ: مِنْ فُحُولِ شُعْرَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، كَانَ شَدِيدَ النَّطِيرِ مَنُهِومًا فِي الْأَكْلِ، وَاشْتَهَرَ بِالزُّرْءِ وَالْهَجَاءِ . انْظُرْ: ابْنُ الرُّومِيِّ بَيَوَانُهُ ١٤٦/١؛ ابْنُ خُلْكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَغْيَانِ ٣/٣٥٨-٣٦٢؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٣/٤٩٥-٤٩٦؛ الصَّفْدِيُّ الْوَفَائِي بِالْوَفَايَاتِ ١١٣/٢١-١٢٣ .

٤ - هُوَ: أَبُو نَصْرِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ ابْنِ نُبَاتَةَ السَّعْدِيِّ (٣١٧-٤٠٥هـ)، كَانَ شَاعِرًا مَجِيدًا، طَافَ الْبِلَادَ وَمَدَحَ الْمُلُوكَ وَالْوُزَرَ وَالرُّؤَسَاءَ، وَلَهُ مَدَائِحُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ، تُؤْفَى بِبَعْدَادَ لَهُ دِيْوَانُ شَعْرِ . انْظُرْ: الشَّعَالِيُّ يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ ٢/٤٤٧؛ ابْنُ خُلْكَانٍ وَفَيَاتُ الْأَغْيَانِ ٣/١٩٠-١٩٣؛ الذَّهَبِيُّ سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٧/٢٣٤-٢٣٥؛ ابْنُ عِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣/١٧٥-١٧٦ .

٥ - الْخَتْرُ: أَسْوَأُ الْعَدْرِ وَأَقْبَحُهُ . ابن منظور لسان العرب [ختر] ٢٢٩/٤ .

٦ - ابن حَرَمٍ رَسَائِلُهُ ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ التُّغْرِيَّةِ الْيَهُودِيِّ ٤١/٣ - ٤٢ .

٧ - مُتَدَهَّرَةٌ: مُلْجِدُونَ، مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ دَهْرِيٌّ أَيْ مُلْجِدٌ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ، وَيَقُولُ بَقَاءَ الدَّهْرِ .

ابْنُ مَنَظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [دهر] ٢٩٣/٤ .

ابْنُ مَنَظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [أشر] ٢٠/٤ .

ابْنُ مَنَظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [عنن] ٢٩٠/١٣ .

٨ - الْأَشْرُ: أَشَدُّ الْبَطْرِ .

٩ - عِنَانُهُ: بَاطِلُهُ وَظُلْمُهُ .

وَأَسْتَشْمَخَتْ لِكثْرَةِ الْأَمْوَالِ لَدَيْهِ نَفْسُهُ الْمَهِينَةُ، وَأَطْعَى تَوَافُرُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عِنْدَهُ هِمَّتَهُ الْحَقِيرَةَ، فَلَأَفَ كِتَابًا قَصَدَ فِيهِ، بِزَعْمِهِ، إِلَى إِبَانَةِ تَنَاقُضِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ اغْتِرَارًا بِاللَّهِ تَعَالَى أَوَّلًا، ثُمَّ بِمَلِكٍ ضَعْفَةٍ ثَانِيًا، وَاسْتِخْفَافًا بِأَهْلِ الدِّينِ بَدْءًا، ثُمَّ بِأَهْلِ الرِّيَاسَةِ فِي مَجَانَّةٍ^(١) عَوْدًا؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ بِبَيِّ أَمْرِ هَذَا اللَّعِينِ لَمْ أَرْزُ بِأَحْتَا عَنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ الْخَسِيسِ لِأَقُومَ فِيهِ بِمَا أَفْذَرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ دِينِهِ بِلِسَانِي وَفَهْمِي وَالذَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِ بِبَيِّنَاتِي وَعِلْمِي، إِذْ قَدْ عَدِمَهَا وَالْمَشْكَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوُجُودُ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ عَلَى تَوْفِيَةِ هَذَا الْخَسِيسِ الزَّنْدِيقِ الْمُسْتَبْطِنِ مَذْهَبِ الدَّهْرِيَّةِ فِي بَاطِنِهِ الْمُتَكَفِّفِ بِتَابُوتِ الْيَهُودِيَّةِ فِي ظَاهِرِهِ حَقُّهُ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ مِنْ سَفَكِ الدِّمَاءِ وَاسْتِيفَاءِ مَالِهِ وَسَبْيِ نِسَائِهِ وَوَلَدِهِ، لِتَقْدِيمِهِ طُورِهِ وَخَلْعِهِ الصَّغَارَ عَنْ عُنُقِهِ، وَبَرَاعَتِهِ مِنَ الدِّمَّةِ الْحَاقِقَةِ دَمَهُ، الْمَانِعَةِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"^(٢)، وَذَكَرَ أَنَّ سَبَبَ كِتَابَتِهِ لِهَذِهِ الرَّسَالَةِ عُثُورُهُ عَلَى مُؤَلَّفٍ يَرُدُّ عَلَى مَزَاعِمِ ابْنِ نَعْرِيَّةَ عَنْ تَنَاقُضِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: "فَاطْفَرَنِي الْقَدَرُ بِنُسْخَةٍ رَدَّ فِيهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَانْتَسَخْتُ الْفُصُولَ الَّتِي ذَكَرَهَا ذَلِكَ الرَّادُّ عَنْ هَذَا الرَّذِلِ الْجَاهِلِ، وَبَادَرْتُ إِلَى بَطْلَانِ ظَنُونِهِ الْقَاسِدَةِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ، وَلَعَمْرِي إِنَّ اعْتِرَاضَهُ الَّذِي اعْتَرَضَ بِهِ لَيَدُلُّ عَلَى ضَيْقٍ بَاعِهِ فِي الْعِلْمِ، وَقِلَّةِ اتِّسَاعِهِ فِي الْفَهْمِ عَلَى مَا عَهْدَنَاهُ عَلَيْهِ قَدِيمًا، فَإِنَّا نَذَرِيهِ عَارِيًا إِلَّا مِنَ الْمُخْرِقَةِ، سَلِيمًا إِلَّا مِنَ الْكُذِبِ، صَفْرًا إِلَّا مِنَ الْبُهْتِ؛ وَهَذِهِ عُقُوبَةُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُعْجَلَةَ لِمَنْ سَلَكَ مَسَلَكَ هَذَا الزَّنْدِيقِ اللَّعِينِ مُقَدِّمَةً، أَمَّا مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ وَلَأَمْتَالِهِ مِنَ الْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَهُوَ الْمُقَرَّرُ لِعُيُونِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَفِي ضُرْبَائِهِ، وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،"^(٣) وَالرَّسَالَةُ طَوِيلَةٌ جِدًّا، ذَكَرَ ابْنُ حَزْمٍ فِي الرَّسَالَةِ مَزَاعِمَ ابْنِ نَعْرِيَّةَ وَرَدَّ عَلَيْهَا مَزْعَمًا مَزْعَمًا مُسْتَشْهِدًا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرًا، وَبِالتَّوْرَةِ حِينًا.

٤- أَهَمُّ سِمَاتِ رِسَالَةِ ابْنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ نَعْرِيَّةَ .

الرَّسَالَةُ طَوِيلَةٌ، فِيهَا أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ فِقْرَةً، قَارَبْتُ ثَلَاثِينَ صَفْحَةً^(٤)، وَتَنْقَسِمُ الرَّسَالَةُ إِلَى قِسْمَيْنِ: الْأَوَّلُ مِنْهُمَا عَرَضَ فِيهِ الْمَزَاعِمُ الَّتِي أَتَاهَا ابْنُ نَعْرِيَّةَ وَرَدَّ ابْنُ حَزْمٍ عَلَيْهَا مَزْعَمًا مَزْعَمًا، وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَنْ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ فِقْرَةً الْأُولَى وَتَقَعُ فِي ثَمَانِيَةِ فُصُولٍ كَمَا سَمَّاهَا ابْنُ حَزْمٍ وَلَا يَكْتَفِي ابْنُ حَزْمٍ بِالرَّدِّ فَحَسْبُ، بَلْ يَنْتَقِدُ بَعْضَ الْمَسَائِلِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي التَّوْرَةِ كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ لِلْيَهُودِيِّ: قَبْلَ أَنْ تَقُولَ مَا تَقُولُ عَنِ الْقُرْآنِ انْظُرْ إِلَى تَوْرَاتِكَ الْمُحَرَّفَةِ وَمَا بِهَا مِنْ سَخَافَاتٍ.

١ - الْمَجَانَّةُ: أَنْ لَا يُبَالِيَ مَا صَنَعَ وَمَا قِيلَ لَهُ .

٢ - ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ : رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النَّعْرِيَّةِ الْيَهُودِيِّ ٤٢/٣ .

٣ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٤ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٤١/٣ - ٧٠ .

وَنَاقَشَ ابْنُ حَزْمٍ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي بَعْضًا مِمَّا يُسَمِّيهِ "الطَّوَامَ" الَّتِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِ الْيَهُودِ، وَهُوَ الْجَانِبُ الَّذِي تَوَسَّعَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ كِتَابُ "الفَصَلِ فِي الْمِلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالنَّحْلِ"، وَاعْتَدَرَ ابْنُ حَزْمٍ فِي خَتَامِ الرِّسَالَةِ عَنْ إِبْرَادِ شَنْعِ الْيَهُودِ، بِقَوْلِهِ: "قَدْ أوردنا في هذا الكتاب من شنعهم أشياء تقشع منها الجلود، ولولا أن الله تعالى نصَّ علينا من كفرهم ما نصَّ لما استجزنا ذكر ما يقولون لشنعه وقضاوته ولكننا اقتدنا بكتاب الله عزَّ وجلَّ في بيان كفرهم، والتحذير منهم" (١). فَكَانَتْ حُجَّتُهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَصَّ عَلَيْنَا شَيْئًا مِنْ كُفْرِهِمْ، فَاقْتَدَى هُوَ بِكِتَابِ اللَّهِ فِي ذِكْرِ مَزَا عِمِهِمْ.

يُلاحَظُ عَلَى الرِّسَالَةِ اسْتُلُوبُ الْمَجَادَلَةِ وَالْحَوَارِ، وَقَدْ يَكُونُ ابْنُ حَزْمٍ بِهِذَا مُتَأَثِّرًا بِاسْتُلُوبِ الْقُرْآنِ فِي الْمُحَاوَرَةِ، فَجَاءَ بِمَزَا عِمِ الْيَهُودِ وَرَدَّ عَلَيْنَهَا مُرَكِّزًا عَلَى التَّنَاقُضِ فِي أَقْوَالِهِمْ، فَذَكَرَ مِنْ عَجَائِبِهِمْ "قَوْلُهُمْ فِي السَّفَرِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِهِمْ (ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونَ وَنَادَابَ وَأَبِيَهُو وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْمَشَايخِ، وَنَظَرُوا إِلَى إِلَهِ إِسْرَائِيلَ وَتَخَتَ رِجْلُهُ كَلْبُهُ زُمُرْدُ فَيُرُوزِي) (٢). وَفِي بَعْضِ الْفُصُولِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ أَوْ يَعْقُوبُ: (رَأَيْتُ اللَّهَ مُوَاجِهَةً وَسَلَّمْتُ نَفْسِي) (٣)، مَعَ قَوْلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَنْ رَأَى وَجْهِي مِنَ الْأَدَمِيِّينَ مَاتَ، وَلَسْتُ تَقْدِرُ تَرَانِي، لَكِنْ سَتَرِي مُؤَخَّرِي) (٤). فَهَلْ فِي التَّنَاقُضِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا: مَرَّةً يَقُولُ مَنْ رَأَى وَجْهِي مَاتَ، وَمَرَّةً يَقُولُ رَأَيْتُهُ مُوَاجِهَةً وَسَلَّمْتُ نَفْسِي، وَكُلُّ مَا ذَكَرْنَا فِي كِتَابِهِمْ الَّذِي يُسَمُّونَهُ "تَوْرَةً" لَا فِي ثَقَلٍ ضَعِيفٍ وَلَا غَيْرِهِ" (٥). وَقَدْ نَصَّ ابْنُ حَزْمٍ عَلَى تَأَثُّرِهِ بِالْقُرْآنِ فِي نِهَايَةِ رِسَالَتِهِ بِقَوْلِهِ: "وَلَكِنَّا اقْتَدَيْنَا بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَيَانِ كُفْرِهِمْ، وَالتَّحذِيرِ مِنْهُمْ" (٦).

وَيُلاحَظُ فِيهَا كَثْرَةُ الْأَمْثَلَةِ الْمُؤَيَّدَةِ لِمَا يَقُولُ، وَلِأَنَّ الرِّسَالَةَ مُوجَّهَةٌ لِمَنْ كَتَبَ مَزَا عِمَ عَدِيدَةً عَنِ الْقُرْآنِ امْتَلَأَتْ بِالآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ وَهَذَا وَاضِحٌ فِي كُلِّ الرِّسَالَةِ. كَمَا ظَهَرَ فِيهَا اهْتِمَامُ ابْنِ حَزْمٍ بِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَجَاءَ فِي الرِّسَالَةِ: "وَلِيَعْلَمَ أَنَّ إِنْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَتْ الَّتِي بِمَعْنَى الشَّرْطِ، وَإِنَّمَا مَعْنَى "إِنْ" هَا هُنَا الْجَحْدُ، فَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى "مَا" وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ أَحَدُ مَوَاضِعِهَا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى أَمِيرًا نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ (إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٧) بِمَعْنَى مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ

١ - ابن حزم رسائله ؛ رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي ٧٠/٣ .

٢ - انظر: التوراة، سفر الخروج ٢ ٩/٤-١٠، يلاحظ أن الترجمة تختلف عن الترجمة التي بين أيدينا اليوم، ففيها : ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونَ وَنَادَابَ وَأَبِيَهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل وتخت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف .

٣ - انظر: التوراة، سفر الخروج ٣ ٢٠/٣ . وهي : وَقَالَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي. لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ .

٤ - انظر: التوراة، سفر الخروج ٣ ٢٣/٣ . وهي : ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي، وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يَرَى .

٥ - انظر الرسالة : ابن حزم رسائله ؛ رسالة في الرد على ابن النغريلة اليهودي ٦١/٣ .

٦ - نفسه ٧٠/٣ .

٧ - سورة الأعراف، آية ١٨٨ .

وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا (إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) ^(١) وَكَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ النَّسُوءِ إِذْ رَأَيْنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقُلْنَ (إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) ^(٢) بِمَعْنَى: مَا هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى (إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) ^(٣) ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) ^(٤) تَهْوِينًا لَهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) ^(٥) بِمَعْنَى مَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْجَادِينَ... فَوَضَحَ جَهْلُ هَذَا الْمُعْتَرِضِ وَضَعْفَ تَمْيِيزُهُ ^(٦) إِذَا كَانَ رَأْيُ ابْنِ حَزْمٍ أَنَّهُ: "يَلْزَمُ هَذَا الْخَسِيسَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي لُغَةٍ لَا يُحْسِنُهَا" ^(٧).

وَرَكَّزَ ابْنُ حَزْمٍ كَثِيرًا عَلَى أَنَّ التَّوْرَةَ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مُحَرَّفَةٌ مُبَدَّلَةٌ، فَهَزَى مِنْ "هَدْيَانِهِمُ الَّذِي يُسَمُّونَهُ تَوْرَةً" ^(٨)، وَهَزَى مِمَّا "يَقْرَأُونَهُ فِي هَدْيَانِهِمُ الْمُخْتَرَعِ وَوَزَرِهِمُ الْمُفْتَعَلِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَةَ" ^(٩)، وَمِثْلُهَا قَالَ: "لَوْ تَدَبَّرَ مَا فِي كَذِبِهِمُ الْمُفْتَرَى الَّذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَةَ" ^(١٠)، وَفِي فِقْرَةٍ أُخْرَى ذَكَرَ "مَا فِي بَاطِلِهِمُ الْمُبْتَدَعِ وَهَجَرِهِمُ الْمَوْضُوعِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ تَوْرَةً" ^(١١)، وَكَذَلِكَ "مَا يَفْتَتِحُونَ بِهِ كَذِبَهُمُ الْمُفْتَرَى وَبُهْتَانَهُمُ الْمُخْتَلَقَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَةَ" ^(١٢)، وَفِي غَيْرِهَا قَالَ: "لَيْسَ فِي حَمَاقَتِهِمُ الْمُبَدَّلَةِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا التَّوْرَةَ ذِكْرُ أَجْرٍ وَلَا ثَوَابٍ لِمُحْسِنٍ بَعْدَ الْمَوْتِ" ^(١٣). وَفِي أُخْرَى تَحَدَّثَ عَنْ "مَا يَقْرَأُونَهُ فِي كُفْرِهِمُ الْمُبَدَّلِ وَإِفْكِهِمُ الْمُحَرَّفِ بِأَخْرَقٍ تَحْرِيفٍ وَأَنْتَنٍ مَعَانٍ... فِي كِتَابِهِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَةَ" ^(١٤)، وَأَكَّدَ تَبْدِيلَ تَوْرَاتِهِمْ بِقَوْلِهِ: "وَالَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ عِنْدِي أَنَّ مَنْ بَدَّلَ تَوْرَاتِهِمْ وَأَدْخَلَ فِيهَا

١ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، آيَةُ ١١ .

٢ - سُورَةُ يُوسُفَ، آيَةُ ٣١ .

٣ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، آيَةُ ١٧ .

٤ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، آيَةُ ٤٦ .

٥ - سُورَةُ الزُّحُرْفِ، آيَةُ ٨١ .

٦ - ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ: رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ التُّغْرَيْلَةِ الْيَهُودِيِّ ٥٣/٣ .

٧ - نَفْسُهُ وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا .

٨ - نَفْسُهُ ٥٦/٣ .

٩ - نَفْسُهُ ٤٨/٣ .

١٠ - نَفْسُهُ ٥١/٣ .

١١ - نَفْسُهُ ٥٤/٣ .

١٢ - نَفْسُهُ ٤٦/٣ .

١٣ - نَفْسُهُ ٥٠/٣ .

١٤ - نَفْسُهُ ٤٥/٣ .

مِثْلَ هَذَا، إِنَّمَا قَصَدَ إِلَى إِبْطَالِ النُّبُوَّةِ جُمْلَةً^(١). وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ الِاسْتِشْهَادِ بِالْقُرْآنِ وَبِنُورَاتِهِمْ، بَلِ اسْتَشْهَدَ بِأَبْيَاتٍ شَعْرِيَّةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَكَانَتْ لِلْمَشَارِقَةِ^(٢). وَأُظْهِرَتِ الرَّسَالَةُ ثَقَافَةً ابْنِ حَزْمِ الْمُنَوَّعَةِ؛ فَاسْتَشْهَدَ فِي الرَّسَالَةِ بِوَصْفَاتٍ طَبِيعِيَّةٍ لَعَمِيدِي أَهْلِ الطَّبِّ وَهُمَا جَالِينُوسُ وَبُقْرَاطُ وَأَشَارَ إِلَى مَنَافِعِ الْعَسَلِ وَذَكَرَ بَعْضًا مِنْ مَضَارِّهِ^(٣)، وَبَعْدَهَا تَحَدَّثَ عَنِ مَنَافِعِ النَّيْنِ فِي الشِّقَاءِ مِنْ بَعْضِ الْعِلَلِ^(٤).

وَاسْتَهْزَأَ ابْنُ حَزْمٍ بِكَثِيرٍ مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ مُوضِّحًا مَوْطِنَ الثَّقَافَةِ فِيهَا، فَقَالَ: "أَفَيْسُوغُ فِي عَقْلِ مَنْ لَهُ أَدْنَى مُسْكَةٍ^(٥) أَنْ يَكُونَ نَبِيٌّ يَعْمَلُ عِجْلًا لِلْعِبَادَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَأْمُرُ قَوْمَهُ أَنْ يَعْبُدُوا لَهُ، وَيَرْقُصُ هُوَ وَهُمْ تَعْظِيمًا لِلْعِجْلِ عَلَى أَنَّهُ إِلَاهُهُمُ الَّذِي مِنْ مِصْرَ؟ وَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونَ عِجْلًا وَثَنًا وَيَعْبُدُونَهُ، جَازَ لِنَبِيِّ آخَرَ أَنْ يَزْنِي، فَكَيْفَ يَصْنُقُ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِهِ"^(٦).

وَأُظْهِرَتِ رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ كَذَلِكَ شَيْئًا مِنْ عَادَاتِ الْيَهُودِ وَتَقَالِيدِهِمْ فَذَكَرَ أَنَّ مِنْ عَجَائِبِهِمْ أَنَّهُمْ يَلْتَزِمُونَ أَكْلَ الْفَطِيرِ فِي وَقْتِ مَذْكُورٍ فِي كُلِّ عَامٍ وَلَا يَلْتَزِمُونَ أَكْلَ الْخُرُوفِ فِيهِ^(٧).

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ طَوَائِمِهِمْ عَمَّمَ الْحَدِيثَ عَنِ الْيَهُودِ، وَنَعَتَهُمْ بِأَقْبَحِ النَّعُوتِ، فَقَالَ: "فَمِنْ طَوَائِمِهِمْ أَنَّ عُلَمَاءَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ أَوْلَادَ يَعْقُوبَ لَعَنُوا كُلَّ مَنْ يَنْقُلُ إِلَى أَبِيهِمْ أَنَّ يَوْسُفَ حَيٌّ. قَالُوا: فَدَخَلَ اللَّهُ تَحْتَ هَذِهِ اللَّعْنَةِ إِذْ أَطْلَعَ يَعْقُوبَ عَلَى حَيَاةِ يَوْسُفَ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ أَفْكَ هَؤُلَاءِ الْمَجَانِبِينَ وَكُفْرِهِمْ، وَاعْوُثَاهُ مِنْ عَظِيمِ هَذَا الْحُمَقِ! أَفَيَكُونُ فِي الْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ أَوْ الْكِلَابِ أَضَلُّ مِنْ قَوْمٍ هَذَا مِقْدَارُ عَقُولِهِمْ، أَنْ يُحْجِزُوا أَنْ تَكُونَ لَعْنَةُ مَخْلُوقٍ تَلْحَقُ الْخَالِقَ؟"^(٨).

وَمِنْ أَهَمِّ الْمُلَاحَظَاتِ عَلَى الرَّسَالَةِ كَثْرَةُ الْأَلْفَافِ الْبَذِينَةِ وَالْمُهِينَةِ فِي مُحَاطَبَةِ ابْنِ نَغْرِيْلَةَ؛ فَتَعَتَّهُ بِالزَّنْدِيقِ الْمُسْتَنَرِّ بِالْيَهُودِيَّةِ^(٩) وَبِالزَّنْدِيقِ الْجَاهِلِ^(١٠)، وَبِالزَّنْدِيقِ الْمَائِقِ^(١١) وَالْمَائِقِ

-
- ١ - ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النَّغْرِيْلَةِ الْيَهُودِيِّ ٦٢/٣.
 - ٢ - انْظُرْ: نَفْسُهُ؛ وَالْأَبْيَاتُ هِيَ: بَيِّنَاتُ لَابِنِ الرُّومِيِّ ٤١/٣، بَيِّنَاتُ لَابِنِ ثُبَاتَةَ ٤٢/٣، وَبَيِّنَاتُ الْمُتَنَبِّيِّ ٤٥/٣.
 - ٣ - انْظُرِ الرَّسَالَةَ: ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النَّغْرِيْلَةِ الْيَهُودِيِّ ٥٥/٣.
 - ٤ - انْظُرِ الرَّسَالَةَ: نَفْسُهُ ٥٥/٣ - ٥٦.
 - ٥ - مُسْكَةٍ: رَأْيٌ وَعَقْلٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [مُسَك] ٤٨٨/١٠.
 - ٦ - ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النَّغْرِيْلَةِ الْيَهُودِيِّ ٦٢/٣.
 - ٧ - انْظُرِ الرَّسَالَةَ: نَفْسُهُ ٦١/٣.
 - ٨ - نَفْسُهُ ٥٧/٣.
 - ٩ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٤٣/٣.
 - ١٠ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٤٣/٣، ٥٠، ٥٣، ٥٦.
 - ١١ - انْظُرْ: نَفْسُهُ ٥٣/٣.

الْجَاهِلِ^(١) وَالْمَائِقِ^(٢) وَالْجَاهِلِ الْمَائِقِ^(٣) وَالْأَنُوكِ^(٤) وَالْجَاهِلِ الْأَنُوكِ^(٥) وَالزَّنْدِيقِ الْأَنُوكِ^(٦) وَالْحَسِيسِ^(٧) وَالْحَسِيسِ الْمَائِقِ^(٨)، وَالْحَسِيسِ الْجَاهِلِ^(٩) وَالْجَاهِلِ^(١٠) وَالْجَاهِلِ الشَّقِيَّ^(١١) وَالْجَاهِلِ الْوَقَّاحِ^(١٢)، وَالْمَجْنُونِ^(١٣) وَالْمَجْنُونِ الْجَاهِلِ^(١٤) وَالْوَقَّاحِ الْمَجْنُونِ^(١٥)، وَالْوَقَّاحِ الزَّنْدِيقِ^(١٦)، وَقَدْ بَانَ فِيهِ كُلُّهُ زُورُهُ وَجَهْلُهُ وَاعْتِرَارُهُ^(١٧)، وَ"جَهْلُهُ أَعْمَى بِصِيرَتِهِ وَطَمَسَ إِدْرَاكُهُ"^(١٨). وَلَمْ يَفْصِلْهُ عَنْ أُنْبَاءِ مِلَّتِهِ، فَهُوَ "عَمِيدُ الْيَهُودِ وَعَالِمُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، وَهَذَا مَبْلَغُهُ مِنَ الْجَهْلِ وَالسُّخْفِ"^(١٩). وَقَالَ إِنَّهُ "عَدِيمُ الْعَقْلِ سَلِيبُ التَّمْيِيزِ مَطْمُوسُ عَيْنِ الْقَلْبِ ظَلِيمُ الْجَهْلِ،... لَمْ يَقْطَعْ دَهْرَهُ إِلَّا بِالسَّرِقَةِ وَلَا أَقْنَى عُمْرَهُ إِلَّا بِالْخِيَانَةِ وَالْغَشِّ"^(٢٠).

وَجَاءَتْ أَلْفَاظُ الرِّسَالَةِ سَهْلَةً وَعَلَى مَعَانِيهَا الْحَقِيقِيَّةِ؛ تَخْتَفِي مِنْهَا الْمَعَانِي الْمَجَازِيَّةُ إِلَّا مَا جَاءَ فِي بَدْءِ الرِّسَالَةِ وَمَا اخْتَوَتْهُ الْأَشْعَارُ الْمُضْمَنَةُ فِيهَا، وَاسْتَعْمَلَ ابْنُ حَزْمٍ أَسْلُوبَ الشَّرْطِ كَثِيرًا، فَأَكْثَرَ مِنْ اسْتِخْدَامِ "لَوْ" فِيهِ، وَامْتَنَزَتْ الرِّسَالَةُ بِطُولِ الْعِبَارَاتِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ، مِنْهَا قَوْلُهُ: "لَيْسَ فِي حَمَاقَتِهِمُ الْمُبَدَّلَةُ الَّتِي يُسَمُّونَهَا "النُّورَةَ" ذِكْرُ أَجْرٍ وَلَا ثَوَابٍ لِمُحْسِنٍ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَا عِقَابٌ لِمُسِيءٍ فِي الدُّنْيَا أَصْلًا وَلَا فِي الْكُتُبِ الَّتِي يَنْسَبُونَهَا إِلَى أَنْبِيَائِهِمْ مِنْ هَذَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ. فَلَوْ نَظَرَ هَذَا الْمَجْنُونُ فِيمَا يَنْسَبُونَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَصْوِيبِهِ دَاءَ امْرَأَةٍ دَعَتْ لَهُ، فَقَالَتْ: وَلَا زَالَتْ أَرْوَاحُ أَعْدَائِكَ يَدُورُ بِهَا الْفَلَكُ؛ وَهَذَا يُطَالُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ إِلَّا عَلَى مَعْنَى النَّتَاسُخِ لِمَا ذَكَرُوهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ

١ - انظر: ابن حزم رسائله: رسالة في الرد على ابن نغريلة اليهودي ٤٣/٣، ٤٥، ٥٠، ٥٥.

٢ - انظر: نفسه ٥٦/٣.

٣ - انظر: نفسه ٤٦/٣.

٤ - انظر: نفسه ٥٥/٣، ٥٦.

٥ - انظر: نفسه ٥٤/٣، ٥٥.

٦ - انظر: نفسه ٤٤/٣.

٧ - انظر: نفسه ٥٥/٣، ٥٦.

٨ - انظر: نفسه ٤٨/٣.

٩ - انظر: نفسه ٤٦/٣، ٤٩.

١٠ - انظر: نفسه ٤٦/٣، ٥٥.

١١ - انظر: نفسه ٥٠/٣.

١٢ - انظر: نفسه ٤٣/٣.

١٣ - انظر: نفسه ٤٤/٣، ٥٠، ٥٣، ٦٠.

١٤ - انظر: نفسه ٥٣/٣.

١٥ - انظر: نفسه ٥١/٣.

١٦ - انظر: نفسه ٥٣/٣.

١٧ - انظر: نفسه ٥٦/٣.

١٨ - نفسه ٤٣/٣.

١٩ - نفسه ٥٦/٣.

٢٠ - نفسه ٤٨/٣.

إِنَّ هُنَالِكَ نَارًا وَنَعِيمًا؛ وَمِثْلُ مَا يَنْسِبُونَهُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَلِكَ، أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً: إِنَّ الْعَالَمَ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَأَنَّهُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى: أَنَا كُنْتُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ. فَلَوْ أَنَّ هَذَا الْجَاهِلَ الشَّقِيَّ اشْتَغَلَ بِمِثْلِ هَذَا وَشَبِيهِهِ مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ لَكَانَ أَوْلَى بِهِ مِنْ تَكْلِيفِ مَا لَا يُحْسِنُ وَلَا يَذَرِي، مِمَّا قَدْ فَضَحَهُ اللَّهُ فِيهِ عَاجِلًا، وَيُخْزِيهِ آجِلًا" (١)، وَمِثْلُهَا قَوْلُهُ: "وَلَكِنَّ هَذَا الْوَقْخَ الْمَجْنُونُ لَوْ تَدَبَّرَ مَا فِي كَذِبِهِمْ الْمُفْتَرَى الَّذِي يُسَمُّونَهُ "التَّوْرَةَ" فِي السَّفَرِ الثَّانِي مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ: إِنِّي أَرَى هَذِهِ الْأُمَّةَ قَاسِيَةً الرَّقَابِ، دَعْنِي لِأَعْقَبِ غَضَبِي عَلَيْهِمْ لِأَهْلِكُهُمْ وَأُقَدِّمَكَ عَلَى أُمَّةٍ عَظِيمَةٍ. ثُمَّ ذَكَرُوا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا رَبَّهُ تَعَالَى وَقَالَ فِي دُعَائِهِ: تَذَكَّرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَإِسْحَاقَ عِبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِذَلِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ سَأَكُونُ دُرِّيَّتُكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُورِثُهُمْ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ بِهَا وَيَمْلِكُونَهَا أَبَدًا، فَحَنَّ السَّيِّدُ وَلَمْ يَتِمَّ مَا أَرَادَ أَنْزَالَهُ بِأُمَّتِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ" (٢).

وَجَاءَتْ أَغْلَبُ الْأَفْعَالِ فِي الرَّسَالَةِ بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي فِيمَا قَالَ ابْنُ نَعْرِيَّةَ بَيْنَمَا الْمُضَارِعُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ مَا يَقُولُ الطَّوَامُ، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَوْلَ إِنَّ ابْنَ نَعْرِيَّةَ قَالَ مَا قَالَ عَنِ الْقُرْآنِ وَسَيُنْتَهِي قَوْلُهُ بِهِذَا الرَّدِّ الْمَفْحَمِ، لَكِنَّ أَقْوَالَ الطَّوَامِ يَتَوَارَثُهَا الْيَهُودُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ وَلَا يَسْتَطِيعُ ابْنُ حَزْمٍ إِيقَافَ أَقْوَالِهِمْ لِأَنَّهَا مِنْ صَمِيمِ دِينِهِمْ رُغْمَ تَنَاقُضِهَا الْوَاضِحِ، وَرُغْمَ سُخْفِهَا.

وَتَكَادُ رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ تَقْتَرِبُ فِي أُسْلُوبِهَا مِنْ أُسْلُوبِ النَّثْرِ التَّالِيفِيِّ الَّذِي تَكْتَبُ فِيهِ الْمُؤَلَّفَاتُ الدِّينِيَّةُ وَالْعِلْمِيَّةُ؛ فَقَدْ اعْتَمَدَ عَلَى الْأَفْكَارِ الْوَاضِحَةِ وَالْأَدَلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ الْمُؤَيَّدَةِ، وَابْتَعَدَ عَنِ الصُّورِ الْبَيِّنَاتِ وَالتَّشْبِيهَاتِ، كَمَا ابْتَعَدَ عَنْ فُنُونِ الْبَدِيعِ الَّتِي كَانَتْ شَائِعَةً فِي كِتَابَةِ الرَّسَالَةِ.

كَمَا أَنَّ مَنَاقِشَةَ الْيَهُودِ فِي دِينِهِمْ كَانَتْ وَارِدَةً عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَأَنَّهَا لَمْ تَقِفْ عِنْدَ الرَّسَائِلِ كَمَا حَصَلَ مَعَ ابْنِ حَزْمٍ، بَلْ وَضِعَتْ مُؤَلَّفَاتٌ تُشِيرُ إِلَى هَذَا الصَّرَاحِ الدَّائِرِ بَيْنَ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ فِي الْأَنْدَلُسِ؛ يَذْكُرُ ابْنُ الْخَطِيبِ مَثَلًا فِي "الإِحَاطَةِ" فِي تَرْجَمَتِهِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّقُورِيِّ أَنَّ لَهُ كِتَابًا بِعُنْوَانِ "قَمْعُ الْيَهُودِ عَنْ تَعْدِي الْحُدُودِ" قَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ إِنَّ صَاحِبَهُ "أَحْسَنَ فِيهِ مَا شَاءَ" (٣).

ثَالِثًا :- الْأَدِيبُ الْيَهُودِيُّ ابْنُ حَسْدَايَ .

كَانَ ابْنُ حَسْدَايَ مِنَ الْأَدْبَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَتَبُوا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَكَانَ لَهُ دُورٌ كَبِيرٌ فِي إِظْهَارِ الْيَهُودِ، وَسَبَقَتْ التَّرْجَمَةُ لَهُ بَيْنَ شُعَرَاءِ الْأَنْدَلُسِ، كَمَا تَحَدَّثُ الْبَحْثُ بِاسْتِيفَاضَةٍ عَنْ دَوْرِهِ فِي النَّثْرِ الْحَدِيثِ عَنِ رَسَائِلِهِ .

١ - ابْنُ حَزْمٍ رَسَائِلُهُ ؛ رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ النَّعْرِيَّةِ الْيَهُودِيِّ ٥٠/٣ .

٢ - نَفْسُهُ ٥١/٣ .

٣ - ابْنُ الْخَطِيبِ الإِحَاطَةُ ١٧٩/٣ .

الخاتمة

في هذا البحث عن اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس، توصلت إلى نتائج عديدة منها:

- ١- اختفاء الحديث المطول عن اليهود وما يتعلق بهم من شعر أو نثر في المصادر؛ فقد أغفلت المصادر الحديث عن اليهود وتجاهلتهم عمداً، في الوقت الذي ركزت عنايتها على كل ما كان عربياً أو له علاقة وثيقة بالعرب. وحين جاء ذكرهم كان شذرات تظهر في السرد العام للأحداث التي رافقت עליّة القوم. رافق هذا طغيان نظرة استخفاف باليهود على معظم المصادر التي ذكرتهم. وظهر هذا في عبارات اللغة التي كانت تذكر تالية لأسمائهم في كثير من المصادر.
- ٢- ظهور دور لليهود مع المتمردين والثائرين على ممالك دولة الإسلام في الأندلس.
- ٣- نال اليهود حرية كبيرة في المجتمع الإسلامي في الأندلس؛ فتولوا الوظائف الرسمية الهامة منها الكتابة والسفارة، حتى إنهم وصلوا إلى قمة الهرم الاجتماعي والسياسي بوصولهم إلى رئاسة الوزراء أحياناً، كما تمتعت الطائفة اليهودية بالحرية الدينية، مما أدى إلى دخول بعض يهود الأندلس في الإسلام.
- ٤- نال اليهود في الأندلس تعليمًا جيدًا سواء في مدارسهم الدينية أو مع الطلاب الأندلسيين المسلمين، وشاركوا في كثير من مناحي الحياة الثقافية في الأندلس لتمكينهم من علوم عصرهم، وعلى رأسها الطب والفلك والتنجيم.
- ٥- كان لابن نغريلة وابن حسداي الوزيران اليهوديين أثرٌ في الشعر والنثر وفي اجتلاب الأدباء إلى بلاطهما.
- ٦- تكرار لفظ "القرْد" أو "الخنزير" و"الأندال" و"العلوج" في السخرية من اليهود في الأدب الأندلسي، وكان نعت اليهود بالقرود أكثر من نعتهم بأي شيء آخر في الهجاء، وأحياناً كان يأتي لفظ "القرْد" مفرداً، وأحياناً كان يأتي مع صفة تزيد من فحجه ومن البذاءة فيه.
- ٧- ظهور اليهود في شعر الفتن والمدائح، وخير مثال على هذا كانت نونية أبي إسحاق الألبيري التي بلغت واحداً وستين بيتاً حيث كانت دعوة صريحة لدبح يهود غرناطة، وتتفق المصادر على أن الألبيري قالها في ابن نغريلة الوزير اليهودي.
- ٨- كان السامري ويوشع بن نون وبلعام والسموال أشهر أعلام اليهود بالأدب الأندلسي.
- ٩- يعد ابن سهل الإسرائيلي وأبو الفضل بن حسداي أشهر أدباء اليهود في الأندلس، وظهرت لهم بعض النصوص في المصادر. وجاءت الإشارة إلى آخرين منهم لكن لم تحتفظ لهم المصادر بقطع شعرية أو نثرية كثيرة، وبعضهم كان يذكر اسمه دون إثبات أي شيء من أدبه.
- ١٠- رسائل ابن حسداي مثال واضح على أن اليهود في الأندلس كانوا على علم واسع بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وعلوم العربية وآدابها، وأن بعض اليهود كانوا على ثقافة واسعة متنوعة.

وبناءً على هذه النتائج يتقدم البحث ببعض التوصيات للباحثين منها:

الخاتمة

- ١- أن يُوليَ الباحثون المهتمون بالأدب فئة اليهود اهتمامًا بالبحث في المخطوطات غير المنشورة ، لعلَّ بها بعضًا من الأدب المفقود لهذه الفئة .
- ٢- أن يعمل المهتمون بالتاريخ على إعداد البحوث العلمية حول تاريخ اليهود في الأندلس لأنَّ الغاية الأدبية للبحث لم تدع مجالاً لتوفيق هذا الموضوع حقَّه .
- ٣- إعداد أبحاث مستقلة عن أثر كلِّ من ابن نغريلا وابن حسداي اليهوديين في الأدب العربي .
- ٤- أن يحاول المهتمون بالأدب العبري والذين يعرفون اللغة العبرية البحث في أثر العرب على أدب اليهود في الأندلس .
- ٥- أن يحاول المختصون باللغة العبرية والمهتمون بالأدب العبري البحث عن وجود خرجاتٍ بالعبرية مستعارة من اليهود في الموشحات العربية في الأندلس .

الملاحق

- أولاً:- جداول حول "الإسرائيلي والعبري واليهودي ومشتقاتها" في بعض كتب التراث.
- ثانياً :- أشهر معتقدات اليهود وأنبيائهم وعظمائهم .
- ثالثاً :- ملاحق القصائد والمقطعات الشعرية
- رابعاً :- ملاحق القطع النثرية

أولاً:- جداول حول "الإسرائيلي والعبري واليهودي ومشتقاتها" في بعض كتب التراث.

الكلمة	الأخيرة	التكملة لكتاب الصلة	الخط السيرة	المعجب	المعرب	مقدمة بن الخدون	لرؤض لمطار	لح الطيب	الاستقصا	مجموع تكرار الكلمة في كل الكتب المذكورة
بن / أبي سرييل	0	0	0	0	0	0	0	2	0	2
سريلي	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
سرييل	0	0	0	0	0	5	0	0	0	5
سريله	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1
سريلية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
سريليا	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1
سريليان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
سريلين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
سريليتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
سريليتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
سريليون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
سريليات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
بنو / بني سرييل	2	0	0	0	1	30	3	4	10	50
بنات سرييل	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
بناء سرييل	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
لاسريلي	1	0	0	0	1	1	1	9	0	13
لاسريلية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
لاسريليان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
لاسريلين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
لاسريليتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
لاسريليتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
لاسريليون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
لاسريليات	0	0	0	0	0	1	0	0	0	1
المجموع	3	0	0	0	2	37	4	17	10	73

جدول رقم ١ : حول ورود "إسرائيلي" واشتقاقاتها في بعض كتب التراث

الجدول

الكلمة	النخيرة	التكملة لكتاب الصلة	الحلة السيرة	المعجب	المعرب	مقدمة ابن خلدون	الروض المعطر	نفح الطيب	لاستقصا	مجموع تكرار الكلمة في كل الكتب المذكورة
عبري	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبرية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبريا	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبريان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبريين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبريتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبريتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبريون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبريات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبري	0	1	0	0	0	0	0	0	0	1
العبرية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبريان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبريين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبريتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبريتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبريون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبريات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبراني	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبرانية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبرانيان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبرانيين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبرانيتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبرانيتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبرانيون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
عبرانيات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبراني	0	0	0	0	0	0	0	0	2	2
العبرانية	0	0	0	0	0	1	0	0	1	2
العبرانيان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبرانيين	0	0	0	0	0	1	0	0	0	1
العبرانيتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبرانيتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبرانيون	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
العبرانيات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع	0	1	0	0	0	0	0	0	3	6

عبري ومشتقاتها

جدول رقم ٢ : حَوْلَ ورود "عبري / عبراني" واشتقاقاتها في بعض كتب التراث

الجدول

الكلمة	الأخيرة	التكملة لكتاب الصلة	الخلة السيرة	المعجب	المغرب	مقمة ابن خلدون	لروض المفطار	نفح الطيب	الاستقصا	مجموع تكرار الكلمة في كل الكتب المذكورة
يهودي	5	0	0	3	1	1	3	12	7	32
يهوديا	0	0	0	0	0	1	1	8	3	13
يهودية	0	0	0	0	0	0	0	0	3	3
يهوديان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
يهوديين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
يهوديات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
يهوديتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
يهوديات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
يهود	4	0	1	1	1	0	7	4	14	32
يهودا	0	0	0	0	0	0	2	1	0	3
اليهودي	18	0	1	4	10	0	8	26	30	97
اليهودية	2	0	0	0	0	1	6	3	5	17
اليهوديان	0	0	0	0	0	0	0	0	1	1
اليهوديين	0	0	0	0	0	0	0	0	4	4
اليهوديتان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
اليهوديتين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
اليهوديات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
اليهود	8	0	4	5	7	13	69	44	44	194
المجموع	37	0	6	13	19	16	96	98	111	396

جدول رقم 3 : حول ورود "يهودي" واشتقاقاتها في بعض كتب التراث

الجدول

الكلمة	النخيرة	التكملة لكتاب لصلة	الخطة السيرة	لمعجب	المغرب	مقلمة بن خلدون	لرفض لمعطر	نفع الطيب	لاستقصا	مجموع تكرار الكلمة في كل الكتب المذكورة
بن / بي سرائيل	0	0	0	0	0	0	0	2	0	2
سرايل	0	0	0	0	0	5	0	0	0	5
سراييه	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1
سرايليا	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1
بنو / بني سرائيل	2	0	0	0	1	30	3	4	10	60
لإسرائيلي	1	0	0	0	1	1	1	9	0	13
لإسرائيليات	0	0	0	0	0	1	0	0	0	1
المجموع	3	0	0	0	2	37	4	17	10	73
عبري	0	1	0	0	0	0	0	0	0	1
عبراني	0	0	0	0	0	0	0	0	2	2
عبرانية	0	0	0	0	0	1	0	0	1	2
عبرانيين	0	0	0	0	0	1	0	0	0	1
المجموع	0	1	0	0	0	2	0	0	3	6
يهودي	5	0	0	3	1	1	0	12	7	29
يهوديا	0	0	0	0	0	1	0	8	3	12
يهودية	0	0	0	0	0	0	1	0	3	4
يهود	4	0	1	1	1	1	7	4	14	33
يهود	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1
ليهودي	18	0	1	4	10	0	0	26	30	89
ليهودية	2	0	0	0	0	1	6	3	5	17
ليهوديان	0	0	0	0	0	0	0	0	1	1
ليهوديين	0	0	0	0	0	0	0	0	4	4
ليهود	8	0	4	5	7	13	69	44	44	194
المجموع	37	0	6	13	19	17	83	98	111	384
463	مجموع كل الكلمات									

جدول رقم 4 : ملخص عن ورود "يهودي، إسرائيلي، عبري" واشتقاقاتها
في بعض كتب التراث

ثانياً :- أشهر معتقدات اليهود وأنبيائهم وعظماهم .

"التجسيم" من أهم معتقدات اليهود التي بدا لها أثر في الأدب الأندلسي، ويوضحه ما جاء في "فتح الباري" حول قوله تعالى: (وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) ^(١) فيروى أنه "جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والترى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر، ثم قرأ الرسول ﷺ الآية ^(٢) "ثم يكمل: "ظاهر الحديث أن النبي ﷺ صدق الخبر في قوله: إن الله تعالى يقبض السماوات والأرضين والمخلوقات بالأصابع... قال بعض المتكلمين ليس ضحكهم وتعبه وتلاوته الآية تصديقا للخبر، بل هو رد لقوله وإنكار وتعب من سوء اعتقاده؛ فإن مذهب اليهود التجسيم، ففهم منه ذلك... هذا كله قول اليهودي وهم يعتقدون التجسيم وأن الله شخص ذو جوارح" ^(٣) فيعني التجسيم ^(٤) النظر إلى أن الله صفاتاً مادية كالأشخاص أو الأجسام تماماً وأنه جسم له ما للجسم من صفات من حيث امتلاكه الأعضاء أو الحول بحيز وما يتبع هذا من القويّة أو التحتيّة مثلاً إلى غير ذلك من الصفات التي يتّصف بها الجسم عادة ^(٥) .

أما بالنسبة لأنبياء اليهود وعظماهم المذكورة في التوراة، إلا أن البحث معني بالذين ظهر لهم أثر واضح على المجتمع والأدب الأندلسي، فكان منها يوشع وبلعام والسامري :

١ - السامري

كان السامري ^(٦) من مشاهير اليهود الذين ظهرُوا في الأدب الأندلسي، وهو الذي أخرج العجل لبني إسرائيل مدعيًا أنه الإله موسى عليه السلام، وقد وردت تسميته في القرآن ثلاث مرّات وذلك بعد أن رجّع النبي موسى من ميقات ربه، بقوله تعالى: (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ).... قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَامِرِيُّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ

١ - سورة الزمر، آية 67.

٢ - البخاري صحيحه 6 157 ؛ ابن كثير "تفسيره" 4 62

٣ - العسقلاني فتح الباري ٣٩٨/١٣ .

٤ - للمزيد عن التجسيم عند اليهود، انظر في الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي، فقد خصص فصلا في الحديث عن اليهود بعنوان الكلام على اليهود وعلى من أنكر التثليث من النصارى وفصلا آخر بعنوان التثليث في التوراة بدأ من أيام إبراهيم عليه السلام وفصلا آخر بعنوان في التوراة تمهيد للنصارى للقول بالتثليث وآخر بعنوان التجسيم والتشبيه في التوراة، وذلك في حديثه عن مناقضات ظاهرة في التوراة .

٥ - انظر: العسقلاني فتح الباري ٣٩٣/١٣ - ٣٩٨ .

٦ - انظر قصة السامري في: ابن كثير تفسيره ١٥١-١٥٢، التويزي تهاية الأرب ١٣/٢٢٣-٢٢٩؛ العسقلاني فتح الباري ٧/٨٤-٨٦.

لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ (١)، وَمِنَ الْقُرْآنِ مَعَ مَا وَصَلَ لِلْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ كَانَتْ قِصَّةُ السَّامِرِيِّ عِنْدَ ابْنِ كَثِيرٍ (ت. ٧٧٤هـ) بِقَوْلِهِ: "وَكَانَ هَارُونَ قَدْ حَاطَبَهُمْ [يعني بني إسرائيل] وَقَالَ: إِنَّكُمْ قَدْ خَرَجْتُمْ مِنْ مِصْرَ وَلِقَوْمَ فِرْعَوْنَ عِنْدَكُمْ عَوَارِيٌّ وَوَدَائِعُ وَلَكُمْ فِيهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ، فَإِنِّي أَرَى أَنَّكُمْ تَحْتَسِبُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَهُمْ وَلَا أَحِلُّ لَكُمْ وَدِيعةً اسْتَوْدَعْتُمُوهَا وَلَا عَارِيَّةً، وَلَسْنَا بِرَادِّيَنِ إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَلَا مُمَسْكِيهِ لَأَنْفُسِنَا، فَحَقَّرَ حَفِيرًا وَأَمَرَ كُلَّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ حِلْيَةٍ أَنْ يَقْدِفُوهَا فِي ذَلِكَ الْحَفِيرِ ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهِ النَّارَ فَأَحْرَقَتْهُ، فَقَالَ: لَا يَكُونُ لَنَا وَلَا لَهُمْ، وَكَانَ السَّامِرِيُّ مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ حِيرَانَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢) وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاحْتَمَلَ مَعَ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ اخْتَمَلُوا، فَقَضَى لَهُ أَنْ رَأَى أَثَرًا فَقَبَضَ مِنْهُ قَبْضَةً فَمَرَّ بِهَارُونَ فَقَالَ لَهُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا سَامِرِيُّ أَلَا تُلْقِي مَا فِي يَدِكَ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهِ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ طَوْلَ ذَلِكَ فَقَالَ هَذِهِ قَبْضَةٌ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ الَّذِي جَلَّوَزَ بِكُمْ الْبَحْرَ وَلَا أَلْقِيَهَا لِشَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ إِذَا أَلْقَيْتَهَا أَنْ يَجْعَلَهَا مَا أُرِيدُ. فَأَلْقَاهَا وَدَعَا لَهُ هَارُونَ، فَقَالَ أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَجَلًا فَاجْتَمَعَ مَا كَانَ فِي الْحَفِيرَةِ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ حِلْيَةٍ أَوْ نُحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ فَصَارَ عَجَلًا أَجُوفَ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ وَلَهُ خَوَارٌ... فَلَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ مَا قَالَ أَخْبَرَهُ بِمَا لَقِيَ قَوْمَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبًا أَسْفًا، فَقَالَ لَهُمْ مَا سَمِعْتُمْ فِي الْقُرْآنِ. وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ وَالْقَى الْأَلْوَاخَ مِنَ الْغَضَبِ ثُمَّ إِنَّهُ عَذَرَ أَخَاهُ بِعُذْرِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى السَّامِرِيِّ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ، قَالَ: قَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ وَقَطَنْتُ لَهَا وَغَمِيتُ عَلَيْكُمْ فَبَدَدْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، قَالَ: فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ [أي لا تماس] النَّاسَ وَلَا يَمَسُّوكَ]، وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا وَلَوْ كَانِ إِلَهُهُ لَمْ يَخْلُصْ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُ فَاسْتَيْقَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالْفِتْنَةِ" (٣).

٢ - يوشع بن نون

لَا حَظَّ أَنْ يُوْشَعَ بَنُ نُونٍ مِنْ أَكْثَرِ الشَّخْصِيَّاتِ التَّوْرَانِيَّةِ أَثَرًا عَلَى الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَهُوَ أَحَدُ أَنْبِيَاءِ الْيَهُودِ الْمَشْهُورِينَ فِي "التَّوْرَةِ" (٤)، وَالسَّامِرَةِ (٥) مِنْهُمْ يَعُدُّونَهُ آخِرَ نَبِيِّ نَزَلَ عَلَيْهِمْ،

١ - سُورَةُ طه، آيَةُ ٨٥ - ٩٨ .

٢ - وَرَدَ فِي الرُّوضِ الْمُعْطَارِ أَنَّ صَاحِبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَرْضِ كَرْمَانَ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ فَارِسَ قَرِيبَةً مِنْ خُرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ وَفِي جَنُوبِ بَحْرِ فَارِسَ . انْظُرْ: الرُّوضُ الْمُعْطَارُ ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

٣ - ابْنُ كَثِيرٍ تَفْسِيرُهُ ١٥١/٣ - ١٥٢، وَانْظُرْ الْقِصَّةَ فِي: التَّوْرَةِ تَهَايَةِ الْأَرْبِ ٢٢٩/١٣ .

٤ - فِي بَعْضِ الْكُتُبِ يُوْشَعَ وَصِيُّ النَّبِيِّ مُوسَى وَقَتَاهُ وَالْقَائِمُ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ انْظُرْ: الشَّهْرَسْتَانِيُّ الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ ٢١١/١ .

٥ - السَّامِرَةُ: قَبِيلَةٌ مِنْ قِبَائِلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخَالِفُونَهُمْ فِي بَعْضِ دِينِهِمْ؛ إِلَيْهِمْ نَسَبُ السَّامِرِيِّ الَّذِي عَبْدَ الْعَجَلِ. وَهُمْ يَنْسَبُونَ إِلَى مَدِينَةِ السَّامِرَةِ Samaria وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ شومرون نسبةً إِلَى شَمْرِ الَّذِي كَانَ يَمْتَلِكُ التِّلَ الَّذِي بُنِيَتْ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ. تَقَعُ عَلَى بَعْدِ ثَلَاثِينَ مِيلًا إِلَى الشَّامِ مِنَ الْقُدْسِ، وَسِتَّةَ أَمْيَالٍ إِلَى الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنْ نَابِلُسَ الَّتِي يَحْجُ إِلَى جَبَلِ بَهَا السَّامِرِيِّونَ فِي عِيدِ الْفَصْحِ. وَالْآنَ يُطْلَقُ الصَّهَابِيُّونَ مِصْطَلَحَ يَهُودَا وَالسَّامِرَةُ عَلَى الصَّفَةِ الْغَرْبِيَّةِ لِتَسْوِيقِ الضَّمِّ، وَقَدْ تَأَسَّسَتْ جَمَاعَاتُ سَامِرِيَّةٍ فِي كُلِّ مِنْ: سَالُونِيكَ وَرُومَا وَحَلِبَ وَدِمَشْقَ وَغَزَةَ وَعَسْقَلَانَ وَمِصْرَ . انْظُرْ: يَأْقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٧٤/٤، ٢٤٨/٥ .

المُفَرِّزِيُّ الْمَوْاعِظُ وَالْإِعْتِبَارُ ٩٥٥/٤ - ٩٥٨؛ الْقَلْقَشَنْدِيُّ صَبِيحُ الْأَعْشَى ٢٧٠/١٣ - ٢٧١؛ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَسِيرِيُّ مَوْسُوعَةُ الصَّهْبُونِيَّةِ ١١٨/٤ - ١١٩، ٣١٩/٥ - ٣٢١؛ رَجَا عُرَابِي سَفَرُ التَّارِيخِ الْيَهُودِيِّ ٣٥٨ - ٣٥٩؛ ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [سَمَر] ٣٨٠/٤ .

== أشهر معتقدات اليهود وأنبيائهم ==

و"لا يؤمنون بنبي بعد يوشع" (١). ويعود نسب (٢) يوشع في معظم المصادير إلى النبي يوسف بن يعقوب مع اختلاف في أسماء آبائه وعددهم من مصدر آخر (٣)، واحتل يوشع مساحة واسعة في التوراة، وسُمي باسمه [يشوع] سفر كبير مكوّن من أربعة وعشرين إصحاحاً (٤) ابتداء الإصحاح الأول منها بالتالي: "وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات. فالآن قم اغزر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل" (٥). وفي هذا تأكيد أنه نبي عندهم، وأنه أخذ النبوة بعد وفاة النبي موسى، لكن هذا لا يؤكد نبوته عند المسلمين (٦).

واختلفت المصادير العربية إن كان نبياً مرسلًا كما جاء في التوراة، أم أنه حبر مشهور حكم فيهم فترة من الزمن (٧)؛ فكتاب "معجم البلدان" يعده نبياً ويتبع اسمه دائماً بالسلام عليه كبقية

١ - ابن كثير تفسيره ٥٧٢/١ .

٢ - نسبه عند الطبري : يوشع بن نون بن إفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وهذا بعيد عن الصحة عند غيره لأن يوشع كان بعد موسى وطرف نسبه في زمان النبي داود . وكان بين داود وموسى ما ينيف عن ألف سنة

بينما نسبة عند أبي الفداء: يوشع بن نون بن إيشامع بن عميهوذ بن لعان بن تاحن بن تالح بن راشف بن رافح بن بريعا بن إفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم
انظر: الطبري تاريخه ٤٣٥/١؛ أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٢٠/١ .

٣ - انظر: البخاري صحيحه ٤٠/١ ٤١ [باب الإنصات إلى العلماء]؛ الطبري تاريخه ٤٣٥/١؛ العسقلاني فتح الباري ٢٧٢/٦؛ محمد الفصاعي الإنباء بأنباء الأنبياء ص ٧١؛ أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٢٠/١ - ٢١؛ ابن كثير تفسيره ٣٠٠/١ .

٤ - انظر قصة يوشع أو يشوع في: التوراة سفر يشوع؛ الطبري جامع البيان ٥٩٦/٢ - ٦١٠؛ القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٢٦/٦ - ١٣٣؛ ابن حزم جمهرة أنساب العرب ٥٠٨، ٥٠٥؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ ١١٤/١؛ التويري تهذيب الأرب ١/١٤؛ العسقلاني فتح الباري ٩٢/٧ - ٩٣، ٣٢٩/٩ - ٣٤٦؛ رجا عزابي سفر التاريخ اليهودي ١٨١ - ١٨٧ .

٥ - التوراة : سفر يشوع ١/١ - ٣ .

٦ - يرى د. أسامة محمد أبو نحل (رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الأزهر. غزة) أن ما قيل عن قيادة يشوع بن نون لبني إسرائيل بعد وفاة موسى عبارة عن مزاعم تحتاج لبحث خاص فيوشع كما تصوره المزاعم التوراتية شخصيته أسطورية، وقد لا يكون له وجود على مسرح التاريخ. واعتمد في دراسته على عدة دلائل كان منها ما جاء في دراسة لباحث إسرائيلي هو إسرائيل فنكلشتاين بين فيها أن الدراسات الأثرية الحديثة أثبتت أن أريحا لم تكن محاطة بسور بالمرّة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فترة العصر البرونزي المتأخر. ولم يتم إيجاد أي أثر لأي موقع سكاني في مواقع كثيرة أخرى ورد ذكرها في التوراة، أي أن دمار المدن الكنعانية لم يكن نتيجة لحملة احتلالية واحدة بقيادة عسكري واحد (يشوع بن نون) كما زعم سفر يشوع بالقتال المباشر مع سكانها الأصليين بل عن طريق التسلّل السلمي Infiltrate Peacefully أي داخل المناطق غير المأهولة بالسكان أو المناطق التي كان سكانها متناثرين، بل عملية متواصلة لفترة مائة عام على الأقل دمرت خلالها مدن وتجمعات سكنية في المنطقة.

انظر: أسامة محمد أبو نحل قيادة يشوع بن نون لبني إسرائيل: بين الواقع والأسطورة

http://www.fustat.com/ancient_hist/yashou%20ben%20noon.shtml

٧ - أبو الفداء مثلاً، لا يؤيد القول بنبوة يوشع بعد موسى، لكنه أشار إلى قول بأن يوشع قد تنبأ زمن موسى ثم حثّ بينهما ما جعل موسى يسأل الله الموت، فمات موسى عليه السلام، فقام يوشع بتدبير أمور بني إسرائيل بعد موسى، ثم ارتحل بهم إلى أريحا فقاتلوا الجبارين فيها وانصروا عليهم. فلم يتولّى على بني إسرائيل ملكاً بعد موت موسى بل كان لهم حكام سدوا مسدّ الملوك حتى قام فيهم طألوث آخر ملوكهم.
انظر: ابن حزم جمهرة أنساب العرب ٥٠٩؛ أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٢٠/١ - ٢١ .

== أشهر معتقدات اليهود وأنبيائهم ==

الأنبياء^(١) وكذلك "وفيات الأعيان" و"تفسير القرطبي"^(٢)، ويذكر ول ديورانت أن يوشع لم يكن إلا جندياً فظاً^(٣). ويترجح القول بأن يكون يوشع من نسل الأنبياء، لكن لا يمكن الجزم بنبوته، فلم يذكر اسم يوشع في القرآن ولم تؤكد المصادر العربية المأمومة من الإسرائيليات نبوته^(٤)، وجاءت أخبار وقصص يوشع^(٥) عند بعض المفسرين معتمدين على الإسرائيليات في معظم الأحيان، وبهذا غلب تأثير اليهود ومروياتهم على ما كتب حول يوشع في التاريخ العربي^(٦). واختلف من قالوا بنبوته إن كانت مسيرته للقضاء على الجبارين في حياة موسى عليه السلام أم بعد وفاته، كما اختلفوا إن كانت نبوته زمن موسى أم بعد وفاته^(٧). واختلفت الروايات كذلك حول المسير إلى أرض الجبارين هل هي أريحا أم بيت المقدس، وساختار في البحث القول بأنها أريحا دون خوض في تفاصيل هذا الخلاف، وذلك لكثرة القائلين به^(٨)، واختلفت كذلك حول

- ١ - انظر: ابن حزم جبهة أنساب العرب ٥٠٨؛ يافوت الحموي معجم البلدان ٢٨٣/٢، ١٦٧/٤، ١٥٦/٥.
- ٢ - انظر: الطبري تاريخه ٣٥٧/١، ٣٦٥-٣٦٠؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ٢٢٧/٧؛ القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/٩.
- ٣ يرى ول ديورانت أن يوشع سار على قانون أن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً. وبهذه الطريقة الواقعية التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة يقصد فلسطين انظر: ول ديورانت قصة الحضارة ٣٢٧/٢.
- ٤ فورد في الأحاديث الصحيحة مرة واحدة في صحيح البخاري في رحلة النبي موسى للبحث عن هو أعلم منه، فهو فتاه يوشع بن نون في سورة الكهف، وهذا لا يؤكد نبوته ولا ينفيها، وفي بقية الصحاح لا يوجد له ذكر، أما خارج الأحاديث الصحيحة فقد ذكر في كتب اعتمدت على الإسرائيليات. فورد اسمه في تفسير ابن كثير مثلاً في ثماني عشرة صفحة، وتكرر في بعض هذه الصفحات خمس مرات منها بعض الأحاديث غير الصحيحة، منها على سبيل المثال حديث ورد مرتين عن النبي (أنه قال: السبق ثلاثة؛ فالسابق إلى موسى عليه الصلاة والسلام بن نون... قال ابن كثير إنه حديث منكر، ووضح سبب إنكاره، وجاءت بقية أخبار وقصص يوشع معتمدة ما قاله بعض المفسرين معتمدين على الإسرائيليات في معظم الأحيان، وبهذا غلب تأثير اليهود ومروياتهم على ما كتب حول يوشع في التاريخ العربي. انظر: البخاري صحيحه ٤٠/١-٤١ [باب الإنصات إلى العلماء]، ١٠٩/٦-١١٧ [باب ما جاء في سورة الكهف]؛ العسقلاني فتح الباري ٣٢٩/٩-٣٤٦؛ ابن كثير تفسيره ٩١/١، ٩٤، ٩٨، ٥٧٢، ٣٠٠، ٣٢/٢، ٣٨، ٤٠، ٢٦٥، ٤٣١، ٤٨٢، ٩٢/٣، ٩٤، ١٠٠، ٥٧٠، ٣٣٦، ٢٨٣/٤.
- ٥ - انظر القصة في سورة الكهف، الآيات ٦٠-٨٢؛ الطبري تاريخه ٤٣٥/١-٤٣٦؛ ابن كثير تفسيره ٣٨/٢؛ القرطبي آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٢.
- ٦ - عند الطبري (ت: ٣١٠هـ) مثلاً رواية أخرى لذهاب موسى للبحث عن هو أعلم منه مفادها أن النبي موسى لما أنجاه الله من آل فرعون قال ليني إسرائيل: أنتم خير أهل الأرض وأعلمهم، فقيل له: إن هاهنا رجلاً هو أعلم منك، فانطلق هو وفتاه يوشع يطلبانه. بينما رواية البخاري (ت: ٢٥٦هـ) تنص على أن الله هو الذي أوحى لنبيه بالذهاب إلى العالم، لكن رواية الطبري ثعلبي من شأن بني إسرائيل وتجعلهم أعلم من نبيهم المرسل، وهم يخبرونه بمن هو أعلم منه وليس الله. انظر: البخاري صحيحه ٤٠/١-٤١ [باب الإنصات إلى العلماء]. الطبري تاريخه ٣٦٥/١.
- ٧ - ابن إسحاق (ت: ١٥١هـ) مثلاً قال بنو يوشع زمن موسى فقد كره الموت وأعظمه، فأراد الله أن يحبب إليه الموت ويكره إليه الحياة، فحولت النبوة إلى يوشع فكان موسى يسأله عما أحدث الله إليه، فلا يذكر له شيئاً. فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت. وقال آخرون: إن يوشع لم يسر إلى أريحا إلا بعد موت موسى، وبعد هلاك جميع من أتى المسير إليها مع النبي موسى بمن بقي معه مدينة الجبارين فافتتحها بعد التيه بأربعين سنة انظر: الطبري تاريخه ٤٣٣/١، ٤٣٥؛ ابن كثير تفسيره ٤٠/٢.
- ٨ - انظر: الطبري تاريخه ٤٣٥/١-٤٣٦.

== أشهر معتقدات اليهود وأنبيائهم ==

وفاته ومكان دفنه^(١)، وما زالت لهذا النبي قدسية ومكانة وتأثير حتى وقت متأخر^(٢)، وكانت قصة مطاوعة الشمس له هي التي أخصبت خيال بعض الشعراء في الأندلس.

ولتوضيح مطاوعة الشمس ليوشع أبدأ بما جاء أولاً في التوراة؛ فقد ورد كلام حولها في "سفر يشوع" ومنه: "حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأمور بين بني إسرائيل، وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون^(٣)، ويا قمر على وادي أيلون^(٤)، فدامت الشمس، ووقفت القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه..... فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان"^(٥).

وقريباً منها كانت رواية ابن كثير فقال إن يوشع قاد بني إسرائيل وقاتل الجبارين عشيّة جمعة وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى أمكن الفتح^(٦)، ووردت أحاديث حول القصة

- ١ - في إحدى روايات الطبري توفي يوشع عن مائة وست وعشرين سنة، وذلك سبع وعشرون سنة بعد وفاة موسى. ومكان دفنه في تاريخ أبي الفداء كفر حارس في الشام. وفي معجم البلدان ورد ذكر ثلاثة أماكن يدعي الناس أن بها قبر يوشع أولاً في قرية صرفة من قرب البلقاء، والثانية عورتا وهي بلدة بنواحي نابلس، والثالثة معرة النعمان في بلاد الشام، وفي جانب سورها قبر يوشع فيما قيل. وأما ابن خلكان في وفاته فالصحيح عنده أن قبر يوشع بأرض نابلس دون أن يُسمى البلدة
 ٤٣٦ ٤٤٢، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٢١/١، ياقوت الحموي معجم البلدان ٤٨٩/١، ٤٠٢/٣، ١٦٧/٤، ١٥٦/٥، ٢٤٨، ابن خلكان وفیات الأعيان ١١٦/١، ابن بطوطة رحلته ص ١٧٨.
- ٢ - في إحدى روايات الطبري توفي يوشع عن مائة وست وعشرين سنة، وذلك سبع وعشرون سنة بعد وفاة موسى. ومكان دفنه في تاريخ أبي الفداء كفر حارس في الشام. وفي معجم البلدان ورد ذكر ثلاثة أماكن يدعي الناس أن بها قبر يوشع أولاً في قرية صرفة من قرب البلقاء، والثانية عورتا وهي بلدة بنواحي نابلس، والثالثة معرة النعمان في بلاد الشام، وفي جانب سورها قبر يوشع فيما قيل. وأما ابن خلكان في وفاته فالصحيح عنده أن قبر يوشع بأرض نابلس دون أن يُسمى البلدة
 ٤٣٦ ٤٤٢، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٢١/١، ياقوت الحموي معجم البلدان ٤٨٩/١، ٤٠٢/٣، ١٦٧/٤، ١٥٦/٥، ٢٤٨، ابن خلكان وفیات الأعيان ١١٦/١، ابن بطوطة رحلته ص ١٧٨.
- يشير ابن خلكان إلى وجود دير عظيم بمدينة ميفارقين قرب كنيسة اليهود وفيه جرن من رخام أسود في زجاج فيها دم يقال إنه دم يوشع بن نون، ولم يشير ابن خلكان ولا غيره إلى علاقة هذه البلد بوشع أو إن كانوا يدعون أنه دفن بها أو قُربها مثلاً.
 انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٢٣٨/٥، ابن خلكان وفیات الأعيان ٢٢٧/٧ - ٢٢٨.

٣ - جبعون: El Jeeb الاسم الكنعاني لبلدة الجيب الآن في فلسطين، وهي بلدة عربية كنعانية - تمتد جذورها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تُنسب إلى ملكها العربي الكنعاني جبعون. بنيت على تلة تشرف على مدينة القدس وتقع القرية على بعد ستة أميال (تسعة كيلو متر) شمال غرب القدس على ارتفاع ٧٩٠ متر عن سطح البحر حيث كانت من أشهر الممالك في ذلك العصر يوجد على أرضها الآن ثلاث مستعمرات (جبعون، محد شاه، وجفعات زئيف). انظر: موقع مركز التنمية المحلية الريفية (الجيب) محافظة القدس - فلسطين .
 انظر: <http://www.gibeon-eljeeb.com/html/contents2.htm>

٤ - أيلون: قرية يالو في فلسطين، ومعناها بالكنعانية البلاطة. مساحتها ١٤٩٩٢ دونماً منها سبعة للطرق والوديان، وترتفع ٣٠٠ متر عن سطح البحر، وفي العهد الروماني عرفت باسم الوس Alus من أعمال عمواس. وباسمها الآن سجن الرملة أيلون الذي يحوي أشهر أقسام العزل هي حيث يتسع لأكثر من ١٥ زنزانه

انظر: <http://www.ajjur.net.ramlah.htm>، http://www.freebarghouti.org/ar/ar_reportf.asp

٥ - التوراة، سفر يشوع ٦/١٠ .

٦ - انظر: ابن كثير تفسيره ٩٨/١، وفي مكان آخر قال ابن كثير: ودنت الشمس للغروب فخشي إن دخلت ليلة السبت أن يسبوا، فنادى الشمس: إني مأمور وإنك مأمورة فوقف حتى افتتحها
 انظر: ابن كثير تفسيره ٤٠/٢ .

منها: "إنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرِ إِلَّا يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ لَيْلَةً سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ" (١). وَلَمْ تُؤَكَّدْ كُلُّ الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ قِصَّةَ يُوْشَعَ مَعَ الشَّمْسِ؛ فَوُجِدَ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ مَنْ لَمْ يَتَحَدَّثْ عَنْهَا وَلَمْ يُشِرْ إِلَيْهَا كَأَبِي الْفِذَاءِ فِي تَارِيخِهِ (٢).

عَلَاقَةُ يُوْشَعَ بِعِيدِ الْغُصْرَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ.

اِحْتَلَّتْ قِصَّةُ يُوْشَعَ وَالشَّمْسِ مَسَاحَةً فِي نَظْمِ شِعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ، وَهِيَ الْمَعْنِيَّةُ حِينَ يُذَكَّرُ اسْمُ يُوْشَعَ فِي الْأَدَبِ عَلَى الْأَغْلَبِ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَوْرُوثُ الدِّينِيُّ الْإِسْلَامِيُّ هُوَ الَّذِي أَوْحَى هَذِهِ الْقِصَّةَ لَهُمْ، لَكِنِّي أَمِيلُ إِلَى الْقَوْلِ إِنَّهُمْ اسْتَخْدَمُوا بَعْضَ رُمُوزِ الْقِصَّةِ مُتَأَثِّرِينَ بِقِصَصِ الْيَهُودِ أَكْثَرَ وَذَلِكَ لِأَهَمِّيَّتِهِ عِنْدَ الْيَهُودِ وَعَدَمِ تَرْكِيزِ الْمَصَادِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَيْهِ كَثِيرًا. وَالَّذِي يَجْعَلُنِي أَمِيلُ إِلَى هَذَا مَا قَرَأْتُهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ عَنْ اِحْتِفَالَاتِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ بِذِكْرِ حَبْسِ يُوْشَعَ لِلشَّمْسِ فِي عِيدِهِمُ الْمُسَمَّى "يَوْمُ الْغُصْرَةِ" (٣)، وَلَأَهَمِّيَّتِهِ وَشُهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ كَانُوا يُورِّخُونَ بِهِ؛ فَالذَّهَبِيُّ (ت: ٧٤٨هـ) مَثَلًا يُورِّخُ بِهِ ضِمْنَ أَحْدَاثِ عَامِ ٧١٩هـ فِي الْأَنْدَلُسِ (٤)، فَذَكَرَهُ دُونَ تَعْرِيفٍ أَوْ تَوْضِيحٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّارِيخَ بِهِ لَمْ يَكُنْ غَرِيبًا عَلَى الْأَنْدَلُسِيِّينَ الَّذِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُمْ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُورِّخَ لِأَحْدَاثِهِمْ بِعِيدٍ لَا يَعْرِفُونَهُ أَصْلًا، وَجَعَلَهُ تَارِيخًا لِيَوْمِ نَصْرِ عَظِيمٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَحَازَ الْمُسْلِمُونَ بِهَذَا الْقِتَالِ الْحَاصِلِ غَنِيمَةً لَمْ يُسَمَّعْ بِمِثْلِهَا (٥)، وَيُورِّخُ لِلْمُوَاجَهَةِ بِأَتَّهَا كَانَتْ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ يَوْمَ عِيدِ الْغُصْرَةِ (٦). وَاخْتَلَفَ الْأَمْرُ فِي "وَفَيَّاتِ الْأَعْيَانِ" وَ"شَذَرَاتِ الذَّهَبِ" فَكِلَا الْكِتَابَيْنِ ذَكَرَ عِيدَ الْغُصْرَةِ، لَكِنْ تَلَاهُ تَعْرِيفًا بِالْعِيدِ وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ مَشْهُورٌ عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ (٧). وَاعْتَمَدَ صَاحِبُ "وَفَيَّاتِ الْأَعْيَانِ" هَذَا الْيَوْمَ تَارِيخًا لِلأَنْدَلُسِيِّينَ، كَمَا حَصَلَ حِينَ أَرَّخَ بِهِ لَوْفَاةِ الشَّاعِرِ الرَّمَادِيِّ (ت: ٤٠٣هـ) (٨)، فَقَالَ إِنَّهُ

- ١ - انظر: البخاري صحيحه ٤٠/١ - ٤١؛ العسقلاني فتح الباري ٢٢١/٦؛ الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٦٦/٥.
- ٢ - ذكر أبو الفداء مثلاً في تاريخه أنه قام بمراجعة كثير من كتب اليهود، فوجد أن كتبهم كثر الغلط فيها، وكانت كل نسخة تُخالِفُ الأخرى إما في أسماء الحكام بعد موسى وإما في عددهم وإما في مدة استيلائهم، فأحضر أبو الفداء إنساناً عارفاً باللغة العبرية والعربية، كما يقول، ليقراء في بعض الكتب القديمة المتواترة عندهم وقد كانت مكتوبة بالعبرية، ومع هذا حين تحدث عن يوشع لم يشير لهذه القصة فلم يثبتها أو ينفيها ولم يذكر حبس الشمس ليوشع ولبنى إسرائيل انظر: أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٢٠/١ - ٢١.
- ٣ - انظر قصة يوشع في رد الشمس وحبسها له يوم الغصرة في: الشريف العزناطي رفع الحجب المستورة ص ٢٦.
- ٤ - الذهبي العبري في خبر من غير ١٠٥/٦، وانظر هذه الأحداث كذلك في: المقرئ تفتح الطيب ٤٢٨/١ - ٤٣٠.
- ٥ - قال: قتلت كل الملوك المتخالفة فيه وعددهم خمسة وعشرون ملكاً بقيادة دونهرة، وكان عدد القتلى خمسين ألفاً، بينما لم يقتل من المسلمين سوى خمسة عشر فارساً الذهبي العبري في خبر من غير ١٠٥/٦، وانظر: المقرئ تفتح الطيب ٤٢٨/١ - ٤٣٠.
- ٦ - انظر: الذهبي العبري في خبر من غير ١٠٥/٦.
- ٧ - انظر: ابن خلكان وفيات الأعيان ٢٢٧/٧ - ٢٢٨؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ١٧٢/٢.
- ٨ - هو الشاعر: أبو عمر أحمد بن يوسف بن هارون الكندي المعروف بالرمادي، شاعر قرطبي. يعرف بأبي سبيح، قالوا فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمنتبى ويوسف بن هرون وكانا متعاصرين، كان كثير الشعر. وشاعت عنه أشعار في دولة الخلافة أدت إلى دخوله السجن، وله في السجن أشعار. توفي سنة ٤٠٣هـ يوم الغصرة فقيراً معدماً. انظر: الثعالبي يتيمة الدهر ١١٤/٢ - ١١٧؛ الحميري البديع في وصف الزبيع ص ١١؛ الحميري جذوة المفتيس ٥٨٦/٢ - ٥٩٣؛ ابن خاقان مطمح الأنفس ص ٣١٢ - ٣٢١؛ الضبي بغية المتنميس ٦٦٤/٢ - ٦٦٧؛ ابن حجة المطرب ص ٣ - ٤؛ ابن الأبار الخلعة السيرة ٢٨٠/١ - ٢٨١؛ التكملة ٢١/١؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ٩/٦، ٢٢٥/٧ - ٢٢٩؛ ابن سع يد المغرب ٣٩٢/١ - ٣٩٤؛ زيات المبرزين ١٣٥؛ الذهبي سير أعلام النبلاء ١٦٢/١٧؛ المقرئ تفتح الطيب ٢٨٥/٤ - ٢٨٦؛ ٣٢٦ - ٣٢٧، ٣٩٦، ١٨٢/٣٩٦، ١٨٦؛ ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب ١٧٠/٢ - ١٧٢.

== أشهر معتقدات اليهود وأنبيائهم ==

تُوفِّي يَوْمَ الْغَنَصْرَةِ^(١)، ثُمَّ وَضَّحَ أَهَمِّيَّةُ هَذَا الْيَوْمِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ "إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ مَشْهُورٌ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَهُوَ مَوْسِمٌ لِلنَّصَارَى كَالْمِيلَادِ وَغَيْرِهِ، وَبِهِ حَبَسَ اللَّهُ الشَّمْسَ عَلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَيَحْتَفِلُ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ بِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ حَزِيرَانَ"^(٢)، وَذَكَرَ الْمَرْجَعَانِ^(٣) أَنَّ وَلَادَةَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَانَتْ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَيْضًا^(٤).

وَلَمْ يَرِدْ فِي الْمَصَادِرِ إِنْ كَانَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ يَحْتَفِلُونَ بِهَذَا الْيَوْمِ أَمْ لَا، فَالْمَرْجَعَانِ الْمَذْكُورَانِ اتَّفَقَا عَلَى أَنَّهُ عِيدٌ لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، وَهَذَا يُرْجَحُ الْقَوْلَ عِنْدِي أَنَّهُ كَانَ مَشْهُورًا عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ فَقَطْ، وَقَدْ يَعُودُ ذَلِكَ لِقُرْبِ بِلَادِهِمْ مِنْ بِلَادِ النَّصَارَى وَتَأَثُّرِهِمْ بِاخْتِفَالَاتِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ، بَيْنَمَا الْاخْتِفَالَاتُ الْمَشْهُورَةُ فِي الْمَشْرِقِ تَكَادُ تَنْحَصِرُ فِي أَعْيَادِ الدَّوْلَةِ الرَّسْمِيَّةِ وَهِيَ أَعْيَادُ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعْضُ الْأَعْيَادِ الْكَبِيرَةِ لِلنَّصَارَى وَالْيَهُودِ الَّتِي مِنْهَا عِيدُ رَأْسِ السَّنَةِ، أَمَّا عِيدُ الْغَنَصْرَةِ فَلَمْ تَشْرُ هَذِهِ الْمَرَاجِعُ الَّتِي ذَكَرْتُهُ أَنَّ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ عِلَاقَةً بِهِ وَأَعْتَقَدُ أَنَّ تَخْصِيصَ الْمَرْجَعَيْنِ لِلنَّصَارَى دُونَ الْيَهُودِ فِي الْاخْتِفَالِ بِهِ كَانَ مِنْ بَابِ تَغْلِيْبِ الْكَثَرَةِ، وَالْقَصْدُ هُوَ أَهْلُ الدِّمَّةِ، فَيُوشَعَ نَبِيٌّ تُعْنَى بِهِ الْيَهُودُ أَكْثَرَ مِنْ النَّصَارَى، وَالْاخْتِفَالَاتُ بِحَبْسِهِ لِلشَّمْسِ لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْيَهُودِ أَكْثَرَ مِنَ النَّصَارَى، وَأَتَوَقَّعُ أَنَّ مُشَارَكَةَ النَّصَارَى فِي اخْتِفَالَاتِهِ^(٥) لِمُصَادَقَةِ كَانَتْ لَارْتِبَاطِهِ بِذَكَرِيَّا وَلَادَةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَلَمْ تُذَكِّرِ الْيَهُودُ بِاخْتِفَالَاتِهِ لِأَنَّ الَّذِي كَانَ يَظْهَرُ اجْتِمَاعِيَا أَعْيَادُ النَّصَارَى لِكَثَرَتِهِمْ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ وَلَوْجُودِ مَمَالِكٍ قَرِيبَةٍ لَهُمْ تَرَعَى تِلْكَ الْاخْتِفَالَاتِ وَتَحْتَفِلُ بِهَا.

وَلَمْ يَرِدْ ذِكْرٌ لِيَوْمِ الْغَنَصْرَةِ فِي مُعْظَمِ الْمَرَاجِعِ الَّتِي بَحَثْتُ فِيهَا؛ وَكَانَ أَبُو الْفِدَاءِ (ت ٧٣٢هـ) مِنْ الْقَلَّةِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْهُ، فَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْ أُمَّةِ الْيَهُودِ وَعَدَّدَ أَعْيَادَهُمْ^(٦)، فَكَانَ عِيدُ الْغَنَصْرَةِ وَاحِدًا مِنْ أَعْيَادِ الْيَهُودِ، وَذَكَرَ كَذَلِكَ فِي مَوْسُوعَتِي "صُبْحُ الْأَعَشَى" لِلْقَلْقَشْنَدِيِّ (ت ١٢٢٦هـ) وَ"نَهَايَةُ الْأَرْبِ"

١ - انظر: ابن خُلَّكَانَ وَفَيَاتِ الْأَغْيَانِ ٢٢٧/٧.

٢ - انظر: ابن خُلَّكَانَ وَفَيَاتِ الْأَغْيَانِ ٢٢٧/٧. وَأَكَّدَ صَاحِبُ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ كَذَلِكَ عَلَى شَهْرَتِهِ وَأَهَمِّيَّتِهِ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فِي ذِكْرِي حَبَسَ اللَّهُ الشَّمْسَ كَذَلِكَ عَلَى يُوشَعَ لَكِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَحْتَفِلُونَ بِهِ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ. انظر: ابن عمادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ١٧٢/٢.

٣ - أَقْصَدُ وَفَيَاتِ الْأَغْيَانِ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ.

٤ - انظر: ابن خُلَّكَانَ وَفَيَاتِ الْأَغْيَانِ ٢٢٧/٧ - ٢٢٨؛ ابن عمادِ الْحَنْبَلِيِّ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ١٧٢/٢.

٥ - عِيدُ الْغَنَصْرَةِ مِنْ أَعْيَادِ النَّصَارَى كَذَلِكَ، وَيُسَمَّى عِيدُ الْخَمِيسِ، وَيَعْمَلُونَهُ بَعْدَ خَمْسِينَ يَوْمًا مِنْ عِيدِ الْفِصْحِ فِي السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ بَشَنَسْ، وَيَقُولُونَ إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ حَلَّتْ فِي التَّلَامِيذِ، وَتَفَرَّقَتْ عَلَيْهِمُ أَلْسِنَةُ النَّاسِ فَتَكَلَّمُوا بِجَمِيعِ الْأَلْسِنَةِ، وَذَهَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بِلَادِ لِسَانِهِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ. وَلَمْ أَجِدْ فِي مُخْتَصَرِ أَبِي الْفِدَاءِ ذِكْرًا لَهُ لَكِنَّهُ ذَكَرَ عِيدَيْنِ وَهُمَا عِيدُ السَّلَاقِ وَالْقَنْطَرِي قَسْطِي، يَرْجَحُ لَدَيَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُمَا عِيدُ الْغَنَصْرَةِ عِنْدَ النَّصَارَى؛ فَهُمَا يَتَشَابَهُانِ كَثِيرًا مَعَ مَا جَاءَ عَنْ عِيدِ الْغَنَصْرَةِ.

انظر: التَّوْبَرِي نِهَايَةُ الْأَرْبِ ١٩١/١؛ أَبُو الْفِدَاءِ الْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ ٩١/١؛ الْقَلْقَشْنَدِيُّ صُبْحُ الْأَعَشَى ٤٣٧/٢.

٦ - انظر: أعياد اليهود في: التَّوْبَرِي نِهَايَةُ الْأَرْبِ ١٩٥/١ - ١٩٧؛ أَبُو الْفِدَاءِ الْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ ٨٨/١ - ٨٩؛ الْقَلْقَشْنَدِيُّ صُبْحُ الْأَعَشَى ٤٦٣/٢ - ٤٦٦.

== أشهر معتقدات اليهود وأنبيائهم ==

للتَّوْبَرِيِّ (ت: ٧٢١هـ)؛ **فَالْعُنْصُرَةُ عِيدٌ مُهِمٌّ عِنْدَ الْيَهُودِ**، وَهُمْ يُعَظِّمُونَهُ، وَيَأْكُلُونَ فِيهِ الْقَطَائِفَ ^(١)، وَيَجْعَلُونَهَا بَدَلًا عَنِ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ ^(٢). **وَعِيدُ الْعُنْصُرَةِ مَذْكُورٌ** بَيْنَ أَعْيَادِ النَّصَارَى، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْعِيدَ وَرَدَتْ لَهُ عِدَّةٌ تَسْمِيَاتٍ عِنْدَ الْيَهُودِ أَوَّلًا، وَثَانِيًا التَّبَسُّعُ الْأَمْرُ عَلَى النَّاسِ لَكُونَ أَعْيَادُ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ غَرِيبَةً عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، فَغَلَبَ ذِكْرُ النَّصَارَى أَحْيَانًا عَلَى مَا لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْيَهُودِ، وَقَدْ يَتَصَادَفُ مَجِيءُ هَذِهِ الْأَعْيَادِ ذَاتِ التَّسْمِيَّاتِ الْمُتَشَابِهَةِ بِالْوَقْتِ نَفْسِهِ، مِمَّا يَضَعُ الْقَارِئَ فِي حَيْرَةٍ أَمَامَ التَّسْمِيَّاتِ وَالْأَصُولِ لِهَذِهِ الْأَعْيَادِ. وَلَيْسَ هَذَا مَجَالٌ بَحْثِي. لَكِنْ تَظَلُّ إِشَارَةٌ كُلٌّ مِنَ الْوَقْفِيَّاتِ وَالشُّدْرَاتِ حَوْلَ اخْتِصَاصِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِهَذَا الْعِيدِ، وَتَأْرِخُهُمَا بِهِ لَوْفَاةِ الشَّاعِرِ الْأَنْدَلُسِيِّ دُونِ تَوْضِيحٍ تَعْطِي دِلَالَةً لَدَيْهِ وَتَرْجِيحًا عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَشْهُورًا عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ يَهُودًا وَنَصَارَى، وَالْأَهَمُّ أَنَّ قِصَّةَ يَوْشَعَ وَحَبْسِ الشَّمْسِ لَهُ كَانَتْ مَنْتَشِرَةً وَمَعْرُوفَةً عِنْدَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ.

٣ - بَلْعَام

وَجَاءَ الْحَدِيثُ عَنْ "بَلْعَام" ^(٣) فِي الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ مُشَابِهًا لِأَمْرِ "يَوْشَعَ"، فَلَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ بَلْعَامٍ صَرَاحَةً فِي الْقُرْآنِ، لَكِنْ وَرَدَ ذِكْرُهُ خَمْسَ مَرَاتٍ ^(٤) فِي "تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ" (ت: ٧٧٤هـ) لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ) ^(٥). وَيَتَلَخَّصُ الْحَدِيثُ عَنْ بَلْعَامٍ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ الْمُتَأَثِّرَةِ بِالْإِسْرَائِيلِيَّاتِ بِأَنَّهُ بَلْعَامُ بْنُ بَاعُورَ رَجُلٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَعَانَ الْجَبَّارِينَ بِالْإِدْعَاءِ عَلَى مُوسَى بَعْدَ النَّبِيِّ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ النَّبِيِّ.

١ - الْقَطَائِفُ: طَعَامٌ يُسَوَّى مِنَ الدَّقِيقِ الْمَرْقُوبِ بِالماءِ، شَبِهَتْ بِحَمْلِ الْقَطَائِفِ الَّتِي تُفْتَرَشُ.

ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [قُطْف] ٢٨٦/٩.

٢ - قَالَ أَبُو الْفِدَاءِ (ت: ٧٣٢هـ) عَنْ عِيدِ الْعُنْصُرَةِ: إِنَّهُ مِنْ أَعْيَادِ الْيَهُودِ، وَيَكُونُ بَعْدَ عِيدِ الْفَطِيرِ (الْفَصْحِ) بِسَبْعَةِ أَسابِيعٍ أَيْ خَمْسِينَ يَوْمًا، وَهُوَ فِي السَّادِسِ مِنْ شَيْوَانَ (سَيَوَانَ) مِنْ شُهُورِ الْيَهُودِ: [شَيْوَانَ أَوْ سَيَوَانَ يُقَابَلُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ شَهْرُ خَزِيرَانَ، وَشُهُورُ السَّنَةِ الْعَبْرِيَّةِ عِنْدَ الْيَهُودِ: تَشْرِيقُ يُقَابَلُ شَهْرَ (١٠) مِنْ شُهُورِنَا الْآنَ وَبِهِ يَبْدَأُونَ سَنَتَهُمْ، وَحَشَوَانَ (١١) وَكَسَلَوَانَ (١٢) وَطَابَاتِ (١) وَشَبَاطَ (٢) وَأَذَارَ (٣) وَنَيْسَانَ (٤) وَأَيَّارَ (٥) وَسَيَوَانَ (٦) وَتَمُوزَ (٧) وَأَبَ (٨) وَأَبُولَ (٩)]، وَلَا يَذْكُرُ أَبُو الْفِدَاءِ يَوْشَعَ فِي مَنَاسِبَتِهِ. وَتَخْتَلِفُ مَنَاسِبَتُهُ عَمَّا جَاءَ فِي الْوَقْفِيَّاتِ وَالشُّدْرَاتِ، فَقَبْلَهُ حَضَرَ مَشَايِخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعْدِ، فَاتَّخَذُوهُ عِيدًا، وَهَذَا الْكَلَامُ يُشَبِّهُ مَا جَاءَ فِي مُوسَى عَتِّي صُبْحِ الْأَعْشَى وَتَهَيَّأَةِ الْأَرَبِ حِينَ تَحَدَّثْنَا عَنْ أَعْيَادِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَكِنْ تَعَدَّدَتْ أَسْمَاؤُهُ عِنْدَهُمَا، فَكَانَ يُسَمَّى عِيدَ الْعُنْصُرَةِ أَوْ عِيدَ الْخَطَابِ أَوْ عِيدَ الْأَسَابِيعِ وَهِيَ الْأَسَابِيعُ الَّتِي فُرِضَتْ فِيهَا الْفَرَائِضُ، وَكَمُلَ فِيهَا الدِّينُ، وَأُضَافَ الْقَلْقَشْنَدِيُّ اسْمًا آخَرَ لَهُ وَهُوَ عَشْرَتَانَا، وَمَعْنَاهُ الْاجْتِمَاعُ، وَهُوَ عِنْدَهُمَا بَعْدَ عِيدِ الْفَطِيرِ بِسَبْعَةِ أَسابِيعٍ.

انْظُرْ: أَبُو الْفِدَاءِ الْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ ٨٨/١؛ الْقَلْقَشْنَدِيُّ صُبْحِ الْأَعْشَى ٤٣٧/٢؛ التَّوْبَرِيُّ تَهْيَاتِ الْأَرَبِ ١٩٦/١.

٣ - هُوَ: بَلْعَامُ أَوْ بَلْعَمُ بَدُونَ أَلْفِ رَابِعَةٍ، وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ بَلْعَمٌ لَكِنْ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ لَيْسَتْ عَرَبِيَّةً، وَقَدْ وَرَدَ الْاسْمُ بَعْدَ أَشْكَالٍ لَيْسَ هَذَا مَجَالُ التَّدْقِيقِ فِيهَا - فَقَالُوا ابْنُ بَاعُورَ أَوْ بَاعُورَاءُ أَوْ بَاعُورَ أَوْ بَاعِرَ بَدُونَ أَلْفٍ فِي آخِرِهِ - انْظُرْ قِصَّتَهُ فِي: ابْنِ كَثِيرٍ تَفْسِيرُهُ ٢٦٤/٢ - ٢٦٦؛ التَّوْبَرِيُّ تَهْيَاتِ الْأَرَبِ ٢٦٧/١٣ - ٢٧١؛ ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [بَلْعَم] ٦٥/١٢.

٤ - انْظُرْ: ابْنُ كَثِيرٍ تَفْسِيرُهُ ٤٠/١، ٢٦٤/٢ - ٢٦٧.

٥ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ١٧٥.

يَخَافُونَ مِنْ مُوسَى (١). وَقَدْ كَانَ فِي مَدِينَةِ الْجَبَّارِينَ يَوْمَ تَوَجَّهَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِقَتَالِهِمْ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ إِلَى مُوسَى أَوَّلًا ثُمَّ مَعَ يُوشَعَ فِيمَا بَعْدَ، وَكَانَ بَلْعَامُ يَعْلَمُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ وَكَانَ مُجَابِ الدُّعَاءِ، فَلَا يَسْأَلُ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاهُ إِيَّاهُ إِذَا كَانَ قَوْمُهُ يُقَدِّمُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ، وَقَدْ اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَاتُ عَنْهُ (٢)، وَتَقُولُ الرِّوَايَاتُ إِنَّهُ لَمَّا تَوَجَّهَ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْجَبَّارِينَ بِلَدِهِمْ، أَتَى بَلْعَامُ بَنُو عَمِّهِ وَقَوْمَهُ، فَقَالُوا: إِنَّ مُوسَى رَجُلٌ حَدِيدٌ وَمَعَهُ جُنُودٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ إِنْ يَظْهَرُ عَلَيْنَا يُهْلِكُنَا، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ. قَالَ: إِنِّي إِنْ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ذَهَبَتْ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي. فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى دَعَا عَلَيْهِمْ، فَكَانَ لَا يَدْعُو عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِشَرٍّ إِلَّا صَرَفَ اللَّهُ لِسَانَهُ إِلَى قَوْمِهِ، وَلَا يَدْعُو لِقَوْمِهِ بِخَيْرٍ إِلَّا صَرَفَ لِسَانَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ: أَتَدْرِي يَا بَلْعَامُ مَا تَصْنَعُ، إِنَّمَا تَدْعُو لَهُمْ وَتَدْعُو عَلَيْنَا؟ قَالَ: فَهَذَا مَا لَا أَمْلِكُ، هَذَا شَيْءٌ قَدْ غَلَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَانْدَلَعَ لِسَانُهُ فَوَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ؛ فَكَانَتْ حَالُهُ تُشَبِّهُ الْكَلْبَ فِي لَهْتِهِ فِي كُلِّ حَالَتِهِ إِنْ زَجَرَ وَإِنْ تَرَكَ (٣).

٤- السَّمَوَالُ

السَّمَوَالُ مِنْ أَشْهُرِ الْأَعْلَامِ الْيَهُودِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ، فَقَدْ أَتَى بِكَثْرَةٍ فِي أَدَبِهِمْ، وَحَمَلَ صُورَةً وَاحِدَةً امْتَلَأَتْ بِمَعَانِي الْوَفَاءِ وَالْجَبْرِ وَعَدَمِ الْخِيَانَةِ بِجَانِبِ الْقُوَّةِ لِنُصْرَةِ الْمُسْتَجِيرِ مَهْمَا كَلَّفَ الْأَمْرُ. وَشَخْصِيَّةُ السَّمَوَالِ مَأْخُودَةٌ مِنَ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ. وَقَدْ اخْتَلَفَتْ تَفَاصِيلُ قِصَّتِهِ مِنْ مَصْدَرٍ لآخر، وَهَذَا لَيْسَ مَوْضُوعَ الْبَحْثِ، لَكِنْ تُجْمَعُ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّهُ السَّمَوَالُ بْنُ غَرِيضٍ عَادِيَاءَ (٤) بْنُ حَيَّا صَاحِبُ تَيْمَاءَ (٥) الَّتِي عُرِفَتْ بِتَيْمَاءِ الْيَهُودِيِّ، قِيلَ إِنَّ أُمَّهُ مِنْ غَسَّانَ (٦)، وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ وَلَدِ الْكَاهِنِ هَرُونَ بْنِ عِمْرَانَ أَخِي النَّبِيِّ مُوسَى. وَلَهُ حِصْنٌ عَلَى رَابِيَةِ بَيْنِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ مُشْرِفٌ عَلَى تَيْمَاءَ سُمِّيَ "بِالْأَبْلَقِ" (٧) الْفَرْدِ.

١ - نُظِرَ: ابْنُ كَثِيرٍ تَفْسِيرُهُ ٤٠/٢ .

٢ - قَالُوا إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَهُ إِلَى مَلِكٍ مَدِينٍ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ، فَأَطَعَمَهُ وَأَعْطَاهُ فَتَبَعَ دِينَهُ وَتَرَكَ دِينَ مُوسَى، وَبَعْضُهُمْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا مَبْعُوثًا مِنَ اللَّهِ لَكِنَّ ابْنَ كَثِيرٍ يُحْطِئُ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ أَوْتِيَ الثَّبُوةَ فَأَنْسَلَخَ عَنْهَا، وَيَقُولُ إِنَّ هَذَا غَرِيبٌ وَلَا يَصِحُّ أَبَدًا. انْظُرْ: ابْنُ كَثِيرٍ تَفْسِيرُهُ ٢٦٤/٢ - ٢٦٧ .

٣ - انْظُرْ: ابْنُ كَثِيرٍ تَفْسِيرُهُ ٢٦٤/٢ - ٢٦٧ .

٤ - يَكْتَبُ فِي الْمَرَاJعِ عَادِيَاءَ أَوْ عَادِيَاءَ .

٥ - تَيْمَاءَ: مِنْ أَطْرَافِ الشَّامِ بَيْنَ الشَّامِ وَوَادِي الْقَرْيَ عَلَى طَرِيقِ حَاجِ الشَّامِ وَدِمَشْقَ، وَبِهَا الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ حِصْنُ السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ مُشْرِفٌ عَلَيْهَا فَلِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لَهَا تَيْمَاءَ الْيَهُودِيِّ. انْظُرْ: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٧٥/١، ٦٧/٢؛ الْقُرُونِيَّ آثَارُ الْبِلَادِ وَأَخْبَارُ الْعِبَادِ ص ٧٣؛ التَّوْرِيُّ تَهَآيَةِ الْأَرَبِ ٣٨٥/١ .

٦ - غَسَّانُ: اسْمُ مَاءٍ بَسَدٍ مَأْرَبٍ بِالْيَمَنِ، نَزَلَ عَلَيْهِ بَنُو مَازِنَ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ الْغُوْثِ، وَإِلَيْهِ تَنْسَبُ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْمَشْهُورَةِ وَمِنْهَا الْأَنْصَارُ وَهُمْ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ابْنَا حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازِنَ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ الْغُوْثِ، وَقِيلَ هُوَ اسْمُ دَابَّةٍ وَقَعَتْ فِي هَذَا الْمَاءِ فَسَمِيَ الْمَاءُ بِهَا انْظُرْ: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٠٣/٤ - ٤٠٤ .

٧ - الْبَلَقُ: سَوَادٌ وَبَيَاضٌ ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانُ الْعَرَبِ [لِق] ١٥/١٠ .

ثالثاً :- ملاحق القصائد والمقطعات الشعرية

أ- شِعْرٌ مِنَ الْعَرَبِ مُوجَّهٌ إِلَى ابْنِ حَسْدَايَ .

١- يَحْيَى أَبُو بَكْرٍ الْجَزَّارُ يُجَاوِبُ ابْنَ حَسْدَايَ .

كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَزَّارِ السَّرَقَسْطِيَّ، أديباً فُتِحَ الأَدَبُ وَرَجَعَ إِلَى الْجَزَّارِينَ. جَاءَ فِي "الدُّخَيْرَةِ" وَ"المُغْرِبِ" وَ"تَفْحِ الطَّيِّبِ" أَنَّ ابْنَ هُوْدَ أَمَرَ وَزِيرَهُ ابْنَ حَسْدَايَ أَنْ يُؤَبِّخَهُ عَلَى ذَلِكَ ^(١). لَكِنْ جَاءَ فِي "رَوْضَةِ الْمُحَاسِنِ" وَغَمْدَةِ الْمُحَاسِنِ" أَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَحْيَى الْجَزَّارَ دَخَلَ قَصْرَ سَرَقَسْطَةَ مَعَ الْجَزَّارِينَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِمْ، فَأَبْصَرَهُ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ الْإِسْرَائِيلِيَّ فَأَعْتَرَضَهُ بِقَوْلِهِ ^(٢): [لَوْ أَنَّكَ تَرَكْتَ الشَّعْرَ مِنْ قِلَّةِ الْإِصَابَةِ ^(٣) وَغَدْتَ إِلَى التَّحْرِفِ بِالْقِصَابَةِ ^(٤)]

فَأَجَابَهُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى الْجَزَّارُ (٤٣٨-٤٧٤هـ) بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ^(٥): [لَوْ أَنَّكَ تَرَكْتَ الشَّعْرَ مِنْ قِلَّةِ الْإِصَابَةِ ^(٦) وَغَدْتَ إِلَى التَّحْرِفِ بِالْقِصَابَةِ ^(٧)]
 ١. تَعِيبُ عَلَيَّ مَالُوفُ الْقِصَابَةِ
 ٢. وَلَوْ أَحْكَمْتَ مِنْهَا بَعْضَ فَرْ ^(٦)
 ٣. لَعَمْرُكَ لَوْ نَظَرْتَ إِلَيَّ فِيهَا ^(٧)
 ٤. لَهَالِكَ مَا رَأَيْتَ وَقُلْتَ هَذَا ^(٨)
 ٥. وَلَوْ تَذَرِي بِهَا كَلْفِي وَوَجْدِي
 وَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدْرَ الشَّيْءِ عَابَهُ
 لَمَّا اسْتَبَدَّلَتْ مِنْهَا بِالْحِجَابَةِ
 وَحَوْلِي مِنْ بَنِي كَلْبٍ عِصَابَةِ
 هَزَبَرُ صَيَّرَ الْأَوْضَامَ ^(٩) غَابَهُ
 عَلِمْتَ عَلَامَ تُحْتَمِلُ الصُّبَابَةَ ^(١٠)

- ١ - ابن بَسَّام الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٢/٩٠٥، ابن سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٢/٤٤٥ .
- ٢ - الْجَزَّارُ السَّرَقَسْطِيَّ رَوْضَةُ الْمُحَاسِنِ وَغَمْدَةُ الْمُحَاسِنِ ص ١٥٦، ابن بَسَّام الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٢/٩٠٥، ابن سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٢/٤٤٥، الْمُقَرِّي تَفْحِ الطَّيِّبِ ٥/٢٩١ .
- ٣ - قِلَّةٌ بِغَيْرِ تَضْعِيفٍ لِيَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ فِي الدِّيَوَانِ، وَ مِنْ ضَعْفِ الْإِصَابَةِ فِي الدُّخَيْرَةِ وَ الْمَغْرِبِ، وَ مِنْ عَدَمِ فِي زَادِ الْمُسَافِرِ وَ تَفْحِ الطَّيِّبِ
- ٤ - إِلَى الدُّنَاءَةِ وَالْقِصَابَةِ فِي الدُّخَيْرَةِ وَ الْمَغْرِبِ، وَ مِنْ فِي زَادِ الْمُسَافِرِ، وَ إِلَى التَّجَارَةِ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .
- ٥ - الْقَصِيدَةُ فِي: الْجَزَّارِ السَّرَقَسْطِيَّ رَوْضَةُ الْمُحَاسِنِ وَغَمْدَةُ الْمُحَاسِنِ ص ١٥٧-١٦٣ .
- ابن بَسَّام الدُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٢/٩٠٥-٩٠٦ الأبيات: ١-٤، ١٠، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٦-٢٨، ٥٤، ٥١، ٥٩، ٦٠ .
- صفوان ابن إدريس زَادِ الْمُسَافِرِ ص ١٤٠-١٤١ الأبيات: ١-٤، ١٠، ١٥، ١٣، ١١ .
- ابن سَعِيدِ الْمَغْرِبِ ٢/٤٤٥ الأبيات: ١-٤، ١٥، ١٩، ٢٦-٢٨ .
- المُقَرِّي تَفْحِ الطَّيِّبِ ٥/٢٩١-٢٩٢ الأبيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ١٠، ١٥، ١٩، ١٨، ٢٣، ٢٤، ٢٦-٢٨ .
- ٦ - بَعْضُ شَيْءٍ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ طَبْعَةُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ص ٢٨٧ .
- ٧ - أَمَّا وَلَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيَّ يَوْمًا فِي الدُّخَيْرَةِ وَ الْمَغْرِبِ، فَإِنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ إِلَيَّ فِيهَا فِي زَادِ الْمُسَافِرِ، وَإِنَّكَ لَوْ طَلَعْتَ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .
- ٨ - لَهَالِكَ مَنْظَرِي وَلَقُلْتَ فِي زَادِ الْمُسَافِرِ .
- ٩ - الْأَوْضَامُ : جَمْعُ الْوَضْمِ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ يَوْضَعُ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنْ خَشَبٍ وَنَحْوِهِ يُوقَى بِهِ مِنَ الْأَرْضِ .
- ابن مَنْظُورُ لِسَانِ الْعَرَبِ [وَضَم] ١٢/٦٤٠ .
- ١٠ - أَحْتَمِلُ الصُّبَابَةَ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .
- الصُّبَابَةُ : مِنَ الصُّبَّةِ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ .
- ابن مَنْظُورُ لِسَانِ الْعَرَبِ [صَبَب] ١/٥١٥ .

٦. لَقَدْ شَهِدْتُ^(١) لَنَا كَلْبٌ وَهَرٌ
٧. إِذَا طَلَعَ الْوَلِيدُ لَنَا رَضِيْعًا
٨. وَإِنْ بَلَغَ الْفِطَامَ فَذَاكَ لَيْثٌ
٩. إِذَا مَا نَحْنُ نَازِلْنَا قَبِيْلًا
١٠. فَتَكُنَّا فِي بَنِي الْعَنْزِيِّ قَتْلًا
١١. أَبَدْنَا شَيْبَهُمْ^(٢) وَمَتَى ظَفِرْنَا
١٢. وَلَوْ لَا نَحْنُ لَمْ تَجِدِ الْمَنِيَا الـ
١٣. وَهَلْ جَمَلٌ بَدَا^(٣) إِلَّا حَمَلْنَا
١٤. صَفَعْنَا بِالشُّقَارِ^(٤) قَفَاهُ حَتَّى
١٥. وَلَمْ نُقْلِعْ عَنِ الثُّورِيِّ حَتَّى
١٦. إِذَا مَا لَانَ عُوْدُ النَّاسِ يَوْمًا
١٧. نُرِيْقُ دَمًا وَلَا حَرَجٌ عَلَيْنَا
١٨. وَيَبْرُرُ وَاحِدٌ مِنَّا لَأَلْفِ
١٩. وَمَنْ يَغْتَرُّ^(٥) مِنْهُمْ بِامْتِنَاعِ
٢٠. بِنَاءِ الْمَجْدِ لَا شَيْدُ الْمَبَانِي
٢١. وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَنْ قَرْمٍ^(٦) فَقَرْمٌ
٢٢. وَحَزْنًا فِي النَّقَاوَةِ كُلِّ فَرْ
٢٣. "أَبَا الْفَضْلِ" الْوَزِيرِ أَجِبْ
- بِأَنَّ الْمَجْدَ قَدْ حُزْنَا لِنَابَهُ
رَأَيْتَ بِوَجْهِهِ سَيِّمًا النَّجَابَهُ
هَزَبَرُ كَاسِرٌ لِلْحَرْبِ نَابَهُ
رَأَيْتَ الْمَوْتَ قَدْ أَمْضَى حِرَابَهُ
أَقَرَّ الدَّعْرَ فِيهِمْ وَالْمَهَابَةَ
بَغُرَّ شَبَّ لَمْ نَرْحَمْ شَبَابَهُ
سَبِيلُ^(٧) إِلَى بَنِيهَا الْمُسْتَطَابَةَ
عَلَيْهِ حَمْلَةٌ هَتَكَتْ حِجَابَهُ
فَرِيْنَاهُ^(٨) وَمَزَّقْنَا إِهَابَهُ
مَزَجْنَا بِالدَّمِ الْقَانِي لِعَابَهُ
وَحَرَّ فَعُوْدُنَا فِيهِ صَلَابَهُ
وَمَنْ تَقَلُّهُ لَا نَخْشَى عِقَابَهُ
فَيَغْنِيهِمْ وَتِلْكَ مِنَ الْغَرَابَةِ^(٩)
فَلَنْ إِلَى سَوَاطِرِنَا إِيَابَهُ^(١٠)
وَجِدُّ^(١١) السَّيْفِ لَا جِدُّ الْكِتَابَةِ
فَلَيْسَ لِعَيْرِنَا تُعْزَى نِجَابَهُ
فَلَيْسَ بِغَيْرِنَا تَصْبُو دُبَابَهُ^(١٢)
فَقَضَّاكَ^(١٣) ضَامِنٌ عَنْكَ الْإِجَابَةَ

- ١ - وَكَمْ شَهِدْتُ فِي تَفْحُ الطَّيِّبِ .
٢ - أَبَدْنَا شَيْبَهُمْ فِي زَادِ الْمُسَافِرِ .
٣ - لَمْ تَكُنْ لِحُضْرَةِ الْوَزْنِ .
٤ - جَمَلٌ يُرَى فِي زَادِ الْمُسَافِرِ .
٥ - الشُّقَارُ : مِفْرَدُهَا الشُّقْرَةُ مِنَ الْحَدِيدِ، وَهِيَ مَا عُرِضَ وَخُدَّدَ.
٦ - قَرَى الشَّيْءَ : شَقَّه وَأَفْسَدَهُ .
٧ - فَيَغْنِيهِمْ... فِي النُّخَيْرَةِ ، فَيَغْنِيهِمْ وَذَاكَ مِنَ الْغَرَابَةِ فِي تَفْحُ الطَّيِّبِ .
٨ - يَغْنَرُ فِي تَفْحُ الطَّيِّبِ .
٩ - إِلَى صَوَارِمَنَا فِي الدُّخَيْرَةِ وَالْمُغْرِبِ وَتَفْحُ الطَّيِّبِ .
سَوَاطِرُنَا : جَمْعُ سَاطُورٍ وَهُوَ سَيْفُ الْقَصَابِ
١٠ - يَرَى مُحَقِّقُ الدِّيَوَانِ مُنْجِدٌ بِهَجْتِ أَنْ الصَّوَابُ أَنْ تَكُونَ حَدُّ السَّيْفِ .
١١ - الْقَرْمُ مِنَ الرِّجَالِ: السَّيِّدُ الْمُعْظَمُ
١٢ - دُبَابَةُ كُلِّ شَيْءٍ : بَقِيَّتُهُ
١٣ - وَقَضَّاكَ فِي تَفْحُ الطَّيِّبِ .
- ابن منظور لِسَانِ الْعَرَبِ [شفر] ٤/٢٠٤ .
ابن منظور لِسَانِ الْعَرَبِ [فرا] ١٥/١٥٢ .
ابن منظور لِسَانِ الْعَرَبِ [سطر] ٤/٣٦٣ .
ابن منظور لِسَانِ الْعَرَبِ [قرم] ١٢/٤٧٣ .
ابن منظور لِسَانِ الْعَرَبِ [ذيب] ١/٣٨٢ .

أُطِلَّتْ عَلَى قِصَابَتِهِ^(١) عِتَابَهُ
وَأَنْشَبَ ظَفَرَهُ فِيهِ وَنَابَهُ
رَأَيْتُ الْبُخْلَ قَدْ أَمْضَى^(٢)
فَأُظْهِرَ^(٣) لِي التَّجَهُمُ وَالْكَابَةُ
فَقَاْفَرَنِي وَعَلَّظَ^(٤) لِي حِجَابَهُ
وَجَنَّبَ كُلَّ مَنْ يَنْغِي اجْتِنَابَهُ
وَحَطَّ اللُّؤْمُ عَنْ قَصْدِ نِقَابِهِ
وَصِرْنَا بِالمُنَى نَرْثَاذُ بَابَهُ
وَرِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا سَرَابَهُ
بِهِ أَهْلُ الدَّعَاةِ وَالْدَّعَابَةُ
وَأَحْقَرُ فِي الْعُيُونِ مِنَ الصُّوَابَةِ^(٥)
قَرِيضًا وَالتَّمَسُّ فِيهِ الْإِتَابَةُ
ذِنَابًا صِرْتُ مُقْتَرِسًا ذِنَابَهُ
وَكَانَ الْبُخْلُ بِالمَعْرُوضِ دَابَهُ^(٦)
وَصِدْتُ لَهَا^(٧) مِنْ بَابِ الْقِصَابَةِ
يُصْرَفَ فِي تَخْلُصِهِ خُلابُهُ^(٨)
جَعَلْتُ إِلَى رِيَاضَتِهِ انْتِدَابَهُ
مَتَى أَوْجَفْتُ فِي أَحَدِ رِكَابِهِ^(٩)
وَأَنْقَذَ سَهْمًا أَوْ أَقْوَى أَصَابَهُ؟

٢٤. وَإِصْغَاءً إِلَى شَكْوَى شُكُورٍ
٢٥. جَلَاهُ الدَّهْرُ بِالْأَرْجَاءِ ظَلَمًا
٢٦. لَعَمْرُكَ^(١٠) مَا تَرَكْتُ الشَّعْرَ حَتَّى
٢٧. وَحَتَّى زُرْتُ مُشْتَقًا حَمِيمِي^(١١)
٢٨. وَظَنُّ زِيَارَتِي لِطِلَابِ نَيْلٍ^(١٢)
٢٩. وَذُو الْهَمِّ الْعَلِيَّةِ مَنْ تَجَافَى
٣٠. لَقَدْ حَجَبَ النَّدَى الْمَالُوفُ وَجْهَهَا
٣١. وَصَارَ الْجُودُ لَفْظًا دُونَ مَعْنَى
٣٢. إِذَا مَا قِيلَ هَذَا بَخْرُ جُودٍ
٣٣. وَكَانَ الشَّعْرُ أَحْسَنَ مَا يُحَلَّى
٣٤. فَصَارَ بَنُوهُ عِنْدَ النَّاسِ أَدْنَى
٣٥. إِذَا مَا شِئْتُ أَنْ تُشْنَأَ فَنَظْمُ
٣٦. وَلَمَّا صَارَ أَهْلُ الْأَرْضِ طَرًّا
٣٧. فَمَنْ لَمْ أَسْتَلِمَهُ بِالقَوَا فِي
٣٨. نَصَبْتُ لِلُّؤْمِ شِرْكَ اخْتِيَالِي
٣٩. وَلَا حَرَجٌ عَلَى الْمُضْطَرِّ فِي أَنْ
٤٠. يُدَلِّلَ لِي صِعَابَ الْقَوْلِ طَبْعُ
٤١. وَيَهْتَرِ الْقَرِيضُ إِلَيَّ عَجْبًا
٤٢. وَهَلْ أَحَدٌ بِأَمْضَى فِيهِ مِنِّي

- ١ - عَلَى صِنَاعَتِهِ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .
- ٢ - وَحَقَّقَكَ فِي النُّخِيرَةِ وَتَفْحِ الطَّيِّبِ ..
- ٣ - قَدْ أَمْضَى فِي النُّخِيرَةِ وَ قَدْ أَذْكَى فِي الْمَغْرِبِ ، قَدْ أَوْصَى صِحَابَهُ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .
- ٤ - حَمِيمًا فِي النُّخِيرَةِ ، وَ حَبِيبًا فِي الْمَغْرِبِ ، وَ خَلِيلِي فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .
- ٥ - فَأَبْدَى ... فِي النُّخِيرَةِ وَ الْمَغْرِبِ وَ فَأَبْدَى لِي النَّحِيلَ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .
- ٦ - فَظَنُّ فِي الْمَغْرِبِ ، لِطِلَابِ شَيْءٍ فِي النُّخِيرَةِ وَ الْمَغْرِبِ وَ تَفْحِ الطَّيِّبِ .
- ٧ - وَأَعْلَظَ فِي الْمَغْرِبِ .
- ٨ - الصُّوَابَةُ: بَيْضَةُ الْقَمَلَةِ
- ٩ - دَابَهُ : دَابَهُ لَكِنْ سَهَّلْتَ الْهَمْزَةَ فِيهَا .
- ١٠ - اللَّهُاءُ مِنْ كُلِّ ذِي حَلَقٍ : اللَّحْمَةُ الْمُشْرِفَةُ عَلَى الْحَلَقِ .
- ١١ - خُلابُهُ : حَبِيبَتُهُ بِالسَّانِ .
- ١٢ - فِي الْبَيْتِ اقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ سُورَةُ الْحَشْرِ، آيَةُ ٦ .

يَدُ الأَيَّامِ لَا تُمَضِي خَرَابَهُ
هَرَقْتُ عَلَى مَرْفِقِهِ صُنْ ثِيَابَهُ^(١)
نَضَوْتُ^(٢) تَكْرُمًا عَنِّي ثِيَابَهُ
وَيَجْرَحُ لَا تَكُونُ لَهُ مَهَابَهُ
إِلَى قَصْدِ الْوَرَى صَغَبَ الْإِنَابَهُ
وَأَفْضَلَ مَنْ قَرَعَتْ عَلَيْهِ بَابَهُ
فَصَيَّرَ مَا تَجُودُ بِهِ جَوَابَهُ
يُقَالُ: لَقَدْ مَلَاحِي جَرَابَهُ
وَقَيْضُ السَّيْلِ^(٤) مِنْ نَقْطِ السَّحَابَهُ
وَيَرْجُو أَنْ دَعَوْتَهُ مُجَابَهُ
وَتَبْلِيغِ الْمُنَى كُنْتَ انْتِخَابَهُ
بِكَ الْعَرْضِ الَّذِي يَهْوَى، أَصَابَهُ
فَجَلَّ بِشَمْسِ عَوْنِكَ لِي ضَبَابَهُ
فَوَسَّعَ بِالَّذِي أَرْجُو جَنَابَهُ
فَإِنَّ ذِمَامَهُ أَذْنَى قَرَابَهُ
فَبَابُ الشَّعْرِ مِنْ بَابِ الْكِتَابَهُ
وَذُو الْأَسْقَامِ قَدْ يَعْدُو صَوَابَهُ
فَيَسَّرَ عِنْدَ مَوْقِفِهِ حِسَابَهُ
يَجُرُّ الصَّيْدَ حَيْثُ يَرَى عِقَابَهُ

٤٣. مَتَى أَمْدَحُ أَشِدَّ مَجْدًا أَثِيلاً
٤٤. وَلَوْ كُنْتُ امْرَأً بِالدَّمِّ يُغْرَى
٤٥. وَلَكِنِّي شِئِمْتُ الدَّمَ حَتَّى
٤٦. وَرَبُّ الشَّعْرِ مَا لَمْ يَأْسَ يَوْمًا
٤٧. وَإِذَا أَيْقَظْتَنِي وَتَدَبَّتْ مِنِّي
٤٨. فَأَنْتَ أَحَقُّ مَسْئُولٍ بِقُصْدِي
٤٩. وَقَدْ صَيَّرْتَ مَا أَشْكُو كِتَابًا
٥٠. وَإِلَّا فُرْصَةً مِنْكُمْ عَسَى أَنْ
٥١. مِنَ الْأَوْشَالِ لُجُّ الْبَحْرِ طَامٍ^(٣)
٥٢. دَعَاكَ دُعَاءَ مُضْطَرٍّ غَرِيقٍ
٥٣. إِذَا انْتَخَبَ الْعَظِيمُ لِكَشْفِ جُلَى
٥٤. وَمَنْ تَكُ سَهْمُهُ الْمَاضِي وَيَأْمَلُ
٥٥. قَدْ اظْلَمَ^(٥) بِالْحَوَادِثِ أَفْقُ سَعْدِي
٥٦. وَضَاقَ بِمَا طَوَاهُ السَّعْدُ دُرْعَا
٥٧. وَصِلَ رَحْمَ التَّادِبِ بِالْأَمَانِي
٥٨. تَأَلَّفْنَا عَلَى نَسَبٍ كَرِيمٍ
٥٩. كَتَبْتُ بِهِ عَلِيلَ الْجِسْمِ نَضْوًا^(٦)
٦٠. وَمَوْقِفُ حَشْرِ نَقْدِ الشَّعْرِ^(٧) صَعْبُ
٦١. وَإِغْضَاءٌ عَلَيْهِ فَلَيْسَ صَقْرُ

-
- ١ - الصَّنَابِيُّ مِنَ الْإِبِلِ: الَّذِي لَوْنُهُ مِنَ الْحُمْرَةِ وَالصُّفْرِ، مَعَ كَثْرَةِ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ. ابن منظور لسان العرب [صنب] ١ / ٥٣١ .
٢ - نَضَوْتُ ثِيَابَهُ : خَلَعْتُهَا وَأَلْبَسْتُهَا عَنِّي.
٣ - الْأَوْشَالُ : جَمْعُ الْوَشَلِ، وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ يَتَخَلَّبُ مِنْ جِبَلٍ أَوْ صَخْرَةٍ يَقْطُرُ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا، لَا يَنْصِلُ قَطْرَهُ، وَقِيلَ: لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ أَعْلَى الْجِبَلِ.
طَامٍ : مُرْتَفِعٍ عَالٍ .
لُجُّ الْبَحْرِ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ الَّذِي لَا يُرَى طَرَفَاهُ .
٤ - وَقَيْضُ الْبَحْرِ فِي النَّخِيرَةِ .
٥ - قَدْ اظْلَمَ : الْهَمَزَةُ لِلْوَصْلِ لِحُضْرَةِ الْوَزْنِ .
٦ - النَّضْوُ : الْمَهْزُولُ مِنْ جَمِيعِ الدَّوَابِّ، وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي الْإِنْسَانِ. ابن منظور لسان العرب [نضا] ١٥ / ٣٣٠ .
٧ - وَمَوْقِفُ حَشْرِ : فِي النَّخِيرَةِ .

٢- الجزار السرقسطي يستنجز ابن حسداي .

- بعد قصيدة القصابة السابقة دفع الجزار إلى ابن حسداي يستنجزه^(١) : [تطويل]
١. أبا الفضل لا ترتب بفضلك إنني
 ٢. إذا كان للمرء التقدم رتبة
 ٣. ولا بد من هز الكريم لأنني
 ٤. ولو كان يستغني الكريم بطبعه
 - حَفَزْتُكَ وَالْمُضْطَرُّ يُعْذِرُ فِي الْحَفَزِ^(٢)
 - وَلَا بُدَّ مِنْهُ فَالْتَأْخِيرُ عَنْ عَجَزِ
 - رَأَيْتُ الْحُسَامَ الْعَضْبَ^(٣) أَمْضَى لَدَى الْهَزِّ
 - عَنِ الْهَزِّ لَأَسْتَغْنِيَ الْجَوَادُ عَنْ الْهَمْزِ^(٤)

٣- ابن حسداي إلى الجزار السرقسطي .

- بعد قصيدة القصابة كتب أبو الفضل بن حسداي إلى الجزار قائلا^(٥) : [تطويل]
١. لعمري لقد طبقت في الشعر مقصلا
 ٢. سألطف^(٦) في فرو من الحمد تكتسي
 ٣. فيؤخذ من قوم يعطف تودد
 - أَتَيْتَ بِهِ عَفْوًا وَأَقْلَلْتَ فِي الْحَزِّ^(٦)
 - بِهِ يُقْتَضَى بِالنَّثْفِ طَوْرًا وَبِالْجَزِّ^(٨)
 - وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْمٍ إِنْ اعْتَاضَ بِالزَّرِّ^(٩)

٤- الجزار يراجع ابن حسداي .

- كتب الجزار السرقسطي إلى أبي الفضل بن حسداي يراجع قائلا^(١٠) : [تطويل]
١. وإني لذو بر من الحمد طرز
 ٢. كأتك لم تكتب إلي مصرا
 ٣. "سألطف في فرو من الحمد تكتسي
 ٤. فيؤخذ من قوم يعطف تودد
 ٥. ولم يبق من يعتاض غيرك فاقض لي
 - فَمَالِي أَرَاكَ الْيَوْمَ تَزْهَدُ فِي بَرْزِي
 - بِلا لُغْزٍ فِيمَا خَطَطْتَ وَلَا رَمَزٍ
 - بِهِ يُقْتَضَى بِالزَّرِّ^(١٠) نَفِ طَوْرًا وَبِالْجَزِّ
 - وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْمٍ إِنْ اعْتَاضَ بِالزَّرِّ
 - عَلَيْكَ فَقَدْ أَخْلَقْتَ وَجْهِي بِالْجَمَزِ

١ - الجزار السرقسطي روضة المحاسن وغنمة المحاسن ص ١٦٣ .

٢ - الحفز : الحث والاستعجال .

٣ - العضب : السيف القاطع .

٤ - همز الدابة (الجواد هنا) : غمزاها .

٥ - الجزار السرقسطي روضة المحاسن وغنمة المحاسن ص ١٦٣ .

٦ - الحز : القطع في علاج ، وقيل : هو في اللحم ما كان غير بائن .

٧ - سألطف به : سأكرمه وأبره بهدية .

٨ - الجز : التحسين للصوف وأمثاله .

٩ - الزر : حسن الرعاية للابل .

١٠ - الجزار السرقسطي روضة المحاسن وغنمة المحاسن ص ١٦٤ .

ابن منظور لسان العرب [حفز] ٣٣٧/٥ .

ابن منظور لسان العرب [عضب] ٦٠٩/١ .

ابن منظور لسان العرب [همز] ٤٢٥/٥ .

ابن منظور لسان العرب [حزر] ٣٣٤/٥ .

ابن منظور لسان العرب [لطف] ٣١٦/٩ .

ابن منظور لسان العرب [جزز] ٣١٩/٥ .

ابن منظور لسان العرب [زرز] ٣٢٣/٤ .

ب - مِنْ شِعْرِ ابْنِ حَسْدَايَ .

١ - عَلَى لِسَانِ التَّرْجِسِ .

- لأبي الفضل ابن حسداي أبيات على لسان الترجس اندرجت في رسالة يقول فيها^(١): [لطويل]
١. تَقْضَى زَمَانٌ، طَائِرُ الْأَنْسِ عِنْدَهُ
 ٢. وَطَالَ انْتِظَارِي دَوْلَةَ الْوَصْلِ بَعْدَمَا
 ٣. عَرَضْتُ لَهُ حُبِّي فَأَعْرَضَ جَانِبًا
 ٤. وَأَرْسَلَنِي كَيْمًا أَيْلَ بَحْرَمَةِ
 ٥. فَأَقْبَلْتُ أَسْتَجِدِي رِضَاكَ وَإِنْ تَعُدْ
 ٦. وَهَذَا فَاغْتَبِرْ فِي مَنْبَتِي وَتَقَلَّبِي
 ٧. لِأَوْدَى بِجُثْمَانِي الْبَلَى وَأَبَادَهُ
 ٨. يَرَى الْوَهْمُ مِنْهُ جَوْهَرًا مُتَضَرِّمًا
 ٩. كَذَلِكَ أَجْسَامُ ثَبِيدٌ وَأَنْفُسُ
 ١٠. وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا فُرْصَةٌ يَسْتَدِيمُهَا اللَّـ
 ١١. قَبَائِرُ زَمَانِ الْأَنْسِ وَأَعْمُرُ جَنَابِهِ
 ١٢. وَلَا تَمُطِلِ اللَّذَاتِ عُمْرَكَ مِثْلَمَا
- مَذُودٌ وَسِرْبُ اللَّهِ فِيهِ مُرَوَّعٌ
تَصَرَّمَ بِالْهَجْرَانِ مَشْنَى وَمَرْبَعٌ
وَلَكِنْ رَعَى عَهْدِي الَّذِي لَا يُضَيِّعُ
لَدَيْكَ بِهَا حَقُّ غَرِيمٍ مُشَفِّعُ
يُسَارِعُ إِلَى وَصْلِي الْمُحِبُّونَ أَجْمَعُ
فَكُلُّ لَأَصْلٍ وَاحِدٍ يَتَفَرَّعُ
وَأَنْبَتَ رُوحًا نَيِّرًا يَتَطَّلَعُ
يَرُوقُ وَتَشْرَأُ سَاطِعًا يَتَضَوُّعُ
إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى تَعُودُ وَتَرْجِعُ
بِيبُ بَأَثَمَارِ السُّرُورِ فَيَمْتَعُ
فَزَاهِرُهُ رِيَّانٌ بِالْحُسْنِ يَنْزَعُ
يُسَوِّفُ بِالذِّينِ الْغَرِيمِ وَيُدْفَعُ

٢ - فِي مَدْحِ أَحَدِهِمْ .

وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَايَ فِي أَحَدِهِمْ^(٢): [لرملة]

١. أَيُّهَا الْمَاءُ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا
 ٢. جُمْلَةٌ مِنِّي وَلَا حَاجَةٌ لِي
 ٣. أَبَدًا تَقْنُصُ أَطْيَارَ الْعُلَا
 ٤. وَانْتَثِرَ الْحَبُّ فَإِنِّي طَائِرُ
- بَرَحَ الْإِسْلَامُ يَشْكُوا الْغَصَصَا
فِي حَدِيثِي أَنْ أَطِيلَ الْقَصَصَا
مُسْتَفِيدًا فَاتَّخِذْنِي قَنَصَا
عَرِدٌ لَا أَتَعَدَّى الْقَفَصَا

١ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٤٨٦/١ .

٢ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ٤٨٧/١ - ٤٨٨ .

٣- في مدح من كنيته أبو عيسى .

- وَمَدَحَ مَنْ كُنِيَّتُهُ أَبُو عَيْسَى قَالَ ^(١) : [لسيط]
١. يَا صَاحِبِي سَلَا هَلْ سَالَ نَعْمَانُ
 ٢. قَالَا نَعَمْ سَالَ جَرِيًّا فِي مَدَائِنِهِ
 ٣. أَنَّى وَلَمْ يَسِرْ طَيْفٌ لِلَسَّاحِ بِه
 ٤. بَلْ كَفَاهُ أَبُو عَيْسَى وَأَحْسَبُهُ
 ٥. رَأَى الْعَمَائِمَ فِي عُسْرِ فَاَقْرَضَهَا
 ٦. سَجِيَّةً هُوَ مِنْهَا مُوسِرٌ كَرَمًا
 ٧. حَيَّ الْخِيَامَ قَلِي فِي الْحَيِّ أَنْسَةَ
 ٨. تَسِيرُ نَفْسِي إِلَيْهِمْ وَالْحُدَاةُ بِهَِا
 ٩. أَطْوِي الْمَرَاحِلَ لَا أَلْوِي عَلَى وَطَرٍ
 ١٠. قَدْ أَنْكَرُ [...] مِنْ نَفْسِي مَعَالِمَهَا
 ١١. أَرْضُ بَجْلَقٍ وَالنَّهْرَيْنِ
 ١٢. أُمَسْتُ دِيَارِي خَلَاءً فِي مَعَاهِدِهَا
 ١٣. إِذَا نَبَا بَلَدٌ يَوْمًا بِسَاكِنِهِ
 ١٤. وَفِي جَنَابِ أَبِي عَيْسَى لَنَا بَدَلٌ
 ١٥. حَتَّى يُمَهِّدُنِي قَطْرُ قَرَارَتِهِ
 ١٦. هُوَ الْمُجِيرُ مِنَ الْإِيَامِ إِنْ غَدَرَتْ
- بَعْدِي وَأُورِقَ فِيهِ الطَّلْحُ وَالْبَانُ
وَأَمْرَعَتْ أَظْهَرُ مِنْهُ وَبُطْنَانُ
وَلَا تَتَدَّتْ بِدَمْعٍ مِنْهُ أَجْفَانُ
نَدَاهُ فَهُوَ رَوِي الشَّرْبِ سِيحَانُ
إِنَّ الْجَزَاءَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِحْسَانُ
حَازَ الْكَمَالَ فَمَا يَعْرِوهُ نُقْصَانُ
وَأَفْرَا السَّلَامَ قَلِي بِالْجَزْعِ إِخْوَانُ
هَوَى وَشَوْقٌ وَتَأْمِيلٌ وَإِدْعَانُ
يُشْجِي وَلَوْ ذُكِرَتْ بِالْعَهْدِ أَوْطَانُ
وَفِي الْمَجَاهِلِ لِي أَنْسٌ وَعِرْفَانُ
أُرِيضَةً كُلَّهَا قَصْرٌ وَبُسْتَانُ
وَحَلَّهَا دَيْسَمٌ ^(٢) بَعْدِي وَسَرْحَانُ
فَقِي سِوَاهُ لَهُ أَهْلٌ وَجِيرَانُ
إِذْ قُطِعَتْ مِنْ حَبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانُ
تَيْمَاءٌ وَالْهَضْبَةُ الْعَلْيَاءُ عُمَرَانُ
وَهِيَ وَبَعْضٌ مِنَ الْإِخْوَانِ خَوَّانُ

٤- في الإخوانيات مع أبي عامر بن الفرَج .

- كَتَبَ رَجُلٌ يُدْعَى أَبَا عَامِرٍ بَنَ الْفَرَجِ أَبْنَانًا إِلَى ابْنِ حَسْدَايَ يَقُولُ فِيهَا ^(٣) : [لمجت]
١. إِنْ كَانَ عَنْكَ شَيْءٌ
 ٢. فَأَبْعَثْ بِهِ تَتَعَوَّضُ
 ٣. فَإِنَّ عِنْدِي خُرَاجًا
 ٤. وَلَا يَكُنْ مِثْلَ شِعْرِي
- مِنْ الدِّيَاخِ يُلُونِ
مِنْهُ بِشُكْرِ تَمِينِ
مِنْ بَابَةِ التَّلْيِينِ
مِنْ الطَّرَازِ الدُّونِ

١ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ١/٤٨٨ - ٤٨٩ .

٢ - الديسم: ولد الثعلب من الكلبة أو ولد الذئب من الكلبة.

السرطان : الذئب .

٣ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ١/٤٨٦ - ٤٨٧ .

ابن منظور لسان العرب [دسم] ٢٠١/١٢ .

ابن منظور لسان العرب [سرح] ٤٨١/٢ .

٥. قَدْ قُلْتُ بِالْمَرْحِ أَجْرِي
٦. فَإِنْ تَزِيدَتْ زِدْنَا
٧. عَسَاهُ يَجْنَحُ لِلْسَّـ
٨. فَالشَّيْبَةُ يَأْلَفُ شَبَّهَا
- فأجابه أبو الفضل ابن حسداي بقوله (١):
١. يَا أَخِي أَخِي بِالْيَمِينِ
٢. سَلِّمْ لِعَلَمِي فِي الطَّـ
٣. لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَاوَى الـ
٤. [حَتَّى يُقَوِّمَ رَدْعُ الـ
٥. وَقَدْ بَعَثْتُ شَرَابًا
٦. يُغْنِي إِذَا دُقَّتْهُ عَنْ
- بَطْنِ دَهْرٍ خُونٍ
مِنْ نَوْعِ هَذَا الْجُنُونِ
لَمْ بَعْدَ حَرْبِ زُبُونِ
وَالْمِثْلُ مِثْلُ الْقَرِينِ
- فِي الْمَجْدِ شَتَّى الْفُؤُونِ
سَبَّ وَالْقَرَابِ أَذِينِ
خُرَاجُ (٢) بِالتَّلِينِ
أَخْلَاطِ بِالتَّسْكِينِ
يُعْزَى إِلَى الزَّرْجُونِ
شَرَابِ الْأَفْسِينِ (٣)

٥- فِي طَلَبِ الْخَمْرِ مِنْ ابْنِ الْمَرْشَانِيِّ .

- كَانَ أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَايَ يَوْمًا فِي ضَيْفَةٍ بَعْضِ إِخْوَانِهِ أَيَّامَ عِيدِ الْأَضْحَى بِحَصْنِ رُوطَةَ (٤) وَارْتَفَعَ الطَّعَامُ وَلَمْ تَحْضُرِ الْمُدَامُ، فَتَنَزَّلَ أَبْنَاتُ لِرَبِّ الْمَنْزِلِ ابْنِ الْمَرْشَانِيِّ يَقُولُ فِيهَا (٥): [لَمَجَّتْ]
١. الْعِيدُ أَيَّامُ أَكْلِ
٢. وَقَدْ أَكَلْنَا فَهَاتِ اسـ
٣. إِذْ لَا نِكَاحَ لَنَا فِي
٤. إِلَّا مَا نَرْتَجِي مِنْ
- وَمَشْرَبٍ وَبَعَالٍ
قَنَا مِنَ الْجُرْيَالِ (٦)
مَحَرَّمٍ أَوْ حَالِلِ
نِكَاحِ طَيْفِ الْخِيَالِ

١ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ١/ ٤٨٦ - ٤٨٧ .

٢ - الخراج ما يخرج في البدن من الفروع . ابن منظور لسان العرب [خرج] ٢٥١/٢

٣ - الأفسنتين (Absinthe) ويسمى كذلك شبيهة العجوز والشيخ الرومي، وقد أطنب ابن البيطار في الحديث عن الشراب الذي يصنع منه انظر: أبو المنى بن أبي النصر منهاج الدكان ص ٦٣؛ موسى ابن عبيد الله الإسرائيلي القرطبي شرح أسماء العقار ص ٤٤؛ ابن سينا القانون في الطب ص ٨٧ - ٩٠، ٢٨٤؛ مفردات النباتات الطبية وطرق المعالجة بها ص ٣٨ - ٤٠، تحفة الأحياب ص ٤ .

٤ - روطه : بضم أوله وسكون ثانيه وطاء مهملة حصن من أعمال سرقسطة بالأندلس، ويطلق على غير موضع واحد بالأندلس . انظر : ياقوت الحموي معجم البلدان ٩٦/٣؛ الحميري الروض المبطار ص ٣٤٠

٥ - ابن بسام النخيرة ق ٣، م ١/ ٤٨٩ .

٦ - الجريال والجريالة: الخمر الشديدة الحمرة. ابن منظور لسان العرب [جري] ١٠٨/١١ .

- فلما وصل أبو الفضل إلى منزله بعث إليه ابن المرشائي بما طلب وكُتِبَ معها^(١): [لمجتث]
١. رُقِيتَ إِلَيْكَ عَرُوسُ بِحُرٍّ مِنَ الْجُرَيَالِ
 ٢. قَمِيصُهَا دَهْرِي كَالشَّمْسِ فِي الْأَصَالِ
 ٣. وَحَلِيَّتُهَا فَضِيٌّ مُنْظَمٌ كَاللَّالِي
 ٤. فَدُونِكَ اشْرَبْ هَنِيئًا لَا زِلْتَ نَاعِمَ بَالِ
 ٥. وَاجْمَعْ مِنَ الطَّيْفِ بَيْنَ الْـ شَنُوفِ وَالْخُلَالِ

٥- فِي وَصْفِ غَيْمٍ وَثَلْجٍ .

- وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسْدَايَ قَوْلُهُ فِي الْغَيْمِ وَالثَّلْجِ^(٢): [لطويل]
١. وَأَطْرَبْنَا غَيْمٌ يَمَارِجُ شَمْسَهُ
 ٢. تَرَى قَرْحًا فِي الْجَوِّ يَفْتَحُ قَوْسَهُ
 - فَيَسْتُرُ طُورًا بِالسَّحَابِ وَيَكْشِفُ
 - مُكَبًّا عَلَى قُطْنٍ مِنَ الثَّلْجِ يَنْدِفُ

٦- فِي الْمُعَارَضَاتِ .

- وَفِي يَوْمٍ كَانَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ ابْنِ هُوْدٍ صَاحِبِ سَرَقُوسْطَةِ مَعَ عَلِيَّةٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَمِعَ قَصِيدَةَ الْحَكِيمِ الْمِصْرِيِّ "تَوْرِيذُ خَذِّكَ لِلْأَحْدَاقِ لَدَاتُ" فَعَارَضَهَا بِقَوْلِهِ^(٣): [لبسيط]
١. تَوْرِيذُ خَذِّكَ لِلْأَحْدَاقِ لَدَاتُ
 ٢. نِيرَانُ هَجْرِكَ لِلْعُشَّاقِ نَارُ لَطَى
 ٣. كَانَمَا الرَّاحُ وَالرَّاحَاتُ تَحْمِلُهَا
 ٤. حُشَاشَةُ مَا تَرَكْنَا الْمَاءَ يَقْتُلُهَا
 ٥. قَدْ كَانَ فِي كَأْسِهَا مِنْ قَبْلِهَا ثَقُلُ
 ٦. عَهْدُ اللَّبْنَى تَقَاضَتْهُ الْأَمَانَاتُ
 - لَكِنَّ وَصْلَكَ إِنْ وَاصَلَتْ جَنَاتُ
 - بُدُورُ تِمٍّ وَأَيْدِي الشَّرْبِ هَالَاتُ^(٤)
 - إِلَّا لِتَحْيَى بِهَا مِنَّا حُشَاشَاتُ^(٥)
 - فَخَفَّ إِذْ مُلِئَتْ مِنْهَا زُجَاجَاتُ
 - بَانَتْ وَمَا قُضِيَ يَتُّ مِنْهَا لَبَانَاتُ^(٦)

١ - ابن بسّام النخيرة ق ٣، م ٤٨٩/١ .

٢ - ابن بسّام النخيرة ق ٣، م ٤٩٠/١؛ المقرئ تفتح الطيب ٣٥٩/٤ - ٣٦٠ .

٣ - ابن خاقان قلائد العفيان ق ٣، ج ٢/٥٤٦-٥٤٧؛ ابن بسّام النخيرة ق ٣، م ٤٩٢/١؛ ابن دحية المطرِب ص ١٩٦؛ المقرئ تفتح الطيب ١٧٢/٢، ٢٦٢/٤. قَالَ ابْنُ خَاقَانَ إِنَّهَا مِنْ مَا لَا يُرْجَى لَهُ لِحَاقٌ، وَلَا يَعْشَى نَمَامَهُ مُحَاقٌ، وَأَنَّهُ أَطْلَعَهَا نَيْزَةً، وَتَرَكَ الْأَبَابَ مِنْهَا مُنْحَيَّرَةً.

٤ - هالات : جمع هالة ، وهي دارة القمر . ابن منظور لسان العرب [هيل] ٧١٤/١١ .

٥ - الحشاشات : جمع الحشاشة وهي بقية الروح في المريض . ابن منظور لسان العرب [حشر] ٢٨٤/٦ .

٦ - اللبانات : الحاجات من غير فاقة . ابن منظور لسان العرب [لبن] ٣٧٧/١٣ .

٧. يُذْنِي النَّوْهُمُ لِلْمُشْتَاكِ مُنْتَزِحًا^(٢)
 ٨. تُقْضَى عِدَاتُ إِذَا دَبَّ الْكَرَى وَإِذَا
 ٩. زُورٌ يُحَلِّلُ قَلْبُ الْمُسْتَهَامِ بِهِ
 ١٠. لَعَلَّ عَثَبَ اللَّيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَى
 ١١. حَتَّى تَفُوزَ بِمَا جَادَ الْخَيَالُ لَنَا
- مِنْ الْأُمُورِ^(١)، وَفِي الْأَوْهَامِ
 هَبَّ النَّسِيمُ فَقَدْ تُهْدَى تَحِيَّاتُ
 دَهْرًا، وَقَدْ بَقِيَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ
 عُثْبَى، فَتُبْلَغُ أَوْطَارُ وَلَدَاتُ
 قَرُبَمَا صَدَقَتْ تِلْكَ الْمَنَامَاتُ
- فَعَارَضَهُ أَبُو طَاهِرٍ الْأَشْكَرِيُّ بِقَوْلِهِ^(٣): [لسيط]
 ١. وَغَدُ لِعَلْوَةٍ أَنْ تُقْضِيَ لِبَائَاتُ
 ٢. لَمْ تُرْضِهَا مِنْكَ أَنْفَاسُ مُقْطَعَةٍ
 ٣. قَالَتْ وَقَدْ أَبْصَرْتُ مِنْ بَيْنِهَا جَزَعِي
 ٤. وَفِي سَبِيلِ الْهَوَى وَالشَّوْقِ مَا صَنَعْتُ
 ٥. عَوَّضَ رَجَاءَكَ مِنْ يَأْسٍ وَمِنْ تَرَحٍّ
 ٦. بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَهْدٌ سَوْفَ أَحْفَظُهُ أَحْضَرُ
- أَلَوْتُ^(٤) بِهَا يَوْمَ وَشَكِّ الْبَيْنِ
 حَتَّى تُقْطَعَ أَطْوَاقُ وَلِيَّاتُ^(٥)
 لَا تَيَأْسَنَّ فَإِنَّ الدَّهْرَ حَالَاتُ
 رَوَائِعُ الْبَيْنِ لَا تَحْزُنُكَ رَوْعَاتُ
 قَالِيَالِي وَإِنْ بَاعَدُنْ كَرَّاتُ
 وَرُبَّمَا ضُيِّعَتْ يَوْمًا أَمَّاتُ

٧- فِي عِتَابِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ سُفْيَانَ .

- وراجع أبو الفضل بن حسداي الوزير أبي محمد بن سُفْيَانَ^(٦) بقوله^(٧): [لكامل]
 ١. قَابَلْتُ بِالْعُتْبَى عِتَابَكَ^(٨) جَاهِدًا
 ٢. وَبَسَطْتُ أَوْضَحَ مِنْ زِيَادٍ^(٩) عُدْرَهُ
 ٣. أَسْقِيكَ عَذْبًا بَارِدًا وَسَقَيْتَنِي
 ٤. أَعْضَيْتَ جَهْلًا أَمْ^(١١) نُسِبْتَ إِلَى
- لِلْعَهْدِ حِفْظَ الْعَيْنِ لِلْأَجْفَانِ^(٩)
 لَوْ لَمْ تَكُنْ أَقْسَى مِنَ النُّعْمَانِ
 إِذْ جَاشَ حَمِيْكَ مِنْ حَمِيمٍ أَنْ
 قَامَرَخَ فَإِنَّكَ مِنْهُ فِي رَيْعَانِ

- ١ - مِنَ الْوَصَالِ فِي النُّخَيْرَةِ .
 ٢ - مَمْتَرَجًا فِي النُّخَيْرَةِ .
 ٣ - ابْنُ بَسَّامٍ النُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٩١٢ / ٢ .
 ٤ - أَلَوْتُ: اشْتَدَّتْ خُصُومَتَهَا . .
 ٥ - أَطْوَاقُ: مَفْرَدُهَا الطَّوْقَةُ وَهِيَ أَرْضٌ سَهْلَةٌ مُسْتَنِيرَةٌ فِي غِلَظِ
 لِبَاتٍ: مَفْرَدُهَا اللَّبَبُ وَهُوَ مُعْظَمُ الرَّمْلِ، فَإِذَا نَقَصَ قِيلَ كَثِيبٌ .
 ٦ - فِي النُّخَيْرَةِ مُحَمَّدُ بْنُ سَقْبَالٍ .
 ٧ - ابْنُ خَاقَانَ قَلَانِدُ الْعِفْيَانِ ق ٣، ج ٥٤٨ / ٢؛ ابْنُ بَسَّامٍ النُّخَيْرَةُ ق ٣، م ٤٩٢ / ١ - ٤٩٣ .
 ٨ - كِتَابَكَ فِي قَلَانِدِ الْعِفْيَانِ .
 ٩ - حِفْظُ الْعَيْنِ بِالْأَجْفَانِ فِي قَلَانِدِ الْعِفْيَانِ .
 ١٠ - زِيَادُ: هُوَ النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي زِيَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ جَابِرٍ وَالنُّعْمَانُ: هُوَ النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي شَمْرٍ الْغَسَّانِي، وَاعْتَدَرَ النَّابِغَةُ لِلنُّعْمَانِ بِقَوْلِهِ:
 حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرَكَ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ أَنْظُرْ: ابْنُ خَلَّكَانَ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١٩٣ / ٥ .
 ١١ - أَنْ فِي قَلَانِدِ الْعِفْيَانِ .

٨ - في وصف رحلة في زورق .

رَكِبَ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ يَوْمًا تَهَرَّ سَرَقُسْطَةً يُرِيدُ طِرَادَ لَدَّتِهِ وَارْتِيَادَ نَزْهَتِهِ وَافْتِقَادَ أَحَدِ حُصُونِهِ
الْمُنْتَظِمَةِ، وَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ اخْتَصَّه لاسْتِصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسَدَايَ وَالْمُسْتَعِينُ قَدْ أَخْضَرَ مِنْ
آلَاتِ إِيْنَابِهِ، وَأُظْهِرَ مِنْ أَنْوَاعِ ذَلِكَ وَأَجْنَسَهُ مَا رَاقَ مَنْ خَضَرَ وَقَاقَ حُسْنُهُ الرُّوضُ الْأَنْضَرُ، وَالزُّوَارِقُ قَدْ خَفَّتْ بِهِ
وَالْتَفَّتْ بِجَوَانِيهِ، وَنَعَمَاتِ الْأَوْتَارِ تُخَيِّسُ السَّائِرَ عَنْ غَدْوِهِ وَتُخْرِسُ الطَّائِرَ الْمُفْصِحَ بِشَدْوِهِ، وَالسَّمَكَ تُثِيرُهَا الْمَكَايِدُ
وَتُعْوَصُ إِلَيْهَا الْمَصَايِدُ فَتَبْرُزُ مِنْهَا لِلْعَيْنِ قُضْبَانُ دُرٍّ أَوْ سَبَائِكُ لُجَيْنٍ، وَالرَّاحُ لَا يَطْمَسُ لَهَا لَمَعٌ وَلَا يُخَسُّ مِنْهَا بَصَرٌ
وَلَا سَمْعٌ، وَالذَّهْرُ قَدْ غُصَّتْ صُرُوفُهُ وَاقْتَصَّ مِنْ نِكْرِهِ مَعْرُوفُهُ، فَقَالَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسَدَايَ وَالطَّرِبُ
اسْتَهْوَاهُ وَيَدْبِعُ ذَلِكَ الْمَرَأَى قَدْ اسْتَرْقَّ هَوَاهُ ^(١): [لبسيط]

مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ الْأَصَالِ وَالْبُكَرِ
فِيهِ بَعَثَبَى وَأَبْدَى صَفْحٌ مُعْتَذِرِ
مِنْ جَانِبِيهِ لِمَنْظُومٍ ^(٣) وَمُنْتَهَرِ
بَدَّ الْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ الْأَخْرِ
عَلَيَاءَ مُؤْتَمِنٍ عَنْ ^(٥) هَذِي مُقْتَدِرِ
بَحْرٌ تَجَمَّعَ حَتَّى صَارَ فِي تَهَرِ
صِيدًا كَمَا ظَفَرَ الْعَوَاصُ بِالذَّرَرِ
كَالرَّيْقِ يَعْذِبُ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ
يَذْكُو وَغُرَّتُهُ ^(٨) أَبْهَى مِنَ الْقَمَرِ

١. اللَّهُ يَوْمٌ أُنِيقُ وَاضِحُ الْغُرَرِ
٢. كَانَّمَا الدَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أَعْتَبْنَا
٣. تَسِيرُ فِي زَوْرَقٍ خَفَّ السَّفِينُ ^(٢) بِهِ
٤. مَدَّ الشَّرَاغُ بِهِ تَشْرًا عَلَى مَلِكِ
٥. هُوَ الْهَمَامُ الْإِمَامُ ^(٤) الْمُسْتَعِينُ حَوَى
٦. تَحْوِي السَّفِينَةُ مِنْهُ آيَةً عَجَبًا
٧. تُتَارُ مِنْ قَعْرِهِ النَّيَّانُ ^(٦) مُصْعِدَةً
٨. وَلِلنَّدَامَى بِهِ عَابٌ وَمُرْتَشَفٌ
٩. وَالشَّرْبُ فِي وَدٍّ مِنْ لِي ^(٧) خُلِقَهُ زَهْرٌ

١ - انظر: ابن خاقان قلائد العقيان ٣، ج ٢/٥٥٠-٥٥١؛ ابن بسام النخبة ٣، م ١/٤٩٣-٤٩٤؛ المقرئ تفتح الطيب ١٧٤/٢، ٢٣٥/٤-٢٣٦.

٢ - خَفَّ السُرُورُ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .

٣ - بِمَنْظُومٍ فِي قَلَائِدِ الْعَقِيَانِ وَتَفْحِ الطَّيِّبِ .

٤ - الْإِمَامُ الْهَمَامُ فِي قَلَائِدِ الْعَقِيَانِ وَتَفْحِ الطَّيِّبِ .

٥ - فِي هَذِي فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .

٦ - صَادَ مِنْ قَعْرِهِ فِي قَلَائِدِ الْعَقِيَانِ وَثُصَادَ مِنْ قَعْرِهِ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ . جاءت لقطة نينان بدل حيتان في عدد من النسخ، وعلق ابن ظافر على هذا البيت بقوله : قوله نينان غير معروف فإن نونا لم يجرى جمعها على نينان، وَقَدْ كَانَ سَبِيحِيَّةً خَطًّا بِشَارِ بْنِ بَرْدٍ فِي
قوله في وصف سفينة تلاعب نينان البحور ... فَعَيَّرَهُ بِشَارٌ تيار البحور و في بيت المتنبي :

فَهْنٌ مَعَ السَّيْدَانِ فِي الْبَرِّ عَسَلٍ وَ هُنَّ مَعَ الْحَيَّتَانِ فِي الْبَحْرِ عَوَمٍ

٧ - فِي مَدْحِ مَوْلَى فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .

٨ - وَبِهَجْتُهُ فِي تَفْحِ الطَّيِّبِ .

ج- قصيدة أبي إسحاق الإلبيري في اليهود .

كان باديس بن حبوس صاحب غرناطة قد اتخذ ابن نعلية اليهودي وزيراً وكاتباً، فأنكر أبو إسحاق الإلبيري هذا، وحاطب صنهاجة بقصيدته، واشتهرت الأبيات وثارَت صنهاجة على اليهود، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وفيهم

الوزير المذكور. قال الإلبيري فيها^(١): [لمتقارب]

١. أَلَا قُلْ لَصِنْهَاجَةٍ أَجْمَعِينَ
 ٢. مَقَالَةَ ذِي مِقَّةٍ^(٢) مُشْفِقٍ
 ٣. لَقَدْ زَلَّ سَيِّدُكُمْ زَلَّةً
 ٤. تَحَيَّرَ كَاتِبُهُ كَافِرًا
 ٥. فَعَزَّ الْيَهُودُ بِهِ وَانْتَحُوا^(٣)
 ٦. وَنَالُوا مُتَاهُمْ وَجَازُوا الْمَدَى
 ٧. فَكَمْ مُسْلِمٍ قَاضٍ لِقَائِهِ^(٤)
 ٨. وَمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ سَعْيِهِمْ
 ٩. فَهَلَا اقْتَدَى فِيهِمْ بِالْأَلَى
 ١٠. وَأَنْزَلَهُمْ حَيْثُ يَسْتَأْهِلُونَ
 ١١. وَطَافُوا الدِّينَا بِأَخْرَاجِهِمْ^(٥)
- بُدُورِ النَّدِيِّ^(٦) وَأُسْدِ الْعَرِينِ
يَعُدُّ النَّصِيحَةَ زُلْفَى وَدِينِ
تَقَرُّ بِهَا^(٧) أَغْيُنُ الشَّامِتِينَ
وَلَوْ شَاءَ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ^(٨)
وَتَاهُوا وَكَانُوا مِنَ الْأَرْدَلِينَ^(٩)
فَكَانَ الْهَلَاكُ^(١٠) وَمَا يَشْعُرُونَ
لَأَرْدَلٍ قَرْدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَلَكِنَّ مَنَّا يَقُومُ الْمُعِينِ
مِنَ الْقَادَةِ الْخَيْرَةِ الْمُتَّقِينَ
وَرَدَّهُمْ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ
عَلَيْهِمْ صَعَارٌ وَذُلٌّ وَهُونٌ^(١١)

١ - انظر: أبو إسحاق الإلبيري ديوانه ص ٨٩؛ ابن سعيد المغرب ١٣٣/٢؛ ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٣١؛ تفح الطيب ٩٣/٦ -

٩٤ . والقصيدة في: أبو إسحاق الإلبيري ديوانه ص ٨٩-٩٢ عدا البيت الثاني .

ابن سعيد المغرب ١٣٣/٢ الأبيات ١، ٣، ٤، ٥ .

ابن الخطيب أعمال الأعلام ص ٢٣١-٢٣٣ عدا الأبيات ١، ٦، ١٢، ١٤، ١٧، ١٩، ٢٤ .

المقري تفح الطيب ٩٣/٦-٩٤ الأبيات الخمسة الأولى فقط مع أنه أتبعها بقوله إنها قصيدة طويلة .

٢ - بُدُورِ الزَّمانِ في أعمال الأعلام و المغرب و تفح الطيب ، والندي: مجلس القوم . ابن منظور لسان العرب [ندى] ٣١٧/١٥ .

٣ - مِقَّةٌ : مَحَبَّةٌ . ابن منظور لسان العرب [ومق] ٣٨٥ / ١٠ .

٤ - أَقَرَّ بِهَا في المغرب و تفح الطيب .

٥ - كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ في أعمال الأعلام و تفح الطيب .

٦ - انْتَحُوا : افْتَحَرُوا وَتَعَطَّمُوا . ابن منظور لسان العرب [نحا] ٣١٣ / ١٥ .

٧ - وَانْتَمَوْا وَسَادُوا وَتَاهُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ في تفح الطيب ، وانتخوا وکانوا مِنَ الْعِثْرَةِ الْأَرْدَلِينَ في المغرب .

٨ - وَقَدْ جَازَ ذَلِكَ في أعمال الأعلام .

جَاوَزُوا: سَارُوا فِيهِ . جاز: بمعنى تَجَوَّزَ الأمرُ أي اخْتَلَمَ وَأَغْمَضَ فِيهِ . ابن منظور لسان العرب [جوز] ٣٢٦/٥-٣٢٧ .

٩ - رَاهِبٌ رَاغِبٌ في أعمال الأعلام .

١٠ - أَخْرَجَهُمْ : جَمَعَ الْخَرْجَ ، وَهُوَ الضَّرِيبَةُ أَوْ الْجَزِيَّةُ . ابن منظور لسان العرب [خرج] ٢٥٢/٢ .

بَأَفْوَاهِهِمْ في أعمال الأعلام يقصد بها الغيبة مأخوذة من (الفوهة أو الفوهة) وهي تَفْطِيعُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْعَيْنَةِ .

ابن منظور لسان العرب [فوه] ٥٣٠/١٣ .

١١ - يشير الشاعر هنا إلى الآية الكريمة ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة/ ٢٩ .

١٢. وَقُمُوا^(١) الْمَرَائِلَ عَنْ خِرْقَةٍ^(٢)
 ١٣. وَلَمْ يَسْتَخَفُوا بِأَعْلَامِنَا
 ١٤. وَلَا جَالِسُوهُمْ وَهُمْ هُجْنَةٌ^(٥)
 ١٥. أَبَادِيْسُ أَنْتَ امْرُؤٌ حَازِقٌ
 ١٦. فَكَيْفَ اخْتَفَتْ عَنْكَ أَعْيَانُهُمْ
 ١٧. وَكَيْفَ تُحِبُّ فِرَاحَ الزَّنَا
 ١٨. وَكَيْفَ يَتِمُّ لَكَ الْمُرْتَقَى
 ١٩. وَكَيْفَ اسْتَتَمْتَ إِلَى فَاسِقٍ
 ٢٠. وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي وَحْيِهِ
 ٢١. فَلَا تَتَّخِذْ مِنْهُمْ خَادِمًا
 ٢٢. فَقَدْ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ
 ٢٣. تَأْمَلُ بِعَيْنَيْكَ أَفْطَارَهَا
 ٢٤. وَكَيْفَ انْقَرَدْتَ بِتَقَرِّيهِمْ
 ٢٥. عَلَى أَنَّكَ الْمَلِكُ الْمُرْتَضَى
 ٢٦. وَأَنَّ لَكَ السَّبْقَ بَيْنَ الْوَرَى
 ٢٧. وَإِنِّي اخْتَالْتُ بِعَرْطَاطَةٍ
 ٢٨. وَقَدْ قَسَمُوا هَا وَأَعْمَالَهَا
- مُلَوَّنَةٌ لِذَنَارِ^(٣) الدَّقِينِ^(٤)
 وَلَمْ يَسْتَطِيلُوا عَلَى الصَّالِحِينَ
 وَلَا وَاجِبُوهُمْ^(٦) مَعَ الْأَقْرَبِينَ
 تُصِيبُ بِظُلْمِكَ نَفْسَ^(٧) الْيَقِينِ
 وَفِي الْأَرْضِ تُضْرَبُ مِنْهَا الْقُرُونُ^(٨)
 وَهُمْ^(٩) بَغْضُوكَ إِلَى الْعَالَمِينَ
 إِذَا كُنْتَ تَبْنِي وَهُمْ يَهْدِمُونَ
 وَقَارَنَتْهُ وَهُوَ بَيْسَ^(١٠) الْقَرِينِ
 يُحَدِّرُ عَنْ^(١١) صُحْبَةِ الْفَاسِقِينَ
 وَدَرُّهُمْ إِلَى لَعْنَةِ الْمَلَاعِينِ
 وَكَادَتْ تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينَ
 تَجِدُهُمْ كِلَابًا بِهَا خَاسِئِينَ
 وَهُمْ فِي الْبِلَادِ مِنَ الْمُبْعَدِينَ
 سَلِيلُ الْمُلُوكِ مِنَ الْمَاجِدِينَ
 كَمَا أَنْتَ مِنْ جُلَّةِ السَّابِقِينَ
 فَكُنْتُ أَرَاهُمْ بِهَا عَابِثِينَ
 فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِينُ

١ - وَقُمُوا: قَدْ تَكُونُ مِنْ قَمَاءِ الرَّجُلِ ذَلٌّ وَصَعْرٌ وَصَارَ قَمِيئًا. وَرَجُلٌ قَمِيٌّ: ذَلِيلٌ، وَقِيلَ: وَمَا قَامَأَتْهُمْ الْأَرْضُ: وَافَقَتْهُمْ، وَالْأَعْرَفُ تَرَكَ الْهَمْزَ. مَا يُقَامِيْنِي الشَّيْءُ أَيُّ مَا يُوَافِقُنِي أَوْ يَشْبِهُنِي، وَتَقَمَّأْتُ الْمَكَانَ تَقَمُّوْا أَيُّ وَافَقْنِي، فَأَقَمْتُ فِيهِ. وَقَدْ تَكُونُ مِنْ قَمٍّ بَيْتُهُ إِذَا كَنَسَهُ. وَمِنْهُ الْقَمَّةُ، بِالضَّمِّ، الْمَرْتَلَةُ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [قَمَاءٌ، قَمِيٌّ، قَمَمٌ] ١/١٣٤، ١٥/٢٠١، ١٢/٤٩٤.

٢ - الْخِرْقَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الثَّوْبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [خِرْقٌ] ١٠/٧٣.

٣ - وَرَجُلٌ خَاسِرٌ دَائِرٌ: الدَّائِرُ هُنَا الْهَالِكُ، الدَّائِرُ الْوَسَخُ. فِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: أَنَّ الْقَلْبَ يَدْنُرُ كَمَا يَدْنُرُ السِّيفُ فَجَلَاوَهُ ذَكَرَ اللَّهُ أَيُّ يَصْنَدُ كَمَا يَصْدَأُ السِّيفُ، الدَّنَارُ: هُوَ الثَّوْبُ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الشَّعَارِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [دَنَرٌ، شَعَرٌ] ٤/٢٧٦، ١٣/٤١٣.

٤ - الدَّقِينُ: الَّذِي يَظْهَرُ بَعْدَ الْخَفَاءِ وَيَفْشُو مِنْهُ شَرٌّ وَعَرٌّ، وَقِيلَ رَجُلٌ دَقِيْنٌ مَرْوَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَرْوَةٌ.

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [دَقِنٌ] ١٣/١٥٦.

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [هَجَنٌ] ١٣/٤٣٣.

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [وَكَبٌ] ١/٨٠٢.

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [قَرَنٌ] ١٣/٣٣٣.

٥ - هُجْنَةٌ: غِلَظٌ.

٦ - وَاجِبُوا: مِنْ أَوْكَبَ أَيُّ لَزِمَ الْمَوْكِبَ.

٧ - مَزَمَى الْيَقِينِ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.

٨ - تُضْرَبُ الْقُرُونُ: أَيُّ يُضْرَبُونَ عَلَى قَرْنِي رُؤُوسِهِمْ.

٩ - فَكَيْفَ، وَقَدْ بَغْضُوكَ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.

١٠ - بَنَسَ: بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَةِ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.

١١ - مِنْ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.

٢٩. وَهُمْ يَقْبِضُونَ جَبَائِلَهَا^(١)
 ٣٠. وَهُمْ يَلْبَسُونَ رَفِيعَ الْكَسَا
 ٣١. وَهُمْ أَمَّاكُمْ عَلَى سِرِّكُمْ
 ٣٢. وَيَأْكُلُ غَيْرُهُمْ دِرْهَمًا
 ٣٣. وَقَدْ نَاهَضُوكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ
 ٣٤. وَقَدْ لَابَسُوكُمْ بِأَسْحَارِهِمْ^(٦)
 ٣٥. وَهُمْ يَذْبَحُونَ بِأَسْوَاقِهَا^(٧)
 ٣٦. وَرَخَّيْمٌ^(٩) قِرْدُهُمْ دَارُهُ
 ٣٧. فَصَارَتْ^(١١) حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ
 ٣٨. وَيَضْحَكُ مِنَّا وَمِنْ دِينِنَا
 ٣٩. وَلَوْ قُلْتُ فِي مَالِهِ إِنَّهُ
 ٤٠. فَبَادِرْ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً
 ٤١. وَلَا تَرْفَعْ الضَّغْطَ عَنْ رَهْطِهِ
 ٤٢. وَفَرَّقْ عِذَاهُمْ^(١٣) وَخُذْ مَالَهُمْ
 ٤٣. وَلَا تَحْسِبَنَّ قَتْلَهُمْ غَدْرَةً
- وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَقْضِمُونَ^(٢)
 وَأَنْتُمْ لَأَوْضَاعِهَا^(٣) لَا بَسُونَ
 وَكَيْفَ يَكُونُ خَوْونٌ أَمِينٌ؟^(٤)
 فَيُقْصَى، وَيَذْنُونَ إِذْ يَأْكُلُونَ
 فَمَا تَمْنَعُونَ وَلَا تُشْكِرُونَ^(٥)
 فَمَا تَسْمَعُونَ وَلَا تُبْصِرُونَ
 وَأَنْتُمْ لَأَطْرَافِهَا^(٨) أَكْلُونَ
 وَأَجْرِي إِلَيْهَا تَمِيرٌ^(١٠) الْعُيُونَ
 وَتَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ
 فَأَنَا إِلَى رَبَّنَا رَاجِعُونَ
 كَمَالِكَ كُنْتُ^(١٢) مِنَ الصَّادِقِينَ
 وَضَحَّ بِهِ فَهُوَ لَكَ بَشَرٌ سَمِينٌ
 فَقَدْ كَنَزُوا كُلَّ عِلْقٍ ثَمِينٌ
 فَأَنْتَ^(١٤) أَحَقُّ بِمَا يَجْمَعُونَ
 بَلِ الْعَذْرُ فِي تَرْكِهِمْ يَعْثَبُونَ

- ١ - جَبَايَةُ الْخَرَج: جَمْعُهُ وَتَحْصِيلُهُ.
 ٢ - وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَقْضِمُونَ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ. الْخَضْمُ: الْأَكْلُ بِأَقْصَى الْأَضْرَاسِ، وَالْقَضْمُ الْأَكْلُ بِأَدْنَاهَا، يَقْصِدُ أَنَّهُمْ يَسْتَوْلُونَ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ بِشَتَّى الطَّرِيقِ وَالْوَسَائِلِ.
 ٣ - لَأَوْضَاعِهَا فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.
 ٤ - أَمِينًا خَوْونٌ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.
 ٥ - فَمَا يُمْنَعُونَ وَمَا يُشْكِرُونَ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.
 ٦ - لَا بَسُوكُمْ: مِنَ التَّبَسُّرِ بِي أَيِ خَوْلَطْتُ فِي عَقْلِي، أَوْ مِنْ لَابَسَ بِمَعْنَى عَرَفَ بَاطِنَهُ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [لبس] ٢٠٤/٦.
 بِأَسْحَارِهِمْ يَكْسِرُ الهمزة فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا بِعَمَلِهِمُ السَّحَرُ.
 ٧ - بِأَسْوَاقِنَا فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ، وَيَقْصِدُ أَسْوَاقَ غَرْنَاطَةِ.
 ٨ - لَأَطْرَافِهِمْ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ، وَالْإِطْرَافُ قَدْ تَكُونُ مِنَ الطَّرِيفَةِ: ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ. ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [طرف] ٢٢٠/٩.
 ٩ - رَخَّيْمٌ الدَّارُ: جَعَلَهَا مِنَ الرَّخَامِ، وَالرَّخَامُ: حَجَرٌ أَبْيَضٌ سَهْلٌ رَخْوٌ.
 ١٠ - التَّمِيرُ: الْمَاءُ الزَّاكِي، النَّامِي، عَذْبًا كَانَ أَوْ غَيْرَ عَذْبٍ.
 ١١ - وَصَارَتْ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.
 ١٢ - قُلْتُ كُنْتُ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.
 ١٣ - عَرَاهُمْ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.
 ١٤ - فَأَنْتُمْ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ.
- ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [جبي] ١٣١/١٤.
 ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانَ الْعَرَبِ [خضم] ١٨٣/١٢.

٤٤. وَقَدْ تَكُنْتُ^(١) وَأَعَهْدَنَا عِنْدَهُمْ
 ٤٥. وَكَيْفَ تَكُونُ لَهُمْ ذِمَّةٌ^(٢)
 ٤٦. وَنَحْنُ الْأَذَلَّةُ مِنْ بَيْنِهِمْ
 ٤٧. فَلَا تَرْضَ فِينَا بِأَفْعَالِهِمْ
 ٤٨. وَرَاقِبْ إِلَهَكَ فِي حَزْبِهِ
 فَكَيْفَ تُلَامُ عَلَى النَّاكِثِينَ
 وَنَحْنُ خُمُولٌ وَهُمْ ظَاهِرُونَ
 كَأَنَّا أَسْلَأْنَا وَهُمْ مُحْسِنُونَ^(٣)
 فَأَنْتَ رَهِيْنٌ بِمَا يَفْعَلُونَ
 فَحِزْبُ الْإِلَهِ هُمُ الْغَالِبُونَ^(٤)

د- مِدْحَةُ نَبَوِيَّةِ لَابْنِ سَهْلٍ الْإِسْرَائِيلِيِّ

- جَعَلَ الْمُتَهَيِّمِينَ حُبَّ أَحْمَدَ شَيْمَةً
 فَعَدَا هَوَاهُ عَلَى الْقُلُوبِ تَنَمِيمَةً
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 أَبْدَى جَبِينَ أَبِيهِ شَاهِدَ نُورِهِ
 كَالطَّيْرِ غَرَّدَ مُعَرَّبًا بِصَفِيرِهِ
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 أَنْسُ الرِّسَالَةِ بَعْدَ شِدَّةِ نَفَرَةٍ
 مُحْيِي النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى عَنْ قَفَرَةٍ
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 اللَّهُ أَوْضَحَ فَضْلَهُ قَتَوَضَّحًا
 وَالْجِدْعُ حَنْ هَوَى لَهُ قَتَرَنَحًا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 رِيَّا الرُّوَايَةِ عَنْ عُلاهِ زَكِيَّةً
 أَوْصَافُهُ عُلُوبِيَّةً فَلَكِيَّةً
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 وَأَتَى بِهِ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيمَةً
 وَغَدَا هُدَاهُ لَهُمْ تَنَمِيمَةً
 سَجَعَتْ بِهِ الْكَهَّانُ قَبْلَ ظُهُورِهِ
 عَنْ وَجْهِهِ إِصْبَاحٌ يُطِلُّ نَسِيمًا
 مَنْجَى الْبَرِّيَّةِ وَهِيَ فِي يَدِ غَمَرَةٍ
 فَكَأَنَّمَا كَفَلَ الرَّشَادَ يَتِيمًا
 وَاللَّهُ بَيِّنَ حُبِّهِ فِي "وَالضُّحَى"
 وَالْمَاءُ قَاضٍ بِكَفِّهِ تَسْنِيمًا
 نَجَّوَاهُ رَبَّانِيَّةً مَلَكِيَّةً
 فَأَخَالَ شِعْرِي عَنْدَهَا تَنْجِيمًا

١ - فَقَدْ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ .

٢ - لَنَا هِمَّةٌ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ .

٣ - وَهُمْ يُحْسِنُونَ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ .

٤ - هُمُ الْمُفْلِحُونَ فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ .

احْتَبْتُ فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ بُرَاقَهُ والأَرْضُ وَاجِمَةٌ تَخَافُ فَرَاقَهُ
 سُبْحَانَ مَنْ أَدْنَى سُرَاهُ فَسَاقَهُ شَخْصًا عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ كَرِيمَا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 فَاشْتَمَّ رِيحَانُ الْقُلُوبِ الطَّيِّبَا وَدَنَا فَأَسْمَعَ يَا مُحَمَّدُ مَرْحَبَا
 إِنِّي جَعَلْتُكَ جَارَ عَرْشِي الْأَقْرَبَا إِنَّ كُنْتُ قَبْلَكَ قَدْ جَعَلْتُ كَلِيمَا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 يَا لَيْلَةَ يَجْرِي الزَّمَانُ فَتَسْبِقُ الْحُجُبُ فِيهَا وَالْأَرَائِجُ تُفْتَقُ
 مَا كَانَ مِنْكَ اللَّيْلُ قَبْلَكَ يَغْبِقُ بُشْرَى مُحَمَّدٍ اسْتَفَادَ نَسِيمَا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 حَتَّى إِذَا افْتَعَدَ الْبُرَاقُ لِيَنْزِلَا نَادَتْهُ أَسْرَارُ السَّمَوَاتِ الْعُلَا
 يَارَاحِلًا وَدَعَتْهُ لَا عَنْ قَلْبِي مَا كَانَ عَنْكَ بِالْغُيُوبِ دَمِيمَا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 صَعَدَ النُّجُودَ وَسَارَ فِي الْأَغْوَارِ سَمَكَ السَّمَاءِ طُورًا وَبَطْنَ الْغَارِ
 مُتَقَسِّمًا فِي طَاعَةِ الْجَبَّارِ مَا أَشْرَفَ الْمَقْسُومَ وَالتَّقْسِيمَا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 الشَّافِعُ الْمُتَوَسِّلُ الْمُتَقَبِّلُ الْقَائِمُ الْمُدْتَرُّ الْمُزْمِّلُ
 وَاقِيَ وَظَهَرَ الْأَرْضِ دَاجٍ مُمَجِّلُ فَجَلَا الْبَهِيمَ بِهِ وَأَرَوَى الْهِيمَا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 دَفَعَتْ كَرَامَتُهُ الزُّنُوجَ عَنِ الْحَرَمِ وَدَعَاهُ جِبْرِيلُ الْمُتَزَرُّهُ فِي الْحَرَمِ
 وَعَزَّتْ لَهُ آيَاتُ نُونٍ وَالْقَلَمِ خُلُقًا بِهِ شَهِدَ الْإِلَهُ عَظِيمَا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 طَاوٍ يَفِيضُ الزَّادُ فِي أَصْحَابِهِ غَيْثٌ وَلَكِنْ كَانَ يُسْتَضْحَى بِهِ
 طَابَتْ ضَمَائِرُ قُلُوبِهِ وَتُرَابِهِ مِنْهُ بِسِرٌّ لَمْ يَكُنْ مَكْتُومَا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا
 يَا شَوْقِي الْحَامِي إِلَى ذَاكَ الْحِمَى فَمَتْنِي أَقْضِيهِ عَرَامًا مُغْرَمَا
 وَمَتْنِي أَعَانِقُهُ صَاعِدًا مُكْرَمَا بِضَمِيرٍ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَأْثُومَا
 صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّمُوا تَسْلِيمًا

رابعاً :- ملاحق القطع النثرية

أ- رسائل إلى اليهود

١ - من أبي الربيع القضاعي إلى يوسف الإسلامي معاتباً.

جاء في "الأخيرة" فصل من رُقعة لأبي الربيع سليمان القضاعي خاطب بها يوسف الإسلامي الذي ذكر رياض فريخة أنه ابن الوزير اليهودي أبي الفضل بن حسداي^(١)، وقد طلب منه آلة تجار حدم عنده، فوجه بها حاشا المنشأ^(٢)، فقال فيها:

"مَنْ دَخَلَ فِي مِلَّةِ التَّزَمُّهَا، وَلَيْسَ مِنْ شَرِيعَةِ هَذَا الدِّينِ مَنَعُ الْمَاعُونِ. وَمِنْ تَمَامِ الْإِسْلَامِ حِفْظُ الْجَوَارِ وَرِعَايَةُ الدِّمَامِ، وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِحْسَانِ قَضَاءُ لِبَاتَاتِ الْإِخْوَانِ، وَمَا تُعَلِّمُ الْعَوَانُ الْخِمْرَةَ^(٣)، وَلَا نَجِدُ بِكَ مِنْ وَنِيَّةٍ^(٤)، فَأَنْتَ الْمُسْتَوَلِي عَلَى أَمَدِ النَّهَايَاتِ، وَالْمُبَرِّزُ فِي غِلَابِ الْمُذَكِّيَاتِ^(٥)، وَالْحَاوِي قَصَبِ السَّبْقِ إِلَى الْغَايَاتِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَالَ الْجَهَادَةُ أَوَّلًا:

وَأَيُّ الْجِيَادِ لَا يُقَالُ لَهُ هَلَا^(٦)

وَمَا تُعْزَى إِلَى بُخْلِ وَأَنْتَ أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةٍ^(٧)، وَلَا تُبْصِرُ مِنْ جَهْلٍ وَأَنْتَ قُطْبُ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ، وَقَدْ أَنْكَرْتَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ بَخْلَكَ بِالْمِنْشَارِ، وَأَعْمَلْتَ الْفِكْرَةَ فِي النَّظَرِ إِلَى بَعْدِ مَرَامِيكَ، وَابْحَثْ عَنْ غُمُوضِ مَعَانِيكَ، فَلَا حَتَّ لِي دَرِيَّةٍ^(٨) مَرَمَاكَ، وَأَشْرَفْتُ مُطَالاً عَلَى مَغْزَاكَ، وَحَدَسْتُ بَعْدَ تَسْدِيدِ سِهَامِ التَّوَهُّمِ، وَرَمَيْتُ عَنْ قِسِي النَّفْهِمِ أَنَّ عِلَّةَ ضَنَائِكَ بِهِ مِنْ أَجْلِ مَا مَرَّ بِبَالِكَ ذِكْرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي أُثْبِرَتْ وَفِيهَا يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَحَرَّجْتَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ حَرِيمِكَ آلَةً كَانَتْ فِيهَا مَضَى

١ - انظر: رياض فريخة الفكاكه في الأدب الأندلسي ص ١١٤ .

٢ - المنشأ : هو المنشأ . ابن منظور لسان العرب [أش] ٢١/٤ .

٣ - العوان: اللصف في سبها من كل شيء. وفي المثل: لا تعلم العوان الخمرة: أي المجرب عارف بأمره كما أن المرأة التي تزوجت تحسن القناع بالخمار . ابن منظور لسان العرب [عون] ٢٩٩/١٣ .

٤ - ونية: ثوان . ابن منظور لسان العرب [وني] ٤١٦/١٥ .

٥ - من المثل : جزي المذكي ات غلاب أي أن المسان تؤخذ بالمغالبة والقوة والصغار تدارى ولا تحمل على غلظ ومشقة، والمذكي: المسن . انظر: أبو عبيد البكري فصل المقال ١٢٧/١؛ أبو هلال العسكري جمهرة الأمثال ٢٩٩/١ .

٦ - من رد ليلي الأخيلية على النابغة الجعدي: [الكامل]

أعيرتني داء بأمك مثله وأي حصان لا يقال لها هلا

أبو الفرج الأصبهاني الأغاني ٢١/٥؛ ابن فتيبة النينوري أدب الكاتب ٣٢٤/١ .

٧ - من المثل: أسمح من لافظة ، واللافة: هي الرحي سميت بذلك لأنها تلفظ ما تلفظ

انظر: أبو هلال العسكري جمهرة الأمثال ٥٣١/١؛ ابن منظور لسان العرب [لفظ] ٤٦١/٧ .

٨ - الدرية : كل ما استتر . ابن منظور لسان العرب [درا] ٧٤/١ .

سَبَبًا إِلَى حَدَثٍ مَشْنُومٍ بِسَفْكَ دَمِ نَبِيِّ غَرِيمٍ، وَلَوْ لَمَحَتْ وَجْهَ مَطْلَبِي بِنَظَرٍ تَأْمُلُكَ لَعَلِمْتَ، وَمَا أَظُنُّكَ جَهِلْتَ أَنَّ الْحَشْبَةَ الَّتِي أَحْبَبْتَ أَنْ تُؤَسَّرَ عِنْدِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا حَيَوَانٌ غَيْرُ الْأَرْضَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مِنْسَاءَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَلَا إِذْ أَسَأْتُ بِي الظَّنَّ تَبَيَّنَتْ عَلَى مَا تُوجِبُهُ السُّنَّةُ أَنَّ الْعَارِيَّةَ مُؤَدَّاةٌ، وَقَدْ كَانَ لَكَ فِي ارْتِهَانِ خَطِّ يَدَي لِنَجَارِكَ مَقْنَعٌ؛ فَقَدْ قَبِلَ كِسْرَى وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَوْسَ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ عَلَى نَزَارَتِهَا^(١) رَهْنًا عَنْ جَرَائِمِ الْعَرَبِ أَنْ تَعِيبَ فِي السَّوَادِ وَإِنَّمَا كَانَتْ فَلَقَةً عُودٍ وَوَتَرَ مَصِيرٍ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّانِيَّ أَجْدَرُ بِالْوَفَاءِ وَالِاتِّمَارِ مِنَ الْجَاهِلِيِّ، وَفِي الْإِعْتِدَارِ الْمُتَقَدِّمِ عَنْكَ مَا يَقْضِي بِرَأْيِكَ، هَذَا إِلَى ارْتِنَاءِ الْمَشِيخَةِ وَإِثَارِهِمُ الرُّوِيَّةَ عَلَى الْبَدِيهَةِ وَحُكْمِهِمْ أَنَّ الرَّأْيَ الْفَطِيرَ وَإِنْ أَصِيبَ بِهِ التَّقْدِيرُ مِنْ سُوءِ التَّذْيِيرِ. وَالْأَنَاءُ عِنْدَهُمْ مَحْمُودَةٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَنِكَاحُ الْكُفُوِّ وَدَفْنُ الْمَيِّتِ، وَمَا قَدَحْتُ فِي شَرَفِكَ هَذِهِ الْوَصْمَةُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهَا بُخْلًا وَطَفَاسَةً^(٢) إِذْ بَاطِنُهَا عَقْلٌ وَسِيَاسَةٌ، فَإِنْ اخْتَجَّ عَلَيْكَ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّ أَمَقَّتِ اللَّوْمُ وَأَفْبَحَهُ وَأَجْلَبَهُ لِلشُّيْنِ وَأَفْضَحَهُ بُخْلٌ مَنْ بَخَلَ بِالنَّافَةِ الْيَسِيرِ وَالنَّزْرِ الْحَقِيرِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ فِي مُلْكٍ يَدِيهِ وَلَا طَمَاعِيَّةَ لَهُ فِي الْمُنْشَارِ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ فَإِنَّ الْأَمَلَ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ بَعْدُ، فَقَدْ تَنْتَقِلُ دُولَاتُ التَّأْمِيرِ، فَكَيْفَ بِآلَاتِ الْمَيَاشِيرِ وَالْأَيَّامِ دَوْلٌ، وَالْدُّنْيَا جَمَّةُ التَّنَقُّلِ، تَجْمَعُ وَتَبْتُ، وَتُسَمِّنُ وَتُغَثُّ، وَرُبَّمَا تَأَلَّفَتِ الْأَضْدَادُ وَتَشَتَّتَ الْأَنْدَادُ، وَأَقَادَتْ غَيْرَ الْمَطْلُوبِ، وَحَالَتْ دُونَ الْمَرْغُوبِ، أَلَمْ تَرَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَيْفَ اقْتَبَسَ نَارًا فَأُقْبِسَ أَنْوَارًا، وَوَافِدَ الْبَرَاجِمِ^(٣) كَيْفَ شَمَّ الْقُتَارِ وَأَمَّ قَرَمًا^(٤) إِلَى النَّارِ. أَلَمْ تُعَلِّينِ الْكِتَابَةَ الَّتِي أَنْتَ قُطْبُهَا، وَهِيَ أَجَلُ صِنَاعَةٍ، رُبَّمَا عُدِلَ بِهَا عَنْ نُبْلَاءِ الْمُحْسِنِينَ إِلَى الدُّخْلَاءِ الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي^(٥)، وَلَا يُدْرِكُونَ بِأَفْهَامِهِمْ إِلَّا الْمَرْيِي، فَحَدِيثُهُمُ الطَّغْنُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّنْقِصُ لِذَوِي الْفَهْمِ، وَلَا مَرَّ مَا دَمَ الصُّبْحُ الْمُرِيبُ وَعَابَ الْمُتَحَمِّلُ غَيْرَ الْمُعِيبِ. وَقَدْ بَصُرْتُ بِمَا عَلَيْهِ هَذَا الصَّنْفُ الْوَاعِلِي^(٦) مِنَ الْعَجْزِ وَالتَّشْغِيبِ وَالْحِيَذَةِ عَنِ الْقِيَاسِ الْمُصِيبِ، وَإِنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا بِلَاغَةَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْجِبِلِّ الْأَفْضَلِ قَالُوا: أَمْرٌ لَيْسَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَإِذَا أَسْعَوْا إِلَى تَحْبِيرِ صَالِحِ الْخَلْفِ الْمُقْتَدِي بِمَحْمُودِ السَّلَفِ قَالُوا: هَذَا التَّعْقِيبُ وَالتَّقْعِيرُ الْمُعِيبُ فَقُلْ لَهُمْ: فَافْتَقُوا بِحُورِكُمْ الزَّاخِرَةَ بِزَعْمِكُمْ، وَأَدِرُّوا سُحْبَكُمْ الثَّرَّةَ^(٧) بِدَعْوَاكُمْ، وَاحْشُدُوا مُدُودَ أَذْهَانِكُمْ وَاسْرُدُوا غَرَائِبَ بَيَانِكُمْ

١ - هُوَ : حاجب بن زرارة التميمي الذي رهن عند كسرى قوسه ملكي يؤذن له ولقومه في دخول الريف من بلاده حتى يمتاروا في جذب أصابهم .
انظر: الثعالبي ثمار القلوب ١/٦٢٥

٢ - طَفَاسَةٌ : قَذَارَةٌ . ابن منظور لسان العرب [طفس] ١٢٤/٦ .

٣ - مِنَ الْمَثَلِ: أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِي الْأَعْيَانِي ٢٢/١٩٤؛ الثعالبي ثمار القلوب ١/١٠٧-١٠٨؛ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ جَمَهْرَةُ الْأَمْثَالِ ١/١٢١ .

٤ - الْقَرَمُ: شِدَّةُ الشَّهْوَةِ إِلَى النَّارِ . ابن منظور لسان العرب [قرم] ١٢/٤٧٣ .

٥ - مُتَأَنِّرٌ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةٌ ٧٨ .

٦ - الْوَعْلُ مِنَ الرِّجَالِ: التُّذُلُ الضَّعِيفُ السَّاقِطُ الْمَقْصُرُ فِي الْأَشْيَاءِ . ابن منظور لسان العرب [وعل] ١١/٧٣٠ .

٧ - سَحَابَةٌ ثَرَّةٌ: كَثِيرَةٌ الْمَاءِ . ابن منظور لسان العرب [ثرر] ٤/١٠٢ .

وَحَلَاكُم دَمٌ - إِذَا وَاللَّهِ أَيْتَهَا الْعَصَابَةُ تَهُبُّ رِيحُ اخْتِفَالِكُمْ رُخَاءً لَا تُثِيرُ سَحَابًا، وَلَا تَسْفِي هَبَاءً إِلَّا مَا يَتَوَّاهُ بَعْدَ الرِّبِّثِ وَإِدْمَانِ الْإِبْسَاسِ^(١) مِنْ قَطَارَةِ الْمَعَانِي الْمُبْدَلَةِ السُّوقِيَّةِ وَعُصَارَةِ الْأَلْفَافِ الرَّذِيلَةِ الْعَامِيَّةِ الَّتِي يِعَافُهَا الْخَاصِّي لِسَفَالَتِهَا وَيَجْتَنِبُهَا الْعَامِّي لِخِلَاقَتِهَا، ثُمَّ إِذَا رَجَعْتُمْ الْبَكَاءَ^(٢) إِلَى الْاسْتِعَارَةِ مِنْ كَلَامِ الْبُلَغَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْأَجْلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَدَهَبْتُمْ إِلَى أَنْ تَهْتَدُوا بِأَنْوَارِهِمْ وَتَقْتَدُوا بِأَنْوَارِهِمْ اعْتَسَفْتُمْ الْكَلَامَ وَصَحَقْتُمُوهُ، وَأَخْلَتُمْ النِّظَامَ فَأَكْرَهْتُمُوهُ، وَرَفَعْتُمْ خَيْشَ الْمُرُوطِ الصُّوفِيَّةِ بِرَقِيقِ الْبُرُودِ الْمُوشِيَّةِ، وَقَرَنْتُمْ دُرَّ غَيْرِكُمْ بِأَجْرِكُمْ، فَاُمْتَارَتْ مَعَ تَعْدِيكُمُ الْآثَارُ بِتَمْوِيهِكُمْ مَحَاسِنَهُمْ مِنْ قَبَائِحِكُمْ، وَإِذَا خَصَّصْتَ حَقِيقَةَ فَضَائِحِكُمْ لَمْ تَعْتَصِمُوا بِعَلْقِ سِوَى الْاضْطِّعَانِ وَالْحَقِّ: [كامل]

غَضِبَ الثِّيُوسُ عَلَى شِفَارِ الْجَازِرِ وَالْمُغْرَقِينَ عَلَى الْآتِيِ الزَّائِرِ

فَقَدْ اجْتَهَدَ لِنَصْرِكَ مَنْ قَامَ بِعُذْرِكَ، وَحَمَلْتَنِي لَكَ الْعَصَبِيَّةُ، وَاسْتَدْعَتْنِي فِيكَ الْحَمِيَّةُ إِلَى مَا تَرَى مِنْ تَوْبِيخِ الْكُتُبَةِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ بِسُطَّتِكَ فِي الْعُلُومِ الدِّيَانِيَّةِ وَلَا بِرَاعَتِكَ فِي الْفُنُونِ الْأَدَبِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ جَلَالاً بِكَ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَى حِزْبِكَ مَنْ لَا يَعْدِلُ بِكَ، وَكَمَا لَا يَضُرُّ بِالْجَوَادِ السَّابِقِ أَنْ يَكُونَ فِي أَرِيٍّ^(٣) مَعَ بَطَاءِ الْأَعْيَارِ^(٤) كَذَلِكَ لَيْسَ عَلَيْكَ فِي اخْتِلَاطِكَ بِهِمْ مِنْ كَلْبَةٍ وَلَا عَارٍ ثُمَّ نَعُودُ إِلَى تَفْنِيدِ الْمُعْتَرِضِ عَلَيْكَ بِاسْتِنْتِجَارِ الْمُنْشَارِ، وَكَيْفَ يُوسَمُ بِالْحَقَّارَةِ أَوْ يُرْسَمُ بِالنَّزَارَةِ وَهُوَ مِنَ الْحَدِيدِ الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ إِرْهَافِهِ وَرِقَّةِ غِرَارِهِ وَاضْطِرَابِ مَتْنِهِ مُنَاسِبٌ لِحُسَامِ الْكَمِيِّ^(٥) الْبَطَلِ، وَحَامِلُهُ غَيْرُ أَعَزَلٍ، وَإِنْ شِئْتَ اسْتَمَجَدْتَ مِنْهُ زِنَادًا وَشِفَارًا جَدَادًا وَمِنْ بَدَائِعِ أَعَاجِيْبِهِ أَنْ الْمُدَى مَا لَمْ تَكُنْ مَفْلُوءَةً فَهِيَ أَبْرَى، وَالْمُنْشَارُ لَا يَحْسُنُ قَبْضُهُ حَتَّى يُقْلَلَ غَرْبُهُ، وَمِنْ آلَاتِ الْمُنْشَارِ عَصَاهُ الَّتِي تُتَقَفُّ أَنْ يَنَادَ وَتُسَدَّدُهُ إِذَا حَادَ، وَإِنْ شِئْتَ صَنَعْتَ مِنْهَا مَخَاصِيرَ لَأَرْبَابِ الْمُلْكِ أَوْ صُلْبَانًا وَمُتَكَاتٍ لَطَوَاغِيَتِ الشَّرْكِ مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَارِبِ الْجَسِيمَةِ وَقَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَى تَصْنِيفِهَا بِمَا ذَكَرَهُ الْجَاحِظُ فِي الْعَصَا فَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُكَ تُلْهَجُ بِكِتَابِ الْبَيَانِ وَتَدَّعِي حِفْظَهُ، وَمِنْ عَجَائِبِ الْمُنْشَارِ إِذَا سَمِعَ جَعَجَعْتُهُ رَبِّي طَحْنُهُ^(٦)، وَمِنْ غَرَائِبِهِ شِكَاْلُهُ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّعْرِ وَالصُّوفِ وَالْوَبَرِ، وَقَدْ وَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّنْزِيلِ فَقَالَ: (وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ)^(٧)، فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَسْتَنْزِرَ مَا نُبْهِنَا لِنُحْمَدَهُ وَنَشْكُرَ، فَإِنْ اعْتَرَضَ عَلَيْكَ أَنْ شِكَاْلَهُ^(٨)

- ١ - الْإِبْسَاسُ : النطق بالشفيتين دون اللسان .
 - ٢ - الْبَكَاءُ : قِلَّةُ الْكَلَامِ .
 - ٣ - الْأَرِيُّ : مِنَ الْأَرْوِيَّةِ وَالْإِزْوِيَّةِ وَهِيَ الْأَثْنَى مِنَ الْوُغُولِ .
 - ٤ - الْأَعْيَارُ : الْغُيُوبُ .
 - ٥ - الْكَمِيُّ : الْبَطَلُ .
 - ٦ - مِنَ الْمَثَلِ : أَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طَحْنًا ، وَمَعْنَاهُ أَسْمَعُ جَلْبَةً وَلَا أَرَى عَمَلًا .
 - ٧ - سُورَةُ النَّحْلِ، آيَةُ ٨٠ .
 - ٨ - الشُّكَالُ : الْعَقَالُ أَوْ الْحَبْلُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ قَوَائِمُ الدَّابَّةِ .
- ابن منظور لسان العرب [يسر] ٢٨/٦ .
- ابن منظور لسان العرب [بكأ] ٣٥ /١ .
- ابن منظور لسان العرب [أري] ٣٥٠/١٤ .
- ابن منظور لسان العرب [عير] ٦٢٥/٤ .
- ابن منظور لسان العرب [كمي] ٢٣٢/١٥ .
- انظر: أبو هلال العسكري جمهرة الأمثال ١/١٥٤؛ أبو عبيد البكري فصل المقال ١/٤٤٨ - ٤٤٩ .
- ابن منظور لسان العرب [شكل] ٣٥٨/١١ .

قَدْ يُصْنَعُ مِنْ لَيْفٍ وَدَوِّمٍ وَشَبْهَةٍ قَاقُلٌ مَا يُوجِبُهُ أَنْ يُعْقَلَ بِهِ بَعِيرٌ، وَقَدْ قَالَ الصَّدِيقُ لَوْ مَنَعُونِي عَقْلاً لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ، ذَكَرَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ مَعْنَاهُ "ثَمَنٌ عَقَالٌ" إِذْ ذَلِكَ حَزْمٌ فِي الْمِلَّةِ وَابْتِدَاعٌ مُحَدَّثٌ فِي زَكَاةِ الْأَمَةِ، وَلَوْلَا خَوْفُ الطُّولِ بِإِقَامَةِ مَعَادِيرِكَ لَأَمَعْنَا فِي التَّوْجِيهِ وَلَكِنَّ الْإِشَارَةَ كَافِيَةٌ لِمَنْ عَقَلَ، كَمَا أَنَّ الْإِطَالََةَ غَيْرُ مُفْتِنَةٍ لِمَنْ سَاءَ فَهْمُهُ وَجَهْلٌ" (١).

٢- رِسَالَةٌ مِنَ الْخَصْرِيِّ لَابْنِ حَسْدَايَ يَشْكُو صَهْرَهُ الْيَهُودِيَّ

أَرْسَلَ الْأَدِيبُ أَبُو الْحَسَنِ الْخَصْرِيُّ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسْدَايَ شَاكِيًا صَهْرَهُ ابْنَ عِيَّاشِ الْيَهُودِيِّ، فَقَالَ: سَيِّدِي الَّذِي حُتِمَتْ عَلَيْهِ الْمَنَحُ، فُخِّتِمَتْ بِهِ الْمَدَحُ. حَفِظَ اللَّهُ عِلَّاكَ حِفْظَ سَمَائِهِ. وَأَعَانَكَ مِنَ الْعَيْنِ بِأَسْمَائِهِ، بِحُسْنِ أَوْصَافِكَ، أَحْكَمَ بِإِنْصَافِكَ، أَتَرْضَى لِصَهْرِكَ الْمُشْرِفِ، بِأَخْلَاقِ الْبَخِيلِ الْمُسْرِفِ؟ قَصَدْتُ بِالرَّهَانِ لِلْسَلَفِ، فَعُدْتُ بِالذَّهَانِ وَالصَّلَفِ، وَسَأَلْتُ فِي الزَّمَانِ، فَأَعْطَيْتُ عَطَاءَ الزَّمَانِ، وَأَنَا شَاعِرُ الزَّمَانِ، فَأَحِطْ، فَمَا رَفَعَ أَوْ حِطَّ، وَلَا بَدَّ أَنْ أُنْشِدَهُ لَأَرْثِدَهُ (٢): [مجزوء لرميل]

١. أَيُّهَا الْمُشْرِفُ حَاشَا
لأولي الراي الخطاء
٢. لَا تَقْلُ مَا بِيَدِي مَا
لَّ وَلَا عِنْدِي عَطَاءُ
٣. بَيَّنْتُ أَمْوَالِكَ بَخْرُ
مَا عَلَى الْبَحْرِ غَطَاءُ
٤. أَحْمَدُ غَيْرُ عَلِيٍّ
جِئْتُ بِشَدِّ الْوَصَاءُ
٥. هَلْ هُمَا فِي الْهَمْسِ وَالْإِطْ
بَاقٍ إِلَّا هَا وَطَاءُ
٦. وَكَذَلِكَ الْخَيْلُ مِنْ
هَذَا سِرَاعٍ وَبِطَاءُ

- وَصَدِيقُكَ إِنْ لَمْ يَأْتِ ، فَابْسُطْ عُذْرَهُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ (٣): [مجزوء لكامل]
١. عَرَفَانُ عُرْفِكَ شَاقِي
قَلَوُ اسْتَطَعْتُ لِسَاقِي
 ٢. مَا بَالُ صَهْرِكَ صَدَنِي
وَأَلَى سَنَّاكَ أَتَاقِي
 ٣. وَأَنَا الرَّحِيْقُ سُقَيْتُهُ
فَأَسْأَلُهُ كَيْفَ أَرَاقِي
 ٤. وَلَقَدْ خَلَوْتُ وَلِيَّتِي
أُمِرْتُ لَمَّا دَاقِي
 ٥. قَدْ كُنْتُ رَحْبَ الصَّدْرِ حَتَّى
مَى غَاطَنِي فَأَدَاقِي
 ٦. هُوَ عَقِّي وَبَرَرْتَنِي
هُوَ عَنْ لِقَائِكَ عَاقِي

١ - ابن بسام النخبة ق ٣، م ١/ ٤٩٩ - ٥٠٥ .

٢ - ابن بسام النخبة ق ٤، م ١/ ٢٥٣ - ٢٥٤ .

٣ - ابن بسام النخبة ق ٤، م ١/ ٢٥٤ .

٧. إني أخف على [الوزير]
 ٨. نفسي فداؤك يا أبا الـ
 ٩. أحببته وأحببني
 ١٠. من سأل عنك أجبه
 ر [ولو ثقلت لطاقتي
 فضل الذي راقني
 فاشفقته واشفقني
 ما ففقته بل فاقني

٣- جواب ابن هود لابن حسداي عند فراره عنه

جواب ابن هود إلى أبي الفضل عند فراره عنه :
 "سيدي وأجل عدي، وأسنى الدخائر عدي، وأزكى الفوائد بيدي، ومن أبقاه الله في أتم
 نعمة، وأعظم حرمة؛ وردني كتابك بما أودعته من صورة وجهك وممرتك، وصفة مستوطنك
 ومستقرك، وعرفت حقيقة منزلك^(١)، في تعجلك وتسرعك، وما علمتك على معلوم دكانك يذهب
 عليك السداد في أرائك، ولكن لا تملك عنائك في اعتساف^(٢) طرقك، وخالق خلقك خالق خلقك، وكان
 الأتية بالجميل أن تشعر بإزماع الرحيل، فتوصل وتشيع، ولا تصد عن غرضك ولا تمنع، مهدت بك
 الحال هنالك فلم تبرح موضعك، ولا فارقت مآلك ومجمعك، بما يقتضيه انتظام الجانبين، والتفاف
 الافقين، وكيفما تصرفت فأنت الولي الحميم، لا ينكر ذلك، ولا يخفر عهدك، والله يلقيك كل خير،
 ويجنبك ثمر الغبطة في كل مقام وسير" (٣).

١ - منزلك: رأيك وتديريك .

٢ - اعتساف الطريق: إذا قطعته دون صوب توخاه فأصابه .

٣ - ابن بسام النخيرة ٣، ١ / ٤٩٤ .

ب- رسائل ابن حسداي التي كتبها عن نفسه .

١ - إلى ابن رزين: بشأن عبد أبق عنه .

"كُنْتُ أَرْتَا حُ إِذَا وَمَضَ مِنْ أَفْقِهِ الْبَسَامُ بَارِقٌ، أَوْ دَرَّ^(١) مِنْ سَمْتِهِ الْوَضَّاحُ شَارِقٌ^(٢)، فَأَقْتَصِرُ مِنْ تِلْقَائِهِ عَلَى اسْتِنْشَاقِ نَسِيمٍ، وَأَتَى لِي مِنْ عَرَارٍ نَجْدٍ^(٣) بِشَمِيمٍ، حَتَّى وَرَدَ مَا أَمْتَعَ بِوَابِلٍ بَعْدَ طَلٍّ، وَسَقَى نَهْلًا^(٤) وَوَالَى بَعْلًا^(٥)، وَاسْتَرْهَبَ بِمُعْجَزِي سِحْرِ حَرَامٍ وَحِلٍّ، قَدْ قَصَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْإِبْدَاعَ: طَوْرًا فِي النَّدَى بِبَرَاةٍ خَطِيبٍ وَبَلَاغَةِ كَاتِبٍ، وَطَوْرًا فِي الْوَعَى بِبِدْيَةِ طَاعِنٍ وَرَوِيَّةٍ ضَارِبٍ، وَالرَّبُّ يُدِيمُ إِمْتِنَاعَ أَشْيَاعِهِ بِبَارِعِ جَلَالِهِ، وَيَصُونُ عُيُونَ الْحَوَادِثِ عَنْ كَمَالِهِ، بِمَنْهٍ. وَاسْتَوْضَحْتُ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ مِنْ نَشْدِ الْعَبْدِ الْأَبْقِ^(٦) عَلَى النَّهْدِ السَّابِقِ^(٧)، وَقَدْ أَعْمَلْتُ فِي بَقَائِهِ الْمَكَائِدَ، وَبَنَيْتُ فِي اقْتِنَاصِهِ الْحَبَائِلَ وَالْمَرَاصِدَ، فَكَأَنَّ الرِّيَّاحَ تَحْطِفُهُ، وَالْبَحَارَ غَمَرَتْهُ، وَالْبِلَادَ أَخَفَّتُهُ وَأَضْمَرَتْهُ، وَكَيْفَ يُظْفَرُ بِعَبْدٍ حَوْشِ الْفُؤَادِ، شَكْسِ الْقِيَادِ، رَغَبَ عَنْ خُضُوعِ الْمَمَالِكِ، وَلَحِقَ بِذُؤْبَانِ الصَّعَالِيكِ، يَعْتَسِفُ شَتَّى الْمَسَالِكِ، وَيَعْرُورِي^(٨) ظُهُورَ الْمَهَالِكِ^(٩)، فَاتِحُ كَاسِمِهِ سَائِحٌ عَلَى أَجْرَدِ سَابِحٍ: "كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثُوبَ مَاتِحٍ"^(١٠). وَعَسَى أَنْ يَعُودَ هَذَا الدَّاهِبُ وَشَيْكَا إِلَى مُلْكِهِ، وَيَنْتَظِمَ الْمُتَبَدُّدُ مِنْ سِلْكِهِ، وَإِنْ نَدَّ^(١١) هَذَا الشَّارِدُ، فَمَا يَأْسَى لَهُ الْفَاقِدُ، فَلَا حَظَّ فِي ارْتِبَاطِ غَايِرٍ، وَلَوْ أَرَبَى فِي الْبَاسِ عَلَى أَسَدٍ خَائِرٍ^(١٢)، وَمَا أَوْلَاهُ -أَيَّدَهُ اللَّهُ- أَنْ يَرْتَادَ لِصَنِيعِهِ طَرِيقَ الْمَصْنَعِ^(١٣)، وَيُودِعَهَا خَيْرَ الْمُسْتَوْدَعِ، وَأَنْ يَرْتَابَ بِالثَّقَاتِ، وَيُسِيءَ ظَنًّا بِالْخَدَمِ تَقَرُّسًا فِي السَّمَاتِ، وَقَدْ عُرِيَ

- ١ - دَرَّ : نثر أو بَدَدَ .
- ٢ - الشَّارِقُ : الشَّمْسُ .
- ٣ - عَرَارٍ نَجْدٍ : نبت طيب الريح؛ وقيل هُوَ النرجس البرِّي .
- والكلام من قول الصِّمَّة بن عبدا القشيري: [الوافر] في الحماسة ذونَ قائل
تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمٍ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ
- ٤ - النَّهْلُ : أَوَّلُ الشَّرْبِ .
- ٥ - الْعَلَّ : الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ تَبَاعًا .
- ٦ - الْعَبْدُ الْأَبْقِ : الْعَبْدُ الْهَارِبُ مِنْ سَيِّدِهِ .
- ٧ - نَهْدُ الْقَوْمِ لَعْدُوهُمْ : صَمَدُوا لَهُ وَشَرَعُوا فِي قِتَالِهِ .
- ٨ - يَعْرُورِي فَرَسَهُ : يَرْكَبُهُ عُرْيًا .
- ٩ - مِنْ قَوْلِ تَابِطٍ شَرَا : يَطْلُ بِمَوْمَاءٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا
- ١٠ - مَاتِحٌ : مُمْتَدٌّ .
- ١١ - نَدَّ : شَرَدَ وَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ .
- ١٢ - أَسَدٌ خَائِرٌ : مُقِيمٌ فِي عَرِينِهِ دَاخِلٌ فِي الْخَدْرِ .
- ١٣ - الْمَصْنَعُ : الرِّشْوَةُ أَوْ الْخَدِيعَةُ .

ابن منظور لسان العرب [نذر] ٣٠٣/٤ .

ابن منظور لسان العرب [شرق] ١٧٤/١٠ .

ابن منظور لسان العرب [عرر] ٥٦٠/٤ .

انظر: أبو تمام ديوان الحماسة ص ٢٣٤ .

ابن منظور لسان العرب [نهل] ٦٨٠/١١ .

ابن منظور لسان العرب [علل] ٤٦٧/١١ .

ابن منظور لسان العرب [أبق] ٣/١٠ .

ابن منظور لسان العرب [نهد] ٤٣٠/٣ .

ابن منظور لسان العرب [عرا] ٤٨/١٥ .

جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ . انظر: أبو تمام ديوان الحماسة ص ٢١

ابن منظور لسان العرب [ماتح] ٥٨٨/٢ .

ابن منظور لسان العرب [ندد] ٤٢٠/٣ .

ابن منظور لسان العرب [خدر] ٢٣١/٤ .

ابن منظور لسان العرب [صنع] ٢١٢/٨ .

عَنْ الْخَيْرِ مَنْ جَمَعَ تِلْكَ الصِّفَاتِ: مِنْ زُرْقَةٍ مُقْلَةٍ، وَصُفْرَةٍ بَشْرَةٍ، وَحُمْرَةٍ شَعْرَةٍ، لَا جَرَمَ أَنَّهُ تَزَعُ بِدَنَاءَةِ الْأُرُومِ، إِلَى أَشْبَاهِهِ الرُّومِ، فَلْيَتَعُدْ مِثْلَهُ، فَسَيَنَالُهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ، وَيُوبِقُهُ غِيَّهُ وَجَهْلُهُ" (١).

٢ - إِلَى الْمُسْتَعِينِ: يَعْذِرُ مِنْ خُرُوجِهِ عَنْهُ وَيَطْلُبُ الصَّفْحَ.

"الدَّهْرُ - أَيْدِ اللَّهِ مَوْلَايَ - مُنْتَقِلٌ مُتَقَلِّبٌ، وَالْدُّنْيَا دَوْلٌ وَعُقْبٌ، وَمَقَامُ الْقُطَّانِ (٢) فِي الْأَوْطَانِ كَمَقَامِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ، تَصَحُّبُهَا إِلَى آجَالٍ مُوَفَّاةٍ، عِنْدَ أَمَادٍ مُسْتَوْفَاةٍ، فَمَدَّدُ الْأَحْوَالِ مُنَاسِبَةٌ لِلْأَعْمَارِ: "وَإِنَّمَا النَّاسُ نَفُوسُ الدِّيَارِ". وَقَدْ عَمَرْتُ ذَلِكَ الْأَفْقَ مَا أَمْتَدَّ الْمَهْلُ، فَلَمَّا نَبَأَ، أَجَدَّ الظُّعُنُ وَالْتَحَوَّلُ، وَلَيْسَ لِلْمُلُوكِ عَلَى مَوْلَاهُ حَقٌّ يَدَّعِيهِ، وَلَا مَطْلَبٌ يَقْتَضِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ إِحْسَانٌ يُوثِقُ وَيَقِيدُ، أَوْ تَسْرِيحٌ يُطْلِقُ فَيُشْرِدُ، قَالَ تَعَالَى: "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" (٣)، وَقَالَ الْحَكِيمُ: "مَنْ لَانَ تَأَلَّفَ، وَمَنْ شَدَّ تَفَرَّقَ"؛ وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ، وَفِي كُلِّ مَضِيْقٍ مَجَالٌ، وَقَلَمًا اطَّرَدَتِ الْحَظْوَةُ فِي الدَّوَلِ، لِمَنْ اخْتَصَّ بِالْأَسْلَافِ الْأَوَّلِ، وَمَنْ خَدَمَ الْآبَاءَ لَمْ يَخْدَمْ الْأَوْلَادَ، فَضْلًا عَنْ مَنْ خَدَمَ الْأَجْدَادَ، وَأَنَا آيَةٌ (٤) تَصَرَّفْتُ، وَحَيْثُ تَقَلَّبْتُ، الْعَبْدُ الْقِنْ، فَلْيُحْسِنْ بِي الظَّنَّ، فَإِنِّي لَا أَلُمُّ بِنَقْصٍ وَلَا تَلُمٍ، وَلَا أَهْمُ بِبُغْضٍ وَلَا وَصْمٍ (٥). وَمِنْ أَمَلِي أَنْ أَلْقَى مَوْلَايَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، بِوَجْهِ يُسْفِرُ عَنْ أَسَارِيرِهِ الزُّهْرِ (٦)، صَافِي الْفِرْنِدِ (٧) مِنْ صَدَأٍ يَعِيبُ، نَقِي الْأَدِيمِ مِنْ خَجَلٍ يَرِيبُ، وَلَهُ عَلَيَّ مِنْ كَرَمِ الْعَهْدِ كَالِي (٨) وَرَقِيبٌ، وَإِنْ أَضْمَرْتَنِي مِنْ جَوَانِحِ الْبِلَادِ حُجْبٌ وَغُيُوبٌ: لَخِلَّتْكَ إِلَّا أَنْ تُصَدَّ تَرَانِي قَلْوُ كُنْتُ بِالْعَنْقَاءِ (٩) أَرْبَأُ سَوْمَهَا (١٠).

وَقَدْ خَاطَبْتُ مَنْ وَثِقْتُ بِوَدِّهِ، وَأَنْسَيْتُ إِلَى جَدِّهِ، فَإِنْ جَادَ مَوْلَايَ بِالصَّفْحِ، وَعَادَ بِالْخُلُقِ السَّمْحِ، فَهُوَ الَّذِي يَضْطَرُّهُ إِلَيْهِ عَالِي مَنْصِبِهِ، وَسَامِي رُتْبَتِهِ، وَإِنْ صَرَمَ الْحَبْلَ، وَجَدَّمَ (١٠) الْأَصْلَ، فَهُوَ حُكْمُ

١ - ابن بسام الخخيرة ٣، م ١/٥٩ - ٤٦٠، وأورد الفقرة الأولى منها ابن سعيّد المغرب ٤٤١/٢.

٢ - القُطَّانُ : المُقِيمُونَ .

٣ - سورة آل عمران، آية ١٥٩ .

٤ - آية تَصَرَّفْتُ : يقصد آية طريقة تَصَرَّفْتُ

٥ - الوَصْمُ: الْعَيْبُ فِي الْحَسَبِ

٦ - أَسَارِيرُهُ الزُّهْرِ : وَجْهِهِ الْأَبْيَضُ الْحَسَنُ ابن منظور لسان العرب [زهر] ٣٣٢/٤ .

٧ - الْفِرْنِدُ: السِّيفُ .

٨ - كَالِي : حَافِظُ .

٩ - الْعَنْقَاءُ : أَكْمَةُ فَوْقَ جَبَلٍ مُشْرِفٍ .

أَرْبَأُ : أَنْظِرْ لِلْقَوْمِ لئَلَا يَذْهَبَهُمْ عَذْوٌ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى جَبَلٍ أَوْ شَرَفٍ يَنْظُرُ مِنْهُ ابن منظور لسان العرب [ربأ] ٨٢/١ .

سَوْمَهَا : مَلَازِمَتُهَا فَلَا أَبْرَحُ مِنْهَا .

١٠ - جَدَّمَ : أَسْرَعَ الْقَطْعَ .

ابن منظور لسان العرب [جذم] ٨٧/١٢ .

الزَّمانِ الفاسِدِ، وَلَا نُعْمَى لِلشَّامِتِ الحَاسِدِ، فَلَيْسَ بِالْبَاقِي وَلَا الْخَالِدِ، فَكُلُّ عَرَضٍ ذَاهِبٌ مَعَ جِسْمِهِ الْفَانِي، وَ"ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُهَا الثَّانِي"^(١) وَإِنْ اسْتَحِلَّ حَرَامٌ، مِنْ دَارٍ أَوْ رَتْهَا كِرَامٌ، فَالْعَفَاءُ عَلَى الْجَفْنِ^(٢) إِذَا سَلِمَ الْحُسَامُ، وَقَدْ صَانَهُ وَأَغْمَدَهُ مَنْ زَانَهُ إِذَا تَقَلَّدَهُ، وَإِنْ تَعَدَّى إِلَى تَغْيِيرِ الرُّسُومِ، فَرُبَّمَا لَيْسَ عَلَى الْإِقْوَاءِ ثُوبُ النَّعِيمِ^(٣)، وَقَدْ قَالَ سُقْرَاطُ: "إِذَا انْكَسَرَ الْحُبُّ لَمْ يَنْكَسِرِ الْمَكَانُ، وَلَا يَتَّسِعُ فِي تَغْيِيرِهِ الْإِمْكَانُ"، وَلَكَ فِي مَا تَرَاهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَفِي مَا تَتَوَخَّاهُ الشَّرَفُ الْأَزْكَى"^(٤).

٣ - إِلَى أَحَدِهِمْ...: يُثْنِي عَلَيْهِ رُغْمَ بَعْدِهِ .

"إِذَا انْتَضَمَتِ الْقُلُوبُ—أَعَزَّكَ اللَّهُ—بِالْوِدَادِ الْمَكِينِ، وَوَرَدَتْ بِصَفَائِهِ فِي الْمَشْرِعِ الْمَعِينِ"^(٥) تَسَاوَى الْبِعَادُ وَالْإِقْتِرَابُ، وَلَمْ يُوحِشِ التَّوَقُّفُ وَالْإِغْتَابُ^(٦)، وَلَا مَزِيدٌ عَلَى مَا تَحَقَّقَهُ مِنْ جُنُوحِي إِلَى فَضْلِكَ، وَتَصْرِيحِي بِأَحْسَنِ الثَّنَاءِ عَلَى جَلَالِ مَحَلِّكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ عَهْدَكَ النَّاصِرَ لَا يُدَوِّي، وَبِرَّكَ الْمُسْتَجِدَّ لَا يُبْلَى"^(٧).

٤ - إِلَى أَحَدِهِمْ...: يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالْإِقَامَةِ عِنْدَهُ وَيَمَهِّدَ مَنْزِلًا لَهُ.

"النَّاسُ—أَيَّدَ اللَّهُ مَوْلَايَ—أَطْوَارٌ، وَلِلْبَصَائِرِ ظُلُمٌ وَأَنْوَارٌ، وَأَكْثَرُهُمْ سَاعَ لِأَمْرٍ لَا يُدْرِكُهُ"^(٨)، مُرَاعٍ لِرَأْيٍ لَا يَمْلِكُهُ، وَالْحَقُّ مُسْتَبْتَهُمْ عَلَى مَنْ يَتَعَسَّفُ الْمَجْهَلُ فِيمَا يَسْأَلُكَ، وَمَنْ أَبْصَرَ رُشْدَهُ، وَاسْتَوْضَحَ قُصْدَهُ، أَمْضَى عَزْمَهُ مُجِدًّا فِي سَعْيِهِ، وَلَمْ يَسْتَشِرْ غَيْرَ نَفْسِهِ فِي رَأْيِهِ"^(٩)، وَقَدْ سَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى وَانْجَحَ الْمَسْعَى، وَقَدَفْتُنَا غُرْبَةَ النَّوَى، حِينَ هَوَتْ بِي حَيْثُ الْإِلْفُ وَالْهَوَى، وَلَهُ الطُّوْلُ فِي الْإِذْنِ وَالْقَبُولِ، وَالتَّوْطِئَةِ لِلْحُلُولِ، بِتَمْهِيدِ مَنْزِلٍ يَتَبَوَّأُ، وَبِمَدِيدِ ظِلٍّ يَتَقَيَّأُ، لَا زَالَ فَنَاؤُهُ لِلْقَصَادِ مَأْلَفًا أَهْلًا، وَحَرَمًا أَمِنًا"^(١٠).

١ - مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي: ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُهَا الثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا فَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ الْإِنْظَرِ: الْمُتَنَبِّي شَرْحُ دِيوَانِهِ ٢٨٨/٣

٢ - الْجَفْنُ: عِمْدُ السَّيْفِ ابن منظور لِسَانِ الْعَرَبِ [جفن] ٨٩/١٣ .

وقوله: فالعفاء على الجفن من قول المعري في رثاء أبيه: [الطويل]

وَإِجْلَالُ مَغْنَاكَ اجْتِهَادُ مَقْصَرٍ إِذَا النُّصْلُ أَوْدَى فَالْعَفَاءُ عَلَى الْجَفْنِ انظر: المعري شُرُوحُ سَقَطِ الزُّنْدِ ٩٣٠/٢ .

٣ - مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَّاسٍ لِمَنْ لِمَنْ تَرَدَّدَ طَيْبَ نَسِيمٍ عَلَى طَوْلِ مَا أَقْوَتْ وَحُسْنَ رُسُومٍ

تَجَافَى الْبَلَى عَنْهُمْ حَتَّى كَأَنَّهَا لَيْسَنَ عَلَى الْإِقْوَاءِ ثُوبَ نَعِيمٍ انظر: أَبُو نَوَّاسٍ دِيوَانُهُ ص ٢١٦ .

٤ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/ ٤٦١ - ٤٦٢ .

٥ - مَشْرَعَةٌ: مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الَّتِي يَشْرَعُهَا النَّاسُ فَيَشْرَبُونَ مِنْهَا وَيَسْتَقُونَ. ابن منظور لِسَانِ الْعَرَبِ [شرع] ١٧٥/٨ .

٦ - مَاءٌ مَعِينٌ: ظَاهِرٌ، تَرَاهُ الْعَيْنُ جَارِيًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. ابن منظور لِسَانِ الْعَرَبِ [عين] ٣٠٤/١٣ .

٧ - الإِغْتَابُ: الْمَجِيءُ يَوْمًا وَالتَّرِكُ يَوْمًا. ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/ ٤٦٦ .

٨ - مِنْ قَوْلِ عَبْدِ بْنِ الطَّبِيبِ: وَالْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شُحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلٌ انظر: الْجَاحِظُ الْحَيَوَانُ ١/ ٤١٥ .

٩ - مِنْ قَوْلِ سَعْدِ بْنِ نَاشِبٍ مِنْ تَمِيمٍ (ت : ١١٠ هـ) : وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا

انظر: أَبُو تَمَّامٍ دِيوَانُ الْحَمَّاسَةِ ص ١٦ .

١٠ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/ ٤٦٤ .

٥ - إلى أحدهم...: يخبره أنه مزعم على الرحيل من مرسية إلى قاعدة تملكها.

"المقدمات توطئ في الكلام لإيضاح النتائج، وإمرار الكلام على أطراد المناهج، وأما إذا كان المطلوب جلباً متبئاً، والوداد المرتاد في النفوس ركباً متمكناً، فتكلف ما يستغنى عنه عي^(١) لا سيما إذا خوطب ذكي المعى، ومثلك الحميم الكريم الذي يتيقن صفاؤه، ويذخر وفاؤه؛ وكنت قد خاطبتك مشعراً نيّتي في التحول، وعزّمي في التجول، حتى تلقى العصا، وتستقرّ النوى^(٢)، حيث الصغور^(٣) والهوى، وأومئ في ذلك إلى البيت الذي يعرف ويروى^(٤) : [لطويل]

تقول سليمانى لو أقمت بارضنا ولم تدر أنى للمقام أطوف

وقد تفصح المسلك بما يسره الله من تملك تلك القاعدة، وأنا بحول الله مزعم للرحيل إذا انفرجت السبيل، فطوّل^(٥) في إعلامي بحال المسالك من مرسية إلى المغارب المتياسرة والمتيامنة، وكيف مكان التشبيع حتى يوصل إلى مامن بدمام لا يخفى وعرف لا ينكر، فأمجذني من ذلك بياناً، كما أني قد شاهدته عياناً، فالحازم الذي يسدّد إلى العرض قبل إرسال سهمه^(٦).

٦ - إلى أبي بكر بن عمّار: عناية بابن الحداد .

"المحاسن التي تؤثر عنك بالسرو^(٧) والسناء، والمحامد التي تتلاقى عليك بها السنة الثناء، ثميل إليك أحناء^(٨) القلوب، وتقف عليك نحائل الصدور^(٩)، وقد أصبحت بفضل الله حلية

-
- ١ - عي: جهل.
 - ٢ - النوى: الوجه الذي يتوهم المسافر من قرب أو بعد، وهي مؤنثة لا غير.
 - ٣ - الصغور: الميل .
 - ٤ - البيت في : ابن قتيبة غيوان الأخبار ١ / ٢٣٤ .
 - ٥ - الطول: الفضل والفرة والغنى .
 - ٦ - ابن بسام اللخيرة ٣، ١ / ٤٦٦ - ٤٦٧ .
 - ٧ - السرو: المروءة والشرف .
 - ٨ - أحناء: جوانب .
 - ٩ - نحائل الصدور: أي الذيات الخالصة .
- ابن منظور لسان العرب [عيا] ١١٣/١٥ .
 ابن منظور لسان العرب [نوي] ٣٤٧/١٥ .
 ابن منظور لسان العرب [صغا] ٤٦١/١٤ .
 ابن منظور لسان العرب [طول] ٤١٤/١١ .
 ابن منظور لسان العرب [سرا] ٣٧٧/١٤ .
 ابن منظور لسان العرب [حنا] ٢٠٦/١٤ .
 ابن منظور لسان العرب [نخل] ٦٥٢/١١ .

الزَّمان، وَمَفْخَرِ الْأَوَانِ، وَمَسْمَى عُيُونِ الْأَفَاضِلِ وَالْأَعْيَانِ، بِمَا نَزَعَتْ بِهِ مِنْ كَرَمِ الْخَلَائِقِ، وَسُوءِ
الْهَمِّ السَّوَابِقِ؛ وَمَا زَلَّتْ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ - تَجَلُّو عَلَى الْمُتَوَسِّلِينَ إِلَيْكَ صَفَحَاتِ الْبَشَرِ، وَتَنْزِلُهُمْ فِي
دُرَاكِ عَرَصَاتِ^(١) الْإِجْمَالِ وَالْبِرِّ، فَجَنِّي ثَمَرَاتِ الْمَجْدِ، وَتَنْشِقْ نَفَحَاتِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ .

وَمِنْ أَوْلَيْكَ الْأَعْيَانِ الْأَكَابِرِ، بِلِ الْمُبِرِّ^(٢) عَلَيْهِمْ بِخَصَائِصِ الْمَائِرِ، فَلَنْ، فَإِنِّي مَا أَفَاوَضُكَ فِي
وَصْفِ مَنَاقِبِهِ، وَأُعْلِمُكَ بِكَرِيمِ ضَرَائِهِ، وَاعْتِلَائِهِ فِي مَرَاقِي الْعِلْمِ وَتَسَنُّمِهِ، وَشُفُوفِهِ^(٣) بِالْبَرَاةِ فِي
الْإِبْدَاعِ وَتَقْدِيمِهِ، مُقَاوَضَةً مَنْ يَسِمُ لَدَيْكَ غُفْلًا، وَيُنَبِّئُهُ خَامِلًا، وَيَذَكِّرُ نَاسِيًا، فَإِنَّكَ أَعْلَى مَلَحَظًا، وَأَزْكَى
تَبْقِظًا، مَنْ أَنْ يَغِيبَ عَلَيْكَ مَكَانُ مِثْلِهِ، وَلَا يَتَقَرَّرَ لَدَيْكَ سُمُو مَحَلِّهِ، فِي إِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ، وَحَسْبُكَ بِهِ
جُمْلَةٌ تَغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ، مَعَ عَالِي نَظَرِكَ الْجَلِيلِ، أَنِّي مَا عَاشَرْتُ أَكْبَرَ مِنْهُ فِي الْبِرِّ وَالصَّلَةِ، وَلَا
أَقْوَمَ بِحَقِيقَةِ الْوُدِّ وَالْخُلَّةِ^(٤)، وَلَا نَاسَمْتُ أَطْيَبَ مِنْهُ نَفْسًا، وَلَا أَمْتَعَ أَنْسًا، نَفَاسَةً خِيَمَ^(٥) صَادِرَةً عَنْ
شَرَفِ أَرْوَمِ^(٦)، وَأَنْتَ خَلِيقٌ بِالْإِسْتِكْثَارِ مِنْ جَانِبِهِ، وَالْإِجْمَالِ فِي مَعُونَةِ مَطَالِبِهِ^(٧) .

٧ - إِلَى الْمُقْتَدِرِ: عَلَى لِسَانِ النَّزْجِسِ .

"أَنَا - وَصَلَّ اللَّهُ بِهَجَّةِ سُلْطَانِكَ، وَنَضْرَةِ أَوْطَانِكَ - إِذَا لَحَظْتَنِي بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ، قَائِدُ النَّوَارِ،
وَوَافِدُ الْأَزْهَارِ، وَأَنَا لَهَا جَالِبٌ وَهِيَ طَارِدَةٌ، وَمُبَشِّرٌ بِوُرُودِهَا وَهِيَ مُؤَيِّسَةٌ مُتَبَاعِدَةٌ، فَإِنِّي غَلَبْتُ بِمَا فِي
طَبْعِي مِنَ التَّبَقُّطِ وَالذَّكَاةِ، خُلِدَ الثَّرَابِ وَصَرَدَ^(٨) الْهَوَاءُ، فَقُمْتُ عَنْ إِسَاءَةِ الْفَصْلِ عُدْرًا، وَنَحَلْتُ
الشِّتَاءَ عَلَى الرَّبِيعِ فَخَرًا، وَفَضَلْتُ الْوَرْدَ سَيِّدَ الْأَزْهَارِ طَرًّا، وَتَوَرَّدْتُ شَاهِدُ خَجَلِهِ، تَسْتُرُهُ مِنَ الْحَيَاءِ فِي
أَكْمَتِهِ وَكَلَلِهِ^(٩)، فَلِي عَلَيْهِ فَضْلُ الْعُيُونِ عَلَى الْخُدُودِ، وَشَرَفُ السَّيِّدِ عَلَى الْمَسُودِ، فَبَيْنَا أَنَا سَقِيمُ
الْجُفُونِ مِنْ غَيْرِ سَقِيمٍ، مَائِلُ الْجِيدِ مِنْ دُونِ أَلَمٍ، حَتَّى أُتِيحَ لِي ظَرِيفٌ مِنْ خَوَاصِّكَ يَقْصِدُنِي، وَنَبِيلٌ مِنْ
عَبِيدِكَ يَعْتَمِدُنِي، فَأَوْجَسْتُ حَذْرًا وَتَشَوُّفًا، حَتَّى أَنْسَنِي بِالْكَلامِ تَأَلُّفًا، وَقَطَفَنِي بِغَيْرِ إِيْلَامٍ تَلَطُّفًا،
وَحَاوَرَنِي بِلَفْظٍ يُلْقِنُهُ النَّوَارُ عَيْنَانَا، وَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ عَنْهُ بَيَانًا يَا أَيُّهَا الزَّهْرُ الْقَارِدُ، وَالنَّوْرُ

١ - عَرَصَاتٍ: وَسَطٌ .

٢ - الْمُبِرِّ: الْغَالِبِ .

٣ - شُفُوفِهِ: رِقَّتِهِ .

٤ - الْخُلَّةُ: الصَّدَاقَةُ الْمُخْتَصَّةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا خَلَلٌ .

٥ - خِيَمَ: أَصَلَ .

٦ - أَرْوَمَ: أَصَلَ .

٧ - ابْنُ بَسَامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، م ١/ ٤٦٧ .

٨ - صَرَدَ: بَرَدَ .

٩ - أَكْمَةُ: رَوَابِي؛ الْكَلَلُ: هِيَ الصَّوَامِعُ وَالْقَبَابُ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [عَرَصَ] ٥٢/٧ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [بِرَر] ٥٥/٤ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [شَفَفَ] ١٨١/٩ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [خَلَل] ٢١٦/١١ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [خِيَمَ] ١٩٤/١٢ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [أَرَمَ] ١٥/١٢ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [بَرَدَ] ٢٤٨/٣ .

ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [أَكَمَ؛ كَلَل] ٢١/١٢؛ ٥٩٥/١١ .

الشَّارِدُ، السَّاجِرُ بِحُدُوقِهِ وَأَجْفَانِهِ، النَّاطِرُ بِوَرَقِهِ وَأَغْصَانِهِ، الْبَاهِرُ بِوَرَقِهِ وَعِيقَانِهِ^(١)، مَا لِي أَرَى قُضْبَكَ غُبْرًا ذَابِلَةً، وَمَنَابِتَكَ شُعْنًا نَاحِلَةً، وَعَهْدِي بِكَ تَمُجُّ الْأَنْوَاءِ^(٢) رِيْقَتَهَا فِي تُغُورِكَ قُنْصَبِحَ حَافِلَةً، وَتَرُضِعُ الْأَنْدَاءَ أَفْنَانَكَ فَتَغْدُو حَامِلَةً، فَتَنْوُءُ بِجِدِّكَ مُنْتَنِ يَا، كَانَتْكَ أَصْبَحْتَ مُنْشِيًا، وَقَدْ سَاءَنِي مَا عَايَنْتُ مِنْ ضَنَّاكَ وَنُحُولِكَ، فَبَادَرْتُ جَنَّاكَ إِشْفَاقًا مِنْ دُبُولِكَ، لِأَنْفَلَكَ مِنْ جَنَابِ النَّبَاتِ الْهَشِيمِ، إِلَى جَنَابِ السُّرُورِ الْمُقِيمِ، وَتَسْعَدَ بِالْفُوزِ الْعَظِيمِ، بِاسْتِلَامِ رَاحَةِ الْمَلِكِ الْكَرِيمِ .
وَفِي فُصْلِ مِنْهَا :

فَلَيْتَ الرِّيَاضُ تَعْلَمَ بِمَكَانِي قَدْ بُلَّ كَمْدًا، وَتَدْوَى^(٣) حَسَدًا، وَتَرَانِي وَقَدْ أُنْزْتُ فِي أَفْكَكَ الْبَهِيحِ، وَزَهَرْتُ فِي رَوْضِكَ الْأَرْجِ، فَكَمْ تَمْنَى الْأَزْهَارُ أَنْ تُضَامَ لَدَيْكَ مَطَالِبِي، وَتَتَكَدَّرَ فِي دَرَاكَ مَشَارِبِي، فَأَزِلْ عَنِّي حَسَدَهُمْ بِكِبْتِهِمْ^(٤)، فَقَدْ شَجَاهُمْ تَقْدُمِي قَبْلَ وَقْتِهِمْ، وَأَكْمِلْ مَسَرَّتِي وَتَمِّمْ أُنْسِي، بِإِقَاءِ، فَإِنِّي قَسِيمُهَا وَحَمِيمُهَا، وَمَنِي لَوْنُهَا وَشَمِيمُهَا، وَأَنَا أَشْبَهُ بِهَا إِذَا شَجَّتْ وَأَدَارَتْ عِيُونَ حَبَبٍ، مِنْ حَصْبَاءِ دُرٍّ فِي أَرْضِ ذَهَبٍ^(٥)، وَطَبْعِي نَظِيرُ طَبْعِهَا، وَمَا تَقَرُّ عَيْنِي إِلَّا بِدَمْعِهَا، فَلَا تَحْتَقِرْ أَيْهَا الْعَزِيزُ مَنَابَ مِثْلِي وَاعْظَا مُفْصِحًا، وَهَذَا شَفِيعًا مُنْجِحًا، فَإِنَّ الْأَزْهَارَ عَلَى الْعُمُومِ، تَجْلُو قَدَى الْعِيُونَ وَتَقْضُ خَتَامَ الْهُمُومِ، فَهِيَ كَالشُّغُورِ أَوْضَحَهَا ابْتِسَامًا، كَاللَّالِي زَانَهَا فِي الْأَجْيَادِ انْتِظَامًا. وَمَا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ إِلَّا لِأَسْمِ غُفْلِ الْعِلْمِ، فَالْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْجِلْمِ^(٦)، فَلَا تُضِعْ أَيْهَا الْمَلِكُ سَبَقَ تَقْدُمِي، وَحَقَّ مَقْدُمِي، فَقَدْ أَشْخَصْتُ طَرْفِي إِلَيْكَ أَمِلًا، وَبَسَطْتُ نَحْوَكَ كَفِّي سَائِلًا، وَحَسْبِي أَنْ تُلَاقِيَنِي بِبِشْرِكَ، وَتُنَاجِيَنِي بِفِكْرِكَ، فَتُنَبِّهَ الْعَزَمَ مِنْ وَسْنِهِ، وَتَنْشُرَ الْحَزَمَ مِنْ جَنْتِهِ^(٧)، فَلَاكَ مِنْ بَرَاةِ الْعُلَا، وَأَصَالَةِ النَّهْيِ، ذُكَاةً يَرِي لِأَوَّلِ اقْتِدَاحِ زَنْدِهِ، وَمَضَاءً يَفْرِي بِأَيْسَرِ هَزِّ حَدِّهِ، وَلَدَيْكَ مِنْ مَنَاهِلِ الْكَرَمِ، وَقَوَاضِلِ النِّعَمِ، مَا يَزُرِي بِالْمَزْنِ وَيُوفِي عَلَى الدَّيْمِ: [لكامل]

فَانْفُخْ لَنَا مِنْ طِيبِ خُلُقِكَ شَيْمَةً إِنْ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ مِمَّا تَوْهَبُ

وَرَوْ بَرَحَ^(٨) ظَمَائِي، وَانْفَعْ صَدَائِي، وَلَا تَكِلْ إِلَى الْأَنْوَاءِ سُقْيَائِي^(٩) .

- ١ - وَعِيقَانِهِ : ذَهَبِهِ ، وَيَقْصُدُ هُنَا أَزْهَارَهُ الصَّفْرَاءَ كَالذَّهَبِ . ابن منظور لسان العرب [عقن] ٢٨٨/١٣ .
- ٢ - الْأَنْوَاءُ : النُّجُومُ الدَّالَّةُ عَلَى الْمَطَرِ . ابن منظور لسان العرب [جدح ؛ ربع] ٤٢٢ / ٢ ؛ ١١٢ / ٨ .
- ٣ - تَدْوَى : تَهَلَّكُ . ابن منظور لسان العرب [ودى] ٣٨٦ / ١٥ .
- ٤ - مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ : أَزِلْ حَسَدَ الْخُسَادِ عَنِّي بِكِبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدًا . انظر : الْمُتَنَبِّيُّ شَرْحُ دِيْوَانِهِ ٢٨٩ / ١ .
- ٥ - مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ : كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ انظر : أَبُو نُوَاسٍ دِيْوَانُهُ ص ٧٤ .
- ٦ - مِنْ قَوْلِ الْحَارِثِ بْنِ وَعْلَةَ (فَارِسِي جَاهِلِي مِنْ عِبْس) : وَ رَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْجِلْمِ [[الكامل]] انظر : أَبُو تَمَّامٍ دِيْوَانُ الْحَمَّاسَةِ ص ٣٦ ؛ الْمِيدَانِيُّ مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ٦٤٢/١ - ٦٤٣ .
- ٧ - جَنْبِهِ : قَلْبِهِ أَوْ مَخْبَأَهُ . ابن منظور لسان العرب [جنن] ٩٣/١٣ .
- ٨ - بَرَحَ : شِدَّةٌ وَعَذَابٌ . ابن منظور لسان العرب [برح] ٤١٠/٢ .
- ٩ - ابن بَسَّامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣م ١ / ٤٧٠ - ٤٧٣ .

٨- يرد على رسالة (١) لابن الدبّاغ

" يَا سَيِّدَنَا الَّذِي أَلَزَمَنَا بِامْتِنَانِهِ الشُّكْرَ، وَكَبَّرَنَا الَّذِي عَلَّمَنَا بِبَيَانِهِ السَّحْرَ، وَعَمِدَنَا الَّذِي عَقَدَنَا بِجُرْمِهِ وَأَنْحَلَ، وَرَمَانَا بِدَانِهِ وَأَنْسَلَ. أَبْقَاكَ اللَّهُ لِتُؤَبِّقَ نَصُوحَ ثَمَرُهَا، وَيَمِينِ عَمُوسِ ثَبَرُهَا، وَرَدَّنَا - أَبْقَاكَ اللَّهُ - كِتَابَكَ الَّذِي أَنْقَذْتَهُ مِنْ مَعْرِسِكَ (٢) بِوَادِي الزَّيْتُونِ، وَوَقَفْنَا عَلَى مَا لَقِيتَ فِي أَوْصَافِهِ مِنْ حُجَّةِ الْمُفْتُونِ، وَإِعْجَابِكَ بِالتَّفَافِ شَجَرِهِ وَدَوْحَاتِهِ، وَاهْتِزَازِكَ لِطَيْبِ بَوَاكِرِهِ وَرَوْحَاتِهِ، وَمُرُورِكَ بِهِ وَهُوَ حَوْ تِلَاعِهِ (٣)، مُورَرٍ (٤)، صِفَاتِهِ (٥) وَأَجْزَاعُهُ كُلُّ الْمَشَارِبِ مَا خَلَاهُ دَمِيمٌ، وَمَاؤُهُ الدَّهْرَ خَصِرٌ وَالْمِيَاهُ حَمِيمٌ، وَتِلْكَ عَادَةُ تَلْوِينِكَ، وَسَجِيَّةُ تَخْضُرْمِكَ، وَشَاكِلَةُ مِلَالِكَ وَسَامِكَ، وَأَشْعَرُ النَّاسِ عِنْدَكَ مَنْ أَنْتَ فِي شِعْرِهِ، وَأَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ مَا أَنْتَ فِي عَقْرِهِ، فَأَيْنَ مِنْكَ بِسَاتَيْنِ جُلُوقٍ وَجَنَانُهُ، وَرِيَاضُهُ الْمُونِقَةُ وَخُلْجَانُهُ، وَقَبَابُهُ الْبَيْضُ فِي حَدَائِقِهِ الْخَضِرِ، وَجَوْهُ الْعَطْرِ فِي جَنَابِهِ النَّضِيرِ، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ حَيْطَانُهُ، وَتَمُجُّهُ نَجَادُهُ وَغَيْطَانُهُ مِنْ أَمَّهَاتِ الرِّاحِ الَّتِي هَجَرَتْهَا بَرْعَمُكَ، وَمَوَادِّ الشَّمُولِ الَّتِي طَلَّقَتْهَا بَرْعَمُكَ. وَهَيْهَاتَ! فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْنَاكَ تِلْكَ الْأَجَارِعُ وَالْمَحَانِي، وَلَا شَاقَتْكَ تِلْكَ الْمَنَازِلُ وَالْمَعَانِي، إِلَّا تَذَكَّرْنَا لِمَا لَدَيْنَا مِنْ طَيْبِ الْمَعَاهِدِ، وَحَنِينًا إِلَى مَا عِنْدَنَا مِنْ جَمِيلِ الْمَشَاهِدِ، وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عِنَاءَ مَغْرِبٍ.

وَأَمَّا مَا وَصَفْتَهُ مِنْ صِحَّةِ اسْتِمْرَانِكَ، وَنَفُوذِ غِدَائِكَ، وَإِفَاقَتِكَ مِنْ جُنُونِ الْعُقَارِ، وَاسْتِرَاحَتِكَ مِنْ سُقْمِ الْخُمَارِ، وَخُلُوصِ تِلْكَ الْهَوَاجِسِ [مِنْ اخْتِلَاطِ الرَّاسِ، فَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَيَّ مَا أَنْتَ فِيهِ مُنْذُ الْيَوْمِ، وَالْوَسْوَاسِ مَا سَمِعْتَ بِهِ أَسْمَاعُ الْقَوْمِ، وَقَدْ أَدَانَا صَادِقُ الْقِيَّاسِ، إِلَى عِلْمِ سَبَبِ ذَلِكَ الْوَسْوَاسِ، فَإِنَّكَ تَعَرَّضْتَ لِلْسُّمُومِ غَيْرَ مُلْتَمِمْ، وَبَرَزْتَ إِلَى الْهَجِيرِ غَيْرَ مُعَمِّمٍ، فَأَنْتَ عَمَلَسُ أَسْفَارٍ، وَخَرَيْتَ مَهَامِهِ وَقِفَارٍ، فَتَحَلَّلَ الْحَامُ اللَّجَجَ، وَتَقَطَّعَ الْبُلْعُمُ اللَّزَجَ، وَتَصَاعَدَتْ أَبْخَرَةُ الْبَدَنِ إِلَى أَعْلَاهُ، فَقَدَفَ بِذَلِكَ الْمِحَالِ الَّذِي أَمْلَاهُ.

وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ نَفَضْتَ مَكَامِنَ الثَّغْرِ الْأَعْلَى، وَسَرَّيْتَ إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ فِي مَنْ سَرَى، وَشَهِدْتَ الْخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا، وَبَاشَرْتَ الْحَرْبَ غَدَاةَ جَلَادِهَا، مُخْتَالًا بَيْنَ الصَّفِّينِ عَلَى شَقَرَاءِ تَرْتِدِي مِنْكَ بِنَسِيجِ وَحْدِهِ، وَتَجِيءُ بِكَ مُعْتَجِرًا فِي بُرْدِهِ، فَقَدْ كُتِبَ عَلَيْكَ حُكْمُ الْقَتْلِ وَالْقِتَالِ، وَعَلَيْنَا تَوْسِيعُ الْجُيُوبِ وَجَرُّ الْأَذْيَالِ، فَهَذَا هُوَ الرَّأْيُ الَّذِي سَوَّلَ لَكَ أَنْ تَدَّعِيَ التَّوْبَةَ وَلَا تَسْتَدْعِيَ الْكَاسَ، وَتَسْتَدْعِيَ التَّوْبَةَ

١ - انظر الرسالة في: ابن بسام النخيرة ٣، م ٢٥١/١.

٢ - معرس: من العريس وهو الشجر الملتف.

٣ - حو: موصوف بالخوة سواد إلى الخضرة.

التلاع: جمع للتلة وهي أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يندفع منها إلى تلة أسفل.

ابن منظور لسان العرب [تلع] ٣٦/٨.

ابن منظور لسان العرب [وري] ٣٨٩/١٥.

٤ - موزة: تنقد أو تشع.

٥ - ابن بسام النخيرة ٣، م ٢٨٤/١.

وَتَسْتَعْدِي النَّاسُ، وَتُثْرِي أَنَّكَ تَنْتَسِكُ؟ وَتَنْقَرُ، وَتَنْخَلَعُ مِنَ الْمُجُونِ وَتَنْبَرُّ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّاسُكَ
الْمُنْتَصِفُ، وَالْمُنْتَبِلُ الْمُنْقَشِفُ، الَّذِي أَقْصَرَ لَمَّا أَبْصَرَ، وَفَضَّلَ نُورَ الْحَقِيقَةِ عَلَى نُورِ الْحَدِيقَةِ، فَقَطَعَ
الْعَلَائِقَ، وَهَجَرَ الْخَلَائِقَ، فَأَنْتَ مِمَّنْ تَقُولُ، مَا لَا تُدْرِكُهُ الْأَلْبَابُ وَالْعُقُولُ: أَخَذَ مِنِّي أَنَا، فَبَقِيَتْ بِلَا أَنَا،
فَبَوَّجَهُكَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ، وَيَبْرَكَةُ دُعَاكَ تُسْتَشْفَى الْأَلَامُ، فَأَنَّكَ الرَّجُلُ الرَّاهِدُ، وَالْمُرَابِطُ الْمُجَاهِدُ، وَمَا
تُخْفِي عَلَيْكَ لَطَائِفُ الزُّهْدِ وَرَقَائِقُهُ، وَوُجُوهُ النَّسِكِ وَطَرَائِقُهُ. وَلَكِنْ هَاتِ حَدَّثَنَا حِينَ لَمْ تَرْضَ بِالرَّاحِ
إِلْفًا، وَطَلَّقْتَهَا أَلْفًا، مَا سَبَبَكَ فِي سَبَبِكَ لَهَا، وَهِيَ صَافِيَةٌ طَاهِرَةٌ، وَعَظْمُكَ مِنْهَا وَهِيَ طَيِّبَةٌ
عَاطِرَةٌ، وَكُلُّوْحَكَ فِي وَجْهِهَا وَهِيَ طَلِقَةٌ نَاصِرَةٌ؟! وَمَا لَكَ جَوَابٌ غَيْرَ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ: [لخفيف]

لا تَسَمِّ الْمُدَامَ إِنْ لَمْتَ فِيهَا قَنْشِينَ اسْمَهَا الْمَلِيحَ بِفِيكَ

وَأَمَّا إِشَارَتُكَ فِي أَنْ تَشْرَبَهَا عَلَى وَدِّكَ، وَتَنْذَكِرَ عَلَيْهَا طِيبَ عَهْدِكَ، فَلَا، وَلَا كَرَامَةً وَلَا نِعْمَى عَيْنٍ،
فَهِيَ أَجَلٌ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُبْدِلَهَا فِي وَدٍّ مِنْ جَفَاهَا وَقَلَاهَا، وَتُدِيرَهَا عَلَى حَمْدٍ مِنْ دَمِّهَا وَهَجَاهَا، وَأَمَّا
قَوْلُكَ: "لَا يَسْرِي فِيكَ غَامِضُ شَرِّنَا، وَلَا يَحُلُّ عَقْدَكَ لَطِيفُ سِحْرِنَا" فَإِنَّكَ تَرْفُقُ عَنْ صَبُوحٍ، وَتَشِيعُ
السَّرَى وَأَنْتَ مُصْبِحٌ، وَتَسِرُّ الْحَسَوِ وَأَنْتَ مُرْتَعٍ، وَتَرَى الزُّهْدَ وَأَنْتَ طَالِبٌ مُبْتَغٍ، فَاعْلَمْ أَنَّا سَتَجْمَعُ
شَرِّنَا الْمُبِينِ، وَتَنْظَاهِرُ عَلَيْكَ أَجْمَعِينَ، وَتَجْلِبُ مِنَ الْجِنِّ كَتَائِبَ وَجَرَائِدَ، وَتَصْرِفُ مِنَ الْمَكْرِ خَدَعًا
وَمَكَايِدَ، فِي بَقَائِكَ عَلَى نُسُكَكَ مُسْتَمِرًّا، وَدَوَامِكَ عَلَى تَوْبَتِكَ مُصِرًّا، فَعَسَى أَنْ تَنْعَمَ بِلَا وَتَقَرَّ عَيْنًا
بِنُضُوجِ كِبْدِكَ، وَالتِّيَاعِ حَشَاكَ، وَتَشَاهِدَ مَشَارِعَ الرَّاحِ وَلَا تَرُدُّ، وَتُبَاشِرَ مَنَاهِلَ الْمُدَامِ وَتَنْشِدُ: [لطويل]

أَرَى بَعْدَ وَرْدِ الْمَاءِ لِلْقَلْبِ لَوْعَةً إِلَيْكَ عَلَى أَنِّي مِنَ الْمَاءِ نَاقِعُ

وَأَنَا لِنُوقِنُ أَنَّ هَذَا الْأَمَلَ بَعِيدٌ لَا نَبْلُغُهُ، وَنَعِيمٌ لَذِيذٌ لَوْ نُسَوَّغُهُ، فَمَا تَزَالُ يَحُلُّ أَيْمَانُكَ مِنْ نَفْسِكَ حَنْثٌ، لَا
يُقَاوِمُهُ سِحْرٌ وَلَا نَفْثٌ، وَنَعَمٌ، سَنَادُوكَ إِلَى مَادِبِ أَنْسِنَا، وَتَنْذُبُكَ إِلَى مَحَاضِرِ لَهُونَا، فَمَا نَبْنُمُ إِلَّا بِكَ، وَلَا
نَلْدُ إِلَّا بِاقْتِرَابِكَ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَلَدُّ وَأَمْتَعُ مِنْ أَنْ نَتَعَاطَى عَنْكَ وَأَنْتَ فِي مَجْرَاهَا، وَنُحَلِّقُ بِهَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ
لَا تَرَاهَا، وَلَا تَعْلَلُ مِنْهَا بِنَسِيمٍ، وَلَا تَنْفُخُ لَكَ مِنْ رِيَاهَا بِشَمِيمٍ، حَتَّى إِذَا دَبَّتْ فِينَا حَمِيَا الْخَمْرِ، وَفَهَرْتَنَا
سَوْرَةُ السُّكْرِ، تَمَازِلُنَا عَلَيْكَ مُعْرِبِينَ، وَتَمَسَحُنَا بِأَثَوَابِكَ رَاكِعِينَ وَسَاجِدِينَ
كَمَا شَبَّرَقَ الْوَلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ

وَأَمَّا صِفَةُ خَالَتِنَا الَّتِي سَأَلْتَ عَلَيْهَا، فَسَنَزِيدُكَ جُنُونًا بِالْحَدِيثِ عَنْهَا: اعْلَمْ أَنَّنَا قَيْدُ الْتِهَاءِ وَارْتِيَاكِ،
وَرَهْنُ اغْتِيَاكِ وَأَصْطَبَاحِ، تَصْرَعُنَا الْقَهْوَةُ، فَتَنْدَاوِي مِنْهَا بِهَا، وَتَنْدَرُّغُ النَّشْوَةُ، فَلَا نَعْرِى مِنْ
إِهَابِهَا، فَتَخْرُجُ مِنْ سَكْرَةٍ إِلَى سَكْرَةٍ، وَتَعْبُرُ مِنْ عَمْرَةٍ فِي عَمْرَةٍ: [لطويل]

سَدَى عِنْدَهُ لَا يُعْرِفُ الْيَوْمَ بِاسْمِهِ وَنَعْمَلُ فِيهِ اللَّهْوَ مَرَأَى وَمَسْمَعَا

وَكَتَبْنَا إِلَيْكَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - بِأَنَّا لَمْ يَمْتِطِهَا الْقَلَمُ قُتْرُ عَشْرٍ، وَتَحْتَوِيهَا الْكَاسُ فَتَسْتَقِلُّ وَتَنْتَعِشُ؛ أَطْلَعْنَا
عَلَيْكَ مِنْ خَالِنَا غَائِظًا فَتَلْقَهُ بِالْكُظْمِ، وَأَوْصَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ حَفْضِ عَيْشِنَا مُنْكَرًا فَادْفَعَهُ بِالصَّبْرِ وَالْحِلْمِ،
وَسَتَرْدُ فَتَعْلَمُ، وَتَلْقَى خِلَافَ مَا تَظُنُّ وَتَتَوَهَّمُ، وَاللَّهُ يُمَتِّعُنَا بِمَقْدَمِكَ، وَيُؤْنِسُنَا بِلِقَائِكَ، وَيَنْفَعُنَا بِصَلَاحِكَ
وَبِرَكَّةِ دُعَاكَ.

ج- رسائل ابن حسداي التي كتبها عن غيره .

١ - كتبها عن المؤمنين إلى ابن طاهر: يطلب منه مقابلة.

"مَحَلِّكَ - أَعَزَّكَ اللهُ - فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ دَانٍ وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ، وَعَيَانُكَ فِي أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ نَزَحَتْ الدِّيَارُ، فَالْنَفْسُ مِنْكَ بِتَمَثِيلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحَظِّ، وَالْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تُمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفْرِ اللَّحْظِ، فَلَا عَائِدَةَ أَسْبَغَ بَرْدًا، وَلَا مَوْهَبَةً أَسْوَعَ وَرْدًا، مِنْ تَقْضِيكَ بِالْخُفُوفِ وَاصِلًا مُسْعِدًا، إِلَى مَا نَسِيَ بِمُشَاهَدَتِكَ التَّيَامُ، وَشَمْلٍ يَتَّصِلُ بِمَحَاضِرَتِكَ انْتِظَامُهُ، وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ، فِي الْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْأَمَالِ، وَالْإِعْدَاءِ عَلَى الْأَيَّامِ بِقَضَاءِ دَيْنٍ مَمْطُولٍ، وَإِنْجَازِ مَوْعُودٍ لَمْ أَحَلْ مِنْهُ بِغَيْرِ تَسْوِيفٍ وَتَغْلِيلٍ، وَأَنَا عَلَى شَرَفِ سُودِكَ حَاكِمٌ، وَعَلَى مَشْرِعِ سَنَائِكَ حَائِمٌ، وَأَنْتَ وَصَلَ اللهُ سَعْدَكَ - بِسَمَاحِ شَيْمِكَ، وَسَجَاحَةِ خَلَائِقِكَ وَهَمَمِكَ، تَنْشِي لِلْمُؤَانَسَةِ وَعَدًا، وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زِنْدًا، وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا" (١) .

٢ - كتبها عن المؤمنين إلى أحدهم...: ردًا على كتاب وردده منه .

"وَرَدَنِي كِتَابُكَ، أَحْسَنَ مَا أَمْلَاهُ خَاطِرٌ، وَاجْتَلَاهُ نَظِيرٌ، مِنْ أَلْفَافٍ وَمَعَانٍ، اطَّرَدَتْ فِي سِلَكِ إِبْدَاعٍ وَبَيَانٍ، فَحَيَّتْ بِالرَّوْضَةِ الْأَنْفِ (٢)، وَعَادَتْ بِعَذَابِ النَّطْفِ (٣)، وَهُوَ الْمَقَالُ الصَّادِرُ عَنْ كَرَمِ الطَّبْعِ، الدَّالُّ عَلَى شَرَفِ الْأَصْلِ وَالْفِرْعِ، الَّذِي تَقَرَّرَ عَنْ وَاضِحِ الْوُدِّ مَبَاسِمُهُ، وَتَنْشَقُّ عَنْ نَاضِرِ الْعَهْدِ كَمَائِمُهُ، تَنْهَلُ بِوَاقِفِ الْبِرِّ غَمَائِمُهُ، وَقَدْ وَعَيْتُ مِنْهُ مَا تَوَفَّرَ بِهِ الْحَظُّ، وَتَسَوَّغُهُ السَّمْعُ وَاللَّحْظُ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَ مِزِيَّةُ السَّبْقِ بِفَضْلِ الْبَيَانِ الَّذِي يَبْدُو الْجَاهِدِينَ عَفْوُهُ، وَيَفُوتُ الْمُجْتَهِدِينَ شَأْوُهُ، فَالْتَّكَافُؤُ وَاقِعٌ بِالتَّسَاوِي، وَالتَّوَازِي نَازِلٌ بِمَحْضَرِ التَّجَازِي اِكْتِفَاءً بِمَا تَضْمِرُهُ الْقُلُوبُ، وَتَسْتَشْفِيهِ الْغُيُوبُ، وَهُوَ الْيَقِينُ الَّذِي تَجِدُ النُّفُوسُ بَرْدَهُ، وَتَقِفُ الْمَعَارِفُ عِنْدَهُ" (٤) .

٣ - كتبها عن المؤمنين إلى أحدهم...: يخبره عن وفائه له رغم بعده عنه .

"أَنَا عَلَى رَسْمِي فِي الْحَظِّ الْمَوْفُورِ مِنْكَ مُنَافِسٌ، وَإِلَى عَهْدِكَ الْكَرِيمِ النَّضِيرِ أَنْسُ، وَلَمَّا انْتَضَمَ بَيْنَنَا مِنْ مَوَاقِفِ الْوَفَاءِ كَالِإِي (٥) حَارِسٌ، وَإِنْ سُدَّتْ دُونَ اللَّقَاءِ الْمَطَالُعُ، فَمَا صُدَّتْ عَنْ

١ - ابن بسام النخيرة ٣، م ١/ ٤٦٤ - ٤٦٥ .

٢ - الرُّوضَةُ الْأَنْفُ: هِيَ الَّتِي لَمْ يَزَعْهَا أَحَدٌ .

٣ - النَّطْفُ: اللَّوْلُو الصَّافِي اللَّوْنُ، وَقِيلَ: الصَّغَارُ مِنْهَا .

٤ - ابن بسام النخيرة ٣، م ١/ ٤٦٥ - ٤٦٦ .

٥ - كَالِي: حَافِظٌ .

ابن منظور لسان العرب [أنف] ١٤/٩ .

ابن منظور لسان العرب [نطف] ٣٣٥/٩ .

ابن منظور لسان العرب [كلأ] ١٤٦/١ .

الصِّقَاءِ الْمَشَارِعُ، وَإِنِّي لَأَذْخِرُكَ لِلْجَلَى، وَأُجِيلُ فِي الْاِعْتِدَادِ بِسَنَائِكَ الْقِدَحَ الْمُعْلَى، وَاللَّهُ يُدِيمُ لِلْعَصْرِ
النَّحْلِي بِمَحَاسِنِكَ، وَيُوضِحُ سِرُّوهُ ^(١) بِسِمَاتِ قُضَائِكَ ^(٢) .

٤ - كَتَبَهَا عَنِ الْمُقْتَدِرِ إِلَى أَخِيهِ صَاحِبِ لَارْدَةِ: يَشْكُرُهُ عَلَى هَدِيَّةِ آسٍ وَخَمْرِ .
"وَصَلَّتِ الْهَدِيَّةُ الَّتِي أَصْدَرَتْهَا سَاعَةُ الْفَضْلِ، وَتَضَمَّنَتْهَا رَاحَةُ النَّبْلِ، وَزَقَّهَا الْمَجْدُ زَقَافَتِ
الْهَدْيِ تَرْفُلٌ فِي الْحِلْيِ وَالْحُلِّ، وَتَقَدَّمَ سَفِيرُ الْآسِ ^(٣)، فَأَذَاعَ مَا حَمَلَ مِنْ طِيبِ الْأَنْفَاسِ، وَتَلَقَّيْتُهُ بِمَا
يُتَلَقَّى مِثْلُهُ مِنْ كِرَامِ الزُّوَارِ، إِذْ كَانَ بِحُكْمِ الْإِجْمَاعِ سَيِّدَ الزَّهْرِ وَالنَّوَارِ، بِدَوَامِ عُهُدَتِهِ، وَبَقَاءِ جِدَّتِهِ
وَتَمَادِي نَضْرَتِهِ، وَتَنَاوَلَتْ الظَّرْفَ الظَّرِيفَ الْوَاصِلَ مَعَهُ، فَقَضَضْتُ خِتَامَهُ وَتَرَشَّفْتُ مُسْتَوْدَعَهُ،
وَتَسَوَّغْتُ مِنْهُ شُمُولًا ^(٤) مُعْتَقَةً، لَذَّةً عَبَقَةً، قَدْ تَنَاهَتْ رِقَّةً وَصَفَاءً، وَلَمْ تَبْقِ الْأَيَّامُ مِنْهَا إِلَّا هَبَاءٌ وَلَالَاءٌ،
فَهِيَ تَمْنَعُ الْكَفَّ، مَا تُبِيحُ الظَّرْفَ، وَأَذْرَتْهَا بِالْقَدَحِ الَّذِي أَجَلَّتْ بِهِ مُعْلَى الْقِدَاحِ، قَائِمًا عَلَى قَدَمِ
الْإِعْظَامِ، أَهْرُ عَطْفِ الْارْتِيَاحِ، وَتَخَيَّلْتُ أَنِّي فِي ذَلِكَ الْمَالِفِ الْعَزِيزِ حَاصِلٌ، وَفِي ذَلِكَ الْمَتَّسِ الْجَلِيلِ
مَائِلٌ، فَتَحَنُّ مُتَلَقِّانِ بَعِيَانِ الْإِمْحَاضِ ^(٥) وَالْإِخْلَاصِ، وَإِنْ تَنَاءَيْنَا بِالذَّوَاتِ وَالْأَشْخَاصِ؛ وَوَصَلَ
مُبَكِّرُ الْبَهَارِ ^(٦) الْجَنِيِّ، مُمْتَعًا بِمَنْظَرِهِ الْبَهِيِّ، وَعَرَفِهِ ^(٧) الذَّكِيِّ، قَدْ شَخَصَتْ أَحْدَاقُهُ، وَرَاقَتْ
أَوْرَاقُهُ، يَمُدُّ بَنَانًا لَهَبٍ، وَيَزْنُو بِحَدَقِ حُمُرٍ تَلْتَهَبُ، كَأَنَّهُ أَكْلِيلُ تَبَرٍّ، مُرَصَّعٌ بِبَيَاقِيَّتِ صُفْرِ، وَهُوَ شَبِيهُ
الرَّاحِ لُونًا وَمَشْمًا، قَدْ تَكَافَأَ بَيْنَهُمَا الْاِنْتِسَابُ، يَحْكِيهِ مِنْهَا الْجَامِدُ وَيَحْكِيهَا مِنْهُ الْمُدَابُّ، وَأَسْفَرَ غَضُّ
الْإِسْفَرَجِ عَمَّا خَصَّ بِهِ ذَلِكَ الْأَفَقِ مِنَ الثَّرَابِ الدَّمِثِ وَالْهَوَاءِ السَّجْسَجِ ^(٨)، فَسَقَاهُ اللَّهُ صَوْبَ
السَّحَابِ، وَلَا زَالَ مُخْضَرُّ الرَّبِيِّ، خَضِلَ الْجَنَابِ، وَاقْتَضَى حُكْمُ الْأَدَبِ الْمُتَعَارَفِ فِي السَّلَامِ
وَالْمُبَادَاةِ، رَدَّ النَّحِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ الْمُنَاوَلَةِ، وَالْمُعَاطَاةِ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْمُعَارَضَةِ وَالْمُبَارَاةِ، وَقَدْ أَنْقَذْتُ
رِيحَانًا مَشْمُومًا وَرَحِيقًا مَخْتُومًا، وَلَكَ الْفَضْلُ فِي تَسَوُّغِ مَا سَقَيْتَ، وَتَنْشِقِ مَا أَهْدَيْتَ ^(٩) .

- | | |
|---|--|
| ١ - السَّرُّو: المُرْوَةُ والشَّرْفُ. | ابن منظور لسان العرب [إسرا] ٣٧٧/١٤ . |
| ٢ - ابن بَسَام النُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/ ٤٦٦ . | ابن منظور لسان العرب [أوس] ١٩/٦ . |
| ٣ - الْآسُ: ضَرْبٌ مِنَ الرِّيحِ. | ابن منظور لسان العرب [شمل] ٣٦٩/١١ . |
| ٤ - الشُّمُولُ: الْخَمْرُ. | ابن منظور لسان العرب [محضر] ٢٢٨/٧ . |
| ٥ - الْإِمْحَاضُ: إِخْلَاصُ النُّصْحِ . | ابن منظور لسان العرب [يهر] ٨٤/٤ . وجاء في تَفْحُ |
| ٦ - الْبَهَارُ: ثَبَتُ طَيْبُ الرَّائِحَةِ . | الْمَقْرِي تَفْحُ الطَّيْبِ ٢٦١/٤ . |
| الطَّيْبُ أَنَّ النَّزْجِسَ وَيُسَمَّى الْعَبْهُزُ هُوَ الْبَهَارُ جَدُّ الْأَنْدَلُسِيِّينَ. | ابن منظور لسان العرب [عرف] ٢٤٠/٩ . |
| ٧ - عَرَفَهُ: رَائِحَتَهُ. | ابن منظور لسان العرب [سجج] ٢٩٥/٢ . |
| ٨ - الْهَوَاءُ السَّجْسَجُ: الْهَوَاءُ الْمُعْتَدِلُ بَيْنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. | |
| ٩ - ابن بَسَام النُّخَيْرَةُ ق ٣، م ١/ ٤٦٨ - ٤٧٠ . | |

٥ - كَتَبَهَا عَنِ الْمُقْتَدِرِ إِلَى أَخِيهِ الْمُظَفَّرِ لَوْفَاةِ ابْنِهِ، وَيَسْتَعِظُفُهُ فِي شَخْصٍ.

قرن بالرقعة ظرف بلور [أحمر] مملوءاً حمراً مع باقة آس، يُسَلِّيهِ عَنْ ابْنِ تُوْفِّي لَهُ، وَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ:
 "لَمَّا كَانَتْ تَقَائِسُ الْمَوَاهِبِ، وَخُطِيرَاتُ الرَّغَائِبِ، مُرْتَادَةً لِأَجْلِ النَّفْسِ، الَّتِي بِهَا مَادَّةُ الْحَيَاةِ
 وَالْحِسِّ، وَهِيَ نُورُ الْبَدَنِ الْمُبْصِرُ، وَسَائِسُهُ الْمُدَبِّرُ، وَجَبَ بِحُكْمِ الْعَقْلِ الَّذِي أَفَاضَ عَلَيْهَا سَنَاءَهُ،
 وَأَفْضَى إِلَيْهَا بِهَدَاهُ، أَنْ تَكُونَ الْعِنَايَةُ بِدَوَامِ صِحَّتِهَا، مُوَازِيَةً لِتَقْدِمِهَا بِالْفَضِيلَةِ عَلَى الْبَدَنِ وَمَزِيَّتِهَا، إِذْ
 كَانَ لَهَا الْبَقَاءُ وَلَهُ الْفَنَاءُ، وَلَهَا الْفَوْزُ فِي الْمَعَادِ، وَلَهُ الْإِنْتِقَاضُ إِلَى الْأَضْدَادِ؛ وَخَاصَّةُ النَّفْسِ الَّتِي تَنْفَرِدُ
 بِهَا وَلَا تَشَارِكُ فِيهَا مَعْنَى السُّرُورِ وَالْجَدَلِ، وَغَايَةُ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ، وَبِهِ الْمَتَاعُ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّعِيمُ فِي
 الْآخِرَى، وَتَقْيِضُهُ الْحُزْنُ، وَهُوَ أَلَمٌ مِنْ أَلَمِهَا يَطْمِسُ نُورَهَا، وَيُكَدِّرُ صَفَاءَهَا، وَيُنْغِصُ نِعَمَتَهَا
 وَهَنَاءَهَا، فَإِذَا انْجَذَبَتْ مُجِيبَةً لِدَوَاعِي الْهَمِّ مُنْقَادَةً فِي زِمَامِهِ، وَلَمْ تُدَافِعْهُ عِنْدَ اعْتِرَاضِهِ وَالْمَامِهِ،
 اشْتَمَلَتْ عَلَى الْمَضْضِ وَالنَّكَدِ، وَحَصَلَتْ فِي عُمُرَةِ الرُّكُودِ وَالتَّبَدُّدِ، وَبِحُكْمِ ذَلِكَ يَحِقُّ عَلَى الْحَازِمِ
 اللَّيْبِ أَنْ لَا يَنْتَبِي عَنِ الْأَخْذِ مِنْ أَقْسَامِ الْمَسَرَّةِ بِأَوْفَى النَّصِيبِ، فَيَسْتَمْتِعُ بِالْمَوَاهِبِ أَيَّامَ مُصَاحَبَتِهَا،
 وَلَا يَجْزَعُ عِنْدَ ارْتِحَالِهَا وَمُقَارَفَتِهَا، وَيَسْتَشْعِرُ أَنَّهَا مُعَارَةٌ لِتُوْدِي، مُودَعَةٌ لِتَقْضَى، فَلَا يَأْسَفُ عِنْدَ
 اقْتِضَائِهَا وَارْتِجَاعِهَا، وَلَا يَأْسَى عِنْدَ بَيْنِهَا وَوَدَاعِهَا، وَيُجَاهِدُ الْهَمَّ إِذَا اعْتَلَجَ فِي صَدْرِهِ، بِمَضَاءِ عَزْمِهِ
 وَقُوَّةِ صَبْرِهِ .

وَقَدْ أَسْمَى اللَّهُ مِنْ مَرَاقِي شُفُوفِكَ (١) وَتَقَدَّمَكَ، وَأَوْضَحَ مِنْ مَعَالِي سَجَايَاكَ وَشِيَمِكَ، بِحَيْثُ
 يُقَدِّدِي بِأَنْزِكَ، وَيُهَيِّدِي بِعَمَلِكَ، وَحَسْبِي أَنْ أُوْمِيَ بِمَا عَرَضَتْهُ مَذْكَرًا، فَلَحَظْتُ بِنَظْرِكَ الْجَلِّيَّ
 مُعْتَبِرًا، وَتَعَرَّضُ عَنْ تَوَازِعِ الْخُطُوبِ مُقْصِرًا، وَتَسْتَأْنِفُ مُقْتَبِلَ الزَّمَانِ الْأَغْرَّ الْجَدِيدِ، وَالْدَّهْرَ الْمَيِّمُونَ
 السَّعِيدِ، فَتُشْرِعُ لِمُطَالَعَةِ الْأَنْسِ بَابًا، وَتَمَهَّدُ لِمُوَاصَلَتِهِ جَنَابًا، وَقَدْ تَعَرَّضَ لِي إِلْفُ أَصْلِهِ وَأَدْنِيهِ، فَأَنَا
 الْآنَ أَهْجُرُهُ وَأَقْصِيهِ، فَلَقِيَ مِنِّي انْزَوَاءً عَنْهُ وَانْقِبَاضًا، وَشَكَا مِنِّي جَفَاءً وَإِعْرَاضًا، فَتَصَدَّى ضَارِعًا
 مُلْحِفًا، فِي أَنْ أُرْسِلَهُ نَحْوَكَ مُسْتَعِظَفًا، فَاسْعَفْتُهُ وَأَوْدَعْتُهُ مَا تَحْمَلُهُ وَأَزْعَجْتُهُ، وَهُوَ - أَنْسَ اللَّهُ
 مَشَاهِدَكَ، وَأَنْضَرَ مَعَاهِدَكَ - زَائِرٌ مُلَطِّفٌ يَتَقَدُّ طَبْعُهُ ذِكَاءً، وَمُؤْنِسٌ يُسْتَشْفُ ظَرْفُهُ صَفَاءً، عَطِرُ
 الْمَذَاكِرَةِ عَبَقُ الْمَفَاكِهَةِ، يُفَضُّ خِتَامَ الْهُمُومِ بِنَفْحِ (٢) الْمُنَاسِمَةِ وَطِيبِ الْمَفَاوِضَةِ، وَقَدْ زَارَ مُتَوَصِّلًا
 بِرِسَالَتِي، مُتَوَسِّلًا بِشَفَاعَتِي، وَصَارَ عَنْ يَدَيَّ، وَانْتَقَلَ عَنْ رَاحَتِي، وَهُوَ الْمَجْفُوءُ الْمَهْجُورُ حَتَّى تَأْذَنَ
 بِتَقْرِيْبِهِ وَإِيْثَارِهِ، وَالْعَامِلُ الْمَصْرُوفُ حَتَّى تَمَنَّ بِتَوَلِّيْتِهِ وَإِقْرَارِهِ (٣) .

١ - شُفُوفٌ : جمع الشَّفَفِ، وهو الرِّيحُ والزيادة .

٢ - بِنَفْحٍ : بِطِيبٍ .

٣ - ابن بَسَامِ النُّخَيْرَةِ ق ٣، ١ / ٤٧٣ - ٤٧٤ .

٦ - كَتَبَهَا عَلَى لِسَانِ الْمُنَجِّمِ بِلَارْدَةِ إِلَى الطَّبِيبِ الْبُرْدُقُونِ: يُوَاسِيهِ فِي مَرَضِهِ .

كَتَبَ ابْنُ حَسْدَايَ عَلَى لِسَانِ الْمُنَجِّمِ بِلَارْدَةِ، الْمَلَقَّبِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَدْ أُصِيبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، إِلَى الطَّبِيبِ بِهَا الْمَلَقَّبِ بِالْبُرْدُقُونِ، وَقَدْ أُصِيبَتْ إِحْدَى خُصْيَيْهِ:

"أَنَا أَدْعُو لَكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَمَنْ أَنَا عَبْدُهُ عَلَى الْعُمُومِ - بِمَعْنَى الدُّعَاءِ بِدَوَامِ النِّعْمَةِ، وَأُقَابِلُهُ بَعْدُ بِمَا يَخُصُّهُ، حَسَبَ مَا عَلَيَّ يَنْصُهُ: [لطويل]

فَوُقِّيتَ بِقِرَاطِ الطَّيُّورِ تَطْبُتًا

إِذَا عَالَجَ الْبَرَّ رَسَامًا^(١) أَوْ أَبْرَأَ الْبَرَصَ

مِنْ الْمَنْسَرِ الْأَشْعَى وَمِنْ حَزَّةٍ^(٢)

فَهَذِي دَوَاهِي الطَّيْرِ وَقِيَّتْ شَرَّهَا

وَقَدْ جَرَّ عَنِّي أَحْدَاثُ الدَّهْرِ غُصَصًا، وَعَدْتُ مَثْلُومًا مُنْتَقَصًا، مُشَوَّهًا بَعْدَ أَقْبَالِ الْجَمَالِ، وَمُؤَنَسُ الْيَمِينِ

مُوحِشَ الشَّمَالِ، كَأَنِّي شِقْ^(٤) فِي قَفَرٍ، أَوْ حُوتٌ مُوسَى فِي بَحْرٍ، وَقَدْ صُنْتُهَا بِرُقْعَةٍ خِمَارٍ أَسْوَدَ،

وَأَدَّعِي أَنِّي أَشْكُو الرَّمَدَ، وَرُبَّمَا سَقَطَ فَاتَّبَعُهُ بِالْيَدِ، وَأُنْشِدُ قَبْلَ أَنْ أُنْشِدَ^(٥): [لكامل]

سَقَطَ النَّصِيفُ^(٦) وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطُهُ

فَتَنَاوَلْتَهُ وَاتَّقَنَّا بِالْيَدِ

وَمَالِي سُلُوٌّ عِنْدَمَا دَهَنَتِي الْإِيَّامُ بِالنَّقْصِ فِي أَكْرَمِ أَعْضَائِي وَأَشْرَفِ جَوَارِحِي إِلَّا بِمَا أُنْسَنِي بِهِ بَعْضُ

إِخْوَانِي قَائِلًا: هَاكَ حَدِيثًا يُسَلِّيكَ وَيُعَزِّيكَ، بِمَزِيدِ حَظٍّ وَصَلَ إِلَى الْحَكِيمِ أَخِيكَ، فَقُلْتُ: هَاتِ حَدَّثَنِي بِالْحَقِّ

عَنْ الْبُرْدُقُونِ، فَلَسْتُ مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِالْأَغْرَقُونِ، فَقَالَ: إِنِّي اخْتَلَسْتُ مِنْهُ فِي الْحَمَامِ نَظْرَةً فَرَأَيْتُ إِحْدَى

خُصْيَيْهِ فِي قَدْرِ الدَّلَاعَةِ^(٧) الْعَظِيمَةِ، وَالْأُخْرَى عَلَى هَيْئَةِ الْقَدِيمَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْكَ أُبْرَزْتَ قَتَاءً^(٨) فِي

عِبَاءَةٍ، وَقَدْ رَكِبْتَ بِإِذْنِ جَانَّةٍ وَأُرِدَفْتَ دُبَاءَةً^(٩)، فَأَطْرَبَنِي طِيبُ نَادِرَتِهِ، وَأَمْتَعَنِي خَبَرُ إِفَادَتِهِ، وَعَدْتُ

إِلَى الْإِلَازِمِ مِنْ مُحَاطَبَتِكَ بِالتَّهْنِئَةِ وَالْإِيْنَسِ، وَمَا عَلَيْنَا مِنْ غَلَامِ النَّاسِ، وَمَا تَحَطَّنْتَنِي نِعْمَةٌ وَفِدَتْ

عَلَيْكَ، وَلَا الْمَنِي نَقْصٌ مَعَ مَزِيدٍ وَصَلَ إِلَيْكَ، وَالْعَاقِلُ لَا يَتَنَكَّدُ بِمَا تَرَاهُ

١ - الْبَرَّ رَسَامًا: عِلَّةٌ فِي الصَّدْرِ، يُشْبِهُ الْجُدْرِي.

٢ - الْمَنْسَرُ: النَّسْر.

الْأَشْعَى: مِنَ الشَّعْوَاءِ وَهُوَ الْعُقَابُ.

الْحَزَّةُ: الْقَطْعُ فِي عِلَاجِ.

٣ - بُنْدُقُ: الَّذِي يُرْمَى بِهِ .

٤ - الشَّقُّ: الصَّدْعُ الْبَائِنُ .

٥ - دِيْوَانُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّةِ ص ١٤٧ .

٦ - النَّصِيفُ: الْخِمَارُ .

٧ - الدَّلَاعَةُ: قَدْ تَكُونُ مِنْ ائْتِلَاعِ اللِّسَانِ أَوْ خَرَجَ مِنَ الْفَمِ وَاسْتَرْخَى وَسَقَطَ عَلَى الْعُقْفَةِ كَلِّسَانِ الْكَلْبِ.

ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [دلع] ٩٠/٨ .

وَقِيلَ دَسَ لَهُ السَّمُ فِي دِلَاعَةٍ قَطَعَهَا بِسَكِينٍ نَصَفَهَا مَسْمُومٌ وَالثَّانِي غَيْرُ مَسْمُومٍ وَقِيلَ فِي بَطِيخَةٍ. انظر: ابن الأَثير الخُلَّةُ السَّيْرَاءُ ٩٩/١ .

٨ - قَتَاءَةٌ: الْوَاحِدَةُ مِنَ الْخِيَارِ .

٩ - دُبَاءَةٌ: الْوَاحِدَةُ مِنَ الدُّبَاءِ وَهُوَ الْقَرْعُ .

ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [دبي] ٢٤٩/١٤ .

== ملاحق القطع النثرية ==

العَوَامُّ قَبِيحًا مُسْتَحْيَا، إِذَا كَانَ فِي حُكْمِ الْخَوَاصِّ حَسَنًا جَمِيلًا، وَفِي عِظَمِ إِحْدَى خُصِيَّتَيْكَ - أَنْمَا هُمَا
 اللَّهُ - فَضَائِلُ يَعْرِفُهَا الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَجْهَلُهَا الْحُكَمَاءُ، فَقَدْ قَالَ الْقَيْلَسُوفُ: إِنَّ الْبَيْضَتَيْنِ كَالْمِعْلَقَتَيْنِ (١)
 تُعَدِّلَانِ الْجِسْمَ، وَتُسَوِّسَانِ الْبَدَنَ، وَهُمَا كَالْمَادَّةِ (٢) لِلْقُوَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَالْمَعُونَةِ لِلْحَرَارَةِ الْعَرِيزِيَّةِ،
 وَيُسَبِّهَانِ بِالْأَنْفَالِ تَعْلُقُ مِنَ السَّقَاءِ قَتْرَمَ رَخِيَّةً، وَتَضُمُّ قَصِيَّةً، وَإِذَا عَظُمَتِ الْوَاحِدَةُ، بَانَتْ الْخُصْلَةُ
 الزَّائِدَةُ، فَإِنَّ الْبَنَاءَ إِنَّمَا يَزِنُ بِرِصَاصِهِ (٣)، وَالْمُهَنْدِسُ يَرِصُدُ بِشَاقُولٍ (٤)، وَرُبَّمَا هَجَسَ فِي نَفْسِكَ،
 أَنْكَ تَصِيرُ إِلَى الْفَرَكِ مِنْ عَرْسِكَ (٥)، فَتُنْشِدُكَ، وَإِنَّمَا تَقْصِدُكَ (٦): [لرجز]
 قَدْ خَلَقْتَ بِاللَّهِ لَا أَحِبُّهُ أَنْ طَالَ خُصْيَاهُ وَقَصُرَ زُبُّهُ

وَهَذَا النَّشِيدُ، فِي مِثْلِكَ بَعِيدٌ، فَإِنَّ مَتَاعَكَ يَطُولُ لِلصُّغَرَى، وَتَطُولُهُ الْكُبْرَى، فَيَتَبَيَّنُ اعْتِدَالُهُ، وَيَبْدُو
 كَمَالُهُ، وَقَدْ سَلِمْنَا مِنَ التَّشْبِيهِ بِقُرُوجَيْنِ أَوْ أُتْرُجَتَيْنِ (٧)، وَلَا يَسُوعُ فِيهِمَا وَلَا يَجُوزُ، أَنْ يَكُونَا كُنْتَنِي
 حَنْظَلٍ فِي ظَرْفِ عَجُوزٍ (٨)؛ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَكَيْفَ تَفْرُكَكَ غَانِيَّةً، أَوْ تَعْتَصِمُ مِنْكَ مُخَدَّرَةٌ (٩)، وَمَا عَلَى
 ظَهْرِهَا خَوْذٌ (١٠) إِلَّا وَهِيَ إِذَا عَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا (١١) أُعِيدَتْ بِاسْمِكَ، وَلَا فَتَاةٌ عَرُوبٌ (١٢) وَهِيَ
 تَسْتَغْشِي مِنْ غَيْرِ نَعْسَةٍ رَجَاءً فِي لِقَاءِ خَيَالِكَ (١٣)، وَلَا مَخْجُوبَةٌ مَصُونَةٌ إِلَّا وَهِيَ تُرْقِعُ الْكُوى
 بِالْمَحَاجِرِ (١٤)، لِمَمَرِّكَ، وَهَلْ فِي تَمَامِكَ رَبُّبٌ فَيُعَالِجُ بِحُجَّةٍ، أَوْ فِي فَضْلِكَ رَدٌّ فَيُثَبِّتُ بَيِّنَةً،

١ - المِعْلَقَتَانِ: الخشبَتَانِ اللتان تتصببان على رأس البئر ويلقي بين طرفيهما العاليتين بحبل، ثم يؤتدان على الأرض بحبل آخر يُمَدُّ
 طرفاه للأرض، ويُمَدَّان في وتدين أثبتا في الأرض، وتعلق القامة، وهي البكرة في أعلى الخشبَتين ويُستقى عليها ببلوين ينزع بهما ساقيان.
 ابن منظور لسان العرب [علق] ١٠ / ٢٦٦ .

٢ - المَادَّةُ: الزَّيَادَةُ الْمُتَّصِلَةُ .
 ابن منظور لسان العرب [مدد] ٣ / ٣٩٦ .

٣ - الرِّصَاصَةُ: الْحِجَارَةُ .
 ابن منظور لسان العرب [رصر] ٧ / ٤١ .

٤ - الشَّاقُولُ: خَشَبَةٌ قَنْزٌ ذِرَاعَيْنِ فِي رَأْسِهَا رُجٌّ، يَجْعَلُ أَحَدُهُمْ فِيهَا رَأْسَ الْحَبْلِ ثُمَّ يَزُرُّهَا فِي الْأَرْضِ وَيَنْضَبِّطُهَا حَتَّى يَمْدُوا الْحَبْلَ .
 ابن منظور لسان العرب [شقل] ١١ / ٣٥٦ .

٥ - الْفَرَكُ مِنَ الْعَرْسِ: أَنْ تُبْغِضَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا .
 ابن منظور لسان العرب [فرك] ١٠ / ٤٧٤ .

٦ - ذَكَرَ ابْنُ مَنْظُورٍ الْبَيْتَ وَلَمْ يَنْسِبْهُ لِأَحَدٍ .
 انظر : ابن منظور لسان العرب [خصا] ١٤ / ٢٣٠ .

٧ - أُتْرُجَتَيْنِ: اثْنَتَيْنِ مِنْ شَجَرِ الْأُتْرُجِ وَهُوَ الْعُرْفُ أَيْ التَّخْلُ إِذَا بَلَغَ الْإِطْعَامَ لِسَانَ الْعَرَبِ [ترج، عرف] ٢ / ٢١٨، ٩ / ٢٤٢ .

٨ - ثِنْتَا حَنْظَلٍ أَرَادَ حَنْظَلَتَانِ .
 ابن منظور لسان العرب [خصا] ١٤ / ٢٣٠ . وفي الكلام إشارة إلى قول الرَّاجِزَةِ:

كَانَ خُصْيِيهِ مِنَ التُّدْلُذِلِ ظَرْفُ جِرَابٍ فِي ثِنْتَا حَنْظَلٍ
 انظر: أبو تمام ديوان الحماسة ص ٣٨٧ .

٩ - مُخَدَّرَةٌ: امْرَأَةٌ، مَأْخُودٌ مِنَ الْخَيْرِ وَهُوَ سِئْرٌ يُمَدُّ لِلجَّارِيَةِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ .
 ابن منظور لسان العرب [خدر] ٤ / ٢٣٠ .

١٠ - خَوْذٌ: فَتَاةٌ حَسَنَةُ الْخَلْقِ شَابَّةٌ .
 ابن منظور لسان العرب [خود] ٣ / ١٦٥ .

١١ - مِرْطٌ: بَفْتَحُ الْمِيمِ أَوْ كِسْرُهَا، كِسَاءٌ مِنْ خَرٍّ أَوْ صُوفٍ أَوْ كَتَانٍ .
 ابن منظور لسان العرب [مرط] ٧ / ٤٠١ .

١٢ - الْعَرُوبُ: الْمَرْأَةُ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا، الْمُظْهَرَةُ لَهُ ذَلِكَ .
 ابن منظور لسان العرب [عرب] ١ / ٥٩١ .

١٣ - مِنْ قَوْلِ الْمَجْنُونِ: وَإِنِّي لَأَسْتَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خَيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا انظر: ديوان مجنون ليلى ص ٢٩٩ .

١٤ - الْكُوى: جَمْعٌ لِلْكُوةِ وَهِيَ الْخَرْقُ فِي الْحَائِطِ وَالثَّقْبُ فِي الْبَيْتِ وَنَحْوَهُ مِنْ بَيْتِ لَعْمَرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

وَكُنْ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي سَعَيْنَ فَرَقَعَنَ الْكُوى بِالْمَحَاجِرِ

انظر : ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٥٨، ابن منظور لسان العرب [كوى] ٨ / ١٥، ١٣١ / ٢٣٦ ..

== ملاحق القطع النثرية ==

وَقَدْ اسْتَوَيْتَ الْآنَ بِأَنْفَالِكَ، وَاعْتَدَلْتَ بِأَرْطَالِكَ^(١)، وَلَوِدِدْتُ أَنْ الْأَيَّامَ أُعْطِنِي مَا مَنَحَتْكَ زِيَادَةً عَلَى مَا نَقَصْتَنِي فَكَانَتْ تُكْمِلُ صِنَاعَتِي، وَتُنْفِقُ بِصَاعَتِي، وَلَا سَتَغْنِيْتُ عَنْ اسْطِرْلَابِ كُرِّي^(٢)، وَكَرَّةِ ذَاتِ كُرْسِيٍّ، إِذْ كُنْتُ أَعُودُ مِنَ الْأُذْرَةِ^(٣) إِلَى أَصْحَحِ كُرَّةٍ قَدْ مَاسَهَا جُزْمُ أُسْطُوَانِيٍّ، وَمَخْرُوطُ عَصْبَانِيٍّ، يَكُونُ تَارَةً عَضَادَةً^(٤) اسْطِرْلَابٍ، وَتَارَةً مِقْيَاسَ بَابٍ. وَمَا أَنَا وَتَمَنِّي مَا لَا أُدْرِكُ، وَحَسَدُ مَا لَا أَبْلُغُ! الْآنَ عُدْتُ فَأَيْقَا فِي الْجَمَاعِ، وَلَيْسَ الْعِيَانُ كَالسَّمَاعِ، فَالْخِصْيَةُ إِذَا عَظُمَ جِزْمُهَا وَكَبُرَ حَجْمُهَا، تَضَاعَفَتْ فِي التَّوْلِيدِ قُوَّتُهَا، وَتَزِيدَتْ مَادَّتُهَا، وَلَكِ الْمَزْيَةُ، فَإِنَّكَ إِنْسَانٌ حَجَلِي^(٥)، أَوْ حَجَلِي أَنْسِيٍّ، فَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْحَيَوَانِ أَنَّ إِنَاثَ الْقَبْجِ تَسْتَقْبِلُ الذُّكُورَةَ، فَتَنْتَسِمُ الرِّيحَ تَهْبُ مِنْ تِلْقَائِهَا فَتَحْبَلُ، وَتُصِيحُ لِلصَّوْتِ يَصِلُ مِنْ تِلْقَائِهَا فَتَحْمِلُ، فَاسْحَبْ أَذْيَالَكَ فَأَخِرَا، فَقَدْ تَقَدَّمْتُ أَوَّلًا وَأَخِرَا، فَلَاكَ مِنْ جِهَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ سَبَقُكَ فِي الْفَضَائِلِ، وَحَلَاوَةِ الشَّمَائِلِ، وَحَرَارَةِ النَّادِرَةِ، وَطِيبِ الْفُكَاهَةِ مَعَ شُفُوفِكَ^(٦) فِي الصَّنَاعَةِ، فَعِلَاجُكَ فِي الْإِصَابَةِ وَاللُّطْفِ، كَأَنَّهُ وَحْيٌ أَوْ أَخَذُ بِالْكَفِّ، إِذْ كُنْتَ تَهْزِلُ بِجَالِينُوسَ، تَلْهُو بِلُحْيَةِ اسْقَلِيْبِيُوسَ، فَإِنَّكَ مِنْ فِرْقَةِ أَصْحَابِ الْحَيْلِ، وَهَذَا رَأْيُ أَتَاكَ مِنْ جِهَةِ مِرَاجِ الْحَجَلِ، فَتَصَرَّتْ تَأْسِلَاسَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَغَنِيَتْ بِجِنْسِ الْإِسْتِرْسَالِ وَالْإِحْتِبَاسِ، عَنْ هَذَيَانِ أَصْحَابِ الْقِيَاسِ؛ وَأَمَّا فَضْلُكَ مِنْ جِهَةِ الْقَبْجِ فَهَنَّاكَ الْمَلَاخَةُ وَالْحَلَاوَةُ، وَالرَّشَاقَةُ وَالطَّلَاوَةُ، فَلَاكَ جَمَالُ الشَّفَةِ، مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ النَّصْفَةِ^(٧)، فَقَدْ قُبِحَ كُلُّ لَمَى بِالسُّمَرَةِ، وَحَسُنَ لَمَّاكَ بِفَضْلِ الْحُمَرَةِ، فَالْحُسْنُ أَحْمَرُ^(٨)، وَهَذَا حَقٌّ لَا يُنْكَرُ، وَلَكِ مِنْ جِهَةِ الْمَشْيِ مَاجَهَدَتِ الطَّيْرُ فِي امْتِنَالِهِ، كَلَّفَا بِجَمَالِهِ، وَرُبَّمَا تَشَبَّهَتْ بِمَشْيِ الْحَجَلِ، فَيَتَلَنُّ الْحُسْنَ بِالْحَيْلِ: [لطويل]

وَكَمْ مِنْ غُرَابٍ رَامَ مِشْيَةَ قَبْجَةٍ فَأَنْسِيَّ مَمْشَاهُ وَلَمْ يَمْشِرْ كَالْحَجَلِ

وَمَا تَفْعَلُ بِرِقَّةِ سَاقِكَ مَعَ عُمُومِ مَحَاسِنِكَ وَبَرَاةِ حُلَاكَ، فَلَا تَحْفَلِ بِقَوْلِ الرَّاجِزِ الْجُلْفِ^(٩)، فَكَلَامُهُ يَخْرُجُ إِلَى الْخُلْفِ: [لرجز]

-
- | | |
|--|--|
| <p>١ - الرَّطْلُ: المسترخي مِنَ الرِّجَالِ، الرَّخْوُ اللَّيِّنُ.</p> <p>٢ - الاسْطِرْلَابُ كُرِّيٌّ: مِنَ آلَاتِ الرِّصْدِ.</p> <p>٣ - الْأُذْرَةُ: نَفْخَةٌ فِي الْخِصْيَةِ.</p> <p>٤ - عَضَادَةٌ: نَاحِيَةٌ أَوْ جَانِبٌ.</p> <p>٥ - إِنْسَانٌ حَجَلِيٌّ: بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْحَجَلِ وَهُوَ الْقَبْجُ أَيْ الْكَرَوَانُ.</p> <p>٦ - شُفُوفِكَ: رِقَّتِكَ.</p> <p>٧ - النَّصْفَةُ وَالْإِنْصَافُ: إِعْطَاءُ الْحَقِّ.</p> <p>٨ - الْحُسْنُ أَحْمَرُ: مِثْلُ أَخَذَ مَعْنَاهُ مِنْ قَوْلِهِمْ، مَوْتَ أَحْمَرَ أَيْ شَدِيدًا. وَمَعْنَاهُ: مِنْ طَلَبِ الْجَمَالِ احْتِمَلِ الْمَشَقَّةَ.</p> <p>٩ - الْجُلْفُ: الْأَعْرَابِيُّ الْجَافِي فِي خُلُقِهِ وَخُلُقِهِ.</p> | <p>ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [رطل] ٢٨٦/١١.</p> <p>ابن خُلَكَانَ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٧٠/٦.</p> <p>ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [أذر] ١٥/٤.</p> <p>ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [عضد] ٢٩٣/٣.</p> <p>ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [قبج، حجل] ١٤٣/١١، ٣٥١/٢.</p> <p>انظر: الْجَاحِظُ الْحَيَوَانِ ٦٧١/٢.</p> <p>ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [شفف] ١٨١/٩.</p> <p>ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [انصف] ٣٣٢/٩.</p> <p>انظر: الْمَيِّدَانِيَّ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ ٢٧٦/١ - ٢٧٧.</p> <p>ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [جلف] ٣١/٩.</p> |
|--|--|

وَهَلْ عَلِمْتَ يَا قَفِيٍّ وَمَرَسِنٌ^(٢) الْعَجَلِ وَسَاقِ الْحَجَلَةِ
وَهَذَا الْعَزَالُ، وَهُوَ النَّهْيَةُ فِي الْجَمَالِ، لَهُ دِقَّةُ الشَّوَى^(٣) وَنُشُوزُ^(٤) الْقَرْنِ وَصَدْعُ الظِّلْفِ^(٥)؛
وَالطَّلُوسُ - وَهُوَ الْعَالِيَةُ فِي الْحُسْنِ - لَهُ قُبْحُ الرَّجْلَيْنِ وَعُرْيُ السَّاقَيْنِ، وَإِنَّمَا يُوصَفُ الشَّيْءُ بِالْأَغْلَبِ
عَلَيْهِ، فَيُذَكَّرُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ بَرَعْتَ وَبَهَرْتَ وَقَهَرْتَ، فَأَنْتَ كَالشَّمْسِ لَا يَتَعَلَّقُ بِهَا دَنْسٌ وَلَا تَلَبُّ،
وَمَا يَضُرُّ الْقَمَرَ أَنْ يَنْبَحَهُ كَلْبٌ^(٦).

٧ - كَتَبَهَا عَلَى لِسَانِ الْبُرْدُقُونِ يَرُدُّ عَلَى رِسَالَةِ بِلَارْدَةَ السَّابِقَةِ .

"يَا سَيِّدِي الَّذِي أَعْتَرَفْتُ بِخَصَائِصِهِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِجَمَالِهَا، وَأَقْرَأْتُ لَهُ بِمَخَاسِنِهِ الَّتِي اسْتَبَدَّتْ
بِكَمَالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ دَبَّتْ عَقَارِبُ حِسَادَتِهِ، وَمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْسَلِخَ عَنْ دَمِيمِ عَادَتِهِ، وَوَجَدْتُهُ قَدْ نَعَى
بَصْرَهُ، وَشَكَا عَوْرَهُ، وَأَنْتَى عَلَى شَرَحِي، وَلَمْ يَخْفَلْ بِعَرَجِي: [مجزوء لرملة]
إِنَّ فِي الْجِسْمِ دَمَامِيَةً _____ لَ وَفَرْخَاتٍ مُلَحَّةً
لَيْتَهَا فِي عَيْنٍ مَنْ يَرُ عَمَهَا مَالاً وَصِحَّةً

وَقَبَّحَ اللَّهُ النَّهْمَ فَعَنْهُ تَكُونُ الْعِلَلُ الْمُتَوَلِّدَةُ، وَكُلُّ دَاءٍ أَصْلُهُ الْبَرْدَةُ، وَمَعَ مَا رُكِبَ فِي مِنَ الشَّرِّهِ إِلَى
الْمَأْكَلِ، فَإِنِّي مُتَطَلِّقٌ عَلَى اسْتِجَارَةِ أَكْلِ الْحَجَلِ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ نَفْسِي، يَوْمَ أَرُومُ أَكْلَ أَبْنَاءِ جَنْسِي، إِذْ
أَكُونُ كَالزَّنَجِ الْأَنْجَاسِ، الَّذِينَ يَسْتَجِيزُونَ أَكْلَ لُحُومِ النَّاسِ، بَلْ إِنِّي أَطْلُبُهَا مِنْ مَظَلَّتِهَا، وَأَرْتَادُهَا،
وَأَنْصُبُ لَهَا الْحَبَائِلَ وَأَصْطَادُهَا، ثُمَّ أُرْسِلُهَا أَسْرَابًا وَأَفْوَاجًا، وَأُسَرِّحُهَا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا، وَأُنْشِدُ مُتَمَثِّلًا^(٧)
: [لطويل]

أَيَا شِبْهَ لَيْلَى لَا تَرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصِديقٍ
وَإِنْ تَكُنْ - جُعِلَتْ فِدَاكَ - قَدْ أَصَابَكَ عَوْرٌ، وَنَالَكَ مِنْهُ ضَعْفٌ وَخَوْرٌ، وَهُوَ نَقْصٌ فِي الظَّاهِرِ وَمَزِيدٌ
فِي الْبَاطِنِ، فَقَدْ حُبِيتَ بِاجْتِمَاعِ نُورِ الْبَصَرِ وَكَانَ مُتَفَرِّقًا، وَاتَّحَادَهُ وَكَانَ مُبَدَّدًا، فَقَدْ كَانَ النُّورُ مُرْسَلًا
إِلَى الْحَدَقَتَيْنِ فِي الْعَصَبَتَيْنِ الْجَوْفَاوَيْنِ، فَلَمَّا انْسَدَّتْ ثَقْبُ الْوَاحِدَةِ عَادَ إِلَى الْأُخْرَى مَوْفُورًا، وَشَفَعَ
بِنُورِهَا نُورًا، كَالْحَالِ فِي الْقَمَرِ يَطْلُعُ فِي لَيَالِيهِ الْبَيْضِ سَاطِعَ السَّنَاءِ بَاهِرَ الْوَمِيضِ، يَجْلُو

- ١ - قَفِيٍّ: قَفَا، التَّفُؤْلَةُ: الْأُنْثَى مِنْ وَلَدِ الثَّعْلَبِ.
- ٢ - مَرَسِنٌ: مَوْضِعُ الرَّسَنِ مِنْ أَنْفِ الْفَرَسِ أَوْ غَيْرِهِ.
- ٣ - الشَّوَى (لِلْحَيَوَانِ): الْأَطْرَافُ أَوْ الْقَوَائِمُ.
- ٤ - نُشُوزٌ: جَمْعٌ لِلنَّشْرِ وَهُوَ الْعَلِيطُ الشَّدِيدُ.
- ٥ - صَدْعُ الظِّلْفِ أَوِ الظِّلْفِ: شَقٌّ فِي ظَفْرِ كُلِّ مَا اجْتَرَّ كَالْبَقَرَةِ وَالظَّبْيِ وَمَا أَشْبَهَهَا.
- ٦ - ابْنُ بَسَامِ الدُّخَيْرَةُ ٣، ٤٧٤/١ - ٤٨٠.
- ٧ - الْبَيْتُ لِلْمَجْنُونِ: دِيْوَانُ مَجْنُونٍ لَيْلَى ص ٢٠٦.

- ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [قفا، نفل] ١٥/١٩٤، ١١/٧٨.
- ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [رسن] ١٣/١٨٠.
- ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [شوا] ١٤/٤٤٧.
- ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [نشز] ٥/٤١٨.
- ابْنُ مَنْظُورٍ لِسَانِ الْعَرَبِ [صدع] ٨/١٩.

== ملاحق القطع النثرية ==

الدَّيَّاجِي، فَيَهْدِي السَّارِي، فَإِذَا غَرِقَتْ أَعْقَابُهُ، وَتَكَامَلَ غِيَابُهُ، فَقَدَّتْهُ النُّجُومُ، فَأَعْتَرَاهَا الْوُجُومُ، وَلَفَّهَا اللَّيْلُ فِي مَلَاةٍ دَيَّاجِيَةٍ، وَأَرْدَفَ أَعْجَازَهُ وَتَأَى بِهِوَادِيَهُ، فَلَوْ جُمِعَتِ الْكَوَاكِبُ مُنْتَظِمَةً فِي الْقَدْرِ، لَكَانَتْ أَضْعَافَ الْبَدْرِ، وَهِيَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْتِثَارِ، لَا تَهْدِي السَّارِي قِصْدَ الْآثَارِ، فَبَصَرَكَ الْآنَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَجْمَعُ نُورًا، وَأَضْوَاءَ شُعَاعًا، وَأَنْفَدُ نَظْرًا وَأَبْعُدُ أَطْلَاعًا، وَلِذَلِكَ قَالَ الْقَائِلُ^(١): [لكامل]

شَمْسُ الضُّحَى يُعْشِي الْعُيُونُ ضِيَاؤَهَا إِلَّا إِذَا نُظِرَتْ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ
فَلِذَاكَ تَاهَ الْعُورُ وَاحْتَقَرُوا الْوَرَى فَأَعْرِفْ فَضِيلَتَهُم وَخُذْهَا قَائِدَةً
نُقْصَانُ جَارِحَةٍ أَعَاتَتْ أَخْتَهَا فَكَاثَمًا قَوِيَتْ بِعَيْنٍ زَائِدَةٍ

وَالْعُقَابُ الْكَاسِرُ، وَالنَّسْرُ الطَّائِرُ، وَابْنُ الْمَاءِ الْمُحَلَّقُ، بِالإِضَافَةِ إِلَيْكَ خَفَافِشٌ، وَبِالْمُقَايَسَةِ بِكَ أَخْلَادُ^(٢)، وَقَدْ أَزْرَيْتَ بَزْرَقَاءَ الْيَمَامَةِ، وَمَا يَنْبَغُ أَنْ تَحْسِبَ فِي لَحْظَةٍ أَلْفَ حَمَامَةٍ، وَتَرَى حَضَنًا^(٣) مِنْ أَقْصَى تَهَامَةٍ، فَحَدَّثْنَا عَنْ هَقَّةِ الْجُوزَاءِ^(٤) أَوْ نَثْرَةِ السَّرَطَانِ^(٥): هَلْ هِيَ كَوَاكِبُ صِغَارٍ مُنْتَظِمَةٌ، أَوْ لَطْخَةٌ^(٦) سَحَابِيَّةٌ مُظْلِمَةٌ؟ فَإِنَّ بَصَرَكَ يُدْرِكُ حَقِيقَةَ ذَلِكَ وَلَا يَكِلُ عَنْ نَيْلِ مَدَاهُ، وَبُلُوغِ أَقْصَاهُ؛ وَأَمَّا رُؤْيُكَ الثُّرَيَّا^(٧) سَبْعَةَ أَنْجُمٍ فَهُوَ مَا لَا يَفْخَرُ بِهِ مِثْلُكَ، وَإِنَّمَا يُقَاسُ بِهِ الْحَدِيدُ الْبَصَرِ، وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ أَقْوَى الْبَشَرِ. وَحَدَّثْنَا عَنْ كَلَفِ الْقَمَرِ^(٨) مَا هُوَ؟ وَاشْرَحْ لَنَا الْحَالَ فِي قَطْرِ السَّحَابِ كَيْفَ هُوَ؟ فَإِنَّكَ تُبْصِرُهُ مُجْتَمِعًا قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ بَدَدًا، وَتُلَحِظُهُ دَائِبًا قَبْلَ أَنْ يَجْمَدَ بَرْدًا، وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا تَرَاهُ عَيْنَانَا، فَأَمَّجَدْنَا فِيهِ بَيَانًا، وَلَوْلَا أَنَّكَ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ غَيْرُ مَقْبُولٍ لِمَا تَدَّعِيهِ مِنْ عِلْمِ التَّأَثُّرِ، إِذْ يَرْمُونَ أَهْلَهُ بِالتَّعْثِيرِ، لَبَشَّرْتَ بِهَلَالِ الْعِيدِ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ بِسَاعَتَيْنِ، وَبُعْدِهِ عَنِ الشَّمْسِ بِدَرَجَتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ، عِنْدَ رَفْعِ الْإِسْطِرْلَابِ إِلَى الشَّمْسِ تُغْمِضُ إِحْدَى عَيْنَيْكَ لِتَعْتَدِلَ لَكَ رُؤْيَا الشُّعَاعِ، وَمَوْضِعُ الْعِضَادَةِ^(٩) فِي أَخْذِ الْارْتِفَاعِ، وَقَدْ كُفِّتَ ذَلِكَ بِالْعُورِ، مَعَ زِيَادَةِ النَّظَرِ؛ وَلَأْمَرٍ مَا تَلَطَّفَ أَهْلُ النَّعْرِ فِي عَوْرِكَ، فَلَيْسَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنْ خَبَرِكَ، إِذْ صِرْتَ لَهُمْ رَابِئَةً^(١٠)

١ - يَأْفُوتُ الْحَمَوِيُّ مُعْجَمَ الْأَدْبَاءِ ١٩ / ٢٢٣ .

٢ - أَخْلَادٌ: جَمْعُ لِلْخُلْدِ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْجُرْذَانِ عُمِي لَمْ يَخْلُقْ لَهَا عِيُونٌ . ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [خلد] ٣ / ١٦٥ .

٣ - حَضَنٌ: اسْمُ جَبَلٍ فِي أَعَالِي نَجْدٍ... انْظُرْ: ابن خُلَّكَانَ وَفَيَّاتُ الْأَعْيَانِ ٥ / ٢٤٨؛ ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [حضن] ١٣ / ١٢٤ .

٤ - الْهَقَّةُ: ثَلَاثَةُ كَوَاكِبَ نَبِيْرَةٍ قَرِيبٍ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فَوْقَ مَنَكِبِ الْجُوزَاءِ . ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [هقع] ٨ / ٣٧٣ .

٥ - النَّثْرَةُ: كَوَكِبَانِ بَيْنَهُمَا مَقْدَارُ شَبْرٍ، وَفِيهِمَا لَطْخٌ بَيَاضٌ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ سَحَابٍ مِنْ بُرْجِ السَّرَطَانِ. أَوْ هِيَ ثَلَاثَةُ كَوَاكِبَ خَفِيَّةٍ مُتَقَارِبَةٍ، أَوْ أَرْبَعَةٌ . ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [نثر] ٥ / ١٩٢ .

٦ - اللَّطْخُ: كُلُّ شَيْءٍ لَطَخَ بِغَيْرِ لَوْنِهِ، وَفِي السَّمَاءِ لَطَخٌ مِنْ سَحَابٍ أَيْ قَلِيلٌ . ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [لطخ] ٣ / ٥١ .

٧ - الثُّرَيَّا: مِنَ الْكَوَاكِبِ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ كَوَاكِبِهَا مَعَ صِغَرِ مَرَاتِهَا . ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [ثرا] ١٤ / ١١٢ .

٨ - كَلَفُ الْقَمَرِ: تَغْيِيرُهُ، وَالْمَقْصُودُ هَذَا مَنَازِلُهُ . ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [كلف] ٩ / ٣٠٧ .

٩ - الْعِضَادَةُ: الْجَانِبُ . ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [عضد] ٣ / ٢٩٤ .

١٠ - الرَّابِئَةُ: الطَّلِيعَةُ، وَأَتَتْهُ لِأَنَّهُ يُقَالُ لَهُ الْعَيْنُ إِذْ يَحِيْثُهُ يُنْظَرُ وَالْعَيْنُ مُؤَنَّثَةٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ عَيْنٌ لِأَنَّهُ يَرَعَى أُمُورَهُمْ وَيَخْرُسُهُمْ .

ابن مَنْظُور لِسَانِ الْعَرَبِ [ربأ] ١ / ٨٢ .

تُنذِرُهُمْ بِالْخَيْلِ عَلَى بُعْدِ مَرَاجِلَ وَمَسَافَةِ أَيَّامٍ، فَأَنْتِ عِنْدَهُمْ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرِيَّةِ، وَأَجْدَى مِنْ مَنَارِ
الْإِسْكَندَرِيَّةِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَشْعُرُوا أَنَّكَ الدَّجَالُ الْمُنْتَظَرُ، وَقَدْ خَرَجْتَ عَلَيْهِمْ بِخُرُوجِ عَيْنَيْكَ، وَبَرَزْتَ إِلَيْهِمْ
بِبُرُوزِهَا عَنْكَ، فَإِنْ اعْتَرَضَ مُعْتَرِضٌ وَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ يَقْدُمُهُ خُرُوجُ الدَّابَّةِ، فَإِنْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الدَّجَالُ
فَأَيْنَ الدَّابَّةُ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّكَ كُنْتَ الدَّابَّةَ ثُمَّ صِرْتَ بِِ الْعَوْرِ دَجَالًا. وَقَدْ جَالَ الصَّدُوقُ فِي ذَلِكَ مَجَالًا؛
وَأَنْتِ قَيْطُوسَ دَابَّةَ الْبَحْرِ تَعُومُ فِي حُبِّكَ الْمَاءِ، وَتَسْبَحُ مِثْلَهَا فِي فَلَكَ السَّمَاءِ، فَإِنَّ صُورَةَ قَيْطُوسَ الَّتِي
أُنْبِتَهَا جَالِيبُوسُ جَمَاعَةُ كَوَاكِبَ تُعْرِفُ بِدَابَّةِ الْبَحْرِ، وَبَطْنُهَا غَائِصٌ فِي كَوَاكِبِ النَّهْرِ، فَقَدْ نَبَّهَهَا مِمَّا يَلِي
الدَّلْوَ حَيْثُ يَنْصَبُ مَآوُهُ فِي قِمِّ الْحُوتِ الْجَنُوبِيَّةِ، وَبِأَعْلَى عُرْفِهَا الْمَعْرُوجِ، كَوَاكِبُ الْحُوتِ مِنْ فَلَكَ
الْبُرُوجِ، فَهِيَ مَغْمُورَةٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِالْمِيَاهِ، مَانُوسَةٌ بِالْأَقَارِبِ وَالْأَشْبَاهِ، وَقَدْ فَازَتْ بِالطَّبْعِ الْمُعْتَدِلِ، بِمَا
حَازَتْ مِنْ مُجَاوَرَةِ بُرْجِ الْحَمَلِ، فَهَذَا الْمَجْدُ الْبَادِخُ، وَالْأَصْلُ الرَّاسِخُ، وَالْفِرْعُ الشَّامِخُ؛ فَأَنْتِ حَقًّا
الدَّجَالُ الْأَعُورُ، وَالْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ، الَّذِي نَبَّأْنَا بِهِ الْأَثَرُ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِزَّنَا بِأَعْلَامِكَ، وَيُنْصِرُنَا فِي
أَيَّامِكَ، وَنُبْتَهِلُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَكْفِينَا أَشْرَاطَكَ، وَيَزُودِي عَنَّا تَعْدِيكَ وَإِفْرَاطَكَ، حَتَّى إِذَا ظَلَمْتَ
وَجُرْتَ، وَغَيَّرْتَ وَبَدَّلْتَ، قَدَفَ بِكَ فِي قَرَارِ الْيَمِّ الْعَظِيمِ، وَالتَّقَمَّكَ الْحُوتُ وَأَنْتِ مُلِيمٌ، إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ
لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ" (١).

٨ - كَتَبَهَا ابْنُ حَسْدَايَ عَنِ الْمُقْتَدِرِ إِلَى أَحَدِهِمْ...: عَنَايَةً بِالْخَصَرِيِّ

"مَا أَتَى اللَّهَ مِنْ مَجْدِكَ وَعَلَانِكَ، وَأَكْمَلَ مِنْ سِرُّوكَ وَسَنَائِكَ، وَأَصْدَرَ عَنْكَ مِنْ مَحَاسِنِ
الشَّيْمِ، وَقَصَرَ عَلَيْكَ مِنْ مَعَالِي الْهَمِّ، يَقُودُ إِلَيْكَ الْأَهْوَاءُ تَنْتَحِيكَ" (٢) بِصَفْوٍ وَدَادِيهَا، وَتَعْتَفِيكَ بِصِدْقِ
ارْتِيَادِيهَا، وَمَا زَالَ دَرَاكَ الرَّفِيعِ سَابِغًا عَلَى ذَوِي الْأَخْطَارِ ظِلُّهُ، غَامِرًا لِدَوِي الْأَذَابِ إِفْضَالُهُ بَاهِرًا
فَضْلُهُ، وَأَحَقُّهُمْ بِأَجْزَلِ الْبِرِّ الْأَوْفَى، مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ عَلَى بَعْدِ الْمَدَى، مَهْلًا بِمَحَامِدِهِ وَمَدَائِحِهِ، مُسْتَشْعِرًا
لِمَيَامِنِ قَصْدِهِ وَمَنَاجِحِهِ، وَهُوَ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ الْكَامِلُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ (٣)، أَلَمْ بِجَهْتِي قَوْفَدَ
عَلَيَّ مِنْهُ الْوَافِدُ الْأَثِيرُ وَالزَّائِرُ الْكَرِيمُ، وَأَنْسَرَ بِذِكَايَ مُنَاسِمَتِهِ (٤)، وَأَمْتَعَ بِجَمَالِ مُحَاضَرَتِهِ، وَهُوَ الْبَارِعُ
الْمُتَقَدِّمُ فِي إِحْسَانِهِ، وَتَصَرُّفِهِ فِي الْإِبْدَاعِ وَافْتِنَانِهِ، وَرَبَّمَا تَقُولُ كَاشِحٌ، وَنَمَقَ كَادِحٌ، وَزَوَّرَ حَاسِدٌ، وَأَوْهَمَ
خَبٌّ (٥) مُعَانِدٌ، لِأَجْلِ اسْتِقْرَارِهِ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ، وَاشْتِمَالِهِ بِظِلِّ الْمَجَانِبِ، إِنَّهُ انْخَرَفَ بِصَفْوٍ وَدَادِي، أَوْ
خَرَفَ بِقَوْلٍ وَاعْتِقَادٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ شَرَّفَ رُتْبَتَكَ وَنَزَّهَ مَنْصِبَكَ عَنِ الْإِصْغَاءِ إِلَى

١ - ابن بسام النخيلة ق ٣، ١/ ٤٧٤ - ٤٨٣ .

٢ - تَنْتَحِيكَ: تَعْتَمِدُ عَلَيْكَ

٣ - سَبَقْتُ تَرْجَمْتُهُ ..

٤ - مُنَاسِمَةٌ: رَاحَتُهُ الطَّيِّبَةُ

٥ - خَبٌّ: خَدَاعٌ خَبِيثٌ مُنْكَرٌ

ابن منظور لسان العرب [نحا] ٣١٠/١٥ .

ابن منظور لسان العرب [نسم] ٥٧٦/١٢ .

ابن منظور لسان العرب [خبب] ٣٤١/١ .

تَمِيْقِ الْوُشَاةَ، وَالْإِجَاذَةَ لِكَيْدِ الْعَدَاةِ، وَالْارْتِيَابَ بِعَهْدَةِ الْمُخْلِصِينَ الثَّقَاتِ، وَعَصَمَ النَّبِيلَ النَّبِيَّةَ مِثْلَهُ، مِمَّنْ رَزَقَى اللَّهُ دِينَهُ وَعَقْلَهُ، مِنَ الْعُدُولِ عَمَّا دَانَ بِهِ، وَاعْتَلَقَ^(١) بِسَبَبِهِ، مِنَ الْإِعْتَزَاءِ^(٢) إِلَى وَلَائِكَ، وَالنَّشِيعِ فِي عَلَيَانِكَ، وَالنَّشْرُوعِ بِمَذْحِكَ وَتَنَائِكَ^(٣).

د- رِسَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ نَعْرِيلَةَ الْيَهُودِيِّ^(٤)

"قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَزْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَلَّم تَسْلِيمًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

١- اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ تَشَاغُلَ أَهْلِ الْمَمَالِكِ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا بِدُنْيَاهُمْ عَنْ إِقَامَةِ دِينِهِمْ، وَبِعِمَارَةِ قُصُورِ يَتْرُكُونَهَا عَمَّا قَرِيبٍ عَنْ عِمَارَةِ شَرِيعَتِهِمْ الْإِلَازِمَةِ لَهُمْ فِي مَعَادِهِمْ وَدَارِ قَرَارِهِمْ، وَبِجَمْعِ أَمْوَالِ رَبِّمَا كَانَتْ سَبَبًا إِلَى انْقِرَاضِ أَعْمَارِهِمْ وَعَوْنًا لِأَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَعَنْ حِيَاظَةِ^(٥) مِلَّتِهِمْ الَّتِي بِهَا عَزُّوا فِي عَاجِلَتِهِمْ وَبِهَا يَرْجُونَ الْقُورَ فِي آجَلَتِهِمْ حَتَّى اسْتَشْرَفَ لِذَلِكَ أَهْلُ الْقَلَّةِ وَالْأَمَّةِ، وَأَنْطَلَقَتْ أَلْسِنَةُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ بِمَا لَوْ حَقَّقَ النَّظَرَ أَرْبَابُ الدُّنْيَا لَاهْتَمُّوا بِذَلِكَ ضِعْفَ هَمِّنَا، لِأَنَّهُمْ مُشَارِكُونَ لَنَا فِيَمَا يَلْزَمُ الْجَمِيعَ مِنَ الْإِمْتِعَاضِ لِلدِّيَانَةِ الزُّهْرَاءِ وَالْحَمِيَّةِ لِلْمِلَّةِ الْغُرَاءِ، ثُمَّ هُمْ مُتَرَدُّونَ بِمَا يُوَوَّلُ إِلَيْهِ إِهْمَالُ هَذَا الْحَالِ مِنْ فُسَادِ سِيَاسَتِهِمْ وَالْقُدْحِ فِي رِيَاسَتِهِمْ، فَلِلْأَسْبَابِ أَسْبَابُ، وَلِلْمَدَاخِلِ إِلَى الْبَلَاءِ أَبْوَابُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ: [لَجَتْ]

لَا تَحْقِرَنَّ سُبُحًا

كَمْ جَرَّ أَمْرًا سُبُحًا

وَقَالَ أَبُو نَصْرِ ابْنُ نُبَاتَةَ: [لَمَقَاب]

وَأِنْ كَانَ فِي سَاعِدِيهِ قِصَرُ

فَلَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ

وَتَعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْرُ

فَلِنْ السُّيُوفَ تَجِدَ الرِّقَابَ

لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْعَدُوُّ مِنْ عِصَابَةٍ لَا تُحْسِنُ إِلَّا الْخُبْثَ مَعَ مَهَانَةِ الظَّاهِرِ فَيَأْتِسُ الْمُغْتَرُّ إِلَى الضَّعْفِ الْمَادِي، وَتَحْتَ ذَلِكَ الْخُتْلُ وَالْخُتْرُ^(٦) وَالْكَيْدُ وَالْمَكْرُ، كَالْيَهُودِ الَّذِينَ لَا يُحْسِنُونَ شَيْئًا مِنْ

١ - اعْتَلَقَ: أُبْعِدَ . ابن منظور لسان العرب [علق] ٢٦٩/١٠ .

٢ - الإِعْتَزَاءُ: الْإِنْتِمَاءُ . ابن منظور لسان العرب [عزا] ٥٢/١٥ .

٣ - ابن بسام النخيرة ق ٣، ١/ ٤٨٥ .

٤ - انظر الرسالة : رسائل ابن حزم ؛ رسالة في الرد على ابن نعريلة اليهودي ٣ / ٤٢-٧٠ .

٥ - حِيَاظَةُ: حَفَظَ وَتَعَهَّدَ . ابن منظور لسان العرب [حوط] ٢٧٩/٧ .

٦ - الْخُتْرُ: أَسْوَأُ الْغَدْرِ وَأَقْبَحُهُ . ابن منظور لسان العرب [ختر] ٢٢٩/٤ .

الحِيلَ وَلَا آتَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَإِنَّمَا شَانُهُمُ الْغَشُّ وَالتَّخَابُثُ وَالسَّرِيقَةُ، عَلَى التَّطَاوُلِ وَالْخُضُوعِ، مَعَ شِدَّةِ الْعَدَاوَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ .

٢- وَبَعْدُ .. فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ تَقَلَّى قَلْبُهُ لِلْعَدَاوَةِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَذُوِبَتْ كِبِدُهُ بِبَعْضِهِ الرَّسُولَ ﷺ مِنْ مُتْدَهَّرَةٍ (١) الزَّنادِقَةِ الْمُسْتَتْرِبِينَ بِأَذَلِّ الْمِلَلِ وَأَرْذَلِ النَّحْلِ مِنَ الْيَهُودِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْمُرْتَسِمِينَ بِهَا، وَاسْتَقَرَّ غَضَبُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمُتَنَمِّينَ إِلَيْهَا، أَطْلَقَ الْأَشْرَ (٢) لِسَانَهُ، وَأَرْخَى الْبَطْرُ عِنَانَهُ (٣)، وَاسْتَشْمَخَتْ لِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ لَدَيْهِ نَفْسُهُ الْمَهْيِنَةُ، وَأَطْعَى تَوَافُرُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عِنْدَهُ هِمَّتَهُ الْحَقِيرَةَ، فَالَّفَ كِتَابًا قَصَدَ فِيهِ، بِزَعْمِهِ، إِلَى إِبَانَةِ تَنَاقُضِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ اغْتِرَارًا بِاللَّهِ تَعَالَى أَوَّلًا، ثُمَّ بِمَلَكَ ضَعْفَةٍ ثَانِيًا، وَاسْتِخْفَافًا بِأَهْلِ الدِّينِ بَدْءًا، ثُمَّ بِأَهْلِ الرِّيَاسَةِ فِي مَجَانَّةٍ (٤) عَوْدًا؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ بِبِي أَمْرٍ هَذَا اللَّعِينِ لَمْ أَزَلْ بَاحِثًا عَنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ الْخَسِيسِ لِأَقُومَ فِيهِ بِمَا أَقْدَرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ دِينِهِ بِلِسَانِي وَفَهْمِي وَالذَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِ بِبَيَانِي وَعِلْمِي، إِذْ قَدْ عَدِمَهَا. وَالْمَشْكَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوُجُودِ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ عَلَى تَوْفِيَةِ هَذَا الْخَسِيسِ الزَّنْدِيقِ الْمُسْتَبْطِنِ مَذْهَبِ الدَّهْرِيَّةِ فِي بَاطِنِهِ الْمُتَكَفِّنِ بِثَابُوتِ الْيَهُودِيَّةِ فِي ظَاهِرِهِ حَقُّهُ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ مِنْ سَفَكِ الدِّمَاءِ وَاسْتِيفَاءِ مَالِهِ وَسَبْيِ نِسَائِهِ وَوَلَدِهِ، لِنَقْدَمِهِ طُورَهُ وَخَلْعِهِ الصَّغَارَ عَنْ عُنُقِهِ، وَبَرَاءَتِهِ مِنَ الدِّمَةِ الْحَاقِقَةِ دَمَهُ، الْمَانِعَةِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

فَأُظْفِرَنِي الْقَدَرُ بِنُسخَةٍ رَدَّ فِيهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَانْتَشَخْتُ الْفُصُولَ الَّتِي ذَكَرَهَا ذَلِكَ الرَّأدُ عَنْ هَذَا الرِّذْلِ الْجَاهِلِ، وَبَادَرْتُ إِلَى بَطْلَانِ ظَنُونِهِ الْفَاسِدَةِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ، وَلَعَمْرِي إِنَّ اغْتِرَاضَهُ الَّذِي اعْتَرَضَ بِهِ لِيَذُلَّ عَلَى ضَيْقِ بَاعِهِ فِي الْعِلْمِ، وَقَلَّةِ اتِّسَاعِهِ فِي الْفَهْمِ عَلَى مَا عَهْدَنَاهُ عَلَيْهِ قَدِيمًا، فَإِنَّا نَذَرِيهِ عَارِيًا إِلَّا مِنَ الْمَخْرَقَةِ، سَلِيمًا إِلَّا مِنَ الْكُذْبِ، صِفْرًا إِلَّا مِنَ الْبُهْتِ؛ وَهَذِهِ عُقُوبَةُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُعْجَلَةَ لِمَنْ سَلَكَ مَسَلَكَ هَذَا الزَّنْدِيقِ اللَّعِينِ مُقَدِّمَةً، أَمَّا مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ وَلِأَمْثَالِهِ مِنَ الْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَهُوَ الْمُقَرَّرُ لِعُيُونِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَفِي ضَرْبَائِهِ، وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ " (٥)

٣- الفصل الأول : فَكَانَ أَوَّلُ مَا اعْتَرَضَ بِهِ هَذَا الزَّنْدِيقِ الْمُسْتَتْرِبِ بِالْيَهُودِيَّةِ عَلَى الْقُرْآنِ بِزَعْمِهِ أَنْ ذَكَرَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ)

١ - مُتْدَهَّرَةٌ: مُلْحَدُونَ، مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ دَهْرِيٌّ أَيْ مُلْحَدٌ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ، وَيَقُولُ ببقاء الدهر .

ابن منظور لسان العرب [دهر] ٢٩٣/٤ .

ابن منظور لسان العرب [أشر] ٢٠/٤ .

ابن منظور لسان العرب [عنن] ٢٩٠/١٣ .

ابن منظور لسان العرب [مجن] ٤٠٠/١٣ .

٢ - الْأَشْرُ : أَشَدُّ الْبَطْرِ .

٣ - عِنَانُهُ : بَاطِلُهُ وَظُلْمُهُ .

٤ - الْمَجَانَّةُ : أَنْ لَا يُبَالِيَ مَا صَنَعَ وَمَا قِيلَ لَهُ .

٥ - "رِسَائِلُ ابْنِ حَزْمٍ" ٣/ ٤١ - ٤٢ ؛ "رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ التَّغْرِبَلَةِ الْيَهُودِيِّ" .

٦ - سُورَةُ النِّسَاءِ، آيَةُ ٧٨ .

هَذَا الْمَائِقُ الْجَاهِلُ: فَأَنْكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَقْسِيمَ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَهُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ عِنْدَ مُحَمَّدٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ؛ قَالَ: ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَةِ (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)^(١) قَالَ هَذَا الزُّنْدِيقُ الْجَاهِلُ: فَعَادَ مُصَوِّبًا لِقَوْلِهِمْ وَمُضَادًّا لِمَا قَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ.

٤- قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ: لَوْ كَانَ لِهَذَا الْجَاهِلِ الْوَقَاحُ أَقَلُّ بِسُطَّةٍ أَوْ أَذْنَى حَظٍّ مِنَ التَّمْيِيزِ لَمْ يَعْتَزِضْ بِهِذَا الْإِعْتِرَاضِ السَّاقِطِ الضَّعِيفِ، وَالْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ مَكْتَفِيَةٌ بِظَاهِرِهَا عَنْ تَكْلِفِ تَأْوِيلٍ، مُسْتَغْنِيَةٌ بِبَادِي أَلْفَظِهَا عَنْ تَطَلُّبِ وَجْهِ لَتَأْلِيفِهَا، وَلَكِنْ جَهِلَهُ أَعْمَى بِصِيرَتِهِ وَطَمَسَ إِدْرَاكُهُ. وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْكَفَّارَ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الْحَسَنَاتِ الْوَاصِلَةَ إِلَيْهِمْ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّ السَّيِّئَاتِ الْمَصِيبَةَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ هِيَ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، وَبَيَّنَّ وَجْهَ وَرُودِ حَسَنَاتِ الدُّنْيَا وَسَيِّئَاتِهَا عَلَى كُلِّ مَنْ فِيهَا بِأَنَّ الْحَسَنَاتِ السَّارَةَ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِفَضْلِهِ عَلَى النَّاسِ، وَأَنَّ كُلَّ سَيِّئَةٍ يَصِيبُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا إِنْسَانًا فِي دُنْيَاهُ فَمَنْ قَبْلَ نَفْسِ الْمَصَابِ بِهَا بِمَا يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ مِنْ تَقْصِيرِهِ فِيمَا يُلْزَمُهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا يَقُومُ بِهِ أَحَدٌ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَمْلَةً، فَأَحَدُ الْوَجْهَيْنِ، وَهُوَ: الْحَسَنَاتِ فَضْلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مُجَرَّدٌ لَمْ يَسْتَحَقَّهُ أَحَدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا حَتَّى يُفْضَلَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْوَجْهَ الثَّانِي وَهُوَ السَّيِّئَاتِ تَأْدِيبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْجَبَهُ عَلَى الْمَصَابِ بِهَا تَقْصِيرُهُ عَمَّا يُلْزَمُهُ مِنْ وَاجِبَاتِ رَبِّهِ تَعَالَى.

٥- وَلَا يَسْتَوْحِشُّ مُسْتَوْحِشٌ فَيَقُولُ: كَيْفَ يَكُونُ النَّبِيُّ ﷺ الْمَخَاطَبُ بِهِذَا الْخُطَابُ مُقْصَرًّا فِي أَدَاءِ وَاجِبِ رَبِّهِ تَعَالَى؟ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ التَّقْصِيرَ لَيْسَ يَكُونُ مَعْصِيَةً فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْزَلاً عَنْ تَعَمُّدِ الْمَعْصِيَةِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا. وَأَمَّا تَأْدِيبُهُ شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَجَمِيعِ حَقُوقِهِ عَلَى عِبَادِهِ فَهَذَا مَا لَا يَسْتَوْفِيهِ مَلَكٌ وَلَا نَبِيٌّ فَكَيْفَ مَنْ دُونَهُمَا، كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ" فَقِيلَ لَهُ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ"، أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٦- فَإِنَّمَا أَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكَفَّارِ فِي الْآيَةِ الْمَتْلُوءَةِ انْفِاقًا لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَهِيَ مِنْكَ يَا مُحَمَّدٌ، وَأَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَمْ يَفْرُقِ الْمُجَنُّونَ بَيْنَ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَصَابَهُ سَيِّئَةٌ فَمِنْ نَفْسِهِ، وَبَيْنَ مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَوْلِ الْكَفَّارِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَهِيَ مِنْكَ يَا مُحَمَّدٌ، فَأَيُّ ظُلْمٍ يَكُونُ أَعْظَمُ مِنْ ظُلْمِ مَنْ جَهِلَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ مَعْنِي هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ؟

٧- وَإِنَّمَا كَانَ الْكَفَّارُ يَتَطَيَّرُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَمَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ نَكْبَةٍ تَعْرِضُ لَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَخِلَافِهِمْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا تَطَيَّرَ إِخْوَانُهُمْ قَبْلَهُمْ بِمُوسَى ﷺ إِذْ قَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ: (فَإِذَا جَاءَتْهُمْ

^١ - سُورَةُ النَّسَاءِ، آيَةٌ ٧٩.

الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائَرُ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ (١). وَمَا أَرَى هَذَا الزَّنْدِيقَ الْأَنُوكَ إِذْ اعْتَرَضَ بِهَذَا الْإِعْتِرَاضِ كَانَ إِلَّا سَكَرَانِ سَكَرَ الْخَمْرُ، وَسُكَرَ عَجَبِ الصَّغِيرِ إِذَا كَبُرَ، وَالْخَسِيسِ إِذَا أَشْرَ، وَالذَّلِيلِ الْجَائِعِ إِذَا عَزَّ وَشَبِعَ، وَالسُّفْلَى إِذَا أَمَرَ وَشَطَّ، وَالْكَلبِ إِذَا دُلَّ وَنَشَطَّ، فَإِنَّ لِهَذِهِ الْمَعَانِي مَسَالِكَ خَفِيَّةً فِي إِفْسَادِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تَقْرُبُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ، وَكَيْفَ يَخْلُقُ سُوءَ مُتَكَرِّرٍ فِي الْخَسَاسَةِ وَالْهَجْنَةِ وَالرَّذَالَةِ وَالنَّدَالَةِ وَاللَّعْنَةِ وَالْمَهَانَةِ؟ وَلِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ: [لطويل]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

ووضع الندى في موضع السيف مَضِرُّ كوضع السيف في موضع الندى

وهذا الذي قلنا هو المفهوم من نص الآية دون تزييد ولا انتقاص ولا تبديل لفظ. والحمد لله رب العالمين كثيرًا.

٨- ولكن لو تذكر هذا المائق الجاهل ما يقرأونه في كفرهم المبدل وإفكهم المحرف بأخرق تحريف وأنتن معانٍ - حاشا ما خذلهم الله تعالى في تركه على وجهه ليبيدي فضائحهم، فأبقوه تخبيثًا من الله تعالى لهم ليكون حجة عليهم، من ذكر عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم - في كتابه الذي يسمونه: "التوراة" إذ يقولون فيه في السفر الرابع عن موسى ﷺ إِنَّهُ قَالَ مخاطبًا الله عز وجل: "يا رب كما حلفت قائلا: الرب وديع ذو حن عظيم يعفو عن الذنب والسيئة وليس ينسى شيئًا من المآثم، الذي يعاقب المذنب الوالد الولد في الدرجة الثانية والرابعة". ويقرأون فيه أيضًا في أول السفر الأول: "إن قايين ابن آدم عاقبه الله في السابع من ولده". ثم يقرأون في الكتاب المذكور نفسه في السفر الخامس منه: "إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: لا تقتل الآباء لأجل الأبناء، ولا الأبناء لأجل الآباء، ألا كل واحد يقتل بذنبه" - فلو تفكر هذا الجاهل المائق وعظيم التناقض لشغله عظيم مصابه عن أن يظن بقول الله تعالى الذي هو الحق الواضح الواحد غير المختلف: (قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا لَهُوَ لَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَقًّا، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (٢) وهذا قد بيناه كما مرَّ انفاً أنه لا مجال للتناقض فيه أصلاً، وإنما التناقض المحض ما نسبوا إلى موسى عليه السلام من أنه قدرَ بربه أنه يغفر الذنب لفاعله، ويعاقب بذلك الذنب من كان من ولد المذنب في الدرجة الرابعة، ثم يقول في مكان آخر: أن لا تقتل الأبناء لأجل الآباء ولا الآباء لأجل الأبناء، وهذا مع إقرارهم بأنه ليس في التوراة ذكر عذاب ولا جزاء بعد الموت أصلاً، وإنما فيها الجزاء بالثواب والعقاب في الدنيا فقط، فهذا هو التناقض المجرد الذي لا خفاء به، وبالله تعالى التوفيق.

١ - سورة الأعراف، آية ١٣١.

٢ - سورة النساء، آية ٧٨-٧٩.

٩- **الفصل الثاني:** وَكَانَ مِمَّا اعْتَرَضَ بِهِ أَيْضًا أَنْ ذَكَرَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى (أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) (١) قَالَ: فذكر في هذه الآية أَنَّ دَحَوَ الأرض وإخراج الماء والمرعى مِنْهَا كَانَ بعد رَفَعِ سَمَكِ السماء وبعد بَنَائِهَا وتَسْوِيتِهَا وإِحْكَامِ لَيْلِهَا ونَهَارِهَا، ثُمَّ قَالَ فِي آيَةِ أُخْرَى (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (٢) قَالَ: فذكر في هذه الآية ضِدَّ مَا فِي الْأُولَى، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ التَّسْوِيةَ لِلسَّمَاءِ كَانَتْ بعد خَلْقِ مَا فِي الْأَرْضِ.

١٠- قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: والقول في هَذَا كَالْقَوْلِ فِي الَّتِي قَبْلَهَا وَلَا فَرْقَ وَهُوَ: أَنَّ بَظَاهِرَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ يُكْتَفَى عَنْ تَطْلُبِ تَأْوِيلٍ أَوْ تَكْلَفِ مَخْرَجٍ، وَهُوَ: أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَلَوْنَا أَوَّلًا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَنَى السَّمَاءَ وَرَفَعَ سَمَكَهَا وَأَحْكَمَ الدَّورَ الَّذِي بِهِ يَظْهَرُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَأَنَّهُ بعدَ ذَلِكَ أَخْرَجَ مَاءَ الْأَرْضِ وَمَرْعَاهَا وَأَرْسَى الْجِبَالَ فِيهَا. وَذَكَرَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى أَنَّ تَسْوِيتَهُ تَعَالَى السَّمَوَاتِ سَبْعًا وَتَفْرِيقَهُ بَيْنَ تِلْكَ الطَّرَائِقِ السَّبْعِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْكَوَاكِبِ الْمُتَحِيرَةِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ كَانَ بعدَ خَلْقِهِ كُلِّ مَا فِي الْأَرْضِ. فَلَمْ يَفِرْقْ هَذَا الْجَاهِلُ الْمَائِقُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّهُ سَوَّى السَّمَاءَ وَرَفَعَ سَمَكَهَا، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّهُ سَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، فَهَلْ بعدَ هَذَا الْعَمَى عَمَى، وَبعدَ هَذَا الْجَهْلِ جَهْلٌ؟

١١- وَإِنَّمَا أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ تَسْوِيةَ السَّمَاءِ جُمْلَةٌ وَاخْتِرَاعُهَا كَانَ قَبْلَ دَحَوِ الْأَرْضِ، وَأَنَّ دَحَوَهُ الْأَرْضَ كَانَ قَبْلَ أَنْ تَقْسَمَ السَّمَاءُ عَلَى طَرَائِقِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعِ، فَلاحَ أَنَّ الْآيَتَيْنِ مُتَّفَقَتَانِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُمَا بَعْضًا، وَلَكِنْ لِيَذْكَرَ هَذَا الْجَاهِلُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ بِهِ كَذِبُهُمُ الْمُقْتَرَى وَبُهْتَانُهُمُ الْمُخْتَلَقُ الَّذِي يَسْمُونَهُ " التَّوْرَةَ " إِذْ يَقْتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ إِنْسَانًا مِثْلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ انْفِرَدَ عَنْهُ تَعَالَى إِلَّا بِشَيْئَيْنِ: عِلْمُ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ، وَدَوَامُ الْخُلُودِ وَالْحَيَاةِ، وَأَنَّ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِيهَا عِلْمُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلَمَّا خَالَفَهُ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ قَالَ: هَذَا آدَمُ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي بِهَا يَكُونُ عِلْمُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَسَاوَانَا فِي ذَلِكَ، فَإِنْ أَكَلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ حَصَلَ عَلَى الْخُلْدِ فَكَانَ مِثْلَنَا لَا فَضْلَ لَنَا عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَخْرِجُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَفِي يَدِهِ سَيْفٌ يَذُودُ بِهِ عَنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ. حَتَّى لَقَدْ انْخَفَ جَمَاعَةٌ مِنْ نَوَكَاهُمْ إِلَى أَنْ قَالُوا: إِنَّ الْخَالِقَ لِآدَمَ كَانَ إِنْسَانًا مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ الَّذِي نَحْنُ مِنْهُ، حَصَلَ عَلَى أَكْلِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ فَزَادَ بِهَاوَاهُ وَحَصَلَ لَهُ الْخُلْدُ، فَلَوْ أَنَّ هَذَا الْخَسِيرَ الْجَاهِلَ تَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمَظَاهِرَةِ لِهَذَا الْوَضْعِ وَهَذَا الْإِعْتِقَادِ السَّاقِطِ لَكَانَ أَحْظَى لَهُ، وَلَكِنْ يَا بَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا

١ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ، آيَةٌ ٢٧-٣٢ .

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةٌ ٢٩ .

أن يجعل له الخزي والمهانة ،ويؤجل له الخلود بين أطباق النيران المعدة له ولأمثاله ولأشباهه والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبي الرحمة محمد ﷺ تسليماً كثيراً.

١٢ - الفصل الثالث: وكان مما اعترض به أيضاً أن ذكر قوله عز وجل (قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمَ)^(١) قال: فذكر في هذه الآية خلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، فهذه ستة أيام، ثم ذكر قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) إلى منتهى قوله تعالى (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) ثم ذكر قوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)^(٢)

١٣ - قال أبو محمد: والقول في هذه الآيات كالقول في التي مضى فيها الكلام ولا فرق، وهي أنها تكتفي بظاهرها عن تكلف تأويل لها، وأنه لا يظن في شيء من هذا كله اختلافاً إلا عديم العقل سليب التمييز مطموس عين القلب ظليم الجهل، لأنه تعالى إنما ذكر خلق الجميع من السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فسر لنا تعالى تلك الأيام الستة، فمنها يومان خلق فيهما الأرض ومنها أربعة أيام قدر في الأرض أقواتها، وأنه تعالى قضى السموات سبعة في يومين، وقد صح بما تلونا قبل أن تسويته تعالى السموات سبعة هما اليومان الآخران من الأربعة الأيام التي قدر فيها أقوات الأرض لأن التقدير هو غير الخلق، لأن الخلق هو الاختراع والإبداع وإخراج الشيء من ليس إلى آيس بمعنى من لا شيء إلى أن يكون شيئاً موجوداً. وأما التقدير فهو الترتيب وإحكام الأشياء الموجودات بعد إيجادها، وهذه معان لا يعلمها إلا من أعز الله تعالى نفسه من ذوي الهمم الرفيعة، المترفعة عن مهانة الإساءة ودناءة المعاش، القاصدة إلى طلب المعاني الفاضلة والحقائق المؤدية إلى معرفة الله تعالى، ومعرفة رسوله ﷺ، والدخول في ظل الإسلام والملة الحنيفية المصحبة من الله تعالى السعد في الدنيا والنصرة والعزة، المتكفل لها في الآخرة بالفوز والجنة والقبول والرضوان والريحان، والحمد لله رب العالمين الذي جعلنا من أهلها، وإياه تعالى نسأل أن يمينتنا عليها حتى نلقاه وهو راض عنا، آمين. وأما من لم يقطع دهره إلا بالسرقة ولا أفنى عمره إلا بالخيانة والغش فبعيد عن إدراك هذه المعاني وفهمها.

١٤ - وليت شعري أين كان هذا الخسيس المائق إذ اعترض هذا الاعتراض على هذه الأنوار الساطعة والحقائق الظاهرة عن التفكير فيما يقرأونه في هذيانهم المخترع وزرهم المقتعل الذي يسمونه " التوراة " إذ يقولون إن الله تعالى خلق الخلق في ستة أيام، واستراح في اليوم السابع؟ وهل تكون الراحة إلا لتعب ونصب قد خارت قواه وضعفت طبيعته؟ فمثل هذا وشبهه من دينه

١ - سورة فصلت، آية ١٠ - ١٢ .

٢ - سورة ق، آية ٣٨ .

الخبيس الذي يستسرُّ به لو تهتم بالفكرة فيه ثم بادر إلى التوبة منه والدخول في دين الله تعالى الذي لا دين له سواه، الذي به بدا الملك على لسان محمد ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

١٥- الفصل الرابع: ثم ذكر الخبيس جاهل قول الله تعالى (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) ^(١) ثم قال في آية أخرى: (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا) ^(٢) قال: وهذا تناقض عظيم.

١٦. قال أبو محمد: قد قال بعض العلماء المتقدمين: إنَّ المنع من النطق المذكور في الآية إنما هو في بعض مواقف يوم القيامة، وأنَّ الجدل المذكور في الآية الأخرى هو موقف آخر مما يتلو ذلك اليوم نفسه، وهذا قول صحيح يبينه قول الله تعالى قبل الآية المذكورة، إِذْ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ (انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ . لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ . إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) ^(٣) فيه عذر. هكذا نص الآيات متتابعات، لا فصل بينها. فصَحَّ أَنَّ اليوم الذي لا ينطقون فيه عذر إنما هو يوم إدخالهم النار، وهو أول اليوم التالي ليوم القيامة الذي هو يوم الحساب، وهو أيضًا يوم جدال كل نفس عن نفسها؛ وهذا بيان لا إشكال فيه أصلاً.

١٧. وها هنا وجه آخر هو اتباع ظاهر الآيتين دون تكلف تأويل إلا أن يأتي بالتأويل نص آخر أو إجماع من جميع الأمة كلها ما بين الأشبونة والقنهار والشحر وأرمينية والمولتان. فنقول وبالله نستعين: إنَّ هاتين الآيتين بيَّتان لا اختلاف بينهما أصلاً، وإنَّ النطق المنفي عنهم في الآية الأولى والمعذرة التي لم يؤذن لهم فيها إنما ذلك فيما عصوا فيه خالقهم تعالى، كما قال عَزَّ وَجَلَّ في آية أخرى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ^(٤) فلا عذر لكافر ولا لعاصٍ أصلاً ولا كلام لهم. وأمَّا الجدل الذي ذكر الله تعالى حينئذ لكل نفس عن نفسها فإنَّما هو في طلب الناس مظلالمهم بعضهم من بعض، فإنَّ الله تعالى لا يضيع شيئاً من ذلك، على ما صحَّ عن النبي ﷺ من أنَّ يوم القيامة يقصَّرُ الشاةُ الجماء من الشاةِ القرناء. وبيانُ هذا الذي قلنا أنَّ المعذرة إنما هي إلى الله تعالى، ولا عذر يوم القيامة لمن كفر بالله تعالى أو بنبي .

١٨. قال أبو محمد: ليس في حماقاتهم المبدلة التي يسمونها " التوراة " ذكر أجر ولا ثواب لمحسنٍ بعد الموت ولا عقابٍ لمسيءٍ في الدنيا أصلاً ولا في الكُتُبِ التي ينسبونها إلى أنبيائهم من هذا قليل ولا كثير. فلو نظر هذا المجنون فيما ينسبونه إلى سليمان عليه السلام في تصويبه داء امرأة دعت له، فقالت: وَلَا زالت أرواحُ أعدائك يدورُ بها الفلك؛ وهذا إبطال الثواب والعقاب

١ - سورة المُرْسَلَات، آية ٣٥ .

٢ - سورة التَّحْلِ، آية ١١١ .

٣ - سورة المُرْسَلَات، آية ٢٩-٣٦ .

٤ - سورة يس، آية ٦٥ .

إلا على معنى التناسخ وَمَضًا لِمَا ذَكَرُوهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ هُنَالِكَ نَارًا وَنَعِيمًا؛ وَمِثْلَ مَا يَنْسِبُونَهُ إِلَيْهِ أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً: " إِنَّ الْعَالَمَ لَا أَوَّلَ لَهُ " وَأَنَّهُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى: " أَنَا كُنْتُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ ". فَلَوْ أَنَّ هَذَا الْجَاهِلَ الشَّقِيَّ اشْتَغَلَ بِمِثْلِ هَذَا وَشَبِيهِهِ مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ لَكَانَ أَوْلَى بِهِ مِنْ تَكْلِيفِ مَا لَا يَحْسُنُ وَلَا يَدْرِي، مِمَّا قَدْ فَضَحَهُ اللَّهُ فِيهِ عَاجِلًا، وَيُخْزِيهِ آجَلًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

١٩- الفصل الخامس: ثم ذكر هَذَا الزنديق الجاهل قولَ اللَّهِ سبحانه وتعالى: (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ)^(١) قَالَ: ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ)^(٢) قَالَ: وَهَذَا تَنَاقُضٌ.

٢٠. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: لَوْ فَهِمَ هَذَا الْمَانِقُ الْجَاهِلُ أَدْنَى فَهِمٍ لَمْ يَجْعَلْ هَذَا تَعَارُضًا، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ)^(٣) مَا بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مُتَّصِلًا بِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ . يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)^(٤) فَصَحَّ بِهِذَا النَّصُّ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي حِينٍ يُرَادُهُمْ جَهَنَّمُ الَّتِي هِيَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ دَارُ هَذَا الْخَسِيسِ ذِي الظَّهَارَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْبَطْنَانَةِ الدَّهْرِيَّةِ وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ إِذَا أَخَذَ بِنَاصِيَّتِهِ وَقَدَمِيهِ لِيَهْوِيَ بِهَا فِي النَّارِ، نَارِ جَهَنَّمَ، فَإِنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ يَوْمَئِذٍ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ)^(٥)، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي أَوَّلِ وَقُوفِهِمْ يَوْمَ الْبَعْثِ وَحِينَ الْمَسْأَلَةِ وَالْحِسَابِ. فَارْتَفَعَ التَّنَاقُضُ الَّذِي لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا فِي كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ.

٢١. وَلَكِنَّ هَذَا الْوَقْهَ الْمَجْنُونُ لَوْ تَدَبَّرَ مَا فِي كَذِبِهِمُ الْمَفْتَرِي الَّذِي يَسْمُونَهُ " التَّوْرَةَ " فِي السَّفَرِ الثَّانِي مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ: إِنِّي أَرَى هَذِهِ الْأُمَّةَ قَاسِيَةَ الرِّقَابِ دَعْنِي لِأَعْقَبِ غَضَبِي عَلَيْهِمْ لِأَهْلِكُهُمْ وَأَقْدَمَكَ عَلَى أُمَّةٍ عَظِيمَةٍ. ثُمَّ ذَكَرُوا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا رَبَّهُ تَعَالَى وَقَالَ فِي دَعَائِهِ: تَذَكَّرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَإِسْحَاقَ عِبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِذَلِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ سَأَكْثُرُ ذُرِّيَّتَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأَوْرَثْتَهُمْ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ بِهَا وَيَمْلِكُونَهَا أَبَدًا، فَحَزَّ السَّيِّدُ وَلَمْ يَتِمَّ مَا أَرَادَ أَنْزَالَهُ بِأَمْنِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ.

٢٢. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: هَذَا نَصُّ هَذَا الْفَصْلِ عَنْهُمْ، وَهَذِهِ صِفَةٌ لَا يُوَصَفُ بِهَا إِلَّا إِنْسَانٌ ضَعِيفٌ النَّفْسِ، وَفِيهِ الْبِدَاءُ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَتِمَّ مَا أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوءًا كَبِيرًا.

١ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ، آيَةُ ٣٩ .

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ٦ .

٣ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ، آيَةُ ٣٩ .

٤ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ، آيَةُ ٤٠-٤٥ .

٥ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ٦ .

٢٣. وفي السفر المذكور إثر هذا أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: " من أذنب عندي سامحوه من مصحفي، فأذهب أنت وهذه الأمة التي عهدت إليك فيها، وسيتقدمك ملك ". ثم بعد شيء يسير ذكر أن الله تعالى قال لموسى: " اذهب واصعد من هذا الموضع أنت وأمتك التي خرجت من أرض مصر إلى الأرض التي وعدت بها مفسماً لإبراهيم وإسحاق ويعقوب لأورثها نسلهم وأبعث بين يديك ملكاً لإخراج الكنعانيين والأموريين والبرزيين والحيثيين واليبوسيين، وتدخل في أرض تفيض لبناً وعسلاً، لست أنزل معكم لأنكم أمة قاسية الرقاب لنلا تهلك بالطريق. فلما سمع العامة هذا الوعيد الشديد عجت تبكي ولم تأخذ زينتها. فقال لموسى بن عمران: قل لبني إسرائيل أنتم أمة قد قست رقابكم، سأنزل عليكم مرة أهلككم فضعوا زينتكم لأعلم ما أفعله بكم. ثم ذكروا جواب موسى عليه السلام لله تعالى على هذا الكلام فقال: وكان يكلم السيد موسى عليه السلام فما لفم، كما يكلم المرء صديقه، فقال موسى بن عمران للسيد: أأمرني أن أقود هذه الأمة ولا تأمرني ما أنت باعته معي. فقال له السيد: سيقدمك وجهي وأروح عندك. فقال موسى عليه السلام: إن لم تتقدماً أنت فلا ترحلنا من هذا الموضع، وكيف أعرف أنا وهذه الأمة أنك عنا راض إذا لم تنطلق معنا ونتشرف بذلك على جميع من سكن الأرض من الأجناس؟ فقال له: سأفعل ما قلت لأنني عنك راض.

٢٤. قال أبو محمد: ففي هذا الفصل من السخف غير قليل، وبيان لا يحتمل تأويلًا، لأن فيه البداء، وأنه تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وقال إنه لا يمضي معهم لكن يبعث معهم ملكاً يبصرهم بأمر الله تعالى، فلم يزل به موسى حتى رجع عن ما قال عز وجل وقال: سأمضي معكم، ولم يقع موسى بمسير الملك معهم إلا بمسير الباري عز وجل معهم، وفي تحقيق النقلة على الباري في الأماكن، وليست هذه صفة الله تعالى وإنما هي من صفات المخلوقين؛ وفيه التكليم فما لفم وتحقيق التجسيم والتناقض على الباري تعالى في كلامه وفعله، دون تأويل. ولا مخرج لهم من هذا.

٢٥. فلو فكر هذا الوقاح الزنديق في مثل هذا وشبهه لجزره عن التعرض لما لا سبيل له إليه وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل. ولو أن هذا الزنديق المائق كان له أقلّ تحصيل، لما أقدم على المظاهرة بهذا الدين الخسيس طرفه عين، ولكنه لم يقره الشيطان من كل ما استبان له من هذا البهتان إلا انسلاخه من جميع الأديان، وبالله تعالى نعوذ من الخذلان.

٢٦ - الفصل السادس: ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك) (١) قال هذا المجنون: فهذا محمد كان في شك مما ادّعاه.

٢٧. قال أبو محمد: كان يلزم هذا الخسيس أن لا يتكلم في لغة لا يحسنها، ولكن أبى الله تعالى إلا أن يكشف سوءته ويبيدي عورته. وليعلم أن في هذه الآية ليست التي بمعنى الشرط، لأن من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه وينازع فيه أهل الأرض ويدين به أهل البلاد العظيمة ثم يقول لهم: إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها الخالفون ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون، إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في مثل دماغ هذا المجنون الجاهل، وإنما معنى "إن" هنا هذا الجحد فهي هنا بمعنى "ما" وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية، كما قال تعالى أمرًا نبيه ﷺ أن يقول: (إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ^(١) بمعنى ما أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون، كما ذكر الله عز وجل عن الأنبياء أنهم قالوا: (إن نحن إلا بشرٌ مثلكم) ^(٢) وكما قال تعالى مخبرًا عن النسوة إذ رأين يوسف عليه السلام، فقلن: (إن هذا إلا ملك كريم) ^(٣) بمعنى: ما هذا إلا ملك كريم، وكما قال تعالى: (لو أردنا أن نتخذ لهموًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) ^(٤) أي ما كنا فاعلين. فعلى هذا المعنى خاطب نبيه عليه السلام. فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك، ثم قال تعالى فاسأل الذين يقرأون الكتاب قبلك، لقد جاءك الحق من ربك بمعنى ولا أعداؤك الذين يقاتلونك من الذين أوتوا الكتاب من قبلك ما هم أيضًا في شك مما أنزلنا إليك بل هم موقنون بصحة قولك وأنت نبي حق، رسول الله ﷺ، لا شك عندهم في أن الذي جاءك الحق. ومثل هذا أيضًا قوله تعالى (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) ^(٥) تهوينًا له، وكذلك قوله تعالى (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) ^(٦) بمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول الجاحدين لا يكون له ولد. فوضح جهل هذا المعترض وضعف تمييزه، والحمد لله رب العالمين.

٢٨. ولو أن هذا الجاهل الأنوك تدبر ما في باطلهم المبتدع وهجرهم الموضوع الذي يسمونه "توراة" إذ يقول: إن موسى عليه السلام راجع ربه إذ أراد إرساله وقال: من أنا حتى أمضي إلى فرعون، أرسل من تريد ترسل. وأغضب ربه تعالى بذلك، وأن يعقوب عليه السلام صارع ربه ليلة بتمامها وهو لا يعرف من هو، فلما انسلخ الصباح عرف أنه الله - تعالى الله عن هذا الحمق

١ - سورة الأعراف، آية ١٨٨ .

٢ - سورة إبراهيم، آية ١١ .

٣ - سورة يوسف، آية ٣١ .

٤ - سورة الأنبياء، آية ١٧ .

٥ - سورة إبراهيم، آية ٤٦ .

٦ - سورة الزخرف، آية ٨١ .

مِنَ الْكُفْرِ عُلُوءًا كَبِيرًا - قَالُوا: فَلَمَّا عَرَفَهُ أَمْسَكَه فَقَالَ لَهُ رَبِّهِ: أَطْلُقْنِي، فَقَالَ لَهُ يَعْقُوبُ: لَا أَطْلُقُكَ حَتَّى تَبَارِكَ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: كَيْفَ لَا أُبَارِكُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ كُنْتَ قَوِيًّا

٢٩. عَلَى اللَّهِ، فَكَيْفَ عَلَى النَّاسِ إِنْهُمْ مَسَّ مَأْبُضُهُ، فَعَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ وَقْتِهِ فَكَذَلِكَ لَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ عُرُوقِ الْفَخْدِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَسَّهُ، وَلَا يَجْرُؤُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَيَقُولُ: إِنَّ الْمَصَارِعَ لِيَعْقُوبُ كَانَ مُلْكًا، فَإِنَّ لَفْظَ اسْمِ الْمَصَارِعِ لَهُ فِي تَوْرَاتِهِمْ " إِلْوَهِيم " وَهَذَا هُوَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ بِالْعِبْرَانِيَةِ - فَلَوْ أَنَّ هَذَا الْجَاهِلَ تَفَكَّرَ فِي مِثْلِ هَذَا وَشَبَّهَهُ لَعَلَّمَ أَنَّ الْحَقَّ بِأَيْدِي غَيْرِهِمْ وَأَنَّهُمْ فِي بَاطِلٍ وَغُرُورٍ، وَعَلَى ضَلَالٍ وَزُورٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحَسْبُنَا اللَّهُ تَعَالَى.

٢٩ - الفصل السابع: ثُمَّ ذَكَرَ هَذَا الْمَائِقَ الْجَاهِلَ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْعَسَلِ: إِنَّ فِيهِ شِفَاءً لِلنَّاسِ، فَقَالَ: وَكَيْفَ هَذَا هُوَ يُوْذِي الْمَحْمُومِينَ وَأَصْحَابَ الصَّفَرَاءِ الْمُحْتَزَّةِ؟

٣٠. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: لَوْ كَانَ مَعَ هَذَا الْجَاهِلِ الْأَنْوَكُ أَقَلُّ مَعْرِفَةٍ بِطَبَائِعِ الْإِنْسَانِ أَوْ فَهَمٍ مَخَارِجِ اللَّعَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَمْ يَأْتِ بِهِذَا الْبِرْسَامِ، أَمَّا اللَّعَةُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقُلْ: الْعَسَلُ شِفَاءٌ لِكُلِّ عِلَّةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى: فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ؛ وَهَذَا لَا يَنْكَرُهُ إِلَّا رَقِيعٌ سَلِيبُ الْعَقْلِ وَالْحَيَاءِ أَوْ مُوسُوسٌ، لِأَنَّ مَنَافِعَ الْعَسَلِ وَشِفَاءَهُ فِي إِسْخَانِ الْمَبْرُودِينَ وَتَقْطِيعِ الْبَلْغَمِ وَتَقْوِيَةِ الْأَعْضَاءِ حَتَّى صَارَ لَا يَطْبَخُ أَكْثَرُ الْأَشْرِبَةِ إِلَّا بِهِ وَلَا يَعْجَنُ جَمِيعَ اللَّعُوقَاتِ إِلَّا بِهِ، وَمَا وَصَفَ جَالِينُوسُ وَبِقَرَاطُ، وَهُمَا عَمِيدَا أَهْلِ الطَّبِّ، طَبَخَ شَيْءٌ مِنْ الْأَشْرِبَةِ إِلَّا بِهِ جَمَلَةً، وَمَا ذَكَرَ أَقَطٌ أَنَّ يَطْبَخُ شَرَابٌ بِسُكَّرٍ.

٣١. وَكَيْفَ يَنْكَرُ هَذَا الْأَنْوَكُ أَنْ يَكُونَ الْعَسَلُ شِفَاءً مَحْضًا، وَهِيَ أَغْلَبُ أُمُورِهِ، فَكَيْفَ أَنْ يَكُونَ بِهِ شِفَاءً، وَهُمْ يَصِفُونَ عَنْ نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ أَنَّهُ شَفَى أَكْلَةً فِي عَضْوِ إِنْسَانٍ بَتَيْنٍ مَدْقُوقٍ وَجَعَلَهُ عَلَيْهِ؟ فَإِذَا كَانَ فِي التَّيْنِ شِفَاءٌ مِنْ بَعْضِ الْعِلَلِ فَكَيْفَ يَنْكَرُ هَذَا الْخَسِيسُ أَنْ يَكُونَ فِي الْعَسَلِ أَشْفِيَةٌ كَثِيرَةٌ؟ وَقَدْ وَجَدْنَا فِي اخْتِلَاطِهِمُ الَّذِي يَسْمُونَهُ "تَوْرَاةً" عَنْ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِدَّةٍ مِنْ مَوَاضِعَ أَنَّهُ إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي مَدْحِ أَرْضِ الْقُدْسِ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا قَالَ: إِلَّا أَنَّهَا أَرْضٌ تَنْبَعُ عَسَلًا وَلَبَنًا، وَوَعَدَهُمْ فِيهَا بِأَكْلِ عَسَلِ الصُّخُورِ، أَفَتَرَى إِذْ لَيْسَ فِي الْعَسَلِ شِفَاءٌ أَصْلًا، إِنَّمَا وَعَدَهُمْ تَعَالَى بِمَا فِيهِ الدَّاءُ وَالْبَلَاءُ لَا بِمَا فِيهِ الشِّفَاءُ، هَذَا مَعَ انْكَارِ الْعِيَانِ، وَجَدَّ الضَّرُورَاتِ فِي مَنَافِعِ الْعَسَلِ.

٣٢ - الفصل الثامن: ثُمَّ ذَكَرَ هَذَا الزَّنْدِيقَ الْجَاهِلَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا)^(١)

^(١) وَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ مُبَارَكًا وَهُوَ يَهْدِمُ الْبِنَاءَ، وَيَهْلِكُ كَثِيرًا مِنَ الْحَيَوَانِ؟
٣٣. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: مَنْ لَمْ يَكُنْ مَقْدَارُ فَهْمِهِ وَعَقْلُهُ إِلَّا هَذَا الْمَقْدَارُ، لَقَدْ عَجَلَ اللَّهُ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَيْتَ شَعْرِي أَمَا دَرَى هَذَا الْجَاهِلُ أَنَّهُ لَوْ لَا شَرَبُ الْمَاءِ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ حَيَوَانٌ أَصْلًا لَا إِنْسَانٌ وَلَا مَا سِوَاهُ، وَأَنَّ عَنَاصِرَ جَمِيعِ الْمِيَاهِ الظَّاهِرَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَالْمُخْتَزِنَةِ فِي أَعْمَاقِهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ مَوَادِّ الْقَطْرِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ؟ أَمَا رَأَى هَذَا

الأنوك أن الأمطار إذا كثرت غزرت العيون وفهقت الأنهار وطفحت البرك وامتلات الآبار وسالت السيول وتفجرت في الأرض ينابيع ؟ حتى إذا قلت الأمطار وضعفت العيون ونقصت الأنهار وجفت البرك والآبار وانقطعت السيول وغارت الينابيع، خشنت الصدور وفسد الهواء ؟ أما رأى أنه لا نماء لشيء من النبات كله، منزرعة وصحراوية، وجميع الشجر بسائتيها وشغرائها إلا بالماء النازل من السماء ؟ أما قرأ في هزيانهم الذي يسمونه "توراة" امتنان الله تعالى في صفة الأرض المقدسة بأنها لا تسقى من النيل، كما تسقى أرض مصر لكن من ماء السماء ؟ أترأه إنما من عليهم بضد البركة لا بالبركة ؟ إن هذا لعجب. أما علم أن الأمطار ترطب الأجسام وتذهب بقحطها، وأن الماء الذي عنصره ماء السماء تزال الأوضار وتطيب الروائح ولولاه ما عمر العالم ! فحسبكم أيها الناس بمقدار هذا الخسيس وجهله وهو عميد اليهود وعالمهم وكبيرهم، وهذا مبلغه من الجهل والسخف، ونستعيز بالله من الجهل والضلالة، والحمد لله رب العالمين.

٣٤. قال أبو محمد: ها هنا انتهى كل ما ظن المائق أنه اعترض به، قد بان فيه كله زوره وجهله واغتراره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم نحن إن شاء الله تعالى ذاكرون بحول الله تعالى وقوته قليلاً من كثير من قبائحهم يديرونها وينسبونها إلى الباري تعالى في كتبهم التي طالما وقفنا عليها، وتضاعف بذلك شكرنا لله تعالى على عظيم ما منحنا من نعمة الإسلام والملة التي أئنت بها محمداً ﷺ تسليماً كثيراً وعلى آله الطيبين والحمد لله على ما أولانا من فضل الإسلام وشرف الإيمان.

٣٥. اعلّموا أيها الناس: علّمنا الله وإياكم ما يقرّبنا منه ويزلف حظوتنا لديه أن اليهود أبهت الأمم وأشدّهم استسهالاً للكذب، فما لقيت منهم أحداً قط مجانباً للكذب القبيح على كثرة من لقينا منهم، إلا رجلاً واحداً في طول أعمارنا، فطال تعجبي من ذلك إلى أن ظفرت بسرهم من ذلك في هذا الباب. وهو أنهم يعتقدون بسخفهم وضعف عقولهم أن الملائكة الذين يحصون أعمال العباد لا يفقهون العربية ولا يحسنون من اللغات شيئاً إلا العبرانية، فلا يكتب عليهم كل ما كذبوا فيه بغير العبرانية، فحسبكم بهذا المقدار من الجهل العظيم والحمق التام !

٣٦. فمن طوامهم أن علماءهم يقولون: إن الله عز وجل إنما ستر عن يعقوب أمر يوسف وكونه في مصر ثلاثة عشر عاماً كاملاً، لأن أولاد يعقوب لعنوا كل من ينقل إلى أبيهم أن يوسف حي. قالوا: فدخل الله تحت هذه اللعنة إذا أطلع يعقوب على حياة يوسف، تعالى الله عن إفك هؤلاء المجانين وكفرهم، واغوثاه من عظيم هذا الحمق ! أفيكون في البقر والحمير أو الكلاب أضل من قوم هذا مقدار عقولهم، أن يجيزوا أن تكون لعنة مخلوق تلحق الخالق ؟ اللهم فإنا نحمدك على توفيقك إيانا للإسلام وهدايتك إليه، ونسألك الثبات عليه إلى أن نلقاك مسلمين، برحمتك آمين. ثم العجب في أنهم قالوا في إخوة يوسف إنهم كانوا المخبرين ليعقوب بحياة يوسف، فهكذا في نص الكتاب المسمى عندهم "التوراة"، فما نرى اللعنة إلا قد لحقتهم.

٣٧. ثُمَّ نَجَدَهُمْ لَا يَسْتَحْيُونَ مَنْ أَنْ يَنْسَبُوا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنََّّهُمْ زَنَوْا، وَأَنََّّهُمْ مِنْ نَسْلِ الزَّانَا، فَإِنَّ السَّفَرَ الْأَوَّلَ مِنْ كِتَابِهِمْ ذَلِكَ الْمُسَمَّى "تُورَاةً": أَنَّ يَهُوذَا زَنَى بِامْرَأَةٍ وَلَدَ وَرَشَاهَا عَلَى ذَلِكَ جَدِيًّا مِنَ الْغَنَمِ، وَرَهْنَهَا بِالْوَفَاءِ بِذَلِكَ عَصَاهُ وَزَنَارَهُ وَخَاتَمَهُ، وَقَدْ وَقَفْتُ بَعْضُهُمْ عَلَى هَذَا فَقَالَ لِي: كَانَ ذَلِكَ مَبَاحًا عِنْدَهُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ تَقُولُ الْبَاطِلَ، إِذْ إِنَّ فِي تَوْرَاتِهِمْ أَنَّ يَهُوذَا الَّذِي جَامَعَهَا أَمْرَ بِهَا أَنْ تَحْرَقَ إِذَا ظَهَرَ حَمْلُهَا. فَإِنَّ كَانَ ذَلِكَ، فَلِمَ أَمَرَ بِحَرْقِهَا؟ ثُمَّ لَا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ مِنْ ذَلِكَ الزَّانَا حَمَلْتُ بِفَارِضِ ابْنِ يَهُوذَا الَّذِي مِنْ نَسْلِهِ كَانَ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَعَامُوصَ وَشَعِيَا وَغَيْرِهِمْ.

٣٨. وَمِنْ عَجَائِبِهِمْ أَنََّّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ كُلَّ نِكَاحٍ كَانَ عَلَى غَيْرِ التَّوْرَةِ فَهُوَ زِنًا وَالْمُتَوَلَّدُ مِنْهُ وَلَدُ زِنَا، حَتَّى إِنَّهُمْ يَبِيحُونَ لِمَنْ تَهَوَّدَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُخْتَهُ مِنْ أَبِيهِ. ثُمَّ لَا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَقُولُوا إِنَّ مُوسَى وَهَارُونَ أَخَاهُ تَوَلَّدَا مِنْ نِكَاحِ عِمْرَانَ بْنِ قَاهِتَ بْنِ لَآوِي عَمَتِهِ أُخْتِ أَبِيهِ يُوخَادَ بِنْتِ لَآوِي. وَأَنَّ سَارَةَ أُمَ إِسْحَاقَ كَانَتْ أُخْتِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِهِ وَالدَّه تَارَحَ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ كَانَ ابْنَ امْرَأَةٍ زَنَى بِهَا دَاوُدُ، وَوَلَدَتْ مِنْهُ ابْنًا مِنَ الزَّانَا وَتَزَوَّجَهَا أَوْزَنِي الْمَحْمُوتِي لَمْ يَطْلُقْهَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ زِنًا، وَأَنَّ وَطْءَ الْإِمَاءِ بِمَلِكِ الْيَمِينِ زِنًا، وَالْمُتَوَلَّدُ مِنْ هَذِهِ النِّكَاحَاتِ زِنًا، وَهُمْ يَقْرُونَ أَنَّ جَمِيعَ وَلَدِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا مِنْ أُخْتَيْنِ نَكَحَهُمَا مَعَا. وَهَمَا لَيْئًا وَرَاحِيلُ ابْنَتَا لَبَانَ، فَوَلَدَتْ لَهُ لَيْئًا سِتَّةَ ذُكُورٍ، وَوَلَدَتْ لَهُ رَاحِيلُ يَوْسُفَ وَبَنِيَامِينَ، وَأَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْبَاقِينَ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ وَلَدُوا لَهُ مِنْ زُلْفَاءِ وَبِلْهَاءِ، أُمَّتِي رَاحِيلُ وَلَيْئًا، وَطَنْهُمَا بِمَلِكِ الْيَمِينِ لَا بِزَوَاجٍ أَصْلًا، لِأَنَّ فِي تَوْرَاتِهِمْ أَنَّ لَبَانَ أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ عِنْدَ كَوْمِ الشَّهَادَةِ أَنْ لَا يَتَزَوَّجَ عَلَى ابْنَتِهِ، فَكُلُّهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ هَذِهِ الْوَلَادَاتِ. وَهَاتَانِ مَقْدِمَتَانِ تَنْتِجُ أَنَّ جَمِيعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَمِيعَ الْيَهُودِ أَوْلَادُ زِنَا. فَإِنَّ قَالُوا: كَانَ ذَلِكَ حَلَالًا قَبْلَ أَنْ يَحْرَمَ، أَقْرُوا بِالنَّسْخِ، وَإِنْ قَالُوا: إِنَّ ذَلِكَ خَاصٌّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مَذْ أَنْزَلَتْ التَّوْرَةَ. لَزِمَهُمْ تَرْكُ قَوْلِهِمْ: إِنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ فِي الْأُمَمِ بِخِلَافِ حُكْمِ التَّوْرَةِ فَهُوَ وَلَدُ زِنَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَلْزِمُهُمْ أَنَّ أَوْلَادَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا أَوْلَادَ زِنَا بَحْتٍ، لِأَنََّّهُمْ يَقْرُونَ أَنََّّهُمْ كَانُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْعُمُونِيَّاتِ وَالْمَوَابِيَّاتِ وَسَائِرِ الْأَجْنَاسِ، وَرُؤُوسِ الْجَوَالِيَتِ إِلَى الْيَوْمِ مِنْ أَبْنَاءِ مَنْ ذَكَرْنَا، تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى وَتَنْزَهُ أَنْبِيََاؤُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْ هَذِهِ الْمَخَازِي؛ وَإِسْحَاقُ أَبُوهُمْ، وَهَارُونَ وَمُوسَى وَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ وَيُوسُفُ عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ الْكُفَرَةِ لَعْنَهُمُ اللَّهُ، وَلَدُوا لَغَيْرِ رَشْدَةٍ، لَعْنُ اللَّهِ قَائِلَ هَذَا مَعْتَقِدًا لَهُ وَمُصَدِّقًا.

٣٩. وَمِنْ عَجَائِبِهِمْ أَنََّّهُمْ يَقْرُونَ فِي كِتَابِهِمُ الْمُسَمَّى بِالتَّوْرَةِ أَنَّ السَّحْرَةَ فَعَلُوا بِالرَّقِيِّ الْمَصْرِيِّ مِثْلَمَا فَعَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ﷺ مِنْ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً، وَمِنْ قَلْبِ مَاءِ النَّيْلِ، وَمِنْ اسْتِجْلَابِ الضَّفَادِعِ، حَاشَا الْبَعُوضَ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ.

٤٠. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: لَوْ صَحَّ هَذَا، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ، لَمَا كَانَ بَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّحْرَةَ فَرْقٌ إِلَّا قُوَّةُ الْعِلْمِ وَالتَّمَهُرُ فِي الصَّنَاعَةِ فَقَطْ، وَنَحْنُ نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يَكُونَ أَدْمِي يَقْدِرُ بِصَنَاعَتِهِ

على خرق عادة، أو قلب عين، وننكر أن الله تعالى يولي ذلك أحدًا غير الأنبياء صلى الله عليهم وسلم تسليماً كثيراً، الذين جعل الله تعالى ظهور المعجزات عليهم شاهداً لصدقهم.

٤١. ومن عجائبهم قولهم في نقل أحبارهم الذي هو عندهم بمنزلة ما قال الأنبياء: إن فرعون كان بنى في المفاز صنماً يقال له باعل صفون، وجعله طلسمًا باستجلاب بعض قوى الأجرام العلوية، ليحير به كل هارب من أرض مصر. وأن ذلك الطلسم حير موسى وهارون وجميع بين إسرائيل حتى تاهوا أربعين سنة في فحص التيه إلى أن ماتوا ملوكهم في المفاز، أولهم عن آخرهم، حاشا يوشع بن نون الافراهيمي، وكالب بن يوفنا اليهوداني. فتياً وسحقاً لكل عقل يزعم صاحبه أن صناعة آدمية وحيلة سحرية غلبت قوة الله تعالى، وأعجزت رسول الله ﷺ حتى مات تائهاً في المفاز حائرًا في القفار.

٤٢. ومن تكذيبهم قولهم في الكتاب الذي يسمونه "التوراة": أن الله تعالى قال لهم: سترثون الأرض المقدسة وتسكنونها في الأبد، ونحن نقول: معاذ الله أن يقول الله تعالى الكذب، وقد ظهر كذب هذا الوعد، فما سكنوه في الأبد وما عمروه إلا مدة يسيرة من أباد الأبد، ثم أخلوه وأخرجوا عنه وورثه الله أمة محمد ﷺ.

٤٣. ومن عجائبهم قولهم فيه: إن الله عز وجل قال لموسى: إذا أراد بنو إسرائيل الخروج عن مصر أن يأخذ أهل كل بيت من بين إسرائيل خروفاً أو جدياً ويذبحونها مع الليل ويأخذون من دمايتها ويمسكون بها أبوابهم وعتب بيوتهم، ثم قال: قلت سأمسح بأرض مصر هذه الليلة، وأهلك كل بكر ولد بأرض مصر من أبقار الأدميين وبكور نتاج المواشي، وأحكم في مصر أنا السيد وعند ذلك يكون الدماء. الدم لكم في البيوت التي تكونون فيها، فإذا نظرت إلى ذلك تجاوزكم لا يصل إليكم ضرر. ثم قال بعد أسطار حاكيا عن موسى أنه قال لربي إسرائيل: اذهبوا وليذبح أهل كل بيت منكم الضأن، وعيدوا واصبغوا في دمايتها رانا، ورشوا به أبوابكم وأعتابكم ولا يخرج أحد عن باب بيته إلى الصبح. فإن السيد سيمسخ ويهلك المصريين، فإذا نظر إلى الدم على العتب وفي الأبواب لم يجاوز الباب، ولا يأذن للقاتل بالدخول إلى بيوتكم وقتلكم.

٤٤. قال أبو محمد: فيكون أسخف من عقول من ينسبون إلى الله تعالى مثل هذا الكلام الفاسد؟ أو ترى الله عز وجل لا يعرف أبوابهم حتى يجعل عليها علامات؟ إن هذا لعجب. لو عقل هذا المجنون لشغله هذا السخام الذي في دينه الذي يباهي به، عن التعرض للحقائق يروم إبطالها، فكان كما قال الله عز وجل (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (١).

٤٥. ومن عجائبهم أنهم يلتزمون أكل الفطير في مرور الوقت المذكور في كل عام ولا يلتزمون أكل الخروف، على ما ذكرنا، وهم يقرون في كتابهم أنهم مأمورون بذلك كله، فإن قالوا: إنما أمرنا

بذلك ما دمتا في أرض القدس، قيل لهم: اتركوا أيضًا استعمال أكل الفطير حتى تكونوا في أرض القدس فلا فرق في كتابكم بين الأمر بالفطير والخروف.

٤٦. ومن عجائبهم في الكتاب المسمى عندهم "التوراة" أن موسى عليه السلام مجّد الله تعالى يوم أغرق فرعون فقال في تمجيده: ذلك قولي ومديحي للسيد الذي صار لي مسلمًا، هذا إلهي أمجده وإله آبائي أعظمه، السيد قاتل كالرجل القادر، أفيسوغ لذي عقل أن ينسب إلى نبي الله تعالى أنه شبه قوة ربه عزّ وجلّ بقوة الرجل القادر؟ وهل في الاقتراء أعظم من هذا لو عقلوا؟

٤٧. ومن عجائبهم قولهم في السفر الثاني من كتابهم: ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون رجلًا ومن المشايخ، ونظروا إلى إله إسرائيل وتحت رجله كلبه زمرد فيروزي. وفي بعض الفصول أن موسى عليه السلام قال، أو يعقوب: رأيت الله مواجهةً وسلمت نفسي، مع قولهم إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: من رأى وجهي من الأدميين مات، ولست تقدرُ تراني، لكن سترى مؤخرى. فهل في التناقض أعظم من هذا: مرة يقول من رأى وجهي مات، ومرة يقول رأيت مواجهةً وسلمت نفسي، وكل ما ذكرنا ففي كتابهم الذي يسمونه "توراة" لا في نقل ضعيف ولا غيره.

٤٨. ومن عجائبهم قولهم في السفر الثاني إن هارون أخا موسى بإقرارهم قال: لبني إسرائيل في مغيب موسى: اقلعوا أقراط الذهب عن آذان نسائكم ومواليكم وأولادكم وبناتكم، ايتوني بها، ففعلت العامة ما أمر به وأتوا بالأقراط إلى هارون، فلما أقبضها أفرغها وجعل لهم منها عجلًا، فلما بصر به هارون بنى مذبحًا بين يديه وصرخ مسمعا: غدا عيد السيد، ثم ذكر بعد فصول بأن موسى عليه السلام وجد بني إسرائيل عراة بين يدي العجل يتغنون ويرقصون، وكان عراهم هارون بجهالة قلبه.

٤٩. هذه نصوص كتابهم، أفيسوغ في عقل من له أدنى مسكة أن يكون نبي يعمل عجلًا للعبادة من دون الله تعالى ويأمر قومه يعبدوا له، ويرقص هو وهم تعظيمًا للعجل على أنه إلههم الذي من مصر؟ وإذا جاز أن يكون عجلًا وثنا ويعبدوه، جاز لنبي آخر أن يزني، فكيف يصدق في شيء من كلامه، وما الذي جعل سائر كلامه أولى بالقبول من كلامه وأمره في العجل؟ وما الذي جعل سائر عمله أصح من زناه وفتح بيوت الأوثان وتقريب القرابين لها؟ ولعل سائر ما أمر به وما عمل مفتعل كل ذلك من جنس عمل العجل والزنا. والذي لا شك فيه عندي أن من بدل توراتهم وأدخل فيها مثل هذا، إنما قصد إلى إبطال النبوة جملة، وبالله تعالى التوفيق.

٥٠. ومن عجائبهم قولهم في السفر الرابع: إن بني إسرائيل إذ طلبوا أكل اللحم وضجوا من أكل المن، أن الله تعالى قال لموسى: تقدسوا غدًا تأكلون اللحم، فأنا أسمعكم قائلين من ذا الذي يعطينا، قد كنا بخير. يعطيكم السيد اللحم فتأكلون.

٥١. ليس يوماً واحداً ولا اثنين ولا خمسة ولا عشرة إلا حتى تكمل أيام الشهر، حتى يخرج على مناخركم وتصيبكم التخمة. فقال له موسى: هؤلاء هم ستمائة ألف رجل وأنت تقول: أنا أعطيك اللحوم طعماً شهراً، أترى تكثر ذبائح الغنم والبقر فيقتاتون بها، أو تجمع حيتان البحر معاً لتشبعهم؟ فقال السيد: ما ذا يهم السيد؟ أترى السيد عاجزاً؟ فالآن ترى إن تم قوله. ثم ذكروا أن الله تعالى أنزل السماني حول العسكر فأكلوا حتى تخموا ومات كثير منهم بالتخمة، فسمي ذلك الموضع قبور الشهوات.

٥٢. وبعد هذا الفصل أيضاً في السفر الرابع ما ذكره من قول الله تعالى لموسى عليه السلام إذ ضح بنو إسرائيل من دخول الأرض المقدسة، قالوا: فقال السيد لموسى ابن عمران: "حتى متى تتناولني هذه الأمة التي لا يؤمنون بي على ما آتيتهم من العجائب التي فعلت أمامهم، سأضربهم بالوباء حتى أمسخهم، وأجعلك مقدماً على أمة عظيمة أشد قوة من هذه"، وأن موسى لم يزل يرغب إلى الله عز وجل حتى قال: قد غفرت لك كما سألتني، ففي هذا الفصل من إطلاق الكذب في الحلف على الله عز وجل ما لا يجوز أن ينسب مثله إليه تعالى.

٥٣. وقد ذكرنا في كتابه الموسوم "الفصل في الملل والأهواء والنحل" الفصل الذي في توراتهم في ذكر أنسابهم، وبيئنا عظيم الكذب فيه: وهو أنهم ذكروا أن سبعة نفر من بين إسرائيل من ولد قاهت بن لاوي نسلوا ثمانية آلاف قبل موتهم في التيه، وأولئك السبعة أحياء قائمون، وهم حينئذ أكثر ما كانوا، وقد قال بعضهم: إن هذا من المعجزات، فأجبناه بأن المعجزات إنما تكون للأنبياء عليهم السلام، وأما لكفار عاصين فلا. هذا سوى ما في توراتهم من شرائعهم التي يلتزمون بها الآن كالقرايين، وكم من مس نجساً فإنه ينجس إلى الليل، ومن حضر على مقبرة ينجس إلى الليل حتى يغتسل كله بالماء. وأما الصلوات التي يصلونها الآن فمن وضع أحبارهم، فيكفيهم أنهم على غير شريعة موسى عليه السلام ولا على شريعة نبي من الأنبياء.

٥٤. ومن طرائقهم قولهم في كتاب لهم: يعرف (بشعر توما) أن تكسير ما بين جبهة خالقهم إلى أنفه كذا وكذا ذراعاً. وقالوا في كتاب لهم من "التلمود" - وهو فقههم - يسمى "سادر ناشيم" ومعناه حيض النساء: أن في رأس خالقهم تاجاً من كذا وكذا قنطاراً من الذهب، وإن صديقون الملك هو يجلس التاج على رأس خالقهم، وإن في إصبع خالقهم خاتماً تضيء من فضاء الشمس والكواكب.

٥٥. ومن طوائفهم قولهم عن رجل من أحبارهم الذين يريدون، إن من ستم أحداً منهم يقتل، ومن ستم أحد الأنبياء لا يقتل، فذكر عن لعين منهم يدعونه إسماعيل أنه قال لهم، وكلامه عندهم والوحي سيان، فقال: كنت أمشي ذات يوم في خراب بيت المقدس، فوجدت الله تعالى في تلك الخراب يبكي ويبئن كما تن الحمامة، وهو يقول: ويلي هدمت بيتي، ويلي على ما فرقت من بني

وبناتي، قامتي منكسة حتى أبني بيتي وأردّ بناتي وبنّي، قال هذا الكلب لعنه الله: ثم قبض الله على ثيابي وقال لي: لا أتركك حتى تبارك عليّ فباركت عليه وتركتني.

٥٦. قال أبو محمد: أشهد الله تعالى خالقي وباعثي بعد الموت والملائكة والأنبياء والمرسلين والناس أجمعين والجن والشياطين أنني كافر بربّ يكون بين الخرب ويطلب البركة من كلب من كلاب اليهود. فلعن الله تعالى عقولاً جاز فيها مثل هذا.

٥٧. ومن عجائبهم قولهم في السفر الخامس من توراتهم أن موسى عليه السلام قال لهم: إن الله تبارك وتعالى يقول لكم: إنني لم أدخلكم البلاد لصلاحكم ولا لقوام قلوبكم، ولكن لكفر من كان فيها. ثم يقولون في عيدهم الذي يكون في عشر تخلو من أكتوبر، وهو تشرين الأول، ساخطين على الله تعالى غضاباً عليه تعالى إذ قصر بهم ولم يؤدهم حقهم الذي يجب لهم عليه - فيقولون لعنهم الله: إن الميططرون - ومعناه الرب الصغير، تحقيراً لربهم تعالى وتهاوناً به - يقوم هذا اليوم قائماً وبنّف شعره ويقول: ويلي إذ أخربت بيتي وأيتمت بنّي، قامتي منكسة لا أرفعها حتى أبني بيتي. فهم كما ترى يلعنون ربهم ويصغرونه ويقولون ذلك بأعلى أصواتهم في أكبر أعيادهم وأعظم مجامعهم. فكيف يجتمع هذا الحمق العظيم الذي يحبونه لأنفسهم، لعنهم الله، ويرونه واجبا على خالقهم، مع ما ذكرنا آنفاً من قوله في توراتهم: "لم أدخلكم البلاد لصلاحكم ولا لقوام قلوبكم"؟ فهل التناقض والفساد والتبديل الظاهر إلا هذا كله لو عقلوا؟

٥٨. وفي السفر الخامس أيضاً أن موسى عليه السلام قال لهم: إن السيد إلهكم الذي هو نار أكلة. وفي موضع آخر من كتبهم أن الله تعالى هو الحمى المحرقة، وفي الذي يسمونه "الزبور": احذر ربك الذي قوته كقوة الجريش. فهذا وشبهه هو الحمق والتناقض وتوليد زنديق سخر منهم وأفسد دينهم. وهم يحققون على سليمان عليه السلام أنه بنى بيوت الأوثان لنسائه وقرب لها القرايين، وهو عندهم نبّي. وقد مضى الكلام في بطلان كل كلام وعمل يظهر ممّن هذه صفته، وأنه ليس مأموناً ولا صادقاً، لعنهم الله فإنهم كذبوا على أنبياء الله واقتروا.

٥٩. ويقرأون في السفر الرابع من توراتهم أن الله تعالى أمرهم أن يضربوا القرن ضرباً خفيفاً، حتى إذا لقوا العدو فليضربوا القرن بشدة ليسمعه فيبصرهم، وفي هذا من السخف والكفر غير قليل، ولكن حق لمن غضب الله عليه وتبرأ منه وألحقه لعنته وألحقه سخطه أن يكون مقدار علمهم وعقولهم التصديق لكل ما أوردنا، والحمد لله رب العالمين على مننه علينا بالإسلام، ومحمد ﷺ.

٦٠. وهم معترفون بأن التوراة طول أيامهم في دولتهم لم تكن عند أحد إلا عند الكاهن وحده، وبقوا على ذلك نحو ألف ومائتي عام، وما كان هكداً لا يتداوله إلا واحد فواحد فيمضون عليه التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقص، لاسيما وأكثر ملوكهم وجميع عامتهم في أكثر الأزمان كانوا يعبدون الأوثان ويبرءون من دينهم ويقتلون الأنبياء، فقد وجب باليقين هلاك التوراة

الصحيحة وتبديلها مع هذه الأحوال بلا شك. وهم مقرون بأن يهوآحاز بن يوسيا الملك الداودي المالك لجميع بني إسرائيل بعد انقطاع ملوك سائر الأسباط، بشر من التوراة أسماء الله تعالى والحق فيها أسماء الأوثان. وهم مقرون أيضاً أن أخاه الوالي بعده وهو الباقيم بن يوشيا أحرق التوراة بالجملة وقطع أثرها، وهو في حال ملكه قبل غلبة بختنصر عليهم. وهم مقرون بأن عزرا الذي كتبها لهم من حفظة بعد انقطاع أثرها. إنما كان ورّاقاً ولم يكن نبياً، إلا أن طائفة منهم قالت فيه إنه ابن الله، قد بادت هذه الطائفة وانقطعت. فأى داخله أعظم من هذه الدواخل التي دخلت على توراتهم؟ وأما القرآن، فإنه لا يختلف ملي ولا ذمي أنه لم يزل من حين نزوله إلى يومنا هذا مثبتاً عند الأحمر والأسود لم ينفرد به أحد دون أحد. بل أبيع نسخه لكل من مضى وجاء، فنقله نقل كواف لا يحصرها عدد، كنقل أن في الدنيا بلداً يقال له الهند، وسائر ما لا يجوز للشك فيه مساع ولا مدخل، والحمد لله كثيراً، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً.

٦١. قال أبو محمد: إن أمني لقوي وإن رجائي مستحكم في أن يكون الله تعالى يسلط على من قرب اليهود وأدناهم وجعلهم بطانة وخاصة، ما سلط على اليهود، وهو يسمع كلام الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) ^(١) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلاً ودوا ما عنكم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) ^(٢)، وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) ^(٣)، وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) ^(٤)، وقوله تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) ^(٥)، وقوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا) ^(٦). فمن سمع هذا كله، ثم أدناهم وخالطهم بنفسه من ملوك الإسلام فإنه إن شاء الله تعالى قمين أن يحقق الله عز وجل به ما أحاق بهم من الذلة والمسكنة والهوان والصغار والخزي في الدنيا سوى العذاب المؤلم في الآخرة.

٦٢. وإن من فعل ذلك لحري أن يشاركهم فيما أوعده الله تعالى في توراتهم في السفر الخامس إذ يقول لهم تعالى: ستأتينكم وسيأتي عليكم هذه اللعنة التي أصف لكم فتكونون ملعونين في مدائنكم

١ - سورة المائدة، آية ٥١ .

٢ - سورة آل عمران، آية ١١٨ .

٣ - سورة الممتحنة، آية ١ .

٤ - سورة المائدة، آية ٥٧ .

٥ - سورة البقرة، آية ٦١ .

٦ - سورة المائدة، آية ٨٢ .

وفدادينكم وتلعن أجدادكم وبقاياكم ويَكُونُ نسلكم ملعونًا. وتكون اللعنة عَلَى الداخل منكم والخارج، فيبعث الله عليكم الجوع والحاجة والنَّصَبَ فِي كُلِّ مَا عملتُهُ أيديكم حتى يهلككم ويقَلَّ عددكم لتخليكم منه. ثم يلقي الوباء عَلَى بَقِيَّتِكُمْ ليقطَعَ آثاركم مِنَ الأرض التي أورثكموها ويبعثُ الربُّ عليكم الجذب ويهلككم بالسَّموومِ والثَّلُوجِ، ويحيلُ آثاركم وبطلبكم حتى يندركم ويجعل سماءَهُ فوقكم نُحاسًا وأَرْضَكُمْ التي تسكنوها حديدًا، قَتمَطِرُ عليكم الغبار مِنَ السماء، وينزل عليكم الدماء حتى تهلكوا عن آخركم ويُظْفِرَ الربُّ بكم أعداءكم قَدْخُلُونِ إليهم عَلَى طريق واحدة وتنهزمون عَلَى سبعة، ويفرقكم فِي آخر أجناس الأمم، فتكون جيفكم طعم السباع وطيور السماء وَلَا يَكُونُ لهم عنكم دافع، ويبتليكم الربُّ بِمَا ابتلى بِهِ المصريون فِي أدبارهم مِنَ الحِكمةِ والأَكالِ الذي لَا دواءَ لَهُ، ويبتليكم الربُّ بِالْبَلِيَّةِ وَالْعَمِّ حتى تماسكوا بالحيطان القليلة كتماسكِ العميان، وَلَا تقوموا عَلَى إقامة سبلكم فتكونوا فِي هزيمةٍ طَوِيلٍ دهرٍ وَفِي سخريةٍ لَا يَكُونُ لكم منفذ. ويتزوج أحدكم امرأة فتخالفه إِلَى غَيْرِهِ، ويبني أحدكم بيتًا ويسكنهُ غَيْرُهُ؛ ويغترسُ كرمًا ويقطفه غَيْرُهُ، ويذبحُ بين قَدَمي أحدكم ثورةً وَلَا يطعم مِنْهُ، وينزعُ مِنْ أحدكم حماره معينةً وَلَا يردُّ إِلَيْهِ، وتعطى مواشيكم الأبعادُ، وَلَا تجدونَ ناصرًا عَلَى رَدِّهَا وَتَغْلِبُ عَلَى أولادكم وبناتكم، وَلَا يَكُونُ فيكم قوةٌ للدفع عَنْهُمْ، وتَأْكُلُ حُبُوبُكُمْ أجناسٌ تجهلونَهَا وفواكه أرضكم، وتكونون مَعَ ذلك فِي هزيمةٍ أَبَدًا وَفِي جزعٍ مِنْهُمْ، فيبتليكم الربُّ بأجناس الأمراض وأضرَّهَا التي لَا دواءَ لَا مِنْ أَقْدَامِكُمْ إِلَى رؤوسِكُمْ، ويذهب بالملك الذي تقدمونه عَلَى أنفسكم إِلَى قومٍ لَمْ تَعْرِفُوهُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، لتجدوا عندهم أصنامهم المصنوعة مِنَ الخشبِ والرَّخَامِ، وتكونون مَثَلًا لِمَنْ سمع بكم مِنْ جميع الأجناس التي أندركم فيها، فتزرعون كثيرًا وترفعون قليلًا، لأنَّ الجرادَ يَأْتِي عليه، وتعمرون كرومكم وتحفرونَهَا وَلَا تقطفون مِنْهَا شَيْئًا، لأنَّ الدودَ يَأْتِي عَلَيْهَا، ويكثر زيتونكم وَلَا تَدَّهِنُونَ لأنها لَا تعقد. وَيُولَدُ لَكُمْ الأولادُ وَالْبَنَاتُ وَلَا تنتفعون بهم لأنهم يساقون فِي السبي، ويَأْتِي عَلَى جميع فواكه بلدكم القحوط والجذب فلا تنتفعون بِهَا، وَمَنْ كَانَ بين ظهرائكم مِنْ أَهْلِ القرى يلعنونكم وَلَا يشفقون عليكم، فتتواضعون وَيَكُونُ الأرذال يشتمونكم وتكونون لهم ساقاة فيَأْتِي عليكم جميع هَذِهِ اللعنات وتتبعكم حتى تَحْزُوا، إِذْ لَمْ تَسْمَعُوا للربِّ إلهكم، وَلَمْ تحفظوا رسالاته التي عوهدت إليكم، وتكون فيكم العجائب والمسوخ فِي ذريعتكم فِي الأبد، إِذْ لَمْ تقفوا عِنْدَ أمرِ الربِّ إلهكم بطيب أنفسكم، فتخدمون أعداءكم الذين يبعث الربُّ عليكم فِي الجوع والعطش والعري والحاجة، وتحملون عَلَى رقابكم أغلال الحديد وتجرونها، ويَأْتِي الربُّ عليكم بجيشٍ مِنْ مكان بعيد فِي سرعة العقبان مِنَ الذين لَا يكرمون شيخًا وَلَا يرحمون صَغِيرًا، فيأكلون نتاجكم وَمَا أنبتتْ أرضكم، وَلَا يدعون لكم سمًا وَلَا خميرًا وَلَا زبيبًا وَلَا ثورًا وَلَا شاةً حتى يَأْتُوا عليكم ويخرجوكم مِنْ جميع مدائنكم التي يرثكم الربُّ إلهكم وتضيق عليكم حتى تَأْكُلُوا وسخ أجوافكم ولحوم أولادكم وبناتكم الذين يُولَدُونَ لَكُمْ فِي زمان حصاركم، فَمَنْ كَانَ منكم مترفًا أو مملوكًا يمنع أخاه

وامراته لحوم بنيه شحاً عليها إذ لا يجد ما يقتات به سواه من شدة الحصار من أعدائكم لكم. ومن كانت فيكم رخصة البنان التي لا تقوى على المشي من رخصتها تحسب روجها على أكل لحوم أولادها، والسلى الذي يخرج من فرجها، إذ لا تجد مطعماً سواها.

٦٣. قال أبو محمد: هذه بشارة من الله تعالى لهم ومنحته التي خصهم بها بإقرارهم السنتهم، وفي كتابهم الذي يقرأونه، فليثق الله تعالى امرؤ آتاه الله تعالى نعمة من نعمه، ومنحه عزة، وليجتنب هؤلاء الأنجاس الأنتان الأقدار الذين أحاق الله تعالى بهم من الغضب واللعنة والذلة والقلّة والمهانة والسخط والخساسة والوسخ ما لم يحق بأمة من الأمم قط. وليعلم أن هذه الكسى التي كساهم الله تعالى إياها أعدى من الجرب، وأسرع تعلّقاً من الجذام، وبالله تعالى نعوذ من الخذلان، ومن معارضة الله تعالى في حكمه بإرادة إعزاز من أدله الله تعالى، ورفعته من خطئه الله، وإكرام من أهله الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٦٤. قال أبو محمد: قد أوردنا في هذا الكتاب من شنعهم أشياء تقشع منها الجلود، ولولا أن الله تعالى نصّ علينا من كفرهم ما نصّ كقوله تعالى عنهم: إنهم قالوا: عزير ابن الله، وبد الله مغولة، وأن الله فقير ونحن أغنياء، لما استجزنا ذكر ما يقولون لشنعتهم وفظاعته. ولكننا اقتدينا بكتاب الله عز وجل في بيان كفرهم، والتحذير منهم، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

- أولاً :- فهرس الآيات
- ثانياً :- فهرس الأعلام
- ثالثاً :- فهرس الشعوب والقبايل والجماعات والمهن
- رابعاً :- فهرس البقاع والبلدان والأماكن
- خامساً :- فهرس القوافي
- سادساً :- فهرس الموشحات والأزجال
- سابعاً :- فهرس الكتب

فهرس الآيات

الصفحة	السورة	الآية الواردة في البحث
ص ١١٠	سورة البقرة، آية ٦١	(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ)
ص ١	سورة البقرة، آية ٦٢	(وَالَّذِينَ هَادُوا)
ص ١٤٨	سورة البقرة، آية ٦٥	(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً)
ص ٢٧٧، ١٥٢	سورة البقرة، آية ٧٢-٧٣	(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا)
ص ٢٧٦	سورة البقرة، آية ٢٤٧	(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)
ص ٧١	سورة البقرة، آية ٢٤٩	(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ)
ص ٢٣٩	سورة البقرة، آية ٢٧٥	(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ)
ص ٣٧	سورة آل عمران، آية ٨٥	(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)
ص ٢٤٣	سورة آل عمران، آية ١٥٩	(وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)
ص ٢٤٠	سورة النساء، آية ٧٨	(وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)
ص ٢٤٠	سورة النساء، آية ٧٩	(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)
ص ٢٧٧	سورة النساء، آية ١٥٧	(وَقُولِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ)
ص ٢١٢	سورة النساء، آية ١٦٤	(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)
ص ٢٧٦	سورة المائدة، آية ٢٠	(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ)
ص ٩٤	سورة المائدة، آية ٤٢	(فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ)
ص ٢٦	سورة المائدة، آية ٥١	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى)
ص ٢٢٧	سورة الأنعام، آية ١٢٤	(اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)
ص ١١٧	سورة الأعراف، آية ٤٣	(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا)
ص ١٤٢	سورة الأعراف، آية ١٤٨	(عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ)

== فهرس الآيات ==

الآية الواردة في البحث	السورة	الصفحة
(وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا)	سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ١٥٥	ص ١١٧
(إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ)	سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ١٥٦	ص ١
(وَسَلُّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ)	سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ١٦٣	ص ٧١
(إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ)	سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ١٦٣	ص ٧٢
(إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)	سُورَةُ الْأَعْرَافِ، آيَةُ ١٨٨	ص ٢٩٥
(حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)	سُورَةُ التَّوْبَةِ، آيَةُ ٢٩	ص ٧٧، ٤٧
(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ)	سُورَةُ الْفَتْحِ، آيَةُ ٦	ص ١٤٢
(يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا)	سُورَةُ هُودٍ، آيَةُ ٤٢	ص ٧١
(سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ)	سُورَةُ هُودٍ، آيَةُ ٤٣	ص ٧١
(إِن هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)	سُورَةُ يُوسُفَ، آيَةُ ٣١	ص ٢٩٦
(إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)	سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، آيَةُ ١١	ص ٢٩٦
(وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)	سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، آيَةُ ٤٦	ص ٢٩٦
(وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَاتًا)	سُورَةُ النَّحْلِ، آيَةُ ٨٠	ص ٢٤٠
(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)	سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، آيَةُ ١	ص ٢١٢
(وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا)	سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، آيَةُ ٥٥	ص ١٩٥
(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ)	سُورَةُ الْكَهْفِ، آيَةُ ٦٠	ص ١٨٣
(وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ)	سُورَةُ مَرْيَمَ، آيَةُ ٥٢	ص ١٨٣
(إِن كُنَّا فَاعِلِينَ)	سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، آيَةُ ١٧	ص ٢٩٦
(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ)	سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، آيَةُ ١٠٥	ص ١٩٥
(فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى)	سُورَةُ الْقَصَصِ، آيَةُ ٣٨	ص ٧١
(وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ)	سُورَةُ الْأَحْزَابِ، آيَةُ ٣٥	ص ١٤٠

== فهرس الآيات ==

الآية الواردة في البحث	السورة	الصفحة
(وَإِذْ رَاعَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ)	سورة الأحراب، آية ١٠	ص ٢٤٠
(فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ)	سورة الصافات، آية ١٤١	ص ٢٤٠
(قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)	سورة الزخرف، آية ٨١	ص ٢٩٦
(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)	سورة الفتح، آية ٦	ص ١٤٢
(فَتَغَاطَى فَعَقَرَ)	سورة القمر، آية ٢٩	ص ٧١
(يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ)	سورة الرحمن، آية ٤٤	ص ٢١٩
(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)	سورة الرحمن، آية ٦٠	ص ٢١٩
(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ)	سورة الحشر، آية ١٦	ص ٢٦٦
(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)	سورة الملك، آية ٣	ص ٢١٢
(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)	سورة القلم، آية ٤	ص ٢١٢
(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)	سورة نوح، آية ١٥	ص ٢١٢
(لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ)	سورة المدثر، آية ٢٨	ص ١٤٢
(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا)	سورة النازعات، آية ٢٧ - ٢٨	ص ٢١٢
(وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ. عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)	سورة المطففين، آية ٢٧ - ٢٨	ص ٢١٢
(فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا)	سورة الشمس، آية ١٤	ص ٧١
(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ)	سورة الضحى، آية ٣ - ٥	ص ٢١٢
(لِإِيلَافٍ قَرَيْشٍ. إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)	سورة قريش، آية ١ - ٢	ص ٢٤٠
(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) ، (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)	سورة الفلق، آية ١ ، ٤	ص ٢٤٠
(وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)	سورة الفلق، آية ٤	ص ٢٤٠

فهرس الأعلام

أ

أدم عليه السلام، ٢، ٧١، ٢٧٤
 آدم ميئز، ٨٠
 بن لأبار نقضاعي، ٢٥، ٤٧، ٥١، ٧١، ١٤٠، ١٥٢، ١٩٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٢، ٢٦٣
 ابن هام سنيور ليهودي، ٨١
 ابن هام بن صمويل بن ليفي بن خندي ليهودي، ٩٩، ١٠٢
 ابن هام بن عزز ليهودي، ٩٦، ١٠١، ١٠٤-١٠٧
 بن هيم عليه السلام، ٢، ٤، ١٩٤، ٢٦٧، ٢٩٩
 بن هيم بن دريس، نظر: لمؤيل
 أبو بن هيم لاسر نيلي أو ليهودي، نظر: سماعيل بن نغريئة
 بن هيم بوتشيش، ٨، ٢١، ٢٣، ٨٢، ٨٤
 بن هيم بن ثيفلويت، ٢٣٢
 بن هيم بن حيا ليهودي، ١٠٧
 بن هيم بن دود لطنيطلي ليهودي، ١٠٦
 بن هيم بن زور أو زرزور أو زرزور ليهودي، ٣٣، ١٠٣، ١٠٤
 بن هيم بن سهلي لاندلسي، نظر: بن سهل
 بن هيم لطرطوشي، نظر: لطرطوشي، بن هيم (الرحالة ليهودي)
 بن هيم لغافقي، نظر: لغافقي، بن هيم لغافقي أبو سحاق
 بن هيم بن بي لفتح لأصلح، ٢٧٤
 بن هيم بن لفار ليهودي، ١١٨، ٣٢، ٢٢٧
 بن بن هيم لمليخشي، ١٦١
 بن هيم لموصلي، ١٥٦
 بن بن هيم، بن نغريئة، نظر: سماعيل بن نغريئة
 بن هيم بن هتشك، نظر بن هتشك، بن هيم
 بن هيم بن يعقوب ليهودي (لستير)، ٣١
 برهة، ٧٢، ٢١٣
 بقر ط، ٢١٦، ٢٥٠، ٢٥١
 بليس، ١٥٦، ٢٦٦
 بناء نغريئة، ٢٧، ٢٧٨
 بيهو، ٢٩٥
 خسار عباس، ١٢٣-١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٧٢، ١٧٤، ٢٠٢، ٢٠٣-٢٠٧
 أحمد لجميري لوزيغي، ٢٠٧
 أحمد بن سفيان بن عقال، ١٩٣
 أحمد بن عباس (الأديب)، ٢٦١، ٢٧٥
 أحمد لكساد، نظر: لكساد، أحمد
 أحمد مكي، ١٧٢
 بن لأختر (السلطان مخلوع)، ٥٤، ١٩٠، ١٩٢
 لأخنت، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٧٤
 لأخنت بن ميمون (بن لفرع)، ١١٤، ١٢٠، ١٢٢، ١٤٥، ١٤٦
 بن لأخوة، ٥٦، ٥٨
 بن دريس لمؤيل، نظر: لمؤيل
 دريس بن ليمان، ٢٢٢
 لإدريسي، ٤١
 بن أدهم بلخي، بن هيم، ١٨٨
 أركون بن رديمز، ٣٠، ٣٢، ٣٤
 أرسطو، ٩٩
 أرسطوطاليس، ١٠٦، ٢١٧
 أرمانيوس، (الملك)، ٩٩
 أريك الثاني (الملك)، ١٣
 بن لأزرق، أبو عبد الله محمد (لقاضي)، ٦٥
 بن أزرق، موسى بن أزرق، ١٨٠، ١٨٢
 سحاق عليه السلام، ٢٩٩
 سحاق أبر بانيل ليهودي، ٨١
 سحاق سر نيل ليهودي، ٩٩
 بن سحاق لاسر نيلي (تلميذ بن شهيد)، ٩٧، ١١٩

ب

لبابا بولس لربيع، ٤٤
 لبابا يوحنا الثاني عشر، ٣٢
 بن باجة، ٧٣، ٩٧، ١٧٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٣١-٢٣٣
 باديس بن خيوس (المظفر)، ١٥، ١٩-٢١، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ١٢٤، ١٢٩، ١٣١-١٣٣، ١٣٧، ١٤١-١٤٤، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٥-١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٠-٢٨٤، ٢٨٦-٢٨٨
 لباديسي، نظر: باديس بن خيوس
 بن بارون ليهودي، ١٠١
 باقيل، ١١٨
 بنيامين لطنيطلي ليهودي، ٧٨
 بو بحر التجيبي، ١٩٠، ١٩٢
 بختصر، ٢

فهرس الأعلام

بَدْرُو [بَطْرَه] ٢٤، ٣٣، ٨١، ٢٧٠
لَبْرَدَقُون، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٩-٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٩
بَرْصِيص، لعابِدُ لِيَهُودِيَّ، ٢٦٦

بَرْغَوَ طَه، ٦٠
أَلْبَرْهَانَش، ٢٧١
بُنْ بَسَّام لِسُنْتَرِينِي، ٨-٥، ١٧، ٣١، ٣٨، ٧٠، ٨٥، ١٠٨، ١١٩، ١٢٣، ١٢٥-١٢٩، ١٤٠-١٤٢، ١٥١، ١٥٦، ١٧٧، ١٩٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٧٩-٢٨١، ٢٨٦-٢٨٨

بَسَّام بُنْ شَمْعُون لِيَهُودِيَّ، ٧٣، ١٠٨، ١٦٠، ٢٢٨، ٢٣١-٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩

بُنْ بَسَّام لِعَبْرَتَائِي، ١٤١

بِسْطَام، ٢٣٥

لِبِسْطَامِي، أَبُو زَيْد (طَيْفُور)، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٣٥
لِبِسْطُوس، ٢٧٤

بُنْ بَشْرَى لَأَعْرَنَاطِي، ١٧٤

بُقَرَط، ٢١٦، ٢٤٩، ٢٩٧

بُنْ بَقِي، ١١٨، ١٧٣، ١٧٥

أَبُو بَكْرٍ (مُعَاصِرُ لَابِن قَرْمَانَ)، ١٠٥

أَبُو بَكْرٍ لِرَبِيدِي، ١٧٨

أَبُو بَكْرٍ بُنْ زُهْر، نظر: بُنْ زُهْر، أَبُو بَكْرٍ
أَبُو بَكْرٍ لَطَرْطُوشِي لِيَهُودِيَّ (لِرَحَالَة)، ٣٢، ٤٦، ٧٣
أَبُو بَكْرٍ بُنْ لِقِطْرَنَة، ٤٣، ٢٧٦

أَبُو بَكْرٍ بُنْ عُبَيْد لَعَزِيز، ١٥٧، ١٦٦، ١٦٧

أَبُو بَكْرٍ بُنْ عَسَار، نظر: بُنْ عَسَار، أَبُو بَكْرٍ
لِنَكْرِي، أَبُو عُبَيْد، ١٥٦

بِلَارْدَة، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨-٢٥١، ٢٥٥

بَلْعَام، ١٧٥، ١٨٤-١٨٨

بُنْ بَلْقَيْن، نَظَرُ: لَأَمِير عُبْدُ اللَّهِ

بَلْقَيْنُ (و لد لَأَمِير عُبْدُ اللَّهِ)، ١٩٠، ٣٦، ١٥٧، ٢٨٦
لِبَلْوِي، خَالِدُ بُنْ بَو خَالِد لِبُرْسَانِي، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٢

بِنَاحِيَا لِرَتْسُونِي، ١٠٧

بِنْيَامِين لِنُطْلَيْي لِيَهُودِيَّ (لِرَحَالَة)، ٧٨٠، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨

بَو لِبِيَان بُنْ لِمُدُور لِيَهُودِيَّ، ٢٢٨

بِيذْبَا لِفِيلْمُوف، ١٠١

ت

تَابِطُ شَرَّ، ٢٤٢، ٢٤٤

تَاسَلَس، ٢٥٠، ٢٦٠

بُنْ تَاشْفِين، عَلِي، ١٠٤، ١٨٢، ٢٣٢

بُنْ تَاشْفِين، يُونُس، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٣٥، ٤٣، ٦٧، ٩٠، ١٤٠
تَقِي لَدِين لَتَنُوحِي، ٥١

بُنْ تَلِيَس، ١٤٧

أَبُو تَمَّام، ١٨٠، ٢٢٤

تَمِيم بُنْ لَمْعَر، ١٧٦، ١٨٠

تُودَرُوس أَبُو لِعَافِيَة لِيَهُودِيَّ، ١٠٣

تَوَفِيْق بُنْ عَامِر، ٨٠

تُومَا، ٢٩٢

ج

لَجَاحِظ، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧

جَالِيئُوس، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٩٧

جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، ٢١٣

بُنْ جَبْنِير، ٥٥

بُنْ لَجْد، أَبُو لُحْسَيْن ١٤٠، ١٤١، ١٥٢، ١٥٣، ٢٦٢

بُنْ لَجْد، يَحْنَى أَبُو عَمْرُو ٢٠٤

لَجَزَرُ لِسَرْقِسطِي، ٢٢٢-٢٢٤

بُنْ جَزِي لَكَلْبِي، ١٣٥

لَجَزِيرِي (الْثَانِي)، ١٦٢

جَسَّاس بُنْ مَرَّة، ١٣٥، ٢٧٤

أَبُو جَعْفَر بُنْ عَبَّاس، نظر: أَحْمَدُ بُنْ عَبَّاس (الْأَدِيب)

جَعْفَر بُنْ عَلِي، ٥٩، ١٢٧، ١٩٢

جَمَال لَدِين لَكَزَكِي، ١٤٣

بُنْ جَمْهُور، ٦٨

بُنْ جَنَاح لِيَهُودِيَّ، نظر: مَرُورُ بُنْ جَنَاح

بُنْ لَجَنَان، ٢٠٧

لَجْنِيد، ٥١، ١٨٧

جَهَادُ لِرَغُول، ٨٥

بُنْ جَهُور، ٢٢، ٧١، ٢٣٩

جُوسْتَاَف لُوبُون، ٢٨

بُنْ لَجِيَّاب، أَبُو لِحَسَن، ١٣٦، ١٣٧، ١٩٤

ح

خَاتِم لَطَائِي، ٢٧٤

بُنْ لَخَاج (الْثَانِي، قَاضِي لَجَمَاعَة بَقْرَطِيَة)، ٧٤

لَحْبَر، ٣، ١٥٤، ١٥٥

خَبُوس (و لد بَادِيَس)، ١٥، ١٤٣، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣

لَخَجَّاج، ٢٩٠

أَبُو لَخَجَّاج (السُّلْطَان)، ٢١

بُنْ لَحَدْد، أَبُو عُبْدُ اللَّهِ، ٦٤، ١١٤، ١٣٩، ١٧٧، ٢٤١

لَخَرِيرِي، ١٠٢

لَخَرِيرِي، نظر: زَكْرِيَّا لَخَرِيرِي

بُنْ خَزِم، بُو مُحَمَّد (لَفْقِيَة)، ٢٧، ٣١، ٥٧، ٧٢، ٧٣، ٨٣، ٩١، ١٠٦، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ٢٣١، ٢٣٧-٢٤٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٩-٢٧١، ٢٧٧-٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٨-٢٩٩

بُنْ خَزْمُون، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٧٣

خَسْدِي بُنْ شَبْرُوط لِيَهُودِيَّ، ٦، ٢٧، ٣٠-٣٢، ٤٠، ٨٤، ٩٠، ٩٥، ٩٧-١٠٠، ١٠٣، ١٥٨، ٢١٥، ٢١٦، ٢٨٤

بُنْ حَسْدِي لِيَهُودِيَّ، أَبُو جَعْفَر، نَظَرُ: يُونُسُ بُنْ أَحْمَدُ بُنْ حَسْدِي
بُو لِحَسَن بُنْ لَجِيَّاب، نَظَرُ: بِن لَجِيَّاب

بُو لِحَسَن بُنْ سَابِق، ١٨٩

لِحَسَن بُنْ هَانِي، نظر: أَبُو نُوس

بُو لِحَسَن هَلِيفِي لِيَهُودِيَّ، ١٠٥

بُو لُحْسَيْن بُنْ لِفَخَّار لِيَهُودِيَّ، نظر: بُنْ لِفَخَّار، لُحْسَيْن
بُو لُحْسَيْن يُونُسُ بُنْ لَجْد، ١٤٠، ١٤١، ١٥٣

لُحْصَرِي، بُو لِحَسَن، ١٦٤، ٢٢٥، ٢٤١

بُو حَفْص لَزَكْرَمِي، نظر: لَزَكْرَمِي، بُو حَفْص

بُنْ بُو حَفْص، نظر: لَفَتَّح، بُو فَارَس بُنْ بُو حَفْص
بُو حَفْص بُنْ بَرْد، ١٧٧

لِحَفْصِي (سُلْطَانُ فَاس)، ١٩٠

لَفُونُسُ (لِحَفِيد) نظر: حَفِيد لَفُونُسُ

حَفِيد لَفُونُس، ٢٧٠

حَفِيد بَادِيَس نَظَرُ: عُبْدُ اللَّهِ بُنْ بَلْقَيْن

لِحَكْمُ لَأُول بُنْ هِشَام (الرَّبْضِي = لِمُرْتَضَى)، ١٤، ٢١، ٧٣، ٧٤، ٨٥، ٢١٥

لِحَكْم لَثَانِي بُنْ عُبْدُ لِرَحْمَن بُنْ مُحَمَّد لِمُرَوَّي (المُسْتَنْصَر)، ٨٤، ٩٠، ٩٧، ٩٨، ١٠٣، ١٠٨، ١٧٨

لِحَكِيم لِمِصْرِي، ٢٢٢

لِخَلَّاج، ١٨٦-١٨٨

بُنْ خَنْدُون، ١٩٢

لِخَمْوِي، ٢، ٦٦، ١٤١، ١٤٥

أَحْمَدُ لِحَمِيرِي لَوَزَغِي، نظر: أَحْمَدُ لِحَمِيرِي لَوَزَغِي

حَنَان (لِقَاضِي)، ١٠٦

خَي بُنْ مَقْبِص، ١٠١

خَي بُنْ يَقْطَان، ١٠١

بُنْ خَيَّان (المُورِّخ)، ١٥، ٨٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩١

خ

خَال بُنْ لِفَخَّار لِيَهُودِيَّ، نظر: بُنْ لِفَخَّار، خَال لُحْسَيْن

خَال بِن نَعْرِيَّة، نظر: بِن نَعْرِيَّة، (خَال لَوَزِير)

خَالِد (عَامِلٌ عِنْدَ لِسُلْطَان لَخَجَّاج)، ٢١

خَالِدُ لِبَلْوِي، نظر: لِبَلْوِي، خَالِدُ بُنْ أَبُو خَالِد لِبُرْسَانِي، ٢٠١
خَالِيَمِي لَأُول، ٨١

بُنْ خُرْد ذَبَة، ٧٨، ٧٩

بُنْ خُرُوف لِقَرْطَبِي، ٧٠

خَزِيمَة (بُو لَشَّهَادَتَيْن)، ٢٧٢، ٢٧٣

أَبُو لَخَطَّاب بُنْ دَخِيَّة، ٢٧٤

بُنْ لَخَطِيب، لِسَانُ لَدِين، ١٦، ١٧، ٣٣، ٥٦، ٦٧، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٠، ١٨٤-١٨٦، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٥

٢٨٨، ٢٩٩

== فهرس الأعلام ==

بْنُ لَخْلَل، ١٤١
بْنُ خُلُوت، ٤، ٧، ٨، ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٤٨، ١٧٣، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩٢
خَلْفُ بْنِ فَرَج ، نظر: لِأَلْبِيرِي، خَلْفُ بْنِ فَرَج
بْنُ خَمِيسٍ لَمَالِقِي، ٦، ١٦٢
خَمِيسِي خَمِيدِي، ١٢
خَنَافُ لِيَهُودِي، ٢٦٤
خُونِ فِيزْنِيَّة، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩
بْنُ خَيْرَةَ لُقْرَطِي، نَظَرُ: لِمُنْقِل

د

دَر بِنُ دَر (ملك لفرس)، ٢٧٣
دُودَ عَلِيَّهِ لِسَلَام، ٤، ١٩٥
دُودُ بْنُ هَاجِرٍ لِيَهُودِي لِقُرْنِاطِي، ١٠١
لِدَبَّاج، ١٩٨
بْنُ لِدَبَّاج، ١٥٨، ٢١٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٥٣، ٢٧٧
لِدَجَّانُ (الْأَعْوَن)، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٥
بْنُ دِخْيَةِ، ٢٢، ٢٣، ٤١، ٤٣، ٦٠، ٦٩، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٧، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٧٤
بْنُ دَرَجٍ لِقُسْطَلِي، ٧٢
لِدَلَّان، ٨٤
دُوزِي، ٤٦، ٥٤، ٩٢، ١٨٥، ٢٤٣، ٢٦٦
دُونُ بَطْرَه، ٣٣، ٢٧٠
دُونِاشُ بْنُ لَبْرَطَه، ٩٥، ١٠٠
دِسْقُورِيدِس، ٩٩، ٢١٥
بْنُ أَبِي دِينَارٍ لَقِيْزُو نِي ، نظر: مُحَمَّدُ لَرَعِينِي

ذ

ذُو نُوَيْبٍ لِهَنْدَلِي، ٢٢٤
لَذَمِّي، ٦١، ٦٦، ٢٨٠
ذِي (لِسَطْرُبٍ لِإِسْرَئِيلِي)، ٨٥، ١٠٧، ١٥٦، ١٦٠

ر

بْنُ رَحِيل، ١١٧، ١٧٣
لَرَعِي، ٣٧، ٣٨، ٩٧، ١٦٩، ١٩٦-٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٨٢
بْنُ رَفَعِ رَاسَه، ١١٧، ١٧٣
رَ كِيل (مرب يهودي)، ٨٧، ٨٨
لَرُ هَبُ نَقُولَا، ٩٩
لَرَبَّانِي، ٣، ١٥٦
لَرَبِضِي = لَمُرْتَضِي، نظر: لِحَكَمٍ لِأَوَّلِ بْنِ هِشَامٍ لِعَرُونِي
أَبُو لَرَبِيعِ بْنُ سَالِمٍ، ١٩٠
أَبُو لَرَبِيعِ سُلَيْمَانَ لِقُضَاعِي، ٨٤، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠
أَبُو لَرَبِيعِ بْنُ لِمَاطُونِي، ٢٠، ١٥٨
أَبُو لَرَبِيعِ لِنَصْرَنِي، ٢٨
أَبُو لَرَبِيعِ لِيَهُودِي، ٢١
بْنُ رُذَمِيرَ، ٣٠، ٣٢، ٣٤
بْنُ رَزِينِ، ١٥٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٥
بْنُ رَزِينِ، عَبْدُ لِمَلِكِ، ١٩٠
الرَّسُولُ ﷺ، ٣٠، ٤٩، ٥٣، ٥٧، ١٤١، ١٤٤، ١٤٨، ١٩٣، ١٩٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢٣٨، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٩٣
بْنُ رُشْدٍ، ٢٢، ١٠٥، ١٣٧، ١٧٥، ١٨٧، ١٨٨
بْنُ رُشْدٍ لِفَهْرِي، ٢٠١
لُرَصَافِي، ١٨٠-١٨٣، ٢٠١
رِضْوَنُ (خازن لجنه)، ٢٢٧
رَفِيعُ لَدَوْلَةِ ، نظر: بْنُ صُمَاحِجِ، رَفِيعُ لَدَوْلَةِ رَمْلَةٍ، ١١٣
بْنُ لَرُمَيْمِي، مُحَمَّد، ١٨٣، ٢٠٥
روبرت هيلنبرند، ٣١، ٤٤، ٤٥، ٦٣، ٧٩، ٨٤، ٩٠
بِنُ لِرُومِي، ٢٩٣
رياض قَزِيحَة، ٨٤، ٢١٦، ٢٣٧

رَبِيبِ، ٩٨، ١٠٦
رَبِيتُونْدُ شَائِنْدَلِين، ٨، ١٦، ٢٤، ٢٧، ٩٧، ٢١٦، ٢٢٩
رَ R
لِرَجَّالِي، ٤٣، ١٥٨، ٢٦٣
بْنُ رَزَزَرِ، نَظَرُ: بِنُ هَيْمُ بْنُ رَزُورِ أَوْ رَزَزَرِ أَوْ رَزَزَرِ
رَزَقَاءُ لِيَهَامَةِ، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٩
رَزِيَّاب، ٨٥، ١٠٧
بْنُ لِرَقَّاقِ، ٦٩
لِرَكْرَمِي،أَبُو خَفْصِ، ٨٧، ١٤٥
أَبُو رَكْرِيَّا لِنَجِيبِي (الكفيف)، ٥٢
رَكْرِيَّا لَخَرِيزِي، ١٠٣
أَبُو رَكْرِيَّا لَخَفْصِي، يَحْيَى بْنُ عَبْدِ لَوْجِدِ (سُلْطَانِ فَرِيقَتِهِ) ٢٥، ٢٠٣، ٢٠٤
رَكْرِيَّا بْنُ يَهُودَ بْنُ بُلْغَامِ، ١٠٣
بْنُ رَمْرَمِ، ١٦، ١٥٠، ٢٠٨
بْنُ رُهَرِ، أَبُو بَكْرٍ ١٧٣، ١٨٤
رُهِيرَ لِقَتِي، ٢٦١
أَبُو رَيْدِ لِبِسْطَامِي، ١٨٥
بْنُ رَيْتُونِ، ٢٢، ٧١، ٧٢، ١٠٩، ١١٠، ١٦٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٣، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٧٢-٢٧٥

س

لِسَامَرِي، ١٧٥-١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٦، ٢٦٢
لِسَامَرِيَّة، ١٧٧
سَامْسُ، ١٠٤، ٢٢٨
سَحْبَانُ وَثَل، ١٢٢
سَحْنُون، ٦٥، ٦٦، ١٤٥
بْنُ لِسَرَجِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ٧٠
سَرَجُ لِدَوْلَةِ ، نظر بِنُ لِمُعْتَمِدِ، سَرَجُ لِدَوْلَةِ،
سَعْدُ لَدَيْنِ بْنِ عَرَبِي، ١١١
سَعْدُ شَلْبِي، ١٤٨
سَعْدُ بْنُ مَعَاذِ، ١٩٤
سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصِرِ، ١٤٤
سَعْدُونُ لِسَرْنِباقي، ٨٢
سَعْدِيَا لَقِيْوَمِي لِيَهُودِي، ٩٨
سَعْدِيَا بْنُ دَنَانَ لِيَهُودِي، ١٠٣
سَعِيدُ بْنُ لِحَكَمِ، أَبُو عَثْمَانَ، ٦٩، ٢٠٤
سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودِي لِيَهُودِي، ١٧
بْنُ سَعِيدِ(صاحب لِمُغْرِبِ)، ١٧، ٧٠، ٧٣، ٨٥، ٩٤، ١١٨، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٨، ١٤٨، ١٦٠، ١٧٧، ١٩٧-٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٨١، ٢٨٨
بْنُ سَفْيَانَ، أَبُو مُحَمَّد، ٢٢١
سَقَرَطُ، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٦
لِسُلْطَانِ لِمَخْلُوعِ، نظر: مُحَمَّدُ بِنِ أَبِي عَبْدِ لَرَحْمَنِ
سُلْطَانُ لِحَطَّابِ، ١٧٠
سُلُوشِ، ١٢، ٢٣
سُلَيْمَانُ عَلِيَّهِ لِسَلَام، ٤، ٨٩، ٢٣٧، ٢٩١، ٢٩٨
سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِرْ هَامُ بْنُ أَرْكُوطِ، ٩٥
سُلَيْمَانُ بْنُ أَسُودِ، ٩٤
سُلَيْمَانُ بْنُ جَبِيْرُولِ، ١٠٠-١٠٥، ٢٨٥
سُلَيْمَانُ بْنُ رَقِيبِلِ، ١٠٢
سُلَيْمَانُ بْنُ لِمُعْلِمِ، ١٠٤
بْنُ سُمْعَةَ لِعُرْنِاطِي، ٢٠٠
لِسَمَوَّالِ، ١٩٢، ٢٧٣،
لِسَمَوَّالِ بْنُ يَهُودَ لِمُعْرَبِي، ١٧٥، ١٨٩-١٩١، ١٩٣، ٢٧٤، ٢٧٥
لِسَمْسِيرُ، نَظَرُ: خَلْفُ بْنِ فَرَجِ لِأَلْبِيرِي
بِنُ هَيْمُ بْنُ سَهْلٍ،أَبُو سَخَاقِ، نظر: بْنُ سَهْلٍ لِإِسْرَئِيلِي
بْنُ سَهْلٍ لِإِسْرَئِيلِي، ٣٨، ٦١، ٧٤، ٨٠، ٨٤، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٧، ١١٣، ١١٧، ١٣٤، ١٦٩، ١٧٩، ١٩٦-٢١٤، ٢٢٦، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤
سُولُومُونُ بْنُ رَدُوكَ لِيَهُودِي، ٨١
لِسَيِّدِ عَبْدِ لِعَزِيزِ سَالِمِ، ١٩، ٣٠، ٣١، ٧٧، ٨٨
سِيْرِيُوت (لِمَلِكِ)، ١٣
سَيْفُ لَدَوْلَةِ، نَظَرُ بَلْقَيْسُ بْنُ بَادِيْسِ

سيف لثولة لحدني، ١٢٠، ١٢٦
بن سينا، ١٠٥، ١٣٧، ١٨٧

ش

بن شاطر، ١٨٨
شافعي، ١٣٧
بن شاليت (شاليت) ليهودي (السفير)، ٢٣، ٣٣، ٣٥
شالجة، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٧٢
شاويل ليهودي (وزير عبد الحق لمريي)، ٢٨
بن شبروط، سحاق نظر: حسدي بن شبروط ليهودي،
شيلي، ٥١
شيزن، ١٧٤
شزن، أبو عبد الله ١٨٣
شريشي، عيسى بن عبد الله ١٤٤، ١٩٤
شكسبير، ٤٥، ٨٧
شلوبين، أبو علي، ١٩٦، ١٩٨
بن شمعون لفرطبي ليهودي، ٧٣، ٢٣١، ٢٣٧
شمعون بن يعقوب عليه السلام، ٦٠
شهاب الدين بن خلوف، ١١٢
بن شهيد، أمية، ٨٦
شهيد أبو حفص لهوزني، ١٤٠
بن شهيد، أبو غابر، ٤١-٤٣، ٦٤، ٦٥، ٩٧، ١١٨، ١٥٠، ١٥٨
٢٦٣، ٢٣٩، ١٩٥
شوقي ضيف، ٢٣٢
شيخ اليهود، ١٤٦
شيلوك (لمربي) ليهودي، ٨٧، ٨٨

ص

بن لصاؤوني، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠
بن صاحب لصلاة، ١٨
صاعد، ٢١٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١
صالح لبر غوطي، ٦٠
بن صديق، ١٠٦
لصديق، بو بكر رضي الله عنه، ٢٤٠
لصقلي، بو عبد الله، ٦٢
صلاح الدين (لأيوبي)، ٢٢٨
صلاح جرر، ١٨١
بن صمادح، رفيع لثولة ١٢٠
لصمادحي، نظر لمعتصم بن صمادح
لصمة بن عبد الله لفتيري، ٢٤٤
صموئيل بن يوسف بن نعريته، نظر: سماعيل بن نعريته
صموئيل هليفي، ٨١
صهيون، ٤٥
لصبي، ٨٢، ٢٢٤

ط

طارق بن زياد، ١٥، ٨٩
طالوت (الفقيه)، ٧١، ٧٤، ٩٢، ٢٧٦
بن طاهر، أبو عبد الرحمن متمد، ٢١٧، ٢٤١
أبو طاهر (معاصر لابن سهل)، ٢٠٦
أبو طاهر لأشكري، ٢٢١
طاهر مكي، ٨، ١٧٠-١٧٢
لطرطوشي، بن هيم بن يعقوب (الرحالة ليهودي)، ٣٢، ١٠٧
بن طفييل، ١٨٧، ١٨٨
طوطة (الملكة)، ٣٠، ٣١
طيفور لبسطامي، نظر: لبسطامي، أبو زيد (طيفور)
بن طيبان، ٢٨٨

ع

عابار (من أجدد ليهود)، ٣
عابد لتاسوت، ١٥٤-١٥٦
عابر بن شالح، ٢

عادل بشتاوي، ٧٦، ٨١
بن عاصم لغرناطي، ٢٦٣
بن أبي غابر، ١٧٨
أبو غابر بن لفرج، ١٦٤، ٢٢١
أبو غابر بن لمطفر، ٦٥
أبو غابر بن شهيد، نظر: بن شهيد، أبو غابر
غابر بن لفرج، ٢٢١
عادل لغشور، نظر: لغشار
أبو لغباس لاندلسي، ٩٢
أبو لغباس لجر وي، ١٤٦، ١٤٧
أبو لغباس (كاتب خبوس)، ٢٦٧، ٢٨٣
أبو لغباس لمريي (السلطان)، ١٥٠
أبو لغباس لينايشي، ٢٠٥
عبد الرحمن بن الحكم (الأمير)، ٨٦
بن عبد الغفور، ٢٦٣
عبد الغفور، أبو محمد، ٢٦٢
أبو عبد الله بن لحدد، نظر: بن لحدد، أبو عبد الله،
أبو عبد الله بن لسر ج، نظر: بن لسر ج، أبو عبد الله
أبو عبد الله لشزن، نظر: لشزن، أبو عبد الله
أبو عبد الله لصقلي، نظر: لصقلي، أبو عبد الله
أبو عبد الله لالندي، نظر: لالندي، أبو عبد الله
عبد الله بن أمية، ٢٩
أبو عبد الله لاندلسي (متصوف)، ٥١
عبد الله بن تلقين (خفيد باديس)، نظر: لأمير عبد الله
أبو عبد الله محمد بن شرف، ٢٧٤
عبد الحق لإسلامي، ٩٢
عبد الحق لمريي، ٢٨
عبد حميد لهمة، ١٧٤
بن عبد ربّه، ٩٣، ١٣٦
عبد الرحمن لدخل، ١٣
عبد الرحمن بن لمنصور (السلطان)، ٥٨
عبد الرحمن لتاصر (لخليفة)، ٣٠، ٤٠، ٥٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣،
٢١٥
عبد الرحمن بن هشام، نظر لمستظهر
عبد العزيز لأهو ني، ١٥٣، ١٧٢
عبد العزيز شهبر، ٣٨٠
عبد العزيز بن موسى بن نصير، ٢٦٩
عبد الكريم لقيسي، ٥٨، ١٦٦
عبد المؤمن، ٦٨، ١٨٢، ١٩٧
عبد المطلب مظهر، ٣٢، ٥٥، ٥٦، ٧٩، ٩٢
عبد ملك بن رزين، نظر: بن رزين، عبد ملك
عبد لوهاب لمسيري، ١١، ١٣، ١٧، ٢١، ٥٧، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨١،
٨٦
بن عبدوس، ١٩٣، ٢٧٣، ٢٧٤
عبد الله لشيبي (لمهدي)، ٥٩، ٢٧٥
عبد الله بن يحيى، ٧٣
أبو عبد الله لبركي، نظر: لبركي، أبو عبد
ابن عتبة الإشيلي، ١٤٩
ابن عذاري المرغشي، ٨، ١١، ١٣، ١٥، ١٧-٢١، ٢٧، ٣٠-٣٢،
٣٤-٣٦، ٣٨، ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٦، ٧٩،
٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩٧، ١٣٨، ١٤٤، ١٤٩، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٨،
١٨٧، ١٩٠، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨١،
٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧
عرفان فتاح، ٢
ابن لعريف، أبو القاسم (وزير باديس)، ٢٨٣
العز بن عبد السلام، ٢٠٠
ابن عزز ليهودي (المنجم)، ١٣٦
عز بن يعقوب اليهودي، ١٠١
عز بن خطاب، ٥٣
العشار، ٨٦، ١٤٥، ٢٧٢، ٢٧٣
عصمت دنش، ١، ٣٩، ٥٥، ٧٤
بن لعطار (العشار)، ٩٣، ٢٧٢، ٢٧٣
بن علاء، ٨٤
علم الدين بن لكويز، نظر: بن لكويز، علم الدين
علوة، ٢٢٢
علوي، ٥٩، ٦٠
بو علي لشلوبين، نظر لشلوبين، بو علي

قاضي لجماعة بقرطبة، ٣٥، ٦١، ٧٤، ٩٣، ١٨٧
 بن قبتال (حكيم)، ٥٦
 لقديس أدلبرت، ٨٠
 بن لقردي، ٢٩٠
 لقرطبي، تلميذ بن شهيد، ٢، ٤، ٢٢، ٧٠، ٩٣، ١١٨، ٢٢٨
 بن لقروي، نظر: علي بن لقروي
 بن لقروي لاسلمي ليهودي، ١٥٣
 بن قزمان، ٥٥، ١٠٤، ١١٠، ١١١، ١٥٣، ١٧٢
 قس بن ساعدة، ٢٣٥، ٢٣٩
 قسطنطين، ٣٠، ٣١
 قسطنطين لسابع، ٢١٦
 قسمنه بنت سماعيل، ٢٢٨، ٢٢٩
 لقسيس، ١٥٥
 لقصناعي، ٢٣٧
 لقطي، ١٨٩
 بن قننل ليهودي، ١٥٣
 لقومس، ٨٢
 لقومس بن أنثيان لنصري، ٢٩، ٣٠
 لقومس ربيع بن ثوديلفو، ٨٥
 قومس لنصاري، ٤٠
 لقزوني (لمورخ)، ٨
 قيس بن ملوح (المجنون)، ١١٢، ١١٣، ٢٢٥، ٢٤٤-٢٤٦
 قيطوس، ٢٤٩، ٢٥٠

ك

بن كثير، ٤٦، ٧١
 لكرماني، أبو لحكم عمرو بن أحمد، ٢١٧
 لكساد، حمد ١١٦
 كعب، ٢٣٥، ٢٣٩
 كليب بن ربيعة، ٢٧٣، ٢٧٤
 لكليم، نظر موسى عليه سلام
 كليم لله ٧٠٠، ١٣٠، ٢١٢
 لكندي، ١٩١
 كورينطي، ١٠٤، ١١٠
 لكوهن جناح، ٩٦
 بن لكويز، علم لدين، ١٤٣

ل

ل، د، أنيو (يهودي مغربي)، ١١
 لاروس، ٨٠
 بن لبابة، محمد بن عمر (الفقيه)، ٥٦، ٩١
 بن للباتة، ١٩٠
 بن لبرط، دوناشر، نظر: دوناشر بن لبرط
 بن لبون، ١١٢
 بن لبون، عيسى، ١٨٩
 لدريق، ١٣
 لسان لدين بن الخطيب، ٦٧، ١٣٦، ١٥٠، ١٥٢، ١٦١، ١٨٦، ١٨٨، ٢٧٠، ٢٧٦
 لقمان، ٢٣٥، ٢٣٩
 بن أبي لولا ليهودي (عامل لباديس في أليسانة)، ٢٢
 لوليام ف. ألبرت، ٢
 لينة، زوجة يعقوب، ٤
 ليفي بن لببان ليهودي، ١٠١
 ليفة = لينة
 ليتي، ١١٠، ١٩٣، ٢٤٦
 ليون لإفريقي، ٢٣٣

م

لموتل، بن هيم بن دريس، ١٤٩
 لموتين بن هود، ٣١، ١٣٠، ١٥٧، ١٦٦، ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥١، ٢٥٢
 لمويد، نظر هشام (ال خليفة)
 مانير بو لعافية ليهودي، ٢٢٩

علي بن يوسف، نظر: بن تاشفين
 بو لعلي لحسن بن خلاص، ٢٠٤
 علي بن خلاص (لمستنصر)، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٥
 علي بن أبي طاليب، ٥٩
 علي بن لعباس، نظر: بن لرومي
 علي عبد العظيم، ٢٧٢
 علي بن لقروي، ٢٨٦، ٢٨٧
 بن عمار، أبو بكر، ٢٢، ٣١، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٤١، ١٤٧، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٤١
 عمر بن الخطاب، ٤٥
 عمر بن أبي ربيعة، ٢٤٥
 عمر بن فارض، ١٨٦، ١٨٨
 عمر لمالقي (الفقيه)، ٢٦٦
 أبو عمر بناله للمثوني، ٢١، ١٤٤
 عمر بن سحاق، ١٠٤
 أبو عمر موسى، ١٨٠، ١٨١
 عمرو، ٢٧٢
 عمرو بن كلثوم، ٢٢٤
 أبو عمرو يحيى بن لجدة، نظر: بن لجدة، يحيى بو عمرو
 بن لعيميد، ٢٦٠
 بن عميرة، أبو عمر، ٢٠٤
 أبو عثان (السلطان)، ١٠٤، ٢٣٣
 لعنقاء، ٢٥٤
 بن عياش ليهودي، (صهر بن حسدي)، ١٦٤، ٢٢٥
 أبو عيسى، ٢٢٥، ٢٢٦
 عيسى (فتي أحمد لحميري لوزغي)، ٢٠٨
 عيسى بن عبد الله لشريشي، نظر: لشريشي، عيسى
 عيسى بن لبون، نظر: بن لبون، عيسى

غ

لعافقي، بن هيم لعافقي بو سحاق ١٩٨٠
 بن غرسية، ١٤٨
 لغزلي، ٩٩
 لغني بالله، (السلطان)، ١٦، ٢١، ٢٧٦
 لغيسوم، عبد الله بن حجاج، ١٠٤، ١١٥، ١١٦
 غيطشة (ملك)، ١٣

ف

لفان بي، ١٠٥، ١٨٧
 فايز لقيسي، ٢٥٧
 فايزة حجازي، ٣، ١٨٩
 لفتح، أبو فارس بن فارس بن أبو خفص، ٢٠٤
 بن لفخار، أبو الحسين، ٦، ١٥٨
 بن لفخار، ١٥٩، ٢٢١
 بن لقرء، نظر: لأخفش بن ميمون
 فرديناند، ٨١
 فرعون، ٢، ٧٠، ١٠٤، ١٨٠، ٢٠٥
 فرناندو لثالث، ٨١
 لفستاس، ٢١٦
 أبو الفضل بن حسدي ليهودي، ٥، ٦، ٢٧، ٣١، ٨٤، ٩٣، ١٠٧، ١٢٥، ١٣٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢-١٦٦، ١٩٦، ٢١٥، ٢١٧-
 ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦-٢٣٨، ٢٤١-
 ٢٤٤، ٢٤٦-٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤-٢٦٠، ٢٧٧، ٢٩٩
 أبو الفضل بن لذباغ، نظر: بن لذباغ
 فوزي عيسى، ٥٥، ١٦٧
 فيدس (مر بيهودي في ملحمة لسيد)، ٨٧

ق

قارون، ١٨٩
 أبو لقاسم بن الخطاط، ٥٢
 أبو لقاسم بن لعريف (وزير باديس)، ٢٨٢
 بو لقاسم بن يامين، ٦٩
 قاضي لجماعة بقرطبة، نظر: بن لأزرق

فهرس الأعلام

- مُ مَ مَكْسَن، ٢٠
مَ مَكْسَن، ١٩، ٢٠، ٢٦٧، ٢٨٢، ٢٨٧
مَالِك (الإمام)، ٦٦، ١٣٧، ١٤٥
مَالِك (حارس لنار)، ٢٢٧
مَالِكُ بْنُ مُرَحَّلٍ، ٢٠١
بْنُ مَالِكٍ، صاحب لألفية، ١٠١
لَمَامُونُ بْنُ ذِي الثَّوْنِ، ٨٥، ١٠٧، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٨٣
لَمَامُونُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ لَامِرِيٌّ، ٢١٦
لَمْتَنَبِي، ٤٧، ٥٥، ٧٢، ١٢٠، ١٢٦، ١٧٠، ١٧١، ١٧٩، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦
لَمْتَوَكَل : نَظَرُ: بِنُ لَافُطَس، عمر بِنُ مُحَمَّد
لَمَجْلُونُ، نَظَرُ: قَيْسُ بْنُ لَمْلُوح
مُحَمَّد (فتى بن سهل)، ٢٠٢
مُحَمَّد، أمير جَلِيقِيَّة، ٩٤
مُحَمَّد، أمير ماردة، ٩٤
مُحَمَّد، تاجر يهودي، ٩٤
مُحَمَّد بِنُ حُسَيْنٍ، ٣٠
مُحَمَّد لَرَعِينِي بِنُ أَبِي دِينَار لَقِيَزَوْنِي، ٨
مُحَمَّد لَرَيْسُونِي، ٢٢٨
مُحَمَّد لَسْعِيد، ٤٧
مُحَمَّد، سلطان لمغرب، ٢٧٠
مُحَمَّد بِنُ شَرِيفَة، ٢٦٥، ٢٦٦
مُحَمَّد بِنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ (السلطان لمخلوع)، ٣٣
مُحَمَّد بِنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِنُ لَحْم (من أمرء بني أُسَيَّة)، ٢٩
لَشَقُورِي، مُحَمَّد بِنُ عَلِي، ٢٩٩
مُحَمَّد بِنُ عَلِي، نظر لَشَقُورِي
مُحَمَّد (فتى)، ٢٠٨
مُحَمَّد، فتى بن نغريلة، ٣٨
مُحَمَّد لَقَرْمُوطِي لَمُرْسِي، ٩٨
مُحَمَّد ﷺ، ٢٠٢، ١٩٩، ١٣٤، ١٣٢، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣، ٢٤٠، ٢٩٢
مُحَمَّد بِنُ هَانِي، نظر بِنُ هَانِي، مُحَمَّد
لَمَرْكُشِي، نَظَرُ بِنُ عَدَارِي لَمَرْكُشِي
بِنُ مَرْج لَكَل، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣
مَرْحبا ليهودي، ١٩٤
بِنُ لَمُرَحَل، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢
بِنُ مَرْدَنِيش، ١٨٠
بِنُ مَرَزُوق، ١٨٤، ٢٠١، ٢٠٣
بِنُ لَمَرْشَانِي، ٢٢١
مَرُؤُ بِنُ جَنَاح ليهودي، ٩٥، ٩٨، ١٠٠
مَرْبِم (جارية يهودية)، ١١١
لَمُسْتَظْهَر، عَبْدُ لَرَحْمَنِ بِنُ هِشَام، ٢٨٩
لَمُسْتَعِين بِنُ هُود، ١٥٧، ٣١، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٦
لَمُسْتَعِين، نظر: بِنُ هُود
لَمُسْتَنْصِر، نظر: لَحْكَم لثَانِي بِنُ عَبْدِ لَرَحْمَنِ لَمَرْوَنِي
لَمُسْتَنْصِر، نَظَرُ: لَمُسْتَنْصِرُ عَلِي بِنُ خَلَّاص
لَمُسْتَنْصِر، لخليفة، ٢٢٧
مَسْعُود كَرَنِي، ٨
لَمَسِيح لَدَجَال، ١٤١
لَمَسِيح عليه لسلام، ١٠٦، ٧٦، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٥، ٢٣٤، ٢٧٧، ٢٨٩
بِنُ مِسْعَل ليهودي (متغير لمُعْتَمِد)، ٢٤، ٣٢
مِسْلَم بِنُ يَعْقُوب ليهودي، ٩٩
مُصْطَفَى لَعَدِيرِي، ١٧٤
أَبُو لَمُطَرَف بِنُ لَدَبَاغ، نَظَرُ: أَبُو لَفَضْل بِنُ لَدَبَاغ
بِنُ مَطْرُوح لَسَرْقَسْطِي، ٨٦، ٢٢٣
لَمُطَفَر، نَظَرُ: بَادِيَس بِنُ خُبُوس
لَمُطَفَر بِنُ هُود، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٠
مُعَاذ، ١٠٤
بِنُ لَمُعْتَر، ٥٠، ٥١، ١١٢، ١٦١
لَمُعْتَصِم بِنُ صَمَادح، ٣٦-٣٩، ١١٣، ١٣٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٩، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٧، ٢٨٨
لَمُعْتَصِد، ٢٢، ٢٣، ١٣٠، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٧، ١٦٥
بِنُ لَمُعْتَمِد، سرج لدولة، ٢٢
لَمُعْتَمِد بِنُ عَبَاد، ٢٢-٢٤، ٣٢، ٥٢، ٥٨، ٦٧، ٦٨، ١٤٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٩٠، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٧١، ٢٧٥
لَمُعَرِّي، ١٨٠، ٢٢٦، ٢٤٦
بِنُ لَمُعَر، نظر: تميم بِنُ لَمُعَر
لَمُعَر بِنُ بُلْقَيْن (حفيد بَادِيَس)، ٣٦، ٣٢، ١٣٢
- لَمُعَر لَدِين لَفَاطِمِي، ١٢٦، ١٩٥
مَعْمَر، ٢٦٦
مُغِيث، ١٦
بُو لَمُغِيزَة بِنُ خَزْم، ٣٢، ٢٦١، ٢٦٢
لَمُغِيلِي، ٧٧
لَمُغْتَدِر بِنُ هُود، ٣١، ١٣٦، ٢١٨، ٢٤١، ٢٥١-٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٠
مُقَدَّد رَجِيم، ٢٠٦
لَمُقَرِّي (الجد)، ١٨٦، ١٨٨
لَمُقَرِّي، ٧، ١١، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٢-٢٥، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٤١-٤٤، ٤٧، ٥٢-٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٣-٦٥، ٦٨-٧٢، ٧٤، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٩٢، ٩٨، ١٠٤، ١١٠-١١٣، ١١٥-١١٧، ١٢٠، ١٢١، ١٢٦، ١٣٢-١٣٧، ١٣٩، ١٤٣، ١٧١، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧
لَمُقَرِيزِي، ١٤١، ١٤٣
لَمَالِكِي (لَمُورَخ)، ٨
لَمَالِك، ٦، ١٣، ٢١، ٢٩، ٥٣، ٦٩، ٨٠، ١٤٤، ١٥٢، ١٩٠، ١٩٤، ٢٣١، ٢٨٢، ٢٨٨
لَمَالِك جِيمِس لَأَوَّل، ٢٤
لَمَالِك رِيكَارْد، ١٣
لَمَالِك سِيْرِيُوت، ١٣، ٢٩
مَالِك غَرْطَاة، ٢٨١
لَمَالِك لَقِشْتَالِي، ٨٠
لَمَالِيكُشِي، نَظَرُ: بِنُ هِيم لَمَالِيكُشِي
مَمْلُوك يهودي، ٨٠
بِنُ سُرُوق (سوروق= سوروك) ليهودي نظر: مَنَاجِم بِنُ سُرُوق
مَنَاجِم بِنُ سُرُوق (سوروق= سوروك) ليهودي، ٩٥، ١٠٠، ١١٦
مَنَاجِم بِنُ لَقُول ليهودي، ١٠٤
لَمَنْصُور، لَسُلْطَان، ١٣، ٣١، ٤٧، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٦٥، ٦٨، ٨٢، ١٤٦، ١٤٩، ١٧٦، ١٧٨
لَمَنْصُور بِنُ بُو عَامِر، ٢٢، ٤٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٨٧، ٢٢٢
لَمَنْصُور، يَعْقُوبُ بُو يُونُس (لَسُلْطَان)، ٥٤
لَمَنْقَل، بِنُ خَيْرَة لَقَرْطَبِي، ٧، ٨، ١١٣، ١١٤، ١٢١، ١٢٢، ١٢٩
١٤٥، ١٤٦، ١٥٠، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠
لَمَهْدِي، نظر عُبَيْدُ اللَّهِ لَشَيْعِي
لَمُهْلَل خُو كَلِيب، ٢٧٤
مُوسَى عَلَيْهِ لَسَلَام، ٢، ٣، ٧٠، ٧١، ٨٩، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١٢٦-١٢٩، ١٧٦، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٥، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٩٥، ٢٩٩
مُوسَى بِنُ زَرْق، نظر زَرْق، مُوسَى
مُوسَى بِنُ نُوح (حَنُوح هَنُوح) ليهودي، ٢٩، ٩٥
مُوسَى بِنُ حِيكَانِيلا ليهودي، ١٠٠، ١٠١
مُوسَى لَرُوبِلِي ليهودي، ١١٦
مُوسَى بِنُ عَبْدِ لَصَمْد ليهودي (مليح شيبلييه)، ١٠٥، ١١٦، ١١٧
مُوسَى بِنُ عِزْر ليهودي، ٢٧، ١٠٥
مُوسَى بِنُ عَمْرَن، نَظَرُ: مُوسَى عَلَيْهِ لَسَلَام
مُوسَى بِنُ أَبِي عَمْرَن، ١٨٢
مُوسَى (فتى بن سهل)، ٢٠٢، ٢٠٧، ١١٧، ٢٠٥
مُوسَى بِنُ مَفْرُوح ليهودي، ٢١
مُوسَى بِنُ مَيْمُون ليهودي، ٢، ٩٣، ٩٦، ٩٩، ١٠٤، ١٠٥، ١٤٦
مُوسَى بِنُ نَصِير، ١٥، ٢٧٠
مُوثَغِيرِي وَت، ٤، ١٦، ٩٢، ٩٦
بِنُ مَيْمُون ليهودي (عامل بَادِيَس فِي أَلِيَسَانَة)، ٢، ٢١، ٢٢، ٨٦، ١٤٥
مَيْمُون، ١٠٤

ن

- لَنَابِغَة لَدَيَّانِي، ٢٤٧
نَادِب، ٢٩٥
نَافِع عَبْدُ اللَّهِ، ١٧٢
بِنُ نُبَاة، أَبُو نَصْر، ٢٩٣
لَنُبَاهِي، ١٧٤

ي

بْنُ يَاسَمِين، ١٤٦
يَعْقُوبُ (السُّلْطَانُ)، ٢٦
يَعْقُوبُ لَمْنُصُور، نظر: لَمْنُصُور، يَعْقُوبُ أَبُو يُوْسُفَ (السُّلْطَانُ)
بْنُ لَيْثَان، نظر: دُرَيْسُ بْنُ لَيْثَانِ
بْنُ يَتَالَه، ٢١، ٥٧
أَبُو يُوْسُفَ، نظر: لَمْنُصُور، يَعْقُوبُ (السُّلْطَانُ)
يُوْسُفُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَدَيَ لِيَهُودِيٍّ، أَبُو جَعْفَرٍ، ٢١٦
يُوْسُفُ بْنُ تَاشَفِين، نظر: بْنُ تَاشَفِين، يُوْسُفُ
يُوْسُفُ، أَبُو يَعْقُوبَ (التَّاجِر)، ٨٤
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ لِحْكَمٍ (أَمِيرُ أُمُورِي)، ٢٩

لَنَبِيِّ ﷺ، ١، ٢، ٢٦، ٤٢، ٦١، ٧١، ٩٢، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٨، ١٥١، ١٩١، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٨-٢١٠، ٢١٢-٢١٤، ٢٣٧، ٢٧٣، ٢٧٦
لَنَبِيِّ يَعْقُوبَ، عَلَيْهِ لِسْلَام، ١
لَنَدِيمٍ، (صَاحِبُ لِفَهْرِسْت)، ٩٨
نَزْهُونَ لِيَهُودِيَّةٍ، ١٥٢
نَسِيمُ لِأَسْرَ نِيلِي، ٥، ٢٢٩
أَبُو النَّصْرِ مَنصُور (المُعْتَقِي)، ٨٥، ١٠٧
أَبُو نَصْرِ بْنُ ثُبَاتَةَ، نظر: بْنُ ثُبَاتَةَ، أَبُو نَصْرِ
لَلْعَتَانِ، ٤٠
أَبُو لَنَعِيمٍ لَجَنُودِيٍّ، ٩٢
بْنُ نَعْرَلَةَ أَوْ نَعْرَلَةَ أَوْ نَعْرَلَةَ أَوْ لَنَعْرَلَتِي أَوْ لَنَعْرَلِي، نَظَرُ:
بْنُ نَعْرَلَةَ (الْوَزِيرِ)
بَنَاتُ نَعْرَلَةَ، ١٣٧
بْنُ نَعْرَلَةَ، (خَالُ لَوَزِيرِ) ١٥٨
بْنُ نَعْرَلَةَ (لَوَزِيرِ)، ٧، ١٤، ١٧، ١٩، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٨، ٩٧، ١٠٠، ١٠٣، ١١٣-١١٥، ١١٩-١٢٣، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤-١٤٧، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٨، ١٧٠-١٧٢، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧-٢٣٩، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٧٩-٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢-٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٩
بْنُ نَعْرَلَةَ، سَمَاعِيلُ، ١٩، ٣٠، ٣٦، ٣٨، ١٠١، ١١٩، ١٢٣، ١٢٥، ١٣١، ١٧٤، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٧٩-٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٨
لَلْمَرْوَدِّ، ٢
أَبُو نُوسَ، ١١٠، ١١٧، ١١٢، ١٢٦، ١٢٧، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦
نُوحُ عَلَيْهِ لِسْلَامُ، ٧١
نُوزِيرَةُ، ٦٤، ١٧٧

هـ

هَارُونُ لِيَهُودِيٍّ (وَزِيرُ عِنْدَ لِحَقِّ لَمُرَيْثِيٍّ)، ٢٨
هَارُونُ (صَرَفُ يَهُودِيٍّ بَفَاسَ)، ٣٤
هَارُونُ لِرَشِيدِ، ١٢٦، ١٥٦
هَارُونُ بْنُ عَمْرٍ (خُو لَنَبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ لِسْلَامُ)، ١٨٠، ٢٠٥، ٢٩٥
هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ٢٩٠
بْنُ هَانِي لَأَنْدَلُسِيٍّ، ١٢٦، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٢، ١٩٥
هَشَامُ بْنُ لِحْكَمٍ (لِخَلِيفَةِ)، ١٧٨
هَشَامُ لِأَوَّلِ (بْنُ لِحْكَمٍ)، ١٤
هَشَامُ لِمُوَيْدِ، لِخَلِيفَةِ، ٥٨، ١٤٩، ١٩٠
هَشَامُ، ٢٣٥، ٢٣٩
بْنُ هَمَشَك، بَنُ هِيمِ، ١٨، ٥٥
هَنَاءُ أَبُو لَرَبِّ، ١٣٩
هِنْدُ وِي، ١، ٣٩، ٩٨-١٠٧، ١١٩، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٧، ٢١٦
بْنُ هَنُوحَ (خَلُوحَ) لِيَهُودِيٍّ، نظر: مُوسَى بْنُ أَنُوحَ
هَتِيغِد (הַתִּיגַד = لِأَمِيرِ)، نَظَرُ: سَمَاعِيلُ بْنُ نَعْرَلَةَ
هُوْتُو لِأَوَّلِ، لِأَمِيرِ طُورِ، ٣٢
بْنُ هُودِ، ٦، ١٨، ٥٣، ٥٤، ٦٤، ١٣٦، ١٤٩، ١٨٣، ٢٠٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٦٠
بَنُ هُودِ، لِمُسْتَعِينِ، ٢١٨
هُوْلَاكُو، ٥١
هَيْلِينَا، ٣١، ٢١٦

و

لَوَطَّاسِي (السُّلْطَانُ)، ١٩١
أَبُو لَوَلِيدٍ لِتَاجِيٍّ، ٢٩٠
أَبُو لَوَلِيدٍ بْنُ زَيْدُونِ، ٢٢، ١٦٥، نَظَرُ: بْنُ زَيْدُونِ
أَبُو لَوَلِيدٍ لَوَقْشِيٍّ (القَاضِي) مَنشَدُ لِسِيدِ، ٨٧
لَوُثْشَرِيْسِي، ٤٤-٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٦-٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١٠٤، ١٤١

== فِهْرَسِ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ وَالْجَمَاعَاتِ وَأَصْحَابِ الْمِهَنِ ==

فِهْرَسِ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ وَالْجَمَاعَاتِ وَالْمِهَنِ

أ

أَيْمَةُ لُصُوفِيَّةٍ، ١٨٧
أَبْنَاءُ الْفُقَرَاءِ، ٩٧
أَبْنَاءُ الْمُسْتَوْطِنِينَ، ٧٩
أَبْنَاءُ الْمُسْلِمِينَ، ١٩٨
أَبْنَاءُ النَّصَارَى، ٨٠
أَبْنَاءُ الْيَهُودِ، ٩٤، ١٨٩، ١٩٩، ٢١٣
أَثْنَا عَشَرَ لَتَجْسِيمِ، ٢٦
لَأَجَانِبُ، ٧٩
لَأَجْناسُ، ٨٩
أَخْبَارُ الْيَهُودِ، ٥٢، ٩٣
لَأَدْبَاءُ، ٤١، ٤٤، ٧١، ٨٤، ٨٧، ١٢٦، ١٧٣، ١٩٧، ٢٠١، ٢٨٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٩
أَذْلَاءُ بَنِي النَّضِيرِ، ٢٧٣
لَأَرْكَلُونَ، ١٤٨، ١٦٧
أَرْقَاءُ نَصَارَى، ٧٥
رُقَاءُ لِيَهُودِ، ٧٥
سَاتِدَةُ لِعَرَبِ، ١١٧
لَأَسْبَاطُ، ٤١
لِإِسْبَاطِ، ١
سُرَى لِحَرْبِ، ٨٠
لِإِسْلَامِيَّوْنَ، ١٨
لِإِسْكَانِ (لِيَهُودِ لَأَوْرُؤَبْيُونَ)، ٤٥
صَحَابُ لَتَثْلِيثِ، ١٦١
صَحَابُ لَتَجْسِيمِ، ١٦١
صَحَابُ لِحَانَاتِ، ١١٦
لَأَطْبَاءُ، ٨٥، ١٣٥، ٢٥٠
طِبَاءُ لِيَهُودِ، ١٠٣، ١٠٤
لَأَطْفَالُ، ٨٠، ٩٤
لَأَعَاجِمِ، ٦٨
أَعْلَامُ لِيَهُودِ، ١٧٥، ١٩٦
لَأَعْيَارُ، ٧٦، ٨٨
لِإِفْرَاجِ، ١٩٦
لِأَقْلِيَّاتِ، ٨٩، ٢٠٤
لَأَمْرٌ، ٤١، ٢٥، ٢٦، ٣٢، ٤٢، ٨١، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٩٢، ٢٥٧، ٢٦٩، ٢٨٧
أَمْرٌ بَنِي هُودِ، ٢١٨
لَأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ بَلْقَيْنِ، ١٩-٢٢، ٢٨، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٣، ١٢٨، ١٣١، ١٥٣، ١٥٧، ٢٧١، ١٧٢، ٢٧٥، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٨١
لَأَنْبِيَاءُ، ١٣، ١٤، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٧، ١٢٧، ١٩٥، ٢٧٤، ٢٩٦، ٢٩٨
لَأَنْدَلُسِيَّوْنَ، ٤، ١٩، ٢٩، ٥٧، ٦٢، ٧٦، ٨٠-٨٢، ١١١، ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٦، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٨، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٥
لَأَنْذَلِ، ١٤١
أَهْلُ شَيْبِلِيَّةٍ، ٢٢٩
أَهْلُ فَرِيقَةٍ، ٢٠٢
أَهْلُ أَلْبَسَانَةِ، ٢١، ٨٦
أَهْلُ لَأَنْدَلُسِ، ٢٤، ٢٥، ٤١، ٥٣، ٥٥، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٦، ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٨١، ٢٨٩
أَهْلُ لِبَدْعِ، ٥٦
أَهْلُ بَلْسِيَّةٍ، ١٦٦
أَهْلُ لَتَثْلِيثِ، ٢٧٧
أَهْلُ حَيْبِزِ، ٢٦٦
أَهْلُ دَنْيَةِ، ٨٧، ١٤٥
هَلْ لَكَوْلَةٍ، ٢٠

هَلْ لَدَنْتَةِ، ١، ٤، ٨، ٢٢، ٢٧، ٣٢، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٨، ٧٤، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٠-٩٢، ١٠٧، ١٢٢، ١٥٠، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٩٢
أَهْلُ لَسَبَبِ، ٧٠، ٧١
أَهْلُ صَنْهَاجَةٍ، ١٧٠
أَهْلُ لَطَّاهِرِ، ٢٨٩
أَهْلُ لِعَجَلِ، ١٨٠
أَهْلُ غَرْنَاطَةِ، ١٤٧، ٢٨٨
أَهْلُ قَاسِ، ٦٠
أَهْلُ فَرْطِيَّةٍ، ٥١، ١١٨، ٢١٧، ٢٦١
أَهْلُ لَقَلَّةِ وَلَدَنْتَةِ، ٢٨، ٢٩٣
أَهْلُ لِكَتَّابِ، ١
أَهْلُ لَكُفَرٍ وَلَشَرِكِ، ٢٨، ٢٩٣
أَهْلُ لِمَخَالِكِ، ٢٧، ٢٩٢
لَأَوْسُ، ١٤٤، ١٩٤
أَوْلَادُ لِيَهُودِ، ٩١
أَوْلَادُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ لِسَلَامِ، ٢٩٧
أَوْلُو لَأَبْنَى لِقُرْدِ، ٢٧٤
يَزِمِ، ١٩١

ب

لِبَاجِثُونَ، ٦٣، ١٧١، ١٧٣
لِبَاغَةُ لِمُتَجَوِّلُونَ، ٨٤
بَاغَةُ لِحُصْرِ، ١١٦
لِبَزْ بَرَّةِ (لِبَرِيرِ)، ٨، ١٣، ١٤، ٣٩، ٦٠، ٩٠، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٥-١٤٧، ١٥٠، ١٦٩، ١٧٠
لِبِر مَكَّةَ، ٢٦٨
لِبَرِيرِ، نَظَرُ: لِبِر بَرَّةِ
بِرْبِرِ صَنْهَاجَةٍ، ١٧٠
بَلِي (سَمِ قَبِيلَةٍ)، ١٧٥
لِبِرَّ وَوُزْ، ٢١
بَنَاتُ لِمُسْلِمِينَ، ٨٢
بَنَاتُ لِيَهُودِ، ٦٠، ١٠٩، ١١٠
بَنَاتُ شُعَيْبِ، ٢٠٥
بَنُو لَأَحْمَرِ، ١٨٦
بَنُو سِحَاقِ، ١٧٣
بَنُو سُرَنْبِلِ، ٢، ٣، ٤، ٢٢، ٥٩، ٦٥، ٧١، ٧٩، ٨٩، ١٤٢، ١٥٢، ٢٣٧، ٢٦٥، ٢٧٦
بَنُو مُيَّةَ، ١٢، ١٩، ٢٩، ٧١، ٧٤، ٨٥، ١٤٩، ٢٣٣
بَنُو لَشَخْمَاتِ، ١٤٧
بَنُو لَتَضِيرِ، ١٠٩، ٢٧٣
بَنُو قَرْيَظَةِ، ١٤٤
بَنُو لَيْلَى - بَنُو لَيْبَةِ وَ لَيْقَةِ (لِيَهُودِ)، ١١٠
بَنُو مَدْيَانَ، ٧٩
بَنُو مَرْدَخَايَ، ٢٦١
بَنُو مَرْيَمَ، ٢٨، ١٩١
بَنُو هُودِ، ٣١، ٨٢، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢
بَنُو يَعْزَبِ، ١٠٢

ت

تَاجِرُ يَهُودِيٍّ، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ٩٤، ٢٦٣
لَتُجَّارُ، ٧٨-٨٠، ٨٢
تُجَّارُ لَرَقِيقِ، ٧٩
تُجَّارُ لِمُسْلِمِينَ، ٧٧
لَتُجَّارُ لَتَنْصَارَى، ٨٠
تُجَّارُ لِيَهُودِ، ٧٨، ٧٩، ٨١-٨٣

ث

لَثَانِيرُونَ، ٢٩٢

ج

جَارِيَّةَ، ٨١، ٨٢

== فِهْرَسِ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ وَالْجَمَاعَاتِ وَأَصْحَابِ الْمِهَنِ ==

لجالية ليهوديّة بقرطبة، ٨٩
لجبايير، ١٨٢
جديس، ٢٧٤
لجَزَّرون، ٢٢٢، ٢٢٤
لجُفَرُفيون، ٤٠
لجماعات ليهوديّة، ١٠٦، ٢٨٥
لجماعة Aljama، 40
لجماعة لعنّاء، ١٠١
جماعة ليهود، ١٤٩، ٢٠٨
لجماهير، ٧٦، ٨٦
لجنّ، ١٦٣
لجنود، ١٧٠
جنود طالوت، ٧١
لجوري، ٧٨-٨١، ٨٢، ١١٠، ١٨٨
جوري ليهود، ١١٠
لجيش، ٨٠
جيش لملك لقشتالي، ٨٠
جُيُوش قشتالة، ٨١

زنّانة، ٦٠
لزلّوج، ٢١٣

س

سادة يهود لآندلس، ١٢٠
ساميريّة، ١٧٦، ١٧٧
ساميريون، ١٧٨
سجينة يهوديّة، ٨٢
السّخرة، ٧٠
السّقاء، ١٣٤
سقلّة اليهود، ١٣٤
سُكّان البلاد، ٩٢
سُكّان خيبر، ٢٦٦
السلّطين، ٢٠، ٢٨، ٥٥، ٩١، ١٢٠، ٢٦٠
السّلالة المرينيّة، ١٩١
السياسيون، ١٩٥

ش

شاعر ت عصر الطوائف، ٢٢٨
شعْب إسرائيل. نُظِرَ: سَنَ نِيل
الشّعْب ليهودي، ١٠٦
الشّعْرَاء، ٧، ١٢، ٢٣، ٣٢، ٤٤، ٥١، ٥٥، ٧٢، ٨٥، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤-١٤٦، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٢-١٦٥، ١٧١، ١٧٧-١٨٠، ١٨٩-١٩١، ١٩٣، ١٩٥-١٩٧، ٢٠٧-٢١٠، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٨٥
شعراء لآندلس، ١٠٩، ١٠٩، ١٧١، ١٨٩، ٢٩٩
شعراء لعالم، ١٠٢
الشّعراء لمشاركة، ٢٤٥
شعراء ليهود، ١٠٣، ١١٨، ١٦٠، ١٩٦، ٢٢٦
الشّواوون، ٨٥
لشّياطين، ١٢٨، ٢٧٤
لشّيوخ، ٣٣، ١٩٨، ٢٧٠
شيوخ مُسلمون، ٩٦

ص

صاحب ثونس، ٢٠٤
صاحب لشرطية، ٨٢
صاحب لمدينة، ٩١
لصّحابة، ١٩٣
لصّقالبة، ٣٠، ٣٩، ٧٦، ٨٠، ١٧٨
لصّليبيون، ٥٥
صنّاجه، ٣٩، ١٣٩، ١٦٧، ١٧٠، ٢٧٩
لصنّاجيون، ١١٨، ١٧٠
لصّوفيون، ١٦١، ١٨٥
لصّيدالة، ٨٥

ط

طائفة لسامريون، ١٧٥
لطائفة ليهوديّة، ٤٠، ٥٧، ٨٩، ٩١، ٩٧، ١٩٨
لطالبيون (المنسوبون لى علي بن أبي طالب)، ٥٩
لطبّاخون، ٨٥
طلّنة ليهود، ٩٧
لطوائف، ١، ٧، ١٢، ١٤، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٩، ٧٠، ٨١، ٨٩، ١١٩، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٧، ١٩٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٥٧، ٢٦٥
لطوائف ليهوديّة، ٨٧
لطوم، ٢٣٨، ٢٧٧، ٢٩٥

ع

لعارفون، ٥١

ح

خاخامات لبلاط، ٩٧
لخاشية، ٨٠
خاكيم لمسلمين، ٩٤
لخرس، ٨٠
لخريم، ١٣٢
حريم باديس، ١٣١
لحكّام، ٢٧، ٣٤، ٤٠، ٥٦، ٧٧، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ٢٥٤
حكّام لمسلمين، ٩٣
لحكّماء، ٩٣، ١٠٥، ١٨٩، ٢٤٩، ٢٥٠

خ

لخدم، ٧٨، ١٢١، ٢٤٢
خدم لعسكر، ٦٧
لخلفاء، ١٢٢
لخيايرة، ٢٦٦
لخييري، ٢٦٦

د

لدروسون، ١٧٣، ١٩٩

ذ

لذمتيون، ٢٦، ٥٦، ٩٠-٩٢

ر

لرّهيات، ١١٢
رَبّائِي، ٣، ١٥٥
لرَبّائِيون، ٣، ١٥٦
لرّجال، ١٤٠، ٢٨٣
رِجَالُ الدّين، ٢١٠
رِجَالَات لآندلس، ١١٩، ١٣٠
رِجَالَات لبلاط ليهود، ٩٧
لرّسل، ٢٠٩
لرّسل (رسل لملوك ولأمراء)، ٦٧
لرّقيق، ٣٩، ٧٩-٨١، ٩٢، ١١٦
لرّمّبان، ١١٢
رُود لفلسفة ليهود، ١٠٤
لرّوم، ٢، ٨، ١١، ٥٨، ٨٢، ١٦٦، ١٩٨، ٢٤٢

ز

ز عمّو لتثليث، ٢٦

== فِهْرَسِ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ وَالْجَمَاعَاتِ وَأَصْحَابِ الْمِهَنِ ==

ك

لِكْتَابِ، ٥٨، ١٩٣، ٢٠١، ٢١٥، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٦
لِكْتَابِ لَعَرَبِ، ٢٤٢
لِكُتَّانِ، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣
كَخَالِ (جَمَاعَةُ لِيَهُودِ)، ٤٠

م

الْمُؤَرِّخُونَ، ٨، ١٤٣، ١٧١، ١٧٢
الْمُتَأَمِّرُونَ، ١٩
الْمُخْتَسِبِ، ٨٤
الْمَرْبُطُونَ، ١٤، ٢٤، ٣٢، ٤٠، ١٥٣، ١٨٢
الْمَرْبُوبُونَ لِحَقِيقَتِهِمْ، ٨٨
الْمَرْبُوبُونَ لِمُخْتَرِفُونِ، ٨٨
الْمَرْأَةُ لِيَهُودِيَّةٍ، ٦٠، ١٠٩
الْمَرْأَةُ لِلصَّرَافِيَّةِ، ٥٨، ٦٠
الْمَرْبُوبَةُ لِيَهُودِيَّةٍ، ٨٨
الْمَرْبُوبَةُ، ٢، ١٤
الْمَرْبُوبُونَ، ١٢٧، ٢٠٩
مُسَاكِينُ لِمُسْلِمِينَ، ٩١
لِمُسَالِمَةٍ، ٣٩، ٩١
مُسْلِمُونَ لِأَنْدَلُسِ، ١٥٣
لِمُسْتَشَارُونَ، ٤٠
لِمُسْتَشْرِقُونَ، ٢٦٥
لِمُسْتَنْصَغِفُونَ، ٢٦٤
لِمُسْتَعْرِبُونَ، ٣٩، ١
لِمُسْلِمَاتِ، ٥٨
لِمُسْلِمُونَ، ١، ١٢٠٧، ١٣، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٤، ٢٦، ٣٢، ٣٧، ٣٩، ٤٣، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٨٦، ٨٨، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ١١١، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٨١، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٤، ٢٣٤، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٨٦، ٢٨٨
لِمُسِيحِيَّاتِ، ١٧٧
لِمُسِيحِيَّيْنَ، ٨٠، ١٤٩
لِمُشَارِقَةٍ، ٥٠، ٥٢، ٦٤، ١١٢، ١٤١، ١٨٠، ١٨٩، ٢٤٥، ٢٦٥
مُشَاهِيرُ لِيَهُودِ، ١٧٥
لِمُسْتَرْكُونَ، ١٤٨
مُشِيخُهُ لِيَهُودِ، ٢٦٨
لِمُسْتَعْرِبُونَ، ١٧٤
لِمُصَانِمَةٍ، ٤٧
لِمُعَاهِدُونَ، ٩٠
لِمُعَرِّفُونَ، ٩٢
لِمُعَلِّمُونَ، ٢٥٠، ٢٨٦
لِمُعَارِفَةٍ، ٤٦، ٥٥، ٢٠٢
لِمُفَسِّرُونَ، ٧١
لِمُلُوكِ، ٦، ١٤، ٢١، ٢٥، ٢٨، ٣١، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥٤، ٧٦، ٨٨، ٩٧، ١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٨، ١٤١، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٩، ١٨٨، ١٩٠، ٢٢٢، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٩٠، ٢٩٣
مُلُوكُ بَنِي سَرَنْيَلِ، ٢٣٧
مُلُوكُ لِأَنْدَلُسِ، ٩٧، ١٠٤، ٢٥١
مُلُوكُ لَطَرْيَفِ، ٨١، ١٤١، ١٥٢، ٢٥٧
مُلُوكُ لَعَرَبِ، ٩٧، ٢٢٧
مُلُوكُ لَعَرَبِ وَلَعَجِمِ، ١٩٠
مُلُوكُ غَرْنَاطَةِ، ١٣٢
مُلُوكُ قَشَّالَةِ، ٨١
لِمُسَوِّلُونَ لِيَهُودِ، ٨١
لِمُنْفِيُونَ، ١٠٣
لِمُؤَخَّخُونَ، ١٤، ١٨، ٢٤، ٢٩، ٤٧، ٤٩، ٥٥، ٨٢، ٢٠٤
لِمُؤَظَّفُونَ، ١٤٤
لِمُؤَلِّثُونَ، ١، ٣٩

عاد (قوم ثمود)، ٢٧٤

لِعَامَّةِ، ٧، ١٥، ١٩، ٣٥، ٥٩، ٦٢، ٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٢، ١١٠، ١١٩

١٧٢-١٧٠، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٨١، ٢٨٧

عَامَّةُ النَّاسِ، ١٥٢

عَبَادُ لِأَنْجِيلِ، ١٥٥

لِعَبْرَانِيَّيْنِ، ٢، ٣، ١٠، ١٩٤

لِعَبْرَانِيَّيْنِ، ٢

لِعَبِيدِ، ٧٦، ٧٩-٨١، ٢٧١

عَبِيدُ مُسْلِمُونَ، ٧٩

عَبِيدُ لِنَصَارَى، ٧٩

لِعَجْمِ، ١، ٣٩، ٦٨، ١٤٠، ١٤٨، ١٩٠، ٢٤٩

لَعَرَبِ، ٥-١، ٧، ٨، ١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٦-٢٩، ٣١

٣٢، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٦، ٤٩-٥٤، ٦٤، ٦٦-٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٨٠، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٧، ٩٩، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٧-١١٥، ١٢٥-١٢٣، ١٣١-١٣٤، ١٤٢-١٤٤، ١٥٣-١٥٥

١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧-١٧٩، ١٨٤-١٨٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٥، ١٩٩، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٨-٢١١، ٢١٤، ٢٢١-٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٣-٢٣٩، ٢٤١-٢٤٩، ٢٥١-٢٦٠، ٢٦٢-٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٩

٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٧

عَرَبُ لِبَطَاحِ، ٢٦٤

لِعُلَمَاءِ، ١٤، ٣٨، ٥٤، ٥٨، ٧٣، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧

١٨٩، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٧١، ٢٩٠

عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَئِيلَ، ٢٨١

عُلَمَاءُ لِمُؤَلَّفِيَّةِ، ١٨٨

عُلَمَاءُ لِقَلْبِ، ١٣٤

عُلَمَاءُ لِمُوسِيقَى، ٧٣، ١٠٧، ٢٢٨

عُلَمَاءُ لِيَهُودِ، ٣، ٩٥، ١٨٨

لِعُلُوجِ، ١٤١

لِعُمَالِ، ٨٧

غ

لِغَزَلِيَّيْنِ، ١١٢

لِغُلَامِ، ٧٨، ١١٥، ١١٧، ١٧٣

ف

لِفَاتِحُونَ، ١٥، ١٦، ٣٩

فَتَيَاتُ لِيَهُودِ، ١١١

لِفَرَسِ، ٢، ٢٧٣

فَرْقَةُ لِسَامِرَةٍ، ١٧٦

لِفَقْرٍ، ٣٨، ٩٧

لِفُقَهَاءِ، ٢١، ٢٣، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٧١، ٧٣، ٨٣، ٩١، ١٤١

فُقَهَاءُ قُرْطُبَةٍ، ٨٠، ٩٣

فَلَاخُونَ، ٣٤، ٧٥، ٧٦

لِفِينِيصِيَّيْنِ، ١١

ق

لِقَادَةِ، ٢٠، ٤٧، ٤٨، ١١٩، ١٢٢

لِقَرْمِطَةٍ، ٥٩، ٦٠

لِقَاتِلُونَ، ٨٥

لِقَوَاطِ، ١٢، ١٣، ١٥، ٣٩، ٩٢

قَبَائِلُ لِنَحَالِ، ٧٩

قَبَائِلُ صِنْهَاجَةٍ، ١٦٧

قَبِيلَةُ بَكْرِ، ٢٧٤

قَبِيلَةُ ثَعْلَبِ، ٢٧٤

قَتْلَةُ لِأَنْبِيَاءِ، ٨٦، ٨٧

قُصَاةُ لِيَهُودِ، ٩٣

قُطَاعُ لِطَرِيقِ، ٧٨

قَوْمُ جَالُوتَ، ٢٦٢

قَوْمُ مُوسَى، ١٠٩، ١١٠، ١٢٧

قَيْسِ، ١٤٤

ن

نُبْلَاءُ، ١٤، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٥١، ٦٥، ٧٣-٧٥، ٨٦-
 ٨٨، ٩٢، ٩٧، ٩٨، ١٠٥، ١٢٦، ١٤١، ١٤٤، ١٥٦، ١٦٤، ١٧٣،
 ١٨١، ١٨٥-١٨٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٧٢، ٢٨٩، ٢٩٠،
 ٢٩٣
 نُدْمَاءُ لِسَلَّاطِينِ، ١٢٠
 نُنْسَاءُ، ٣٦، ٦٠-٦٢، ١١٢، ١٣١، ١٣٢، ١٤٠، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩،
 ٢٤٠، ٢٦٨، ٢٧٧
 نِسَاءُ لَأَنْدَلُسِ، ٦١
 نِسَاءُ مِثْيَانِ، ٧٩
 نِسَاءُ لِمُسْلِمِينَ، ٨٢
 نِسَاءُ لِيَهُودِ، ٥٨، ٦٠، ٦١، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١٧٦
 نَسَبُ لِيَهُودِ، ١٤٦
 نَسْلُ لِيَهُودِ، ١٤٦
 نِسْوَةٌ لِيَهُودِ، ١١١
 نُتْطَاءُ لِيَهُودِ، ١٣٨
 نَصَارَى، ٨، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٢-٢٦، ٢٩، ٣١-٣٤، ٣٩،
 ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٦٣-٦٥، ٧٣، ٧٤، ٨٠، ٨١،
 ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٨، ١٠٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦-١٣٩، ١٤١،
 ١٤٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤-١٥٧، ١٦١، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٣، ١٩٤،
 ١٩٦، ٢١٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦
 نَصَارَى لِإِسْبَانِ، ١
 نَصَارَى لِكَرْكِ، ١٤٣
 نَصْرَ نِيَّاتٍ، ٥٢
 لُتَّقَّ دَ لِيَهُودِ، ٢١٤
 لُتُورْمَانِ، ٨٢

هـ

هلال، ١٤٤

و

لو عَطُونِ، ٤٠
 لُوْزَرِ، ٦٠، ٤٤، ٥٨، ٨٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٢،
 ١٥٤، ١٥٧، ٢٢٢، ٢٥٢، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٦، ٢٩٣
 وُزَرِ لِحَكْمِ، ٧٤
 لُوْزَرِ لِيَهُودِ، ١٤١، ١٥٧
 لوصائفُ، ٨٢
 لوطاسيون، ٢٨

ي

لِيَهُودِ، ١-٥، ٧-٣٠، ٣٢-٥٠، ٥٣-١٠٧، ١٠٩-١٢٠، ١٢٢، ١٢٣،
 ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩-١٣١، ١٣٤-١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦-١٥٤،
 ١٥٦-١٦٢، ١٦٤-١٦٩، ١٧٢-١٧٦، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٨،
 ١٨٩، ١٩٣-٢١١، ٢١٠، ٢٠٨، ١٩٩، ١٩٦، ٢١٣-٢١٦، ٢٢١،
 ٢٢٤-٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧-٢٤١، ٢٦١-٢٧٣، ٢٧٥-
 ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥-٢٨٨، ٢٩٠-٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧-
 ٢٩٩
 يَهُودُ لَأَنْدَلُسِ، ١٢، ٢٨، ١٣٢، ١٣٩
 لِيَهُودِ لِبَارِزُونِ، ١٠٦
 يَهُودُ بَغْدَدَ، ٩٨
 لِيَهُودِ لِرِّيُونِ، ٢٣
 لِيَهُودِيَّاتِ، ٥٩، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١٣١

فَهْرَسِ الْبِقَاعِ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَمَاكِنِ

أ

أَسْنِيَا (أَسْنِيَّة) ١٠، ١٦،
لَأَقَاقٍ ٩٧، ٩٨، ١١٥، ١٣٤، ١٨٩،
أَيْتِ عَتَابٍ ٢١،
لَأَبْتَقُ (لَأَبْتَقُ لَفْرَد) ١٩١-١٩٣، ٢٧٣-٢٧٥،
أَبُو بَ دُورِهِم ١٥٠،
أَبُو بَ كَنَانِيْسُهُم ١٥٤،
لَأَخْتَابِ ٧٤،
أَحْيَاءُ لِيَهُودٍ ٤٣،
لَأَحْيَاءُ لِيَهُودِيَّةٍ فِي سَبَانِيَا ٤٥،
لَأَذْيَرَةُ ١١٣، ١٥٤،
أَذْيَرَةُ لِّلصَّارِي ١٥٤،
أَذْرِبِيْجَانَ ١٨٩،
أَرْغُون ٣١، ٣٤، ٨٢،
لَأَرْكُ أَوْ لَأَرْكَا أَوْ لَأَرْك ٣١، ٨٠، ٨٢، ٢٢٥،
لَأَرْذَن ٢، ٣،
لَأَرْضُ ١٠، ٤٤، ٧٥، ١١٥، ١٢٤، ١٣٢، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٢٧،
٢٨٣، ٢٩٩،
رَضُ لِعَرَبٍ ٥١،
رِيْحَا ١٩٤،
لَأَرِيْطِي ٦٤،
سَبَانِيَا ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٥، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٩، ٤٥، ٧٥، ٨٠، -
٨٢، ٨٩، ٩٤، ٩٦، ١٠٧، ١٠٣،
سَبَانِيَا لِمُسْلِمَةٍ ١٤،
سُتَجَةٍ ٢٠٨،
سُرُ نِيلٍ ١٩٤،
لَأَسْكَنْدَرِيَّة ١٠، ٧٨، ٨٩، ١٩٧،
لَأَسْكُورِيَالٍ ٤٧،
لَأَسْوَ ق ٥٧، ٥٨، ٧٠، ٨٠، ١١١، ١٤٥،
سَوْ قُ لِمَنْ لَأَنْدَلُسِيَّةٍ لِكُبْرَى ٨٣،
سَبَانِيَّة ١١،
سَبِيلِيَّة ٦، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٣-٣٥،
٤١، ٥٣، ٥٥، ٦٨، ٧٠، ٧٨، ٩٠، ٩١، ٩٨، ١٠١، ١٠٣،
١٠٤، ١١٢، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٣١، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٩،
١٥٦، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٦-١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٢٩، ٢٧٥،
٢٩٠،
أَطْرَ بُلُسَ وَطَرِ بُلُسَ ١١٧،
أَغْرَنَاتِيَّةٌ، نَظَرُ: غَرْنَاتِيَّةٌ
أَغْصَاتٍ ٤٤، ٤١، ٢٣،
فَرْغَةٍ ٢٣٣،
فَرْيَقِيَّة ٨، ١١، ١٢، ١٦، ١٩، ٢٥، ٣٧، ٥٩، ٦٩، ٨١، ٨٧، ٩٣،
١١٧، ١٢٧، ١٤٥، ١٤٧، ١٩٢، ٢٠٢، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٨٢،
٢٨٨،
أَقْصَى ثَهَامَةٍ ٢٤٨،
أَقْطَارُ لَأَنْدَلُسَ ١٤٩،
أَقْطَارُ لِمَغْرِبٍ لَأَقْصَى ١٨٢،
أَلِيْسَانَةُ أَوْ لِّلْسَانَةُ ٢١، ٢٢، ٤١، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩٥، ٩٦، ١٨٨،
أَلِيْسَانَةُ (السُّورُ لِمُتَّصِلٍ بِالْحَمْرِ ع) ٢١،
أَلِيْسَانَةُ لِيَهُودٍ ٢٦٦،
أَلِيْسَانَةُ مَدِيْنَةُ لِيَهُودٍ ٢١،
أَمَاكُنُ لَدَّرَسَ ١١٣،
أَمَاكُنُ لِعِبَادَةِ ٢٥،
أَمَاكُنُ لِعِبَادَةِ لَخَاصَّةً بِالْيَهُودِ ١١٣،
لَأَمَاكِنَ لِعَامَّةٍ ٨٤،
أَنْحَاءُ سَبَانِيَا ١٣،
لَأَنْدَلُسَ ٤، ٥، ٧، ١٠-٢١، ٢٣-٣٦، ٣٩-٤٢، ٤٤-٤٨، ٥٣-
٥٨، ٦٠-٦٣، ٦٥، ٦٧-٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٤-٩١، ٩٣-٩٥، ٩٧-
٩٩، ١٠١، ١٠٣-١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٢، ١١٨،

١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨-
١٤٠، ١٤٣-١٤٦، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٧-١٦٣، ١٦٦، ١٦٧،
١٧٤، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧-١٨٩،
١٩١، ١٩٣، ١٩٦-١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩،
٢١١، ٢١٣، ٢١٥-٢١٧، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٧،
٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٢-٢٧٦، ٢٨١،
٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٩-٣٠٣،

نَجْلَتَر ٨٧،

أَوْرُشَلِيمَ لَجَدِيْدَةٍ ٢٧،

أَوْرُوبِيَّا، ١٠، ١١، ٣٠، ٣١، ٣٩، ٤٥، ٦١، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٦،
٩٩، ١٠٧، ١٠٨،

أَوْرُوبِيَّا لِعَرْبِيَّةٍ ١٠،

بِيْجَرِيَا، ١٠، ١٦، ٩١،

بِيْطَالِيَا، ٩٦، ١٠٧،

بِلْدَن ٤٤،

بِلْدِيَّاء ١١، ٧٩،

ب

لِبَيْرٍ (بَيْر) ٦١، ١٧٩، ٢٤٨،

بَابُ لَرَبِيْضٍ فِي غَرْنَاتِيَّةٍ ١٨،

بَابُ لِقُطْرَةٍ فِي قُرْطِيَّةٍ ١٢،

بَابُ لِمَدِيْنَةِ فِي غَرْنَاتِيَّةٍ ١٧٠،

بَابُ لِيَهُودٍ ٤٤،

بَابُ لِيَهُودٍ فِي قُرْطِيَّةٍ (بَابُ لِهَدَى)، ١٢، ١٧، ٤١-٤٣، ١٥٨،

بَابُ لِيَهُودٍ بِنَقِيْسَ ٤١،

بَابِلُ ١٠، ١١، ٨٩، ٩٤، ٩٨، ١١٥،

بَاجَةٌ ٦٨،

لِبَادِيَةِ ٧٧،

بَادِيَةِ لَبْلَةٍ ٢٩٠،

بَارِيْسَ ٩٦، ١٢٩،

بُجَايَةِ ٦٩، ٧٣، ٨١،

لِبَحْرٍ ٢، ٧، ١٠، ١١، ٣٠، ٣٤، ٤١، ٦٨، ٩٤، ١١٧، ١٤٥،

١٦٤، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٤٩، ٢٥٠،

لِبَحْرِ لَأَبْيَضٍ ١٠، ٤١،

بَحْرُ رِيْجِه ١٠٧،

بَحْرُ لَرَّقَقٍ ٣٣،

بَحْرُ لِقَلْزَمٍ ١٧٧،

لِبَحْرِ لِمَالِحٍ ٢٠١،

لِبَحْرِ لِمُحِيْطٍ ٦٨،

بُخَارِي، ١٠٦،

بُئْر ٢٦، ١٤٤،

بَرْغ ٨٠،

بَرْبَاطٍ ٦٠،

بَرْيَشْتَر ٣١، ٨٢،

بُرْبِيْطَرُ (مِنْ أَعْمَالٍ بَنِيْسِيَّةٍ) ١٨٩،

لِبُرْتُغَالٍ ٦٨،

بُرْسَانَ ٢٠١،

بُرْسُلُونَةُ ٢٤، ٤١، ٩٥، ١٠٤،

بِرْعَشٍ ٤١،

بُرْقَةٍ ١٠، ١٢٧،

لِبُسْتَانَ ١٨٠، ١٨٢، ٢١٨،

بُسْتَانَ لِمُسْتَصْبِرٍ ٢٢٧،

بِسْطَامَ ١٨٤، ١٨٥، ٢٣٥،

بِسْطَةِ ١٦٢،

لِبَشْكَسَ ٣٠، ١٤٨،

بَطْلَانِيُوسَ ٤٣، ٦٧، ٦٨،

بَغْدَادَ ٥٠، ٥١، ٨٥، ٩٨، ١٠٦، ١٠٨، ١٨٧، ٢١٥، ٢٩٣،

لِبِلَادٍ ١٦، ٢٨٨، ٢٩٣،

بِلَادُ لَأَنْدَلُسَ ٥٤، ٦٥، ١٤٤،

بِلَادُ أَوْرُوبِيَّا ٤٥،

بِلَادُ لَخَزَرِ ١٧٨،

بِلَادُ لِسَامَ ١٨٩،

بِلَادُ لِعَرَبٍ ١٨٤،

لِبِلَادٍ لِمُتَخَلِّفَةٍ ١٠،

لِبِلَادٍ لِمُتَقَدِّمَةٍ ١٠،

بِلَادُ لِمُسْلِمِيْنَ بِالْمَغْرِبِ ٤٧،

فهرس البقاع والبُلدان والأماكن

جَلَق ، ٢٢٦
جَلِيقِيَّة ، ٣٠ ، ٩٤
لجَنَّة ، ١٢٨ ، ٦٢ ، ٢٠٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٧
لجنُوب لغَرْبِي مِن لَانْدَلُس ، ٢٩٠
جَهَنَّم ، ٢٢٧
لجَوَز ة ، ٢٥١ ، ٢٧٥
جَيَّان ، ١٨ ، ٢١ ، ٨٤
لجِيثو ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٦١ ، ٣٠٠

ح

لخانات ، ١٥٤
لخانات ، ٧٠ ، ١١٧ ، ١٥٤ ، ١٥٦
خاثُوت للعطازة ، ٢٨٢
لحِجَاز ، ٦٦ ، ١٨٤
لخَجَر لَأَسْوَد ، ١٢٨ ، ٢١٣
حِصْن فِي رُئْدَة ، ١٨
حِصْن لَحْمَر ء ، ٢٦٨ ، ٢٨٧
حِصْن رُوطَة ، ١٥٩ ، ٢٢١
حِصْن لعقَاب ، نُظْرُ: لعقَاب
حِصْن لَقِيدِق ، ١١٤
لُحْصُون ، ٢٣
حُصُون لَانْدَلُس ، ١٦٣
حَضَن ، ٢٤٨
حَلَب ، ٧٠ ، ١٠٢ ، ٢٢٦
حُلَيْحِل ، ٢٢٥
لَحَمَام ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ١٦٩
لَحَمَامَات ، ٥٨ ، ٧٤ ، ٨٥
لَحْمَر ء ، ٢١٠
حَصْر ، ١٢٠ ، ٦٥
حِي لِيَهُود ، ٤٤٠ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٧٨
حِي لِيَهُود فِي قُرْطُبَة ، ٣٥ ، ٥٩
لَحِير ، ٤٣
حِيرُ لَزْجَالِي ، ٤٣ ، ١٥٨

خ

خَر سان ، ٢٦٠٠
خَزَن لِحَكَم لِمُسْتَنْصِر ، ٩٨٠
لُخُنْدَق ، ١٤٤
خَيْر ، ٢٧٣ ، ٢٦٦ ، ١٩٤ ، ١٢

د

دُرُ بِن نَغْرِيْلَة ، ١٧٠ ، ٢٨٧
دُرُ لِإِسْلَام ، ٩٠
دَارُ بَلِي ، ١٧٥
دَارُ يَتِيم ، ٦١
دَمْغَان ، ١٨٤
دَنِيَّة ، ٢٨ ، ٣١ ، ٨٧ ، ١٤٥ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢٢٢
نُكَان صَدِيق بِن خَزَم ، ٢٩٠
دِمَشْق ، ١٣ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٤٠ ، ١٤٣
دُور لِيَهُود ، ٦١ ، ٢٨٨
دُومَة الْجَنْدَل ، ١٩٢
لُكُويَحَات ، ٦٤
لُدِيَار لِمَصْرِيَّة ، ١٧٦
لُدَيْر ، ١٥٥
دَيْر رِبْقَة (فِي صَعِيدِ مِصْرَ) ، ١٧٧
دَيْر عَيْنُون ، ١١٣
دَيْر المَطِيرَة ، ١١٣
دَيْر المَسِيحِيَّين ، ١٧٧

ر

لرِباط ، ٢٦٦
لرُبُض ، ١٤ ، ١٨ ، ٤١ ، ٨٥

بلاد لمَغْرِب ، ١٣٨
لبلاد لِمُكُوبَة ، ٢٦
بلاد لِنُصَارَى ، ٨٤
بَلَاط أَلْفُونُسُ لِعَاثِر ، ١٠٣
بَلَاط سَتَيْف لِقُولَة ، ١٢١
بَلَاط غُرْنَاتَة ، ١٧١
بُلُخ ، ١٨٨
بُلُخِي ، ١٠٦
لبلاد لِنَفِيس ، نُظْرُ: نَفِيس
بَلَدَن لَانْدَلُس ، ٣١
بُلْدَن أُوْرُوبَا ، ٤٥
بَلَنَسِيَّة ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٦٩ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ١٤٥ ، ١٦٦ ، ١٨٠ ،
١٨١ ، ١٨٩ ، ٢١٧
بِنيلونَة ، ٣٠
لِبَنْدَقِيَّة ، ٤٤ ، ٨١ ، ٨٧
بُولَنْد ، ٢٩
أَلْبُونْت ، ١٥٧
بِيَانَة ، ٤١ ، ١٨٨
بِيْتُ لِمَال ، ٢٤ ، ٥٧ ، ٢٨٧
بِيْتُ لِمُقَدَّس ، ٥٢ ، ٨٩
لِبِيْرَة ، ٧ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٧٣ ، ١١٤ ، ١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٦٧ ،
٢٨٨
بِيْرُنْطَة ، ٣١ ، ٢١٦
لِبَيْع ، ٢٥ ، ٦٤ ، ١١٣ ، ١٥٤
لِبَيْع لِمُسْتَعْرَبِيَّة ، ١٥٩
بَيْعَة ، ٤٧
بِيْلُون ، ٢٧٤
بَبُوت ، ٢٤
بَبُوتُ لَأَمُول ، ٢٦٩
بَبُوتُ لَخَمَارِين ، ١٥٦
بَبُوتُ لِيَهُود ، ١٥٩

ت

تَاهَرْت ، ٦٦
لَتَجْمَعَاتُ لِيَهُودِيَّة ، ٢٢ ، ٤١
تَدْمَر لِشَام ، ٥٣
تَدْمِير ، ١١ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٥٣ ، ٩١ ، ٢١٣
تُرْكِيَا ، ١٠٦ ، ١٠٧
تُطَيْلَة ، ٣١
تَلْمَسَان ، ٦٦ ، ٧٧ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢٠١
تَهَامَة ، ٢٤٨
تَوْت ، ٤٤ ، ٧٧
تُونُس ، ٨ ، ٦٩ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
تُونِسَاء ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٢٦ ، ٢٧٥
تِيَهْرَت ، ٦٦

ج

جَامِع لِقُرُوْبِيْن ، ٦١
جَامِعَة سَوْر ، ٩٨
جَامِعَة هَارْقَارْد لَأَمْرِيْكِيَّة ، ٢
لُجَبَال ، ٢٩٦
جَبَلُ ، ٧١ ، ١٧٨
جَبَلُ سَتِيْنَاء ، ١٩٤
جَبَلُ طَارِق ، ١٨٢
جَبَلُ لَعْرُوس ، ١٢
جَبَلُ قَاعُون ، ١٤٥
لُجَرْف ، ٢٦٦
لُجَرْيَر ، ١٠٧
لُجَرْع ، ٢٢٥ ، ٢٢٦
لُجَزِيرَة ، ١٨٩
لُجَزِيرَة لَخْضِر ء ، ١١ ، ١٤٩
جَزِيرَة لِسَامِرِي ، ١٧٧
جَزِيرَة شَقَر ، ١٨٠
جَزِيرَة يَابِسَة ، ٢٢٢
لُجَسْر فِي بَغْدَاد ، ١٨٧

فهرس البقاع والبُلدان والأماكن

لشئوعه (لشئوع) ، ٦١ ، ٩٠ ، ٢٦٥

ص

صخاري ، ٢٢٥
لصخر ء ، ٢
لصخر ء لكبرى ، ٧٧
صدر ، ٢٢٥
صقّين ، ٢٧٢
صقّيلية (صقّيلة) ، ٦٢ ، ١٠٧
صنّيل ، ٢٢٥
صنّعاء ، ٧٢ ، ٢٧٤
صنّهاجة ، ١٩ ، ٣٧-٣٩ ، ٤٧ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨
لصّومع ، ٦٤
لصّين ، ٧٦

ض

ضيناع للّبلاء ولإقطاعيّين ، ٨٦

ط

لطائف ، ٢٢٥
طبرية ، ٩٣
طرّ بلّس ، ١١٧ ، ١٩٣
طرّ بلّس فريقيّة ، ١١٧
طرّ بلّس لغرب ، ١١٧
طرطوشة ، ٢٤ ، ٤١
طرّوق لتجارة ، ١٠
لطرّقات ، ٥٨ ، ٨٤
لطرّقات لضيقّة ، ٨٤
طرّكونة ، ٤١
طلّيلة ، ١١-١٥ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٥٢ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥
٨٧ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٦٤ ، ٢٢٧
٢٢٩
طنّجة ، ٢١
لطور ، ٢٠٥ ، ١٨٢ ، ١٨٣

ع

عبرتّا ، ١٤١
لغنوة ، ٣٣
لعزّق ، ١٢ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٤٠ ، ١٨٤ ، ١٨٨
لغقاب ، ٤٧ ، ١٦٧ ، ٢٥٩
لعقيق ، ١٨٤
لغُبوب لماء ، ٣٨

غ

لغرب ، ١٠ ، ٧٠
غرب لآندلس ، ٢٣ ، ٦٩
لغرف لخيريم ، ١٣٣
لغرناطة ، ١٤-١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٥-٤٠ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣-١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧-١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠-٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠٣
لغرناطة ليهود ، ٢٦٦
لغمدن ، ٢٧٤

ف

فارس ، ٨٠ ، ١٨٤
فاس ، ٧ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٥

لرُبض في قُرطبة ، ٨٥ ، ٨٦
رُبض لَرّجالي ف قُرطبة ، ١٥٨
رُبض شقندة ، ٧٤
رُبض ليهود ، ٤٤
رُصافة ، ١٨١
رقوطة ، ٩٨
رُعيمة ، ٢٠٥
رُنّدة ، ١٨ ، ٣٣ ، ٢٢٨
رُوطة ، ٤٠ ، ١٥٩ ، ٢٢١
رُوطة ليهود ، ٤٠ ، ٢٦٦
رُوما (رومة) ، ٣٢ ، ٨٩
رياض ، ١٨٠
رَيّة ، ١١

ز

لزّب ، ١٢٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣
زّوية ، ٢٦٦
زّكّرم ، ١٤٥
لزّلاقة ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٦٧
لزهر ء ، ٣٠ ، ٢٩٣
زّويلة ، ١١٧

س

ساحة قُرطبة ، ٢٨٤
ساحل لبحر لأبيض لمُوسط ، ٣٠ ، ٩٤ ، ١١٧
سبّنة ، ١٦٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٣-٢٠٥
لسّجن ، ٢٧٢
سُرّ مرّى ، ١١٣
سرفسطة ، ١٨ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٧
١١٨ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ٢١٥-٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢
٢٣٢ ، ٢٣١
سلّحين ، ٢٧٤
سلمية ، ٥٩
لسماء ، ٢١٢
سماوت ، ٢١٢
سمرقند ، ٥١ ، ٢٠١
سنّجل ، ١٤٧ ، ٢٨٩
لسودن ، ٦٦
سُورية (سوريا) ، ١٠ ، ١٢ ، ٨٠ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١٠٧
سنيّاء ، ١٠ ، ١٩٤

ش

الشّ (من أعمال تدمير) ، ١١
شاطِبة ، ١٥٧
شاطيء لبحر ، ١١
لشّام ، ٣ ، ١٩ ، ٥٠ ، ٦٥ ، ١٤٠ ، ١٨٨ ، ١٨٩
شبلّة ، ٥١
شبه جزيرة أنيبريا ، ١٠ ، ٩١
لشّرق ، ١٠ ، ١١ ، ٤٤ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٦٧
لشّرق لأدنى ، ١٠
شرق لآندلس ، ٢١ ، ٥٣ ، ٨٢ ، ١٥٠ ، ٢٣٢
لشّرق لأوسط ، ١٠
لشّرق لغربي ، ١٠٧
لشّرق قُرطبة ، ١٨
لشّقورة ، ١٦٣ ، ٢٢٥
شلب ، ١٣١
لشمال لغربي لآندلس ، ٣٠
شمال سبّانيا ، ٢٩ ، ١٠٧
شمال فريقيّة ، ١٣ ، ١١٧
شمال جزيرة لغرب ، ٢
شمال لآندلس ، ٢٤ ، ٧٩ ، ٩٤
شنتّرين ، ٦٨
شنتّريّة ، ١٨٩ ، ١٩٠

لُفُوت ، ٢
قرنسا ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٧
فلسطين ، ٢ ، ١٠ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨

ق

قارّت ثلاث ، ٢٨٥
قاصيّة لمشرق ، ٣٠
لقاهرة ، ٩٣ ، ١٤٥ ، ١٦٩ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧٤
لقاهرة لمعزية ، ١٧٦
قبر بن نغريّة ، ٢٨٨
قبر يهودي ، ٢٦٥
قبرصر ، ١٠ ، ١٠٧
لقنس ، ١١ ، ١٩٤ ، ٢٢٧
قرطاجيّة ، ١١
قرطبة ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥-١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٤-٤٧ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٤-٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣-٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٦١-٢٦٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩

قرمونة ، ١٣١
قري لكفار ، ٥١
قروين ، ١٠٦
قسطلة ، ٧٢
لفسطينيّة ، ٨٢
قشالة ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٨١ ، ١٠٤ ، ١٥٧ ، ٢٧٠

لقصبة في شبيلية ، ١٥
لقصبة في غرناطة ، ١٥ ، ٢٨٧
لقصر ، ٧ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١١٨ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢

قصر بي لقاسم بن لعريف ، ٢٨٢
قصر الفونس ، ٢٣
قصر باديس ، ٣٦ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧
قصر در لسرور ، ١٣٦
قصر سرقسطة ، ٢٢٢
قصر لسمول ، نظّر: لأبلق ، ١٩١
لقصر لعظيم ، ٨٥
قصر لساؤون ، ١٠٨ ، ١٥٦ ، ١٥٩
لقصر لمبارك ، ٢٧٥
لقصر لمكرم ، ٢٧٥
لقصور ، ٢٧ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢
قصور لأمرء ، ١٥٧
قصور لأمرء لثصارى ، ١٥٧
قصور لحكام ولأمرء ، ١٥٧
قصور عليّة لقوم ، ١٥٦
قصور لوزرّ ليهود ، ١٥٧
قطلوئيّة ، ٢٤

لقلاع ، ٢٣
قلعة بني حماد ، ٦٦
قلعة بني سعيد ، ١١٤
قلعة حماد ، ١٩٢
قلعة رباح ، ٨٢
قلعة كفاة ، ١٩٢
قلعة كياتة ، ١٩٢
لقليس ، نظّر: كنيسة لقليس
قورمس ، ١٨٤
لقيرّون ، ٦٢ ، ٦٥ ، ١٢٧ ، ٢٧٤

ك

لكرك ، ١٤٣
لكعبة ، ٧٢ ، ١٢٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢٦١
لكنائس ، ١٥٧
كنائس أهل لذمة ، ٧٧

كنعان ، ١٠
كنيسة ، ٤٧ ، ١٥٤
كنيسة لقليس ، ٧٢
لكوكب ، ٢٥١ ، ٢٥٩
لحرزة تدمير ، ١٨
لحرزة طليطلة ، ١٨
لكوفة ، ٥٩

ل

لاردة ، ٤١ ، ٨٢ ، ٢٤١ ، ٢٣٣
لبنّة ، ٢٩٠
لشبنونة ، ٨١
لندن ، ٩٦
لورقة (لرقّة) ، ٩١
لوسائيا ، ٩٨ ، ١٠٣
لوشة ، ٣٧
لونل (جنوب قرنسا) ، ٩٩
ليون ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣١

م

ماء لثهر ، ٧١
مارد ، ١٩٢
ماردة ، ١٥ ، ٦٨ ، ٩٤ ، ٢٨٢
مالقة(مالقا) ، ٦ ، ١١ ، ١٥ ، ١٨ ، ٧٠ ، ٩٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٧١
لمباني لذنونية ، ٨٥
مناجر أهل لذمة ، ٨٣
مئنزة حور مؤمل ، ١١١
لمئنزات لعامة ، ١١٢
مجرى لماء ، ٣٨
لمجالس لبلدية ، ١٥٧
مجالس لخمر ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧
مجالس لشرب ، ١٧٢ ، ٢٣٤
مجالس لشرب ولطعام ، ١٧٢
مجالس عليّة لقوم ، ١٥٧
مجالس للهو ، ١٧٢
مجالس لمقتدر بن هود ، ١٣٦
مجلس خمر ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٧١
مجلس لأذهب ، ١٣٦
مجلس لثاغورة ، ٨٥
مجمع أهل لفسق ولفساد ، ١٥٦
مجمع لقساوسة ، ١٥٧
مخازن لثصريف لتجاريّة ، ٧٨
مدين لمسلمين ، ٩٠
لمدرس ، ٩٥ ، ٩٧
مدرس لثحو ، ٩٩
مدرسة قرطبة ، ٨٩
مدريد ، ٤٧
لمدن(الاندلسيّة) ، ١٠-١٢ ، ١٥ ، ١٦-١٨ ، ٢٢ ، ٤٠ ، ٨٣-٨٥ ، ١٤٥ ، ٢٧٥ ، ٣٠٠
مدن ليهود ، ٤١ ، ٤٣
لمدينة ، ١١ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٣٣ ، ١٨٤ ، ٢١٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢
مدينة لأملك ، نظّر: طليطلة
لمدينة لحدية ، ١١
مدينة دقيانوس ، ١١
مدينة لمائدة ، ٨٩
لمدينة لمؤرّة ، ١٨٤
مدينة ليهود (اليسانة) ، ٤١
مدنبرج ، ٣٢
لمرغّة ، ١٨٩
مركز بعض لمدن ، ٨٣
مرّكش ، ٧ ، ٢٣ ، ٩٠ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٨٧
مرسية ، ٥٣ ، ٩٨ ، ١١٢ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ٢١٧ ، ٢٤١ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢

فهرس البقاع والبُلدان والأماكن

نهر سرقسطة ، ٢٢٠
نهر سبجل ، ١٥ ، ٢٨٨
نهر نفرت ، ٩٨
نهر وسط بلد ، ٦١
لتهزين ، ٢٢٦
نيسابور ، ١٨٤
نيويورك ، ٤

هـ

لهضبة ، ١٥٥
همدن ، ١٠٦ ، ١٨٨ ، ٢٧٤
لهند ، ١٨٧
لهنگل ، ١٠

و

لودي ، ٢٦٦
ودي آش ، ١٥ ، ٦٤ ، ١١٨ ، ٢٦٧
ودي لزيئون ، ٢٣٣
لودي الكبير ، ١٢
وزغة ، ٢٠٧
وقش ، ٨٧

ي

لنيم ، ١٨٠
ليمامة ، ٢٧٤
ليمن ، ١٢٠٤ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ١٠٧ ، ٢٧٤
ليونان ، ٩٦٠

مركز حيي ليهودي ، ٤٥
لمريّة ، ٣٨ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٤٣ ،
١٧٧ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢١ ، ٢٧١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠

لمساجد ، ٢٤ - ٢٦ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٧٤

لمسجد ، ١٥٣ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢

لمسجد الجامع ، ٤١

مسجد في قرطبة ، ٩١

مسلك تجار ليهود ، ٧٨

لمسيلة ، ١٩٢

مشتيلة ، ٣٠

لمشرق ، ١٣ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ١٢٧ ،
١٤٠ ، ١٤٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧

لمشرق لغربي ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٨٠

مصر ، ٢ ، ١٠ ، ٥٠ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١١٠ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ،
٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٩٧

لمصلى ، ١١٤ ، ١٥٤ ، ٢٧٠

لمطيرة ، ١١٣

مغابد ، ٢٤ ، ١١٣ ، ١٩٤ ، ٢٦٥

مقبد ليهود ، ٢٦٥

لمغرة (مغرة للنعمان) ، ٢٢٦

لمعقل ، ٢٠٤

لمغرب ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٣ ،
٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ - ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ،
٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٣٣ ، ٢٧٠

لمغرب لأقصى ، ١٢ ، ٢٠١

لمغرب ، لغربي ، ٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٥٦ ، ٧٦ ، ١٣٩

لمقبرة ، ٦٢٠

مقبرة ليهود ، ٤٤٠

لمقطم ، ١٨٦

مكة ، ٧٢٠ ، ١٤٠ ، ١٨٨ ، ٢٢٥

مكناسة ، ٩٠٠

لممالك ، ١٤٠ ، ٢٧ ، ٢٩٢

لممالك لإسبانية لتصرانية ، ٢٥٠

ممالك أوروبا ، ١٠٨٠

ممالك الطوائف ، ١٤٠

ممالك التصاري ، ٢٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١

مملكة باديس ، ١٣٧

منار الإسكندرية ، ٢٤٩

لمناطق ، ١٠ ، ٤٠

لمنبر ، ٢١١

منبلييه ، ٩٦

منزل ، ٢٣٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠

منزل باديس ، ٢٨٧

منزل بن لمرشاني ، ٢٢١

منزل بن نغريّة ، ٢٠

منزل ليهودي ، ١٥٧

منعج ، ١١٩

لمنقى ، ٨٨

منورقة ، ٢٠٤

لمهديّة ، ٥٩ ، ١١٧

منورقة ، ٢٤ ، ٦٩ ، ١٩٠ ، ٢٢٢

ن

نجد ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨

نعمان ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

نقارة ، ٣٠

نفيس ، ٤١ ، ٨٢

نهاروند ، ١٨٨

نهر آنة ، ٦٨

نهر لأرزن ، ٣

لنهر لأعظم ، ٥٣

نهر تاجه ، ١١ ، ٦٨

نهر حدّزه ، ١٥

نهر لزيئون ، ٢٣٣

فهرس القَوَافِي

قَافِيَةُ الْأَلِفِ الْمَقْصُورَةِ

السَّبْنَتِي	الوافر	أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِي	١٧٩
تُرَى	الطويل	ابنُ إِبرَاهِيمَ الْمَلِيكِي	١٦١

قَافِيَةُ الْهَمْزَةِ

الخطاء	مجزوء الرمل	أَبُو الْحَسَنِ الْخُصَرِي	١٦٤
بِالْأَنْزَوَاءِ	الخفيف	أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِي	١٧٩

قَافِيَةُ الْبَاءِ

النَّجَابَةِ	الوافر	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٢٤
بِالْقَصَائِدِ	الوافر	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٢٣
عَابَةِ	الوافر	الْجَزَّارُ السَّرْقَسْطِي	٢٢٣
مَرْحَبَا	السريع	أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْحَيَّابِ	١٩٤
مُذْنِبَا	الكامل	ابنُ سَهْلٍ الْإِسْرَائِيلِي	٢٠٥
الثَّاقِبُ	السريع	ابنُ عَبْدِ رَبِّهِ	١٣٦
أَشْهَبُ	الكامل	المُؤَبِّلُ	١٤٩
سُبَيْبُ	المجثث	عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ	٢٨٣
وَاحْرَبِي	الرمل		١٣٦
طَرَبُ	البسيط	أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ يَامِينَ	٦٩
لِلْعَرَبِ	البسيط	ابنُ جَمْهُورَ	٦٨
الصَّبِّ	السريع	ابنُ نَعْرِيلَةَ	١١٩

قَافِيَةُ التَّاءِ

عِوَالَتُ	البسيط	أَبُو طَاهِرِ الْأَشْكَرِي	٢٢٢
لَامَاتُ	البسيط	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٢٢
لُبَّائَاتُ	البسيط	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٢١
أَحْبَبْتُ	الطويل	ابنُ الزُّفَّاقِ	٦٩
رَاحَتُهُ	البسيط	يُوسُفُ بْنُ حَسْدَاي	١٥٨
بِيعَاتِ	السريع	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْكَدَّادِ	٦٤
سَبَّتِ	الطويل	—	٧٢
رَوْضَةِ	الطويل	شِهَابُ الدِّينِ بْنُ الْخُلُوفِ	١١٣
بِتِيَهَرَتْ	السريع	سَخْنُونُ	٦٦
بِهَوَّةِ	الطويل	المَقْرِيُّ الْجَدُّ	١٨٦

قافية الجيم

١١٩	يهودي تلميذ ابن شهيد	المتقارب	الهودجا
١٤١	ابن بسام العبراني	الوافر	بالسروج
١٤١	أبو الحسين ابن الجد	الوافر	بالسروج

قافية الحاء

٢٨٩, ١٤٧	ابن نغيلة (ابن القتيل)	الخفيف	النصيحا
٢٢٢	إدريس بن اليماني	الكامل	الراح

قافية الدال

١٠٥	ابن قزمان	الخفيف	الجسد
١٦٥	أبو الوليد ابن زيدون	مجزوء الكامل	البعيد
٢٢٨	إلياس بن المدور الرندي	الكامل	واحدًا
٢٢٩	قسمونة بنت إسماعيل	الطويل	يدًا
٦٤	أبو عامر بن شهيد	الكامل	الأعياد
١١٤	ابن سهل الإسرائيلي	الطويل	مبدد
١٩٩	ابن سهل الإسرائيلي	الطويل	مبدد
١٩٢	أبو الوليد ابن زيدون	الطويل	أسد
١٩٢	ابن هاني الأندلسي	الطويل	الأسد
٢٢٧	إبراهيم بن الفخار اليهودي	الطويل	يتفق
١٤٠	أبو حفص الهوزني	الطويل	شهود
٢٧٧	—	الخفيف	اليهود
٢٠٥	ابن سهل الإسرائيلي	الكامل	عيد
٢٠٨	ابن سهل الإسرائيلي	الطويل	أهتدي
٢٠٢	ابن سهل الإسرائيلي	الطويل	أهتدي
٧٢	ابن دراج القسطلي	البسيط	أحد
٧٢	—	البسيط	الأحد
٢٠٧	ابن سهل الإسرائيلي	الطويل	الرعد
٢٠٥	ابن سهل الإسرائيلي	الطويل	موقد
١٣١	ابن عمار الأندلسي	الطويل	لد
١١٧	أحمد الكساد	الرملي	الصمد
١٩٠	أبو بحر النجيب	الطويل	العهد
١٩٥	ابن هاني الأندلسي	البسيط	داود
١٩٤	أبو الحسن بن الجباب	الخفيف	الوجود
١٤٧	ابن تليس	الوافر	بالجدود
١٤٩	ابن عتبة الإشيلي	مخلع البسيط	القرود

== فهرس القوافي ==

٦٨	المتوكل	الوافر	عِيدِ
٤٩	ابن نَعْرِيلَّة	الرجز	عِيد
٢٤٧	النَّابِغَةُ الدَّبْيَانِي	الكامل	بِالنِّدِ
قَافِيَةُ الرَّاءِ			
١٢٤	ابن خَيْرَةَ الْمُنفَتِلِ	البسيط	رَحَزْ
٢٩٣	أَبُو نَصْرِ بْنِ نُبَاتَةَ	المتقارب	قِصَرْ
٢٢٩	قِسْمُونَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيلِ	الكامل	الْحَوَزْ
٤٨	ابن نَعْرِيلَّة	الرجز	الإِشَارَا
١٦١	لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ	المتقارب	النَّصَارَى
٢١٦	الْفَسَّاسِ	المتقارب	قَطَارَا
١٣٧	ابن عَمَّارِ الْأَنْدَلُسِيِّ	الكامل	بَرَبْرَا
٢٠٥	ابن سَهْلِ الْإِسْرَائِيلِيِّ	الطويل	السُّحْرَا
١٤٣	السُّمَيْسِرُ	مجزوء الخفيف	بِالْحَرَا
١٢٥	ابن خَيْرَةَ الْمُنفَتِلِ	الطويل	الْبَدْرَا
٢٠٧	ابن سَهْلِ الْإِسْرَائِيلِيِّ	الكامل	مُقَدَّرَا
١٢٦	ابن خَيْرَةَ الْمُنفَتِلِ	الطويل	بِرَا
١٢٩	ابن خَيْرَةَ الْمُنفَتِلِ	الطويل	سِرَا
١٢٧	ابن خَيْرَةَ الْمُنفَتِلِ	الطويل	العُشْرَا
١١٥	ابن خَيْرَةَ الْمُنفَتِلِ	الطويل	الْخَصْرَا
١١٤	ابن خَيْرَةَ الْمُنفَتِلِ	الطويل	الصَّدْرَا
١٥٢	ابن عَمَّارِ الْأَنْدَلُسِيِّ	الوافر	الْبَقْرَةُ
١٨٣	ابن مَرْجِ الْكَحْلِ	الطويل	نُكْرَا
١٢٧	ابن خَيْرَةَ الْمُنفَتِلِ	الطويل	الدَّهْرَا
٥١	ابن الْمُعْتَزِّ	الرجز	زُنَّارُ
١١٨	إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَخَّارِ الْيَهُودِيِّ	الطويل	أَسْتَرُ
١٤١	أَبُو الْحُسَيْنِ يُوسُفُ بْنُ الْجَدِّ	البسيط	تَدْرُ
٥١	تَقِيُّ الدِّينِ التَّنُوخِيُّ	البسيط	زُنَّارُ
١٧٩	سَعِيدُ الشَّنْتَرِينِيِّ	السريع	جَائِرِ
١٧٦	ابن هَانِي الْأَنْدَلُسِيِّ	الكامل	الْبَاتِرِ
٢٠٦	ابن سَهْلِ الْإِسْرَائِيلِيِّ	السريع	بِالسَّحْرِ
١٩٩	ابن سَهْلِ الْإِسْرَائِيلِيِّ	الطويل	الْحَشْرِ
١٣٧	أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَّابِ	الطويل	نَصْرِ
١٢١	ابن الْقَرَاءِ الْأَحْقَشِ	الطويل	الْكُفْرِ
٢٢٠	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَايَ	البسيط	الْبُكَرِ

== فهرس القوافي ==

الزَّهْر	الكامل	ابن عَمَّار الأندلسي	١٦٣
عَرِير	مخلع البسيط	-	١١٠
الجَمَاهِير	البسيط	ابن غَالِب الرُّصَافِي	١٨٢

قَافِيَةُ الزَّاي

مَعْرَا	الوافر	أَبُو الْقَضَلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٢٠
بَرِّي	الطويل	الْجَزَّارُ السَّرْقَسْطِيُّ	٢٢٣
الْحَزَّ	الطويل	أَبُو الْقَضَلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٢٣
الْحَفْزِ	الطويل	الْجَزَّارُ السَّرْقَسْطِيُّ	٢٢٣

قَافِيَةُ السَّيْنِ

نَاسَا	مجزوء الرمل	أَبُو بَكْرٍ الزُّبَيْدِيُّ	١٧٨
أَكُوسَا	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٥
جَرَسَا	البسيط	ابنُ الْأَبَّارِ الْقُضَاعِي	٢٥
أَلْعَسَا	الطويل	أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى التَّجِيبِيُّ	٥٢
النُّفُوسَا	الخفيف	أَبُو الْوَلِيدِ ابْنُ زَيْدُون	١١٠
تُسْدِينَا	الطويل	أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى التَّجِيبِيُّ	١٥٥
وَحَاسُوا	مجزوء الرمل	أَبُو الْوَلِيدِ ابْنُ زَيْدُون	١٧٧
عُرْسُ	المديد	إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَخَّارِ الْيَهُودِيُّ	٢٢٧
كَنَاسَة	الخفيف	سَعْدُ الدِّينِ بْنِ عَرَبِي	١١٢
النَّاسِ	الطويل	ابن جُزَيِّ الْكَلْبِيِّ	١٣٥
مِيَّاس	الطويل	ابنُ الْمُعْتَزِّ	٥١
بِالْبَيْسِ	الطويل	لِسَانُ الدِّينِ ابْنُ الْخَطِيبِ	١٥٤

قَافِيَةُ الصَّادِ

الْقَصَصَا	الرمل	أَبُو الْقَضَلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٢٠
الْبَعْضَا	قَافِيَةُ الصَّادِ	الطويل	
الْقَضَا	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٧
	الطويل	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَدَّادِ	١٣٩

قَافِيَةُ الْعَيْنِ

الطَّبَّاعُ	السريع	أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَرْوَانِيُّ	٢٣١
ذَائِعَا	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	١٩٩
يُوشَعَا	الكامل	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَّانُ	٨٣٧
نَافِ عَا	الطويل	ابن سَهْلٍ الإِسْرَائِيلِيُّ	٢٠٦
الْمَرْبَعُ	الكامل	ابنُ مَرْجِ الْكُحْلِ	١٨١
قَيْمَتُعُ	الطويل	أَبُو الْقَضَلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٢٠
يُوشَعُ	الطويل	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَّانُ	١٨٤

== فهرس القوافي ==

١٨١	ابن غالب الرصافي	الكامل	يتدفع
قافية الفاء			
٤٢	أبو عامر بن شهيد	المتقارب	تُكسفا
٤١	أبو عامر بن شهيد	المتقارب	يُكسفا
٢١٩	أبو الفضل ابن حسداي	الطويل	يَكشِفُ
٢٤٧	—	الطويل	أطوَّفُ
١٣٣	ابن عمار الأندلسي	الوافر	الصُرُوفِ
قافية القاف			
١٦٠	إسحاق بن شمعون	الكامل	نَطَقَ
٢٤٦	قيس بن الملوح	الطويل	لَصَدِيقُ
١٩٢	أبو بحر التَّجِيبِي	الطويل	عَفُوقِ
قافية الكاف			
٢٢٩	نسيم الإسرائيلي	المجتث	أراك
٦٢	أبو عبد الله الصَّقَلِي	البسيط	الضَّحْكا
قافية اللام			
٢٣٦ ، ١٢٢	ابن خيرة المنقبتل	مجزوء الكامل	الأوائل
٢٤٦	—	الطويل	كالْحِجَلِ
١٢٥	ابن خيرة المنقبتل	مجزوء الكامل	قواضِلُ
٢٤٦	—	الرجز	الحِجْلَةُ
٤٣	أبو بكر بن القبطرنة	الكامل	عليلا
١٥٣	أبو الحسين ابن الجَدِّ	الكامل	التَّأْوِيلَا
١٤٤	عيسى الشَّرِيْشِي	الوافر	الرَّسُولُ
١٩٤	عيسى الشَّرِيْشِي	الوافر	يَزُولُ
١٥٩	أبو الفضل ابن حسداي	المجتث	وَبِعَالِ
١٤٦	أبو العباس الجَرَاوِي	البسيط	الجُعَلِ
١٤٦	ابن الياسمين	البسيط	للْجُمَلِ
١٢٢	ابن القراء الأخفش	البسيط	الحَمَلِ
قافية الميم			
١٣٩	—	الطويل	ضَغْنِهِمْ
٢٠٠	ابن سعيد	الطويل	يُسَلِّمَا
٢٠٩	ابن سهل الإسرائيلي	الكامل	كَرِيمَةً
٢١٠	ابن سهل الإسرائيلي	الكامل	الهِيمَا
١٤٢	السَّمَيْسِرُ	مجزوء الكامل	أَحْدَثْتُمْ

== فهرس القوافي ==

المُدام	الوافر	إِسْحَاقُ بْنُ شَمْعُون	١٦١
خُسامي	مجزوء الرمل	أَحْمَدُ بْنُ سُفْيَانَ ابْنِ عِقَال	١٩٣
بِـسْطَامٍ	الطويل	لِسَانُ الدِّينِ ابْنِ الْخَطِيبِ	١٨٤
الدَّمَم	البسيط	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعُقَيْلِي	١٩٠
الرُّوم	الطويل	عَبْدُ الْكَرِيمِ الْقَيْسِيُّ	٥٨
مَوْسُوم	الطويل	عَبْدُ الْكَرِيمِ الْقَيْسِيُّ	١٦٦
كَلِيم	الوافر	ابْنُ خُرُوفٍ الْفَرَطِيُّ	٧٠
قَافِيَةُ النُّون			
مَوْزُون	مجزوء الرمل	ابْنُ نَعْرِيلَةَ	١٤٧
خَاسِنِينَ	المتقارب	أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ	١٦٧
العَرِين	المتقارب	أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ	١٣٩
أَجْمَعِينَ	المتقارب	أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ	١٥٠
الْمُتَّقِينَ	المتقارب	أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ	٤٧
الْأَرْدَلِينَ	المتقارب	أَبُو إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيُّ	١٤٨
رِيحَانًا	البسيط	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّرَّاجِ	٧٠
فِينَا	الكامل	أَبُو حَفْصٍ الزُّكْرَمِيُّ	١٤٥، ٨٧
الْبَانُ	البسيط	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٢٥
إِحْسَانُ	البسيط	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢١٩
تَذْنُو	الطويل	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَدَّادِ	١٧٧
هَارُونُ	الرجز	ابْنُ هَانِي الْأَنْدَلُسِيِّ	١٨٠
تُرَانِي	الطويل	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢٥٤
لِلْأَجْفَانِ	الكامل	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي	٢١٩
أَتَاقِنِي	مجزوء الكامل	أَبُو الْحَسَنِ الْخَصْرِيُّ	١٦٤
لُبُونِ	البسيط	ابْنُ سَهْلٍ الْإِسْرَائِيلِيُّ	١٨٩
الدِّيَاخِيلُونَ	المجتث	أَبُو عَامِرٍ بْنِ الْقَرَجِ	١٦٤
الْفُنُونِ	المجتث	أَبُو الْفَضْلِ ابْنُ حَسْدَاي	١٦٥
السَّلَاطِينِ	البسيط	عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ رَزِين	١٩٠
الطِّينِ	السريع	ابْنُ حَجَّاجٍ الْعَافِقِيُّ الْعَيْشُوم	١٠٤
قَافِيَةُ الْهَاء			
لِإِسْفَارِهَا	المتقارب	ثَمِيمُ بْنُ الْمُعَزِّ	١٧٦
جُرْمَهَا	الكامل	إِسْمَاعِيلُ وَالِدُ قَسْمُونَةَ	٢٢٩
جِرْمَهَا	الكامل	قَسْمُونَةُ بِنْتُ إِسْمَاعِيلَ	٢٢٩
يُحَاشِيهَا	الطويل	لِسَانُ الدِّينِ ابْنِ الْخَطِيبِ	١٣٥
أَهْوَاهُ	الرجز	ابْنُ الْقَرَاءِ الْأَحْفَشُ بْنُ مَيْمُون	١١٤

== فهرس القوافي ==

٢١٧	ابن طاهر	السريع	مثله
١١٧	أحمد الكناد	الخفيف	سناء
٢٠٩	ابن سهل الإسرائيلي	الكامل	ظهوره
١١٦	ابن حجاج العافقي العيشوم	الكامل	عشاقه
١١٧	ابن حجاج العافقي العيشوم	السريع	نظمه
قافية الياء			
١٤٦	أبو العباس الجراوي	البسيط	جدي

فهرس الموشحات والأزجال (١)

ص 172	ابن قزمان	فإن مكتوب ه في التوراة اطلب تجد
ص 138	ابن خزمون	مَاء المدام صاب عليك أولى أن يجود
ص 173	ابن خزمون	فكل خلق أصاب إلا النصارى واليهود
ص 179	ابن سهل الإسرائيلي	حكي يوسف وظل في البحر
ص 173	—	ظبي من بني إسحاق يراع بسحر
ص 208	ابن سهل الإسرائيلي	ليل الهوى يقظان والحب ترب السهر
ص 206	ابن سهل الإسرائيلي	هو أبا الطاهر قد صح نصا وقياس
ص 184	ابن زهر	من لصب عدا مشوق ظل في دمه غريق حين أموا حمى العقيق
ص 118	ابن رافع رأسه	يا أشبه القوم بالقنى ابن راحيل
ص 118	ابن بقي	ساحر الطرف رخيخ في صفات ابن راحيل
ص 153	ابن قزمان	شهر الصيام زال وجا شوان يا لس نسال
ص 111	ابن قزمان	أوقد في قلبي النار جلوس للظل

فهرس الكتب

1. آراء أهل المدينة الفاضلة أبو نصر الفارابي ١٠٦
2. الاستيعاء إسماعيل بن نغريلة ١٠١
3. الاستقصاء "ספר הימודות" إسحاق إسرائيل ، ترجمة: إسحاق البرجلوني ٩٩ ، ٤
4. اشتقاق الأسماء أبو عبيد البكري ١٥٦
5. أبقار الأفكار ابن شرف الجذامي ٢٧٤
6. أحكام أهل الذمة أبو بكر الخلواني ٥٠
7. أرجوزة في الطب ابن سينا ١٠٦
8. أزهار الرياض المقرئ ١٨٥
9. الأصول "ספר השרשים" مروان بن جراح ، ترجمة: إسحاق بن رويين البرجلوني ٩٩
10. أعلام الأعلام ابن الخطيب ٢٧٨ ، ٣٨
11. أعلام الكلام ابن شرف الجذامي ٢٧٤
12. أعمال الأعلام ابن الخطيب ٢٨١ ، ١٧١
13. الأمثال الصغيرة إسماعيل ابن نغريلة ٢٨٥
14. الأمثال "משל" ينسب إلى سليمان عليه السلام ٢٩١
15. أمثال عبرية "משל" إسحاق بنيامين ١٠٣
16. الأمالي القالي ، وشرحه: أبو عبيد البكري ١٥٦
17. الأمير والدرويش أبراهام بن صمويل بن حسداي ١٠٢
18. الإحاطة ابن الخطيب ٢٩٩ ، ٢٧٨ ، ٢٣٣ ، ٥٢ ، ٣٨
19. إصلاح الأخلاق سليمان بن يهوذا ابن جبيرول ٩٩
20. إصلاح النفس سليمان بن جبيرول، ترجمة: يهوذا بن تبون ١٠٥
21. إعتاب الكتاب ابن الأبار ٢٥
22. الإنجيل ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٦١
23. الإنصاف ابن سينا ١٠٦
24. إيضاح المسالك إلى ألفية ابن مالك ابن مرزوق الخطيب ٢٠١
25. الإيمان أبقراط ٢١٦
26. بداية المجتهد أبو الوليد ابن رشد ١٨٧
27. التبديع ابن المعتز ٥٠
28. بغية الوعاة جلال الدين السيوطي ٢٢١

فهرس الكتب

29. بغية الملتبس الضبي ٤٧
30. البهجة والسُرور "בְּהִיגָה" يوسف زبارا ١٠٢
31. البيان المغرب ابن عذاري ٢٠٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨١
32. تاج المفرق في تخلية علماء المشرق خالد البلوي ٢٠١ ، ٢٠٢
33. تاجر البندقية شكسبير ٨٧
34. تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٠٣ ، ٢٣٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨١
35. تاريخ الطبري الطبري ٢
36. تاريخ يوسف بن هارون الهاروني يوسف ٢٩٢
37. تافه من جم ونقطة من يم أبو الحسن ابن الجياب ١٣٦
38. التبيان الأمير عبد الله بن بلقين ١٩ ، ١٣٢ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥
39. تحفة القادم ابن الأبار ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٥
40. تحموني الحريري ١٠٢
41. ترتيب المدارك القاضي عياض ٤٧
42. تسريح النصال إلى مقاتل الفصال عمر الماقي ٢٦٦
43. التصاريف إسحاق بن يشوس الطليطلي ١٠١
44. التفاحة "תפוח הדס" أرسطو ، ترجمه: أبراهام ابن حسداي ٩٩
45. التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ٤٠ ، ٢٥ ، ٥١ ، ٦٩ ، ١٤٠
46. التلمود ٣ ، ٤٥ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩١
47. التوابع والزوابع ابن شهيد ٤١
48. الجفر الكندي بن إسحاق ٧
49. الجمارا ٣
50. الجمل في النحو الزجاج، شرحه: أبو إسحاق السبتي ١٩٨
51. جمهرة أنساب العرب ابن خزم ٢٩٠
52. الجوامع "הקדמה" ينسب إلى سليمان عليه السلام ٢٩١
53. جيش التوشيح ابن الخطيب ١٧٤
54. الحديقة في معنى المجاز والحقيقة موسى بن عزرا ٢٧
55. الحروف يهودا بن بلعام ١٠١
56. الحلة السيرا في أشعار الأمراء ٤ ، ٢٥ ، ٦٣ ، ١٢١ ، ٢٤٤
57. الخلل الموسية مجهول ٦٧

فهرس الكتب

١٠١	أبراهام بن عزرا	حي بن مقير	58.
١٨٧	أبو بكر ابن طفيل	حي بن يقطان	59.
٢٤٧	الجاحظ	الحيوان	60.
١٠٦ ، ٩٣	موسى بن ميمون	دلالة الخائرين	61.
٥٥	ابن قزمان	ديوان ابن قزمان	62.
١٧٤	الأعشى الشطيلي	ديوان الأعشى الشطيلي	63.
١٧٤	الجزار السرقسطي	ديوان الجزار السرقسطي	64.
٤ ، ٨ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٧٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٧٨ ، ٢٨١	الشتري	الدخيرة	65.
١٠٧	بنيامين الشطيلي	الرحلات "המסעות"	66.
١٠٨	يهودا الحريزي	رحلات يهودا الحريزي	67.
١٨٥	ابن بطوطة	رحلة ابن بطوطة	68.
١٠٨	إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي	رحلة الطرطوشي	69.
١٠٠	إسحاق ابن جيكاتيل ويهودا خيوج	رد على الرد	70.
٢٩٠	ابن حزم	الرد على من اعترض على الفصل	71.
٩٩	ابن جناح	رسائل في اللغة	72.
٢٩٠	ابن حزم	رسالة في الرد على ابن نغريلا اليهودي	73.
١٨٧	أبو بكر ابن طفيل	رسالة في النفس	74.
٢٧٢ ، ٢٤٩	ابن زيدون	الرسالة البكرية	75.
٢٧٣ ، ٢٤٩ ، ١٩٣	ابن زيدون	الرسالة الهزلية	76.
١٩٠	أبو عبد الله العقيلي	الروض العاطر الأنقاس	77.
٤ ، ٣٥ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ١٤٥ ، ٢٣٣	الحميري	الروض المغطار	78.
١٩٥		الزبور	79.
٥٠	ابن المعتز	الزهر والرياض	80.
٢٩٢		سادر (من كتب التلمود)	81.
٢٨٤	إسماعيل ابن نغريلا	السجج في علوم الأوائل	82.
٢٨٥	إسماعيل ابن نغريلا	سفر الجامعة الصغير	83.
٢٢٦	أبو العلاء المعري	سقط الزند	84.
٩٩	الغزالي، ترجمة: إسحاق البرجلوني	السُّلوك "זוהר אהרן"	85.
١٩٠	أبو بكر ابن اللبابة	السُّلوك في وعظ الملوك	86.

فهرس الكتب

87.	السُّلَمِيَّاتُ وَالْعَرَفِيَّاتُ	يَحْيَى التَّجِيْبِي	٥٢
88.	السَّمَاءُ وَالْعَالَمُ	أرسطو	٢١٧
89.	السَّيْفُ الْمَمْدُودُ فِي الرَّدِّ عَلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ	عَبْدُ الْحَقِّ الْإِسْلَامِي	٩٣
90.	شَدْرَاتُ الذَّهَبِ	الْحَنْبَلِي	١٤٣، ١٨١، ١٩٦، ٢٠٣، ١٩٧
91.	شَرْحُ أَرْجُوزَةِ ابْنِ سَيْنَا	أَبُو الْوَلِيدِ ابْنُ رُشْدٍ	١٨٧
92.	شَرْحُ الْفُصُولِ	أَبُو جَعْفَرٍ يُوسُفُ بْنُ أَحْمَدَ	٢١٦
93.	شَرْحُ الْقَوَانِينِ التِّلْمُودِيَّةِ	أَبْرَاهَامُ بْنُ عِزْرَا	٩٦
94.	شَرْحُ لِلتِّلْمُودِ	إِسْحَاقُ الْقَاسِي	٩٦
95.	شِعْرُ الْأَشْعَارِ "שיר השירים"	يُنْسَبُ إِلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ	٢٩١
96.	الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى	ابْنُ مَرْزُوقٍ الْخَطِيبِ	٢٠١
97.	الشفاء	ابْنُ سَيْنَا	١٠٦
98.	شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ فِي أَخْذِ الْأَعْرَاضِ	السُّمَيْسِرُ	١٤٣، ١٤٢
99.	صفوة الأدب وديوان الغرب في مختار الشعر	أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَرَاوِي	١٤٦
100.	ضوء السَّقَطِ	أَبُو الْعَلَاءِ الْمَغْرَبِي	٢٢٦
101.	طبقات الأمم	صَاعِدِ	٢٨١، ٢٧٨
102.	طبقات النحويين واللغويين	أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ الزُّبَيْدِي	١٧٨
103.	طُوقُ الْحَمَامَةِ	ابْنُ حَزْمٍ	٧٣، ٢٩٠
104.	عَبَرُ الْفَلَسَفَةِ "מוסרי הפילוסופים"	تَرْجَمَهَا يَهُوذَا الْخَرِيزِي	١٠٢
105.	عُدَّةُ الْجَلِيسِ	ابْنُ بَشْرٍ الْأَعْرَنَاطِي	١٧٤
106.	العقد القَرِيدِ	ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ	٦٤
107.	عقيدة النفس	يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ بْنِ بَقُودَةَ	١٠٦
108.	العَالَمُ الصَّغِيرُ	يُوسُفُ بْنُ صَدِّيقٍ	١٠٦
109.	العَالَمُ الصَّغِيرُ "העולם הצעיר"	ابْنُ صَدِّيقٍ	١٠٧
110.	عُيُونُ الْأَنْبَاءِ	ابْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ	٢٤٩
111.	ألف ليلة وليلة		١٠٢
112.	الفِصَلُ فِي الْمَلِكِ وَالْأَهْوَاءِ وَالنَّحْلِ	ابْنُ حَزْمٍ	٧٣، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٠، ٢٦٥، ٢٩٢
113.	فصيح ثعلب (الموطأة)	مَالِكُ بْنُ الْمَرْحَلِ	٢٠١
114.	الفهرست	ابْنُ النَّدِيمِ	٩٨
115.	قَوَاتُ الْوَقَائِتِ	الْكُتَيْبِي	٢٠٣

فهرس الكتب

٢٨٤	قاموس شامل لألفاظ التوراة	إسماعيل ابن نغريلا	١١٦.
١٠٦	القانون	ابن سينا	١١٧.
٦٧	قصة الحضارة	ول ديورانت	١١٨.
٢٦٢	قلائد الحقيان	ابن خاقان	١١٩.
٢٩٩	قمع اليهود عن تعدي الحدود	محمد بن علي الشفوري	١٢٠.
١٩٨	الكاميل	ابن الأثير	١٢١.
٩٦	كتاب الفرائض	ابن ميمون	١٢٢.
٩٩	الكتاب الخزري	يهودا هليفي	١٢٣.
١٠١	كتاب في الحركات	داود بن هاجر	١٢٤.
١٠١	كزاري	يهودا هليفي	١٢٥.
٢٠٠	الكشاف في التفسير	الزمخشري	١٢٦.
٢٠٢	كشف الظنون	القسطنطيني	١٢٧.
١٠٢، ١٠١	كيلة ودمئة "أساطير بيدبا الهندي"	ابن المقفع، ترجمه: عزرا بن يعقوب	١٢٨.
١٠٤	كنز المقل	منجم بن الفوال	١٢٩.
٢١٧	الكيان	أرسطوطاليس	١٣٠.
٢٠١	اللامية	مالك ابن المرحل	١٣١.
٢٢٦	لزوم ما لا يلزم	أبو الغلاء المعري	١٣٢.
١٨٤، ١٣٥	لسان العرب	ابن منظور	١٣٣.
٨	المونس في أخبار إفريقية وتونس	ابن أبي دينار القيرواني	١٣٤.
١٠١	ما تشابه لفظه واختلف معناه	يهودا بن بلعام	١٣٥.
٢٧	المخاورة والمداكرة	موسى بن عزرا	١٣٦.
٢٩٠	المحلى	ابن خزم	١٣٧.
١٠٢، ٩٩	مختار اللؤلؤ "מבחר הפנינים"	سليمان ابن جبرول، ترجمه: يهودا بن تيون	١٣٨.
١٧٨	مختصر كتاب العين	أبو بكر محمد الزبيدي	١٣٩.
١٠١	مختصر للنحو العبري	ابن جبرول	١٤٠.
١٨٧	مختصر المستنقى	أبو الوليد ابن رشد	١٤١.
٦٥	المدة في مذهب الإمام مالك	سحنون	١٤٢.
١٠١	المذكر والمؤنث	يهودا خيوج	١٤٣.
١٠١	المرشد لقراءة الكتاب المقدس	يهودا بن بلعام	١٤٤.
٢٨٥	المزامير الصغيرة	إسماعيل ابن نغريلا	١٤٥.

فهرس الكتب

٢٠٣	الإفراني	المسلك السهل	146.
١١٤، ٧٣	الحجاري	المُسهب	147.
١٤٢، ١١٩			
٢٣٢، ٢٢٩			
٩٦، ٣		المشنا	148.
٧٧	المغيلي	مصباح الأرواح في أصول القلاح	149.
٩٩	ديستوريدس	مُصَوِّرُ الحَشَائِشِ	150.
٢٧٤	ابن دحية	المُطَرَّبُ مِنْ أَشْغَارِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ	151.
١٧٦	ابن خاقان	مَطْمَحُ الْأَنْفُسِ وَمَسْرَحُ التَّائِسِ	152.
١٧٦، ٦٧، ٦٣، ١٨، ٤	عبد الواحد المراكشي	المُعْجِبُ	153.
٩٩، ٣٦	يَاقُوتَ الحَمَوِيَّ	مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ	154.
١٨٥	دوزي	مُعْجَمُ دُوزِي	155.
١٤٣	السلفي	مُعْجَمُ السَّلَفِيَّ	156.
٢٥	الصدفي	مُعْجَمُ الصَّدْفِيَّ	157.
١٠٠	مناحيم بن سُرُوق	مُعْجَمُ الكُرَاسَةِ "מחברת"	158.
١٥٦	أبو عبيد البكري	مُعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ	159.
٧٧، ٦٣، ٦٢	الوشريسي	المعيار المغرب	160.
١٢٤، ١١٩، ٨٤، ٦٣، ٥٢، ٥، ٤	ابن سعيد	المغرب	161.
٢٣٢، ١٦٧، ١٣٨، ١٢٦، ١٢٥			
٢٨٨، ٢٨١، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٤١			
١٠١	ليفي بن التبان	المِفْتَاحُ	162.
٢٠٠	الزُّمَخْشَرِيَّ	المُقَصِّلُ فِي النُّحُو	163.
١٠٢	يهودا الحريزي	مَقَامَاتُ بِالْعِبْرِيَّةِ	164.
١٠٢	سُلَيْمَانُ بْنُ زُقَيْلٍ	مَقَامَةٌ	165.
١٠٢	يهودا الحريزي	مَقَامَةٌ بِالْعَرَبِيَّةِ	166.
١٨٧	أبو الوليد ابن رُشدٍ	المُقَدِّمَاتُ	167.
٧، ٤	ابن خلدون	المُقَدِّمَةُ	168.
٢٠٣، ٢٠١	ابن رُشَيْدٍ الْفَهْرِيَّ	مِلْءُ الْعَيْنَةِ	169.
٨٧		ملحمة السيد	170.
٢٧٨	الرَّاعِي	المُمْتَعُ السَّهْلُ	171.
١٠١	داود بن هاجر	المُؤَاوِزَةُ	172.
٢٩٢	من كُتُبِ التَّلْمُودِ	ناشيم	173.
١٥٦	أبو عبيد البكري	النبات	174.

فهرس الكتب

175. النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس
أبو الخطاب بن دحية ٢٧٤
176. النجوم الزاهرة
ابن تخرى بردي ١٨٥
177. نفح الطيب
المقري
٤، ٥، ٤٢، ٤٧، ٦٣، ٦٥، ٧٠، ٨٥، ١٣٤، ١٥٨، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٣٢، ٢٥٣، ٢٧٦، ٢٧٨
178. نهاية الأرب
النويري ٦٣
179. النوادر
القالبي ١٩٨
180. الهداية إلى واجبات القلوب
يحيى بن يوسف بن بقودة ١٠٦
181. واجبات القلوب "חובות
הלבבות"
يحيى بن يوسف بن بقودة ، ترجمه
يهودا بن تبون ١٠٦
182. الواضح
أبو بكر محمد الزبيدي ١٧٨
183. الوصايا "פסד המדות"
ابن ميمون ، ترجمه: إسحاق البرجلوني ٩٩
184. يد حراقة أي اليد القوية
موسى بن ميمون ٩٦
185. ينبوع الحياة
سليمان بن جبرول ١٠٥، ٩٩

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- التوراة
- ١. أبدي، محمد "عون المعبود؛ شرح سنن أبي داود" در لکتاب العلمية، ط ٢، بیروت، ١٩٩٤م [١- ١٠].
- ٢. بن لکبار، محمد لقصابي (ت: ٦٥٨هـ) "إغاث الكتاب" تحقيق: صالح لأشتر، مجمع اللغة لعربية، ط ١، دمشق، ١٩٦١م.
- ٣. - "تحفة القادم" تعليق: حسان عباس، در لغز الإسلامی، ط ١، بیروت، ١٩٨٦م.
- ٤. - "التكملة لكتاب الصلاة" تحقيق: عبد السلام لهرش، در لمعرفة، الدر البيضاء، دت [١- ٤].
- ٥. - "الخلة السيرة" تحقيق: حسين مؤنس، در لمعارف، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٥م [١- ٢].
- ٦. - "المفتن من كتاب تحفة القادم" در لکتاب لمصري ودار لکتاب للأناني، ط ٣، القاهرة وبيروت، ١٩٨٩م.
- ٧. لأبيهي، محمد بن أحمد (ت: ٨٥٠هـ) "المستطرف في كل فن مستظرف" در مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٣م [١- ٢] في مجلد واحد.
- ٨. بن لأثير، علي بن أبي لكرم لشيباني (ت: ٦٣٠هـ) "الکامل في التاريخ" تحقيق: عبد الله القاضي، ط ٢، در لکتاب لعلمية، بيروت، ١٩٩٤م [١- ١١].
- ٩. جودي، فاروق محمد "الصهيونية واللغة" در للثقافة، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ١٠. بن لأحمر، إسماعيل (ت: ٨٠٧هـ) "روضة السرين" مطبوعات لقصر لملكي، لرباط، ١٩٨٠م.
- ١١. - "تثير فراند الجمال في نظم فحول الزمان" تحقيق: محمد رضون لدية، در للثقافة، د م، ١٩٦٧م.
- ١٢. بن لأخوة، محمد بن محمد لقشبي (ت: ٧٢٩هـ) "معالم القرية في أحكام الجسبة" تحقيق: روين ليوي، مطبعة در لفنون، كمبردج، ١٩٣٧م.
- ١٣. بن دريس، أبو بحر صفون لتجبيي (ت: ٥٩٨هـ) "زاد المسافر وعرة محيا الأدب المسافر".
- ١٤. لأدريسي، محمد بن عبد الله (ت: ٥٦٠هـ) "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ط ١، عالم لکتاب، بيروت، ١٩٨٩م [١- ٢].
- ١٥. أرنولد، سير توماس وآخرون "تراث الإسلام" ترجمة: جرجيس فتح الله، مطبعة لجنة لتأليف ولترجمة ولنشر، د م، ١٩٣٦م [١- ٢].
- ١٦. لأصبهاني، أبو نعيم محمد بن عبد الله (ت: ٤٣٠هـ) "خلية الأولياء وطبقات الأطباء" تحقيق مصطفى عبد لقادر لقط، ط ١، در لکتاب لعلمية، بيروت، ١٩٦٧م [١- ١٢].
- ١٧. لأصفهاني، أبو لفرج (ت: ٣٥٦هـ) "الأغاني" تحقيق علي مهنا وسمير جابر، ط ٢، در لفكر، بيروت، دت [١- ٢٤].
- ١٨. بن بي صيعة، أحمد بن لقاسم لسعدي (ت: ٦٦٨هـ) "غيون الأنبياء في طبقات الأطباء" تحقيق محمد باسل عيون لسود، در لکتاب لعلمية، بيروت، دت.
- ١٩. لأعشى، ميمون بن قيس "ديوانه" شرح محمد محمد حسين، در لنهضة لعربية، بيروت، ١٩٧٢م.
- ٢٠. لأفرني، محمد "المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل" تحقيق محمد لعمرى، وزارة لأوقاف، لمغرب، ١٩٩٧م.
- ٢١. لألباني، محمد ناصر لدين "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة" ط ١، مكتبة لمعارف، لرياض، دت [١- ٥].
- ٢٢. - "صحيح سنن أبي داود باختصار السند" ط ١، مكتب لتربية لعربي لدول لخليج، ١٩٨٩م [١- ٢].
- ٢٣. لأبيري، أبو إسحاق (ت: ٤٥٩هـ) "ديوانه" تحقيق محمد رضون لدية، ط ١، در لفكر، دمشق، ١٩٩١م.
- ٢٤. مرؤ لقيس "ديوانه" در بيروت ودر صادر، بيروت، ١٩٥٨م.
- ٢٥. لأمير عبد الله بن بلقين (ت: ٤٨٣هـ) "التبيان" تحقيق: ليفي بروفنسال، در لمعارف، مصر، ١٩٥٥م.
- ٢٦. بن باجة وآخرون "رسائل فلسفية" تحقيق: عبد لرخص بدوي، لجامعة للبيبة، بني غازي، سنة ١٩٧٣م.
- ٢٧. لأهوني، عبد لعزیز "الرجل في الأندلس" معهد لدرسات لعربية لعلمية، د م، ١٩٥٧م.
- ٢٨. لباخري، علي بن لحسن (ت: ٤٦٧هـ) "نمية القصر وعصرة أهل العصر" تحقيق: محمد التونجي، ط ١، در لجبل، بيروت، ١٩٩٣م [١- ٣].
- ٢٩. بالنتيا، أنخل جنتالت "تاريخ الفكر الأندلسي" ترجمة: حسين مؤنس، ط ١، مكتبة مكتبة للثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٣٠. لبخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ) "صحيحه" تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار بن كثير ولتصاحف، بيروت، ١٩٨٧م [١- ٦].
- ٣١. بروفنسال، ليفي "خسارة العرب في الأندلس" ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت.
- ٣٢. لبستاني، بطرس "محيط المحيط؛ قاموس مطول للغة لعربية" مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٣٣. بشتاوي، عادل سعيد "الأندلسيون المواركة" ط ٢، در أسامة، دمشق، ١٩٨٥م.
- ٣٤. بن بشرى لأعرباطي، علي "عدة الجليس وموانسة الوزير والرئيس" تحقيق: ألن جونز، مركز لحاسبات في جامعة أكسفورد، ١٩٩٢م.
- ٣٥. بن بشكول، خلف بن عبد لملك (ت: ٥٧٨هـ) "الصلة" تحقيق: إبرهيم لأبياري، ط ١، در لکتاب، مصر ولبنان، ١٩٨٩م [١- ٣].
- ٣٦. بن بطوطه، محمد بن عبد لله للوتي (ت: ٧٥٧هـ) "رحلته" در لثرت، مصر ولبنان، ١٩٦٨م.
- ٣٧. لبكري، أبو عييد (ت: ٤٨٧هـ) "جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك" تحقيق: عبد لرخص لحجي، ط ١، در لإرشاد، بيروت، ١٩٦٨م.
- ٣٨. - "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال" تحقيق: حسان عباس وعبد لمجيد عابدين، ط ٣، مؤسسة لرسله، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٣٩. - "معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع" تحقيق: مصطفى لسقا، عالم لکتاب، بيروت، دت.

المصادر والمراجع

٤٠. لبُلُوي، أبو لُبَاءِ خَالِد بن عيسى (ت: بعد ٧٦٧هـ) "تاج المَفرِق في تَخْلِيَةِ عُلَمَاءِ المَشْرِق" تَحْقِيق: لَحسن لَسَانِح، مطبعة محمد لخامس لثقافية لجامعة، قاس، ١٩٧٠م [١-٢] في مجلد واحد ..
٤١. بورتشيش، بَر هِيم "مَبَاحِثُ فِي التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِي لِلْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ خِلَالِ عَصْرِ الْمُرَابِطِينَ" ط١، دَر لَطَلِيغَة، بِيْرُوت، ١٩٩٨م.
٤٢. بِيْرِس، هِنْرِي "الشَّعْرُ الْأَنْدَلُسِي فِي عَصْرِ الطَّوَانِفِ؛ مَلَامِيحُهُ لِعَامَّةٍ وَمَوْضُوعَاتُهُ لِرَّئِيسِيَّةٍ وَقِيَمَتُهُ لَتَّوَثِيغِيَّةٍ" تَرْجَمَة: لَطَاهِر أَحْمَد مَكِّي، ط١، دَر لَمْعَارِف، مِصر، ١٩٨٨م.
٤٣. لَثَرِمِذِي، مُحَمَّد بن عيسى لِسْمِي (ت: ٢٧٩هـ) "الْجَامِعُ الصَّحِيحُ؛ سُنَنِ التَّرْمِذِي" تَحْقِيق: أَحْمَدُ مُحَمَّد شَاكِر وَآخَرُونَ، دَر حَيَاء لَثَرِث لَعَرَبِي، مِصر، دت [١-٥].
٤٤. لَثُونَجِي، مُحَمَّد "الْمُعْجَمُ الْمُفَصَّلُ فِي الْأَدَبِ" ط١، دَر لَكُتُب لِعِلْمِيَّة، مِصر، ١٩٩٣م [١-٢].
٤٥. بِن تَغْرِي بَرْدِي، جَمَال لَدِين (ت: ٨٧٤هـ) "النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ فِي مُلُوكِ مِصرَ وَالْقَاهِرَةِ" تَعْلِيْق: مُحَمَّد حَسِين شَمْس لَدِين، ط١، دَر لَكُتُب لِعِلْمِيَّة، بِيْرُوت، ١٩٩٢م [١-١٦].
٤٦. أَبُو تَمَام، حَبِيب بن أَوْس (ت: ٢٣١هـ) "بِيَوَانُهُ" تَعْلِيْق: يُونُس لَمُوصِلِي، دَر صَعْب بِيْرُوت، دت.
٤٧. - "دِيَوَانُ الحَمَاسَةِ" بِرُويَة لَجُويلقي، شَرْح: أَحْمَد حَسَن بَسِج، ط١، بِيْرُوت دَر لَكُتُب لِعِلْمِيَّة، ١٩٩٨م.
٤٨. لَتَبْكِي، أَحْمَد بَابَا (ت: ١٠٣٦هـ) "نَيْلُ الْإِبْتِهَاجِ بِتَطْرِيزِ الدِّيَانِجِ" تَحْقِيق: عَلِي عَمْر، ط١، مَكْتَبَة لثقافة لَدِينِيَّة، لِقَاهِرَة، ٢٠٠٤م [١-٢].
٤٩. لَتَّوُجِي، لَمُحْسِن عَلِي (ت: ٣٨٤هـ) "الْفَرْجُ بَعْدَ الشَّدَةِ" تَحْقِيق: مُحَمَّد حَسَن عَبْد الله، دَر قِبَاء، لِقَاهِرَة، ٢٠٠٠م.
٥٠. لَتَّعَالِبِي، أَبُو مَنصُور عَبْد لَمَلِك (ت: ٤٢٩هـ) "ثَمَارُ الْقُلُوبِ فِي الْمُصَافِ وَالْمُنُوبِ" تَحْقِيق: مُحَمَّد أَبُو لَفْضَل بَر هِيم، ط١، دَر لَمْعَارِف، لِقَاهِرَة، ١٩٦٥م.
٥١. - "بِيْتِمَة الدَّهْرِ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ" تَحْقِيق: مَفِيدُ مُحَمَّد قَمْحِيَّة، ط١، دَر لَكُتُب لِعِلْمِيَّة، بِيْرُوت، ١٩٨٣م [١-٤].
٥٢. لَجَاحِظ "الْحَيَوَانُ" تَحْقِيق: فُوزِي عَطُوي، ط٣، دَر صَعْب، بِيْرُوت، ١٩٨٢م [١-٧ في جُزئِين].
٥٣. جَبْر، وَدِيع "مُعْجَمُ النُّبَاتَاتِ الطَّبِيَّةِ" ط٢، دَر لَجِبِل، بِيْرُوت، ١٩٩٨م.
٥٤. بِن جُبَيْر، مُحَمَّد بن خَيْر (ت: ٦١٤هـ) "رَحْلَتُهُ" تَقْدِيم: مُحَمَّد مُصْطَفَى زِيَادَة، دَر لَكُتَابِ لَلْبَنَانِي، بِيْرُوت وَلِقَاهِرَة، دت.
٥٥. لَجُرْجَانِي، عَلِي بن مُحَمَّد (ت: ٨١٦هـ) "التَّعْرِيفَاتُ" تَحْقِيق: بَر هِيم لِابْيَارِي، ط١، دَر لَكُتَابِ لَعَرَبِي، بِيْرُوت، ١٩٨٤م.
٥٦. جَرَّر، صِلَاح "مَرْجُ الكُحْلِ الْأَنْدَلُسِي؛ سِيرَتُهُ وَشَعْرَتُهُ" ط١، دَر لِبَشِير، عَمَّان، ١٩٩٣م.
٥٧. لَجَزَر لِسُرْقُطِي، أَبُو بَكْر يَحْيَى بن مُحَمَّد (ت: ٤٧٤هـ) "رُوضَةُ المَحَاسِنِ وَعُمْدَةُ المَحَاسِنِ" تَحْقِيق: مَنجِد مُصْطَفَى بَهْجَت، مطبعة لمجمع لعلمي لعرقي، لعرقي، ١٩٨٨م.
٥٨. لَجُمَحِي، بِن سَلَام (ت: ٢٣١هـ) "طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّيْنَ وَالْإِسْلَامِيَّيْنَ" تَحْقِيق: مُحَمَّد مُحَمَّد شَاكِر، دَر لَمَدَنِي، جَدَة، دت [١-٢].
٥٩. لَجُوهَرِي، أَبُو نَصْر سَمَاعِيل (ت: ٣٩٣هـ) "الصَّحَاحُ: تَاجُ لِّلْغَةِ وَصَحَاحُ لَعَرَبِيَّةٍ" تَحْقِيق: مُيَل بَدِيع يَعْقُوب، ط١، دَر لَكُتُب لِعِلْمِيَّة، بِيْرُوت، ١٩٩٩م [١-٧].
٦٠. بِن لَحْدَد لَأَنْدَلُسِي (ت: ٤٨٠هـ) "دِيَوَانُهُ" تَحْقِيق: يُونُس عَلِي طُويل، ط١، دَر لَكُتُب لِعِلْمِيَّة، بِيْرُوت، ١٩٩٠م.
٦١. بِن حَزَم، أَبُو مُحَمَّد عَلِي بن أَحْمَد (ت: ٤٥٦هـ) "جَمْهَرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ" ط١، دَر لَكُتُب لِعِلْمِيَّة، بِيْرُوت، ١٩٨٣م.
٦٢. - "رِسَالَتُهُ" تَحْقِيق: حُسَان عَبَّاس، ط٢، لِمُؤَسَّسَة لَعَرَبِيَّة لَلدَّرَسَاتِ وَلِنَشْر، بِيْرُوت، ١٩٨٧م [١-٤].
٦٣. - "طُوقُ الحَمَامَةِ فِي الْأَلْفَةِ وَالْأَلَفِ" تَحْقِيق: حَسَن كَامِل لَصِيرْفِي، مطبعة لاستقامة، لِقَاهِرَة، ١٩٦٤م.
٦٤. - "الفَصْلُ فِي الْمِلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالنَّحْلِ" ط١، لِمَطْبَعَة لَأَدَبِيَّة، مِصر، ١٨٩٩م [١-٢].
٦٥. بِن حَمَّاد، مُحَمَّد "أَخْبَارُ مُلُوكِ بَنِي عُبَيْدٍ وَسِيرَتُهُمْ" تَحْقِيق: لَتَهَامِي نَفْرَة وَعَبْد لَحَلِيم عَوِيْس، دَر لَصَحْوَة، لِقَاهِرَة، ١٩٨٠م.
٦٦. لَحَمُوي، بِن جَبَّة عَلِي بن عَبْد الله (ت: ٨٣٧هـ) "خَزَانَةُ الْأَدَبِ وَغَايَةِ الْأَرْبِ" تَحْقِيق: عَصَام شَعْبَتُو، ط١، دَر وَمَكْتَبَة لِهَلَال، بِيْرُوت، ١٩٨٧م [١-٢].
٦٧. لَحَمُوي، يَاقُوت (ت: ٦٢١هـ) "مُعْجَمُ الْأَنْبَاءِ" ط٣، دَر لِفَكْر، بِيْرُوت، ١٩٨٠م [١-٢٠] فِي عَشْرَة مَجَلَّدَاتِ.
٦٨. - "مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ" دَر لِفَكْر، بِيْرُوت، دت [١-٥].
٦٩. لَحَمِيدِي، مُحَمَّد بِن قُتُوح (ت: ٤٨٨هـ) "جَدْوَةُ الْمُقْتَبَسِ فِي ذِكْرِ وِلَاةِ الْأَنْدَلُسِ" تَحْقِيق: مُحَمَّد بِن تَاوِيْت لَطَنَجِي، مَكْتَبَة لَخَانَجِي، لِقَاهِرَة، ١٩٥١م.
٧٠. لَحِمَيْرِي، مُحَمَّد عَبْد لَمَنَعِم "الرُّوضُ الْمِنطَارُ فِي خَبَرِ الْأَقْطَارِ" تَحْقِيق: حُسَان عَبَّاس، ط٢، مُؤَسَّسَة نَاصِر لَلثقافة، بِيْرُوت، ١٩٨٠م.
٧١. لَحَنَلِي، بِن عَمَاد (ت: ١٠٨٩هـ) "شُكْرَاتُ الدَّهَبِ فِي أَخْبَارِ مَنْ دَهَبَ" دَر لَكُتُب لِعِلْمِيَّة، بِيْرُوت، دت [١-٤].
٧٢. بِن حَيَّان لَقُرْطُوبِي (ت: ٤٦٩هـ) "الْمُقْتَبَسُ" تَحْقِيق: مُحَمَّد عَلِي مَكِي، دَر لَكُتَابِ لَعَرَبِي، بِيْرُوت، ١٩٧٣م.
٧٣. بِن خَالِقَان، لَفْتَح بِن مُحَمَّد لَقَيْسِي (ت: ٥٢٩هـ) "قَلَادِ الْعُقَيَانِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْيَانِ" تَحْقِيق: حَسِين خَرِيُوش، مَكْتَبَة لَمَنَار، ط١، لَأَرْدَن: لَزُرْقَاء، ١٩٨٩م [١-٢].
٧٤. - "مَطْمَحُ الْأَنْفُسِ وَمَسَرِّحُ النَّاسِ فِي مَلْجِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ" تَحْقِيق: مُحَمَّد عَلِي شُوبَكَة، مُؤَسَّسَة لِرَّسَالَةِ، د.م، دت.
٧٥. بِن خَرْدُذَبَة، أَبُو لِقَاسِم عَبِيدَ اللهِ (ت: ٣٠٠هـ) "الْمَسَالِكُ وَالْمَمَالِكُ" مَكْتَبَة لثقافة لَدِينِيَّة، لِقَاهِرَة، دت.
٧٦. بِن لَخَطِيب، لِسَان لَدِين لِسَلْمَانِي (ت: ٧٧٦هـ) "الإِحَاطَةُ فِي أَخْبَارِ عَرَنَاطَةِ" تَحْقِيق: مُحَمَّد عَبْدَ اللهِ عَنَان، مَكْتَبَة لَخَانَجِي، ط٢، لِقَاهِرَة، ١٩٧٣م [١-٤].
٧٧. - "أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ فِي مَنْ بُوِيَغَ قَبْلَ الْإِحْتِلَامِ" تَحْقِيق: لِيْفِي بَرُونْسَال، دَر لَمَكْشُوف، د.م، دت.
٧٨. - "الْكُتُبِيَّةُ الْكَامِنَةُ فِي مَنْ لَقِيَنَاهُ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ شُعْرَاءِ لِمِائَةِ لَتَّامِيَّةٍ" تَحْقِيق: حُسَان عَبَّاس، دَر لثقافة، ط١، بِيْرُوت، ١٩٦٣م.
٧٩. - "الْلَمْحَةُ الْبَذْرِيَّةُ فِي الدَّوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ" تَحْقِيق: مَحَب لَدِين لَخَطِيب، دَر لَأَفَاق لَجَدِيدَة، ط٢، بِيْرُوت، ١٩٧٨م.
٨٠. - "نَفَاضَةُ الْجَرَابِ فِي غَلَاةِ الْإِعْثَرَابِ" تَحْقِيق: أَحْمَدُ مُحَمَّد لَعَبَّادِي، ١٩٨٥م.
٨١. - "دِيَوَانُهُ" تَحْقِيق: مُحَمَّد مَفْتَاح، دَر لثقافة، ط١، لَدَر لَبَيْضَاء، ١٩٨٩م [١-٢].

المصادر والمراجع

- ٨٢ بن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٥هـ) "تاريخه" در لقلع، طه، بيروت، ١٩٨٤م [١-٧].
- ٨٣ بن حلكان، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ) "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" تحقيق: إحسان عباس، در الثقافة، لبنان، دت [٨-١].
- ٨٤ بن خلوف، شهاب الدين (ت: ٨٩٩هـ) "ديوانه" تحقيق: هشام بوقمرة، در لقرية للكتاب، تونس، ١٩٨٨م.
- ٨٥ بن حميس لمالقي، محمد (ت: ٦٣٩هـ) "أبناء مالقة" تحقيق: صلاح جبر، در لبشير، عمان، ١٩٩٩م.
- ٨٦ بن خوجة، محمد لحبيب "يهود المغرب العربي" معهد لبحوث ولدرسات لقرية، جامعة لدول لقرية، ١٩٧٣م.
- ٨٧ بن دحية، عمر بن حسن (ت: ٦٣٣هـ) "المطرب من أشعار أهل المغرب" تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، لمطبعة لأميرية، لقاهرة، ١٩٩٣م.
- ٨٨ دندش، عصمت "الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين" در لغرب لإسلامي، طه، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٨٩ دهيمش، أحمد صالح وآخرون "مفردات النبات الطيية وطرق المعالجة بها" دار بتر، دمشق، ١٩٩٧م.
- ٩٠ دوزي، رينهارت "تاريخ مسلمي أسبانيا" ترجمة: حسن حبشي، دار لمعارف، ١٩٦٣م، لقاهرة، ج ١ (لحروب لأهلية).
- ٩١ - "تكملة المعاجم القرية" ترجمة: محمد سليم لنعيمي، دن، طه، دم، ١٩٧٦م [١-٩].
- ٩٢ ديورنت، ول "قصة الحضارة" ترجمة: زكي نجيب محمود، در الجبل، بيروت، دت [٢٨-١].
- ٩٣ لذيني، لتابعة "شرح ديوانه" منشورت در مكتبة لحياة، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٩٤ لذهبي، محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ) "العبر في خبر من غير" تحقيق: صلاح الدين لمنجد، مطبعة حكمة الكونت، طه، لكونت، ١٩٨٤م.
- ٩٥ - "سير أعلام النبلاء" تحقيق: شعيب لارناؤوط ومحمد نعيم لعرقسوسي، مؤسسة لرسلالة، طه، بيروت، ١٩٩٦م [١-٢٨].
- ٩٧ لرزي، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٢١هـ) "مختار الصحاح" تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥م [١-٧].
- ٩٨ بن أبي ربيعة، عمر "ديوانه" لشركة للبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٨م.
- ٩٩ رحيم، مقدد "اتجاهات نقد الشعر في الأندلس في عصر بني الأحمر" لمجمع لتقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠م.
- ١٠٠ بن رضون لمالقي، أبو لقاسم (ت: ٧٨٣هـ) "الشهب اللامعة في السيلاسة النافعة" تحقيق: على سامي لنشار، در لت قافة، طه، در لبضاء، ١٩٨٤م.
- ١٠١ ربيير، خوليان "القرية الإسلامية في الأندلس؛ أصولها المشرقية وتأثيراتها القرية" ترجمة: لطاهر أحمد مكي، در لمعارف، لقاهرة، ١٩٤٠م.
- ١٠٢ لرئيسوني، محمد لمنصر "الشعر النسوي في الأندلس" در مكتبة لحياة، بيروت، ١٩٧٨م.
- ١٠٣ ريه، عطا علي "اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرين والوطاسيين" در لكلمة، طه، دمشق، ١٩٩٩م.
- ١٠٤ بن لرزيير، أبو جعفر حمد لغرناطي (ت: ٧٢٨هـ) "صلة الصلة؛ ذيل لصلة لبشكولية في ترجم علام لأندلس" مكتبة خياط، بيروت، ١٩٣٧م.
- ١٠٥ لزجالي، عبيد لله لغرطبي (ت: ٦٩٤هـ) "أمثال العوام في الأندلس" تحقيق: محمد بن شريفة، دن، دم، دت [١-٢].
- ١٠٦ لزركلي "الأعلام؛ قاموس ترجم لأشهر لرجال ونساء من لغرب ولمستشرقين وللمستشرقين" در لعلم للملايين، طه، بيروت، ١٩٨٠م [١-٨].
- ١٠٧ لزروع، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ) "أحكام أهل النمة" تحقيق: يوسف أحمد لبكري وشاكر توفيق لعاروري، رمادي للنشر ودر بن حزم، طه، لدنام وبيروت، ١٩٩٧م [١-٣].
- ١٠٨ لزغول، جهاد غالب مصطفى "الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة، ٩٢-٨٩٧هـ" مركز لأفق، طه، لأردن، ٢٠٠١م.
- ١٠٩ لزورني، لحسين بن أحمد "شرح المعطقات السبع" مكتبة لمعارف، طه، بيروت، ١٩٧٩م.
- ١١٠ بن زيدون "ديوانه ورسائله" تحقيق: علي عبد لعظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر، لقاهرة، ١٩٥٧م.
- ١١١ سالم، لسيد عبد لغزير "تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس" در لمعارف، لبنان، ١٩٦٢م.
- ١١٢ - "قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس؛ درسة تاريخية عمرانية أثرية في لعصر لإسلامي" در لنهضة، بيروت، ١٩٧١م [١-٢].
- ١١٣ سامسو، خوليو "العلوم الدقيقة في الأندلس" ترجمة: عمر لشيوخ، بحث في: "لحضارة القرية لإسلامية في لأندلس" تحرير: سلمى لجبوسي، مركز در سات لوحة لقرية، طه، دم، ١٩٩٨م [١-٢].
- ١١٤ لسخاوي، محمد بن عبد لرحسن (ت: ٩٠٢هـ) "الصوة اللامع لأهل القرن التاسع" در مكتبة لحياة، بيروت، دت [١-١٢].
- ١١٥ لسعيد، محمد مجيد "الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس" در الرشيد، العراق، ١٩٨٠م.
- ١١٦ لسلفي، أحمد بن محمد (ت: ٥٧٦هـ) "أخبار وتراجم أنلسية مستخرجة من معجم السفر لسلفي" ت: إحسان عباس در لتقافة، طه، بيروت، ١٩٦٣م.
- ١١٧ بن سع، يد، علي بن موسى (ت: ٦٨٥هـ) "اختصار القذح المعلى في التاريخ المعلى" تحقيق: إبراهيم الأبياري، لمطابع لأميرية، دم، ١٩٥٩م.
- ١١٨ - "القصون الياغة في محاسن شعراء المائة السابعة" تحقيق: إبراهيم الأبياري، در لمعارف، طه، مصر، ١٩٤٥م [١-٣].
- ١١٩ - "المغرب في حلى المغرب" تحقيق: شوقي ضيف، در لمعارف، طه، لقاهرة، ١٩٩٣م [١-٢].
- ١٢٠ - "رايات المبرزين وغايات المميزين" تحقيق: محمد رضوان لداية، دار طلاس، طه، دمشق، ١٩٨٧م.
- ١٢١ بن أبي سلمى، زهير "ديوانه" تحقيق: لأعلم لشنتمري، لمطبعة الحميدية المصرية، طه، دم، ١٩٥٥م.
- ١٢٢ لسلمي، محمد بن لحسين (ت: ٤١٢هـ) "طبقات الصوفية" تحقيق: عبد لقادر عطا، در الكتب لعلمية، طه، بيروت، ١٩٩٨م [١-١١].
- ١٢٣ بن سهل (ت: ٦٤٩هـ) "ديوانه" تحقيق: محمد قوبعة، لمطبعة لرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٨٥م.

المصادر والمراجع

- ١٢٤ بن سهل، عيسى بن أبي أصيبغ (ت ٤٨٦هـ) "وثائق في أحكام قضاء أهل النمة في الأندلس: مستخرجة من مخطوط لأحكام لغيري" تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، لمركز لغيري لدولي، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ١٢٥ سوسة، أحمد "العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية" د. طه، دم. دت.
- ١٢٦ بن سينا "القانون في الطب" شرح: جبرن جنور، مؤسسة لمعارف، بيروت، ١٩٨٢م.
- ١٢٧ لسيوطي، جلال الدين (ت: ٩١١هـ) "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، دم، ١٩٧٩م [١-٢].
- ١٢٨ - "حسن المحاضرة" در لكتب علمية، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١٢٩ - "نزهة المجالس في أشعار النساء" تحقيق: صلاح الدين لمنجد، در لكتاب الجديد، ط٢، بيروت، ١٩٧٨م.
- ١٣٠ شاخاك، سرييل "الديانة اليهودية وتاريخ اليهود: وطاة ٣٠٠٠ عام" ترجمة: رضى سلمان، شركة لمطبوعات للتوزيع والنشر، ط٤، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١٣١ - "الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود" ترجمة: حسن خضر، سينا للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ١٣٢ لشامي، رشاد عبد الله "الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح الغدوانية" لمجلس لوطني للثقافة، الكويت، ١٩٨٦م.
- ١٣٣ شيندلين، ريموند "اليهود في إسبانيا المسلمة" ترجمة: مريم عبد الباقي، بحث في: "لحصارة لغربية لإسلامية في الأندلس" تحرير: سلمى لجبوسي، مركز در سات لوحة لغربية، ط١، دم، ١٩٩٨م [١-٢].
- ١٣٤ بن شريفة، محمد "أديب الأندلس أبو بحر التيجيبي: عمر قصير وعطاء غزير ٥٦١-٥٩٨هـ" مطبعة لنجاح الجديدة، ط١، لدر لنشطاء، ١٩٩٩م.
- ١٣٥ شلبي، سعد بسامعيل "البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر: عصر ملوك لطورف" نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دت.
- ١٣٦ لشتريني، علي بن بسام (ت: ٥٤٢هـ) "الخيرة في محاسن أهل الجزيرة" تحقيق: إحسان عباس، در لثقافة، بيروت، ١٩٩٧م [١-٨].
- ١٣٧ لشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ) "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" در لكتاب لإسلامي، القاهرة، دت. [١-٢].
- ١٣٨ - "نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار: شرح منقلى الأخبار" در لجيل، بيروت، ١٩٧٣م [١-٩].
- ١٣٩ لشيرزي، إبراهيم بن علي "المذهب في فقه الإمام الشافعي" در لفكر، بيروت، دت [١-٢].
- ١٤٠ لشهرزوري "تاريخ الحكماء: نزهة لأرواح وروضة لأفراح" تحقيق: عبد الكريم أبو شويرية، جمعية لدعوة لإسلامية لعالمية، ط١، دم، ١٩٧٨م.
- ١٤١ لشهرستاني، محمد عبد الكريم (٥٤٨هـ) "الملل والنحل" تحقيق: محمد سيد كيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى لبابي لطبي. مصر، ١٩٦١م.
- ١٤٢ بن بي شيبه، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ) "المصنف في الأحاديث والآثار" تحقيق كمال يوسف لحوت، مكتبة لرشيد، ط١، لرياض، ١٩٨٨م [١-٧].
- ١٤٣ بن صاحب لصلاة، عبد الملك (ت ٥٩٤هـ) "تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم لله نمة وجعلهم لورثين" تحقيق عبد لهادي لتازي، در لغرب، ط١، بيروت، ١٩٦٤م.
- ١٤٤ بن صاعد، صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢هـ) "طبقات الأمم" تحقيق حسين مؤنس، در لمعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ١٤٥ لصقدي، خليل بن بيك "الوافي بالوفيات" تحقيق أحمد لأرناؤوط، در بحياء لثرت لغربي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٠م [٢٩-].
- ١٤٦ صلاح، خالص "محمد بن عمار الأندلسي: درسة دبية تاريخية" مطبعة لهدى، ط١، بغداد، ١٩٥٧م.
- ١٤٧ لضبي، أحمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ) "بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس" در لكتاب لمصري ودر لكتاب للبناني، ط١، القاهرة وبيروت، ١٩٨٩م.
- ١٤٨ لضبي، لمفضل بن محمد بن يعلى "المفضليات" تحقيق: أحمد شاكر، وعبد لسلام هارون، دن، بيروت، دت.
- ١٤٩ لطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" در لفكر، بيروت، ١٩٨٤م [١-٣٠].
- ١٥٠ - "تاريخة" در لكتب لعلمية، بيروت، دت [١-٥].
- ١٥١ لطرطوشي، أبو بكر محمد بن لوليد (ت: ٥٢٠هـ) "الحوادث والبذع" تحقيق: عبد لمجيد تركي، در لغرب لإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.
- ١٥٢ - "سراج الملوك" تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، لدر لمصرية للبنانية، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م [١-٢].
- ١٥٣ طعيمة، صابر "التاريخ اليهودي العام" در لجيل، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٥٤ ظاطا، حسن "الفكر الديني اليهودي: أطوره ومداه" در لقلم، ط٢، دمشق، ١٩٨٧م.
- ١٥٥ بن عامر، توفيق "الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين، للهجرة" كلية لعلوم لإنسانية بجامعة تونس، تونس، ١٩٩٦م.
- ١٥٦ لعباسي، عبد لرحيم (ت: ٩٦٣هـ) "معاهد النصيب" تحقيق: محمد محي لدين، عالم لكتب، بيروت، ١٩٤٧م [١-٢] في مجلد.
- ١٥٧ عبد لحليم، رجب محمد "العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية: في عصر بني أمية وملوك لطورف" در لكتب لإسلامية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ١٥٨ بن عبد ربّه، أحمد بن محمد (ت: ٣٢٨هـ) "العقد الفريد" تحقيق: مفيد محمد قمحية، ط١، در لكتب لعلمية، بيروت، ١٩٨٣م [١-٨].
- ١٥٩ - "شعر ابن عبد ربّه الأندلسي: أحمد بن محمد" جمع وتحقيق: محمد أديب جمرن، مكتبة لعبكان، ط١، لرياض، ٢٠٠٠م.
- ١٦٠ عبد لفتاح، نازك إبراهيم "عروض الشعر العبري: في لعصرين لوسيط ولحديث" مكتبة لشباب، القاهرة، دت.
- ١٦١ عبد لله، عبد لغزيز "الطب والأطباء في المغرب" لمطبعة لاقتصادية، لرباط، ١٩٦٠م.
- ١٦٢ عبد لله، نافع "الهجاء في الشعر العربي الأندلسي" منشورات مركز لوثائق، ط١، بيرزيت، ١٩٨٤م.
- ١٦٣ عبد لمجيد، محمد بحر "اليهود في الأندلس" لمكتبة لثقافية، مصر، ١٩٧٠م.
- ١٦٤ بن عبد لمالك لمركشي، محمد (ت: ٧٠٣هـ) "النيل والتكملة" تحقيق: إحسان عباس، در لثقافة، بيروت، ١٩٦٤م [١-٦].
- ١٦٥ عبد لوحد لمركشي (ت: ٦٢١هـ) "المعجب في تلخيص أخبار المغرب من ابتداء فتح الأندلس إلى عصر الموحدين" تحقيق: محمد سعيد لعرين، مطبعة لاستقامة، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م.

المصادر والمراجع

- ١٦٦ - "وثائق المرابطين والموحدين" تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، بورسعيد، ١٩٩٧م.
- ١٦٧ بن عذري لمر كشي "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" تحقيق: ليفي بروفسنسال، در لثقافة، بيروت، دت، [١-٣]
- ١٦٨ - "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" - قسم لموحدين -، تحقيق: محمد بن هيم لكتاني وآخرون، در لغرب ودر لثقافة، ط ١، بيروت و لمغرب، ١٩٨٥م.
- ١٦٩ بن عبيد الله، أبو عمر بن موسى لإسري يلى لقرطبي "شرح أسماء العقار" تحقيق: ماكس ماير هوف، مكتبة لمتنى، بغداد، دت.
- ١٧٠ بن لعديم، عمر بن أبي جردة (ت: ٦٦٠هـ) "بغية الطلب في تاريخ حلب" تحقيق: سهيل زكار، دن، دمشق، ١٩٨٨م [١-١١].
- ١٧١ عربي، رجا "سفر التاريخ اليهودي" ط ١، لأول، سورية، ٢٠٠٤م.
- ١٧٢ لعسقلاني، أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ) "فتح الباري؛ شرح صحيح البخاري" تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب لدين لخطيب، در لمعرفة، بيروت، ١٩٥٩م [١-١٣].
- ١٧٣ لعسكري، أبو هلال "جوهرة الأمثال" در لفكر، بيروت، ١٩٨٧م [١-٢].
- ١٧٤ لعقبي، نجيب "المستشرقون" در لمعارف، ط ٣، مصر، ١٩٦٤م [١-٣].
- ١٧٥ عكاري، نعام "المعجم المفصل في علوم البلاغة" در لكتب لعلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م.
- ١٧٦ لعكش، بن هيم علي "التربية والتعلم في الأندلس" در عمار ودر لفتحاء، ط ١، لأردن: عمان، ١٩٨٦م.
- ١٧٧ عليان زياد حماد "الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر" در لشهاب، ط ١، دمشق، ٢٠٠٠م.
- ١٧٨ لع. ماد لأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد (ت: ٥٩٧هـ) "خريدة القصر وخريدة العصر" تحقيق: عمر لدسوقي وعلي عبد لعظيم، در نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٤م، لقسمة لربع [١-٢]. لعماد
- ١٧٩ لعصري، بن فضل (ت: ٧٤٩هـ) "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" تحقيق: أحمد زكي باشا، در لكتب لمصرية، لقاهرة، ١٩٢٤م [١-٢].
- ١٨٠ عثاني، محمد زكريا "الموشحات الأندلسية" لمجلس لوطني للثقافة والفنون ولأدب، لكويت، ١٩٨٠م.
- ١٨١ عيسى، فوزي سعد "الشعر الأندلسي في عصر الموحدين" لهيئة لمصرية لعمامة للكتاب، ط ١، لإسكندرية، ١٩٧٩م.
- ١٨٢ - "الهجاء في الأدب الأندلسي" در لمعارف، مصر، دت.
- ١٨٣ غياض، لقاضي (ت: ٥٤٤هـ) "ترتيب المدارك وتقريب المسالك" وزرة لأوقاف، تونس، دت [١-٤].
- ١٨٤ غازي، سيد مصطفى "ديوان الموشحات الأندلسية" منشأة لمعارف، لإسكندرية، ١٩٧٩م [١-٢].
- ١٨٥ لغرناطي، لشريف محمد بن أحمد لحسن (ت: ٧٦٠هـ) "رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة" مطبعة لسعادة، مصر، ١٩٢٥م [١-٢].
- ١٨٦ غومث، ميلو عرسيه "الشعر الأندلسي؛ بحث في تطوره وخصائصه" ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة لنهضة لمصرية، لقاهرة، ١٩٥٦م.
- ١٨٧ - "شعر ابن الرقاق" لمعهد لإسباني لعربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٨م.
- ١٨٨ - "مع شعراء الأندلس المتنبي: سير ودرسات" در لمعارف، ط ٤، لقاهرة، ١٩٨٥م.
- ١٨٩ بن فارس، أحمد (ت: ٣٩٥هـ) "معجم مقاييس اللغة" تحقيق شهاب لدين أبو عمر، در لفكر، ط ١، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١٩٠ لفاروقي، سماعيل رجي "الملل المعاصرة في الدين اليهودي" معهد لبحوث ولدرسات لعربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨م.
- ١٩١ فتاح، عرفان عبد حميد "اليهودية: عرض تاريخي" در عمار، ط ١، لأردن: عمان، ١٩٩٧م.
- ١٩٢ أبو لفاء (ت: ٧٣٢هـ) "المختصر في أخبار البشر" تحقيق محمد زينهم محمد عزب، در لمعارف، ط ١، لقاهرة، دت.
- ١٩٣ بن فرحون، بن هيم بن علي (ت: ٧٩٩هـ) "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" تحقيق: محمد لأحمدي أبو لنور، در لثرت، لقاهرة، دت [١-٢].
- ١٩٤ لفرء، محمد بن لحسين (ت: ٤٥٨هـ) "الأحكام السلطانية" مطبعة مصطفى لبابي لحلي، ط ١، لقاهرة، ١٩٣٨م.
- ١٩٥ بن لفرضي (ت: ٤٠٣هـ) "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس" تحقيق: عزت لطار لحسيني، مكتبة لخانجي، ط ٢، لقاهرة، ١٩٨٨م [١-٢].
- ١٩٦ بن فرعون، أبو لحسين "مظهر النور" عدد: محمد بن شريفة، مطبعة لنجاح لجديدة، لدر ليضاء، ١٩٩١م.
- ١٩٧ فيرنيه (فيرنيت)، خون "العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس" ترجمة: أكرم ذي لنون، بحث في: "الحضارة لعربية لإسلامية في لأندلس" تحرير: سلمى لجبوسي، مركز لدرسات لوحدية لعربية، ط ١، دم، ١٩٩٨م [١-٢].
- ١٩٨ - "فضل الأندلس على ثقافة الغرب" ترجمة: نهاد رضا، در شبييلة للدرسات والنشر، ط ١، دمشق، ١٩٩٧م.
- ١٩٩ لفيروز آبادي، محمد بن يعقوب "القاموس المحيط" مطبعة مصطفى لبابي لحلي، لقاهرة، ١٩٥٢م [١-٢].
- ٢٠٠ لقالي، أبو علي سماعيل بن لقاسم (ت: ٣٥٦هـ) "الأمالي في لغة العرب" در لكتب لعربية، بيروت، ١٩٧٨م [١-٣] في مجلدين.
- ٢٠١ بن قتيبة لدينوري، عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ) "عيون الأخبار" لمؤسسة لمصرية لعمامة للآليف ولترجمة، مصر، دت [١-٤].
- ٢٠٢ - "أدب الكاتب" تحقيق: محمد محي لدين عبد لحميد، مكتبة لسعادة، ط ٤، مصر، ١٩٦٣م.
- ٢٠٣ لقرشي، أبو زيد محمد "جوهرة اشعار العرب" شرح: علي فاعور، در لكتب لعلمية، ط ٢، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٢٠٤ لقرطبي، محمد بن أحمد (ت: ٦٧١هـ) "الجامع لأحكام القرآن" تحقيق: أحمد عبد لعليم لبردوني، در لشعب، ط ٢، لقاهرة، ١٩٥٢م [١-٢٠].
- ٢٠٥ بن قرمان، أبو بكر "ديوانه؛ نصا ولغة وعروضا" تحقيق: ف. كورينطي، لمعهد لإسباني لعربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٠م.
- ٢٠٦ لقريني، لخطيب (ت: ٧٣٩هـ) "الإيضاح في علوم البلاغة" تعليق: محمد عبد لمنعم خفاجي، در لكتاب للبناني، ط ٤، بيروت، ١٩٧٥م.
- ٢٠٧ قرينة، رياض "الفكاهة في الأدب الأندلسي" لمكتبة لعصرية، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٢٠٨ بن لقطان "نظم الجنان" تحقيق: محمود علي مكي، كلية لأدب بجامعة محمد لخامس، لرباط، دت.
- ٢٠٩ بن درج لقسطلي (ت: ٤٢١هـ) "ديوانه" تحقيق: محمود علي مكي، لمكتب لإسلامي، ط ١، دمشق، ١٩٦١م.
- ٢١٠ لقسطنطيني، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ) "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" در لكتب لعلمية، بيروت، ١٩٩٢م [١-٦].

المصادر والمراجع

- ٢١١ لقضاءي، محمد بن سلامة (ت: ٤٥٤هـ) "الإنباء بآباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء" لمكتبة لعصرية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٢١٢ لقطبي، علي بن لأشرف يوسف (ت: ٦٤٦هـ) "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" مطبعة لسعادة، ط١، مصر، ١٩٠٨م.
- ٢١٣ لقسندي، أحمد بن علي لفرري (ت: ٨٢١هـ) "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" تحقيق: عبد لقادر زكار، وزارة للثقافة، دمشق، ١٩٨١م [١٤-١].
- ٢١٤ قوجمان، ي. "قاموسه" دن، دم، ١٩٧٠م.
- ٢١٥ بن لقوطية (ت: ٣٦٧هـ) "تاريخ افتتاح الأندلس" تحقيق: يز هيم لأبياري، در لكتاب لمصري وللبناني، ط٢، مصر وبيروت، ١٩٨٩م.
- ٢١٦ لقروني، لرفيق "تاريخ إفريقية والمغرب" تحقيق: محمد زينهم عزب، در لفرجاني للنشر ولتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٢١٧ لقنيسي، عبد لكريم لأندلسي (ت: ٣٠٩هـ) "ديوانه" تحقيق: جمعة شيخة، قرطاج بيت لحكمة، تونس، ١٩٨٨م.
- ٢١٨ كارنييف، دل "اليهود واليهودية في نظر شعوب العالم" ترجمة: محمد علي حوت، در لأفاق لعربية، ط١، مصر، ٢٠٠١م.
- ٢١٩ لكثبي، محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ) "فوات الوفيات" تحقيق: علي محمد يعوض لله وعادل عبد لموجود، در لكثب لعلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م [٢-١].
- ٢٢٠ بن كثير، سماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ) "البداية والنهاية" مكتبة لمعارف، ط٢، بيروت، ١٩٧٧م [١٤-١] في ٧ مجلدات.
- ٢٢١ - "تفسير القرآن العظيم" در لفكر، بيروت، ١٩٨٠م [٤-١].
- ٢٢٢ كحالة، عمر رضا "معجم المؤلفين" ترجم مصنف لكثب لعربية" در حياة لثرت لعربي، بيروت، دب [١٥-١].
- ٢٢٣ كمال، ربحي "لروس اللغة العبرية" در لعلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣م.
- ٢٢٤ كولان، ج. س. "الأندلس" ترجمة: يز هيم خورشيد، در لكتاب للبناني، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٢٥ كونسيل، أوليفيا ريمي "التجار المسلمون في تجارة الأندلس الدولية" ترجمة: عبد لوح لؤلوة، بحث في: "لحصارة لعربية لإسلامية في لأندلس" تحرير: سلمى لجوسي، مركز دراسات لوحدة لعربية، ط١، دم، ١٩٩٨م [٢-١].
- ٢٢٦ - "التجارة والتجار في الأندلس" ترجمة: فيصل عبد لله، مكتبة لعبيكان، ط١، لرياض، ٢٠٠٢م.
- ٢٢٧ لوبون، جوستاف "حصارة العرب" تحقيق: عادل زعتر، در حياة لكثب لعربية، ط٣، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٢٢٨ لمالقي، محمد بن حميس (ت: ٦٣٩هـ) "أدباء مالقة" تحقيق: صلاح جرر، در لبشير، عمان، ١٩٩٩م.
- ٢٢٩ لمباركفوري، محمد عبد لرخصن (ت: ١٣٥٣هـ) "تحفة الأخوذ بشرح جامع الترمذي" در لكثب لعلمية، بيروت، دب [١٠-١].
- ٢٣٠ متر، آدم "الحصارة الإسلامية في القرن الرابع" ترجمة: محمد عبد لهادي بوريده، در لكتاب للبناني، ط٤، بيروت، ١٩٦٧م [٢-١].
- ٢٣١ لمثنبي "شرح ديوانه" شرح عبد لرخصن لبرقوقي، در لكتاب لعربي، بيروت، ١٩٨٠م [٤-١].
- ٢٣٢ مجموعة باحثين "تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب: كشف رموز لمادة لطبية بالألفاظ لمغربية مع ترجمة بالفرنساوية وحل مشكلاته" مكتبة بول قطنير، باريس، ١٩٣٤م.
- ٢٣٣ مجهول "أخبار مجموعة في فتح الأندلس" ت يز هيم لأبياري، در لكتاب لمصري وللبناني، ط٢، القاهرة وبيروت، ١٩٨٩م.
- ٢٣٤ مجهول من هل لقرن لثامن لهجري "الخلل الموسية في ذكر الأخبار المرشسية" تحقيق سهيل زكار وعبد لقادر زمامنة، در لرشاد لحيثة، ط١، لدر لبضاء، ١٩٧٩م.
- ٢٣٥ مجهول "ألباب الألباب من نظم الشعراء ونثر الكتاب" تحقيق حسن فلفل، تحت لطبع.
- ٢٣٦ مجهول مغربي في لقرن لهادي عشر لهجري "منهاج الصواب في فتح استكتاب أهل الكتاب" تحقيق دود علي لفاضل، در لغرب لإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٢٣٧ مجهول "ملحمة السيد: ول ملحمة ندسية كتبت باللغة لقشالنية" ترجمة: لطاهر أحمد مكي، در لمعارف، ط١، مصر، ١٩٧٠م.
- ٢٣٨ بن مخلوف، محمد "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" در لكتاب لعربي، بيروت، ١٩٣٠م.
- ٢٣٩ بن لمرحل "الجولات من شعره" تحقيق: محمد مسعود جبرن، در لمد لإسلامي، ط١، ليبيا، ٢٠٠٤م.
- ٢٤٠ لمرعشلي، أحمد وآخرون "الموسوعة القلنطينية" - لقسام لعام- ط١، هيئة لموسوعة لقلسطينية، دمشق، ١٩٨٤م [٤-١].
- ٢٤١ لمسيري، عبد لوهاب "الصهيونية الخاضر والمستقبل" مكتبة مذبولي لصغير، مصر، دب [٣-١].
- ٢٤٢ - "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" در لشروق، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٢٤٣ بن لمعتر، عبد لله بن لخليفة لمعتر (ت: ٢٩٦هـ) "ديوانه" تعليق وشرح: ميشيل نعمان، لشركة للبنانية لكثب، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٢٤٤ مصطفى، شاكر "موسوعة العالم الإسلامي ورجالها" در لعلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٩٣م [٤-١].
- ٢٤٥ لمعري، أبو لعلاء "شروح ديوان سقط الزند" لدر لقومية للطباعة ولنشر، القاهرة، دب [٥-١].
- ٢٤٦ بن لمعز لدين لله، تميم لفاطمي "ديوانه" تحقيق: محمد حسن لأعظمي، در للثقافة، بيروت، دب.
- ٢٤٧ لمقنيسي، محمد بن أحمد (ت: ٣٩٠هـ) "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" تحقيق: غازي طليمات، وزارة للثقافة ولإرشاد لقومي، دم، ١٩٨٠م.
- ٢٤٨ لمقريري، تقي لدين (ت: ٨٤٥هـ) "اتعاط الخفا بأخبار الأئمة القاطمين الخفا" تحقيق: محمد عبد لقادر أحمد عطا، در لكثب لعلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠١م [٢-١].
- ٢٤٩ - "السلك لمعرفة دول الملوك" تحقيق: محمد عبد لقادر عطا، در لكثب لعلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٧م [٨-١].
- ٢٥٠ - "المواظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار" مؤسسة لفرقان للثرت لإسلامي، لندن، ٢٠٠٢م [٤-١].
- ٢٥١ لمقري، أحمد بن محمد (ت: ١٠٤١هـ) "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" تحقيق: سعيد أحمد أعرب وعبد لسلام لهرس، للجنة لمشاركة لنشر لثرت، لرباط، ١٩٧٨م [٥-١].
- ٢٥٢ - "نفح الطيب في عطن الأندلس الرطيب" تحقيق: مريم ويوسف طويل، در لكثب لعلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٥م [١٠-١].
- ٢٥٣ مكي، لطاهر أحمد "دراسات أندلسية: في الأدب والتاريخ والفلسفة" در لمعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ٢٥٤ بن لملوح، قيس "ديوان مجنون ليلى" تحقيق: عبد لستار أحمد فرج، مكتبة مصر، القاهرة، دب.

المصادر والمراجع

٢٥٥. المِثْلَوِي، مُحَمَّد عَبْد الرَّؤُوف (ت: ١٠٣١هـ) "التعاريف" تحقيق: مُحَمَّد رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت ودمشق، ١٩٨٩م.
٢٥٦. ابن منظور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم (ت: ٧١١هـ) "لسان العرب" دار صادر، ط١، بيروت، د.ت. [١-١٥].
٢٥٧. المِثْلَوِي، مُحَمَّد عَبْد الرَّؤُوف "التعاريف على مهمات التعاريف" تحقيق: مُحَمَّد رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٥٨. منشأوي، محروس "أبو نؤاس الأندلسي؛ ابن سهل الإسرائيلي" دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢٥٩. مؤنزو، جيمس ت. "الرجل والموشح: الشعر الأندلسي والتراث الرومانسي" ترجمة: عَبْد الواحد لؤلؤة، بحث في: "الخصارة العربية الإسلامية في الأندلس" تحرير: سلمى الجبوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، د.م.، ١٩٩٨م [١-٢].
٢٦٠. الميداني، أحمد بن مُحَمَّد النيسابوري (ت: ٥١٨هـ) "مجمع الأمثال" دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٢ [١-٢].
٢٦١. ميكيل، أندريه "الإسلام وخصارته" ترجمة: زينب عبد العزيز، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
٢٦٢. ابن ميمون، موسى (ت: ٦٠٣هـ) "دلالة الخائرين" ترجمة: حسين أتا، مكتبة الثقافة الدينية، د.م.، د.ت. [١-٣].
٢٦٣. الناصري، أحمد بن خالد (ت: ١٣١٥هـ) "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م [١-٩].
٢٦٤. النديم، مُحَمَّد بن إسحاق (ت: ٣٨٥هـ) "الفهرست" دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٦٥. ابن أبي النصر، أبو المني كوهين العطار "منهاج الدكان و دستور الأعيان" تحقيق: مُحَمَّد رضوان مهنا، مكتبة جزيرة الورد، ط١، المنصورة، ٢٠٠٤م.
٢٦٦. النباهي، أبو الحسن "تاريخ فضاة الأندلس؛ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفناء" تحقيق: إلفي بروفسال، دار الكتاب المصري، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م.
٢٦٧. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ) "نهاية الأرب في فنون الأدب" مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨ [١-٣١].
٢٦٨. النيسابوري، مُحَمَّد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ) "المستدرک على الصحيحين" تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٠م [١-٤].
٢٦٩. النيسابوري، مسلم أبو الحسين القشيري (ت: ٢٦١هـ) "صحيحه" تحقيق: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت. [١-٥].
٢٧٠. أبو نؤاس "ديوانه" المكتبة الأهلية، ط٣، بيروت، د.ت.
٢٧١. ابن هاني الأندلسي "ديوانه" دار صادر، بيروت، د.ت.
٢٧٢. الهرامة، عبد الحميد عبد الله "القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري؛ الظواهر والقضايا والأبنية" دار الكتاب، ط٢، طرابلس، ١٩٩٩م [١-٢].
٢٧٣. هندأوي، إبراهيم موسى "الأثر العربي في الفكر اليهودي" مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
٢٧٤. هونكة، زيغريد "شمس العرب تسطع على الغرب؛ أثر الحضارة العربية في أوروبا" ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، ط٨، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٧٥. هيلنراند، روبرت "زينة الدنيا: فزطبة القروسطية" ترجمة: عَبْد الواحد لؤلؤة، بحث في: "الخصارة العربية الإسلامية في الأندلس" تحرير: سلمى الجبوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، د.م.، ١٩٩٨م [١-٢].
٢٧٦. وات، مونتغمري "أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا" ترجمة: جابر أبي جابر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١م.
٢٧٧. - "في تاريخ إسبانيا الإسلامية" ترجمة: مُحَمَّد رضا المصري، شركة المطبوعات، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٧٨. ابن الوردي، عروة والسموال "ديوانهما" بيروت دار صادر، ١٩٦٤م.
٢٧٩. الوزان، الحسن بن مُحَمَّد معروف بجان ليون (ت: ٩٥٧هـ) "وصف إفريقيا" ترجمة: عَبْد الرَّحْمَن حميدة، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٩٧٨م.
٢٨٠. ولفسون، إسرائيل "موسى بن ميمون؛ حياته ومصنفاته" لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، مصر، ١٩٣٦م.
٢٨١. الوشتريسي (ت: ٩١٤هـ) "المغيار المغرب" دار العرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م [١-١٣].
٢٨٢. يعقوب، إميل بديع "المعجم المفصل في علم العروض" دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩١م.
٢٨٣. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم "الخراج" المطبعة السلفية، ط٢، القاهرة، ١٩٣٣م.

• الرسائل الجامعية :

٢٨٤. أبو إصبع، نجمة خليل "الحياة الفكرية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس" رسالة ماجستير، جامعة عدن، اليمن، ١٩٩٩م.
٢٨٥. البدوي، أمنة "شعر النازحين من الأندلس إلى مصر والشام في القرن السابع الهجري بين التأثير والتأثير" رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، الأردن، عمان، ١٩٩٦م.
٢٨٦. الحباري، مشهور عَبْد الرَّحْمَن "ديوان أبي الحسن بن الجياني؛ دراسة وتحقيق" رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، عمان، ١٩٨٣م.
٢٨٧. حجازي، فائزة "أهل الحمة في بلاد الشام في العصر العباسي" رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، إربد، ١٩٩٢م.
٢٨٨. الخطاب، سلمان "الشعر السياسي في الأندلس في عهد الطوائف" رسالة دكتوراة، جامعة حلب، سوريا، ١٩٨٨م.
٢٨٩. حميدي، خميسي "الحركة الأدبية في إسبيلية لرمز بني عبد ٤١٤-٤٨٤هـ" رسالة ماجستير، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٤م.
٢٩٠. أبو الرب، هناء "النقد السياسي والاجتماعي عند شعراء المخيرة" رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، إربد، ١٩٩٩م.
٢٩١. سمور، فتيبة علي "العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الإسبانية في شمال الأندلس، من ٥٤٠-٦٢٠هـ" رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، عمان، ١٩٩٦م.
٢٩٢. كواتي، مسعود "اليهود في المغرب الإسلامي؛ من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين" رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٩١م.
٢٩٣. مظهر، عبد المطلب "أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي" رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، إربد، ١٩٩٩م.

• الدُّورِيَّات :

٢٩٤. أحمد، حلمي حمدان "بصَدَدِ رِسَالَةِ الْمَغِيلِي فِي الْيَهُودِ الْمُنْشَوْرَةِ تَحْتَ غُثَّانِ مِصْبَاحِ الْأَرْوَاحِ فِي أَصُولِ الْفَلَاحِ"، مَجَلَّةُ كَلْبِيَّةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ سِيدِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فاس، ع ٦، ١٩٨٣م، ص ١٠٢ - ١٠٦ .
٢٩٥. الرَّاعِي (ت: ٨٥٣هـ) "الْمُفْتَعِ السَّهْلُ فِي تَرْجَمَةِ وَشَعْرِ ابْنِ سَهْلٍ"، حَوَالِيَاتِ الْجَامِعَةِ الثَّوْنِيَّةِ، ع ٢٩، ١٩٨٠م، ص ٤١ - ٥٣ .
٢٩٦. السَّامِرَائِي، إِبرَاهِيمَ وَبِشْرَ أَحْمَدَ "شَعْرُ عَزْوَةِ بْنِ حَرَامٍ"، مَجَلَّةُ كَلْبِيَّةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ بَغْدَادَ، ١٩٦١م، ع ٤٤، ص ١٢ .
٢٩٧. سَمْعَان، خَلِيلٌ "يَهُودُ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلدَّكْتُورِ بَرْنَرْدِ لُويْسٍ" مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، م ٦٢، ج ١، دِمَشْقَ ١٩٨٧م، ص ١٤٨ - ١٥٨ .
٢٩٨. شَحْلَان، أَحْمَدُ "مِنَ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ - الْعَبْرِيِّ؛ أَبُو هَارُونَ مُوسَى بْنُ يَغْفُوبَ بْنِ عِزَّةَ وَكِتَابِهِ: الْمَخَاصِرُ وَالْمَذَاكِرَةُ"، مَجَلَّةُ كَلْبِيَّةِ الْأَدَابِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالرَّبَّاطِ، ع ١٠، ١٩٨٤م، ص ٦٥ - ٧٥ .
٢٩٩. - "مُوسَى بْنُ مَيْمُونٍ وَكِتَابُهُ دَلَالَةُ الْخَائِرِينَ"، مَجَلَّةُ كَلْبِيَّةِ الْأَدَابِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالرَّبَّاطِ، ع ٥٥ و ٦، ١٩٧٩م، ص ١ - ٢٣ .
٣٠٠. ابْنُ شَرِيفٍ، مُحَمَّدٌ "حَوْلَ التَّسَامُحِ الدِّينِيِّ وَابْنِ مَيْمُونٍ وَالْمُؤَخِّدِينَ" مَجَلَّةُ دِرَاسَاتِ أُندَلُسِيَّةٍ، ثُوْنُسَ، ع ١٤، ١٩٩٥م، ص ١١ - ٢٨ .
٣٠١. شَهْبَر، عَبْدُ الْعَزِيزِ "التَّعَايُشُ بَيْنَ الْأَدْيَانِ فِي الْأَنْدَلُسِ مِنْ خِلَالِ نُصُوصِ شِعْرِيَّةِ أُندَلُسِيَّةٍ" مَجَلَّةُ دِرَاسَاتِ أُندَلُسِيَّةٍ، ثُوْنُسَ، ع ١٤، ١٩٩٥م، ص ٢٩ - ٤٦ .
٣٠٢. الْعَبَّادِي، أَحْمَدُ مَخْتَارٌ "تَارِيخُ الْأَنْدَلُسِ لِابْنِ الْكَرْدَنْبُوسِ وَوَصْفُهُ لِابْنِ الشُّبَّاطِ؛ نَصَّانِ جَدِيدَانِ" صحيفَةُ مَعْدِ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَدْرِيْدَ: م ١٣، ١٩٦٦، ص ٣٩ - ٨٩ .
٣٠٣. عَبْدُ الْعَزِيزِ، هِشَامُ فُوزِي "يَهُودُ الْأَنْدَلُسِ فِي ظِلِّ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ" مَجَلَّةُ دِرَاسَاتِ أُندَلُسِيَّةٍ، ثُوْنُسَ، ع ١٥، ١٩٩٦م، ص ٩٥ - ١٠٤ .
٣٠٤. عَلِي، جَوَادٌ "مَا عَرَفَهُ ابْنُ النَّدِيمِ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ؛ الْقِسْمُ الثَّانِي" مَجَلَّةُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، م ١٠، ١٩٦٣م، ص ١٥٦ - ١٨٣ .
٣٠٥. الْعَدِيرِي، مُصْطَفَى "الْمُؤَشَّحَاتُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ بَيْنَ الْإِبْدَاعِ وَالْإِتْبَاعِ" مَجَلَّةُ دِرَاسَاتِ أُندَلُسِيَّةٍ، ع ١٣، ١٩٩٥م، ص ٣٧ - ٥٤ .
٣٠٦. مُصْطَفَى، عَدْنَانٌ "نَظَرِيَّةُ رِيْبِيْرَا حَوْلَ عَرُوبِيَّةِ الْأَنْدَلُسِ"، حَوْلِيَّةُ كَلْبِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّاتِ وَالْعُلُومِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِجَامِعَةِ قَطْرَ، ع ١٢، ١٩٨٩م، ص ٢٥ .
٣٠٧. مَجْهُولٌ "الرَّحَالَةُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ الطَّرْطُوشِيَّةُ"، مَجَلَّةُ كَلْبِيَّةِ الْأَدَابِ بِجَامِعَةِ بَغْدَادَ، ع ٢٠، ١٩٧٦م، ص ١٧١ - ١٨٤ .

• المَرَاَجِعُ الْأَجْنِبِيَّة :

308. Dozy, Reinhart "Spanish Islam" london: chatto windus , 1913 .
309. Franklin, Louis "The Jews ;their history" , ed 4, Schocken Books, New York, 1970.
310. Margolis, Maxi & Marx, Alexander. "A History of the Jewish people", ed 5, The Jewish Society of America, America, 1962.
311. Roth, Cecill & Others."The New Standard Jewish Encyclopedia", ed 4, massada Publishing Company Ltd., Jerusalem, 1970.
312. Watt, W. Montcomery "A History of Islamic Spain", ed 5, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1996 .

• مواقع على شبكة الانترنت :

313. <http://www.aleman.comIslamlibviewchp.asp?BID=&CID=> موقع الإيمان :
314. <http://www.arabic.islamicweb.Com> "الرد على النَّصَارَى فِي ادْعَاءِ نُبُوَّةِ الْمَسِيحِ وَأُلُوهِيَّتِهِ" :الذهبي، أبو عبد الله
315. <http://www.arabicbible.Org> "Is Jesus God" موقع الإنجيل: إبراهيم، قاسم "هل المسيح هو الله"
316. <http://www.baytallah.comfood.htm> موقع بيت الله :
317. <http://www.holol.netfilesdisturbancesindex.htm> موقع حلول:
318. http://www.ishim.netankaadan_surgicalDrugsZahrawi.htm كعدان، عبد الناصر "الأدوية التي استعملها الزهراوي في الجراحة"،
319. <http://www.jas.org.joarabiccons.html> موقع الجمعية العلمية الفلكية في الأردن :
320. <http://www.kalwid.pi.comchaptersptch.htm>
321. <http://www.khayma.com> موقع الخيمة : العولقي، حامد "الثالوث"
322. <http://www.palestinianforum.netforumshowthread.php?t=&page=>.
323. <http://www.spainbarcelona.comgeneralhistoryfreconquest.htm>

== Abstract ==

Abstract

This thesis deals with the Jews and their influence on Arabic literature in Andalusia. It is made in three chapters. **In the first chapter**, the focus is on Jews and their history in addition to their social, economic, religious and cultural life.

The second chapter explores the influence of the Jews on Arabic poetry in Andalusia, and it shows them in different Arabic poetical themes in Andalusia: in Ghazal (love poetry) in laudatory, in satire, in wine poetry, in Muwashshahat and Alzajal. This chapter also contains other poetical topics as al-Ikhwaniyyat (fraternal). In this chapter, the study also draws attention to poetry about strifes and massacres. It presents the most famous literary Jewish figures of Andalusian poetry and the sources of Jewish stories in it. It ends with biographies of the most distinguished Jewish poets in Andalusia such as Ibn Suhail Al-Israeli, Abu Al-Fadel Bin Hisdai and others.

Chapter three is concerned with the influence of Jews on the Arabic prose literature in Andalusia. Readers can also find a collection of prose literature in which the Jews appeared such as letters, proverbs, Maqamat (rhymes) and diaries. Then, the study illustrates what affected the image of Jews in Andalusian prose literature. In this chapter, there are biographies of Jewish figures who displayed Jews in Andalusian prose literature. These are the sons of Naghrila in Granada and Abu Mohammed Bin Hazm in addition to the Jewish writer Bin Hisdai.

Four appendices follow the research and many indexes end it.

Hebron University
Faculty Of Graduate Studies
Arabic Language Department

THE JEWS AND THEIR INFLUENCE ON ARABIC LITERATURE IN ANDALUSIA

Prepared by:
Nafitha Naser Sharabati

Supervised by : **Dr. Hassan Flaifel**
Associate Professor of Andalusian Literature

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of master of Arts in Arabic Language & Literature, Collage of Graduate Studies & Academic Research, Hebron University.

٢٠٠٧